المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة التفسير

تفسير الحداد

المسمى "كشف التنزيل وتحقيق التأويل"

لأبي بكر بن علي بن محمد الحداد الزبيدي اليمني المتوفى سنة ٨٠٠هـ

دراسة وتحقيق

من أول سورة الفاتحة حتى نهاية سورة البقرة

إعداد الطالب
عايد بن عبد الله العيد الحربي

لنيل درجة العالمية العالية "الدكتوراه"

إشراف
فضيلة الدكتور/ عبد العزيز محمد عثمان

الجزء الأول

١٤١٢هـ ١٩٩٢م

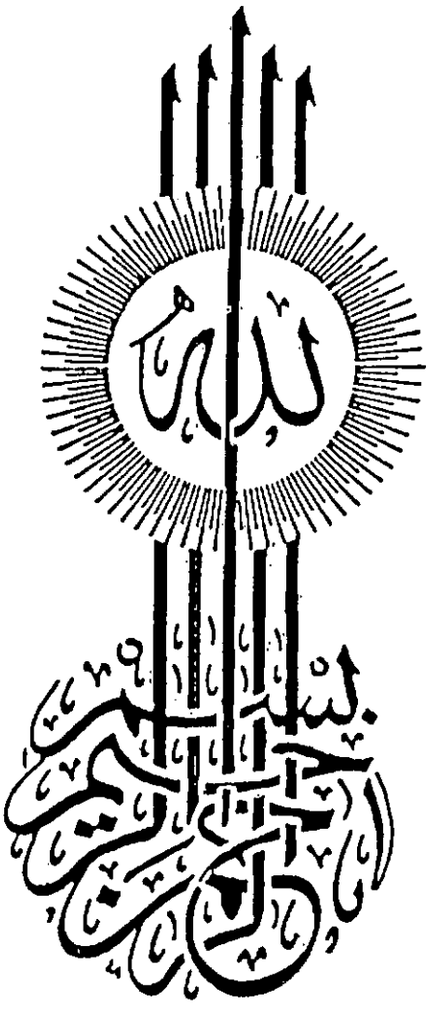
بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمة

المقـــدمـــــة :

ان الحمـــد للـــه نحمـــده ونستعينـــه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ باللـه من شـــرور أنفسنا و سيئات أعمالنـــا ، من يهـــده اللـه فلا مضل له ومن يضلل فلا هاد ى له . وأشهـــد أن لا الـه الا الله وحده لا شريك له وأشهـــد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهد ى ود يـــن الحق شاهدا ومبشرا ونذ يـرا ، ود اعيا الى الله باذ نـه وسراجا منيرا . صلى الله عليه و على آلـه وصحبـه ومن سار على سنته واقتفى أثـره الى يوم الد ين و سلّم تسليما كثيرا .

أمـا بعـــد : فان الله تعالى قد بعث نبيه محمدا صلى الله عليه و سلم بكتابـــــه العزيز الذ ى أنزله تبياناً لكل شيءٍ وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين. فيه نبأ ما قبلنا وخبر ما بعد نـــــا وحكم ما بيننا ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهد ى فـــي غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهـــو الذ ى لا تزيغ بـه الأهواء ، ولا تلتبس بـه الألسنـة ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق عـــلى كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبـه ، هو الذ ى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ) من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكـم بـــه عـــدل ، ومن د عا اليه هُد ى الى صراط مستقيم .(١)

وقد تكفل الله عزّ وجلّ بحفظه فقال (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُون) .

وقال تعالى (لَا يَأْتِيهِ الْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيـــدٍ) .

لذا فان الخير كل الخير هو العمل بأحكامه والتعبد بتلاوته والاشتغال بحفظه ، وتعلمـــه و تعليمه و تد بر آياتـه ومواعظه والاعتبار بقصصـه وأخبـــاره .

ولقد كان لسلفنا الصالح رحمهم الله قصب السبق في ذ لك ، فقد صرفوا أعمارهـــم وبذ لوا جهود هم للعناية بكتاب ربهم ، حفظوه في صد ورهم ، وحكموه في حياتهم وفي أقوالهـم وأفعالهم ، واشتغلوا بتفسيره وتد بر معانيه واستباط أحكامه واد راك أوامره ونواهيه و و عـــده وو عيـده .

---

(١) من عبارة «وفيه نبأ ما قبلنا .... الخ . ورد هذا في حديث أخرجه الترمذي في سننه : ١٧٢/٥ وقال : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال . وأول الحديث « ألا إنها ستكون فتنة » فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : « كتاب الله ، فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم .... » الخ .

وكان من ثمار ذلك تدوين تلك الأسفار والمؤلفات المتعددة في التفسير وعلوم القرآن على مرّ العصور وتعاقب الأجيال . الا أن بعض تلك المؤلفات لم يزل محجوبا مغمورا في خزائن المخطوطات . وقد قام نخبة من الباحثين وطلبة العلم بجهود مشكورة في اخراج تلك المؤلفات وتحقيقها وتقديمها للقرّاء .

ورغبة مني في المساهمة في هذا الميدان النبيل ـ مع ضعفي وتقصيري ـ بدأت البحث عن مخطوط في التفسير ، ليكون موضوع رسالتي لمرحلة الدكتوراه في شعبة التفسير .

وبعد البحث والنظر في فهارس ومصورات بعض المخطوطات ، وقع اختياري على مخطوط في التفسير تحت عنوان : **تفسير الحداد ، المسمى " كشف التنزيل وتحقيق التأويل"** لأبي بكر بن علي بن محمد الحداد الزبيدي اليمني الحنفي ، المتوفى سنة ٨٠٠ هـ .

وكان من الأسباب التي دعتني لاختيار هذا الكتاب هو ما تميز به من حسن العرض والترتيب ، وسهولة العبارة والأسلوب ، واشتماله على أنواع شتى من علوم القرآن كالقراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والأحكام واللغة والاعراب وغير ذلك . ممّا جعل الامام الشوكاني ـ رحمه الله ـ يصفه بالشهرة والتداول عند الناس في عصره .

والله تعالى أسأل أن يعين ويسدد ، وأن يجعل العمل خالصا لوجهه الكريم . انه سميع مجيب .

خطـــة البحـــث :

تتألـف خطـة البحـث من : مقدمـة و قسمـين :

المقـدمـة :

وأبين فيها أهميـة الموضـوع و سبب اختيـاره ٠

القسم الأول : الدراسـة :

و يشتمل هـذا القسم على بابـين :

الباب الأول : دراسة المؤلـف : وتتضمن الآتـي :

أ ـ نسبـه ، ولقبـه ، وكنيتـه ٠

ب ـ مولـــد ه ٠

جـ ـ نشأتـه و صفاتـه ٠

د ـ حياتـه العلميـة ٠

هـ ـ مؤلفاتـــــه ٠

و ـ منزلتـه العلمية و ثناء العلماء عليـه ٠

ز ـ وفاتـــــه ٠

الباب الثاني : دراسة الكتاب : وتشتمل على ما يلي :

أ ـ اسم الكتـــاب ٠

ب ـ تحقيق نسبـته للمـؤلـف ٠

جـ ـ وصف النسـخ الخطيـة ٠

د ـ منهـج المـؤلـف في كتابـه ٠

هـ ـ مصـــادره ٠

و ـ القيمة العلميـة للكتاب ٠

ز ـ المآخـذ على الكتـاب ٠

القسم الثاني : التحقيق :

ويتضمن هذا القسم مايلي :

١ ـ كتابة النصّ وتحقيقه وفقا لما ذكر في منهج التحقيق .

٢ ـ وضع الفهارس التفصيلية لمحتويات البحث .

وبعـــــد :

فاني بعد شكر الله عز وجل ، ثم شكر والدي الكريمين ، أتقدم بخالص الشكر والتقدير للقائمين على هذه الجامعة المباركة ، وأخص منهم معالي رئيسها الدكتور / عبد اللـــــه ابن صالح العبيد ، و فضيلة رئيس قسم الدراسات العليا ، و فضيلة عميد كلية القرآن الكريم والدراسات الاسلامية ، على جهودهم المشكورة في خدمة العلم وطلابه ، فجزاهم اللـــــه خير الجزاء ، ووفقهم لحسن القصد والعمل .

كما أخص بالشكر فضيلة شيخي الدكتور / عبد العزيز بن محمد عثمان ــ الأستـــــاذ المشارك بقسم التفسير بالجامعة ، والمشرف على الرسالة ، فله مني جزيل الشكر و جميل العرفان فقد أفدت من علمه وأدبه وحسن توجيهه وارشاده ، كما لم يبخل عـــــليّ بشيء من وقته ، بل حظيت منه بالترحيب في كل وقت ، مع ما يتصف به ــ حفظه الله ــ مـــن كرم و نبل ودماثة خلق ، وكان هذا دأبه الذي عُرِفَ به بين طلابه .

ومهما قلت من كلمات الشكر وعبارات الثناء فلن أوفيه حقه ، ولكن له مني الدعـــاء بخير الجزاء من الله عز وجل ، فبارك الله له في علمه و عمله ، وأجزل له الأجر والمثوبـــــة ووفقه و سدد خطاه . وجزاه الله عني و عن طلابه خير ما جزى شيخا عن تلميذه ، ووالـــدا عن ولـــــده .

وليس شكري له بمحمل اياه تبعة ما قد يقع من خطأ أو تقصير في هذا البحث ، فأنـــــا المسئول عن ذلك ، والانسان خطاء ، ومن الله العفو والسداد .

كما أشكر لشيخيّ الجليلين ، فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الله بن محمد الأمـــــين الأســـــــــتاذ بقسم التفسير بالجامعة و عميد كلية القرآن الكريم والدراسات الاسلاميـــة و فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد عمر حويه ــ الأستاذ بقسم التفسير بالجامعـــة .

أشكر لهما قبولهما مناقشة هذه الرسالة و تجشم عناء قراءتها رغم كثرة أعمالهما ، فبارك اللـــه لهما في أوقاتهما و أعمارهما ، ونفع الله بعلمهما ، وجزاهما الله خير الجزاء .

ثم أشكر كل من أسدى اليّ نصحًا أو توجيهاً من الأساتذة الكرام والأخوة الزمـــــلاء .

وأشكر للأخوة الحضور حضورهم ، والله تعالى أسأل أن ينفعنا جميعا بما نسمع وأن يوفقنا للحـــق والصواب .

وبعـــــــــد :

فهذا جهـد المقل ، فان أصبت فبتوفيق من اللـه عز وجل ، وان تكن الأخـــرى فحسبي أني بذلت جهدي والله المستعان وعليه التكلان .

وما توفيقي الا باللـه عليه توكلت واليه أنيب . وآخر دعوانا أن الحمد للـه رب العالمين .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قسم الدراسة

البـــاب الأول

((دراســـــــــــة المـــؤلـــف))

وتحتـــــه المباحـــث التاليـــــة :

١ نســبه وكنيتــه ولقبـــــه .

٢ مولـــــــده

٣ نشـــأتــه وصفاتـــــه

٤ حياتـــه العلميـــــة

٥ مؤلفـــاتـــــــه

٦ منزلتـه العلميـة وثنـاء العلمـاء عليـــه

٧ وفاتـــــــه

١ ـ نسبه ، وكنيته ، ولقبه :

هو أبو بكر بن علي بن محمد الحداد رضي [١] الدين العبادي الزبيدي [٢] الحنفي . [٣]

---

(١) في بعض المصادر " فخر الدين " . ولم يتبين لي أي اللقبين أولى ، ولعل كليهما لقب له . والله أعلم .

(٢) نسبة الى زبيد ، مدينة مشهورة باليمن ، أحدثت في أيام المأمون ، ينسب اليها جمع كثير من العلماء .

انظر : معجم البلدان ١٣١/٣

(٣) انظر ترجمته في العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لأبي الحسن علي بن الحسن الخزرجي ٢٩٦/٢ ، وتاج التراجم لزين الدين قاسم بن قطلوبغا : ص ١٤١ والبدر الطالع للشوكاني ١٦٦/٢ ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٤٤٦/١ ، ١٣٦٧/٢ ـ ١٣٦٨ ، ١٤٨٨/٢ ، ١٦٣١/٢ ، وهدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي ٢٣٦/١ ، وأسماء الكتب المتمم لكشف الظنون لعبد اللطيف بن محمد رياضي زادة ص ١٤٥ ، والأعلام لخير الدين الزركلي ٦٧/٢ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٦٧/٣ ، ومصادر الفكر الاسلامي في اليمن لعبد الله محمد الحبيشي ص ١٢٨ ، ٢١٤ والعسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك لعلي بن الحسن الخزرجي ص ١٩٤ (مخطوط) بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة برقم ٢٥٥٦ / تاريخ .

وانظر الورقة الأولى من نسخة المكتبة الأحمدية بحلب ، وهي أحد النسخ المعتمدة للمقابلة في تحقيق تفسير المؤلف ، والمرموز لها بحرف " م " .

فقد نقل على طرتها ترجمة وافية للمؤلف من طبقات نور الدين علي بن حسن الخزرجي الأنصاري ، كما أشار الى ذلك ناسخه يحيى بن محمد الملاح الحنفي .

ولم أقف على تلك الطبقات المذكورة .

وقد ترجم الزركلي في الأعلام ٢٧٤/٤ لأبي الحسن علي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢ هـ . وذكر عددا من مؤلفاته ، منها في التراجم والطبقات :

١ ـ الكفاية والاعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من الاسلام (مخطوط) .

٢ ـ طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن (مخطوط) .

٣ ـ العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن .

٤ ـ مرآة الزمن في تاريخ زبيد وعدن .

٥ ـ العسجد المسبوك في تاريخ الاسلام وطبقات الملوك .

وهذا الأخير توجد منه نسخة في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ، كما سبقت الاشارة اليه .

٢ ـ مولـــده :

ولـــد في رجب ، سنة عشـرين و سبعمائـــة .(١)

٣ ـ نشـــأتـــه وصفاتـــه :

نشأ ـ رحمه اللـــه ـ نشأة علمية صالحة ، فقد كان زاهدا متواضعا قانعا مـــن الدنيا بالكفاف ، صابراً على خشن المطعوم والملبوس ، كثير العبادة قليل المخالطـــة للناس ، لا يأكل الا من أجرة النسخ الى أن كف بصره قبل موته بقليل ، ثم كان عـــلى الفتوح الى أن توفـي .

وكان في شبيبته يسكن قرية العبّادية قرب زبيـــد ، مشتغلا فيها بالعبـــادة والنساخة،و طلب العلم في فنونه المختلفة على جلة من أكابر العلماء ، حتى برع في أنواع من العلم كالفقه و التفسير والتاريخ والنحو والأدب و غيرها . واشتهر ذكره وطار صيتـــه ، فكان يومئذ من أكبر أصحاب أبي حنيفة رحمه اللـــه .

وكانت حلقته في كثير من الأوقات تزيد على خمسة و عشرين طالبا ، وكان يقرىء فـي اليوم والليلة نحوًا من خمسة عشر درساً في الأصول والفروع والنحو واللغة والحديث والتفسير والفرائض و غير ذلك من فنون العلم ، وبه تفقه طائفة من أهل زبيـــد ، وانتفع به طلبة العلم انتفاعاً عظيما ، وصنّف مصنفات حسنة أكثرها في فقه الحنفية ، و ذلك كله حين سكن زبيـــد واستوطنهـــا .(٢)

---

(١) ورد ذكر تاريخ ولادتـــه في الترجمـة المنقولـة من طبقـات الخزرجي على الورقـة الأولـى من نسخـة المكتبـة الأحمـديـة بحـلب ، وتاج التراجم لابن قطلوبغا : ص ١٤١

(٢) انظر المصـــدر السابـق . والعقـود اللؤلؤيـــة للخزرجـــي ٢٩٦/٢ ، والبدر الطالـــع ١٦٦/٢ ، والأعـــلام ٦٧/٢ ، ومصـادر الفـكر الاسلامـي في اليمـــن ص ١٢٨ ، ٢١٤

٤ ـ حياتـــه العلميـــة :

ويتضمـن هـذا المبحـث ذكـر شيوخـه الذين أخـذ عنهم العلم في فنونـــه المتعددة وكذا ذكـر أشهـر تلامـذتـه الذيـن أخـذوا عنـه ·

وقـد تقدم في مبحث نشأة المؤلف وصفاته أنه سلك طريق العلم والاشتغال بـه منـذ شبيبته ، معرضـــاً عن الدنيا ، راضيًا من عيشه بالكفاف ، مع زهـد وورع وعبادة ·

مما هيـأ لـه فرصة الأخـذ والتحصيل من أولئـك العلمـاء في أنـواع شتى من فنون العلم ·

أ ـ ومـن أولئـك الـذيـن أخـذ عنهـم :[1]

١ ـ والـده : الفقيـه علي بن محمـد الحـداد ·

٢ ـ أبو الحسن علي بن حسن بن نوح الأبـوى ·[2]

٣ ـ أبو اسحاق ابراهيم بن عمر بن علي بن محمـد العلوى ·[3]

---

(١) ورد ذكر أولئك الشيوخ ضمن ترجمة المؤلف المنقولة من طبقات الخزرجي كما في الورقة الأولى من نسخة الأحمدية بحلب · وانظر تاج التراجم لابن قطلوبغا : ص ١٤١-١٤٢ كما ذكر بعضهم أيضا الشوكاني في البدر الطالع ١٦٦/٢

(٢) نسبة الى أبي بن كعب الأنصارى الصحابي ، كان فقيهاً بارعاً ، حنفي المذهـب ، نقالاً للحديث حافظاً لمعانيه ، وكان ينقل الهداية عن ظهر الغيب · وأصل بـلاده بلاد السودان مما وراء البحر ، وكان أول وقوفه في قرية السلامة عند الفقيـه أبي بكر الزيلعي ، ثم دخل زبيـد فاستمر مدرساً في المنصورية الحنفية في زبيـد ، فأخـذ عليه جمع كثير ، وكان مشهوراً بالفقه والصلاح · مات سنة إحدى وخمسين وسبعمائـة ·

انظر : العقود اللؤلؤية ٨٥/٢ ، والأعـلام ٣٠/٥

(٣) الامام الحافظ ، كان فقيهاً نبيهاً حنفي المذهب عارفاً محققاً ، واليه انتهت الرياسة في علم الحديث باليمن ، وكان أخذه عن كبار العلماء كأبي العباس بن أحمد بـن أبي الخير الشماخي ، وابراهيم بن محمد الطبرى ، والحجار ، وغيرهـم · وعنه أخـذ فقهاء العصر · درس في مدرسة أم السلطان بزبيـد ، وهي المعروفة بالصلاحيـة ، وكان ميلاده سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وتوفي سنة اثنتـين وخمسين وسبعمائـة ·

انظر : العقـود اللؤلؤيـة ٩٠/٢ ـ ٩١

٤ – أبو بكـــر بن علي بن موســى الهاملي الملقب سراج الديـــن .(١)

٥ – علي بن سليمـان الصنعـي النحـوى .(٢)

٦ – أبو عبد الله محمد بن عبد الله القروقـي .(٣)

٧ – شهاب الدين أحمـــد بن مليح النحـوى .(٤)

٨ – جمال الدين محمـد بن موسى الدوالي .(٥)

---

(١) كان فقيها فاضلا ، جليل القدر ، عارفا بالفقه ،

وكان فروعيا أصوليا نحويا لغويا منطقيا شاعرا فصيحا بليغا ، نظم بدايـــة المهتدى نظما جيدا ، ودرس في المدرسة المنصورية بزبيـــد .

ومن كتبه : شرح مختصر القدورى ، ودرر المهتدى وذخر المقتدى منظومة في الفقه على مذهب الحنفية ، شرحها تلميذه الحداد . (مخطوطة بدار الكتب المصرية) .

وكانت وفاتـــه سنة تسع وستين وسبعمائـــة .

انظر : العقود اللؤلؤيـة ١٣٨/٢ ، وهدية العارفين ٢٣٥/١ ، ومصـــادر الفكر الاسلامي في اليمن ص ٢٠٨ ، والأعـــلام ٦٧/٢

(٢) لم أجد له ترجمة فيما وقفت عليه من المصادر .

(٣) لم أقف على ترجمتـــه .

(٤) كان فقيها ظريفا نحويا لغويا ، وكان نادرة الزمان لطافة وظرافـة ، لين الجانـــب دمث الأخلاق حسن المعاشرة ، وامتحن في آخر عمره بالعمى ، مات سنـة خمســين وسبعمائـــــــة .

انظر : العـــقـــود اللـــؤلؤيـــة ٨٣/٢

(٥) الصريفي أبو عبد الله ، كان فقيها اماما عالمـــا ، عارفا بالفقـــه والنحو واللغـــة والحديث والتفســير والمعاني والبيان والمنطـــق ، أخـــذ الفقـه والحديـــث عن أبيـــه ، واللغة عن أحمـــد بن بصيبص ، وكان حنفيا فانتقل شافعيا فكـــان يفتي في المذهبـــين ، وقـــد تحول الى مدينـــة زبيـــد وعين مدرسا بمدرسـة القراء بها ، وطار صيتـــه ، وأخـــذ عليه الطلبـة من كل صـوب ، وله مصنفـــات منها : الرد على النحاة ، والبديـــع الأســمى في ماهيـــة الخمـــر ، والســـــرّ الملحـوظ في حقيقـــة اللـــوح المحفـوظ ، وأرجـــوزة في المنطـــق ، والعـــروض . مات بزبيـــد سنة تسعـــين وسبعمائـــة .

انظر : بغية الوعـاة ٢٥٢/١ ، والأعلام ١١٨/٧ ، ومصادر الفكر الاسلامـي في اليمـــن ص ٤٧

ب ـ تلاميـــــــذه :

لم تقتصـر حياة المؤلف العلمية على الطلب والتحصيل ، بل عني بالعلم تعلمـا و تعليما ، فكما طلب العلم على جلة من الشيوخ كما سبق بيانـه ، فقد أخذ عنـــــه و تفقـــه بـــــه أيضا طائفـة من طلبـة العـــلم ٠

قال الخزرجي ـ في ترجمته للمؤلـف ـ : " ٠٠٠ وكان يومئـــذ أكبر أصحـــــــــاب أبي حنيفـة رحمه الله تعالى ، وله مصنفات حسنة ، و بـه تفقه طائفـة من أهل زبيـــــد ، وانتفـع بـه طلبـة العلم نفعـــا عظيما " ٠ (١)

و قال أيضا : " ٠٠٠ وكانت حلقتـه في كثير من الأوقات تزيد على خمسة و عشرين طالبـــا ، وكان يقرىء في اليوم والليلة نحوا من خمسة عشر د رسا في الأصول و الفروع والنحو واللغـــة والحد يث و التفسير والفرائض و غير ذ لك من فنون العلم ٠٠٠ " ٠ (٢)

ومن أولئـــك التلاميـذ الذ ين أخـذوا عنـــه : (٣)

١ ـ ولـــــــده ٠ (٤)

٢ ـ محمـد بن عمـــر بن شوعـــان ٠ (٥)

٣ ـ القاسم بن الهمام بن محمـد بن ابراهيم العلوى ٠ (٦)

---

(١) انظر : العقود اللؤلؤيـة ٢٩٦/٢

(٢) انظر ترجمته المنقولة من طبقات الخزرجي على نسخة المكتبة الأحمد ية ٠

(٣) ورد ذكر تلاميذ ه ضمن الترجمة المنقولة من طبقات الخزرجي على نسخة المكتبـــة الأحمـــد يـــة ٠

(٤) لم أقـف على ترجمتـــــه ٠

(٥) أبو عبد الله ، أحد فقهاء الحنفية المتضلعين من العقليات والنقليات ، انتفع بـه جماعة ، مع غلبة التقشف عليه و العفاف والد يانـة ، قرأ عليه العفيف الناشـــرى ، و مات سنة سبع و عشرين و ثمانمائـــة ٠

انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوى ٢٤٦/٨

(٦) لم أقف على ترجمتـــه ٠

٤ – أحمـــد بن عبد اللطيف الشرجـــي .(١)

٥ – اسماعيـل بن ابراهـيم البومـــة .(٢)

٦ – أبو بكـــر بن ابراهـــيم ضجاعـــي .(٣)

---

(١) هو أحمـــد بن عبد اللطيف بن أبي بكر بن عمر الشرجي الزبيـــد ى شهاب الد يـن النحوى بن النحوى . قال ابن حجر : اشتغل كثيرا و مهر في العربيـــة ، و د رس بصلاحيـــة زبيـــد .

مات سنة اثنتي عشرة و ثمانمائة ، عن أربعين سنـة .

انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة للسيوطي ١/٣٣٠

(٢) هو اسماعيل بن ابراهيم الشرف الزبيـــد ى الحنفي البومـة ، أحـد مشايخ النحـو بزبيـــد ، لازم السراج عبد اللطيف الشرجي حتى مهر فيـه وفي الصرف وفـــي اللغـــة ، بحيث أنـه لما قـد م البـد ر الد ماميني زبيـــد لم يكن في طلبـة زبيـــد من يجاريـه سواه ، وكان لذ لك يبالغ في احترامه وينصفـه و يعترف له بالفضيـلة والتقد م في فنـــه ، هـــذ ا مع اشتغال في الفقـه أيضـا ، وممّـن أخـذ عنه قـراءة و سماعا العفيف النشاورى ، وقال : إنه شيخ نحاة عصره برع في فنون وأمّ بمد رســـة الجمال المزجاجي ، و درس بالصلاحية والرحمانية بزبيـــد في االنحو ، وانتفع بـــه جماعة ، بل أخذ عنه خلق ، مات سنة ٨٣٧ .

انظر : الضـــوء اللامـــع ٢٨٩/٢

(٣) لم أقـف على ترجمتـه بهـذ ا الاســم ، لكن ورد في المصـاد ر قريب من هذ ا الاسم ، موافقـــا لعصر تلاميـــذ ه ، فلعله هـــو .

فقد جاء فيها : أبو بكر بن البرهان الضجاعي ، من فقهاء الحنفيـة بزبيـــد ، وكـان من الشعراء والأد باء ، مد ح الطيب الناشر و غيره ، وألف مقد مـة في القـــراءات السبع جعلها في ثلاثين جزءا ، ووقفها على مسجـــد الأشاعر بزبيـــد ، ولـــه كتاب في الحســـاب بعنوان : بغيـة الطلاب في عصـــر ضوابط الحســـــاب . وتوفي في القرن التاسـنـــع .

انظـر : الضـــوء اللامـــع ٢٨/١١ ، ومصـاد ر الفكـــر الاســـــلامي في اليمـــــن ص ٢٤

٥ ـ مؤلفاتـــه :

تبين ممّا سبق أن المؤلف ـ رحمه الله ـ قد درس ودرّس ممّا هيأ له القدرة على التأليف ، فصنّف في فنون من العلم ، وإن كان اهتمامه بالفقه هو الغالب .

قال الشوكاني : " وصنّف مصنفات في فقه الحنفية ... وله مصنفات كثيرة ، تبلغ عشرين مجلدا ... " اهـ .(١)

واليك بيان مؤلفاته ، الموجود منها والمذكور في كتب التراجم :

١ ـ كشف التنزيل وتحقيق التأويل(٢) ، ويسمى : **تفسير الحداد** .(٣)

ألفه في تفسير القرآن الكريم كاملا ـ وهو ما نحن بصدد دراسته ، مع تحقيق سورتي الفاتحة والبقرة منه .

٢ ـ السراج الوهاج الموضح لكل طالب محتاج :

شرح مختصر القدوري في فروع الفقه الحنفي ، ويقع في ثمان مجلدات .(٤)

---

(١) البدر الطالع ١٦٦/٢ ، وانظر الأعلام ٦٧/٢

(٢) انظر الترجمة المنقولة من طبقات الخزرجي على نسخة المكتبة الأحمدية . وتاج التراجم لابن قطلوبغا : ص ١٤٠ وكشف الظنون : ٤٤٦/١ ومعجم المؤلفين ٦٧/٣ ، ومصادر الفكر الاسلامي في اليمن ص ٢٠

(٣) انظر : البدر الطالع ١٦٦/٢ ، ومصادر الفكر الاسلامي في اليمن ص ٢٠

(٤) مخطوط ، وتوجد نسخة من المجلد الأول بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة برقم ١٠٣٦ وصفحاتها ٩٠٦ ، ونسخة أخرى برقم ١٢٨٦ وعدد صفحاتها ٤٣٤ وانظر الترجمة المنقولة على نسخة الأحمدية ، وتاج التراجم : ص ١٤٠ والبدر الطالع : ١٦٦/٢ ، والأعلام ٦٧/٢ ، ومعجم المؤلفين ٦٧/٣ ، ومصادر الفكر الاسلامي في اليمن ص ٢١٤

٣ ـ **الجوهـــرة النـــيرة :**

شرح مختصر القدوري أيضا [١] ، في أربـع مجلدات . [٢]

٤ ـ **سراج الظـــلام و بـــدور التمـــام :**

شرح منظومة شيخه أبي بكر بن علي الهاملي في الفقـــه ، في مجلدين كبيرين . [٣]

٥ ـ **النـــور المشـــنفي** [٤] :

في شرح منظومة العلامة نجم الدين عمر النسفي [٥] في الخلافيـات ، في مجلـد كبـــــــير . [٦]

---

(١) انظر : المصادر السابقـــة .

(٢) انظر الترجمة المنقولة على نسخة الأحمدية ، وتاج التراجم : ص ١٤٢
وفي الأعلام : أنه في مجلدين . وكذا في كتاب مصادر الفكر الاسلامي في اليمـــن .
وقد طبع الكتاب في جزأين بالباكستان / نشر مير محمـد كتب خانة / كراتشـــي سنة ١٣١٦ هـ . وهو متداول .

(٣) مخطوط في ٨١٤ صفحة بالمكتبة العباسية بالبصرة . وأخرى بالمكتبة الوضوية .
ذكر ذلك عبد الله الحبشي في كتابه : مصادر الفكر الاسلامي في اليمن ص ٢١٤
وانظر نسبة الكتاب للمؤلف في الترجمة المنقولة على نسخة الأحمديـــــــة ، والأعلام ٦٧/٢ ، ومعجم المؤلفين ٦٧/٣ وانظر تاج التراجم : ص ١٤٢

(٤) هكذا في الترجمة المنقولة على نسخة المكتبة الأحمدية .
وفي مصادر الفكر الاسلامي في اليمن " النـــور المستبـــين ... " .

(٥) هو عمر بن محمد بن أحمد بن اسماعيل ، أبو حفص ، نجم الدين النسفي ، عالـــم بالتفسير والأدب والتاريـــخ ، من فقهـــاء الحنفيـــة ، ولد بنسف واليها نسبته ، قيل : له نحو مائـــة مصنـــف ، منها التيسير في التفســـير ، ونظم الجامـــع الصغـــير في فقـــه الحنفيـــة ، وقيـــد الأوابـــد (منظومة في الفقـــه) ، ومنظومة الخلافيـــات في الفقـــــه ، وطلبـــة الطلبـــة في الاصطلاحات الفقهيـــــــة ، والعقائـــــــد .
توفي بسمرقنـــد ، سنة ٥٣٧ ، وهو غير النسفي المفسر عبد الله بن أحمـــد .
انظر : الأعـــــلام ٦٠/٥

(٦) انظر الترجمة المنقولة على نسخة المكتبة الأحمدية ، وتاج التراجم : ص ١٤٢
ومصادر الفكر الاسلامي في اليمن ص ١٢٨

٦ ـ الرحيـــق المختـــوم :

شرح قيـد الأوابـد في الفقـه ، في مجلـد لطيف .(١)

٧ ـ الرحيـــق المختـــوم :

شرح قيـد الأوابـد في اللغـة للربعـي .(٢)

---

(١) انظر : المصادر السابقـة .

(٢) انظر تاج التراجم : ص ١٤٤ ، وكشف الظنون: ٢/١٣٦٨، ومصادر الفكـر الاسلامي في اليمن ص ٤١٩

وقيد الأوابد المذكور هو قصيدة في اللغـة لاسماعيل بن ابراهيم الربعي ، لغـوى من أهل اليمـن ، رتبها على ترتيـب " العـين " للخليل بن أحمـد .

توفي الربعي في أحاظـة سنة ٤٨٠ هـ .

انظر : الأعـلام ١/٣٠٧

٦ ـ منزلتـه العلميـة وثنـاء العلمـاء عليـه :

كان للمؤلـف ـ رحمه اللـه ـ مشاركـة جليلة في أنواع من العلوم ، كما تبـين في المباحث السابقـة ، ممّا جعل له منزلـة علمية بارزة ، استحق بها ثناء واعجـاب كثير من العلمـاء ، فوصفـوه بما يدل على تقـدم منزلتـه في العـلم وتضلعـه فيـه :

قال الخزرجـي : " كان فقيهـا عارفا كبـيرا متفننـا ورعا صالحـا ، وكان يومئـذ أكبر أصحاب أبي حنيفـة رحمه الله تعالى ، ولـه مصنفات حسنة ... وانتفع به طلبـة العلم نفعـا عظيمـا ... " . (١)

وقال الشوكانـي : " برع في أنواع من العلم ، واشتهر ذكره وطار صيتـه ، وصنّـف مصنفات في فقه الحنفيـة ..... وله مصنفات كثيرة تبلغ عشرين مجلدا ... وله زهـد وورع وعفـة وعبـادة " . (٢)

وقال الزركـلي : قال الضمـدي (٣) : " له في مذهـب أبي حنيفـة مصنفـات جليـلة ، لم يصنـف أحـد من العلمـاء الحنفيـة باليمـن مثلهـا ، كثرة وإفـادة تبلغ كتبـه نحو عشريـن مجلـدا " . (٤)

---

(١) العقـود اللؤلؤيـة ٢٩٦/٢

(٢) البـدر الطالـع ١٦٦/٢

(٣) هو عبد الله بن علي بن النعمان القشيري الضمدي، مؤرخ يماني، من كتبه العقيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني (مخطوط) أرخ فيه لحوادث جازان وصبيا وأبي عريش وما حولها باليمن، وجعله ذيلاً لكتاب غربال الزمان للخزرجي . توفي بعد سنة ١٠٦٨هـ . الأعلام : ١٠٦/٤

(٤) الأعلام : ٦٧/٢

٧ ـ وفاتـــــــــه :

ذكـرت المصـادر الـتي ترجمـت للحـداد أو ذكـرت شيئـا مـن مؤلفاتـه أن وفاتـه كانـت سـنة ثمانمائـة (٨٠٠) هـ .[١] بمدينـة زبيـد باليمـن .[٢] رحمـه اللـه تعـالى .

---

(١) وذكر الخزرجي أن وفاتـه كانت على وجه التحديد في ليلة السبت السادس من جمادى الأولى من السنة المذكورة . وكذا ذكر ابن قطلوبغا .

انظر : العقود اللؤلؤية ٢٩٦/٢ ، وتاج التراجم : ص ١٤٢

(٢) انظـر : المصـدر السابـق .

والترجمة المنقولة على نسخة الأحمدية ، والبدر الطالع ١٦٦/٢ وكشف الظنون ١٣٦٧/٢ ، وأسماء الكتب المتمم لكشف الظنون ص ١٤٥ والأعلام ٦٧/٢ ، ومعجم المؤلفين ٦٧/٣ ، ومصادر الفكر الاسلامي في اليمن ص ٢١٤ ، والعسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك للخزرجي ص ١٩٤ (مخطوط) بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة برقم ٢٥٥٦

البـاب الثـاني

((دراســـــة المخطـــــوط))

مممممم

وتحتـــه المباحـــث التاليـــة :

١ اســم الكتـــاب

٢ تحقيـــق نسبتـــه للمؤلـــف

٣ وصـف النســخ الخطيـــة

٤ منهـج المـؤلـف في كتابـــه

٥ مصـــادره

٦ القيمـة العلميـة للكتـاب

٧ المآخـــذ عـلى الكتـاب

أولا : اسم الكتاب :

ورد اسم الكتاب في الكتب التي ترجمت للمؤلف ، والتي ذكرت مؤلفاته باسم : " **كشف التنزيل وتحقيق التأويل** " . وفي بعضها : " **كشف التنزيل في تحقيق التأويل** " .

أما النسخ الخطية للكتاب ، فقد اكتفى النساخ بتسميته : " **تفسير القرآن العظيم** " تأليف الشيخ الامام .. فخر الدين أبو بكر بن علي الحداد . كما في نسخة مكتبة طلعت بالقاهرة ، والمرموز لها بالرمز (ط) .(١)

و على الورقة الأولى من نسخة مكتبة الأحمدية بحلب ، والمرموز لها بالرمز (م) جاءت تسميته بـ " **تفسير القرآن الكريم** " تأليف الفقيه العالم الفاضل .. فخر الدين أبي بكر بن علي الحداد .

أما نسخة مكتبة أيا صوفيا ، المرموز لها بالرمز (أ) فقد حدث طمس في الورقة الأولى منها ، والمشتملة على العنوان ، فلم يوجد من العنوان سوى عبارة : " تأليف الفقيه العالم الفاضل الصالح الورع الزاهد فخر الدين أبو بكر بن علي الحداد ... " .

ولعلّ هذه التسمية الواردة على تلك النسخ جاءت اختصارا ، واعتمادا على شهرة الكتاب بنسبته الى مؤلفه .

وقد ذكر الشوكاني : أنه اشتهر عند الناس باسم " **تفسير الحداد** " .(٢)

---

(١) انظر الورقة الأولى من النسخة المذكورة .

(٢) انظر : البدر الطالع ١٦٦/٢

ثانيا : تحقيق نسبة الكتاب للمؤلف :

ان نسبة هذا الكتاب لمؤلفه العلامة أبي بكر بن علي الحداد أمر ثابت متحقق ، لا يتطرق اليه أدنى شك أو ارتياب ، فان جميع الكتب التي ترجمت للمؤلف ، والتي ذكرت هذا الكتاب قد نسبته صراحة للحداد ، وكذلك الحال في النسخ الخطية للكتاب ، فقد كتب عليها جميعها ما يؤكد هذه النسبة .

وهذا كاف في تحقيق نسبة الكتاب للمؤلف ، وفيه ما يغني عن التفصيل والاطالة .

والله تعالى أعلا وأعلم .

ثالثا : وصف النسخ الخطية للكتاب :

النسخ التي تمكنت من الحصول أو الاطلاع عليها هي ست نسخ خطية ، ثلاث منها كاملة بالنسبة للجزء الذى هو موضوع التحقيق ، كما أن تاريخ نسخها متقدم بالنسبة لغيرها ، وعليها مقابلة وتصحيحات ، وخطها جيد ، وهي التي اعتمدتها في التحقيق والمقابلة .

أما الثلاث الأخرى فلا تخلو من نقص أو طمس في بعض المواضع ، كما أن تاريخ نسخها متأخر ، ولا تشتمل على فروق تستحق بها اعتمادها في المقابلة ، لذلك استبعدتها في المقابلة .

والنسخ المذكورة هي :

١ ـ نسخة مكتبة أيا صوفيا باستانبول بتركيا :

وتقع في ثلاثة مجلدات كبار . يبدأ المجلد الأول من أول الكتاب وينتهي بنهاية سورة الأنعام . ورقمه (١٨٨) ، وعدد الأوراق (٣١٦) ورقة ، مسطرتها (٢١) سطرا .

أما المجلدان الآخران فيشتملان على بقية الكتاب ، ورقمهما : (١٨٩) ، (١٩٠) .

وتمتاز هذه النسخة بمقابلتها وجودة خطها وسلامتها من السقط أو الطمس ، كما تمتاز بتقدم تاريخ نسخها ، حيث نسخت سنة ٩٦٣ هـ .

لذلك اعتمدتها أصلا ، ورمزت لها بالحرف (أ) .

٢ ـ نسخة مكتبة طلعت بالقاهرة :

وهي محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم (٦٣٣٦) وهي نسخة كاملة تقع في مجلدين كبيرين يقع المجلد الأول في (٣١٨) ورقة ، والمجلد الثاني في (١٧٩) ورقة ، ومسطرتها (٢٨) سطرا ، وخطها مقروء .

وهي من أقدم النسخ حيث نسخت سنة ٩٢٢ هـ ، وقد اعتمدتها في المقابلة ، ورمزت لها بالحرف (ط) .

٣ ـ نسخة المكتبة الأحمدية بحلب في سوريا :

وهي محفوظة بمكتبة الأسد . ويوجد منها المجلد الأول تحت رقم (١٣٢٤٧) ، ويقع في (٢٤٨) ورقة ، ومسطرتها (٣٥) سطرا .

يبدأ من أول الكتاب وينتهي بنهاية سورة الأنعام ، وخطها جيد ، وعليها تصحيحات ، ولم يتبين تاريخ نسخها ، لوجود طمس في الجزء الأخير من الورقة الأخيرة منها ، لكن يبدو من رسم كتابتها وحروفها تقدم تاريخ نسخها . والله أعلم .

وقد اعتمدتها أيضا في المقابلة ، ورمزت لها بالحرف (م) .

٤ ـ نسخة دار الكتب الوطنية بتونس :

ورقمها (٦٥٧٧) ، وهي نسخة كاملة ، تقع في مجلد كبير ، يبدأ من أول سورة البقرة حتى نهاية المصحف . وعدد أوراقها (٦٠٢) ورقة ، ومسطرتها (٣٣) سطرا ، ونسخت سنة ١٠٢١ هـ .

وفي أولها نقص يقدر بثلاث ورقات . وهي جيدة الخط . وقد استبعدتها من المقابلة لتأخر تاريخ نسخها، ولعدم اشتمالها على فروق ظاهرة تميزها عن النسخ الأخرى .

٥ ـ نسخة طوبقبو سراى باستانبول بتركيا :

رقمها (٢٠٤٧ / ١٥٩) . وتقع في ثلاثة أجزاء : يبدأ الجزء الأول من أول الكتاب حتى نهاية سورة الأنعام ، ويقع في (٢٦٨) ورقة ، ومسطرتها (٣٣) سطرا .

ثم الجزء الثاني الى نهاية سورة الكهف ، ثم الجزء الثالث الى نهاية الكتاب .

وخطها جيد ، وقد نسخت سنة ١١٢٣ هـ .

٦ ـ نسخة المكتبة التيمورية بالقاهرة :

يوجد منها المجلد الثالث ، يبدأ من أول سورة الحجرات حتى نهاية الكتاب ، برقم (٢٧٩) ، ميكروفيلم (١١٢٢٩) ، وتوجد له نسخة بجامعة أم القرى برقم (٨٦٦) وعدد أوراقها (٤٨٢) ورقة ، ومسطرتها (٢٥) سطرا ، ونسخت بعد سنة ٨٥٩ هـ .

والناسخ هو علي بن أبي بكر بن مفلح المقدسي الحنبلي .

رابعـــا : منهـــج المـؤلـف في تفســـيره :

لم يبـين المؤلف ـ رحمـه الله ـ منهجه الذ ى سار عليه في كتابه ، لكن بالنظـر في تفسيره واستقراء طريقته التي سار عليها تبين أنـه سلك في ذ لك مسلك التفســـــــير بالد رايـــة ، كما هو الـغالب على كثير من المفسرين المتأخرين . وإن كان لم يهمل جانب الرواية أيضاً ، فهـو يذ كر الآيـة كاملة أو جزءاً منها ، ثم يتناول مفرد اتها ومعانيها بالتحليل والد راســـة ، فيفسر غريبها و يبين معناها ود لالتهـــا ، ويذ كر ما يتـعلق بـها من سبب نزول أو نســـــخ أو تقييد أو تخصيص و نحو ذ لك مما له تـعلق بتفسير الآيـة .

كما يفسر الآيـة بآيـة أخرى موضحة لمعناها ، أو بحد يث يبين المراد منهـــا ، أو بقول صحابي عاصر النبي صلى اللـه عليه و ســلم و عرف أحوال التنزيل ، أو تابعـي سمـع من ذ لك الصحابي ، أو بقول لـغوى أعطي من البيـــان وإد راك المعاني ما جعله حجة في قوله وفصاحتـــــه ، أو فقيـه و مجتهـــد عرف الأد لـة وأصولها ، و نحـو هـذ ا مما هو معـــين على تفسير الآيـة وفهم معناهـــا .

كمـا يذ كر القراءات وتوجيههـــــا ، وكـذ ا أوجه اللـغـة والإعـراب . و قـد يستطرد في ذ كـر الأقوال والخلاف في تفسير بـعض الآيات وأحكامهـــــا ، كما يستشهد بالأشعـــار والأمثال لتأييـــــد معنى يذ كـره أو لفظـة يفسرها .

هـذ ا مجمـل منهجـه فـي تفســـيره ، أما تفصيـــل ذ لـك فعـلى النحـــــو التالـــــــي :

١ ـ استشهاده بالآيـات القرآنيـــة :

ومن أمثـلة ذ لك ما يلي :

أ ـ ما ذ كره عند تفسير قوله تعالى (مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ) حيث قال : أى يوم الحساب ، فإن قيل : لِمَ خصّ يوم الد ين ، وهو ملك الد نيا والآخرة ؟ قيل : لأن الله تعالـــى لا ينازعـه أحد في ملك ذ لك اليوم ، كما قال تـعالى : (لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِـــدِ ٱلْقَهَّـارِ) .(١)

---

(١) غافـــر ١٦ ، وانظـــر ص ٨٤

ب ـ وعند قوله تعالى : (وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) (١)

قال : قرأ ابن محيصن " ويُمد هم " بضم الياء، وكسر الميم، وهما لغتان ، الا أن المد أكثر ما يأتي في الشر ، قال الله تعالى : (وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا) (٢) ، والإمداد في الخير ، قال الله تعالى : (وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) . (٣)

ج ـ وقال في تفسير قوله تعالى (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا) (٤) : قوله تعالى (كَمَثَلِ الَّذِي) : بمعنى الذين ، دليله سياق الآية ، ونظيره قوله تعالى : (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) . (٥)

فإن قلت : كيف يجوز تشبيه الجماعة بالواحد ؟

قلت : لأن " الذي " اسم ناقص ، فيتناول الواحد والاثنين ك " من " و " ما " ، وفي الآية ما يدل على أن معناه الجمع وهو قوله تعالى (وَتَرَكَهُمْ) ، وقد يجوز تشبيه فعل الجماعة بفعل الواحد ، مثل قوله تعالى (تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) . (٦)

د ـ وعند قوله تعالى (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) (٧) قال : يحتمل أن الهاء كناية عن الصلاة ، لأنها أشرف الطاعات ، ويحتمل أن يكون عن الاستعانة .

ويحتمل أن يكون المراد بها الصبر والصلاة جميعا ، كما قال تعالى : (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ) (٨) فاكتفى بذكر أحدهما دلالة على الآخر .

ونظير القول الأول قوله تعالى (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا) (٩) رد الكناية الى الفضة ، لأنها أغلب وأعم .

---

(١) البقرة ١٥

(٢) مريم ٧٩

(٣) نوح ١٢ وانظر ص ١٢٢ ـ ١٢٣

(٤) البقرة ١٧

(٥) الزمر ٣٣

(٦) الأحزاب ١٩ وانظر ص ١٢٧

(٧) البقرة ٤٥

(٨) التوبة ٦٢

(٩) التوبة ٣٤

وقال تعالى (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا) [١] رد الكناية الى التجارة ، لأنها الأهم والأفضل .

ثم قال : والخشوع والخضوع نظيران ، الا أن الخضوع يكون بالبدن ، والخشوع بالبصر والصوت والقلب ، كما قال تعالى (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ) [٢] ، (وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ) [٣] ، (أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ) . [٤]

هـ - وعند قوله تعالى : (أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) [٥] قال : وأصل الفتح : فتح المغلق ، ثم استعمل في مواضع كثيرة ، من فتح البلدان ، وفتحك على القارىء ، وقد يكون بمعنى الحكم كما في هذه الآية ، ومثله قوله (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا) . [٦]

ويسمى القاضي الفاتح بلغة عمان . وقد يكون الفتح بمعنى النصر ، مثل قوله تعالى (وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) [٧] أي يطلبون النصرة عليهم .

و - وعند قوله تعالى : (وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً) [٨] قال : ولفظ المعدودة للقلة ، كقوله : (بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) [٩] ، وفي الصوم (أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ) . [١٠]

---

(١) الجمعة ١١

(٢) المعارج ٤٤

(٣) طه ١٠٨

(٤) الحديد ١٦ وانظر ص ١٧٥ - ١٧٦

(٥) البقرة ٧٦

(٦) الأعراف ٨٩

(٧) البقرة ٨٩

(٨) البقرة ٨٠

(٩) يوسف ٢٠

(١٠) البقرة ١٨٤ وانظر ص ٢٥٨

ز ـ وفي قوله تعالى (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) [١] قال المؤلف : والأمة في اللغة على وجوه :

منها الجماعة ، كقوله تعالى (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) [٢]، وقوله (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ) [٣] : أي جماعات وقرون .

ومنها أتباع الأنبياء عليهم السلام ، كما تقول : نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومنها الدين والملة ، كقوله تعالى (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) . [٤]

ومنها الحين والزمان ، كقوله تعالى (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) . [٥]

ومنها الرجل القدوة للناس في الخير ، قال الله تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً) . [٦]

٢ ـ استشهاده بالأحاديث النبوية :

السنة المطهرة هي المصدر الثاني من مصادر التفسير ، بعد التفسير بالقرآن . فإذا صحّ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير الآية ، فلا يلتفت الى ما سواه ، إذ النبي صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن الله عزّ وجلّ ، وهو المبين لكتابه ، كما قال تعالى (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) . [٧]

وقد ضمن المؤلف ـ رحمه الله ـ تفسيره كثيرًا من الأحاديث ، مستشهدًا بها في تفسير بعض الآيات ، وذلك لبيان معنى الآية ، أو تعيين المراد منها ، أو لتأييد حكم يذكره ، أو قول ينصره ، الى غير ذلك من أغراض التفسير الأخرى .

---

(١) البقرة ٢١٣
(٢) القصص ٢٣
(٣) الرعد ٣٠
(٤) الزخرف ٢٢
(٥) يوسف ٤٥
(٦) النحل ١٢٠
(٧) النحل ٤٤

إلا أن المؤلف ـ رحمه الله ـ لم يلتزم الصحة فيما يورده من الأحاديث ، بل يذكر الصحيح والحسن ، الى جانب الضعيف والموضوع أحيانا ، كما لا يذكر اسناد الحديث ، ولا من خرّجه ، بل قد يهمل ذكر الراوى ، فيكتفي بقوله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحو ذلك من العبارات ، كما لم يتحر الدقة في نقل ألفاظ بعض الأحاديث .

ومن الأمثلة لاستشهاده بالأحاديث ما يلي :

أ ـ عند قوله تعالى (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ...) [١] قال : والمراد بالرسول في هذه الآية محمد صلى الله عليه وسلم ، روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " انما أنا دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى أخي عيسى " [٢] يعني قوله تعالى (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ) وقوله (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) . [٣]

ب ـ وعند قوله تعالى (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) . [٤] قال : أي دين الله وفطرته ، لأن الاسلام يؤثر في المتدين ، من الطهور والصلاة والوقار وسائر شعائر الاسلام ، كالصبغ الذي يكون في الثوب ، ولا شيء في الأديان أحسن من دين الاسلام .

ثم قال : ويوضحه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه ... " . [٥] الحديث .

ج ـ عند قوله تعالى (وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ...) [٦] قال : واختلفوا في حياتهم ، والصحيح أنهم اليوم أحياء على الحقيقة ، قال رسول الله

---

(١) البقرة ١٢٩

(٢) انظر تخريجه ص ٣٦٤

(٣) الصف ٦ وانظر ص ٣٦٤

(٤) البقرة ١٣٨

(٥) انظر تخريجه ص ٣٨٠

(٦) البقرة ١٥٤

صلى الله عليه و سلم : " أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في رياض الجنة ، و تأكل و تشرب من أنهارها ، و تأوي الليل الى قناديل من نور معلقة بالعرش " .(١)

د - و عند قوله تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ) (٢) قال : أي من حلال ما رزقناكم من الحرث والأنعام و سائر المأكولات ، قال صلى الله عليه و سلم : " إن الله سبحانه طيب لا يقبل الا الطيب ، وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ) (٣) وقال (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ) . " .(٤)

هـ - وفي قوله تعالى (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ ...) .(٥) قال : وهذه الآية مخصوصة بالسنة ، وهو قوله صلى الله عليه و سلم : " أحلت لنا ميتتان و دمان ، فالميتتان السمك والجراد ، والدمان : الكبد والطحال " .(٦)

و - و عند قوله تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) .(٧) قال : فإن قيل : ما وجه هذه الآية ، وقوله (ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (٨) وقد يدعوه كثير من خلقه فلا يجيب دعاءه ؟

قلنا : اختلف العلماء في تأويل ذلك :

فقال بعضهم : معنى الدعاء هنا : الطاعة . ومعنى الاجابة : الثواب ، كأنه قال : أجيب دعوة الداعي بالثواب اذا أطاعني .

---

(١) انظر تخريجه ص ٤٠٨

(٢) البقرة ١٧٢

(٣) المؤمنون ٥١

(٤) انظر تخريجه ص ٤٣٦

(٥) البقرة ١٧٣

(٦) انظر تخريجه ص ٤٣٨

(٧) البقرة ١٨٦

(٨) غافر ٦٠

وقيل معناه : الخصوص ، وان كان اللفظ عاما ، أى أجيب دعوة الداعي اذا شئت ، وأجيب دعوة الداعي اذا وافق القضاء ، وأجيب دعوة الداعي اذا كانت الاجابة له خيرا .

ويدل عليه ما روى عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من مسلم دعا الله بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا اثم ، الا أعطاه الله بها احدى ثلاث خصال : اما أن تعجل دعوته ، واما أن تدخر له في الآخرة ، واما أن تدفع عنه من السوء مثلها " . قالوا : يا رسول الله إذاً نكثر . قال : " الله أكثر " .(١)

ز - وعند قوله تعالى (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) .(٢)

قال : أى كلوا في ليالي الصوم واشربوا فيها حتى يتبين لكم بياض النهار وضوؤه من سواد الليل وظلمته .

ثم قال : وعن عدي بن حاتم قال : علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة والصيام ، فقال : " صل كذا وكذا ، وصم كذا وكذا ، فإذا غابت الشمس فكل واشرب حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، وصم ثلاثين يوما ، إلا أن ترى الهلال قبل ذلك " . قال : فأخذت خيطين من خزّ أبيض وأسود ، وكنت أنظر فيهما فلا يتبين لي ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه ، وقال : " يا عدي إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل " .(٣)

---

(١) انظر تخريجه ص ٤٨٥ .

(٢) البقرة ١٨٧

(٣) انظر تخريجه ص ٤٩٥

ح ـ وعند قوله تعالى (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ) . (١)

قال : ولا بأس باستخدام الحائض ، وبمباشرة بدنها اذا كانت متزرة ، والاستمتاع بما فوق الازار .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : بينما أنا مضطجعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخميلة ، إذ حضت ، فانسللت منها وأخذت ثياب حيضي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنفست " ؟ قلت : نعم . فدعاني ، فاضطجعت معه في الخميلة .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد ، ونحن جنبان ، وكنت أغتسل وأنا حائض ، وكان يأمرني إذا كنت حائضاً أن أتزر ، ثم يباشرني .

٣ ـ ذكره للقراءات :

من منهج المؤلف ـ رحمه الله ـ في تفسيره ذكر القراءات ، متواترة كانت أو شاذة ، مع التوجيه وذكر صاحب القراءة في الغالب .

وكثيراً ما يذكر القراءات العشر ، وقد يذكر مع أصحابها من نسبت إليه من القرّاء الآخرين ، من الصحابة أو غيرهم .

فلم يلتزم منهجاً دقيقاً ثابتاً في إيراده للقراءات .

واليك بعض النماذج لتوضيح مسلكه في هذا الجانب :

أ ـ عند قوله تعالى (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) قال : قرأ عاصم ، والكسائي " مالك يوم الدين " بالألف . والباقون بغير ألف .

قال أهل النحو : " ملك " أمدح من " مالك " ، لأن المالك قد يكون غير ملك ،

---

(١) البقرة ٢٢٢

ولا يكون الملك الا مالكا .

وروي أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقرأ : " مالكَ يوم الدين " على النداء المضاف : أي يا مالك يوم الدين .

وقرأ أنس بن مالك : " مَلَكَ يوم الدين " جعله فعلا ماضيا .(١)

ب ـ وفي قوله تعالى من سورة الفاتحة أيضا ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ :

قال : وفي " الصراط " أربع لغات : " صراط " بالصاد ، و " سراط " بالسين ، وبالزاى الخالصة ، وبإشمام الصاد الزاي . وكل ذلك قد قرىء به .

فبالسين قرأ قنبل ، وبالإشمام زايا قرأ خلف ، وقرأ الباقون بالصاد الصافية .(٢)

جـ ـ وعند قوله تعالى ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ .(٣)

قال : قرأ ابن أبي عبلة " وعلى أسماعهم " ... وقرأ المفضل بن محمد " غشاوة " بالنصب ، كأنه أضمر فعلا أو حمله على الختم : أي ختم على أبصارهم غشاوة ، يدل عليه قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ (٤).

وقرأ الحسن " غُشاوة " بضم الغين .

وقرأ الجحدري " غَشاوة " بفتح الغين .

وقرأ أصحاب عبد الله " غَشوة " بفتح الغين بغير ألف .

ومن رفع " غشاوةُ " فعلى الابتداء .(٥)

د ـ وعند قوله تعالى ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٦) : قال : واختلف القراء في قوله تعالى ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ : فقرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو : " يخادعون " بالألف ، وقرأ الباقون " يخدعون " بغير ألف على أشهر اللغتين

---

(١) انظر ص ٨٥
(٢) انظر ص ٨٨
(٣) البقرة ٧
(٤) الجاثية ٢٣
(٥) انظر ص ١٠٧ ـ ١٠٨
(٦) البقرة ٩

وأفصحهما ، واختاره أبو عبيد .

ولا خلاف في الأول أنه بالألف .

هـ — وعند قوله تعالى (قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا) . (١)

قال : وفي قوله عزّ وجلّ (هُزُوًا) ثلاث لغات :

" هزْؤا " بالتخفيف والهمز ، ومثله " كفْؤا " وهي قراءة الأعمش ، وحمزة ، وخلف .

و " هزُؤا " و " كفُؤا " مثقلان مهموزان ، وهي قراءة أبي عمرو ، وأهل الحجاز ، والشام ، والكسائي .

و " هزوا " و " كفوا " مثقلان بغير همز ، وهي قراءة حفص عن عاصم .

وكلها لغات صحيحة فصيحة ، معناها : الاستهزاء .

و — وعند قوله تعالى (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) . (٢)

قال : اختلف القراء فيه :

فقرأ زيد بن ثابت ، وأبو العالية ، وعاصم ، وأبو عمرو ، ونافع : بضم الحاء وجزم السين ، وهو اختيار أبي حاتم ، ودليله قوله تعالى (بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) (٣) وقوله (ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) . (٤)

وقرأ ابن مسعود ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف : " حَسَنًا " بفتح الحاء والسين ، وهو اختيار أبي عبيد ، قال : انما آثرناها لأنها نعت : بمعنى قولاً حسناً .

وقرأ عيسى بن عمر بضم الحاء والسين والتنوين ، وهي لغة ، مثل النصب والسحب .

وقرأ عاصم الجحدري " إحساناً " بالألف .

وقرأ أبي بن كعب ، وطلحة بن مصرف " حسنى " بالتأنيث مرسلة ، ومجازه : كلمة حسنى .

---

(١) البقرة ٦٧

(٢) البقرة ٨٣

(٣) العنكبوت ٨ (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً) .

(٤) النمل ١١ (إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم) .

ز ـ وعنـد قوله تعالى (مَا نَنسَخْ مِن ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) .(١)

قال : قوله تعالى (مَا نَنسَخْ) قرأ ابن عامر " نُنسخ " بضم النون وكسر السين .

ومعناه على هذه القراءة : نجعله نسخة ، من قولك : نسخت الكتاب ، إذا كتبته .

وقرأ الباقون " نَنسخ " بفتح النون والسين .

وقوله (أَوْ نُنسَأْهَا) قرأ سعيد بن المسيب ، وشيبة ، ونافع ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي " أو نُنسها " بضم النون وكسر السين ، ومعناها : نأمره بتركها .

وقرأ أبي بن كعب " أو ننسك " .

وقرأ عبد الله " ما ننسك من آية أو ننسخها " .

وقرأ سالم مولى أبي حذيفة " أو ننسكها " .

وقرأ أبو حاتم " أو ننسِّها " بالتشديد .

وقرأ الضحاك " أو تنسها " بضم التاء وفتح السين .

وقرأ سعد بن أبي وقاص " أو تنساها " بتاء مفتوحة .

وعن القاسم بن ربيعة قال : سمعت سعد بن أبي وقاص يقرأ " أو تنسها " فقلت له : إن سعيد بن المسيب يقرأ " أو ننسها " فقال : إن القرآن لم ينزل على آل المسيب ، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ) (٢) (وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) .(٣)

وقرأ عمر بن الخطاب ، وابن عباس ، وعطاء ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، والنخعي " أو ننسأها " بفتح النون الأولى وفتح السين وبعدها همزة مهموزة ، ومعناه : نتركها ، يقال : نسيت الشيء اذا تركته .

ومنه قوله تعالى (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) (٤) أي فتركهم .

---

(١) البقرة ١٠٦

(٢) الأعلى ٦

(٣) الكهف ٢٤

(٤) التوبة ٦٧

وقيل معناه : نؤخرها ، فلا نبد لها ولا ننسخها ، يقال : نسأ الله في أجله وأنسأ الله في أجله ، ومنه النسيئة في البيع .

ح — وعند قوله تعالى (وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ) (١)

قال : قرأ أهل المدينة والشام " وأوصى " بالألف .

وقرأ الباقون بالتشديد . وهما لغتان ، يقال : أوصيته ووصيته ، إذا أمرته ، مثل : أنزل ونزل .

ط — وعند قوله تعالى (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ) . (٢)

قال : قرأ ابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ، وحفص بالتاء للمخاطبة التي قبلها (قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا) والتي بعدها (قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ) .

وقرأ الباقون بالياء ، اخباراً عن اليهود والنصارى : أن ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ، والأسباط كانوا هوداً أو نصارى .

ى — عند قوله تعالى (لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) (٣)

قال : قرأ حمزة ، وحفص " ليس البر " بالنصب ، ووجه ذلك : أنهما جعلا " أن " وصلتها في موضع الرفع على اسم ليس ، تقديره : ليس توليتكم وجوهكم البر . كقوله تعالى (فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ) . (٤)

وقرأ الباقون بالرفع ، على أنه اسم ليس .

ك — وقال في تفسير قوله تعالى (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) (٥) : قرأ علي رضي الله عنه ، وأبو الأسود والحسن ، وعكرمة ، والأعرج ، وشيبة ، ونافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وعاصم ، والكسائي ، وأبو عمرو ، ويعقوب ، وأيوب " فصرهن " بضم الصاد ، معناه : أملهن اليك ....

---

(١) البقرة ١٣٢
(٢) البقرة ١٤٠
(٣) البقرة ١٧٧
(٤) الحشر ١٧
(٥) البقرة ٢٦٠

وقرأ علقمة وسعيد بن جبير وقتادة ويحيى بن وثاب والأعمش وخلف " فصرهن " بكسر الصاد ، معناه : قطعهن .

قال أبو العباس السراج : هما لغتان للعرب .

وعن ابن عباس روايتان : أحدهما " فصرهن " مفتوحة الصاد مشددة الراء مكسورة ، من التصرية : وهي الجمع ، ومنه المصراة .

والأخرى : " فصرهن " بضم الصاد وفتح الراء والتشديد ، من الصر ، وهي في معنى الجمع ..

٤ ـ اهتمامه باللغة والاعراب :

إن معرفة اللغة العربية بأساليبها وتراكيبها وأوجه اعجازها وبيانها هو من مقومات التفسير بالدراية ، اذ هي اللغة التي نزل القرآن الكريم بها ، فأعجز الفصحاء وأعيى البلغاء .

لذا كان لزاماً على من رام هذا النوع من التفسير أن يكون على [redacted] معرفة بتلك اللغة وأدواتها وأحوالها ، حتى يتسنى له فهم معاني كتاب الله وأحكامه ، ويتفكر في مواعظه وعبره ، ويتدبر أساليب اعجازه وبيانه .

ولقد كان المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ ممن أولى هذا الجانب أهمية كبرى في تفسيره فعرض لكثير من مسائل اللغة والنحو والاشتقاق وحكى أقوال بعض فرسان هذا الميدان ، واستشهد بأشعار كثير من فحول الشعراء وأئمة البيان .

واليك بعض النماذج لتوضيح منهجه في هذا الباب :

أ ـ عند ذكره للبسملة في أول تفسيره قال : قوله عز وجل : (بِسْمِ ٱللَّهِ الرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) اختلف الناس في معنى اشتقاق الاسم ، وأكثر أهل اللغة على أنه مشتق من السمو ، وهو الرفعة .

ومعنى الاسم : التنبيه على المسمى والدلالة عليه .

وقال بعضهم : مشتق من السمة ، وهي العلامة ، فكان الاسم علامة للمسمى .

وأما " الله " فقال بعضهم : هو اسم علم لا اشتقاق له ، مثل قولك : فرس ورجل وجبل . ومعناه عند أهل اللسان : المستحق للعبادة ولذلك سمت العرب أصنامهم

آلهـة ، لاعتقادهم استحقاقها للعبادة .

وقال بعضهم : هو من قولهم : ألـه الرجل إلى فلان يألـه ألـها إذا فزع إليه من أمـر نزل بـه ، فألّهـه : أي أجاره وأمنـه .

ويقال للمألوه إليه : إلٰه ، كما قالوا للمؤتـم بـه إمـام .

ومعناه : أن الخلائـق يألهـون و يتضرعـون اليه في الحوائج والشدائـد .

ب ـ وفي أول تفسير سورة البقـرة قال : وقولـه : (الٓمٓ) رفع بالابتداء ، و (ذَٰلِـكَ) خبره ، و (ٱلكِتَـٰبُ) صـلة لذلك .

ويحتمل أن يكون " الـم " خبرًا مقدما ، تقديره : ذلك الكتاب الذى وعـدت أن أوحيـه اليـك الـم .

ومن أبطل محل الحروف جعل " ذلك " ابتداء ، و " الكتاب " خبره ، و " الـم " صلة ، فيكون لذلك معنيان : أحدهما : أن " ذلك " بمعنى " هذا " . وقـد يستعمل " ذلك " بمعنى " هـذا " .

قال خفـاف :

أقول له والرمح يأطر متنـه . تأمل خفافا إنني أنا ذلكـا

أى أنني هـذا .

والثاني : على الاضمار ، كأنـه قال : هذا القرآن ذلك الكتاب الذى وعدت فـي التوراة والانجيـل أن أوحيـه اليـك .

وقيل : (الٓمٓ) ابتـداء ، و (ذَٰلِـكَ) ابتـداء آخر ، و (الكتـٰب) خبره والجملة خبر الأول .

ج ـ وعنـد قولـه تعالى (يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّـهَ وَٱلَّذِيـنَ ءَامَنُـوا) .(١)

قال : أصل الخدع في اللغة : الاختفاء ، ومنه قيل للبيت الذي يخبأ فيه المتـاع : مخـدع . فالمخادع يظهر خلاف ما يضمـر .

وقال بعضهم : أصل الخداع في اللغـة : الفسـاد

---

(١) البقـرة ٩

قال الشاعـــر :

أبيـض اللـون لـــذ يـذ طعمـه ٠٠ طيـب الريـق إذا الريق خـدع

أى فســـــد ، فيكون المعنى : يفسد ون ما أظهروا بألسنتهم بما أضمروا في قلوبهم ٠

د ـ وعنـــد قوله تعالى (بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً) (١)

قال : أى ليس كما تقولون ٠ قال الكسائي : الفرق بين " بلى " و " نعم " : أن " بلى " إقرار بعد جحد ، و " نعم " جواب استفهام بغير جحد ٠

فان قيل لك : أليس فعلت كذا ؟ تقول : بلى ٠

أو قيل لك : ألم تفعل كـذا ؟ تقول : بلى ٠

واذا قيل لك : أفعلت كـذا ؟ قلـت : نـعـــم ٠

قال الله تعالى (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى) (٢) ، وقال الله تعـــــالى (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى) (٣) ، وقال في غير الجحـود (فَهَلْ وَجَدْتُم مَا وَعَدَ رَبُّكُم حَقًّا قَالُوا نَعَمْ) ٠ (٤)

وانما قال هـنـا " بـلى " للجحـود الذى قبـله ، وهـو قولـه (لَن تَمَسَّنَا النَّارُ) ٠

هـ ـ وعند قوله تعالى (قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) (٥)

قال : انتصب " حنيفا " على القطع عند الكوفيين ، لأن تقديره : بل ملة ابراهـيم الحنيف ، فلما سقطت الألف واللام لم تتبع النكرة المعرفة ، فانقطع منـــــــه ، فنصـــــــب ٠

وقال البصريون : انتصب على الحـــــال ٠

و ـ وعنـد قولـه تعالى (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) (٦)

قال : قوله عز وجل (غَيْرَ بَاغٍ) : نصب " غير " على الحال ٠ وقيل : على الاستثناء ٠

واذا رأيت " غير " يصلح في موضعها " لا " فهي حـــال ٠

---

(١) البقـــــرة ٨١
(٢) المـلك ٨ ، ٩
(٣) الأعـــــراف ١٧٢
(٤) الأعـــــراف ٤٤
(٥) البقـــــرة ١٣٥
(٦) البقـــرة ١٧٣

واذا صلح في موضعها " إلا " فهي استثناء . فقس على هذا .

ز — وفي قوله تعالى (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا) . (١)

قال : واختلفوا في رفع " الموفين " : فقال الفراء والأخفش : هو عطف على محل " من " في قوله (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ) كأنه قال : ولكن البر المؤمنون والموفون .

وقيل : هو رفع على الابتداء و الخبر ، تقديره : وهم الموفون .

قوله تعالى (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ) في انتصابه خلاف : قال الكسائي : عطف على (ذَوِي الْقُرْبَىٰ) كأنه قال : وآتى الصابرين .

وقال بعضهم : معناه : أعني الصابرين .

وقال الخليل والفراء : نصب على المدح . والعرب تنصب على المدح والذم ، فالمدح مثل قوله تعالى (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ) (٢) والذم مثل قوله تعالى (مَلْعُونِينَ) . (٣) .

ح — وعند قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) . (٤)

قال : وأصل الصيام والصوم في اللغة : الامساك ، يقال : صامت الريح اذا سكنت ، و صامت الخيل اذا وقفت وأمسكت عن السير .

قال النابغة :

خيل صيام و خيل غير صائمة .. تحت العجاج و أخرى تعلك اللجما

ويقال : صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ..

قال امرؤ القيس :

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة .. دمول اذا صام النهار وهجرا

وقال آخر :

---

(١) البقرة ١٧٧

(٢) النساء ١٦٢

(٣) الأحزاب ٦١ (ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) .

(٤) البقرة ١٨٣

حتى اذا صام النهار واعتدل ... وسال للشمس لعاب ونزل

ويقال للرجل اذا أمسك عن الكلام : صام ، قال الله تعالى (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا)[1] : أي صمتا .

ط ـ وعند قوله تعالى (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)[2]

قال : قراءة العامة بجزم اللام ، وقرأ الحسن والأعرج " فليصمه " بكسر اللام ، وهي لام الأمر ، وحقها الكسر اذا انفردت كقوله تعالى (لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ) .[3]

فاذا وصلت بشيء ، ففيه وجهان : الجزم والكسر ، وانما توصل بثلاثة أحرف : بالفاء ، كقوله تعالى (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ)[4] ، وبالواو ، كقوله تعالى (وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا)[5] ، وبثم ، كقوله (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ) .[6]

ى ـ وعند قوله عز وجل (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ)[7]

قال : وانما اختلف السلف في هذه المسألة ، لأن القرء في اللغة عبارة عن الحيض وعن الطهر ، وهو من أسماء الأضداد .

وقال أبو عبيدة : هو خروج من شيء الى شيء ، يقال : قرأ النجم اذا طلع ، وقرأ النجم اذا غاب ، والمرأة تخرج من الحيض الى الطهر ومن الطهر الى الحيض .

قال الشاعر :

يا رب ذي ضغن وضب قابض ... له قروء كقروء الحائض

وأراد بذلك الحيض ، يعني أن عداوته تهيج في أوقات معلومة ، كما أن المرأة تحيض في أوقات معلومة .

---

(١) مريم ٢٦

(٢) البقرة ١٨٥

(٣) الطلاق ٧

(٤) قريش ٣

(٥) الحج ٢٩

(٦) من الآية السابقة وانظر ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧

(٧) البقرة ٢٢٨

وقـال اخـــــــــر :

أفي كل عام أنت جاشم غـــزوة ٠٠ تشد لأقصاهـا عزيـم عزائكـــا

مورّثـة مالا وفي الحي رفعـــــة ٠٠ لما ضاع فيها من قروء نسائكـــا

وأراد بالقروء في هـذا البيت الطهر ، لانـه خرج الى الغزو ولم يغش نســـــــاءه ، فأضاع أقراءهـن : أى أطهارهن ٠

فلما اختلف السلف واختلفت اللغة في هـذا الاسم ، ولم يجز حمله على الأمريـــــن جميعا وجب حمله على حقيقتـه د ون مجـازه ٠

واسم القرء حقيقة في الحيض ، مجاز في الطهر ، لأن كل طهر لا يسمى قرءا ، وانمـا الطهر الذى يكون بين الحيضتين ، فسمي بهذا الاسم لمجاورته الحيض ، فلوكـان هـذا الاسم حقيقة في الطهر لكان لا ينتفي عنه بحال ، لأن الأسماء الحقائق لا تنتـفي عن مسمياتها بحـال ٠ ووجـدنا هـذا الاسم ينتفي عن طهر الآيسة والصغيرة ، فكـان حمله على الحيض أولى من حمـله على غيره ٠ فاذا اختلفت الأمـة في ذلك كـــان المرجع الى لغة النبي صلى الله عليه و سلم ، وقـد قال صلى الله عليه و ســـــلم : " المستحاضـة تـدع الصلاة أيام أقرائهـا " ٠ وأراد بالأقراء : الحيض ٠

وذهب الزجاج الى أن " القرء " : الجمـع ، من قولهم : قرأت القرآن : أى لفظـت بـه مجموعـا ، ويقال : قريت الماء في الحـوض ٠

ويسمى الحوض مقراة ، قال : انما يجتمع الدم في البدن في الطهر ، فهو القـرء ٠

غير أن هـذا الأمر لا يظهر في الحقيقـة ، لأن هـذا من علم ما في الأرحـــــام ، وقـد خـصّ اللـه تعالى نفسـه بعلم ما في الأرحـــام ٠

ك ـ عند قوله تعالى (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ) (١)

قال : فان قيل : قوله تعالى (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ) فعل مستقبل ، وقوله (وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ) فعل ماض ، فكيف عطف الماضي على المستقبل ؟

---

(١) البقـــرة ٢٦٦

فالجواب من وجهـــين :

أحد هما : أن " قـد " ههنـا مقـدرة ، المعنى : وقـد أصابه الكبر ، فتكون للحال ، كما في آيـة أخـرى (وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ) (١) : أى قـد قـدّ .

والثاني : " أيـود " يقتضي أن يكون في خبره " لـو " ، كما في قوله (يَوَدُّ أَحَدُهُـم لَوْ يُعَمَّرُ) (٢) ، وقولـه (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) (٣) ، ويقتضي أن يكون في خـبره " أن " كما في هـذه الآيـة .

و " لـو " للماضـي ، و " أن " للمستقبـل .

ثم قد تستعمل " لو " مكان " أن " ، و " أن " مكان " لو " ، ويقام أحد هما مقام الآخر ، يقول الانسان : أنا أتمنى لوكان لي ولـد ، ويقول : أتمنى أن كان لي ولـد .

واذا كان معـنى التمـني قـد يقـع عـلى الماضـي صحّ عطـف الماضي عليـه .

٥ ــ عنايتـه بآيات الأحـكام :

سبق في الباب المتضمن دراسة المؤلـف أنـه كان ممن عني بالفقـه الحنفي دراسـة وتأليفـا ، لذا كانت عنايتـه بتفسير آيات الأحكام عناية الفقيـه العارف بأقوال العلمـاء ، المدرك لمذاهب الأئمـة في هـذا الباب ، فعرض في تفسيره لأقوال كثير من االصحابـة والتابعين و غيرهم ، وكثـيراً ما يذكـر قول أبي حنيفـة و صاحبيـه ، و مذهب الامـام مالك والشافعـي . وقـد يقتصر في بعض المسائل على مذهب أبي حنيفة و يستدل لـه . و يشير أحيانا الى ذلك بقولـه : قال أصحابنا ، أو استدل أصحابنا ، ونحـوه ...

كما يذكر أدلة أو تعليل بعض الأقوال في المسألة .

وقد يذكر الأقوال دون التصريح بأصحابها فيقول : قال بعضهم كذا .. ، أو ذهب بعضهم الى كـذا ، ونحـوه ....

---

(١) يوسف ٢٧ (وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت و هو من الصادقين)

(٢) البقرة ٩٦ (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمـر ...)

(٣) النساء ٨٩ (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ...)

واليك بعض الأمثلة لتوضيح هذا المنهج :

أ ـ عند قوله تعالى (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا) . (١)

قال : اختلف العلماء في السعي :

فقال أبو حنيفة وأصحابه والثورى : هو واجب ، وينجبر بالدم .

وقال مالك والشافعي : هو فرض ، ولا ينجبر بالدم ، كطواف الزيارة .

وقال أنس بن مالك وابن الزبير ومجاهد : هو تطوع ، ان فعله فحسن ، وان تركه لم يلزمه شيء .

واحتجوا بقراءة ابن عباس وابن سيرين " فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما " وكذلك هو في مصحف عبد الله .

وبقوله بعد ذلك (وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا) . وهذا دليل على أنه تطوع .

والجواب عنه : أن " لا " صلة ، كقوله (مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ) (٢) ، وقوله (لَا أُقْسِمُ) . (٣)

وحجة من أوجبه : أن الله سماها من شعائر الله .

وأما قوله (وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا) فمعناه : من زاد على الطواف الواجب .

وحجة من قال انه فرض : تسمية الله له من شعائره .

قلنا : هذا لا يدل على الفرضية ، فان الله سمى المزدلفة " المشعر الحرام " ولا خلاف أن الدم يقوم مقامه . (٤)

ب ـ وعند قوله تعالى (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) (٥)

قال : ... ومن خرج يخيف السبيل أو يفسد في الأرض ، أو أبق من سيده ، أو فرّ من غريمه ، أو خرج عاصيًا بأي وجه كان ، فاضطر الى الميتة لم يجز له أكلها ،

---

(١) البقرة ١٥٨

(٢) الأعراف ١٢

(٣) من الآية الأولى من سورة القيامة (لا أقسم بيوم القيامة)

(٤) انظر ص ٤١٤ ـ ٤١٧

(٥) البقرة ١٧٣

أو اضطر الى الخمر عند العطش لم يحل له شربها . وهذا قول مجاهد وابن جبير والكلبي . و بهذا التأويل أخذ الشافعي رضي الله عنه .

وقال أبو حنيفة و مالك رضي الله عنهما : يجوز ذلك لهم ، ولو كانوا بغاة خارجين على المسلمين ، كما يجوز لأهل العدل ...

واختلف الفقهاء في حد الاضطرار ، و فيما يحل للمضطر أكله من الميتة :

فقال بعضهم : انه لا يجوز له الأكل الا عند خوف التلف في آخر الرمق . وهو الصحيح .

وقال بعضهم : اذا كان يضعف عن الفرائض .

وقال بعضهم : اذا كان بحيث لو دخل السوق لا ينظر الى شيء سوى المطعوم .

وأما مقدار ما يأكل عند الضرورة : فقال أبو حنيفة : لا يأكل الا مقدار ما يسد به رمقه ، وهو أحد قولي الشافعي .

وقال مالك : يأكل حتى يشبع ، ويتزود منها ، فان وجد شيئا مباحا طرحها .

وقال مقاتل : لا يزيد على ثلاث لقم .(١)

جـ ـ وفي قوله عز وجل ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ .(٢)

قال : وقد اختلف السلف في وجوب العمرة :

فروي عن ابن مسعود ، و الشعبي ، و ابراهيم النخعي : أنها تطوع . وبه قال أبو حنيفة وأصحابه و مالك .

و عن عائشة ، وابن عباس ، وابن عمر ، و مجاهد : أنها واجبة ، و به قال الشافعي .

ولا دلالة في هذه الآية على الوجوب ، لأن لفظ الاتمام يقتضي نفي النقصان عنها إذا فعلت ، لأن ضد التمام هو النقصان .

---

(١) انظر ص ٤٣٩ ـ ٤٤١

(٢) البقرة ١٩٦

د ـ وعند قوله تعالى (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) . (١)

قال : واختلفوا في هذه الأشهر : فقال ابن عباس و أكثر المفسرين : انها شوال وذو القعدة ، وعشر من ذى الحجة .

وأما من قال : انها شوال و ذو القعدة ، و ذو الحجة ، فليس باختلاف ، لأن المراد بعض ذى الحجة ، لأن الحج كله لا محالة في بعض هذه الأشهر لا في جميعها .

ثم قال : واختلف العلماء في جواز الاحرام بالحج قبل أشهر الحج : فروى عن ابن عباس ، وجابر ، وعطاء ، ومجاهد ، وعكرمة أنهم قالوا : لا يحرم الرجل بالحج قبل أشهر الحج .

و قال عطاء : من فعل ذلك فليجعلها عمرة .

و قال الشافعي : يكون عمرة .

و عن ابراهيم النخعي جواز الاحرام بالحج قبل أشهر الحج . وهو قول أبي حنيفة وأصحابه ، ومالك ، و الليث ، والثورى . وحجتهم قوله عزّ وجلّ (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) . (٢) وهذا عموم في كون الأهلة كلها وقتاً للحج ، ومعلوم أن الأهلة ليست بميقات لأفعال الحج ، فوجب أن يكون حكم ذلك اللفظ مستعملا في احرام الحج .

هـ ـ وعند قوله تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) . (٣)

قال : وفي الآية ضروب من الأحكام ، منها : قوله تعالى (قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ) يدل على جواز خلط الوصي ماله بمال اليتيم في مقدار ما يغلب على ظنه أن اليتيم يأكل قدر طعام نفسه بغالب الظن .

---

(١) البقرة ١٩٧

(٢) البقرة ١٨٩

(٣) البقرة ٢٢٠

ويدل على جواز التصرف في ماله بالبيع والشراء . وجواز دفعه مضاربة اذا كان ذلك صلاحا .

ويدل على أن لولي اليتيم أن يعاقد نفسه في ماله اذا كان فيه خير ظاهر لليتيم ، على ما قاله أبو حنيفة رحمه الله .

ويدل على أن للوصي أيضا أن يؤجر اليتيم ممن يعلمه الصناعات والتجارات ، أو يستأجر من يعلمه ماله فيه صلاح من أمر الدين والأدب ، لأن كل ذلك من الصلاح .

وقوله تعالى (**وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ**) فيه دليل على أن للولي أن يزوج اليتيم ابنته ، أو يزوج اليتيمة ابنه ، أو يتزوج اليتيمة لنفسه ، فيكون قد خلط اليتيم بنفسه وعياله ، واختلط به أيضا ... ولا يكون التزويج الا للولي الذي يكون ذا نسب من اليتيم ، لأن الوصاية لا تستحق بها الولاية في النكاح . (١)

و ـ وعند قوله تعالى (**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ**) . (٢)

قال : واختلف الفقهاء في الحائض متى يحل وطؤها :

فقال أبو حنيفة وصاحباه : اذا طهرت لعشرة أيام جاز وطؤها دون الغسل ، وان طهرت لأقل من عشرة أيام لم يجز وطؤها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت صلاة كامل .

وقال مجاهد ، وطاووس ، وعطاء : اذا انقطع دمها وغسلت فرجها وتوضأت جاز وطؤها .

وقال الشافعي : لا يحل وطؤها الا بشرطين : انقطاع الدم ، والاغتسال .

فمن قرأ " يطّهّرن " بالتشديد كان حجة للشافعي ومن تابعه .

ومن خففه كان حجة للمبيحين وطأها قبل الغسل . (٣)

---

(١) انظر ص

(٢) البقرة ٢٢٢

(٣) انظر ص

ز ـ وعند قوله عزّ وجلّ (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) (١) .

قال : واختلف السلف رضي الله عنهم في الخلع ، هل هو طلاق أو فسخ :

فذهب بعضهم الى أنه فسخ ، وهي رواية عن ابن عباس .

واستدلوا بظاهر هذه الآية ، فقالوا : ان الله ذكر الطلاق الثلاث بعد هذا بقوله (فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) (٢) ، فلو كان الخلع طلاقا لجعل الطلاق أكثر من ثلاث .

وأكثر فقهاء الأمصار قالوا : الخلع طلاق . وهو قول عمر ، وعثمان ، وابن مسعود ، والحسن ، وابراهيم النخعي ، وغيرهم .

وليس في ظاهر هذه الآية دليل على أن الخلع فسخ ، لأن قوله تعالى (وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا) حكم مبتدأ ، اذ الواو للإستئناف إلا أن يقوم دليل الجمع .. (٣)

ح ـ وفي قوله عزّ وجلّ (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ) (٤)

قال : يعني أشهدوا على الحق شهيدين من الأحرار البالغين ، دون الكفار والعبيد والصبيان . وهذا مذهب مالك ، وأبي حنيفة ، والشافعي ، وسفيان ، وأكثر الفقهاء .

وأجاز شريح ، وابن سيرين شهادة العبيد .

وأجاز بعضهم شهادتهم في الشيء التافه . (٥)

---

(١) البقرة ٢٢٩

(٢) البقرة ٢٣٠

(٣) انظر ص

(٤) البقرة ٢٨٢

(٥) انظر ص

٦ ـ ذكـــره للناســـخ والمنســـوخ :

عرض المؤلـف ـ رحمه اللـه ـ لكثير من الآيات التي ادعي فيها النسخ ، فذكر ما قيل فيها من نسخ أو احكـام ، وكثـيرا ما يشـير الى ذلك بقولـه : هـذه الآيـة منسوخـة بكـذا ، أو قال بعضهم ... ، أو قيل ... ، ونحوهـا .

وقد يصرح بذكر من قال بذلك ، وربما رجح بين الأقوال أحيانـا .

وهـذه بعض الأمثـلة لتوضيـح مسـلكه في هـذا البـاب :

أ ـ قال عند قوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ)[1] : وهـذه الآيـة منسوخة عند أكثر العلماء ، واختلفوا بأي دليل نسخت ؟

فقال بعضهم : بآيـة المواريـث .

وهـذا لا يصح ، لأن الله تعالى قال فيها : (مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا)[2] .

والصحيح أنها نسخت بقوله عليه السلام : " لا وصيـة لوارث " .

وهـذا الخبر وان كان خبر واحـد ، فقد تلقته الأمـة بالقبول ، فجرى مجـرى التواتر . ويجوز نسخ القرآن بمثل هـذه السنة .[3]

ب ـ وعند قوله تعالى (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) .[4]

قال : واختلف العلمـاء في تأويل هـذه الآيـة وحكمهـا :

فقال قوم : كان ذلك في أول ما فرض اللـه الصـوم ، وذلك أن الله عز وجل لما نـزل فرض صيام شهر رمضان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه بذلك شـق عليهم الصوم ، وكانوا قوماً لم يتعودوا على الصوم ، فخيرهم الله بين الصيـام والإطعام ، فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وافتدى بالطعام ، ثم نسخ ذلك بقولـه

---

(١) البقـرة ١٨٠

(٢) النسـاء ١١

(٣) انظـر ص ٤٥٥

(٤) البقـرة ١٨٤

تعالى (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) [١] ونزلت العزيمة في ايجاب الصوم .

وعلى هذا القول معاذ بن جبل ، وأنس بن مالك ، وسلمة بن الأكوع ، وابن عمر ، وعلقمة ، وعكرمة ، والشعبي ، والزهري ، وابراهيم ، والضحاك ، وهي احدى الروايات عن ابن عباس .

وقال آخرون : بل هذا بالشيخ الكبير والعجوز الكبيرة اللذين يطيقان الصوم ، ولكن يشق عليهما ، رخّص لهما إن شاءا أفطرا مع القدرة ويطعمان لكل يوم مسكينا ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) وثبتت الرخصة للذين لا يطيقونه ، وهذا قول الربيع بن أنس ، ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس .

وقال الحسن : هذا في المريض ، كان اذا وقع عليه اسم المرض وكان يستطيع الصيام فهو بالخيار ، ان شاء صام ، وان شاء أفطر وأطعم ، حتى نسخ ذلك .

فعلى هذه الأقاويل الآية منسوخة . وهذا قول أكثر الفقهاء والمفسرين .

وقال قوم : لم تنسخ هذه الآية ولا شيء منها ، وانما تأويلها : وعلى الذين يطيقونه في حال شبابهم وفي حال صحتهم وقوتهم ثم عجزوا عن الصوم فدية طعام مسكين .

وجعلوا هذه الآية محكمة . وهذا قول سعيد بن المسيب ، والسدى ، واحدى الروايات عن ابن عباس . [٢]

ج ـ وعند قوله تعالى (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ) [٣]

قال : لما نزلت هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ، ويكف عمن كف عنه ، حتى نزل قوله تعالى (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) [٤] فنسخت هذه الآية ، وأمر بالقتال مع المشركين كافة .

وقال بعضهم : هذه الآية محكمة ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتال ،

---

(١) البقرة ١٨٥

(٢) انظر ص ٤٦٨ ـ ٤٦٩

(٣) البقرة ١٩٠

(٤) التوبة ٥

ولم ينسخ شيء من حكم هـذه الآيـة .

فعلى هذا القول معنى قوله (وَلَا تَعْتَدُوا) : أى لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير ، ولا من ألقى إليكم السلم وكف يده عن قتالكم ، فان فعلتم ذلك فقد اعتديتم . وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد .(١)

د ـ وعند قوله عزّ وجلّ (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ) .(٢)

قال : واختلفوا في حكم هذه الآية :

فقال بعضهم : هي منسوخة ، نهوا عن الابتداء بالقتال ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ)(٣) . وهذا قول قتادة والربيع .

وقال مقاتل : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) : أى حيث أدركتموهم في الحل والحرم . لما نزلت هذه الآية نسخها قوله تعالى (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) ثم نسختها آية السيف التي في براءة ، فهي ناسخة منسوخة .

وقال آخرون : هذه الآية محكمة ، ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم . وهو قول مجاهد وأكثر المفسرين .(٤)

هـ ـ وفي قوله تعالى (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ...)(٥)

قال : واختلفوا في هذه النفقة المذكورة ، هل هي واجبة أم لا ؟

قال الحسن : المراد بها التطوع على من لا يجوز وضع الزكاة فيه ، كالوالدين والمولودين ، ووضع الزكاة فيمن يجوز وضعها فيهم .

---

(١) انظر ص ٥٠٧

(٢) البقرة ١٩١

(٣) البقرة ١٩٣

(٤) انظر ص ٥٠٩ ـ ٥١٠

(٥) البقرة ٢١٥

وقال السدى : هذه الآية منسوخة بآية الزكاة .

والصحيح أنها ثابتة الحكم ، عامة في الفرض والتطوع ، لأن الآية متى أمكن استعمالها لم يجز الحكم بنسخها .(١)

و ـ وعند قوله تعالى (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ...) .(٢)

قال : اختلف المفسرون في هذه الآية ، فقال قوم : هي خاصة ...

وذهب بعضهم إلى أنها عامة في الشهادة وفي غيرها .

ثم اختلفوا في وجه عمومها : فقال بعضهم : هي منسوخة ..... أنزل الله عزّ وجلّ (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (٣) فنسخت ما قبلها ...

وقال بعضهم : لا يجوز أن تكون هذه الآية منسوخة ، لأنها خبر من عند الله ، والخبر لا يحتمل النسخ ، لأنه خلف ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، لكن المراد بالآية إظهار العمل واخفاؤه .

وقال الربيع : هذه الآية محكمة لم ينسخها شيء ...

٧ ـ ذكره لأسباب النزول :

لمعرفة سبب النزول أهمية كبرى لدى المفسر ، فهو يعينه على فهم معنى الآية وتحديد المراد منها ، وان كانت العبرة إنما هي بعموم اللفظ الذي دلت عليه الآية لا بخصوص السبب الذي نزلت من أجله ، لذا كان المؤلف ممّن اهتم بهذا الجانب ، فذكر كثيراً ممّا ورد في سبب نزول بعض الآيات ، وقد يورد أكثر من سبب نزول للآية .

---

(١) انظر ص ٥٨٣

(٢) البقرة ٢٨٤

(٣) البقرة ٢٨٦

ومن الأمثلة لذلك ما يلي :

أ ـ عند قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى) (١)

قال : نزلت هذه الآية في الأوس و الخزرج ، كان بينهما قتلى وجراحات في الجاهلية ، وكان لأحد هما طول على الآخر في الكثرة والشرف ، فأقسموا ليقتلن بالعبد منا الحر منهم ، وبالمرأة منا الرجل منهم ، وبالرجل منا الرجلين منهم . وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات أولئك ، فلم يأخذ ها بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام ، فرفعوا أمرهم الى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وأمرهم بالمساواة ، فرضوا و سلموا . (٢)

ب ـ و عند قوله تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) . (٣)

قال : اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية :

فقال ابن عباس : نزلت في عمر رضي الله عنه وأصحابه حين أصابوا من أهليهم في ليالي رمضان ...

وروى الكلبي عن أبي صالح عنه قال : قال يهود المدينة : يا محمد ، كيف يسمع ربنا دعاءنا ، وأنت تزعم أن بيننا و بين السماء مسيرة خمسمائة عام ، وأن غلظ كل سماء مثل ذلك ؟ فأنزل الله هذه الآية .

وقال عطاء و قتادة : لما نزل قوله تعالى (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) قال رجل : يا رسول الله كيف ندعو ربنا ومتى ندعوه ؟ فأنزل الله هذه الآية .

وقال الضحاك : سأل بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم : أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فننادي ه ؟ فأنزل الله هذه الآية . (٤)

---

(١) البقرة ١٧٨

(٢) انظر ص ٤٥١

(٣) البقرة ١٨٦

(٤) انظر ص ٤٨٤ ـ ٤٨٥

جـ ـ وعنـد قوله تعالى (وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّنْ رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ) . (١)

قال : روي عن كعب بن عجرة أنه قال : نزلت هذه الآية فيّ ، مرّ بي رسول الله صلى الله عليه و سلم والقمل يتناثر على وجهي ، فقال لي : " أتؤذيك هوام رأسك " ؟ قلت : نعم . قال : " احلق رأسك وأطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من حنطة أو صم ثلاثة أيام أو انسك بنسيكة " . (٢)

د ـ وقال عند قوله عزّ وجلّ (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ) (٣) : نزلت في قوم كانوا يخرجون بأهليهم بغير زاد ، ويتكلون على الناس ، ويسمون أنفسهم المتوكلة ، يقولون : نحج بيت ربنا والله رازقنا .

وقيل : نزل في قوم يتركون أزواد هم و يصيبون في حجهم من أهل الطريق ظلما . (٤)

هـ ـ وعند قوله تعالى (وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ) (٥)

قال : قاال عبد الله بن عباس : نزلت هذه الآية في مرثد بن أبي مرثد الغنوي ... فذكر قصته . (٦)

و ـ وعند قوله تعالى (وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) . (٧)

قال : قال ابن عباس : نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبيّ بن سلول وفي زوجها ثابت بن قيس ... ثم ذكر قصتهما .

---

(١) البقرة ١٩٦
(٢) انظر تخريجه ص ٥١٩
(٣) البقرة ١٩٧
(٤) انظر ص ٥٣١
(٥) البقرة ٢٢١
(٦) انظر ص
(٧) البقرة ٢٢٩

ز – وفي قوله عزّ وجلّ ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا ﴾ .(١)

قال : نزلت في ثابت بن يسار الأنصارى ، طلق امرأته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة وكادت تبين منه راجعها ، ثم طلقها ففعل بها مثل ذلك ، حتى مضت لها سبعة أشهر مضاراً لها بذلك . وكان الرجل اذا أراد أن يضار امرأته طلقها ثم تركها حتى تحيض الحيضة الثالثة ثم راجعها ثم طلقها ، فتطول عليها العدة ، فهذا هو الضرار . فأنزل الله هذه الآية .

---

(١) البقرة ٢٣١

٨ ــ ذكره للاسرائيليات :

دخلت الاسرائيليات في كتب التفسير منذ بداية التأليف ، وتناولها المفسرون على اختلاف عصورهم بين مقلّ منها ومكثر ، وقد انقسموا ازاءها الى ثلاثة أقسام :

أولا : منهم من رواها مسندة ، كابن جرير الطبرى وابن أبي حاتم ، وهؤلاء قد سلموا من العهدة ، اذ بمعرفة السند يمكن الحكم عليه ونقد الروايات .

ثانيا : ومنهم من ذكرها ونبّه عليها وتعقبها في الغالب ، كالحافظ ابن كثير ، والعلامة الألوسي .

ثالثا : ومنهم من حكاها ولم يتعقبها بشئ ، كالثعلبي والخازن وأكثر المفسرين .

ومفسرنا ــ رحمه الله ــ هو من أهل هذا الصنف ، فقد ضمن تفسيره كثيراً من القصص والأخبار الاسرائيلية ، كقصة آدم وحواء ، وقصة هاروت وماروت ، وقصص بعض أنبياء بني إسرائيل ، وغير ذلك . ولم يتعقبها أو ينبه عليها .

ومن الأمثلة لذلك ما يلي :

أ ــ عند قوله تعالى (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) . (١)

قال : وذلك أن ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم ، فمنعه الخزنة ، فأتى بالحية ، وكانت من أحسن الدواب ، لها أربع قوائم كقوائم البعير ، وكانت من خزان الجنة ، وكانت لابليس صديقا ، فسألها أن تدخله في فمها ، فأدخلته في فمها ومرّت به على الخزنة وهم لا يعلمون .... (٢)

ب ــ وعند قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ...) . (٣)

ذكر ما قيل من قصص حول تلك البقرة وثمنها ومكان وجودها ... (٤)

---

(١) البقرة ٣٥ ـ ٣٦

(٢) انظر ص ١٦٠

(٣) البقرة ٦٧

(٤) انظر ص ٢٣٣ ــ ٢٣٦

جـ ـ وعند قوله تعالى (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ...) . (١)

قال : وقصة ذلك : أن الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على لسان آصف : هذا ما علّم آصف بن برخيا سليمان الملك ، ثم دفنوها تحت مصلاه حين نزع الله ملكه ، ولم يشعر بذلك سليمان ، فلما مات عليه السلام استخرجوها من تحت مصلاه ، وقالوا للناس : انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه .... (٢)

د ـ ومن ذلك ما ذكره ممّا قيل حول قصة طالوت وجالوت ، وكذلك ما قيل حول التابوت والسكينة . وذلك عند الآيات ٢٤٧ ـ ٢٥١ من سورة البقرة .

هـ ـ ومن ذلك أيضا ما ذكره حول قصة المارّ على القرية الخاوية على عروشها ، وذلك عند قوله تعالى (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ...) . (٣)

---

(١) البقرة : ١٠٢

(٢) انظر ص ٢٩٥

(٣) البقرة : ٢٥٩

٩ ـ موقفه من آيات الصفات :

سلك المؤلف في أكثر آيات الصفات مسلك أهل التأويل ، وقد يذكر قول السلف ضمن ما يورده من أقوال حول الآية ، لكن ميله الى التأويل ظاهر ، عفا الله عنا و عنه .

ومن الأمثلة لذلك ما يلي :

أ ـ عند قوله تعالى من سورة الفاتحة (الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ) :

قال : الرحمة من الله : هي الانعام على المحتاج . ومن الآدميين رقة القلب . (١)

ب ـ وعند قوله تعالى (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ) (٢) :

قال : و غضب الله عليهم ذمه اياهم و توعده لهم في الدنيا وانزال العقوبة بهم في العقبى . (٣)

جـ ـ وعند قوله تعالى (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ) . (٤)

ذكر الأقوال في تفسيرها ، ومن ضمنها قول السلف رحمهم الله ، لكنه لم يرتضه . ومال الى القول بأن معنى الآية : هل ينظرون الا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام وبالملائكة أو مع الملائكة ، فتكون " في " بمعنى الباء ، قال : فعلى هذا التأويل زال الاشكال وسهل الأمر . (٥)

د ـ وفي قوله تعالى (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) : (٦)

قال : أي وجاء أمر ربك بالمجازاة والمحاسبة . (٧)

هـ ـ كما أوّل في صفة الاستواء في قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) (٨) ، وقوله (الرَّحْمَـٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) (٩) : ففسرها بالاستيلاء . (١٠)

---

(١) انظر ص ٧٨ (٢) البقرة ٦١
(٣) انظر ص ٢١٦ (٤) البقرة ٢١٠
(٥) انظر ص ٥٦٥ ـ ٥٦٧ (٦) الفجر ٢٢
(٧) انظر نسخة مكتبة السليمانية باستانبول : الورقة رقم ٣٥٢/ أ وتقع هذه النسخة في (٣٦٠) ورقة ، مسطرتها تتراوح بين (٣٣) و (٤١) سطرا ، وتاريخ نسخها سنة ١٠٠٢ هـ . وهي نسخة كاملة للكتاب . ورقمها ١٢٥
(٨) الأعراف ٥٤
(٩) طه ٥
(١٠) انظر النسخة السابقة : ق : ١٣٤/ب ، ٢٠٢ / أ .

١٠ ـ مصادره في تفسيره :

ان لمعرفة المصادر والموارد التي أفاد منها أى مؤلف أهمية كبيرة في توثيق بحثه وتأليفه ، وفي تحديد القيمة العلمية لكتابه .

وقد اعتمد المؤلف ـ رحمه الله ـ في تفسيره على النقل من مصادر كثيرة ، الا أنه لم يسم شيئا من تلك المصادر ـ في الغالب ـ بل اكتفى بنقل أقوال مؤلفيها منسوبة اليهم ، وقد يذكر القول دون تسمية قائله ، فيقول : قال بعضهم ، أو قيل ، ونحو ذلك ..

وبالرجوع الى مؤلفات أولئك العلماء الذين نقل أقوالهم في تفسيره ، وباستقراء بعض النصوص التي نقلها ولم يسم قائليها ومقابلتها مع المصادر التي سبقته أمكن معرفة كثير من مصادره التي أفاد منها . واليك بيان تلك المصادر ـ سواء ما كثر نقله عنها أو قل :

- معاني القرآن للفراء
- مجاز القرآن لأبي عبيدة
- معاني القرآن للأخفش
- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة
- تفسير الطبرى
- معاني القرآن واعرابه للزجاج
- تفسير الثعلبي (الكشف والبيان) : وقد اعتمد عليه كثيرا ، فنقل عنه في مواضع كثيرة من تفسيره . وقليلا ما كان يصرح بالنقل عنه .
- أحكام القرآن للجصاص .

وممن نقل أقوالهم ممّن لم يكن لهم كتب معروفة ، أو كان لهم كتب ولم يتيسر لي الوقوف عليها ما يأتي :

أ ـ فمن المفسرين والفقهاء :

أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وابن عباس ، وابن مسعود ، ومعاذ ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن سلام ، وعائشة .

ومجاهد ، والحسن ، وعكرمة ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وسعيد بن جبير ، وطاووس ، والشعبي ، والكلبي ، وابن جريج ، وعطاء ، وزيد بن أسلم ، والضحاك ، ومحمد بن الحنفية ، ومقاتل ، والسدى ، وابن سيرين ، والنخعي ، والزهرى ، ومسروق ، ومكحول ، والثورى ، والأوزاعي ، وسعيد بن المسيب ، وابن عيينة ، واسحاق بن راهويه . وأبو حنيفة وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن ، ومالك ، والشافعي ، وغيرهم كثير .

ب ـ ومن القـــرّاء :

نافع المدني ، وابن كثير المكي ، وأبو عمرو البصرى ، وابن عامر الشامي ، وعاصم الكوفي ، وحمزة الكوفي ، والكسائي الكوفي ، وأبو جعفر المدني ، ويعقوب البصرى ، وخلف العاشر .

وقنبل ، وشعبة ، وحفص ، وهشام ، وابن عباس ، وابن مسعود ، والحسن البصرى ، وقتادة وابن محيصن ، والأعمش ، وشيبة ، وابن أبي عبلة ، وأبي بن كعب ، والأعرج ، والـــبزى ، والجحدرى ، وأيوب ، وطلحة بن مصرف ، ويحيى بن وثاب ، وغيرهم .

جـ ـ ومن اللغويين والشعراء :

سيبويه ، والخليل ، والكسائي ، وأبو عبيد ، وابن الأنبارى ، والأصمعي ، والنضر ابن شميل ، والمبرد ، وثعلب ، وقطرب . وامرؤ القيس ، وأبو ذؤيب ، وأبو الأســـود الدؤلي ، وجرير ، وحسان بن ثابت ، ورؤبة بن العجاج ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنترة ابن شداد ، والفرزدق ، ولبيد ، والنابغة الذبياني ، والمؤرج ، والمفضل الضـــبي ، وغيرهم كثـــير .

د ـ ومن الوعـاظ والزهـاد :

ابراهيم بن أدهم ، والفضيل بن عياض ، وعبد الله بن المبارك ، وذو النـــون المصرى ، ويحيى بن معاذ ، وسهل بن عبد الله ، والجنيد ، ومالك بن دينار ، وغيرهم .

١١ ـ القيمة العلمية للكتاب :

الكتاب بجملته حسن في ترتيبه و عرضه للمسائل ، بذ ل المؤلف فيه جهد ه ، فكثرت مصاد ره ، و تنوعت موارد ه ، و عرض لكثير من مسائل التفسير والأحكام ، واهتم باللغة والقراءات ، واستشهد لكثير من القضايا بالآيات والأحاد يث وأقوال الشعراء وأهل البيان ٠

فجاء كتابه و سطا بين الايجاز والاطناب ، سهل العبارة ، حسن التركيب ممّا جعله متد اولا مشهورا بين الناس ، كما ذكر الشوكاني ، حيث قال : و جمع تفسيرا حسنا مشهورا الآن عند الناس ، يسمونه تفسير الحد اد ٠ (١)

١٢ ـ المآخذ على الكتاب :

يمكن اجمال المآخذ على المؤلف في هذ الكتاب فيما يلي :

أ ـ تأويله في آيات الصفات ٠

ب ـ ايراد ه لبعض الأحاد يث الضعيفة ، بل والموضوعة أحيانا ٠

جـ ـ ذكره للاسرائيليات د ون التعقيب عليها ٠

د ـ ذكره للتفسير الاشارى ٠ وهذ ا قليل جد ا ٠

و هذ ه المآخذ لم يسلم منها أكثر المفسرين ، بل وقعوا فيها أو في بعضها ، وهم متفاوتون في ذ لك ، فمنهم المقل ، ومنهم المكثر ٠

والعصمة لكتاب الله ولرسوله صلى الله عليه و سلم ٠

---

(١) انظر : البد ر الطالع ١٦٦/١

١٣ ـ منهجي في تحقيق الكتاب :

تتمثل الطريقة التي سرت عليها في تحقيق الكتاب في النقاط التالية :

١ ـ المقارنة بين النسخ الخطية ، واتخاذ إحداها أصلاً ، واثبات الفروق بينها في الحاشية .

٢ ـ كتابة النصّ حسب قواعد الاملاء الحديثة ، مع اصلاح الأخطاء والتصحيفات الواردة في الكتاب ، واثبات الصواب في الأصل ووضعه بين معقوفتين هكذا [ ] ، ثم التنبيه في الحاشية على ما كان في الأصل .

٣ ـ في النسخة المعتمدة أصلا يخلط الناسخ أحيانا بين نقط التاء والياء ، وكذا الباء والنون ، وقد لا يضع نقطا ، وفي هذه الحال يكون التصحيح حسب ما في النسخ الأخرى ، مع التنبيه على ذلك في الحاشية .

أما اذا كان وضع تلك النقاط خطأ ظاهرا لا احتمال فيه فيتم التصويب دون الاشارة الى ذلك في الحاشية .

٤ ـ ترقيم الآيات القرآنية ، وكتابتها حسب رسم المصحف .

٥ ـ عزو الآيات المستشهد بها الى سورها مع ذكر رقم الآية .

٦ ـ تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب ، فان كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت به ، واذا لم يكن في أحدهما خرجته من السنن الأربعة وغيرها من كتب الحديث الأخرى .

٧ ـ عزو القراءات الى مصادرها .

٨ ـ تخريج الأشعار من مصادرها ، مع تسمية قائليها .

٩ ـ ترجمة الأعلام ترجمة موجزة .

١٠ ـ نسبة الأقوال المحكية الى أصحابها ، وعزو المنسوبة الى مصادرها ـ قدر الامكان ـ .

١١ ـ ايضاح الغريب من العبارات والكلمات ، وذلك بالرجوع الى كتب اللغة والمعاجم .

١٢ ـ التعريف بما يلزم من الأماكن والبلدان ٠

١٣ ـ المناقشة والتعليق لما يحتاج الى ذلك من قضايا ومسائل ترد في الكتاب ٠

١٤ ـ وضع الفهارس العامة ، والمشتملة على ما يلي :

أ ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة المستشهد بها ٠

ب ـ فهرس الأحاديث النبوية والآثار ٠

جـ ـ فهرس الأشعار ٠

د ـ فهرس الأعلام ٠

هـ ـ فهرس المصادر والمراجع ٠

و ـ فهرس الموضوعات ٠

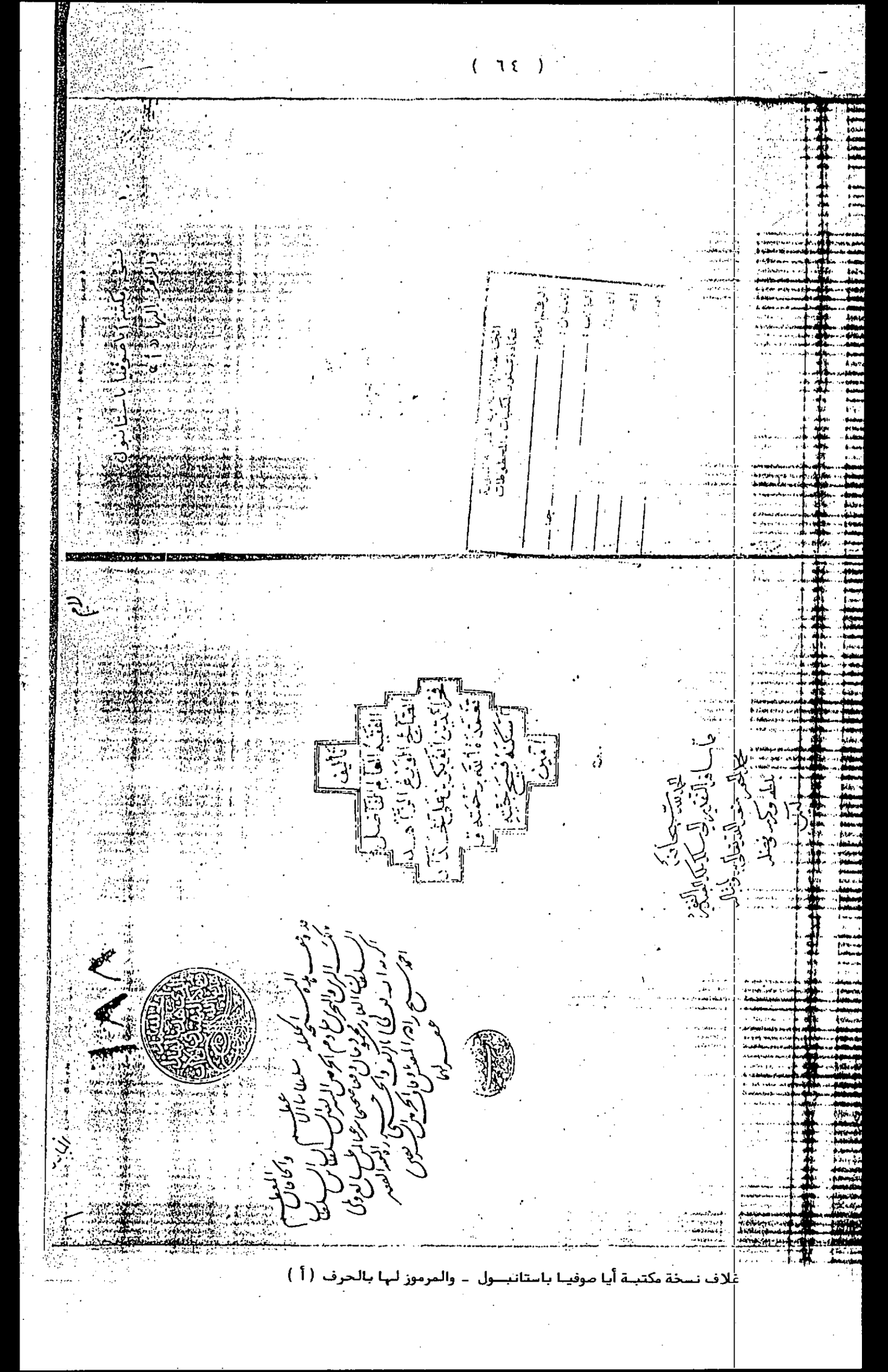

غلاف نسخة مكتبة أيا صوفيا باستانبول - والمرموز لها بالحرف (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرمنا بالنور المبين ، وهدانا للحق اليقين ، كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، والصلوة والسلام على نبي الرحمة ، وإمام الحكمة المنتخب من ذرية الكرام ، وسلالة المجد الأقدم ، سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، قوله عز وجل ، بسم الله الرحمن الرحيم تعليم منه سبحانه ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها تبركا به ، ومعناه ابدأ باسم الله لان حرف الباء مع سائر حروف الجر لا يستغني عن فعل مضمر او مظهر فكان تضمير الباء في هذه الآية امرا واختلفا لناس في معنى اشتقاق الاسم واكثر اهل اللغة على انه مشتق من السمو وهو الرفعة ، ومعنى اسم المنبيه على المسمى والدلالة عليه ، وقال بعضهم مشتق من السمة وهي العلامة فكان الاسم علامة للمسمى وانما الله فقال بعضهم هو اسم علم لا اشتقاق له مثل قولك فرس ورجل وجبل ، ومعناه عند اهل اللسان المستحق للعبادة ولذلك تبت العرب باصنامهم آلهة لاعتقادهم استحقاقها للعبادة ، وقال بعضهم هو من قولهم إله الرجل اذا فزع من امر نزل به فألهه اي جاره وامنه ، ويقال للمألوه اليه الهه كما قالوا للمأموم به امام ، ومعناه ان الخلائق يألهون ويتضرعون اليه في الحوائج والشدائد ، واختلفوا في بسم الله الرحمن الرحيم هل هي آية من فاتحة الكتاب فقال القراء الكوفة هي آية منها وبذلك قال اهل المدينة واهل البصرة ، واما قوله الرحمن الرحيم فهما اسمان مأخوذان من الرحمة وزنهما من فعلان وندمان من المنادمة وفعلان بناء من فعيل وهو من ابنية المبالغة ولا يكون الا في الصفات كقولك شبعان وغضبان ولهذا كان اسم الرحمن مختصا بالله لا يوصف به غيره واما الرحيم فمشترك ، وعن عثمان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الرحمن العاطف على جميع خلقه بالرزق عليهم فالرحمة من الله هي الانعام على المحتاج ومن الآدميين رقة القلب واما جمع بين الرحمن والرحيم للنهاية في الرحمة والاحسان بعد الاحسان ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر ولو قيل للطفان كان احسن فكان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب في اول الكتاب وفي الاسناد بما تمثل اللهم حسن بسم الله مجراها

فكتب بسم الله فنزل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن فنزل بسم الله الرحمن الرحيم في سورة النمل فكتب حينئذ بسم الله الرحمن الرحيم ، فان قيل لم قدم اسم الله على الرحمن الرحيم قيل لانه اسم لا ينبغي الا لله عز وجل ، وقيل في تفسير قوله تعالى هل تعلم له سميا اي هل تعرف في السهل والجبل والبر والبحر والمشرق والمغرب احدا اسمه الله غير الله ، وقيل هو اسمه الاعظم وقدم الرحمن على الرحيم لان الرحمن اسم خاص به الله والرحيم مشترك ، ويقال رجل رحيم ولا يقال له رحمن ، وقيل الرحمن مدح والرحيم اراق واما اسقطت الالف من اسم الله واصله بسم الله لانها كثرت على السنة العرب عند الاكل والشرب والقيام والقعود فحذفت اختصارا من الخط فان ذكرت اسما غير من اسماء الله لم تحذف فالف لقلة الاستعمال نحو قولك باسم ربي وباسم عزيز وان اتيت بحرف سوى الباء لم تحذف الالف ايضا نحو قولك لاسم لله حلاوة في القلوب وليس اسم كاسم الله وكذلك باسم الرحمن وباسم الجليل واقرأ باسم ربك سواء فاتحة سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ، ومكية مائة وثلث وعشرون حرفا ، وهي مكية عند ابن عباس ومدنية عند مجاهد وقتادة والله اعلم قوله تعالى عز وجل الحمد لله رب العالمين الحمد والشكر نظيران الا ان الحمد اعم من حيث ان فيه معنى المدح من المنعم عليه ولا يكون الشكر الا من المنعم عليه ، والشكر اعم من الحمد من حيث انه يكون من اللسان والقلب والجوارح ، والحمد لا يكون الا باللسان وتدبير الفرق بينهما بنقيضه فنقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران وقوله رب العالمين الرب في اللغة اسم لمن يربي الشيء ويصلحه يقال لسيد العبد رب ولزوج المرأة رب ولمالك الشيء رب ولا يقال الرب معرفا بالالف واللام الا لله عز وجل والله تعالى هو الرب والمحدث من حال الى حال من نطفة الى علقة الى مضغة الى غير ذلك الى اجل مسمى وقوله رب العالمين جمع لا واحد له من لفظه كالنفر والرهط وهو اسم لمن يعقل مثل الانس والجن والملكة لانك لا تقول رأيت عالما من الابل والبقر والغنم الا انه حمل اسم العالم وهذه الثلثة على كل ذي روح دب ودرج لتغليب العقلاء على غيرهم عند الاجتماع وربما قيل للثلثة وما دونها مما احاطت به عالم كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله ثمانية عشر الف عالم وان دنياكم منها عالم وقوله الرحمن الرحيم تقدم تفسيره وقوله

عز وجل ملك يوم الدين اى يوم الحساب فان قيل لم خص يوم الدين وهو ملك الدنيا والاخرة قيل لان الله
تعالى لا ينازعه احد في ملك ذلك اليوم كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار • وقرا عاصم والكسائى
مالك يوم الدين بالالف والباقون بغير الف • فالاهل النحو ملك امدح من مالك لان المالك قد يكون في
غير ملك ولا يكون الملك الا مالكا • وروى ان ابا هريرة رضى الله عنه كان يقرا مالك يوم الدين على الندا
المضاف اى يا مالك يوم الدين • وقرا انس بن مالك ملك يوم الدين جعله فعلا ماضيا قوله عز وجل
اياك نعبد واياك نستعين لا يحسن ادخال الياك في غير المفردات • وحكى عن الخليل اذا بلغ الرجل الى
اياه والياء الثواب فاضافه الى ظاهر وهو قبيح مع جواز ولا يكون الا اذا تقدم فان تاخر قلت نعبدك ولا يجوز
نعبد اياك • فان قيل لم قدم اياك نعبد وهلا قال نعبدك قيل ان العرب اذا ذكرت شيئين قدمت
الاهم فالاهم وذكر المعبود في هذه الاية اهم من ذكر العبادة فقدمه عليها والكاف من اياك في موضع خفض
بمنزلة عصاك واجاز الفراء ان يكون في موضع نصب فكانه جعل اياك بكماله ضمير المخفوض • فان قيل
لم عدل عن الغايبة الى المخاطبة قلنا مثاله كثير في القران قال الله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم قوله
عز وجل اهدنا الصراط المستقيم اى ارشدنا الطريق القايم الذي ترضاه وهو الاسلام وهذا دعا
ومسالة بلفظ الامر لانا لا نامر الا من دوننا ومسالة لمن فوقك • فان قيل ما معنى اهدنا وانتم مهتدون
فما هذا السوال في مستقبل الزمان عند دعوة الشيطان وقيل معناه ثبتنا على الطريق المستقيم لا تقلب
قلوبنا بمعصيتنا ونظيره قوله تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين
اثبت على الاسلام وفي الصراط اربع لغات صراط بالصاد وسراط بالسين وبالزاى الخالصة وبالاشمام
حسان الزى وكذلك قد قرى به • فبالسين قراة قنبل وبالاشمام زايا قراة خلف وقرا الباقون بالصاد
خالصة وقوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم هم الانبياء واهل طاعة الله تعالى واختلفوا القراة في
صراط كان كاجلاهم في الصراط قوله عز وجل غير المغضوب عليهم ولا الضالين المغضوب عليهم هم اليهود
والضالين هم النصارى • وانما امين فليس من السورة • ولكن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
كان يقوله ويامر به • وقد التمس جبريل عليه السلام بعد فراغي من فاتحة الكتاب امين • وقالت

الورقة الثانية من نسخة مكتبة أيا صوفيا باستانبول

كالطابع على الكتاب • وقيل معنى امين اللهم استجب • وقيل معناه يا امين ويا الله فامين اسم من اسماء الله •
وقيل معناه اللهم اغفر لي وفي امين لغتان المد والقصر قال الشاعر في القصر • تباعد عني فطحل اذ رايته • امين فزاد الله ما بيننا بعدا • وقال في المد • صلى الاله على لوط وشيعته • اياعين قرا بالله امينا •
قال الاخر في المد ايضا • يا رب لا تسلبني حبها ابدا • ويرحم الله عبدا قال امينا • قال صلى الله عليه
وسلم فاتحة الكتاب رقيه من كل شيء الا السام وهو الموت • وروى ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه
وسلم كنت اخشى العذاب على امتك فلما نزلت الفاتحة امنت لانها سبع ايات وجهنم لها سبعة ابواب
فمن قراها صارت كل اية طبقا على باب سورة البقرة خمسة وعشرون حرفا وخمسة حرف • وستة
كلمات كل كلمة وماية واحدى وعشرون كلمة • ومائتان وستة وثلاثون ياء • قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لكل شيء سنام وسنام القران سورة البقرة من قراها في بيته نهارا لم يدخل بيته شيطان
ثلثة ايام • ومن قراها في بيته ليلا لم يدخله شيطان ثلث ليال • وقال صلى الله عليه وسلم تعلموا
البقرة وال عمران فانهما يجيان يوم القيمة كانهما غمامتان او كفرقين من طير صواف يحاجان عن صاحبهما • وقال
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة البقرة وال عمران جعل الله له يوم القيمة جناحان يطير بهما على الصراط
كالبرق • وقال صلى الله عليه وسلم تعلموهما بركة وتركهما حسرة ولا يستطيعهما البطلة يعني السحرة •

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل الم اختلفوا في تفسيرها وسائر حروف التهجي فروي عن
عمر وعثمان وابن مسعود ان الحروف المقطعة من الكلام الذي لا يفسر وامرهم في ذلك الشعبي وقال
ان لله تعالى سرا في كتبه وان سرة في القران الحروف المقطعة • وقال بعضهم انها من اسماء مختارة التي استاثر
الله بعلمها فنحن نؤمن بتنزيلها ونكل الى الله تاويلها • وقال علي رضي الله عنه لكل شيء صفوة وصفوة
هذا الكتاب حروف التهجي • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناه انا الله اعلم اى ان كل حرف وايراد
مقام كلمة وكذلك الر معناه انا الله ارى وانا الله اعلم واري • وانا الله اعلم واقضل
وكهيعص الكاف من كاف والها من هادي والالف من حكيم واللام من عليم والصاد من صادق • ويقال
الالف مفتاح اسمه الله واللام لطيف والميم مجيد وجميع اسمه الله الطف بجميع الكتاب ويقال الالف

الورقة الأخيرة من نسخة مكتبة أيا صوفيا باستانبول

غـلاف نسخـة مكتبة طلعة بالقاهرة والمرموز لها بالحرف (ط)

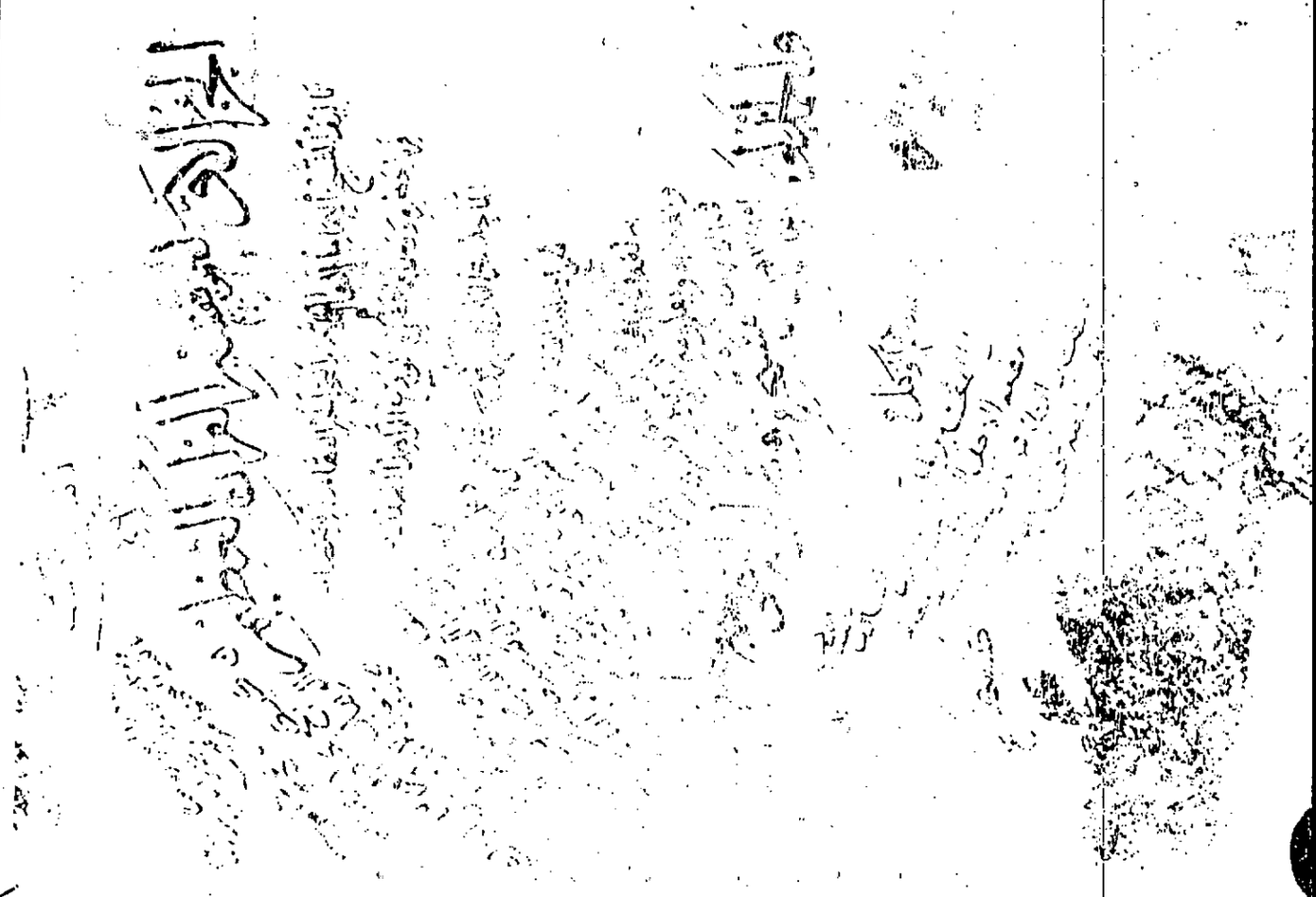

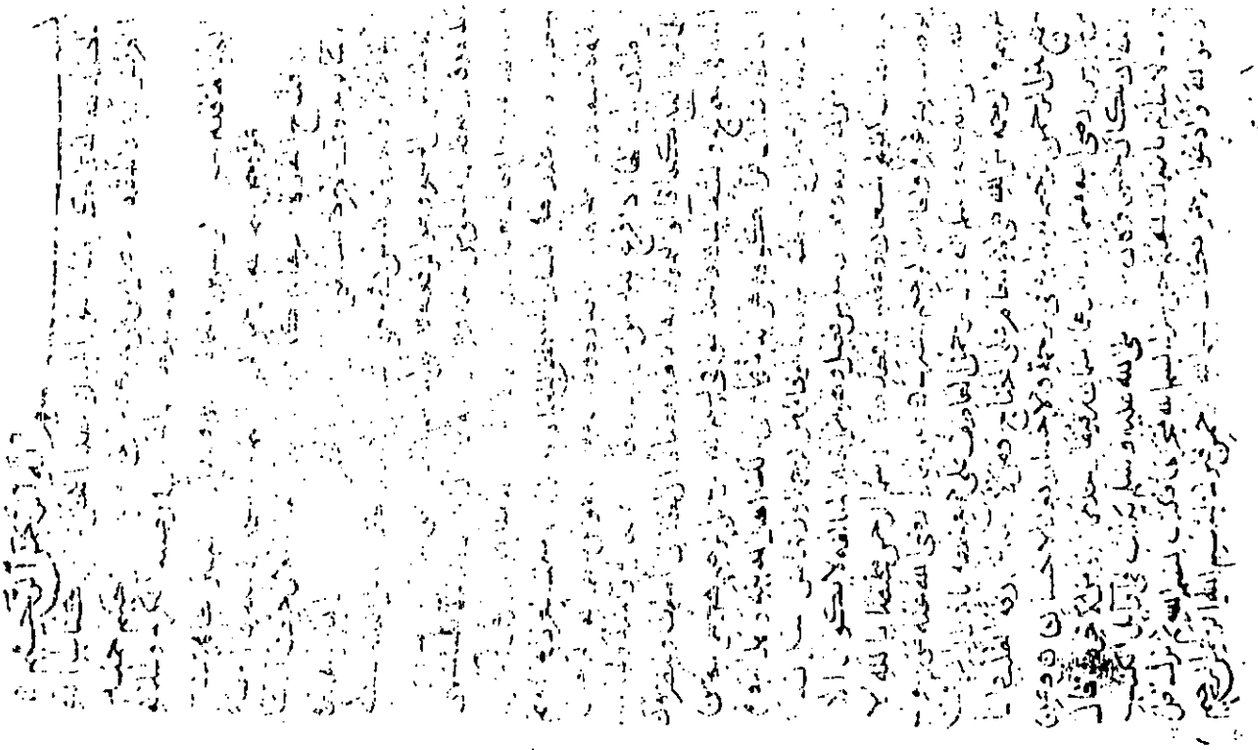

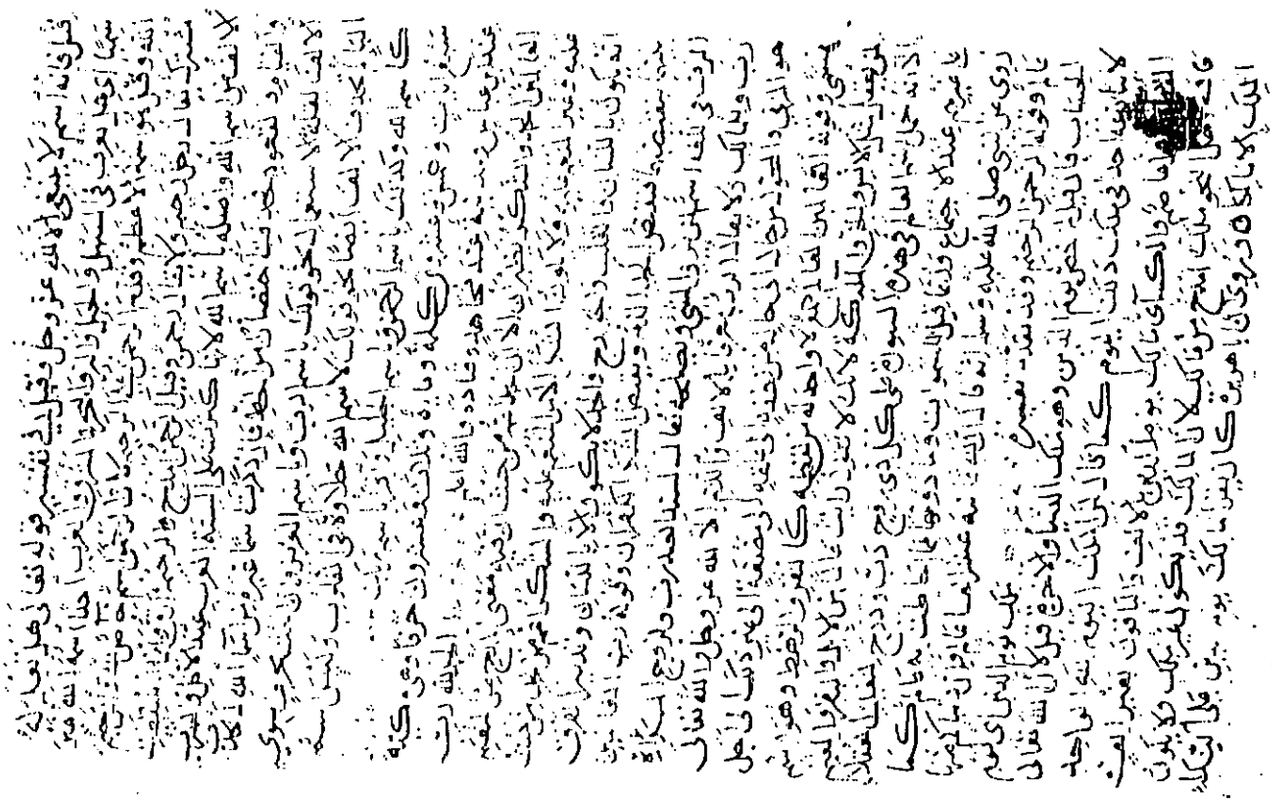

الورقة الأولى من نسخة مكتبة طلعت بالقاهرة

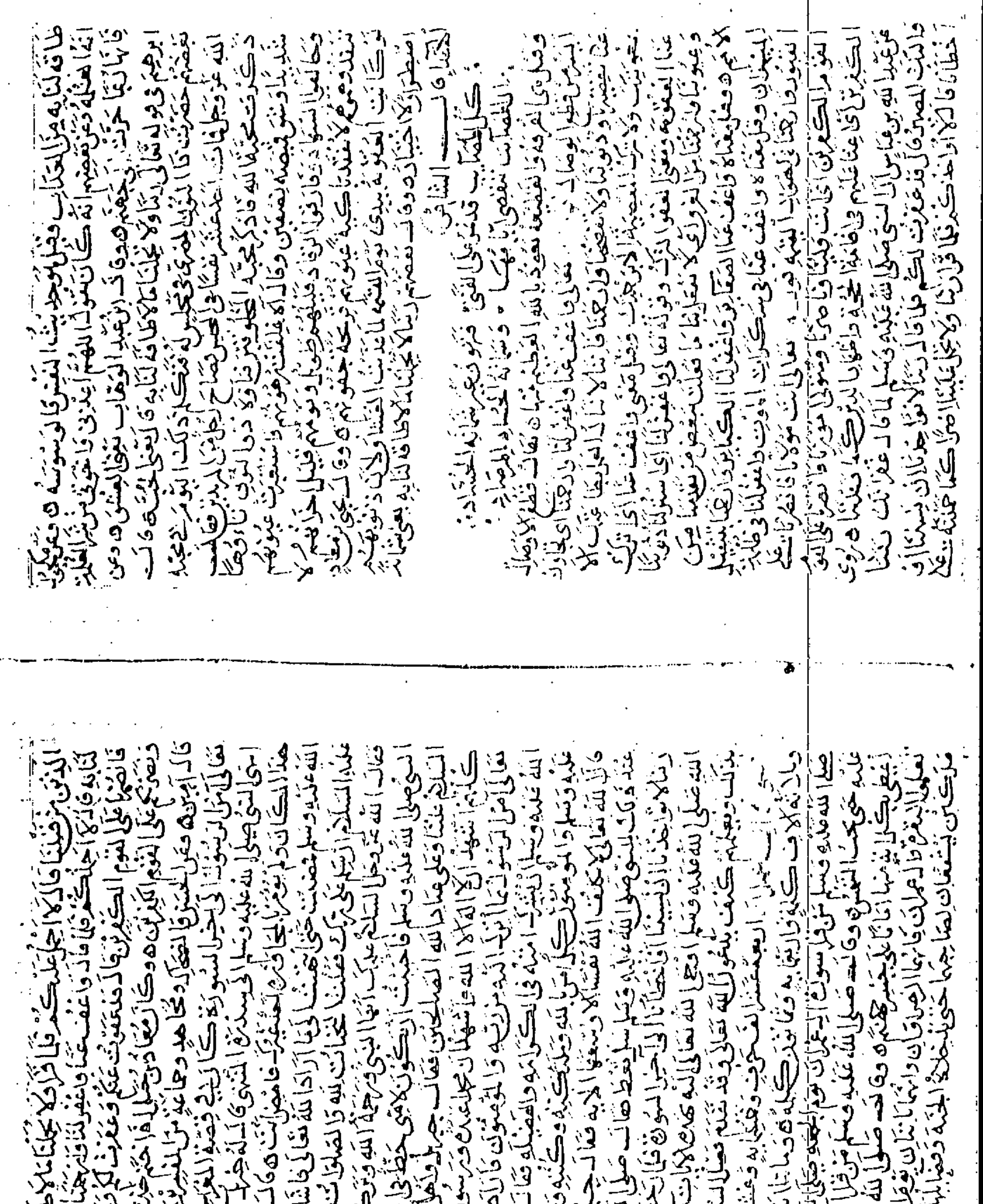

الورقــة الأخـــيرة من نسخـة مكتبــة طلعــت بالقاهـــرة

غلاف نسخة مكتبة الأحمدية بحلب – سوريا – والمرموز لها بالحرف (م)

الجزء الأول من تفسير القرآن الكريم

تأليف الفقيه العالم الفاضل

الصالح الورع الزاهد فخر

الدين أبو بكر بن علي الحداد

نعمه الله برحمته

وأسكنه فسيح

جنته

آمين

صورة
عمادة شؤون المكتبات – المخطوطات
الرقم العام: مصور رقم ٢٤٢١
العنوان: الجزء الأول من تفسير القرآن الكريم جـ
المؤلف: أبو بكر بن علي الحداد
الفن: تفسير
المصدر:
عدد الأوراق:

(٧١)

سم العالم
سلم من طبقات الشيخ نور الدين علي بن حسن الخزرجي الأنصاري تغمده الله برحمته ترجمة مؤلف هذا التفسير هو أبو العتيق
كر بن علي الحداد الفقيه الإمام العلامة أبو حنيفة العبادي الحنفي المذهب رضي الله عنه كان فقيهاً كبيراً عالماً عاملاً ناسكاً فاضلاً
بداً متواضعاً قانعاً من الدنيا بالكفاف صابراً على خشن المطعوم والملبوس وكان في شبيبته يسكن قرية العباد بفتح العين
قبا الموحدة المشددة وبعد الألف دال مهملة مكسورة وبا مثناة من تحتها مفتوحة وآخر الاسم ها تأنيث
سية تحت الجبل فيما بين جسر وزبيد وكان مشتغلاً فيما بالعبادة والتناسخ تفقه على جلة من أكابر العلماء منهم والده
ه علي بن محمد الحداد والفقيه الإمام العلامة أبو الحسن علي بن نوح الأبوي والفقيه الإمام أبو إسحق إبراهيم بن عمر
ي والفقيه الإمام أبو العتيق أبو بكر بن علي بن موسى الحبابي الكازروني ذكر أن شاء الله تعالى والفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله
لقريني والفقيه علي بن سليمان الصنعي النحوي وعنه أخذ شيئاً من كتب الأدب وقرأ النحو على الفقيه شهاب الدين أحمد
النحوي والفقيه جمال الدين محمد بن موسى الزواي وغيرهم وتفقه به جماعة كثيرون منهم ولده ومحمد بن عمر بن سنجر عان
قاسم بن الحكم بن محمد بن إبراهيم العلوي وأحمد بن عبد اللطيف الشرجي وإسمعيل بن إبراهيم البومه وأبو بكر بن إبراهيم
ساعي وغيرهم من العرب والزرانيع والجبرت وكان جلوسه في كثير من الأوقات تزيد على خمسة وعشرين طالباً وكان
في اليوم والليلة نحو من خمسة عشر درساً في الأصول والفروع والنحو واللغة والحديث والتفسير والفرائض
ذلك من فنون العلم وذلك حين تدريسه واستوطانه عامة مصنفات كثيرة منها تفسير القرآن الكريم
المسمى كشف التنزيل وتحقيق التأويل مجلدين ضخمين وكتاب الجوهر النضيد شرح مختصر القدوري في الفقه
في أربع مجلدات وكتاب السراج الوهاج شرح مختصر القدوري أيضاً في ثمانية مجلدات وشرح منظومة شيخه السراج أبو بكر
علي الهاملي في الفقه في مجلدين كبيرين وكتاب النور المستغني في شرح منظومة الإمام العلامة نجم الدين عمر النسفي
في الخلافيات في مجلد كبير وشرح قيد الأوابد في الفقه المسمى بالرحيق المختوم في مجلد لطيف وسارت بهذه التصانيف
الركبان وانتشرت في أيدي الطلبة بكل مكان وكان كثير العبادة قليل المخالطة للناس لا يأكل الا من أجرة النسخ إلى
أن كف بصره قبل موته بقليل ثم كان على الفتوح إلى أن توفي في السادس من جمادى الأولى سنة ثمان وكانت
ولادته في رجب الفرد سنة عشرين وسبعمائة رحمه الله تعالى انتهى ما وجد من الترجمة المذكورة على ما في خط الملا الحنفي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرمنا بالنور المبين، وهدانا للحق اليقين، وكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، والصلوة والسلام على نبي الرحمة وإمام الحكمة المنتخب من طينة الكرم والمجد الأقدم سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله الطاهرين وصحابته الطيبين.

قوله عز وجل بسم الله الرحمن الرحيم تعليم منه بها لذكر والاسم عند افتتاح القراءة وغيرها تبركا به ومعناه ابدأ بسم الله لان حرف الباء مع سائر حروف الجر لها بد من فعل مضمر او مظهر فكان حقه الباء في هذه الآية لكنهم حذفوا واختلف الناس في معنى استفتاح الاسم واكثر اهل اللغة على انه مشتق من السمو وهو الرفعة وقيل لان الاسم يسمو الى المسمى ويدل عليه والدلالة عليه وقال بعضهم مشتق من السمة وهي العلامة فكان الاسم علامة للمسمى ٥ واما الله فقال بعضهم هو اسم الاله كما ان له مثل فرس ورجل وجبل ومعناه عند اهل اللسان المستحق للعبادة ولذلك سمت العرب الصنم الها لان العبد من امر نزل به فالهه اي اجاره وامنه ويقال للهاء لو اليه الهها كما قالوا اللاه يقرء اما انا فمعناه ان الخلق يألهون ويتضرعون اليه في الحوائج والشدائد واختلفوا في بسم الله الرحمن الرحيم هل هي اية من الفاتحة فقال قراء الكوفة هي اية منها واما اهل المدينة والبصرة وما فوقها الرحمن الرحيم فيهما اسمان من الرحمة وزنهما من الفعل ندبهم وندمان من المنادمة وفعلان ابلغ من الفعيل وهو من ابنية المبالغة ولا يكون الا في الصفات كقولك شبعان وغضبان ولهذا كان اسم الرحمن مختصا بالله لا يوصف به غيره واما اسم الرحيم فمشترك وقد سمى عثمان رضي الله عنه عبد ربه رحيما وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرحمن العاطف على جميع خلقه بادرار الرزق عليهم فالرحمة معنى الله هي الانعام على المحتاج وهي من الآدميين رقة القلب وانما جمع بين الرحمن والرحيم للمبالغة في الرحمة وقال ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر ولو قال لطيفان لكان احسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب في اوائل الكتب باسمك اللهم حتى نزل بسم الله مجراها فكتب بسم الله الرحمن الرحيم فنزل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن فنزل بسم الله الرحمن الرحيم في سورة النمل فكتب كذلك بسم الله الرحمن الرحيم فان قيل لم قدم اسم الله على الرحمن قيل لانه اسم لا ينبغي الا لله عز وجل وقيل في تفسير قوله تعالى هل تعلم له سميا اي هل تعرف في السهل والجبل والبر والبحر والمشرق والمغرب احدا اسمه الله غير الله ٥ وقيل هو اسمه الاعظم وقدم الرحمن على الرحيم لان الرحمن اسم خاص بالله والرحيم مشترك يقال رجل رحيم ولا يقال رجل رحمن وقيل الرحمن امدح والرحيم رءوف وانما اسقطت الالف من اسم الله واصله باسم الله لانها كثرت على السنة العرب عند الاكل والشرب والقيام والقعود فحذفت اختصارا للحظ وان ذكرت اسما غيره من اسماء الله لم تحذف الالف لقلة الاستعمال نحو تزكى باسم ربه وباسم العزيز وان اثبتت بحرف سوى الباء لم تحذف الالف ايضا نحو تزكى بسم الله حلافا في القلوب وليسا سم كاسم الله وكذلك باسم الرحمن واسم الجليل واقرء باسم ربك

وقف مدرسة الاحمدية بمدينة حلب المحمية

سورة الفاتحة سبع ايات وخمس وعشرون كلمة ومائة وثلث وعشرون حرفا وهي مكية عند ابن عباس ومدنية عند مجاهد وقتادة والله اعلم قوله عز وجل الحمد لله رب العالمين الحمد والشكر نظيران الا ان الحمد اعم من حيث ان فيه معنى المدح من المنعم عليه وغير المنعم عليه ولا يكون الشكر الا من المنعم عليه ٥ والشكر اعم من الحمد من حيث انه يكون من اللسان والقلب والجوارح والحمد لا يكون الا باللسان وبينهما العموم والخصوص بينهما فنقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران وقوله رب العالمين الرب في اللغة اسم لمن يربي الشيء ويصلحه يقال لسيد العبد رب ولزوج المرءة رب وللمالك رب ولا يقال الرب معرفا بالالف واللام الا لله عز وجل والله تعالى هو المربي والمحول من حال الى حال من نطفة الى علقة الى مضغة الى غير ذلك الى اجل مسمى وقوله رب العالمين العالم جمع لا واحد له من لفظه كالنفر والرهط وهو اسم لمن يعقل مثل الانس والجن والملئكة لانك لا تقول رايت عالما من الابل والبقر والغنم الا انه دخل اسم العالم في هذه السورة على كل ذي روح دب ودرج لتغليب العقلاء وعلى غيرهم عند الاجتماع وربما قيل للسموات وما دونها مما احاطت به عالم كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله تعالى بضعة عشر الف عالم وان دنياكم منها عالم وقوله الرحمن الرحيم قد تقدم تفسيره وقوله عز وجل مالك يوم الدين اي يوما يحاسب فان قيل لم خص يوم الدين وهو ملك الدنيا والاخرة قيل لان الله تعالى لم ينازعه احد في ملك ذلك اليوم كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ٥ وقرء عاصم وابن كثير ملك يوم الدين بالالف والباقون بغير الف قال اهل اللغة هما لغتان مثل فرح وفرح وحذر وحاذر وقال ابو عبيدة الملك اعم من المالك لان المالك قد يكون غير ملك ولا يكون الملك الا مالكا ٥ وروي ان ابا هريرة رضي الله عنه كان يقرء مالك يوم الدين على النداء المضاف اي يا مالك يوم الدين وقرء انس بن مالك ملك يوم الدين جعله فعلا ماضيا قوله عز وجل [illegible] بجز ادخال الباء في غير المضمرات وحكي عن الخليل اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياي الثواب فاضافه الظاهر وهو قبيح مع جواز ولا يكون الا اذا تقدم فان تاخر قلت نعبدك ولا يجوز نعبد اياك ٥ فان قيل لم قدم هاهنا اياك نعبد وهلا قال نعبدك قيل ان العرب اذا ذكرت شيئين قدمت الاهم فالاهم منهما وذكر المعبود في هذين الايتين هم من ذكر العبادة فقدمه عليها واكتفى من اياك في موضع خفض بمنزلة عصاك واجاز الفراء في موضع نصب فكانه جعل اياك بكمالها ضمير المنصوب فان قيل لم عدل عن الغيبة الى المخاطبة قلنا مثله كثير في القرآن قال الله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم قوله عز وجل [illegible] اي ارشدنا الطريق القايم الذي ترضاه وهو طريق الاسلام وهذا دعاء ومثله بلفظ الامر قولك لمن دونك والسائل لمن فوقك فان قيل ما معنى قولكم اهدنا وانتم مهتدون قيل هذا سؤال في مستقبل الزمان عند دعوة الشيطان وقيل معناه ثبتنا على الطريق المستقيم ولا تقلب قلوبنا بمعصيتنا ونظيره قول تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين اي اثبت على الاسلام وفي الصراط اربع لغات صراط بالصاد وسراط بالسين وبازاد الخالصة وبالاشمام الصاد الذي كالزاي كما قد قرء به فالسين قرءة خلف والاشمام زايا قرءة خلف وقرء الباقون بالصاد الخالصة الصافية وقوله تعالى [illegible] هم بنياء واهل طاعة الله تعالى واختلف القراء في صراط فقرء قنبل عز وجل [illegible] والضالين هم النصارى واما ايين فليس من السورة وكلن روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقوله ويامر به وقال لقني جبريل عليه السلام بعد قراءتي من فاتحة الكتاب امين وقال انه كالطابع على الكتاب

لتقبيح

اى اعنا عليهم في اقامة حجته واظهار دينه كما وعدنا روي عن عبد الله
بن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال غفرانك ربنا واليك المصير قال
قد غفرت لكم فلما قال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قال لا واخذكم
فلما قال ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال لا احمل عليكم
فلما قال ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال اخفكم فلما قال واعف عنا
واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم
وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وكان معاذ بن جبل
اذا ختم هذه السورة قال امين ـ وعن الحسن والضحاك ومجاهد
وجماعة من المفسرين ان قوله تعالى امن الرسول الى اخر السورة كان
في قصة المعراج فانه لما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى
قال له جبريل انى لم اجاوز هذا المكان ولم يؤمر بمجاوزته احد
غيرك فامض انت قال النبي صلى الله عليه وسلم فمضيت حتى
انتهيت الى ما اراد الله تعالى فاشار جبريل عليه السلام ان سلم على ربك
فقلت التحيات لله والصلوات والطيبات فقال الله عز وجل
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال النبي صلى الله
عليه وسلم فاحببت ان يكون لامتي حظ في السلام فقلت السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين فقال جبريل واهل السموات كلهم
واشهد ان محمدا عبده ورسوله فقال الله تعالى امن الرسول بما انزل اليه
من ربه فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يترك امته في الكرامة والفضيلة
فقال صلى الله عليه وسلم والمؤمنون كل امن بالله وملائكته
وكتبه ورسله الآية قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية
فقال جبريل عليه السلام عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ربنا لا تؤاخذنا
صلى الله عليه وسلم سل تعط فقال صلى الله عليه وسلم ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطانا الى اخر السورة فلما رجع رسول الله صلى الله عليه و
سلم اوحى الله تعالى اليه بهذه الايات ليعلم امته بذلك او يعلمهم
كيف يدعون الله تعالى وقد تقدم فضل السورة والله الموفق

سورة آل عمران

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة شؤون المكتبات - قسم المخطوطات
رقم الحاصل _____
التاريخ ١٤١٠/١٢/١٩ هـ

سورة آل عمران وهي اربعة عشر الف حرف وخمسمائة وعشرون
وثلاثة الاف كلمة وآلم بمعايه وثمانون كلمة وثمانية آيه قال صلى
عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلى الله وملائكته عليه
حتى تجب الشمس وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ آل عمران اعطي بكل
منها اماناً على جسر جهنم وقال صلى الله عليه وسلم تعلموا البقرة وآل
فانهما الزهراوان وانهما يأتيان يوم القيمة في صورة ملكين يشفعان
حتى تدخلا الجنة وفضايلها اكثر من ان تحصى

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله قال ابن عباس معناه انا الله اعلم ويقال هو قسم اقسم الله بانه
لا شريك له ولا معبود للخلق سواه وقد تقدم تفسير الحروف المقطعة
اول سورة البقرة قال انس رضي الله عنه نزلت هذه الآية في وفد نجران و
ستون راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم اربعة عشر
من اشرافهم وفي الاربعة عشر ثلثة يؤول امرهم اليهم العاقب امير الوفد
وصاحب مشورتهم الذين لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح والثاني ا
الايهم صاحب رحلهم وابو حارثة بن علقمة امامهم وصاحب مدارسهم و
قد درس كتبهم حتى حسن علمه فيهم وفي دينهم فدخلوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مسجده وقت صلوة العصر وعليهم ثياب الحبرات جب
وارديه موا واقبلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجهوا الى
ناحية المشرق فقال صلى الله عليه وسلم للعاقب والايهم اسلما فقالا قد اسلمنا
قبلك فقال كذبتما يمنعكما عن الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب
واكلكما الخنزير فقالا فان لم يكن ولد الله فمن ابوه فخاصموه جميعا في
عيسى عليه السلام فقال صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون
ولدا الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت
وان عيسى يأتي عليه الفنا قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل
شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا
لا قال الستم تعلمون ان الله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا غير ما علمه الله قالوا لا قال
فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا
يحدث الستم تعلمون ذلك قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته
امه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ثم غذي كما يغذي الصبي
فكان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم
فسكتوا فانزل الله عز وجل فيهم اول سورة آل عمران الى بضع وثمانين
اية فيها فقال الله عز وجل الم الله لا اله الا هو الحي القيوم الى هذا الدليل
الذي لا ند له الذي لا يموت ولا يزول والقيوم القايم على كل نفس بما كسبت
واكثر القراء على فتح الميم من الم ولفتح وجهان انه لما كانت الميم بعدنا

قسم التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى أكرمنا بالنور المبين ، وهدانا للحق اليقين ، كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

والصلاة والسلام على نبي الرحمة وامام الحكمة المنتخب من طينة الكرم وسلالة المجد الأقدم ، سيد المرسلين وخاتم النبيين و على آله الطيبين (١) الطاهرين .

(١) قوله عز وجل : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) تعليم منه سبحانه ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة و غيرها تبركا به . ومعناه : ابدأ بسم الله ، لأن حرف الباء مع سائر حروف الجر لا يستغني عن فعل (٢) مضمر أو مظهر ، فكان ضمير الباء في هذه الآية الأمر . (٣)

واختلف الناس في معنى اشتقاق الاسم ، وأكثر أهل اللغة على أنه مشتق من السمو وهو الرفعة . (٤) ومعنى الاسم التنبيه على المسمى والدلالة عليه .

وقال بعضهم : مشتق من السمة وهي العلامة (٥) ، فكان الاسم علامة للمسمى .

---

(١) في م " النائبين " .

(٢) قوله : " لا يستغني عن فعل " أى لابد له من متعلق ، وهو الفعل عند الكوفيين وقد حذف هنا لدلالة الكلام عليه .
ولبسط القول في هذه المسألة راجع : مغني اللبيب ص : ٥٦٦ ، والدر المصون ١/٢٢ - ٢٣ ، والتبيان في اعراب القرآن ١/٣

(٣) انظر نحو هذا المعنى في تفسير البغوى : ١/٣٧ ، وتفسير الخازن : ١/١٧
وحكاه السمين الحلبي عن الفراء . انظر : الدر المصون ١/٢٣

(٤) انظر : الصحاح ٦/٢٢٨٣ مادة " سما " ، ومعاني القرآن واعرابه للزجاج ١/٤٠ ، ومشكل اعراب القرآن ١/٦٦

(٥) انظر : اللسان ١٤/٤٠١ مادة " سما " ، ومشكل اعراب القرآن ١/٦٦ .
وهذا قول الكوفيين ، والأول قول البصريين .
قال مكي عن قول الكوفيين : وقولهم أقوى في المعنى ، وقول البصريين أقوى في التصريف .
وقال العكبرى عن قول الكوفيين : وهذا صحيح في المعنى ، فاسد اشتقاقا .
انظر : مشكل اعراب القرآن ١/٦٦ ، والتبيان في اعراب القرآن ١/٣

وأما الله [١] فقال بعضهم : هو اسم علم [٢] لا اشتقاق له [٣]، مثل قولك : فرس ورجل وجبل . ومعناه عند أهل اللسان : المستحق للعبادة ، ولذلك سمت العرب أصنامهم آلهة لاعتقادهم استحقاقها للعبادة . [٤]

وقال بعضهم : هو من قولهم : ألـه الرجل الى فلان يألـه ألهـا اذا فزع اليه من أمر نزل به ، فألهه أى أجاره وأمنه . ويقال للمألوه اليه اله ، كما قالوا للمؤتم به امام . ومعناه : أن الخلائق يألهون ويتضرعون اليه في الحوائج والشدائد . [٥]

---

(١) في ط بعد قوله " وأما الله " عبارة " عز وجل " .

(٢) في ط " هذا الاسم لا اشتقاق له " .

(٣) وقد رجح هذا القول الزجاج والسمين الحلبي ، وحكم بصحته الفيروزآبادى . انظر تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص : ٢٥ ، والدر المصون ١ / ٢٤ والقاموس المحيط ص ١٦٠٣ مادة (ألـه) .

(٤) انظر الصحاح ٦/٢٢٢٤ مادة (ألـه) ، واللسان ١٣/٤٦٧ مادة (ألـه) .

(٥) انظر زاد المسير ١/٩ ، وتفسير القرطبي ١/١٠٣ ، واللسان ١٣/٤٦٩ مادة (ألـه) .

ويرى ابن القيم رحمه الله أن اسم الله تعالى مشتق ، حيث قال ـ في معرض رده على من زعم أنه غير مشتق بحجة أن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها ، واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له ـ قال : " ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ولا ألم بقلوبهم ، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى ، وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى ، كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير ، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة .... ثم إن الجواب عن الجميع أننا لا نعني بالإشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى ، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله " .

بدائع الفوائد ١ / ٢٢

واختلفوا في " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ " هل هي آية من الفاتحة ؟

فقال قراء الكوفة : هي آية منها .(١) وأبى ذلك أهل المدينة وأهل البصرة .(٢)

وأما قوله " الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ " فهما اسمان مأخوذان من الرحمة ، وزنهما من الفعل ندیم ونديمان من المنادمة ، وفعلان أبلغ من فعيل (٣) ، وهو من أبنية المبالغة ولا يكون الا في الصفات كقولك (٤) شبعان و غضبان ، ولهذا كان اسم الرحمن مختصا بالله لا يوصف به غيره ، وأما اسم الرحيم فمشترك .(٥)

و عن عثمان (٦) رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال :

" الرحمن : العاطف على جميع خلقه بادرار الرزق عليهم " .(٧)

---

(١) انظر أحكام القرآن للجصاص ١ / ٨

(٢) انظر المصدر السابق ، وتفسير البغوى ١/ ٣٨

والخلاف بين العلماء في هذه المسألة مشهور ، وخلاصته : أنهم متفقون على أنها بعض آية من سورة النمل . ثم اختلفوا : هل هي آية من كل سورة ؟ أو أنها آية من الفاتحة وحدها ؟ أو أنها ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها ؟ .

ولعل القول بأنها ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور هو أوفق الأقوال وأرجحها والله أعلم . وهو مذهب جماعة من العلماء منهم أبو حنيفة وأصحابه ، ومالك ، وأحمد في رواية ، قال ابن قدامة : وهي المنصورة عند أصحابه .

وانظر بسط الأقوال وأدلتها في هذه المسألة في أحكام القرآن للجصاص ١ / ٨ ــ ١١ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١ / ٥ ــ ٦ ، وتفسير القرطبي ١/ ٩٢ ــ ٩٣ ، والمغني لابن قدامة ١/ ٤٨٠ ــ ٤٨١ ، وتفسير ابن كثير ١/ ١٧

(٣) في م " من الفعيل " .

(٤) في ط " كقولهم " .

(٥) انظر الصحاح ٥ / ١٩٢٩ مادة " رحم " ، ومفردات الراغب ص ٢٧٩ مادة " رحم " ، ومعاني القرآن واعرابه للزجاج ١/ ٤٣ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٢٢

(٦) هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي ، ثالث الخلفاء الراشدين وأحد المبشرين بالجنة ، قتل سنة ٣٥ هـ . انظر الاصابة ٢/ ٤٥٥ ــ ٤٥٦

(٧) هذا جزء من حديث ذكره القرطبي في تفسيره ١/ ١٠٧ ولم أجده عند غيره .

وفيه : " ... وأما الرحمن : فالعاطف على البر والفاجر من خلقه ... " .

فالرحمة من الله : هي الانعام على المحتاج .(١) ومن الآدميين : رقة القلب .

وانما جمع بين الرحمن والرحيم للنهاية في الرحمة والاحسان بعد الاحسان .(٢)

وعن ابن عباس (٣) رضي الله عنهما أنه قال : هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر (٤) ، ولو قال لطيفان كان (٥) أحسن .(٦)

وقال الخطابي في هذا المعنى : " الرحمن : ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم ومصالحهم ، وعمت المؤمن والكافر " . زاد المسير ١ / ٩

(١) في هذا القول تأويل لصفة الرحمة لله تعالى .
ومذهب أهل السنة والجماعة في ذلك هو اثبات صفة الرحمة لله حقيقة على مايليق بجلاله وعظمته ـ كسائر صفاته ـ كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة ، فيثبتون لله ما أثبته لنفسه من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل .

(٢) انظر نحو هذا المعنى في تفسير القرطبي ١/١٠٥

(٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو حبر الأمة وترجمان القرآن ، مات في الطائف سنة ٦٨ هـ في قول الجمهور .
انظر الاصابة ٢ / ٣٢٢

(٤) انظر تفسير البغوى ١ / ٣٨ ، والدر المنثور ١ / ٢٤

(٥) في ط ، م : " لكان " .

(٦) ووجه ذلك أن من أسماء الله " اللطيف " دون " الرقيق " فلم يرد فيها .
وقد استشكل الخطابي قول ابن عباس " رقيقان " فقال : وهذا مشكل ، لأن الرقة لا مدخل لها في شيء من صفات الله تعالى .
انظر : تفسير القرطبي ١ / ١٠٦ ، والدر المصون ١/ ٣١
قلت : قد ورد في قول ابن عباس عند بعض المفسرين زيادة إيضاح وبيان . فقد نقلوا عنه قوله : " هما اسمان رقيقان ، أحدهما أرق من الآخر ، أى أكثر رحمة " .
انظر المصدرين السابقين ، وتفسير ابن كثير ١ / ٢٢
وقال بعضهم : هذا وهم من الراوى ، وانما هما اسمان رفيقان أحدهما أرفق من الآخر ، والرفق من صفات الله عز وجل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف " . انظر المصادر السابقة .
والحديث أخرجه البخارى في صحيحه في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين ، باب اذا عرض الذمي و غيره بسب النبي صلى الله عليه و سلم رقم (٦٥٢٨) .
ومسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة ، باب فضل الرفق رقم (٢٥٩٣) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب في أوائل الكتب في أول الاسلام " باسمك اللهم "
حتى نزل (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا) (١) / فكتب " بسم الله " . (٢ / ب)
ثم نزل (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ) (٢) فكتب " بسم الله الرحمن " ،
فنزل (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) في سورة النمل (٣) ، فكتب حينئذ " بسم الله
الرحمن الرحيم " . (٤) فان قيل : لم قدم اسم الله على الرحمن الرحيم ؟ قيل : لأنه اسم
لا ينبغي الا لله عزّ وجلّ . (٥)
وقيل في تفسير قوله تعالى : (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) (٦) أي هل تعرف في السهل والجبل
والبر والبحر والمشرق والمغرب أحدا اسمه الله غير الله . (٧)
وقيل : هو اسمه الأعظم . (٨) وقدم الرحمن على الرحيم لأن الرحمن اسم خاص به الله
والرحيم مشترك . (٩)

---

(١) من الآية ٤١ من سورة هود .
(٢) الاسراء ١١٠
(٣) الآية ٣٠ وهي قوله تعالى (إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) .
(٤) انظر تفسير البغوى ١ / ٣٩ ، وتفسير القرطبي ١ / ٩٢
(٥) انظر نحو هذا المعنى في تفسير القرطبي ١ / ١٠٢ ، وتفسير ابن كثير ١/٢٢ ـ ٢٣
(٦) من الآية ٦٥ من سورة مريم .
وهي قوله تعالى (ربّ السمواتِ والأرضِ وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) .
(٧) انظر معناه في تفسير البغوى ٣ / ٢٠٣ ، وزاد المسير ٥ / ٢٥١ ، وتفسير القرطبي ١١/١٣٠ . وهو مروى عن قتادة والكلبي .
(٨) انظر تفسير القرطبي ١ / ١٠٢ ، والدر المنثور ١ / ٢٣ وذكره عن ابن عباس .
(٩) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٢ ـ ٢٣ ومفردات الراغب ص ٢٧٩ مادة (رحم) .
قال الراغب الأصبهاني : ولا يطلق الرحمن الا على الله تعالى من حيث أن معناه لا يصلح الّا له ، اذ هو الذى وسع كل شيء رحمة . والرحيم يستعمل في غيره ، وهو الذى كثرت رحمته .

ويقال : رجل رحيم ولا يقال [١] رحمن . وقيل : الرحمن أمدح ، والرحيم أرأف . [٢] [٣]

وانما أسقطت الألف من اسم الله وأصله " باسم [٤] الله " لانها كثرت على ألسنة العرب عند الأكل والشرب والقيام والقعود فحذفت اختصارا من الخط . [٥]

فان ذكرت اسما غيره من أسماء الله لم تحذف الألف لقلة الاستعمال ، نحو قولك : " باسم الرب [٦] ، وباسم العزيز " [٧] . وان أتيت بحرف سوى الباء لم تحذف الألف أيضا نحو قولك : لاسم الله حلاوة في القلوب ، وليس اسم كاسم الله . [٨]

وكذلك : باسم الرحمن وباسم الجليل ، و (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) . [٩]

---

(١) في م عبارة " رجل " بعد قوله " ولا يقال " .

(٢) في ط " أرق " .

(٣) قلت : وأحسن ما قيل في معنى هذين الاسمين الكريمين : " أنهما وصفان لله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى ، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم ، لأن الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة والرحيم ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة ، وعلى هذا أكثر العلماء " ١٠ هـ . من أضواء البيان ١/٣٩ ـ ٤٠

(٤) في أ " بسم " وهوخلاف ما ذكره من التفصيل بعده . والتصويب من ط ، م .

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ١ / ١ ـ ٢ ، ومعاني القرآن للأخفش ١ / ١٤٧

(٦) في أ " باسم رب " وهو يخالف ما ذكره . والتصويب من ط ، م .

(٧) انظر معاني القرآن للفراء ١ / ١ ـ ٢ ، والتبيان في اعراب القرآن ١ / ٣ ، والدر المصون ١ / ٢١

(٨) انظر مشكل اعراب القرآن ١ / ٦٥ ـ ٦٦ ، ومعاني القرآن للفراء ١ / ٢

(٩) من الآية الأولى من سورة العلق ، وهي قوله تعالى : **(اقرأ باسم ربك الذى خلق)** .

وانظر التبيان في اعراب القرآن ١ / ٣ ، وتفسير القرطبي ١ / ٩٩

سُـــورَةُ الفَـاتِحَـــــةِ

سـبع آيـات [١] ، وخمس و عشرون كلمـة ، ومائـة وثـلاث و عشرون حرفـا . [٢]

وهي مكيـة عند ابن عباس [٣] ، ومـدنيـة عنـد مجاهـد [٤] وقتـادة [٥] [٦] . واللـه أعـــلم .

---

(١) ونقل في هـذا الاتفاق .

انظر : تفسير القرطبي ١١٤/١ ، وتفسير ابن كثير ١٠/١ ، وفتح البارى ٩/٨

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١٠/١

(٣) وهو قول الجمهور .

انظر : أسباب نـزول القرآن للواحد ى ص ١٧ ، وتفسير القرطـــــــبي ١ / ١١٥ وتفسير ابن كثير ٩/١ ، وتفسير البغوى ٣٧/١

(٤) هو مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى السائب بن أبي السائب المخزومـــي ، المقرىء المفسر الامام . روى عن ابن عباس . ومات بمكة سنة ١٠٢ هـ .

انظر : طبقـات المفسرين للد اود ى ٣٠٥/٢ ـ ٣٠٨ ، وخلاصـة تذ هيـــــب تهـذ يب الكمال ص ٣٦٩

(٥) هو قتاد ة بن د عامة السد وسي ، أبو الخطاب البصرى الأكمـه .

قال أحمد : كان قتاد ة أحفظ أهل البصرة ، لم يسمع شيئا الا حفظه . مات سنة ١١٧ هـ .

انظر : طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٧ ــ ٤٨

(٦) والقول بأنها مد نية اشتهر عن مجاهـد ، أما قتاد ة فروى عنه القول بأنـها مكيـــة . كما هو قول ابن عباس و غـيره . وبـه قال أكثـر العلماء .

واستد لوالذ لك بقوله تعالى في سورة الحجر **(ولقـد ءاتيـنـك سبعـاً مـن المثانـي والقـرءان العظـيم)** . وقد فسرها النبي صلى الله عليه و سلم بالفاتحـة ، حيـــث قال : "الحمد لله رب العالمين " هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذ ى أوتيته . أخرجه البخارى في كتاب التفسير ، باب ما جاء في فاتحة الكتاب .

وسورة الحجر مكية باتفاق . وقد امتن الله على رسوله فيها بها ، فد ل على تقـــــد م نزول الفاتحة عليها ، اذ يبعد أن يمتن عليه بما لم ينزل بعـــد .

كما أنه لا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكـة ، ولم يحفظ أنه كان في الاسلام صـــــلاة بغير الفاتحـــــة .

انظر : تفسير القرطبي ١١٥/١ ، وتفسير ابن كثير ٩/١ ، والاتقان في علوم القـــرآن ٣٤/١

الآيـــة : ٢ الفاتحـــة

(٢) قوله تعالى عزوجـل : (الْحَمْدُ لِلَّـهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِـينَ) .

الحمد والشكر نظيران ، الا أن الحمد أعـمّ من حيث أن فيه معنى المد ح مـــن المنعم عليـــه [و غـير المنعـم(١) عليـه] ولا يكون الشكر الا من المنعم عليه .

والشكر أعمّ من الحمد من حيث إنه يكون من (٢) اللسان والقلب والجوارح ، والحمـــــد لا يكون الاّ باللسان . ويثبـين(٣) الفرق بينهما بنقيضيهما ، فنقيض الحمـد الـــذم ، ونقيـض الشـكر الكفـران .(٤)

وقوله (رَبِّ الْعَـٰلَمِـينَ) : الرب في اللغة : اسم لمن يربي الشيء ويصلحـــــــه .

يقال لسيد العبـــد رب ، ولزوج المرأة رب ، وللمالك رب ، ولا يقال الرب معرفـــا بالألف واللام الاّ للّـــه عز وجل (٥) ، والله تعالى هو المربي والمحول من حال الى حـــال ، من نطفة الى علقـة الى مضغـة الى غير ذ لك الى أجل مسمـى .

وقولـه (رَبِّ الْعَـٰلَمِـينَ) : العـالم جمع لا واحد لـه من لفظـه كالنفر والرهـــط ، وهـواسم لمـن يعقـل مثـل الانـس والجـن والملائكـة ، لأنـك لا تقـول رأيت عالمـــا

---

(١) ما بـين المعقوفتـين من ط ، م .

(٢) في ط : " باللسـان " .

(٣) في أ : " وتدبير " . والتصويب من م .

(٤) انظر نحو ما ذكره من الفروق بين الحمد والشكر في : الكشاف للزمخشري ١ / ٨ ـ ٩ وتفسير ابن كثير ١ / ٢٤

قال ابن كثير : " والتحقيق أن بينهما عموما وخصوصا ، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه ، لأنـه يكون على الصفات اللازمة والمتعد يـة ، تقـول : حمدتـــه لفروسيتـــه وحمد تـه لكرمـه . وهو أخـص لأنـه لا يكون الا بالقـول .

والشكر أعم من حيث ما يقعان عليـه ، لأنـه يكون بالقول والفعل والنيـة ، وهـــو أخص لأنـه لا يكون الا على الصفات المتعد يـة ، لا يقال : شكرتـه لفروسيتـــــه ، وتقول : شكرتـه على كرمـه وإحسانـه ... " .

(٥) انظـر الصحاح ١ / ١٣٠ مـادة (ربـب) ، واللســـــــان ١ / ٣٩٩ مـادة (ربـــب) .

الآيـــة : ٢ الفاتحـــة

مـن الابـل والبقـر والغـنم[١] ، الا أنـه حمـل اسم العـالم في هـذ ه السورة عـلى كـــل ذ ى روح د ب ود رج لتغليب العقـلا ء على غيرهم عنـد الاجتماع .[٢] وربمـا قيل للسمـوات وما د ونهـا ممـا أحاطت بـه عـالم ، كما روى عن النـبي صلى الله عليه و سلم أنه قـال : " ان للـه ثمانية عشر ألف عالم ، وان د نياكم منها عالم " .[٣] وقولـه (**الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِـيمِ**) : قـد تقـد م تفسـيره .

---

(١) انظر : مفرد ات الراغب ص ٥١٥ مادة (علم) ، وتفسير البغوى ١ / ٤٠ ، وتفسير القرطبي ١٣٨/١ ، وتفسير ابن كثير ٢٥/١ ، وحكاه ابن كثير عن الفراء وأبي عبيد . وقال ابن قتيبة : العالمون : أصناف الخلق الروحانيين ، وهم الانس والجـن والملائكـة ، كل صنف منهم عالم .

تفسير غريب القرآن لابن قتيبـة ص ٣٨

وروى عن أبي العالية وابن عباس نحوه . انظر تفسير ابن أبي حاتم ١٥/١ ـ ١٦ ، وزاد المسير ١٢/١ . وروى عن ابن عباس أيضا ومجاهد وسعيد بن جبير : أنهم الجـن والانس فقط . قال ابن عباس : لأنهم مكلفون بالخطاب . واستدل بقوله تعـالى **(ليكون للعـلمين نـذ يـرا)** .

وقال القرطبي بعد استدلاله بالآية : ولم يكن نذ يرا للبهائم .

انظر : تفسير الطبرى ١٤٤/١ ـ ١٤٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١٥/١ ـ ١٦ ، وتفسـير البغوى ٤٠/١ ، وتفسير القرطبي ١٣٨/١ ، وتفسير ابن كثير ٢٥/١ ، والـدر المنثـور ٣٣/١ ـ ٣٤

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٣٨/١ ، ومفرد ات الراغب ص ٥١٥

(٣) لم أجد هـذ ا حد يثـا مرفوعـا الى النبي صلى اللـه عليه وسلم ، وانما روى ذلـك عن وهب بـن منبـه . انظر : تفسير البغوى ٤٠/١ ، والد ر المنثور ٣٤/١

وقال قتاد ة :العالمون : جمع عالم ، وهوكل موجود سوى الله تعالى .

انظر : تفسير القرطبي ١٣٨/١ ، وتفسير البغوى ٤٠/١

وقد رجح القرطبي هـذ االقول ، قال : لأنـه شامل لكل مخلوق وموجود ،ود ليله قولـه تعالى **(قال فرعـون وما رب العـلمين * قال رب السموات والأرض وما بينهمـا)** ـ الشعـراء ٢٣ ـ ٢٤

ثم هو مأخوذ من العلم والعلامة ، لأنه يد ل على موجـد . ا هـ .

وفي كلام ابن كثير ما يفهم منه ترجيح هـذ ا القول أيضا . انظر : تفسير القرطـبي ١٣٩/١ ، وتفسير ابن كثير ٢٦/١ . وانظر نفس المعنى في أضواء البيان ١ / ٣٩

الآيـــة : ٣ الفاتحـــة

(٣) / وقوله عز وجل (مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) : أي يوم الحســـاب .[١] (٣/أ)

فان قيل : لم خص يوم الديـــن وهو ملك الدنيا والآخرة ؟ قيل : لان الله تعالى لا ينازعه أحد في ملك ذلك اليوم[٢] ، كما قال تعالى : (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِـــــدِ الْقَهَّـــارِ)[٣] . وقرأ عاصم[٤] والكسائي[٥] (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) بالألـــــف .[٦] والباقون[٧] بغير ألـــف .[٨]

---

(١) وبهذا قال جمهور المفسرين . انظر تفسير الطبرى ١/١٥٥ - ١٦٠ ، وتفســـــير ابن أبي حاتم ١/١٩ ، والدر المنثور ١/٣٧ ، وتفسير القرطبي ١/١٤٣ .
يقول الامام ابن جرير الطبرى : " والدين في هذا الموضع بتأويل الحساب والمجازاة بالأعمـــال " .

(٢) انظر نحو هذا في تفسير القرطبي ١/١٤٣
وقال البغوى : " وانما خص يوم الدين بالذكر - مع كونه مالكا للأيام كلهـــا ، لأن الأملاك يومئذ زائلة ، فلا ملك ولا أمر الا له " . ثم استدل لذلك ببعـــض الآيـات . تفسير البغوى ١/٤٠

(٣) الآية ١٦ من سورة غافـر .

(٤) هو عاصم بن بهدلة بن أبي النجـود ، أبو بكر الأسدى ، مولاهم الكوفي ، شيـــخ الاقراء بالكوفة وأحد القراء السبعة . اختلف في وفاته . وجزم ابن الجزرى أنه توفـــي سنة ١٢٧ هـ . انظر غاية النهايـــة ١/٣٤٦ - ٣٤٩

(٥) هو علي بن حمـزة بن عبد الله الأسدى مولاهم أبو الحسن الكسائي الامام الذى انتهـت اليـه رئاسة الاقراء بالكوفة بعد حمزة الزيـات ، وأحـد القراء السبعة . مات سنـــة ١٨٩ هـ . انظر : غايـة النهايـــة ١/٥٣٥ - ٥٣٩

(٦) انظر : الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ١/٧ ، والتيسير في القراءات السبـع لأبي عمرو الداني ص ١٨ .

(٧) أى بقية القراء السبعة ، وهم : نافع بن عبد الرحمن المدني ، وعبد الله بن كثـير المكي ، وعبد الله بن عامر الدمشقي ، وحمزة بن حبيب الزيات ، وأبو عمرو بن العلاء
انظر التبصرة في القراءات السبع لمكي ص ١٩٤

(٨) انظر التيسـير لأبي عمرو الدانـي ص ١٨

الآيـــة : ٣ الفاتحـــة

قـال أهـل النحـــو : " مـلـك " أمـدح من " مالك " ، لأن المالك قد يكون فـي[1] غير مـلـك ، ولا يكون الملك الا مالكـــا .[2]

وروى أن أبا هريـــرة[3] رضي الله عنه كان يقرأ (مَـالِـكِ يَـوْمِ الـدِّيـنِ) على النـداء المضـــاف أى : يا مالك يوم الديـــن[4] .

وقرأ أنس بن مالك[5] (مَـلَـكَ يَـوْمِ الـدِّيـنِ) جعله فعـلا ماضيـا .[6]

---

(١) في ط " غير ملك " بحذف " في " ، ولـعله أولى من اثباتها .

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٩/١ ، وزاد المسير ١٣/١ والحجة للقراءات السبعة ٩/١ ، وتفسير القرطبي ١٤٠/١ .
وقال ابن كثير رحمه الله : وقـد رجح كلا من القراءتـين مرجحون من حيث المعـنى وكلاهمـا صحيحة حسنة . تفســـير ابن كثـير ٢٦/١

(٣) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، على خلاف كثير في اسمه ، وقد أجمع أهـــــل الحديث على أنه أكثر الصحابـــة حـديثـــا .
وكان مقدمـــه عام خيبر فأسلم سنة سبع ، ومات سنة ٥٧ .
انظر الاصابـــة ٢٠٠/٤ ــ ٢٠٨

(٤) انظـر الكشاف ١١/١ . وقال ابن جرير الطبرى عن هذه القـراءة : " وأما تأويـــل ذلك في قراءة من قرأ (**مالك يـوم الـديـن**) فانه أراد : يا مالك يوم الديـــن ، فنصبه بنية النداء والدعـاء " . ثم قال عن هـذه القراءة : بأنـها محظورة غـــير جائـــــزة لإجماع جميـع الحجـة من القراء وعلماء الأمـة على رفض القراءة بـها .
انظر : تفسير الطبرى ١٥٢/١ ــ ١٥٤ ، والاتحاف ٣٦٤/١

(٥) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصارى الخزرجي ، خادم رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم ، وأكثر المكثرين من الرواية عنـــه . مات سنة (٩٠) أو (٩١) أو (٩٣) على خلاف في ذلك . انظر : الاصابـة ٨٤/١

(٦) وهـي قراءة شاذة .
انظر : البحـر المحيـط ١ / ٢٠ ، وتفســير ابـن كثـير ٢٦/١ ، والقـــــراءات الشاذة للشيخ عبد الفتاح القاضي ص ٢٤

الآيـــة : ٤ الفاتحـــة

(٤) قوله عز وجل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

لا يحسن ادخال اياك في غير المضمرات .(١)

وحكي عن الخليل (٢) : " اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب " .(٣)

فأضافه الى ظاهر وهو قبيح مع جوازه (٤) ، ولا يكون الا اذا تقدم ، فان تأخر قلت : نعبدك ، ولا يجوز : نعبد اياك .(٥)

فان قيل : لم قدم " اياك نعبد " ، وهلا قال نعبدك ؟

قيل : ان العرب اذا ذكرت شيئين قدمت الأهم فالأهم ، وذكر المعبود في هذه الآية أهم من ذكر العبادة فقدمه عليها .(٦)

والكاف من " اياك " في موضع خفض بمنزلة عصاك .(٧)

---

(١) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج ٤٨/١ ، والكشاف ١٣/١

(٢) هو الخليل بن أحمد الفراهيدى البصرى النحوى الامام المشهور ، صاحب العروض وكتاب العين ، مات سنة ١٧٠ هـ .

انظر غاية النهاية ٢٧٥/١

(٣) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج ٤٨/١ ، والكشاف ١٣/١

(٤) وقال الزمخشرى عنه : شاذ لا يعول عليه . واستقبحه أيضا الزجاج .

انظر المصدرين السابقين .

(٥) انظر مشكل اعراب القرآن ٧٠/١ ، وتفسير القرطبي ١٤٥/١

(٦) انظر : تفسير القرطبي ١٤٥/١ ، وتفسير ابن كثير ٢٧/١

قال ابن كثير : "وقدم المفعول وهو (اياك) وكرر للاهتمام والحصر ، أى لا نعبد الا اياك ولا نتوكل الا عليك ، وهذا هو كمال الطاعة ، والدين كله يرجع الى هذين المعنيين " اهـ .

(٧) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج ٤٨/١ .

وذكر الزمخشرى أن الكاف من " اياك " لبيان الخطاب ، ولا محل لها من الاعراب .

قال : وهو مذهب الأخفش وعليه المحققون .

انظر : الكشاف ١٣/١ ، والتبيان في اعراب القرآن ٧/١

وأجاز الفـراء [١] : أن يكون في موضع نصب ، فكأنـه جعل اياك بكمالـه ضمير المنصوب . [٢]

فان قيل : لـم عـد ل عن المغايبـة الى المخاطبـة ؟

قلنا : مثله كثير في القرآن ، قال الله تعالى : (حَتَّى إِذَا كُنْتُم فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم) . [٣] [٤]

(٥) قوله عز وجـل : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) : أي أرشد نا الطريق القائم الـذ ى ترضـاه وهو الاسـلام [٥] ، وهـذا د عـاء ومسألة بلفظ الأمـر ، لأن الأمـر لمن د ونـك والمسـألة لمـن فوقـك .

فان قيل : ما معنى قولكم " اهدنا " وأنتم مهتد ون ؟ قيل : هـذ اسؤال في مستقبل الزمـان عنـدد عـوة الشيطـان . [٦]

---

(١) في ط " القـراء " . أما الفراء فهو أبو زكريا يحيى بن زياد ، صاحب معاني القرآن كان أعلم الكوفيـين بالنحو بعد الكسائي . مات بطريق مكـة سنة ٢٠٧ هـ .
انظر : بغية الوعـاة ٣٣٣/٢

(٢) لم أجـد من نصّ على هـذ ا القول للفراء ، لكن ذكروا نحوه عن الكوفيين ، وهـو امامهم . انظر : مشكل اعراب القرآن ٧٠/١ ، والتبيان في اعراب القرآن ٧/١

(٣) يونـس : ٢٢

(٤) في هامش ط بعد الآيـة عبارة " ويسمى الالتفات عند أهل المعاني " .
وانظر هذ ا المعنى في الكشاف ١٣/١ ـ ١٤ ، وتفسير ابن كثير ٢٧/١
قال ابن كثير : " وتحول الكلام من الغيبة الى المواجهة بكاف الخطاب ، وهومناسبـة ، لأنه لما أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يد ى الله تعالى ، فلهـذ ا قال : (ايـاك نعبـد واياك نستعين) . وفي هـذ ا دليل على أن أول السورة خبر من الله تعالى بالثنـاء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى وارشاد لعباد ه بأن يثنوا عليه بذ لك ... " .

(٥) وبهـذ ا فسره جمهورالسلف، منهم ابن عباس وابن مسعود و غيرهم .
انظر : تفسير الطبرى ١٧٣/١ ـ ١٧٦ ، و تفسير ابن كثير ٢٩/١

(٦) لم أجد من ذكرهـذا المعـنى ، لكن ورد نحوه عنـد بعض المفسرين ، وليس فيـه " عنـد د عـوة الشيطان " . انظر : تفسير الطبرى ١٦٦/١ ، وتفسير البغوى ٤١/١
وقد أجاب ابن كثير رحمه الله عن ذ لك ، فقال : " ان العبد مفتقر في كل ساعة وحـالة الى الله تعالى في تثبيته على الهـد اية ورسوخه فيها وتبصره وازد ياد ه منها واستمـراره

الآيـــة : ٥ الفاتحـــة

وقيـل : معنـاه ثبتنا على الطريق المستقيم ، لاتقلب قلوبنا بمعصيتنا [١] ، ونظيره قولـه تعالى في قصـة ابراهيم عليه السلام : (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [٢] أي أثبت على الاســـلام . [٣]

وفي الصـراط أربع لغـات : " صـراط " بالصاد ، و " سراط " بالسين ، وبالزاى الخالصة ، وباشمام الصاد الزاى ، وكل ذلك قد قرىء بـه .

فبالسين قراءة قنبـل [٤] ، وبالاشمام زايا قراءة خلـف [٥] ، وقرأ الباقـون بالصـاد الصافيـة . [٦]

= عليها ، فان العبد لا يملك لنفسه نفعا ولاضرا الا ما شاء الله ، فأرشده تعالى الى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق ... " ١٠ هـ .

تفسير ابن كثير ١/٣٠

(١) روى نحو هذا عن علي وأبي بن كعب .

انظر :الكشاف ١/١٥ ، وتفسير البغوى ١/٤١

(٢) البقـرة : ١٣١

(٣) انظر : تفسيرالبغوى ١/١١٧

وقال ابن كثير : " أى أمره الله تعالى بالاخلاص والاستسلام والانقياد ، فأجاب الى ذلك شرعا وقـدرا " . تفسير ابن كثـير ١/١٩١

(٤) هو محمد بن عبد الرحمن أبو عمر المخزومي مولاهم المكي الملقب بقنبل ، شيخ القـرّاء بالحجاز . مات سنة ٢٩١ هـ . انظر : غاية النهاية ٢/١٦٥ ـ ١٦٦

وانظر قراءته المذكورة في الكشف عن وجوه القراءات ١/٣٤ ، والتيسيرص ١٨ ـ ١٩

قال مكي :وحجة من قرأ " السراط " بالسين ، وهو قنبل عن ابن كثير : أن السـين في هذا هو الأصـل .

(٥) هوخلف بن هشام بن ثعلب ، أبو محمد البزار البغدادى ، الامام العلم ، أحد القـرّاء العشرة ، مات في بغداد سنة ٢٢٩ هـ . انظر : غاية النهاية ١/٢٧٣ ـ ٢٧٤

وانظر قراءته المذكورة في التبصرة في القراءات السبع ص ٢٥١ ، والتيسير ص ١٨

(٦) انظر : الكشف ١/٣٤ ، والتيسير ص ١٩

واعتبر الزمخشرى هذه القراءة فصحى القراءات ، قال : وهي لغة قريش ، وهـي الثابتة في الامام . انظر الكشـاف ١/١٥

ويلاحـظ أن المؤلف لم يذكر من قرأ بالزاى الخالصة لشذوذها . انظر : البحـر المحيـط ١/٢٥

الآيـــة : ٦ ، ٧ الفاتحـــة

(٦) وقولـه تعالى : (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) .

هم الأنبيـاء وأهـل طاعـة اللـه تعالى .

واختلاف القراءة في صـراط كاختلافهم في الصراط .(١)

(٧) قوله عـز وجـل : (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) :

المغضوب عليهم هم اليهود ، والضـالين هم النصـارى .(٢)

وأما " آمـين " فليس من السورة، ولكن روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يقولـه ويأمربـه(٣)، وقال : " لقنني جبريل عليه السلام بعد فراغي من فاتحة الكتـاب آمـين ، وقال :انـه / كالطابـع على الكتـاب " .(٤) (٣ / ب)

---

(١) انظـر الكشـف ٣٤/١ ، وتفسـير البغوى ٤١/١

(٢) جاء هذا التفسير في حديث مرفوع رواه عدى بن حاتم رضي الله عنه في قصة اسلامه ، وهو حديث طويل ، وفيه : أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " ان المغضوب عليهـم اليهود ، وان الضالين النصارى " .

وقد روى من طرق متعـددة بألفـاظ مختلفـة :

أخرجـه بطوله الامام أحمـد في مسنده ٣٧٨/٤ ـ ٣٧٩

والترمذى في سننه ٢٠٢/٥ ـ ٢٠٣ كتاب تفسير القرآن ، باب (ومن سورة فاتحة الكتاب) قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث سماك بن حرب .

والطبرى في تفسيره ١٨٥/١ ـ ١٨٦ وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الطبرى .

كما أخرجه أيضا ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣/١ ـ ٢٤ وقال : ولا أعلم بين المفسريـن في هـذا الحرف اختلافـا .

وانظر : تفسير ابن كثير ٣١/١ ـ ٣٢ قال ابن كثير : وروى حديث عدى هـذا مـن طرق ، وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرهـا .

(٣) من ذلك ما اتفق عليه البخارى ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللـه صلى الله عليه و سلم قال : " اذا قال الامام (غير المغضوب عليهم ولا الضـالين) فقولوا : آمـين ، فانـه من وافق قوله قول الملائكة غفر لـه ما تقدم من ذنبـه " .

انظر : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٨٣/١

(٤) انظر : الكشاف ١٨/١ ، وتفسير القرطبي ١٢٧/١ ـ ١٢٨

وعند الزمخشرى " كالخـتم " بدل " كالطابع " . وعند القرطبي " كالخاتم " .

قال الحافظ ابن حجر عن هـذا الحديث في تخريجه لاحاديث الكشـاف :

الآيـــة : ٧ االفاتحـــة

وقيـــل : معـــنى " آمـــين " : اللـهم استجـب [١] ، وقيل معناه : يا آمـين [٢] : أى يا اللـــه ، فآمـين اسم من أسمـاء اللـــه [٣][٤] . وقيل معنـاه : اللهـــــــــم اغفـــر لـــي . [٥]

" لم أجـد ه هكذا ، وفي الد عـاء لابن أبي شيبة من رواية أبي ميسرة أحد كبـــــار التابعين قال : أقـرأ جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه و سلم فاتحة الكتـاب ، فلما قال : (**ولا الضـالين**) قال له : قـل : آمـين ، فقـال : " آمـين " .

قلـــت : وعنـــد أبي د اود عن أبي زهير قال : آمين مثل الطابع على الصحيفة .

وروى ابن مرد ويـــه عن أبي هريـرة مرفوعا : " آمين خاتم رب العالمين على عبـــاد ه المؤمنـــين " . و هـو في الدعـــاء للطبراني " ١٠ اهـ .

الكشـــاف ١٨/١ هامش رقـم ٢

وانظر سنن أبي د اود ٥٧٧/١ كتاب الصلاة ، باب التأمين وراء الامام .

والد ر المنثـــور ٤٣/١ ـ ٤٤

وحديـث أبي هريرة المذكـور عزاه السيوطي أيضا للطبراني في الد عـاء وابن عـــد ى وابن مرد ويـــــه وضعف إسناد ه . انظر : الد ر المنثـور ٤٤/١

(١) انظر : زاد المسير ١٧/١ ، وتفسير القرطبي ١٢٨/١ ، وتفسير ابن كثير ٣٣/١ وذكـر القرطبي وابن كثـير : أنـه قـول الأكثـرين .

(٢) في ط " آمـــين " بحـذ ف يـاء النـد اء .

(٣) في ط عبارة " تعالى " بعد لفظ الجلالـة .

(٤) وهو مروى عن مجاهـــد وهلال بن يساف وجعفرالصاد ق .

انظر : زاد المسير ١٧/١ ، وتفسير القرطبي ١٢٨/١

ولا مستند لهذ ا القول من الكتاب ولا من السنة كذ لك ـ فيما أعلم ـ فلم يـــــرد أن من أسمائـــه تعالى " آمـــين " .

(٥) انظـر نحـو هـــذ ا المعـــــنى في تفسـير القرطـبي ١ / ١٢٨ ، والـــــد ر المنثـــــور ١ / ٤٥

الآيـــة : ٧ الفاتحـــة

وفي امـين لغتـان : المـد والقصـر .[١] قال الشاعر في القصـر :

تباعـد عـني فطحـل اذ رأيتـه[٢] .. أمـين فـزاد اللـه ما بيننـا بعـدا[٣]

وقـال[٤] في المـد :

صلى الالـه عـلى لـوط و شيعتـه .. أبـا عبيـدة قـل باللـه آمينـا[٥]

قال الآخر[٦] في المـد أيضا :

يارب لا تسلبني حبهـا أبـدا .. ويرحـم اللـه عبدا قال آمينـا[٧]

---

(١) انظر : الصحاح ٢٠٧٢/٥ مادة (أمـن) ، والكشاف ١٧/١

(٢) في هامش أ عبارة " دعوتـه " بعد قوله " اذ رأيته " وهي ساقطة من ط ، م ولعله أراد التنبيه على أنها رواية في البيت بدل قوله " اذ رأيتـه " حيث ورد في بعض روايات البيت " اذ دعوتـه " ، وفي بعضها " اذ سألتـه " .

(٣) انظر البيت في الصحاح ٢٠٧٢/٥ مادة " أمن " ، والكشاف ١٨/١ وتفسير القرطبي ١٢٨/١ ، وزاد المسير ١٧/١ ، ونسبه ابن الجوزى لأبي العبـاس . ونسبه المرزوقي في مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف ، فذكر أنه لجبير ، كان قـد سأل فطحـلا الأسـدى ، فأعرض عنه فدعا عليـه .

انظر الموضع السابق من الكشاف : هامش (١) .

وانظر البيت أيضا في الدر المصون ٧٧/١ ، واللسان ٢٧/١٣ مادة " أمـن " ، وعبارة اللسان " اذ سألتـه " .

(٤) في ط ، م عبارة " آخـر " بعد قوله " وقال " .

(٥) البيـت لأبي نواس . وهو في ديوانـه ١٨٩/١

(٦) في م " آخـر " بدل " الآخـر " .

(٧) البيت ساقط من نسخـة ط . وقد نسبه ابن الجوزى لأبي العباس .

ونسبه صاحب اللسان الى عمـر بن أبي ربيعـة .

ونسبه المرزوقي ـ في مشاهد الانصاف ـ لقيس بن معاذ الملوح مجنون ليـلى العامريـة . وهو في ديوانـه ص ٢١٩

وفي الصحاح ٢٠٧٢/٥ مادة (أمـن) ، واللسـان ٢٧/١٣ مادة (أمـن) ، وزاد المسير ١٨/١ ، والكشـاف ١٧/١ ـ ١٨ هامش (٣) ، وتفسـير القرطـبي ١٢٨/١

الآيـــة : ٧ الفاتحـــــة

قـال صلى اللـه عليـه و سـلم : " فاتحـة الكتـاب رقيـة مـن كـل شـيء الا السـام وهـو المـوت " .(١)

وروى أن جـبريـل(٢) قـال للنبي صـلى اللـه عليـه و سـلم : " كنـت أخشـى العـذاب على أمتـك ، فلمـا نزلـت الفاتحـة(٣) أمنـت ، لأنهـا سبع آيـات ، وجهـنم لهـا سبعـة أبـواب ، فمـن قرأهـا صـارت كـل آيـة طبقـا على بـاب " .(٤)

---

(١) لم أجـده بهـذا اللفظ ، لكن وردت روايـات قريبـا من هـذا المعنى ، ومنهـا

أ - " فاتحـة الكتـاب شفاء من كـل سـم " .

ب - وفي بعض الروايـات : " شفـاء من كـل داء " .

جـ - وفي بعضهـا : " اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحـة الكتـاب وقل هـو اللـه أحـد ، فقـد أمنـت من كل شـيء الا المـوت " .

أ - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان : ٣٠٧/٥ طبع الدار السلفية بالهند ١٤٠٨هـ

ب - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان : ٣٠٦/٥ والدارمي في سننه : ٣٢٠/٢ من حديث عبد الملك بن عمير . قال السيوطي في الدر المنثور : ١٥/١ رجاله ثقات .

جـ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد : ١٢١/١٠ رواه البزار ، وفيه غسان بن عبيد وهو ضعيف ، ووثقه ابن حبان ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢) في ط عبارة «عليه السلام» بعد «جبريل» .

(٣) في ط «فاتحة الكتاب» .

(٤) لم أقف على تخريجه .

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

خمسة و عشرون ألف حرف وخمسمائة حرف ، وستة آلاف كلمة ومائة واحدى وعشرون كلمة ، ومائتان وست وثمانون آية .(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة من قرأها في بيته نهارا لم يد خل بيته شيطان ثلا ثة أيام ، ومن قرأها في بيته ليلا لم يد خله(٢) شيطان ثلاث ليال " .(٣)

وقال صلى الله عليه وسلم : " تعلموا البقرة وآل عمران فانهما يجيآن يوم القيامة كالغمامتين أو كفرقين من طير صواف يحاجان عن صاحبهما " .(٤)

---

(١) انظر تفسير الخازن ٢٥/١

(٢) في م " لا يدخل بيته " .

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، مع تقد يم وتأخير في اللفظ ، وقال : " رواه الطبراني وفيه سعيد بن خالد الخزاعي المد ني ، وهو ضعيف " .
مجمع الزوائد ٣١١/٦ ـ ٣١٢
و عزاه ابن كثير للطبراني وأبي حاتم وابن حبان وابن مرد ويه .
انظر : تفسير ابن كثير ٣٥/١ ، وانظر أيضا : الدر المنثور ٥٠/١

(٤) هذ ا جزء من حد يث أخرجه مسلم في صحيحه مع زياد ة واختلاف في اللفظ ، وذ لك من حد يث أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران ، فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف ، تحاجان عن أصحابهما . اقرأوا سورة البقرة ، فإن أخذ ها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة " .
قال معاوية : بلغني أن البطلة : السحرة .
صحيح مسلم ٥٥٣/١ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة .

الآيـــــة : ١

وقـال صلى الله عليـه وسـلم : " مـن قـرأ سـورة البقـرة وآل عمـران جعـل اللـه لـه يـوم القيامـة جناحـان يطـير بهمـا على الصـراط كالـبرق " .(١)

وقـال صلى الله عليـه وسـلم : " تعلمهمـا بركـة ، وتركهمـا حسـرة ، ولا يستطيعهمـا البطـلة " .(٢) يعـني السحـرة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) قولـه عـز وجـل : (الـمّ) . اختلفوا في تفسـير " الـمّ " وسائر حـروف التهجي فروى عن عمـر (٣) و عثمـان (٤) وابن مسعـود (٥) : أن الحـروف المقطعـة

---

(١) لم أقف على تخريجـه ، وقـد أورد السيوطي نحوه ، و عزاه لأحمـد والحاكم في الكنى ، عن عائشة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " من قرأ سورة البقرة وآل عمـران جعل الله له جناحـين منظومـين بـالـد ر والياقوت " . قال السيوطي : قـال أبو أحمـد : هـذا الحـد يث منكـر .

انظر : الـد ر المنثـور ٥٥/١

(٢) هـذا جـزء مـن حـد يث أبي أمامـة الـذ ى تقـد م تخريجـه في الصفحة السابقـة الحاشية رقم (٤) ، وهو بصيغة الافراد في فضل سورة البقرة ، ولم أجـد ه بصيغـة التثنيـة .

(٣) هو عمـر بن الخطاب بن نفيل القرشي العـد وى ، أبو حفص أميرالمؤمنين ، وثانـي الخلفاء الراشـد ين ، كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم " أبا حفص " . وسمـاه " الفاروق " لتفريقه بين الحق والباطل ، مات سنة ٢٣ هـ .

انظر الرياض المستطابة ص ١٤٧ ـ ١٥٥

(٤) في م " وعـن عثمـان " .

(٥) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيـب ، أبو عبد الرحمن ، أسلم قـد يمـا وشهـد بـد را والمشـاهـد بعد هـا ، ولازم النـبي صلى اللـه عليـه و سـلم وحـد ث عنـه بالكثـير . مات سنة ٣٢ هـ .

انظـر : الاصابـة ٣٦٠/٢ ـ ٣٦١

الآيـــة : ١

من المكتـوم الذى لا يفسـر [١] ، ووافقهـم في ذلك الشعـبي . [٢] وقال : ان لله تعـالى سـرا في كتبـه ، وان سـره في القـرآن الحـروف المقطعـة . [٣]

وقال بعضهم : انها من المتشابهات التي استأثر الله بعلمهـا ، فنحـن نؤمن بتنزيلهـا ونكـل الى اللـه تأويلهـا . [٤]

وقال عـلي [٥] رضي الله عنه : لكل شيء صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي . [٦]

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١ / ١٥٤

(٢) هو عامر بن شراحيل الشعبي ، أبو عمرو ، ثقة مشهور ، فقيه فاضل . مات بعـد المائـة . انظر : تقريب التهذيب ص ٢٨٧

(٣) وهو منسوب أيضا الى أبي بكر الصديق وسفيان الثورى وأبي صالح وابن زيـد . انظر : تفسير البغـوى ١/٤٤ ، وزاد المسير ١/٢٠ ، وتفسير القرطبي ١/١٥٤

(٤) وهـذا القول قريب من القول السابق ، وهو بمعناه .
وهـو محكي عن أبي بكـر و عمـر و عثمان و علي وابن مسعود رضي الله عنهـم أجمعـين .
قال ابن كثير : وقاله عامر الشعبي وسفيان الثورى والربيع بن خيثم ، واختـاره أبو حـاتم بـن حبـان .
انظر : تفسير القرطبي ١/١٥٤ ، وتفسير ابن كثـير ١/٣٨

(٥) هو علي بن أبي طالـب بن عبـد المطلـب ، ابن عـم رسـول اللـه صلى الله عليـه وسـلم ، من السابقـين الى الاسـلام ، ورابـع الخلفـاء الراشديـن . قتـل سـنة ٤٠ هـ .
انظـر : الاصابـة ٢/٥٠١ ـ ٥٠٣

(٦) انظـر : تفسـير البغـوى ١ /٤٤ ، وتفسير الخـازن ١ / ٢٦

الآيـــة : ١

وعـــن ابن عباس رضي اللـــه عنهمـــا : أن معناه : أنا اللـــه أعلم : أي [١] أن كـــــل [٢] حـرف قائـم [٣] مقام كلمـة ، وكذلك " الـــر " معناه : أنا الله أرى ٠ و " الـمـر " : أنـا اللـه أعلم وأرى ، و " الـمـص " : أنا الله أعلم وأفصـل ، و " كـهـيـعـص " : الكاف مـن كافي والهاء من هـاد ى والياء من حكـيم والعـين من عليم والصاد من صـاد ق ٠ [٤]

ويقـال :الألف مفتاح اسمـه [٥] اللـه ، واللام لطيف ، والميم مجيـد ، ومعناه : اللـه اللطيـف المجيـد أنـزل [٦] الكتـاب ٠ [٧]

ويقال :الألـف / اللـه ، واللام جبريل ، والميم محمد ٠ [٨] (٤ / أ)

معنـاه : اللـه أنزل جـبريل عـلى محمـد بهـذا القـرآن ٠

---

(١) لفظة " أي " ساقطة من ط ٠

(٢) في ط عبارة " كلمة " بعد قوله " أن كل " ٠

(٣) في ط زيادة " أي " بعد كلمة " قائـم " ٠

(٤) انظر تفسير البغوى ٤٤/١ ، وتفسير القرطبي ١٥٥/١ ، والبحر المحيط ٣٤/١ واختار هـذا القول الزجاج ، وقال : " والذى أختاره من هذه الأقوال التي قيلت فـي قوله عز وجل (الـم) بعض ما يروى عن ابن عباس رحمة الله عليه ، وهو أن المعـنى (الـم) أنا الله أعلم ، وأن كل حرف منها له تفسيره ٠٠ " ٠ ثم أخذ يستدل لذلـك من كلام العرب وأشعارهـا ٠

انظـر معاني القرآن واعرابـه للزجاج ٦٢/١

وفي كلام ابن كثير ما يفهم منه توهين هـذا القول ٠ انظر تفسير ابن كثير ٣٩/١

(٥) في ط " اسم الله " ٠

(٦) في ط " نـزل " ٠

(٧) حكي هذا القول عن الربيع بن أنس وأبي العالية ٠

انظر : تفسير البغوى ٤٤/١ وزاد المسير ٢٢/١

(٨) وهو محكي عن ابن عباس ٠

انظر : زاد المسير ٢٢/١ ، وتفسير القرطبي ١٥٥/١

الآيـــــة : ١

وقيـــل : هـــذا قســم أقسم الله بـــه [١] أن هـذا الكتاب الذى أنزل على محمد هو الكتـــــاب الـذى عنـــد الله ، وجوابـــه (**لا رَيْبَ فِيـــهِ**) . [٢]

وقال محمد بن كعـــب [٣] : الألف آلاء اللـــه ، واللام لطفـــه ، والميم ملكـــه . [٤]

وقال أهل الاشارة [٥] : الألف أنـــا ، واللام لي ، والميم مـــني . [٦]

---

(١) رواه الطبرى من طريق أبي طلحة عن ابن عباس قال في قوله (**الـــم**) : هو قسم أقســـــم الله بـــه ، وهو من أسماء اللـــه . تفسير الطبرى ٢٠٧/١

(٢) انظر بمعناه تفسير الطبرى ٢١١/١ ، والكشاف ٢٥/١ ، والتبيان في اعـــــــراب القرآن ١٤/١ .

وضعفه ابن هشام والسمين الحلبي . انظر : مغني اللبيب ص ٧٧١ ، والـــــــد ر المصـــون ٨١/١

(٣) هومحمـــد بن كعب بن سليم بن أسد ، أبو حمزة القرضي المد ني ، ثقة عـــالـم ، من الثالثة ، مات سنة ١٢٠ هـ . وقيل : قبل ذ لك .

انظـــر : تقريـب التهذيـــب ص ٥٠٤

(٤) انظر :تفسير البغوى ٤٤/١

(٥) أهل الاشارة هم من الصوفيـــة ، وفي تفاسيرهم الكثير من الشطحات البعيد ة عن معنى الآيـــة ومد لولها ، بل قد تصل ببعضهم شطحاته الى الكفر ــ والعياذ بالله .

يقول الد كتور محمد حسين الذ هبي في تعريفه للتفسير الاشارى : " هو تأويل آيـــات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى اشارات خفية تظهر لأرباب الســـلوك ، ويمكن التطبيق بينها و بين الظواهر المراد ة " . التفسيروالمفسرون ٣٥٢/٢

وبنحو هـــذا عرفـــه الألوســـي في تفسيره ٧/١

(٦) قلـــت : لا شك أن تلك الحروف أنزلت لحكمة عظيمة ، منها بيان القـــــرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، مع أنه مركب من هذ ه الحروف المقطعة الـتي يتخاطبون بها .

أما معرفة معاني تلك الحروف وبيان المراد منها فإن الأولى عدم الخوض في ذ لـــــك ما لم يرد فيه عن المعصوم صلى الله عليه و سلم شيء يعتمد عليه .

فقد نقل الحافظ ابن كثير عن بعضهم قوله : " لا شك أن هذ ه الحـــــروف ═══

الآيـــــة : ١

فصـــــل : وهــذه الحروف موقوفــة ، لأنها هجــاء [١] ، وحروف الهجاء لاتعرب كالغــد د في قولهم "واحـــد ، اثنان " ، واذا [٢] أدخلوا الواو حركوه لأنه صار في حد الأسمـــاء ، فيقال : ألف ولام كالعـــد د .

وكذلك [٣] قـال الأخفـش [٤] : هي ساكنــة لا تعــرب . [٥]

= لم ينزلها الله سبحانه وتعالى عبثا ولا سـدى ، ومن قال من الجهلة : ان في القـــرآن ما هو تعبـد لا معنى له بالكلية فقد أخطأ خطئا كبيرا . فتعين أن لها معنى فـي نفس الأمر ، فان صحّ لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به والا وقفنا وقلنا **(ءامنا بـه كل مـن عنـــد ربنـــا)** . ولـم يجمـع العلمـــاء فيهـا علـى شيء معين ، وانما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه ، والا فالوقف حتى يتبين هـذا المقـام " ١٠ هـ . من تفسير ابن كثير ٤٠/١

وقال الشوكاني : " والذى أراه لنفسي ولكل من أحب السلامة واقتدى بسلف الأمـــة أن لا يتكلم بشيء من ذلك ، مع الاعتراف بأن في انزالها حكمة لله عز وجـــل لا تبلغها عقولنا ولا تهتدى اليها أفهامنا ، واذا انتهيت الى السلامة في مـــد اك فلا تجاوزه " ١٠ هـ . من فتح القديـــر ٣٢/١

وممن اختار التوقف في هذه المسألة القرطـبي في تفسيره ١٥٥/١

ومن المتأخرين الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى في تفسيره ٣١/١

(١) في م " حرف هجـاء " .

(٢) في ط " فـاذا " .

(٣) في ط " ولـذلك " .

(٤) هو سعيد بن مسعدة ، أبو الحسن الأخفش الأوسـط . صنف في النحو ومعانـــي القرآن والاشتقاق والعروض وغير ذلك . مات سنة ٢١٠ هـ .

انظر : بغيـة الوعـــاة ٥٩٠/١ ـ ٥٩١

(٥) انظـر : معـاني القرآن للأخفـش ١٦٧/١ ـ ١٦٨ ، ومعاني القرآن واعرابـــه للزجـــاج ٥٩/١

الآيـــة : ١ ، ٢

وقولـــه : (الٓمٓ) : رفع بالابتـــــداء .

(٢) و (ذَٰلِـكَ) خـــبره ، و (الْكِتَـٰـبُ) صلة لذلك .

ويحتمل أن يكون (الٓمٓ) خبرا مقدما تقديـره : ذلك الكتاب الذى وعـــــدت أن أوحيـــه اليـــك الٓـم .

ومن أبطل محل الحروف جعل (ذَٰلِـكَ) ابتـــداء و(الْكِتَـٰـبُ) خبره ، و (الٓمٓ) صلة ، فيكون لذلك معنيـــان : أحدهما : أن (ذَٰلِـكَ) بمعنى هـــذا .(١)

وقد يستعمل " ذلـك " بمعنى " هـــذا " .

قال خفـاف (٢) :

أقول لـه والرمح يأطر (٣) متنـه . تأمّل خفافاً إنني أنـا ذلكـا (٤)

أى انني هـــذا . أطر العـود (٥) : عطفـــــــه .

---

(١) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيـــدة ١/٢٨ ، ومعاني القرآن للفراء ١/١٠ ، وتفســـير الطبرى ١/٢٢٥ ، وذكر الطبرى أنه قول عامة المفسرين ، ثم أورد عددا من الآثـــار بهذا المعنى عن مجاهـــد وعكرمة والسدى وابن جريج وابن عباس .

(٢) هو خفاف بن عمير بن الحرث بن الشريد ، وندبـة : أمـه ، كان سباها الحرث بـــن الشريـــد حين أغار على بني الحارث بن كعب . وخفاف بن ندبـة مخضـــــرم أدرك الجاهلية والاسلام وشهد فتح مكـة وحنين والطائـــف .

انظر : خزانة الأدب ٢/٤٧٢ ــ ٤٧٤

(٣) يأطـــر : أى يثـــني . قال الجوهرى : تأطر الرمح تثـــنى .

الصحاح ٢/٥٨٠ (أطـــر) .

(٤) في م " ذلـك " بغير ألـف .

وانظر البيت في خزانـة الأدب ٢/٤٧٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/٦٦ ، وتفســـير الطـــبرى ١/٢٢٧ ، وتفسير القرطبي ١/١٥٧ ، والـدر المصـون ١/٨٤

(٥) في أ " أيعـــود " والتصـويب من ط ، م .

الآيـــة : ٢

والثانـي : على الاضمـار ، كأنه قال : هـذا القرآن (ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ) الذي وعـدت في التـوراة والانجيل أن أوحيـه اليـك . (١)

وقيـل : (الٓمٓ) ابتـداء ، و (ذَٰلِكَ) ابتـداء آخر ، و (الْكِتَٰبُ) خـبره ، والجملة خـبر الأول (٢) . وقال بعض المفسرين (٣) : اختلف (٤) في هذا الكتـاب فقال ابن عباس والحسـن (٥) وقتادة ومجاهد : هو القرآن ، فعلى هذا يكون ذلك بمعنى هذا (٦)

---

(١) انظر تفسير البغوى ٤٤/١ ، وتفسيرالقرطبي ١٥٨/١ ، والبحر المحيـط ١ / ٣٦ ، وتفسيرابن كثـير ٤١/١

قال أبو حيـان ـ بعد أن ذكر الأقوال في ذلك ـ: " والذى نختاره منها أن قوله (ذلك الكتـب) جملة مستقلة من مبتدأ وخبر ، لأنه متى أمكن حمل الكلام على غـير اضمار ولا افتقار كان أولى ... " . البحر المحيط ٣٦/١

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : " وقـد ذهـب بعض المفسرين فيما حكاه القرطـبي وغـيره : أن (ذلـك) اشارة الى القرآن الذى وعـد الرسول صلى الله عليـه وسـلم بانزالـه عليـه ، أو التوراة، أوالانجيـل ، أونحـو ذلك ... وقد ضعـف هـذا المـذهـب كثـيرون . والـله أعـلم " .

تفسـير ابن كثـير ٤١/١

(٢) انظر : الكشاف ٣٣/١ ، والدر المصـون ٨١/١

(٣) القائل هو الثعلبي ، ذكر تلك الأقوال في تفسيره ٢٤/١ مخطوط في الجامعـة الاسلاميـة برقم (٢٢٦٣) .

(٤) في ط " اختـلفـوا " .

(٥) هو الحسن بن أبي الحسن ، أبو سعيد البصرى ، مولى الأنصار ، وسيد التابعـين في زمانـه بالبصرة ،كان ثقـة في نفسـه حجة رأسا في العلم والعمـل . أخـرج له الجماعـة . مات سنة ١١٠ هـ .

انظـر : ميزان الاعتـدال للذهـبي ٥٢٧/١ ، وطبقات المفسـرين للـداودى ١٥٠/١ ـ ١٥١

(٦) وقـد تقـدم الكلام على ذلـك .

الآيـــة : ٢

كقولـه تعالى : (وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ) [١] أي هذه حجتنا . [٢]

وقيل معنـاه : ذلك الكتاب الذي ذكرته في التوراة والانجيل . [٣]

وقوله عز وجل : (ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ) أي لا شك فيه ، ونصب ريب لتعميم النفي [٤]، ألا ترى أنك تقول " لا رجل في الدار " بالنصب فيكون نفيا عاما .

واذا قلت " لارجل في الدار " بالرفع جاز أن يكون في الدار رجلان أو ثلاثة . [٥]

قوله عز وجل (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) نصب على الحال ، اما من (ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ) كأنه قال : ذلك الكتاب هاديا ، واما من (لَا رَيْبَ فِيهِ) [٦] كأنه قال : لا ريب فيه في حال هدايته . [٧] ويجوز أن يكون موضعه رفعا على اضمار هو أو فيه . [٨] فان قيل : لم خصّ المتقين ، وهو هدى لهم ولغيرهم ؟ قيل : تخصيص الشيء بالذكر لا يدل

---

(١) من الآية ٨٣ من سورة الأنعام ، وتمامها (وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) .

(٢) انظر تفسير القرطبي ١٥٧/١

(٣) وقد تقدم الكلام على ذلك أيضا .

(٤) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج ٦٩/١

(٥) المصدر السابق .

(٦) لفظة " فيه " ساقطة من ط .

(٧) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج ٧٠/١ ، والكشاف ٣٦/١

(٨) انظر المصدرين السابقين .

الآيـــة : ٢ ، ٣

على نفي ما عداه ، وفائدة التخصيص تشريف المتقين [١] ، ومثله (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) [٢] و (إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا) . [٣]

(٣) قوله تعالى : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)

أي بالبعث والحساب والجنة والنار . [٤] وقيل : الغيب هو الله . [٥]

قوله تعالى : (وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) : أي الصلوات الخمس بشرائطها في مواقيتها .

قوله تعالى : (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) : يعني الزكاة ، وهو الأظهر ، لأن الله تعالى قرن بين الصلاة والزكاة في مواضع كثيرة . [٦] / (٤ / ب)

---

(١) ولأنهم هم الممتثلون لدعوته والمستفيدون من هدايته .

(٢) يس ١١ وتمامها : (وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) .

(٣) النازعات ٤٥

(٤) وهو مروي عن قتادة والربيع بن أنس وأبي العالية .

وأخرج الطبري وابن أبي حاتم نحوه عن ابن مسعود عن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

انظر : تفسير الطبري ٢٣٦/١ ـ ٢٣٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٤/١ ـ ٣٥

(٥) وهو مروي عن عطاء وسعيد بن جبير .

انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٣٦/١ ، وزاد المسير ٣٤/١ ، وتفسير ابن كثير ٤٣/١

وقال ابن كثير رحمه الله ـ بعد أن ساق الروايات في المراد بالغيب هنا ـ :

" فكل هذه متقاربة في معنى واحد ، لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الايمان به " .

(٦) وهو مروي من طريق علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس .

انظر : تفسير الطبري ٢٤٣/١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٨/١

وما اختاره المؤلف هنا قد اختاره قبله أبو بكر الجصاص وذكر أدلته في كتابه أحكام القرآن ٢٨/١

الآيـــــة : ٣ ، ٤

واقامة الصلاة طهارة الأبـدان . واعطاء الزكاة طهارة الأموال ، وبالأموال قـــــوام الأبـدان . وقد قيـل : هونفقـة الرجل على أهـله .(١)

قيل : لما نزل قوله تعالى : (الَّذِيـنَ يُـؤْمِنُـونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُـونَ الصَّلَـــوٰةَ) الآيـة . قالت اليهود : نحـن نؤمـن بالغيب ونقيم الصلاة وننفق مما رزقنـــــا اللـــه ، فأنزل اللـه تعـالى :

(٤) (وَالَّذِيـنَ يُـؤْمِنُـونَ بِمَـا أُنـزِلَ إِلَيْـكَ وَمَـا أُنـزِلَ مِـن قَبْـلِكَ)

فالذى أنزل اليـه القـرآن .

والذى أنزل من قبله التوراة والانجيل وسائر الكتب المنزلة ، فنفروا من ذلك .(٢)

فان قيل : لم قال (وَبِالْآخِرَةِ هُـمْ يُوقِنُـونَ) ولم يقل : يؤمنون ؟

قيل : لأن الايقان توكيد الايمان . واليقين بالآخرة يقين خبر ودلالة ، ومعـــــنى الآيـة : وبالـدار الآخرة هم يعلمون ويستيقنون أنها كائنة .

---

(١) روى ذلك عن ابن عباس أيضا وعن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب النبي صـــلى الله عليه وسلم ، قالوا : وهذا قبل أن تفرض الزكاة .

تفسير الطبرى ١/٢٤٣ ـ ٢٤٤ ، وابن كثير ١/٤٥

واختار ابن جرير أن الآيـة عامة في الزكاة والنفقات ، فقال : " وأولى التأويلات بالآيـة وأحقها بصفة القوم أن يكونوا كانـوا لجميع اللازم لهم في أموالهم مؤدين ، زكاة كـان ذلك أو نفقـة من لزمتـه نفقتـه من أهل وعيال وغيرهم ... لأن الله جل ثنـــاؤه عم وصفهـم اذ وصفهم بالانفـاق مما رزقهـم ... فكان معلوما أنهم موصوفون بجميـع معاني النفقات المحمود عليها صاحبها ... " . انتهى كلامه مختصرا .

وممن اختار القول بعموم الآيـة أيضا أبو بكر بـن العربـي ، والقرطبي ، وابن كثـــير ، والشوكانـــي .

انظر : أحكام القـرآن لابن العربي ١/١٩ ، وتفسـير القرطـبي ١/ ١٧٩ وتفسير ابن كثـير ١/٤٥ ، وفتـح القديـر للشوكاني ١/٣٦

قلـــت : والقـول بالعمـوم أولى ، اذ لا دليـل على التخصيـص .

(٢) انظر تفســير القرطبي ١/١٨٠

الآيـــة : ٥ ، ٦

(٥) قوله تعالى : (أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) :

أي أهل هذه الصفة على رشد وثبات [١] وصواب من ربهم ، والمفلحون : الناجون الفائزون بالجنة ونجوا من النار . وقيل : هم الباقون في الثواب والنعيم المقيم .

(٦) قوله عز وجل : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) :

يعني مشركي العرب [٢] ، وقال الضحاك [٣] : نزلت في أبي جهل [٤] وخمسة من أهل بيته . [٥]

وقال الكلبي : [٦] يعني اليهود . [٧] وقيل :

---

(١) في ط " وبيان " .

(٢) انظر تفسير البغوى ٤٨/١ ، وزاد المسير ٢٧/١

(٣) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبوالقاسم الخراساني المفسر ، صدوق كثير الارسال ، مات سنة ١٠٥ هـ ، وقيل : ١٠٦ .

انظر : ميزان الاعتدال ٣٢٥/٢ ــ ٣٢٦ ، وتقريب التهذيب ص ٢٨٠

(٤) هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، كان يقال له أبو الحكم فدعاه المسلمون أبا جهل ، كان أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم . قتل يوم بدر كافرا . انظر : الاعلام ٨٧/٥

(٥) انظر : أسباب نزول القرآن للواحدى ص ١٩

(٦) هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي ، أبو النضر الكوفي ، النسابة المفسر ، متهم بالكذب ، ورمي بالرفض ، من السادسة . مات سنة ١٤٦ هـ .

تقريب التهذيب ص ٤٧٩

(٧) انظر أسباب نزول القرآن للواحدى ص ١٩

الآيـــة : ٦ ، ٧

المنافقـــين .[١] والكفـر : هـو الجحـود والانكـار .

وقوله تعالى : (ءَأَنذَرْتَهُمْ) الانذار : التحذير والتخويف (أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) . وهذه الآيـة خاصة فيمن حقت عليه كلمة العذاب والشقاوة في سابـق علـم اللـــه .[٢]

(٧) قوله تعالى : (خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ) :

أي طبـــع[٣] على قلوبهم .

والختم والطبع بمعنى واحـــد ، وهو التغطية للشيء[٤] ، والمعنى : طبع اللـــــه

---

(١) انظر : البحـر المحيـــط ١/٥٠

والأولى حمل الآيـة على عـموم الكفـار ، وهو المروى عن ابن عباس رضي الله عنهمـا فقد أخرج عنه الطبرى من طريق علي بن أبي طلحـة أنه قال : " كان رسول اللـــــه صلى الله عليه و سلم يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعـوه على الهدى ، فأخـبره الله جل ثناؤه أنه لا يؤمن الا من سبق له من الله السعادة في الذكـــــر الأول ، ولا يضل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكـر الأول " .

انظر : تفسير الطبرى ١/٢٥٢

واختارالقول بحمل الآيـة على الكفار عامـة : القرطبي ، وابن كثير .

انظر : تفسير القرطبي ١/١٨٤ ، وتفسير ابن كثير ١/٤٨

(٢) انظر تفسير القرطـــبي ١/١٨٤

(٣) في ط زيادة لفظ الجلالـة " اللـه " بعـد قولـه " طبـع " .

(٤) زاد الزجـــاج : " والاستيثـاق من ألا يدخـله شـيء " .

انظر : معاني القرآن للزجاج ١/٨٢

الآيـــــة : ٧

على قلوبهم أى أغلقهـا فأقفلها فليست تعي [١] خيرا ولا تفهمـه .

(وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ [٢]) فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون بـه .

وانما وحّـده وقد تخلل بين الجمعين [٣] لأنـه مصـدر ، والمصادر لا تثنى ولا تجمع . [٤]

وقيـل : أراد سمع كل واحد منهم ، كما يقال : أتاني برأس كبشين ، أراد برأس كل واحـد منهمـا . [٥]

وقال سيبويـه : [٦] توحيد السمع يدل على الجمع ، لأنـه توسط جمعين [٧] ، كقولـه تعـالى (يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) [٨] ، وقوله تعـالى

---

(١) في م " تقف " .

(٢) الواو ساقطة من أ . (٣) في ط ، م " جمعين " .

(٤) انظر مشكل اعراب القرآن ٧٦/١ ، ومعاني القرآن واعرابه للزجاج ١ / ٨٣ وتفسير البغوى ٤٩/١ .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ٣٢/١ مخطوط .
وانظر : الكشاف ٥٢/١ ـ ٥٣ ، وتفسير القرطبي ١٩٠/١ ، والبحر المحيط ٤٩/١

(٦) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، أبو بشر ، الملقب سيبويه ، امام النحاة ، وأول من بسط علم النحو ، من مصنفاته " الكتاب " في النحو . مات سنة ١٨٠ هـ على خلاف في ذلك .
انظر : الأعلام ٨١/٥

(٧) بحثت عن هذا القول المحكي عن سيبويه فلم أجده في مظنته وهو الكتاب لسيبويه .
وقد حكاه عنه أيضا الثعلبي في تفسيره ٣٢/١ ، وانظر بمعناه في البحر المحيط ٤٩/١

(٨) البقرة ٢٥٧

الآيـــة : ٧

(عَـنِ الْيَمِـينِ وَالشَّمَـائِلِ) [١] يعني الأنـوار والأيمـان . وقـرأ ابن أبي عبـــــلة [٢] (و عـلى أسمـاعهـم) . [٣]

وتم الكلام عنـــد قوله (وَعَـلَىٰ سَمْعِهِـمْ) ثم قـال (وَعَـلَىٰ أَبْصَـارِهِمْ غِشَـاوَةٌ) ، أي غطـاء وحجاب فـلا يـرون [٤] الحـق . وقـرأ المفضـل بن محمـد [٥] " غِشَـاوَةً " بالنصب [٦] ، كأنـه أضمـر فعلا أو حمله على الختم أي ختم عـلى أبصارهم غشاوة ، يـــدل عليه قولـه تعـالى : (وَجَعَـلَ عَـلَىٰ بَصَـرِهِ غِشَـاوَةً) . [٧]

وقـرأ الحســن : " غُشَـاوة " بضم الغـين [٨] ، وقـرأ الجحـدرى [٩] " غَشَـاوة "

---

(١) النحـل ٤٨ ، وتمامها : (سجـدًا للـه وهـم داخـرون) .

(٢) هو ابراهيم بن أبي عبلة ، واسمه شمر بن يقظان بن المرتحل ، أبو اسماعيل الشامـي الدمشقي ، ثقة كبير تابعي ، له حروف في القراءات واختيار خالف فيه العامـة ، في صحة اسنادها اليـه نظـر . مات سنة ١٥١ هـ ، وقيل ١٥٢ ، وقيل ١٥٣ هـ .
غايـةالنهايـة ١٩/١

(٣) انظر : البحر المحيـــط ٤٩/١

(٤) فـي أ " فـلا يريـدون " والتصويب من ط ، م .

(٥) هو المفضل بن محمد الضبي الكوفي ، امام مقرىء نحوى اخبارى موثق ، مات سنـــة ١٦٨ هـ . انظر غاية النهاية ٣٠٧/٢

(٦) رواهـا المفضـل عـن عاصـم .
انظر : الحجـة ٢٩١/١ ، وزاد المسير ٢٨/١

(٧) الجاثية : ٢٣

(٨) انظـر : الاتحـاف ٣٧٧/١ ، والقـراءات الشـاذة لعبد الفتاح القاضـــي ص ٢٧ .

(٩) هو عاصم بن أبي الصبـاح الحجـدرى البصـرى . مات سنة ١٢٨ هـ .
انظر غايـة النهايـة ٣٤٩/١

الآيـــــة : ٧

بفتح الغـــين [١]، وقـــرأ أصحاب عبـد اللـه [٢] " غشـــوة " بفتح الغين بغير [٣] ألف [٤].

ومن رفـع (غشـــاوة) فعلى الابتـــداء. [٥]

قولـه تعالى : (وَلَهُـمْ عَـذَابٌ عَظِـيمٌ) : يعني القتـل والأسـر. [٦]

وقال الخليل : العذاب ما يمنع الانسان من مراده. [٧]

وقيل : هو ايصال الألم الى الحي مع الهوان بـــه ، ولهذا لا يسمى ما يفعل الله بالبهـــائم والأطفال عذابـــا ، لأنـــه ليس على سبيل الهوان.

---

(١) انظر تفسير الثعلبي ٣٢/١ وعزاهـــا القرطبي لأبي حيـــوة.
انظر تفسيرالقرطبي ١٩١/١

(٢) هو ابن مسعـــود ـ وقـد تقدمت ترجمتـــه.

(٣) في ط " من غير ".

(٤) انظر البحر المحيط ٤٩/١

(٥) انظر مشكل اعراب القرآن ٧٦/١ ، والتبيـــان ٢٣/١

(٦) قلـــت : تخصيص العذاب هنا بما ذكـــر لا دليل عليه ، بل الأولى حمله على عـذاب الآخـــرة ، لأنها هي دار الحساب والجزاء ، ثم ان الله توعدهم بالعـــــذاب ووصفـه بالعظـم ، ومعلوم أن من قتل وهو كافـــر فان عذابـــه لا ينتهي بقتله ، بـــل مصـــيره الى الخلود في عـذاب جهنم يوم القيامـــة . نعـوذ بالله من عـذابـــــه وسخطـــــــه.

(٧) انظـــر ما حكاه عن الخليـــل في تفســـير البغـــوى ٤٩/١ . ولم أجـــده في كتـــاب العـــين للخليـــــل.

الآيـــــة : ٨

(٨) قولـه عـز وجـل : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِـــــــــرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِـــــينَ) :

نزلت هـذه الآيـة في المنافقـــين عبد اللـه بن أبي بن سلول [١] ، ومعتب بـــــن قشـــير [٢] ، وجـد بـــن قيس [٣] ومن تابعهم ، كانوا يقولون للصحابة : آمنـــــا بالـذى آمنتم بـــه ، ونشهد أن صاحبكم صادق ، وليس هم كـذلك في الباطـــــــن اذا خـــــلوا .

وكانوا يقولون فيما بينهم : هـذه خلة نسلم بها [٤] عن محمد وأصحابه ، ونكـــــون مع ذلك متمسكين بدينـنـا [٥] ، فقال الله عـز وجـل (وَمَا هُم بِمُؤْمِنِـينَ) .

وانما وحـد في أول الآيـة وجمع الضمير في اخرها ، لأن لفظ " من " للوحـدان [٦] ،

---

(١) هو رأس المنافقين في الاسلام من أهل المدينـــة ، كان سيد الخزرج في آخـــــــــر جاهليتهم ، وأظهر الاسلام بعد وقعـة بـدر تقيـة . مات في عهـد النـــــــــبي صلى الله عليـه و سلم ولم يكن ذلك من رأى عمـــر رضي اللـه عنه ، وفـي ذلـك نزل قوله تعالى : (وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا) التوبـة ٨٤

انظـر الاعـــلام ٦٥/٤

(٢) هو معتب بن قشير الأنصارى الأوسي ، ذكروه فيمن شهد العقبة ، وقيل انـه كـــان منافقـا ، ونفى ابن هشام ذلك ، وقال : انه من أهل بـدر وليس من المنافقين .

انظر : سيرة ابن هشام ١٦٣/٢ ، والاصابة ٤٢٢/٣

(٣) وهو الذى نزل فيه قوله تعالى (وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِـــي الْفِتْنَـةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَـنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَـٰفِـرِينَ) . التوبـة ٤٩ .

انظر : سيرة ابن هشام ١٦٧/٢ ، وأسباب نزول القرآن للواحدى ص ٢٤٦

(٤) في ط " مـن " .

(٥) انظـر البحرالمحيط ٦٠/١

(٦) في ط " للواحـدان " .

الآيـــة : ٨ ، ٩

ومعنـــاه يصـــلح للمذكـــر والمؤنـــث والاثنـــين والجماعـــة .(١)

فعدل تارة الى اللفـظ وتارة الى المعنى ، ومنه قوله تعالى (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَـــهُ لِلَّـــهِ)(٢) الآيـــة .، (وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّـهِ وَرَسُولِهِ)(٣) الآيـــة .

(٩) قولـه عـز وجـل : (يُخَـــٰدِعُونَ ٱللَّـهَ وَٱلَّـذِيـنَ ءَامَنُـواْ) :

أي يخالفون اللـه ويكذبونـــه .(٤)

ويكذبون المؤمنـين ويخالفونهم في ضمائرهـم ، وهم المنافقـون .

وأصل الخـدع في اللغة الاختفاء ، ومنه قيل للبيت الذي يخبأ فيه المتاع مخدع .(٥)

فالمخادع يظهر خلاف ما يضمـر . وقال بعضهم : أصل الخداع(٦) في اللغـــة الفســـاد .(٧)

قال الشاعـــر :

أبيـض اللـون لـذيـذ طعمـه ... طيب الريق اذا الريق خدع(٨)

---

(١) انظر معاني القرآن للأخفـش ١٨٩/١

(٢) من الآيـة ١١٢ من سورة البقرة ، وتمامها (وَهُـوَ مُحْسِـنٌ فَلَـهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّـهِ وَلَا خَـوْفٌ عَلَيْهِـمْ وَلَا هُـمْ يَحْـزَنُـونَ) .

(٣) من الآيـة ٣١ من سورة الأحزاب ، وتمامها (وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَـا أَجْرَهَـا مَرَّتَـــيْنِ وَأَعْتَدْنَـا لَهَـا رِزْقًا كَرِيمًـا) .

(٤) قال ابن كثير رحمه الله : " قوله تعالى (يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّـهَ وَٱلَّـذِيـنَ ءَامَنُـــواْ) باظهارهم ما أظهروه من الايمان مع اسرارهم الكفر ، يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله بذلك ، وأن ذلك نافعهم عنده ، وأنه يروج عليه كما قد يروج على بعـــض المؤمنـــين " . تفسير ابن كثير ٥٠/١

(٥) انظر : اللسان ٦٥/٨ (خـــدع)

(٦) في ط " الخـــدع " .

(٧) انظر : اللسان ٦٥/٨ (خـــدع)

(٨) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكرى .

وهو في المفضليات : ١٩١ ، واللســان ٦٥/٨ (خـــدع) .

الآيـــــة : ٩

أى فســـد ، فيكون المعـــنى : يفســـد ون [١] ما أظهروا بألسنتهم بما أضمروا في قلوبهـــم .

وقيـــل : معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه و سلم [٢] ، كقوله تعالى (**فَلَمَّـــــا ءَاسَفُونَا انتَقَمْنَـــا مِنْهُـــمْ**) [٣] : أى آسفوا نبينـــا . [٤]

وقوله تعالى : (**وَالَّـذِيـنَ يُـؤْذُونَ ٱللَّـهَ وَرَسُـولَهُ**) [٥] : أى أولياء الله [٦] ، لان اللـــه تعالى لا يـؤذى ولا يخـــادع . وقد تكون المفاعلة من واحـــد كالمسافرة . [٧]

فان قيـل : ما وجه مخادعتهم اللـــه [٨] وهو لا يخفى عليه شيء ؟ وما وجه مخادعـــــة المؤمنين ومخادعة أنفسهم ؟ قيل : المخادعـــة الاخفـــــــــــــــــاء ،

---

(١) في م " مفســـد ون " .

(٢) وهو محكي عن الحسن .

انظر : تفسير البغوى ٥٠/١ ، وتفسير القرطبي ١٩٥/١

(٣) الزخـــــرف ٥٥

(٤) انظر : تفسير القرطبي ١٠٢/١٦

والصحيح تفسيرها كما جاءت من غير تقدير ، فقد روى عن ابن عباس من طريق عـــلي ابن أبي طلحة قال (**آسفونا**) : أسخطونا .

وقال الضحاك عنه : أغضبونا . وهو المروى عن جمهور السلف من المفسرين .

انظر : تفسير ابن كثير ١٤١/٤

(٥) الأحزاب ٥٧ وتمامها (**لَعَنَهُمُ ٱللَّـهُ فِي الدُّنْيَا وَٱلْأَخِـرَةِ وَأَعَدَّ لَـهُمْ عَذَابـاً مُّهِيناً**) .

(٦) الصواب حمل اللفظ على ظاهره من غير تقدير .

قال القرطبي : " قال الجمهور من العلماء معناه (يؤذون الله) بالكفر ونسبة الصاحبة والولد والشريك اليه ، ووصفه بما لا يليق بـــه " .

انظر : تفسير القرطبي ٢٣٧/١٤

(٧) وأنكر ذلك ابن جرير الطبرى فقال : " ... بل ذلك من التفاعل الذى لا يكون الا مـــن اثنين كسائر ما يعرف من معنى (يفاعل ومفاعل) في كل كلام العرب ، وذلـــك أن المنافق يخادع الله جل ثناؤه بكذبه بلسانه ـ على ما قدم وصفه ـ واللـــــه تبارك اسمه خادعه بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاة نفسه في آجل معاده " .

تفسير الطبرى ٢٧٤/١ ـ ٢٧٥

(٨) في ط " للـــه " .

الآيـــة : ٩

يقال : انخدعت الضبة [١] في جحرها [٢] . والله تعالى لا يخادع في الحقيقة ، ولكن أطلق عليه اسم المخادعة لما فعلوا فعل المخادعين ، ولوكان يصح لهم خداعهم لقال : يخدعون الله . وقيل معناه : يخادعون رسول الله .

وأما مخادعة المؤمنين فاظهارهم لهم الاسلام تقية .

وقيل : اظهار الاسلام لهم ليكرموهم ويبجلوهم .

وقيل : أظهروا لهم ذلك ليفشوا اليهم سرهم فينقلوه الى أعدائهم . وأما مخادعة أنفسهم فضرر ذلك عليهم .

قال الله تعالى / (وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ) لأن وبال الخداع عائد اليهم [٣]، فكأنهم (٥/ب) في الحقيقة انما يخدعون أنفسهم .

قوله تعالى : (وَمَا يَشْعُرُونَ) : أي وما يعلمون أنه كذلك ، والشعور [٤] هو العلم الدقيق الذي يكون حادثا من الفطنة .

وهو من شعار القلب ، ومنه سمي الشاعر شاعرا لفطنته [٥] ما يدق من المعنى والوزن ، ومنه الشعر لدقته . ويقال : [٦] ما شعرت به : أي ما علمت به ، وليت شعري ما صنع [٧] فلان أي ليت علمي . [٨]

---

(١) في ط " الظبية " ، وفي م " الضبية " .

(٢) انظر : النهاية لابن الأثير ٢/١٤ (خدع) ، وفيها : " خدعت الضباب : أي استترت في جحرتها " .

(٣) في م " الى أنفسهم " .

(٤) في أ " والشعر " . والتصويب من ط .

(٥) في ط " لفطنته " .

(٦) في ط " وتقول " .

(٧) في أ " ما ضيع " والتصويب من ط ، م .

(٨) انظر هذه المعاني في : مفردات الراغب ص ٣٨٤ (شعر) ، واللسان ٤/٤٠٩ ـ ٤١٠ (شعر) .

الآيـــــة : ٩ ، ١٠

واختلف القراء في قوله تعالى (**وَمَا يُخَادِعُونَ**) فقرأ نافع [١] وابن كثـــــــير [٢] وأبو عمرو [٣] (**يخادعون**) بالألف [٤] ، وقرأ الباقون (**يخدعون**) بغير ألف عـــــلى أشهر اللغتين وأفصحهما . [٥] واختاره أبو عبيـــد . [٦]

ولا خـلاف في الأول أنـــه بالألـف .

(١٠) قوله عز وجـل : (**فِي قُلُوبِهِـــم مَّـرَضٌ**) :

أى شـــك ونفاق ، وسمي النفاق مرضـا ، لأنـه يهلك صاحبه ولأنه يضطرب فـــي الديـــن ، يوالي المؤمنين بالقول [٧] ، والكفار بالقلب ، فحاله كحال المريـــض

---

(١) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، أبو رويم الليثي مولاهم المدني ، أحد القـــراء السبعة والأعلام ، ثقة صالح ، مات سنة ١٦٩ هـ .

انظر : غاية النهايـــة ٣٣٠/٢

(٢) هو عبد الله بن كثير بن عمرو ، أبو معبد الكناني الدارى المكي ، الامام العلم ، مقرىء مكة وأحد القراء السبعة ، مات سنة ١٢٠ هـ .

انظر : سير أعلام النبـــلاء ٣١٨/٥

(٣) هو زبان بن العلاء بن عمار ، الامام السيد أبو عمرو التميمي المازني البصرى ، أحـــد القراء السبعة ، مات سنة ١٥٤ هـ .

انظر : غايـــة النهايـــة ٢٢٨/١

(٤) انظر : النشـــــر ٢٠٧/٢

(٥) بل الكل فصيح ، ولا وجـه للمفاضـــلة .

(٦) هو أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادى ، كان إماماً بارعاً في علوم كثيرة ، منهـــــــا التفسير والقراءات والحديث والفقه واللغة والنحو والتاريخ ، من كتبه : غريب القرآن ، وغريب الحديث ، والغريب المصنف ، وكتاب الأموال ، وكتاب معاني القـــــــرآن ، وغيرها كثير . مات سنة ٢٢٤ هـ .

انظر : تهذيب الأسماء واللغات ٢٥٧/٢ ، وطبقات المفسرين للداودى ٣٧/٢

(٧) في م " أى بالقول باللسان " .

الآيـــة : ١٠

الذى هو مضطـرب بين الحياة والموت .

وقيـل : ان الشك ألم القلب ، والمرض [١] ألم البدن ، فسمي الشك مرضا لما فيـه مـن الهـم والحـزن . والفاء في (**فَزَادَهُمُ اللَّـهُ**) بمعنى المجازاة ، وقيل : على وجه الدعاء .

وقيل : سمي النفاق مرضا [٢] لأنه يضعف الدين واليقين كالمرض الذى يضعف البـدن وينقص قواه ، ولأنـه يؤدى الى الهلاك بالعذاب ، كما أن المرض في البدن يؤدى الـى الهـلاك بالمـوت .

قولـه تعالى : (**فَـزَادَهُـمُ اللَّـهُ مَرَضـاً**) : أى شكا ونفاقا وعذابا وهلاكا ، (**وَلَـهُـمْ عَـذَابٌ أَلِـيـمٌ**) : أى وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم [٣] ، بمعنى مؤلم .

قولـه تعالى : (**بِمَـا كَانُـوا يَكْـذِبُـونَ**) : قال بعضهم : الباء في (**بِمَـا**) صلة ، أى لهم عذاب أليم بكذبهم وتكذيبهم الله [٤] ورسوله في السر ، فتكون " مـا " [٥] مصدرية [٦] ، والأولى اعمال الحروف [٧] وما وجد لها [٨] مساغ . أى بالشيء الذى يكذبونه بـه . [٩]

---

(١) في ط " والألم مرض البدن " .

(٢) في ط عبارة " لما فيه من الهم والحزن " بعد قوله " مرضا " .

(٣) في ط ، م عبارة " وهو " بعد قوله " قلوبهم " .

(٤) في ط " للـه " .

(٥) في ط " فتكون البـاء " .

(٦) انظر : الدر المصون ١٣٠/١ ـ ١٣١ ، والبحر المحيط ٦٠/١

(٧) هكذا في النسخ باثبات الواو ، ولعلها زائدة ، لأن مراد المؤلف أن اعمال الحـروف أولى ما وجد مبرر لذلك .

(٨) في ط " لـه " .

(٩) انظر : الدر المصون ١٣٠/١ ـ ١٣١ ، والبحر المحيط ٦٠/١

الآيـــة : ١٠ ، ١١

وفي قولـه (يَكْذِبُونَ) خلاف بين القـراء : فقرأ أهل الكوفـة [١] بفتح الياء وتخفيـف الـذال [٢] ، أى يكذبهم اذ قالوا آمنـا وهم غيرمؤمنـين .

(١١) قوله عز وجل : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) :

قرأ الكسـائي ويعقـوب [٣] وهشام [٤] قيـل [٥] (وحيل) [٦] (وسيق) [٧] (وجيء) [٨] (وسيء) [٩] (وسيئت) [١٠] باشمام الضمة . [١١]

---

(١) المراد بأهل الكوفة هم عاصم وحمزة والكسائي وخلف .

(٢) وقرأ الباقون بالضم والتشديد . انظر : النشـر ٢٠٧/٢ ـ ٢٠٨

(٣) هو يعقوب بن اسحاق بن زيد الحضرمي ، مولاهم البصرى ، أحد القراء العشرة ، وامام أهل البصرة ومقريهـا ، مات سنة ٢٠٥ هـ . انظر : غاية النهاية ٣٨٦/٢

(٤) هو هشام بن عمار بن نصير السلمي القاضي الدمشقي، يكنى أبا الوليد ، وهو أحـد رواة ابن عامر . مات سنة ٢٤٥ هـ . انظر : التيسـير ص ٦

(٥) من ط ، م .

(٦) من الآيـة ٥٤ من سورة سـبأ (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ) .

(٧) من الآيـة ٧١ من سورة الزمر (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا) .

(٨) من الآيـة ٦٩ من سورة الزمر (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) .

(٩) من الآيـة ٧٧ من سورة هـود (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) .

(١٠) من الآيـة ٢٧ من سورة الملك (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ) .

(١١) انظـر : النشـر ٢٠٨/٢ وليس فيهم يعقـوب ، بل رويـس ، وهـو أحـد رواة يعقـوب .

الآيـــات : ١١ ، ١٢ ، ١٣

ومعنى الآيـة : واذا قيل للمنافقين ، وقيل اليهود . أى اذا قال لهم المؤمنون لا تفســـد وا في الأرض بالكفر والمعصية والمداهنـــة وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسـلم والقرآن (قَـالُـوٓاْ إِنَّمَـا نَحْـنُ مُصْلِحُـونَ) أى عاملون بالطاعة ومصلحون بالمداهنة ، لأنهـــم كانوا يقولون : لا نعادى المؤمنـــين ولا الكفار، ندارى هؤلاء وهؤلاء ، حتى اذا غلب أحـــد الفريقـــين لا يأتينا من دائرتهـــم شيء .

(١٢) يقول الله تعالى (أَلَآ إِنَّهُـمْ هُـمُ ٱلْمُفْسِـــدُونَ) :

" ألا " كلمة تنبيـــه ، والمعنى [١] : أنهم هم المفسدون بالمداهنة والعامـــلون بالمعصيـــة / . وقوله تعالى (هـم) عماد وتأكيـــد . (٦ / أ)

قوله تعالى (وَلَٰكِـن لَّا يَشْعُـرُونَ) : أى لا يعلمون ما أعد الله لهم من العذاب ، وقيـــل : لا يعلمون أنهم كـذلك . [٢]

(١٣) قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُـمْ ءَامِنُـوا كَمَـا ءَامَـنَ ٱلنَّـاسُ) :

أى اذا قيل للمنافقين صـــدقوا [٣] كما صدق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤]

---

(١) في ط ، م زيادة " ألا " بعد قوله " والمعنى " .

(٢) قال ابن كثير في قوله تعالى (أَلَآ إِنَّهُـمْ هُـمُ ٱلْمُفْسِـدُونَ وَلَٰكِـن لَّا يَشْعُرُونَ) : " يقـــول ألا ان هذا الذى يعتمدونه ويزعمون أنه اصلاح هو عين الفساد ، ولكن من جهلهـــم لا يشعرون بكونه فسادا " . تفسير ابن كثير ١/٥٣

(٣) الايمان في اللغة يطلق على مجرد التصديق ، أما الايمان الشرعي المطلوب فلا يكون الا بالاعتقاد والقول والعمل معا ، فهو اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركـان ، يزيـــد بالطاعـــة وينقص بالمعصيـــة .

(٤) فـــي م زيادة جزء الآيـة في الهامش بعد قوله " أصحاب رسول اللـــه صلى اللـه عليـه وسـلم " .
وهي قوله تعالى " قَـالُـوٓاْ أَنُـؤْمِـنُ كَمَـا ءَامَـنَ ٱلسُّفَهَـــآءُ " .

الآيـــة : ١٣

قالوا : نصـدق [١] كما صـدق الجهال ؟

يقول الله تعالى : ألا انهم هم الجهال بتركهم التصديق في السر ، ولكن لا يعلمون أنهـم جهـال [٢] . وقيل : معناه آمنـوا كما آمن عبد الله بن سلام [٣] و غيره من مؤمـن [٤] أهـل الكتاب . والسفهاء : جمع سفيه ، وهو البهات الكذاب المتعمد بخلاف ما يعلم . [٥]

وقال قطـرب [٦] : السفيه : العجول الظلوم القائل خلاف الحـق . [٧]

---

(١) في م " أنصـدق " .

(٢) في م زيادة في الهامش بعد قوله " يقول الله تعالى " وهي قوله تعالى (**أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ**) .

(٣) هو عبد الله بن سلام بن الحارث ، أبو يوسف ، كان يهوديا فأسلم . يقول عن نفسه : نزلت في آيات من كتاب الله ، نزل فيّ : (**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَاءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ**) ، ونزل فيّ (**قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَن عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ**) . مات بالمدينة سنة ٤٣ هـ .

انظر : الاصابة ٣١٢/٢ ـ ٣١٣

(٤) في ط " مؤمني " .

(٥) انظر تفسير البغوى ٥١/١ ، والبحر المحيط ٦٢/١

(٦) هو محمد بن المستنير ، أبو علي النحوى المعروف بقطرب ، لازم سيبويه ، وكان يدلج اليه ، فاذا خرج رآه على بابه ، فقال له : ما أنت الا قطرب ليل ، فلقب به .

له تصانيف منها : معاني القرآن ، واعراب القرآن ، والاشتقاق ، والقوافي ، والنوادر ، وغير ذلك .

مات سنة ٢٠٦ هـ .

انظر : طبقات المفسرين للداودى ٢٥٦/٢ ، وبغية الوعاة ٢٤٢/١

(٧) انظر البحر المحيط ٦٢/١ .

وقال الجوهرى : السفه ضد الحلم ، وأصله الخفة والحركة . انظر : الصحاح ٢٢٣٤/٦ (سفه)

ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى (**أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ**) : " السفهاء جمع سفيه ، لأن الحكماء جمع حكيم ، والحلماء جمع حليم ، والسفيه هو الجاهل الضعيف الرأى ، القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار ... ومن تمام جهلهم أنهم لا يعلمون بحالهم في الضلالة والجهل ، وذلك أردى لهم وأبلغ في العمى والبعد عن الهدى " ١٠هـ من تفسير ابن كثير ٥٣/١

الآيـــــــة : ١٤

(١٤) قولـه عـز وجـل : (وَإِذَا لَقُـوا الَّـذِيـنَ ءَامَنُـوا قَالُـوا ءَامَنَّـا) :

قال جويبر [١] عن الضحاك عن ابن عباس : كان عبد الله بن أبي بـن سـلول الخزرجي عظيم المنافقين من رهـط سعد بن عبادة [٢]، وكان اذا لقي سعـدا قال : نـعم الدين دين محمـد ، وكان اذا رجع الى رؤساء قومه من أهـل الكفـر قال : شـدوا أيديكم بدين آبائكم ، فأنزل الله هذه الآيـة . [٣]

وقال الكلبي عن أبي صالح [٤] عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في عبد اللـه ابن أبـي وأصحابـه ، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحـاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فقال عبد الله لأصحابه : انظروا كيف أرد هـؤلاء السفهاء عنكم ، فذهب فأخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال : مرحبا بالصديـق [٥] وسيد بني تميم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه ومالـه لرسول الله ، ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه وقال : مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الصادق القوي في دين الله عز وجل الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليـه

---

(١) هو جويبر بن سعيد ، أبو القاسم الأزدي البلخي ، راوي التفسير ، صاحب الضحـاك ، ضعيف جـدا . مات بعد الأربعين ومائـة .

انظر : ميزان الاعتدال ٤٢٧/١ ، وتقريب التهذيب ١٤٣

(٢) هو سعـد بن عبادة بن دليم الأنصاري ، سيد الخزرج، شهد العقبة ، وكان أحـد النقباء ، مات سنة خمس عشرة ، وقيل : ست عشرة .

انظر : الاصابـة ٢٧/٢ ـ ٢٨

(٣) انظر تفسير الثعلبي ٣٥/١

(٤) هـو باذام ، ويقال باذان ، أبو صـالح ، مولى أم هـانىء ، ضعيف يرسـل مـن الثالثـة . انظر : تقريب التهذيب ص ١٢٠

(٥) هو عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التيمي ، أبو بكر الصديق ، ابن أبي قحافة ، خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، صحب النبي صلى الله عليه و سلم قبل البعثة و سبق الى الايمان بـه واستمر معه طول اقامته بمكة ، ورافقه في الهجرة وفي الغـار و في المشاهد كلها الى أن مات ، وكانت الراية معه يوم تبوك ، وحج في الناس في حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم سنة تسع ، واستقر خليفة في الأرض بعده ، ولقبـه المسلمون خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم . وكانت وفاته يوم الاثنين فـي جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة و هو ابن ثلاث و ستين سنة .

انظر : الاصابـة ٣٣٣/٢ ـ ٣٣٦

الآيـــــة : ١٤

وســـلم ، ثم أخـذ بيد عليكـرم الله وجهـه فقال : مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليـه وسـلـم بختنـــه [١] وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وســـــــلم ، فقال له علي رضي الله عنه : اتـق اللـه ولا تنافق فان المنافقين شر خلقة [٢] اللـــــه .

فقـال : مهـلا يا أبا الحســن ، والله ان ايماننا كايمانكم وتصد يقنا كتصد يقكم .

وفي روايـة : والله اني مؤمـن بالله ورسوله ، ثم افترقـوا .

فقال عبد الله لأصحابه : كيف رأيتموني فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت ، فأثنـــوا عليه وقالوا : لا نـزال [٣] بخـير ما عشـت .

فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبروه بذلك ، فأنزل الله هـــــذه الآيـــــة . [٤]

ومعناها : واذا لقوا الذين آمنـوا : أبا بكر وأصحابه ، قالوا آمنـا [٥] كايمانكم .

وقرأ محمد بن السميفع [٦] " واذا لاقـوا " [٧] وهما بمعنى واحـد . وأصل " لقوا " لقيـوا ، فاستثقلت الضمة على الياء فنقلت الى القاف و سكنت الياء والواو فحذ فت / الياء لالتقاء الساكنين . (٦/ب)

---

(١) في ط ، م " وبختنـــه " .

(٢) في ط ، م " خليقـــة " .

(٣) في ط " ما تزال " .

(٤) انظر : أسباب نزول القرآن للواحد ى ص ٢٠ ، ولباب النقول في أسباب الـــــنزول للسيوطي ص ٥ ــ ٧ على هامش تفسير الجلالين . قال السيوطي : هـذا الاسنـــاد واه جـــــدا .

قلـــــت : لأن فيـه الكلبي متهم بالكذب ، وأبو صالح ضعيـــف .

(٥) في م " ايماننـــا " .

(٦) هو محمد بن عبد الرحمن بن السميفع ، أبو عبد الله اليماني ، له اختيار في القـراءة شـذ فيـه ، قرأ على أبي حيـوة شريـح بن يزيـد ، وقيل : انه قرأ على نافع .
انظر : غايـة النهايـة ١٦١/٢ ــ ١٦٢

(٧) انظـر : التبيـان ٣٠/١ ، والبحـر المحيـط ٦٨/١

الآيـــة : ١٤

قولـه تعالـى : (وَإِذَا خَـلَوْا إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ) : أى مـع [١] شياطينهم ، وهـــم رؤساؤهم في الضلالـة . قال الأخفش : كل عات متمرد فهو شيطان . [٢]

ومعنى خلوا : رجعوا ، ويجوز أن يكون من الخلوة ، يقال : خلوت بـه وخلوت معه وخلوت اليـه كلها بمعنى واحـد . [٣]

قـال ابن عباس : شياطينهم : رؤساؤهم وكبراؤهم وكهنتهم . [٤] وهم خمسة نفر من اليهـود ولا يكون كاهن الا معه شيطان ، منهم كعب بن الأشرف [٥] بالمدينـة ، وأبو بردة فـي بني أسـلم ، وعبد الدار في جهينـة ، وعوف بن عامر في بني أسـد ، وعبد الله بـن السوداء [٦] بالشـام . [٧]

---

(١) رجح الطبرى وغـيره : أن " خلوا " هنا بمعنى : ذهبـوا وانصرفوا وخلصوا الـى شياطينهم . فتكون " الى " على بابها ، ولا يقوم غيرها مقامها .
انظر : تفسير الطبرى ٢٩٩/١ ، وتفسير القرطبي ٢٠٦/١ ، وتفسـير ابن كثـير ٥٣/١ ـ ٥٤

(٢) لم أجده في معاني القرآن للأخفش ، وانظر بمعناه في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٢/١ قال أبو عبيدة : كل عات متمرد من الجن والانس والدواب فهو شيطان .

(٣) انظر هذه المعاني في معاني القرآن للأخفش ٢٠٥/١
وقد ذكرنا ما رجحه الطبرى وغيره في معنى " خلوا " في هذه الآيـة .

(٤) في أ " وكهنتم " وهو خطأ ، والتصويب من ط ، م .

(٥) هو كعب بن الأشرف الطائي من بني نبهان ، وأمه من بني النضير ، شاعر جاهـلي دان باليهودية ، وكان يقيم في حصن له قرب المدينة ، أدرك الاسلام ولم يسـلم ، وكان يكثر من هجو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتحريض القبائل عليهـم وايذائهم والتشبيب بنسائهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لكعـب ابن الأشرف ، فانه آذى الله ورسوله ؟ " فانطلق له محمد بن مسلمة ونفر معـه ، فاحتالوا عليه حتى خرج من حصنه فقتلوه ، وذلك سنة (٣) من الهجرة .
انظر : البداية والنهاية ٦/٤ ـ ١٠ ، والأعـلام ٢٢٥/٥

(٦) هو عبد الله بن سبأ ، رأس الطائفة السبئية ، كان يهوديا وأظهر الاسلام وهو ضال مضل من غلاة الزنادقة ، كان يقال له ابن السوداء لسواد أمـه .
انظر : ميزان الاعتدال ٤٢٦/٢ ، والأعـلام ٨٨/٤

(٧) انظر تفسير البغوى ٥١/١ ، والبحر المحيط ٦٩/١
وليس كل الكهنة المذكورين من اليهود كما يتبادر للذهن .
انظر توضيح ذلك في تفسير الخازن ٣٤/١ ـ ٣٥ ، والبحر المحيط ٦٩/١

الآيـــة : ١٤ ، ١٥

والشيطان : المتمـرد العاتي من كل شيء ،، ومنه قيل للحية النضناض شيطان ، قال تعـالى (طَلْعُهَـا كَأَنَّـهُ رُءُوسُ الشَّيَـاطِينِ)[١] : أي الحيـات .[٢]

وقولـه تعالى : (قَـالُـوا إِنَّـا مَعَـكُمْ) : أي على دينكم وأنصاركم .

وقولـه تعالى : (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ) : أي بمحمـد وأصحابه باظهار قول لا اله الا الله محمـد رسول اللـه .

(١٥) قولـه عز وجل : (اللَّـهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) :

أي يجازيهم على استهزائهم . فسمى الجزاء باسم المبتدأ[٣] اذ كان مثله فـي الصورة كقوله تعالى (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا).[٤]

فسمى جزاء[٥] السيئة سيئة ، قال الله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه)[٦] . والثاني ليس باعتداء .

---

* وهي التي لا تستقر في مكان ، أو إذا نهشت قتلت من ساعتها ، أو التي تخرج لسانها تنضنضه أي تحركه . القاموس المحيط «نضض»

(١) من الآيـة ٦٥ من سورة الصافـات .

(٢) ذكروا في تفسير قوله تعالى (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) ثلاثة أوجـه :

فقيـل : شبه طلعها في قبحه برؤوس الشياطين ، لأنها موصوفة بالقبح ، وان كانت لا تـرى . وهو الأظهـر .

وقيـل : ان العرب تسمي بعض الحيات شيطانا ، وهو حيـة ذو عـرف .

وقيـل : انـه نبت قبيح يسمى برؤوس الشياطين .

و على كل فتشبيهها برؤوس الشياطين هو تبشيع لها وتكريـه لذكرها .

انظر : معاني القرآن للفـراء ٣٨٧/٢ ، وتفسير ابن كثير ١٢/٤

(٣) في ط ، م " الابتـداء " .

(٤) الشـورى ٤٠

(٥) في أ " الجزاء " والتصويب من ط ، م .

(٦) البقـرة : ١٩٤

والاستهزاء على وجه السخرية والعبث منتف عن الله عز وجل ، أما على وجـه المجازاة والانتقام والمقابلة بالعدل فلا يمتنع ذلك .

ومثل هـذا يقال في المكر والخداع وما أشبه ذلك .

الآيـــــة : ١٥

قولـه تعالى (وَيَمُـدُّهُـمْ) : أى يمهلهم ويتركهم [١] في ضلالتهم [٢] يتحيرون .

يقـال : " مـد " في الشر ، و " يمـد " [٣] في الخير .

وقال يونس [٤] : المد في معنى الترك ، والامداد في معنى الاعطاء . [٥]

وقيـل : مـده وأمـده بمعنى واحـد . [٦]

وقال الأخفش : (ويمدهم) أى يمد لهم فحذف اللام . [٧]

والطغيـان : مجاوزة الحد ، يقال : طغى الماء أى اذا جاوز حده .

وقيل لفرعون : انه طغى : أى أسرف في الدعوى حيث قال (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) . [٨]

وقرأ ابن محيصن [٩] (وَيُمِدُّ هُمْ) بضم الياء وكسر الميم [١٠] وهما لغتان ، الا أن المـد

---

(١) في ط " وتركهم " .

(٢) في ط " في ضلالهم " .

(٣) وهو من " أمد " الرباعي .

(٤) هو يونس بن حبيب الضبي الولاء البصرى ، أبو عبد الرحمن ، بارع في النحو ، روى عن سيبويه فأكثر ، وسمع منه الكسائي والفراء . مات سنة ١٨٢ هـ .
انظر : بغية الوعاة ٢/٣٦٥

(٥) انظر : معاني القرآن للأخفش ١/٢٠٦ ، وتفسير القرطبي ١/٢٠٩

(٦) انظر هذه المعاني في : مفردات الراغب ص ٧٠٥ (مد) ، واللسان ٣/٣٩٦ ـ ٣٩٩ (مدد) .

(٧) انظر معاني القرآن للأخفش ١/٢٠٦

(٨) النازعات ٢٤

(٩) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي ، مقرىء أهل مكة مع ابن كثير ، ثقة ، احتج به مسلم ، مات بمكة سنة ١٢٣ هـ .
انظر : معرفة القراء الكبار ١/٩٨ ـ ٩٩

(١٠) انظر البحر المحيط ١/٧٠ ، والاتحاف ١/٣٨٠

الآيـــــة : ١٥

أكثـــر ما يأتي [١] في الشر ، قال الله تعالى (**وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدّاً**) [٢] .

والامـداد في الخير ، قال الله تعالى (**وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ**) [٣] .

وقال تعالى (**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ**) . [٤]

وقيل : معنى (**ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**) أي يوبخهم ويعيبهم ويجهلهم .

وقيل معناه : الله يظهر المؤمنين على نفاقهم . [٥]

وقال ابن عباس : هو أن يطلع الله المؤمنين يوم القيامة وهم في الجنة على المنافقين وهم في النار ، فيقولون لهم : أتحبون أن تدخلوا الجنة ؟ فيقولون : نعم . فيفتح لهم باب الى الجنة ويقال لهم : ادخلوا ، فيأتون يتقلبون [٦] في النار ، فاذا انتهوا الى الباب سد عليهم ورد وا الى النار ، ويضحك المؤمنون منهم ، فذلك قوله تعالى (**إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ**) [٧] الى قوله تعالى (**فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ**

---

(١) في م " ما يجيء " .

(٢) من الآية ٧٩ من سورة مريم وهي قوله تعالى (**كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدّاً**) .

(٣) نوح ١٢ وتمامها : (**وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً**) .
وفي كل النسخ (ونمد دكم) بالنون ، وهو خطأ .

(٤) المؤمنون ٥٥ .

(٥) حكاه البغوى عن الحسن .
انظر : تفسير البغوى ٥٢/١

(٦) في ط " ويتقلبون " .

(٧) المطففين ٢٩

الآيـــــة : ١٥

مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) . (١)

و عـن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : " يؤمر بناس من المنافقين الى الجنـــة حتى اذا د نـوا منها ووجد وا رائحتها ونظروا الى (٢) ما أعـد الله / لأهلها من الكرامـــة (٧/أ) نـود وا أن اصرفوهم عنها فيرجعون بحسرة وند امة لم ترجع الخلائق بمثلها ، فيقولـــون : يا ربنـا لو أد خلتنـا النار قبل أن ترينـا ما أريتنـا (٣) كان أهون علينـا . فيقول اللـــه تعالى : هـــذا الذى أردت بكم هبـتم الناس ولم تهابونـــي ، أجللتم الناس ولم تجلونـي ، كنتم تراءون الناس بأعمالكم خلاف (٤) ما كنتم ترونـني (٥) من قلوبكم ، فاليوم أذيقـــكم من عذابي ما حرمتكم من ثوابـــي " . (٦)

---

(١) المطففـــين : ٣٤

وانظر ما حكاه عن ابن عباس في زاد المسير ١/٣٥ ، والد ر المنثور ١/٧٩

وهو ان صحّ فلا مجال للرأى فيـه ، فيأخـذ حكم المرفوع . والله أعـلم .

وقد رجح ابن جرير الطبرى في معنى قوله تعالى (ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) أن استهـزاء الله بهم هو ما يظهر لهم من أحكامه في الد نيـا ـ يعني عصمة د مائهم وأموالهـــم ـ خلاف الذى لهم عند ه في الآخرة ـ يعني من العذ اب والنكال ـ كما أظهروا للنـــبي صلى الله عليه وســـلم والمؤمنين في الد ين ما هم على خلافـه في سرائرهم ١٠هـ .

انظـر : تفســير الطـــبرى ١/٣٠٣

وانظر هـذا المعني أيضا في معاني القرآن للزجاج ١/٩٠ ، وتفسير ابن كثير ١/٥٤

(٢) في ط " ونظروا ما أعـد الله " من غير " الى " .

(٣) في م " ما رأينا " .

(٤) في ط " بخـلاف " .

(٥) في ط ، م " ترونـــي " .

(٦) رواه الثعـــلبي في تفســـيره ١/٣٦ ـ ٣٧ بسنده من حد يث عـد ى بن حـــاتم ، وفيـــه : " يـؤمـر بنـاس مـن النـــاس " بد ل " من المنافقين " .

الآيـــــة : ١٥ ، ١٦

فان قيـل : لم أمـر اللـه بقتال الكفار المعلنين [١] بالكفر ولم يأمر بقتال المنافقين وهم فـــي الـدرك الأسفل من النار ، وخالف بين أحكامهم وأحكام الكفار المظهرين الكفر [٢] ، وأجراهـم مجرى [٣] المسلمين في التوارث والأنكحـة وغيرهـا ؟

قيـل : عقوبات الدنيـا ليست على قدر الاجرام ، وانماهي على ما يعلم الله من المصالـح ، ولهذا أوجب رجم الزاني المحصن ولم يزل عنه الرجم بالتوبة ، والكفر أعظم من الزنـــــا ولو تاب منه قبلت توبتـه . وكذلك أوجب الله على القاذف بالزنا الجلد ولم يوجبه عـــلى القاذف بالكفـــر . وأوجب على شارب الخمر الجلد [٤] ولم يوجبه على شارب الدم .

(١٦) قوله عز وجل (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ)

أي أخذوا الضلالة وتركوا الهدى ، واختاروا الكفر على الايمان ، وانما أخرجـــه بلفظ الشراء والتجارة توسعاً ، لأن الشراء والتجارة راجعان الى الاستبـــدال والاختيار ، لأن كل واحـدمن المتبايعين [٥] يختار مابيد صاحبه على ما في يده .

قوله عز وجل (فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ) : أي فماربحوا في تجارتهم .

تقول العرب : ربح بيعك ، وخسرت صفقتك ، ونام ليلك [٦] توسعا ،

قال الله تعالى (فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) [٧] . وقرأ ابن أبي عبلة (فَمَا رَبِحَـــت تِّجَارَاتُهُمْ) على الجمـــع . [٨]

---

(١) في أ " المتعلنين " . والتصويب من ط .

(٢) في ط ، م " للكفـــر " .

(٣) في أ " مجراى " والتصويب من ط ، م .

(٤) في ط ، م " الحـــد " .

(٥) في أ " المتتابعين " والتصويب من ط ، م .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ١٤/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٩٢/١

(٧) من الآيـة ٢١ من سـورة محمـد، وتمامها (فلو صدقوا اللـــه لكان خيراً لهم) .

(٨) انظـر البحر المحيـط ٧٣/١ وهي قراءة شاذة

ووجهها : إسناد فعل الربح إلى التجارات توسعاً .

الآيـــة : ١٦ ، ١٧

وقوله تعالى (وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) : أي من الضلالة ، وقيل معناه : وما كانوا مصيبين في تجارتهم .(١)

(١٧) قوله تعالى (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً) :

أي مثل المنافقين في اظهارهم الاسلام وحقنهم دماءهم وأموالهم كمثل رجل في مفازة في ليلة مظلمة ، يخاف السباع على نفسه ، فيوقد نارا يأمن بها السباع ، فلما أضاءت النار ما حول(٢) المستوقد(٣) طفئت ، فبقي في الظلمة ، كذلك المنافق يخاف على نفسه من قبل النبي صلى الله عليه و سلم وأصحابه له فيسلم رياء الناس ، فيحقن دمه ويناكح المسلمين ، فيكون له نور بمنزلة نور نار المستوقد ، فاذا بلغ آخر عمره لم يكن لايمانه أصل في قلبه ولا حقيقة في عمله ، سلب نور الايمان عند الموت ، فيبقى في ظلمة الكفر .(٤)(٥)

وقوله تعالى (استوقد) : يعني(٦) أوقد ، قال الشاعر(٧) :

---

(١) قال ابن جرير الطبري : ما كانوا رشداء في اختيارهم الضلالة على الهدى واستبدالهم الكفر بالايمان واشترائهم النفاق بالتصديق والاقرار .

انظر تفسير الطبري ٣١٧/١

(٢) في م " ما حوله " .

(٣) في ط " المتوقد " .

(٤) في م عبارة " نستعيذ بالله " بعد قوله " في ظلمة الكفر " .

(٥) روى نحو هذا عن ابن عباس وقتادة والضحاك و غيرهم .

انظر : تفسير الطبري ٣٢٢/١ ، وتفسير البغوي ٥٢/١ ـ ٥٣ ، وتفسير ابن كثير ٥٦/١ ، والدر المنثور ٨٣/١

(٦) في ط " بمعنى " .

(٧) في م كلمة " بيت " بعد قوله " قال الشاعر " .

الآيـــــة : ١٧

وداع دعا يـــا (١) مـن يجيـب الى الندى ٠٠ فلم يستجبه عند ذاك مجيب (٢)

وقولـه تـعالى (كَمَثَـلِ ٱلَّـذِى) بمعنى الذين ، دليله سياق الآيـة ، ونظيره قوله تـعالى / (٧ / ب) (وَٱلَّـذِى جَآءَ بِٱلصِّـدْقِ وَصَـدَّقَ بِـهِ أُوْلَـٰٓئِـكَ هُـمُ ٱلْمُتَّقُـونَ) (٣) .

فان قلت : كيف يجوز تشبيه الجماعة بالواحـد ؟ قلت : لأن الذى اسم ناقص ، فيتنـــاول الواحـد والاثنين كمـن ومـا ، وفي الآيـة ما يدل على أن معناه الجمع ، وهو قوله تـعـــالى (وَتَرَكَهُـمْ) ٠وقديجوز تشبيه فعل الجماعة بفعل الواحـــد مثل قوله تـعالى (تَـدُورُ أَعْيُنُهُـمْ كَٱلَّـذِى يُغْشَـى عَلَيْـهِ مِـنَ ٱلْمَـوْتِ) . (٤)

وقولـه تـعالى (أَضَـاءَتْ) : يقال : ضاء القمر (٥) ويضـوء ضوءا ، وأضاء يضيء اضاءة ٠ وأضاءه غيره ، يكون لازمـا ومتعديـا ٠ (٦) وقرأ محمد بن السميفع " ضـاءت " بغير ألف ٠ (٧)

و (حَـوْلَـهُ) نصب على الظـــرف ٠ (٨)

---

(١) من ط ، م وكذلك هي في رواية البيت ٠

(٢) البيت لمحمد بن كعب بن سعد الغنوى ، وهو في جمهرة أشعار العرب ٧٠٥/٢ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢٠٨/١

والشاهد فيه قولـه " فلم يستجبـه " بمعنى : فلم يجبـــه ٠

(٣) الزمـــــــر : ٣٣

(٤) الأحـــزاب : ١٩

(٥) الواو ساقطـة من ط ، م ٠

(٦) انظر : التبيان ٣٣/١ ، والبحـر المحيط ٧٨/١

(٧) انظر : البحر المحيط ٧٩/١ و عزاها أبو حيان أيضا لابن أبي عبلة ٠

(٨) انظر معاني القرآن للأخفش ٢٠٩/١

الآيـــــة : ١٧ ، ١٨

قولـه تـعالى (ذَهَبَ اللَّـهُ بِنُورِهِـمْ) : أى أذ هب الله نورهم ، وانما قال (بِنُورِهِـــــمْ) والمذكور في أول الآيـة النار ، لأن النار فيها شيئان : النور والحرارة ، فذ هب نورهـــم وبقيت الحرارة عليهم . وفي بعض التفاسير قال ابن عباس وقتاد ة والضحاك : معنى الآيـة مثلهم في كفرهم ونفاقهم كمن أوقـد نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستضاء بها [١] واستد فـأ ورأى ما رأى حولـه ، فاتقى ما يحـذ ر ونجا مما يخاف وأمن ، فبينما هو كذ لك اذ طفئت نـاره فبقي مظلما خائفا متحيرا ، فكذ لك المنافقون اذ ا أظهروا كلمة الايمان واستناروا بنورهـــا واعتزوا بعزها ، فناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وأمنوا على أموالهم وأولا د هم ، فاذا ماتوا عاد وا في الظلمة والخوف ، وبقوا في العذ اب والنقمـــة . [٢]

(١٨) قولـه تـعالى (صُـمٌّ بُكْـمٌ عُـمْيٌ) : [٣]

أى هم صم عن الهـد ى لا يسمعون الحق ، بكم لا يتكلمون بخير ، عمـــــي لا يبصرون الهـد ى : أى بقلوبهم ، كما قال تـعالى : (وَتَـرَاهُـمْ يَنظُـرُونَ إِلَيْـــكَ وَهُـمْ لَا يُبْصِـــرُونَ) [٤] . وقيل : معناه صم يتصامون عن الحق ، بكم يتباكمـون عن قول الحـق ، عمي يتـعامون عن النظر الى الحق ، يعني الاعتبار . [٥]

---

(١) في أ " بـــه " والتصويب من ط

(٢) انظـر تفسير البغوى ١/٥٢ ـ ٥٣

(٣) مـن ط ، م .

(٤) الأعـــــراف : ١٩٨

(٥) قال الراغب : الصمم : فقد ان حاسة السمع ، وبـه يوصف من لا يصغي الى الحـــــق ولا يقبـــله . انظر : مفرد ات الراغب ص ٤٢٢ (صمم) .

بكم : جمع أبكم ، وهو الذ ى يولـد أخرس أبكـم ...

ويقال : بكم عن الكلام : اذ ا ضعف عنه لضعف عقله فصار كالأبكم .

انظر : المصد ر السابق ص ٧٥ (بكـــم) .

العمى : يقال في افتقاد البصر والبصيرة ، ويقال في الأول أعمى ، وفي الثانـــــي أعمى و عـــمٍ . المصد ر السابق ص ٥٢٠ (عمـي)

الآيـــــــة : ١٨ ، ١٩

وقرأ عبد الله [١] " صما " " بكما " " عميا " بالنصب [٢] على معنى : وتركهم كذلك .

وقيل : على الذم ، وقيل : على الحال .

وقوله تعالى (فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) : أي عن الضلالة والكفر الى الهدى والايمان .

(١٩) قوله عز وجل (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ)

هذا مثل آخر ضربه الله تعالى لهم أيضا معطوف على المثل الأول ، أي مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ، ومثلهم أيضا كصيب .

قال أهل المعاني : " أو " بمعنى " الواو " يريد : وكصيب [٣] ، كقوله

---

(١) هو ابن مسعود .

(٢) انظر : مختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص ٢ ـ ٣ ، والبحر المحيط ٨٢/١

(٣) انظر : تفسير الطبري ٣٣٦/١ ـ ٣٣٧ ، والدر المصون ١٦٧/١

وذكر السمين الحلبي فيها خمسة أوجه .

وقال : أظهرها : انها للتفصيل ، بمعنى أن الناظرين في حال هؤلاء ، منهم من يشبههم بحال المستوقد الذي هذه صفته ، ومنهم من يشبههم بأصحاب صيب هذه صفته .

الآيـــــة : ١٩

(أَوْ يَزِيـــدُونَ)[١] . وأنشدالفـــراء[٢][٣] :

وقـد زعمـت سـلمى بأنـي فاجـــر ... لنفسي تقاها أو عليها[٤] فجورهـا

أي : و عليها فجورهـا .

ومعنى الآيـــة : مثل المنافقين مع النبي صلى الله عليه و سلم والقرآن كصيب أي كمطـــر[٥] نزل من السماء ليـلا على قوم في مفـازة ، فيه ظلمات ورعـد وبرق ، كذلك القـــــرآن نزل من اللـه[٦] " فيـه ظلمـات " أي بيان الفتن وابتلاء المؤمنين بالشـــــــدائـد في الدنيـــا ، " ورعـــد " أي زجر وتخويف ، " وبـرق " أي تبيـان وتبصـــــرة ، فجعل[٧] أصحاب المطـر أصابعهم في آذانهم من الصواعق / مخافة الهلاك كذلك[٨] المنافقون (٨ /أ)

---

(١) من الآيـة ١٤٧ من سورة الصافات (وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيـدُونَ) .

(٢) لم أجـد البيت في معاني القرآن للفراء ، وهو في تفسير الطبرى ٣٣٦/١ ، والأضـــداد للأنبارى ص ٢٧٩ .

وقائله هو توبـــة بن الحمـــيّر .

(٣) في م كلمة " بيت " بعد قوله " وأنشد الفراء " .

(٤) في أ " أو علها " والتصويب من ط ، م كما هو أيضا في رواية البيت .

(٥) قال ابن قتيبـــة في غريب القرآن ص ٤٢ :

" الصيـــب : المطـــر ، فيعـــل من صـاب يصوب ، إذا نـــزل من السمـــاء " .

(٦) في ط " من السمـاء " .

(٧) في ط " يجعـــل " .

(٨) في ط " كـذا " .

الآيـــــة : ١٩

كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم من بيان القرآن ووعده ووعيده وما فيه من الدعاء الى الجهـــاد مخافة أن يقتلوا في الجهـــاد ، ويقال : مخافة أن تميل قلوبهم الى ما فـــــي القـــــرآن .(١)

وعـــن الحســـن أنه قـــال : في الآيـــة تشبيه الاسلام بالصيب ، لأن الصيب يحـــــــــيي الأرض ، والاسلام يحيى الكفـــار(٢)، قال الله تعالى (**أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتـــاً فَأَحْيَيْنَاهُ**)(٣) وقوله تعالى (**كَصَيِّـــبٍ**) أى كأصحاب الصيب ، لاستحالة تشبيه الحيوان بالصيب وتمثيـــل العاقل بغير العاقـــل .

وقوله تعالى (**مِنَ الصَّوَاعِقِ**) جمع صاعقة ، وهي صوت وبرق فيه قطعة من النار لا تأتي(٤) على شيء الا أحرقتـــــه .(٥)(٦)

---

(١) انظر نحو هذه المعاني في تفسير البغوى ٥٤/١ ، وتفسير الخازن ٣٧/١
وقال أبو حيان : " والأحســن أن يكون من التمثيلات المركبة ، دون المفرقـــــة ، فلا تتكلف مقابلة شيء بشيء ... فوصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما حبطـــوا فيه من الحيرة والدهشـــة بما يكابـــد من طفئت ناره بعـــد ايقادها في ظلمـــة الليـــل ، وبحال من أخذتـــه السماء في ليلـــة مظلمـــة ، مع رعـــد وبـــرق وخـــوف من الصواعـــق ... " . البحر المحيـــط ٨٥/١
قلـــت : وهذا هـــو الأليـــق بتفسير الآيـــة . والله أعلم .

(٢) حكـــاه أبو حيـــان بمعنـــاه عـــن الحســـــن .
انظـــر : البحر المحيـــــط ٨٧/١

(٣) الأنعـــــام ١٢٢

(٤) في ط " لا يأتـــي " .

(٥) في ط " الا أحرقـــه " .

(٦) قال في اللسان ١٩٨/١٠ : " الصاعقة : نار تسقط من السمـــــــــاء في رعـــد شـــديـــد " .

الآيـــــة : ١٩

وقوله تعالى (مِنَ ٱلسَّمَآءِ) : كل ما علاك فهو سماء ، والسماء يكون واحدا وجمعـــــا ، قال الله تعالى (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ) . (١)

وقيل : هو جمع واحده (٢) سماوة ، والسماوات جمع الجمع ، مثل جرادة وجراد وجرادات ، والسماء تذكر وتؤنث (٣) ، قال الله تعالى (ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦ) (٤) ، وقـــال (إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ) . (٥)

وقوله تعالى (فِيهِ ظُلُمَٰتٌ) : أي في الصيب (٦) ، وقيل : في الليل ، كناية عن غـــير مذكـور ، وظلمات جمع ظلمـة ، وضمة اللام على الاتبـاع لضمة الظـاء .

وقرأ الأعمـــش (٧) " ظلمـات " بسكون اللام (٨) على أصل الكلام ، لأنها ساكنـــــة

---

(١) البقـــرة ٢٩

(٢) في ط " واحدتها " .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ٤٣١/١ ، وتفسيرالقرطبي ٢٦٠/١

(٤) المزمـــل ١٨

(٥) الانفطـــار ١

(٦) انظر : التبيان ٣٥/١ ، والبحر المحيـــط ٨٦/١

(٧) هو سليمان بن مهـــران الكاهلي الكوفي الأعمـش ، أبو محمـــد ، أحد الأئمـــة الثقـــات ، عداده في صغار التابعـــين ، مات سنة ١٤٨ هـ .
انظـــر : ميزان الاعتـــدال ٢٢٤/٢ ، وغايـــة النهايـــــة ١ / ٣١٥ ـ ٣١٦

(٨) انظـــر : تفســـير القرطـــبي ٢١٣/١ ، وعزاهـــا ابـن جـني للحســـــن وأبي الســـمال . انظر : المحتســـب ٥٦/١

الآيـــة : ١٩

في التوحيـــد . وقرأ أشهب العقيلي " ظلمات " بفتح اللام[١] ، لأنه لما أراد تحريك اللام حركها الى أخف الحركات ، كقول الشاعـــر :[٢]

فلما رأونا بـاد يـا ركبـاتنـا ... على موطـن لا نخلط الجد بالهزل[٣]

وقوله تعالى (وَرَعْـــدٌ) : الرعـد هو الصوت الذى يخرج من السحاب .

(وَبَـرْقٌ) : هي النار التي تخرج منـــه ، قال مجاهـد : الرعـد ملك يسبح بحمـــده ، ويقال لذ لك الملك رعـــد ولصوتـه أيضـا رعـــد .[٤]

وقال عكرمـــة[٥] : الرعـد ملك موكل بالسحاب يسوقها كما يسوق الراعي الابـل .[٦]

وقال شهر بن حوشب[٧] : [هـــو ملك][٨] يزجـي السحـاب كما يزجي الراعي الابـل ، فـاذا

---

(١) انظر تفسير القرطـبي ٢١٣/١

(٢) في م كلمة " بيـت " بعد قوله " كقول الشاعر " .

(٣) لم أهتـــد الى قائله ، ولم أجـــده فيما وقفت عليه من الد واوين وكتب اللغـة ، وقد ذكره الثعلبي في تفســيره ٤٠/١ دون أن يعزوه الى أحـــد .

(٤) انظـر تفســير البغوى ٥٣/١ ، وزاد المسير ٤٣/١

(٥) هو عكرمـة بـن أبي جهـل بن هشـام المخزومـي ، صحابي أسلم يوم الفتـــح وحسن اسلامـــه ، واستشهـد بالشام في خـلافـة أبي بكـــر على الصحيح .
انظـــر : التقريـــب ص ٣٩٦ ، والاصابة ٤٨٩/٢ ـ ٤٩٠

(٦) انظر تفسير الطبرى ٣٤٠/١

(٧) هو شهـر بن حوشـب الأشعـرى الشامـي ، مولـى أسمـاء بنـت يزيـد بن السكـــن ، صـدوق كثـير الارسـال والأوهـام ، من الثالثـة ، مات سنة ١١٢ هـ .
التقريـــــب ص ٢٦٩

(٨) ما بين المعقوفتـــين من ط ، م .

الآيـــــــة : ١٩

تبـدد ت السحـاب [١] ضمهـا ، فاذ ا اشتد غضبه طار من فيـه النار فهي الصواعق . [٢]

والصواعق أيضا المهالك ، وهي جمع صاعقـة ، والصاعقة والصاقعة والصعقة كلها الهلاك [٣] ،

ومنه قيل : صعق الانسان اذ ا غشي عليه ، وصعق اذ ا مات . [٤]

قولـه تعالى (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ) :

أى مخافة الموت ، وهو نصب على المصـد ر [٥] ، وقيل : بنزع الخافض [٦] .

وقرأ قتاد ة " حـذ ار الموت " . [٧]

قوله تعالى (وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) أى عالم بهم ، يد ل عليه قوله تعـــــالى

(وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) [٨] ، وقيـل معنـاه : والله مهلكهـــم

---

(١) في ط ، م " السحابـة " .

(٢) انظر تفسـير الطـبرى ٣٣٩/١

وبنحو هـذ ا المعنى روى عن ابن عباس مرفوعـا من طريق سعيد بن جبير في حد يث طويل تضمن قصـة سؤال اليهود ـ عليهم لعنة الله ـ النبي صلى الله عليه وسـلم عن خمسة أشياء ، ومنها قولهم : أخبرنـا ما هـذ ا الرعـد ؟ قال : " ملك من ملائكـة الله عز وجل موكل بالسحاب ، بيد ه ـ أو في يـد ه ـ مخراق من نار يزجـر بـــه السحاب ، يسوقه حيث أمر اللـه " . قالوا : فما هذ ا الصوت الذ ى يسمـــع ؟ قال : " صوتـه " . قالوا : صـد قت .

أخرجـه أحمـد في مسند ه ٢٧٤/١ ، والترمذ ى في سننه ٢٩٤/٥ كتـــاب التفسير ، باب : ومن سورة الرعـــد . قال الترمـذ ى : حد يث حسن غريب .

(٣) انظر اللسـان ١٩٨/١٠ (صعـق) .

(٤) المصـد ر السابق .

(٥) انظر : الد ر المصون ١٧٤/١ ، والبحر المحيـط ٨٧/١

(٦) لم أقـف على هـذ ا القـول .

والأشهر أنـه مفعول من أجـله .

انظر : مشكل اعراب القرآن ٨١/١ ، والتبيان ٣٦/١ ، والبحر المحيـط ١ / ٨٧ ، والفتوحات الإلٰهيـة ٢٤/١

(٧) انظر : البحر المحيط ٨٧/١ ، وزاد أبو حيان : الضحاك وابن أبي ليلى .

(٨) الطـلاق ١٢

الآيـــة : ١٩ ، ٢٠

وجامعهم في النـــار[١]، دليـله (إِلَّا أَنْ[٢] يُحَـاطَ بِكُمْ)[٣] أى تهلكوا جميعا .

(٢٠) قوله تعالى عز وجل (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) :

أى يختلس أبصار المسافرين من شدة ضوئه ، كذلك البيان من القرآن يكاد يذهب بأبصار المنافقين فيأخذهم الى الله ليقبلوا الدين .[٤]

ومعنى " يكاد " أى يقرب من ذلك ولم / يفعل .[٥] وقرأ ابن أبي اسحاق[٦] (٨ / ب) " يخطّف " بنصب الخاء وتشديد الطاء[٧] أى يختطف ، فأدغم .

---

(١) المعنيان متقاربان . انظر : تفسير الطبرى ٣٥٦/١، وتفسير البغوى ٥٤/١

(٢) لفظة " الا " ساقطة من أ وهي من تمام الآية ومثبتة في ط .

(٣) يوسف ٦٦

(٤) انظر نحو هذا المعنى في أضواء البيان ٥٢/١

(٥) انظر : الصحاح ٥٣٢/٢ (كود) ، وتفسير القرطبي ٢٢٢/١

(٦) هو عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي النحوى البصرى ، جد يعقوب ابن اسحاق الحضرمي ، أحد العشرة .
قال يعقوب : مات جدى عبد الله سنة سبع عشرة ومائة ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة .
انظر : غاية النهاية ٤١٠/١

(٧) انظر : البحر المحيط ٩٠/١
وزاد أبو حيان : الحسن والجحدرى .

الآيـــة : ٢٠ ، ٢١

وقوله تعالى (كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ) : أى كلما أضاء البرق للمسافرين مشوا في ضوئه (وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ)[1] بقوا في الظلمة ، كذلك المنافقون لما آمنوا مشوا فيما بين المؤمنين فلما ماتوا بقوا في ظلمة القبر .[2]

وفي حرف عبد الله[3] " مضوا فيه " .[4]

قوله تعالى (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ) : أى لذهب بسمع المسافرين بالرعد وأبصارهم بالبرق ، كذلك لو شاء الله لذهب بسمع المنافقين وأبصارهم بزجر القرآن ووعده ووعيده والبيان الذى فيه ، وجعلهم صما عميا في الحقيقة عقوبة لهم .

وقوله تعالى (إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) : أى من ذهاب[5] السمع والبصر .[6]

(٢١) قوله عز وجل (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) .

قال ابن عباس : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ) خطاب لأهل مكة ، و (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) خطاب لأهل المدينة[7] ، وهو ههنا عام .

---

(١) كلمة " قاموا " ساقطة من أ ، وهي من تمام الآية ومثبتة في م .

(٢) في أ " البرق " وهو تحريف ، والتصويب من ط ، م .

(٣) هو ابن مسعود .

(٤) انظر : البحر المحيط ٩٠/١

(٥) في ط ، م " اذهاب " .

(٦) هذا من التفسير بالجزء ، والا فهو سبحانه قادر على كل شيء ، لا يعجزه شيء ، وهو الكبير المتعال .

(٧) انظر : تفسير البغوى ٥٥/١ ، وتفسير الخازن ٣٨/١

قلت : هذا الذى ذكره ليس مطردا ، وانما هو الغالب ، فقد ورد " يا أيها الناس " في المدني ، و " يا أيها الذين آمنو " في المكي .

انظر : الاتقان ٥٢/١ ـ ٥٣

الآيـــة : ٢١ ، ٢٢

وقوله تعالى (اُعْبُـدُواْ رَبَّـكُمْ) : أي وحـد وه وأطيعوه .

وقوله تعالى (اُلَّـذِى خَلَقَـكُمْ) : أي أوجد كم وأنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئا .

وقوله تعالى (وَالَّذِيـنَ مِن قَبْـلِكُمْ) : أي وخلق الذ ين من قبلكم .

(لَعَـلَّكُـمْ تَتَّقُـونَ) : أي لكي تنجوا من السخط والعذ اب .

قال سيبويـه : " لعل " و " عسى " حرفا ترج ، وهما من الله واجبتان .(١)

(٢٢) قولـه تعالى (اُلَّـذِى جَعَـلَ لَـكُـمُ اُلْأَرْضَ فِـرَاشـــاً وَالسَّمَـــآءَ بِنَـآءً) :

أي هو الذ ى جعل ، وقيل : اعبد وا ربكم الذ ى (٢) جعل لكم الأرض فراشـــا : أي بســـــاطا .

وقوله تعالى (وَالسَّمَآءَ بِنَـآءً) : انما أطلق البناء على السماء د ون الأرض ، لأن خلقها بعـد [خـــلق](٣) الأرض ، قال الله تعالى (هُـوَ اُلَّذِى خَلَقَ لَكُـمْ مَّا فِـي اُلْأَرْضِ جَمِيعـاً ثُمَّ اسْـتَوَىٰ إِلَى اُلسَّمَآءِ فَسَـوَّاهُـنَّ) .(٤)

---

(١) حكاه عنه الثعـــلبي في تفســـيره ٤٢/١

وقوله : " واجبتان " : أي أن مضمون جملتهما متحقق الوقوع .

(٢) على التقد ير الأول " الذ ى جعل " خبر ، والمبتد أ محذ وف كما قدره المؤلـف .

أما على التقد ير الثاني فهو بد ل من " ربكـم " .

وقال العكبرى : هو في موضـــع نصب بتتقـــون ، أو بد ل من ربكـــم ، أو صفة مكررة ، أو باضمار " أعـــني " .

انظر : التبيان ٣٨/١ ، وانظر : مشكل اعراب القرآن ٨٣/١

(٣) ما بين المعقوفتـــين من ط ، م .

(٤) البقـــرة ٢٩ .

قال الحافظ ابن كثير ـ بعد أن أورد عد د ا من الآيات في هذ ا الباب ـ : فـــفي هذ ا د لالة على أنه تعالى ابتد أ بخلق الأرض أولا ، ثم خلق السموات سبعا .

قال ابن كثير : وفي صحيح البخارى : أن ابن عباس سئل عن هذ ا بعينه ، فأجـــاب : بأن الأرض خلقت قبل السماء وأن الأرض انما د حيت بعد خلق السمـــاء .

تفسير ابن كثير ٧١/١ ـ ٧٢

الآيـــة : ٢٢

قال ابن عباس : كل سماء مطبقة على الأخرى كالقبة ، وسماء الدنيا ملتزقة أطرافها بالأرض .(١)

وقوله تعالى (وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً) : أي من السحاب ، سمي سماء لقربه من السماء وقيل معناه : من نحو السماء ، وقيل : لأن الله تعالى ينزل المطر من السماء الى السحاب ، ومن السحاب الى الأرض ، وقيل : يخلق الله المطر في السحاب ثم ينزله منه الى الأرض .(٢)

قوله تعالى (فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ)(٣) : ظاهر المراد .

قوله تعالى (فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا) : أي أمثالا ونظراء .

(وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) أن الله خلق كافة الأشياء دون غيره ، وأن ليس للأصنام عليكم نعمة تستحق بها عبادتكم .

---

(١) لم أجد من عزاه لابن عباس .

وقد روى نحو هذا المعني مرفوعا ، من حديث جبير بن مطعم عن أبيه عن جده ، وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ويحك ، أتدري ما الله ؟ ان الله على عرشه ، وعرشه على سماواته ، وسماواته على أرضه هكذا " . وقال بأصبعه مثل القبة .

أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٧٨ واللفظ له .

وأخرجه أبو داود في سننه ٥/٩٤ ـ ٩٥ كتاب السنة : باب في الجهمية ، رقم الحديث ٤٧٢٦ .

وابن خزيمة في كتاب التوحيد ١/٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

والبغوي في شرح السنة ١/١٧٥ ـ ١٧٦

(٢) وكل هذه المعاني متقاربة ، ومرجعها الى أن المراد بالسماء هنا السحاب ، اذ المطر انما ينزل على الأرض من السحاب .

(٣) قوله " رزقا لكم " ساقط من أ ، وهو من تمام الآية ، ومثبت في م .

الآيـــة : ٢٣

(٢٣) قولـه تعـالى (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ) : أى في شـك (مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا) محمد صلى الله عليه و سلم أنه ليس مني ، وأن محمدا يختلقه من نفسه (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ) أى من بشر مثله . والهاء في " مثله " عائدة الى النبي صلى الله عليه و سلم .(١)

وقيل معناه : فأتوا بسورة من مثل ما نزلنا .(٢)

قوله تعالى (وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ) : أى آلهتكم ومن رجوتم / معونته في الاتيان بسورة مثله (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) أنه ليس (٩ / أ) من الوحي .

وقوله تعالى (فَأْتُوا) أمر تعجيز ، لأنه تعالى علم عجز العباد عنه .

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٣٧٤/١ ، والتبيان ٤٠/١

(٢) فتكون الهاء عائدة الى القرآن ، وهو قول جمهور المفسرين وأهل اللغة . منهم مجاهد وقتادة ، وبه قال أبو عبيدة والفراء وابن جرير الطبرى والزمخشرى وابن كثير .

قال الطبرى رحمه الله ـ بعد أن ذكر القولين ـ : " والتأويل الأول الذى قاله مجاهد وقتادة هو التأويل الصحيح ، لأن الله جل ثناؤه قال في سورة أخرى (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ) يونس ٣٨ . ومعلوم أن السورة ليست لمحمد بنظير ولا شبيه . " ١٠ هـ .

انظر : تفسير الطبرى ٣٧٤/١ ، ومجاز القرآن ٣٤/١ ، ومعاني القرآن للفراء ١٩/١ ، والكشاف ٩٩/١ ، وتفسير ابن كثير ٦٣/١

الآيـــة : ٢٤ ، ٢٥

(٢٤) قولـه تـعالى (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ) : أى فان لم تأتوا بمثلـــــه ، ولن تأتـوا بذلك أبـدا (فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) : أى حطبها الناس والحجارة .

وقيل : المراد بالحجارة حجارة الكبريت [١] ، لأنها أسرع وقودا [وأبطأ خمودا][٢] وأنتن رائحـة وأشـد حراً وألصق بالبـدن .[٣]

(٢٥) قوله تعالى (وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ) :

أى بأن لهم ، موضع [أن][٤] نصـب بنزع الخافض .[٥]

وقولـه تـعالى (جَنَّٰتٍ) أى بساتين (تَجْرِى) من تحت شجرها ومساكنها و غرفها [الأنهـار][٦] أنهار الماء والعسل والخمر واللبن .

قوله تـعالى (كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ) أى كلما أطعموا من أنواع الثمرات [٧] بالبكر والعشيات اذا أتوا بـه بكرة قالـــوا : هذا الذى أوتينـا بـه عشيـة ، واذا أتـوا بـه عشيـة قالـوا هـذا الـــذى

---

(١) روى ذلك عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وابن جريج ، والسدى .
انظر : تفسير الطبرى ٣٨١/١ ـ ٣٨٢ ، وتفسير ابن أبي حاتـــم ٨٥/١ ـ ٨٦ .

(٢) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٣) انظر هذا التعليل في تفسير القرطبي ٢٣٥/١ . وهذا التعيين يحتاج الى دليـــل .

(٤) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٥) انظر : التبيان ٤١/١

(٦) ما بين المعقوفتين من م .

(٧) في ط " الثمار " .

الآيـــــة : ٢٥

أوتينا بـه بكـرة [١] ، فاذا طعموه وجدوا طعمه غير الطعم الذى طعموه من قبل .

وقوله تعالى (**وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا**) : أى في المنظـر [٢] ، مختلفا في الطعم . [٣]

قوله تعالى (**وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ**) : أى نساء وجوار لا يحضن ولا يتخطـن ولا يلـدن ولا يحتجـن الى ما يتطهـر منـه ولا يحسـدن ولا يغـرن ولا ينظـرن الـى غـير أزواجهـن ، مهذبات في الخلق والخـلق ، طاهرات من كل دنس وعيب . [٤]

قولـه تعالى (**وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) : أى هم مع هذه الكرامات دائمون لا يموتـون ولا يخرجـون أبـدا .

وسـئل صلى الله عليه وسـلم : ما بال أهـل الجنـة عملوا في عمر قصير فخلدوا فـي الجنـة ، وما بـال أهـل النـار عملوا في عمر قصـير فخلدوا في النـار ؟ فقال : " كل واحـد

---

(١) عزاه ابن الجوزى وأبو حيان لابن عباس والضحاك ومقاتل .

انظر : زاد المسير ١/٥٢ ، والبحرالمحيط ١/١١٤

وذهب بعض المفسرين الى أن معنى قوله (**من قبـل**) : أى في الدنيا .

روى ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومجاهد وابن زيـد ، وهو اختيـار ابن جرير الطـبرى .

انظر : تفسير الطـبرى ١/٣٨٦ ـ ٣٨٧ ، وتفسير القرطبي ١/٢٤٠ ، وتفسـير ابن كثـير ١/٦٦ ، والدر المنثـور ١/٩٦

(٢) في أ " في المظـر " والتصويب من م .

(٣) روى هذا عن ابن عباس ، وابن مسعود ، ومجاهـد ، والربيع بن أنـس ، واختـاره ابن جرير الطـبرى .

انظر : تفسير الطبرى ١/٣٩٠ ـ ٣٩٢

(٤) روى نحـو هـذا المعـنى عـن ابن عبـاس ، وابن مسعـود ، ومجاهـد ، وقتـادة ، والحسـن ، وعطـاء .

انظر : تفسير الطبرى ١/٣٩٥ ـ ٣٩٧ ، وتفسـير ابن كثـير ١ / ٦٦ ، والـدر المنثـور ١/٩٧ ـ ٩٨

الآيـــة : ٢٥ ، ٢٦

من الفريقـين يعتقد أنه لو عاش أبدا عمل ذلك العمـــل " .(١)

والبشارة المطلقة : هو الخبر السار الذى يحدث عنده الاستبشار والسرور ، وان كان قـــد يستعمل مقيـداً فيما يسوء كما قال تعالى (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (٢).

ولهذا قال علماؤنا (٣) فيمن قال : أى عبيـدى بشرني بقدوم فلان فهو حـر ، فبشـــره جماعة من عبيـده واحد بعد واحـد : أن الأول يعتق دون غيره ، لأن البشارة حصـلت بخبره خاصـة ، بخلاف ما اذا قال : أى عبيـدى أخبرني بقدوم فلان ، فأخـــبره (٤) واحدٌ بعد واحـدٍ : فانهم يعتقون جميعـا .(٥)

(٢٦) قولـه تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)

هـذا مثل آخـر للمنافقين ، وسببه لما ذكـر الله في المنافقين المثلين المتقدمين قالوا : ان الله أعلى وأجـل من أن يضرب هـذه الأمثال ، فأنزل الله هـذه الآية (٦) لأن البعوضة تحيى ما دامت جائعة فاذا شبعت هلكت ، فكذلك المنافقون يحيـون ما افتقروا فاذا شبعوا بطروا وهلكـوا .(٧)

فكأنه قال تعالى : كيف أستحيي من ضرب المثل في المنافقين وأنا أضربه بالبعـوض الذى هو مثلهم .

---

(١) لم أقف على تخريجـــه .

(٢) الانشقـــاق ٢٤

(٣) أى علمـاء الأحنـــاف ، حيـث أن المؤلـف يذهب مذهب الأحنـاف .

(٤) في ط " فأخـبروه " .

(٥) انظر : أحكام القرآن للجصـاص ٣٦/١

(٦) وهو مروى عن ابن عباس من رواية أبي صالح، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس مـن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

انظر : تفسير الطـبرى ٣٩٨/١ ، وأسباب النزول للواحدى ص ٢١

(٧) وهـذا مروى عـن الربيـع بن أنـس .

انظر : تفسـير الطبرى ٣٩٩/١

الآيـــة : ٢٦

وقيـل : ان المشركـين / لما نزل قوله تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ (٩ / ب)
لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا) . (١)

وقوله تعالى (مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ) . (٢)

قالـوا : ان الله (٣) تعالى يضرب المثل بالذباب والعنكبوت . فأنزل الله هذه الآيـة (٤) ،
كأنـه قال : لاأستحيي بضرب المثـل بالبعوض والعنكبوت (٥) مع صغرهما ، فانهمـا
يعجـزان آلهتهم . (٦)

ومعنى الآيـة : أن الله لا يمنعه الحياء أن يضرب الحق شبها ما بعوضة فما أكبر منها مثـل
الذباب وغـيره . (٧) وقيل : (فَمَا فَوْقَهَا) في الصغر . (٨)

قوله تعالى : (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ) :
أي فيعلمون أن المثل حق من ربهم . (وَأَمَّا ٱلْكَٰفِرُونَ فَيَقُولُونَ) أي شيء أراد الله بذكـر
البعـوض والذبـاب مثـلا .

قوله تعالى (يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا) : أي قل لهم يا محمـد يضل ويخـذل
بالمثل كثيرا من الناس ، ويوفـق لمعرفتـه كثـيرا .

---

(١) الحـج ٧٣
(٢) العنكبـوت ٤١
(٣) في ط " ان رب محمـد " .
(٤) وهو مروى عن قتادة .
انظر : تفسير الطبرى ٤٠٠/١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٩٣/١
(٥) في ط " والذباب " .
(٦) في ط " آلهتكـم " .
(٧) وهذا المعنى هو الذى عليه جمهرة المفسرين .
(٨) وهو قول أبي عبيـدة في مجازه ٣٥/١

الآيـــــة : ٢٦

(وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ) يعني الخارجين عن طاعة الله . قيل : هم اليهود في هذه الآية .(١)

و " ما " (٢) في قوله (مَثَلاً مَّا) قيل : نكرة (٣)، معناه : أن يضرب مثلا شيئا من الأشياء بعوضة فمافوقها ، وقيل : الأصح أنها زائدة ، مثل (فَبِمَا نَقْضِهِمْ) (٤) ولا اعراب لها، فيتخطاها الناصب والخافض الى ما بعدها .(٥)

وقيل : نصب بعوضة على معنى " ما بين بعوضة الى ما فوقها " .(٦)

فاذا ألقي " بين " و " الى " نصب . ويقال في الكلام : هي أحسن الناس ما قرنا [فقد ما](٧) .

---

(١) عزاه ابن الجوزى لابن عباس ومقاتل . انظر : زاد المسير ٥٦/١
قلت : والتعميم أولى . والله أعلم .

(٢) في أ ، م " أما " وهو خطأ ، والتصويب من ط .

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ١٠٤/١ ، والتبيان ٤٣/١

(٤) من الآية ١٥٥ من سورة النساء ، وتمامها : (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً) .

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ١٠٣/١ ، ومشكل اعراب القرآن ٨٣/١ ، والتبيان ٤٣/١ ، وزيادتها هنا للتوكيد ، لأنه ليس في القرآن زيادة لغير معنى .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٢/١ ، وتفسير الطبرى ٤٠٥/١

(٧) ما بين المعقوفتين من ط ، م .
وانظر هذا المثل في تفسير الطبرى ٤٠٥/١ ، ومعاني القرآن للفراء ٢٢/١ ومعناه : ما بين قرنها الى قدمها .

الآيـــة : ٢٦ ، ٢٧

قوله تعالى (**مَثَـــلاً**) نصب على القطع عند الكوفيين ، غيرأنه قطع الاضافـــة : أي بهذا المثـــل .(١) وعنـــد البصريين على الحال : أي ما أراد الله بالمثـــل في هـــذه الحالـــة .(٢)

(٢٧) قوله تعالى (**ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّـــهِ**) :

نعت للفاسقين (٣) . ومن جعله مبتدأ (٤) وقف على (**ٱلْفَاسِقِينَ**) .

وقوله تعالى (**يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّـهِ**) : أي يتركون أمر الله ووصيته من بعد تغليظه وتوكيـــده . والعهد : ما أخذه الله على النبيين ومن اتبعهم أن لا يكفـــــروا بالنبي صلى الله عليه و سلم ، ويبينوا نعته وصفتـــه .(٥)

قوله تعالى (**وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ**) : يعني الرحم الذي أمرهم بصلته .(٦)

---

(١) انظر : الدر المصون ٢٣١/١ ـ ٢٣٢ ، وتفسير القرطبي ٢٤٤/١ ، والبحـــر المحيـــط ١٢٥/١

(٢) انظـــر المصـــادر السابقـــة .

(٣) انظـــر : معاني القرآن للزجـــاج ١٠٦/١ ، والتبيـــان ٤٤/١

(٤) انظـــر المصدرين السابقـــين .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجـــاج ١٠٥/١

وقال أبو حيـــان : " والعمـــوم هو الظاهـــر ، فكل من نقض عهـــد اللـــه مـــن مســـلم وكافـــر ومنافـــق أو مشـــرك أو كتابـــي تناوله هـذا الـذم " .

انظر : البحـر المحيـــط ١٢٧/١

(٦) وبهـــذا قـال ابن جرير الطبري ، وروى نحوه عن قتادة .

انظر : تفسير الطبري ٤١٥/١ ـ ٤١٦

واختار القرطبي وأبو حيان والشوكاني حمله على العموم في كل ما أمر الله به أن يوصل ، اذ لا دليل واضح على الخصوص .

وحكاه القرطبي والشوكاني عن الجمهور .

انظر : تفسير القرطـبي ٢٤٧/١ ، والبحـر المحيـط ١٢٨/١ ، وفتـح القديـــر ٥٨/١

الآيـــة : ٢٨ ، ٢٩

(٢٨) قوله تعالى (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً)

أى وكنتم نطفا في أصلاب آبائكم (فَأَحْيَاكُمْ) في أرحام أمهاتكم وأخرجكم نسما صغارا (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) عند انقضاء آجالكم (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) للبعث (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) في الآخرة .

(٢٩) قوله تعالى (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً)

يعني من الشجر والثمار والدواب .

(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) .

فان قيل : هذه الآية تقتضي أن خلق السماء بعد الأرض ، وقال تعالى في آية أخرى (أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا)(١) ، ثم قال (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا)(٢)

قيل : مجموع الآيتين يدل على أن خلق الأرض قبل السماء ، الا أن بسط الأرض بعد خلق السماء .(٣)

---

(١) النازعات ٢٧ (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا) .

(٢) النازعات ٣٠

(٣) وقد أخرج الطبرى عن ابن عباس من طريق معاوية بن صالح ، عن علي ابن أبي طلحة : أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ، ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فذلك قوله : (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) .

انظر : تفسير الطبرى ٤٣٧/١

(٣٠) قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) يعني آدم وذريته (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا) .

واختلفوا في معنى الخليفة / فروى أن رجلا سأل طلحة [١] والزبير [٢] (١٠ / أ) وكعبا [٣] وسلمان [٤] : ما الخليفة ؟ وما الملك ؟ فقال طلحة والزبير : ما ندري . وقال سلمان : الخليفة هو الذي يعدل في رعيته ويقسم بينهم بالسوية ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله والوالد على ولده ، ويقضي بكتاب الله تعالى . فقال كعب : ما كنت أحسب أن أحدا يعرف الخليفة

---

(١) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي ، صحابي جليل ، شهد أحدا وما بعدها من المشاهد ، قتل ـ رحمه الله ـ يوم الجمل ، سنة ٣٦ هـ .
انظر : الاستيعاب مع الاصابة ٢/٢١٠ ـ ٢١٦

(٢) هو الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي ، أبو عبد الله ، حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، قتل سنة ٣٦ بعد أن انصرف يوم الجمل .
انظر : الاصابة ١/٥٢٦

(٣) هو كعب بن ماتع الحميري، المشهور بكعب الأحبار ، أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وأسلم في خلافة أبي بكر ، وقيل في خلافة عمر ، وكان قبل اسلامه يهوديا . مات في خلافة عثمان سنة ٣٢ هـ .
انظر : تهذيب الأسماء ٢/٦٨

(٤) هو سلمان الفارسي ، أبو عبد الله ، أصله من رامهرمز ، وقيل : من أصبهان ، سمع بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم فخرج في طلب ذلك ، فأسر وبيع بالمدينة ، فاشتغل بالرق حتى كان أول مشاهده الخندق ، وشهد بقية المشاهد وفتوح العراق وولي المدائن . مات سنة ٣٦ هـ وقيل : ٣٧ ، وقيل : ٣٣ ، واختلفوا في عمره ، فقيل : عاش ٢٥٠ سنة ، وقيل : ٢٥٠ . وقال الذهبي : ما أراه بلغ المائة .
انظر : سير أعلام النبلاء ١/٥٠٥ ـ ٥٠٦ ، والاصابة ٢/٦٠ ـ ٦١

الآيـــة : ٣٠

من الملك غـــيرى ، ولكن الله مـــلأ سلمان علما وحلمـا وعـــد لا .(١)

وروى أن عمـــر رضي الله عنه قال لسلمان : أملك أنا أم خليفـــة ؟

فقال سلمان : ان أنت جبيت أرض المسلمين د رهمـا أو أقل أو أكثر ، ووضعته في غير حقـــه فأنت ملك ، وان أنت فعلت بالعد ل والانصاف فأنت خليفـــة . فاستغفر عمـــــــــــر رضي اللـــه عنـــه .(٢)

وروى أن معاويـــة (٣) كان يقول ـ اذا جلس على المنبر ـ يا أيها الناس ، ان الخلافـــة ليست بجمع المال ولا تفريقـــه ، ولكن الخلافة العمل بالحـــق والحكم بالعد ل وأخـــــذ الناس بأمر الله عز وجـــل ، كذا في تفسير الثعلبي (٤) رحمه الله .

قوله تعالى (**أَتَجْعَـلُ فِيهَـا مَن يُفْسِـدُ فِيهَا**) : أى يعصيك فيها . (**وَيَسْفِكُ الدِّمَـــآءَ وَنَحْـنُ نُسَـبِّحُ بِحَمْـدِكَ وَنُقَـدِّسُ لَـكَ**) : أى نبزيك من السوء ونصلي لك ونطهـــــــــر أنفسـنا لـك .

وقيل : اللام في (نقـد س لـك) زائـد ة ، أى نقد ســك .(٥)

---

(١) انظر هـذا الأثـــر في تفســير الثعلبي ٤٩/١

(٢) المصـد ر السابـق .

قلـــت : ان صحت هذه الآثار فهي ليست مطـــرد ة ، فقد يجور الخليفـة ويعـــد ل الملك ، وقد جعل الله سبحانـــه وتعالـــى من بين أنبيائـه ملوكـا .

(٣) هو معاوية بن أبي سفيان القرشـــي الأموى ، صحب النبي صلى الله عليه وســـلم وكتب له ، ولاه عمـر الشام وأقـره عثمـان ، ثم استقل بالخلافـة لما صالح الحسن بـن علي . مات سنة ستين على الصحيـــح .

انظر : الاصابـــــــة ٤١٢/٣ ـ ٤١٤

(٤) هو أحمد بن ابراهيم ، أبو اسحاق النيسابورى الثعلبي ، صاحب التفسير ، كـــــان أوحـد زمانـــه في علم القرآن ، مات سنة ٤٢٧ هـ .

انظر : طبقات المفسرين للد اود ى ٦٦/١ ـ ٦٧

وانظر ما نقله عـــن الثعـــلبي في تفســـيره ٤٩/١

(٥) انظر : البحر المحيط ١٤٣/١ .

وقال أبو حيان : والأحسن أن تكون معد ية للفعل كهي في قوله " يسبح للـــــه " ، " ســبح للـــه " .

الآيـــــة : ٣٠

قولـه تـعالى (**قَـالَ إِنِّـي أَعْـلَـمُ مَـا لَا تَـعْلَمُـونَ**) أى أعلم أنه سيكون فيهم أنبياء وقوم صالحون يسبحون بحمد ى ويقد سون لي ويطيعون أمرى ٠

وروى أن الله تعالى لما خلق الأرض جعل سكانها الجن بني الجان ، وجعل سكان السمـــوات الملائكـــة ، لأهل كل سماء عباد ة أهون من التي فوقها ، وكان ابليس مع جند من الملائكـــة في سماء الد نيـا ، وكان رئيسهم واسمه عزازيـــل [١] ، فلما أفسـد ت الجن بنوا الجـــــان الذ ين سكنوا الأرض فيما بينهم وسفكوا الد مـاء [٢] و عملوا المعاصي ، بعث الله اليهـــــم ابليس مع جنـــد ه ، فهبطوا الى الأرض وأجلوا الجن منها وألحقوهم بجزائر البحار ، وسكـن ابليس والجند الذ ين معه في الأرض ، فلمـا أراد الله أن يخلق آدم وذريتـه قال للملائكـــة الذ ين كانوا مع ابليس في الأرض (**إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَـــةً**) فتعبوا من ذلـــــــك ، وقالوا (**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِـــدُ فِيهَا**) كما فعلت الجن بنو الجان (**ونحن نسبح بحمـــد ك ونقـــد س لك**) ٠ فلما قالوا هـذ ا القول خرجت لهم نار من الحجب فأحرقت عشرة آلاف مـــلك منهم ، وأعرض الرب سبحانه عن الباقين حتى طافوا حـول [٣] العرش سبع سنين يقولـــــون : لبيـــك اللهم لبيـــك اعتـــذ ارا اليـــك ٠ [٤]

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٥٠٢/١

(٢) زياد ة الواو من ط ، م ٠

(٣) في ط " بالعرش " ٠

(٤) ورد ت آثار بنحو هـذ ا عند الطبرى وابن أبي حاتم وغيرهما ، مع اختلاف بالزيـاد ة والنقـص ، والتقد يم والتأخـــير ٠

وقـــد حكم الحافظ ابن كثـير على بعضهـا بالنكـارة ، وأنـه من الاسرائيليات ٠

انظر : تفسـير الطـبرى ٤٥٥/١ ، وابن أبي حاتـــــــم ١ / ١١٢ ، وابـن كثـــــــير ٧٤/١ ، والـــد ر المنثـــور ١١٣/١

وقد أحسن الحافظ ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى (**قالوا أتجعل فيهـا مـــــن يفســد فيهـا**) ٠ حيث يقول : " قول الملائكـة هذ ا ليس على وجه الاعـــــتراض على الله ، ولا على وجـه الحسد لبني آد م كما قـد يتوهمـه بعض المفسرين ٠٠٠٠ وانما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذ لك " ٠ انتهى مختصـــــــــرا من تفســـير ابن كثـــير ٧٣/١

الآيـــــة : ٣١

(٣١) قولــه تعالى (وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا)

وذلك أن الله قال للملائكة (إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً) قالوا فيما بينهم : يخلق ربنا ما يشاء ، فلن يخلق أفضل ولا أكرم عليه منا ، وان كان خيرا منا فنحن أعلم منه، لأنا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره .

فلما أعجبوا بعلمهم و عبادتهم فضل الله آدم عليهم بالعلم ، فعلمه الأسماء كلها ، وهي أسماء الملائكة (١) ، وقيل : أسماء ذريته .(٢)

وقال ابن عباس : أسماء كل شيء من الدواب / والطيور والأمتعة حتى الشاة (١٠ / ب) والبقرة والبعير ، وحتى القصعة والسكرجة .(٣)(٤)

---

(١) روى هذا عن الربيع بن أنس وأبي العالية .

انظر : تفسير الطبرى ٤٨٥/١ ، وزاد المسير ٦٣/١ .

(٢) وهو مروى عن ابن زيد . انظر : المصدرين السابقين .

(٣) السكرجة : بضم السين و الكاف والراء والتشديد : اناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم ، وهي فارسية .

انظر : النهاية ٣٨٤/٢ ، واللسان ٢٩٩/٢ (سكرج)

(٤) انظر قول ابن عباس بمعناه في تفسير الطبرى ٤٨٢/١ ، وتفسير ابن كثير ٧٦/١ وقد أخرج البخارى في صحيحه من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه " يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا الى ربنا ، فيأتون آدم ، فيقولون : أنت أبو الناس خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، و علمك أسماء كل شيء ، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ..... " . الحديث .

انظر : صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة البقرة ، باب : قول الله (وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا) .

الآيـــة : ٣١

وقيل : أسماء كل شيء من الحيوان والجمادات وغيرها،
فقيل [(١) لـه] هـذا فرس ، وهـذا حمار ،وهـذا بغـل ، حتى أتى على اخرها (٢)، ثم عـرض تلك الشخوص المسميات على الملائكـة .(٣)

ولم يقل عرضها ، رده الى الشخوص المسميات ، لأن الأعراض لا تعرض ، وان شئت قلت : لأن فيهم من يعقل فغلبهم . وفي قراءة أبي (٤) " ثم عرضها " (٥) .

وقال الضحاك : علم الله آدم أسماء الخلق والقرى والمدن والأجبل وأسماء الطير والشجـر وأسماء ما كان وما يكون وكل نسمة الله باريها الى يوم القيامـة ، وعرض تلك الأسماء عـلى الملائكة فقال : (أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَـٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) بأن الخليفـة

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط .

(٢) وهذا بمعنى القول الذي قبله .

(٣) روى هذا المعنى عن ابن مسعود وغيره . انظر : تفسيرالقرطبي ٢٨٣/١
كما أخرج الطبرى من طريق أبي صالح عن ابن عباس ، ومن طريق مرة عن ابـن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (ثـم عرضهـم) : ثم عرض الخلق على الملائكـة .
انظر : تفسير الطبرى ٤٨٧/١

(٤) هو أبي بن كعب بن قيس ، أبو المنذر الأنصارى المدني ، سيد القراء بالاستحقاق وأقرأ هـذه الأمـة على الاطلاق ، قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم القـرآن العظيم ، وقرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم بعض القرآن للارشاد والتعـليم ، اختلف في موتـه اختلافاً كثيرا ، فقيل سنة تسع عشـرة ، وقيل سنة عشريـن ، وقيـل سـنة ثلاث وعشـرين .
انظر : غايـة النهايـة ٣١/١

(٥) انظـر :البحـر المحيـط ١٤٦/١ ، وتفسـير ابن كثير ٧٦/١

الآيـــة : ٣١ ، ٣٢

الذى أجعله يفسد فيها ويسفك الدماء ،أراد بذلك كيف تدعون علم ما لم يكن وأنتم لا تعلمون علم ما ترون وتعاينون .(١)

وقال الحسن و قتادة : معناه ان كنتم صادقين أني لا أخلق خلقا الا كنتم أعلم منه (٢) وأفضل فقالت الملائكة ـ اقرارا بالعجز واعتذارا ـ :

(٣٢) (سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا)

أى تنزيها لك عن الاعتراض في حكمك وتدبيرك .

(إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ) بخلقك (الْحَكِيمُ) في أمرك .

و " سبحانك " منصوب على المصدر : أى نسبح سبحانا في قول الخليل .(٣)

وقيل : على النداء المضاف : أى [يا](٤) سبحانك .(٥)

قوله تعالى (الْحَكِيمُ) له معنيان : أحدهما : المحكم للفعل ، كقولهم " عذاب أليم " أى مؤلم ، و " ضرب وجيع " أى موجع ، فعلى هذا هو صفة فعل .

والآخر : بمعنى الحاكم(٦) ، فحينئذ يكون صفة ذات .(٧)

---

(١) رواه الثعلبي من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس .
انظر : تفسير الثعلبي ٤٩/١ مخطوط .

(٢) في ط " منهم " .
وانظر قول الحسن وقتادة في تفسير الطبرى ٤٩٠/١

(٣) وزاد القرطبي نسبة هذا القول لسيبويه .
انظر : تفسير القرطبي ٢٨٧/١

(٤) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٥) وهو محكي عن الكسائي . انظر : تفسير القرطبي ٢٨٧/١

(٦) في ط " العالم " .

(٧) انظر : زاد المسير ٦٣/١ ، وتفسير القرطبي ٢٨٧/١

الآيـــة : ٣٢ ، ٣٣

قوله تعالى (ءادم) : الأدمة لون مشرب سوادا .[١] وقيل : هي كل لون يشبه لون التراب .[٢]

فلما ظهر عجز الملائكة قال الله تعالى :

(٣٣) (يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ) أى أخبرهم بأسمائهم ، فسمى كل شيء باسمه ، وألحق كل شيء بجنسه .

(فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ)الله (أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ) يا ملائكتي (إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ) وما كان فيها وما يكون (وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ) من الخضوع والطاعة لآدم . (وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ) في أنفسكم له من العداوة .[٣]

وقيل : أعلم ما تبدون من الاقرار بالعجز والاعتذار ،وماكنتم تكتمون من الكراهة في استخلاف آدم عليه السلام .[٤]

وقيل : معناه أعلم ما أظهرتم من الطاعة ، وما أضمر ابليس من المعصية لله تعالى في الأمر بالطاعة لآدم عليه السلام .[٥]

وذلك أن الله لما صور آدم ، ورآه ابليس ، قال للملائكة الذين معه : أرأيتم هذا

---

(١) انظر : اللسان ١١/١٢ (أدم) .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ١١٢/١

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٥٠/١

(٤) انظر : البحر المحيط ١٥٠/١

قلت : والقول بأن الملائكة إنما قالوا ذلك عداوة لآدم ، أوكراهة لاستخلافه ، كل ذلك لا يليق بالملائكة الذين جبلهم الله على طاعته ، كما قال تعالى (بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ * لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ) الأنبياء ٢٦ ، ٢٧

(٥) حكاه الخازن عن ابن عباس . تفسير الخازن ٤٧/١

الآيـــة : ٣٣ ، ٣٤

الذى لم تروا من الخلائق مثله ، ان أمركم الله بطاعتـه ماذا تصنعون ؟ قالوا : نطيـــــع ، وأضمر الخبيث في نفسه أنـه لا يطيع .(١)

وقيل : معناه (أَعْـلَمُ مَاتُبْـدُ ونَ) يعني قولهم (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا) (وَمَا كُنـتُمْ تَكْتُمُـونَ) يعني قولهم : لن يخلق الله خلقا أفضل ولا أعلم ولا أكرم عليه منا .(٢)

فان قيل : في قوله تعالى (أَنبِـئُـونِي بِأَسْمَـآءِ هَـٰؤُلَآءِ) أمر تكليف ما لا يطاق / فهل يجـوز (١١ / أ) تكليف ما لا يطاق ؟ قلنا : الصحيح أنه ليس بتكليف ، وهـذا كمن يلقي المسألة عـلى(٣) من يتعلم منه ، فيقول : أخبرني بجواب هـذه المسألة ، ولا يريـد بذلك أن يأمره بجوابها لأنـه يعلم(٤) أنه لا يعرفـه ، بل يقصد أن يقرر عليه أنه لا يعرف جوابها ، ليكون أشـــد حرصا على تعلم تلك المسألة .

(٣٤) قوله تعالى (وَإِذْ قُلْنَـا لِلْمَلَـٰٓئِكَـةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيـسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ) .

ظاهر الآيـة أن ابليس كان من الملائكة ، لأنـه مستثنى منهم ، والى هـذا ذهـب جماعة من العلمـاء(٥) ، وقالوا : معنى قوله في آيـــة أخـرى :

---

(١) انظر : تفسير البغوى ٦٢/١ ، وزاد المسـير ٦٤/١

(٢) وهو مروى عن الحسن وقتادة والربيـــع بن أنس .
انظر : تفسير الطبرى ٥٠٠/١ ، وتفسير البغوى ٦٢/١
قلـت : ولعـل الأولى حمله عـلى العمـوم فـي كـل مـا أبـدوه ومـا كتمـوه مـن أمورهـم . والله أعـلم .

(٣) في أ " عـن " والتصويب من ط ، م .

(٤) في ط " يعـرف " .

(٥) منهـم ابن عباس ، وابن مسعـود ، وسعيد بن المسيـب ، وقتـــادة ، وابـن جريـج . واختاره الطبرى والقرطـبي .
انظـر : تفسير الطـبرى ٥٠٢/١ ـ ٥٠٨ ، والقرطبي ٢٩٤/١

الآيـــة : ٣٤

(إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) [١] يعني من خزان الجنان . [٢]

وذهب جماعة آخرون : الى أنه من أولاد الجان ، لأنه مخلوق من نار ، وله ذرية . والملائكة من نور وليس لهم ذرية . [٣]

فعلى هذا يكون مستثنى منقطعا [٤]، مثل قوله تعالى (مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ) . [٥]

وقيل : سبب كونه مع الملائكة : أن الملائكة لما حاربت الجن سبوا ابليس صغيرا ، فنشأ معهم ، فلما أمرت الملائكة بالسجود امتنع وكفر و عاد الى أصله . [٦]

---

(١) من الآية ٥٠ من سورة الكهف (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٩٣/٣

(٣) روى بمعناه عن شهر بن حوشب ، وسعد بن مسعود .

انظر : تفسير الطبرى ٥٠٧/١ ، والبحر المحيط ١٥٣/١

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٢٩٤/١

(٥) النساء ١٥٧

و على القول الأول الإستثناء متصل ، وهوقول الجمهور .

انظر : تفسير القرطبي ٢٩٤/١ ، والبحر المحيط ١٥٣/١

و قال ابن كثير في تفسير الآية : " والغرض أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم دخل إبليس في خطابهم ، لأنه وإن لم يكن من عنصرهم إلا أنه كان قد تشبه بهم وتوسم بأفعالهم ، فلهذا دخل في الخطاب لهم و ذم في مخالفة الأمر " .

تفسير ابن كثير ٨٠/١

(٦) انظر : تفسير الطبرى ٥٠٧/١

قلت : والقول بأنه من الجن هو الصحيح كما صرحت بذلك آية الكهف السابقة .

الآيـــــة : ٣٤

وقوله تعالى (اُسْجُـدُواْ لِآدَمَ) : هو سجـود تعظيم وتحيـة ، لا سجود صلاة ولا عبادة [١] ، نظيره في قصة يوسف عليه السلام (وَخَرُّواْ لَـهُ سُجَّـداً) [٢] . وكان ذلك تحية النـــاس وتعظيم بعضهم بعضا . ولم يكن وضع الوجه على الأرض ، وانما كان الانحناء ، فلما جـــاء الاســلام أبطل ذلك بالســـلام . [٣]

وفي الحديث أن معاذ بن جبل لما رجع من اليمن سجد لرسول الله صلى الله عليه وسـلم ، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : " ما هذا " ؟ قال : رأيت اليهـــود يسجدون لأحبارهم ، والنصارى يسجدون لقسيسهم . فقال صلى [٤] الله عليه وســـلم : " مه يا معاذ ، كـذب [٥] اليهود والنصارى ، إنما السجود لله عز وجل " . [٦]

---

(١) في ط ، م " وعبادة " .

(٢) يوســف ١٠٠

(٣) انظـر : تفسير البغـوى ٦٢/١ ، وتفسـير الخازن ٤٨/١ ، وتفسـير القرطـبي ٢٩٣/١

(٤) في ط ، م " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

(٥) في ط " وكـذب " .

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ٥١/١ ولم أجده عند غيره بهذا اللفظ .

وفي سنن ابن ماجه من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال : لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وسلم . قال : " ما هذا يا معاذ ؟ " قال : أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم ، فودت في نفسي أن نفعل ذلك بك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فلا تفعلوا ، فإني لو كنت آمرا أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ... " .

سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب : حق الزوج على المرأة ، رقم الحديث ١٨٥٣ .

قال في الزوائد : رواه ابن حبان في صحيحه .

الآيـــة : ٣٤

وقال بعضهم : سجد وا على الحقيقة ، جعل آدم قبلة لهم ، والسجود لله ، كما جعلت الكعبة قبلة لصلاةالمؤمنين ، والصلاة لله عز وجـل .(١)

وانما سمي آدم لأنه خلق من التراب ، والتراب (٢) بلسان العبرانية " آدآم " (٣) بالمـد (٤)، ومنهم من قال : سمي بذلك لأدمتـه ، لأنـه كان آدم اللـون (٥)، وكنيته أبو محمـــــد وأبو البشـــر .(٦)

وقوله (**إِلَّا إِبْلِيسَ**) : منصوب على الإستثناء ، ولا ينصرف للعجمة والمعرفة .(٧)

وقوله تعالى (**وَاسْتَكْبَرَ**) أي تكبر وتعظم عن السجود لآدم .

وقوله تعالى (**وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**) أي وصار من الكافرين (٨) ، كقوله تعالى (**فَكَـــانَ مِنَ الْمُغْرَقِـــينَ**) .(٩)

---

(١) انظر : تفسير البغـــوى ٦٣/١ ، وتفسير الخـــازن ٤٨/١

وقال قتادة : كانت الطاعة للـــه والسجدة لادم ، أكرم اللـــه آدم أن أسجد لـــه ملائكتـــه .

واختار هـذا ابن كثير فقال : " والأظهـر .... أن السجدة لآدم إكراماً واعظاماً واحتراماً وسـلاماً ، وهـي طاعـة للـه عز وجل ، لأنهـا امتثـال لأمـره تعـــالى " . انظر : تفسير ابن كثير ٨١/١

(٢) في ط " وهـو " .

(٣) في ط " آدم " .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٥١/١ ـ ٥٢ ، والدر المصـون ٢٦٢/١

(٥) انظر المصـدرين السابقـين .

(٦) انظر : تفسير البغوى ٦١/١ ، وتفسير القرطبي ٢٧٩/١

(٧) انظـر : مجاز القـرآن لأبـي عبيـدة ٣٨/١ ، ومشكـل اعـــراب القـــرآن ٨٧/١

(٨) انظـر : تفسير البغـــوى ٦٣/١ ، وتفسـير القرطـبي ٢٩٦/١

(٩) هـــود ٤٣ (**وَحَـالَ بَيْنَهُمَـا الْمَـوْجُ فَكَـانَ مِـنَ الْمُغْرَقِـينَ**).

الآيـــة : ٣٤ ، ٣٥

وقال أكثر المفسرين معناه : وكان في علمه السابق من الكافرين الذ ين وجبت لهم الشقاوة (١) .

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " اذ ا قرأ ابن آدم السجد ة وسجد (٢) اعتزل الشيطـان يبكي ويقول : يا ويلـه ، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيـت فلي النـار " . (٣)

(٣٥) قولـه عـز / وجـل : (وَقُلْنَـا يَـٰٓـَادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّـةَ) (١١ / ب)

وذ لك أن آد م كان في الجنة وحشياً (٤) لم يكن له من يجالسه ويوانسه ، فنـام نومـة ، فخلق الله تعالى زوجتـه حواء من قصيراه من شقه الأيسر ، من غـير أن أحس آد م بذ لك ولا وجـد له ألما ، ولو ألم من ذ لك لما عطف رجل عـلى المـرأة . (٥) فلما هب آد م من نومـه اذ هو بحواء جالسة عند رأسه كأحسـن ما خـلق اللـه ، قال لها : من أنت ؟ قالت : زوجتك خلقني الله لك .

فقالت الملائكـة ـ عند ذلك امتحانا له ـ يا آد م ماهـذ ه ؟ قال : امرأة .

قالوا : وما اسمها : قال : حـواء . قالوا : ولم سميت حواء ؟

قال : لأنـها خلقت من حـي (٦) . قالوا : يا آد م أتحبهـا ؟ قـال : نعـم .

---

(١) انظر تفسير البغوى ٦٣/١ ، وتفسير القرطبي ٢٩٧/١
واختاره القرطبي وحكاه عن الجمهور .

(٢) في ط " فسجد " وهي الموافقة لرواية الحد يث كما في صحيح مسلم .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٨٧/١ من حد يث أبي هريرة : في كتاب الايمان : باب بيان اطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم الحد يث ١٣٣

(٤) في ط " وحشـا " .

(٥) في ط ، م " امرأة " .

(٦) ورد هذا عند الطبرى من طريق السد ى عن أبي مالك و عن أبي صالح عن ابن عباس ، و عن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم .
انظر تفسير الطبرى ٥١٣/١ ، وانظر أيضا تفسير ابن أبي حاتم ١٢٥/١ ، وتفسير الثعلبي ٥٣/١ ـ ٥٤ ، وتفسير القرطبي ٣٠١/١

الآيـــــة : ٣٥ ، ٣٦

قالوا لحـــواء : أتحبينـــه يا حواء ؟ قالت : لا . وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من حبـــــه ، فلو صدقت امرأة في حبها لزوجهـــا لصدقت حـــواء . (١)

قولـــه تعالى (**وَكُلَا مِنْهَـا رَغَـدًا**) أي واسعًا كثـــيرًا .

(**حيث شئتما**) وأين شئتما وكيف شئتما .

(**وَلَا تَقْرَبَـا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ**) قيل : هي الكـــرم ، وقيل : التـــين ، وقيل : شجرة من أحســـن أشجار الجنة ، عليها كل نوع من أطعمة الجنـــة ، ثمرها مثل كلية البقرة ، ألين من الزبـــد ، وأحلى من الشهـــد ، وأشد بياضا من اللبن . (٢)

قوله تعالى (**فَتَكُونَـا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ**) : أي فتصيرا من الضارين (٣) لأنفسكما بالمعصية .

وأصل الظلم : وضع الشيء في غـير موضعـــه .

(٣٦) قولـه تعـالى (**فَأَزَلَّهُمَـا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَـا**)

أي عن الجنة ، ومعنى (**أزلهمـــا**) : استزلهمـــا .

وقرأ حمـــزة (٤) " فأزالهما (٥) الشيطان " : وهو ابليس ، وهو فيعال من شطن أي بعد

---

(١) هـذه الزيادة عنـــد الثعلبي والقرطبي .

(٢) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١/٥١٨ ـ ٥٢٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/١٢٦ ـ ١٢٧ ، وتفسير القرطبي ١/٣٠٥

وهناك أقوال كثيرة في تعيين تلك الشجرة ، وكلها لا دليل عليها . فالأولى عـــدم الخوض في تعيين شجرة بعينها لم يرد في الكتاب والسنة تعيينها .

قال الامام الطبري رحمه الله تعالى : "والصواب في ذلك أن يقال : إن اللـــــــه جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فخالفا إلى ما نهاهما الله عنـــه ، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه بـــه . ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين ، لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك فـــــي القرآن ، ولا في السنة الصحيحة " . تفسير الطبري ١/٥٢٠ ـ ٥٢١

(٣) في أ " من الضاوين " والتصويب من ط ، م .

(٤) هو حمزة بن حبيب بن عمارة ، أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم ، وقيل من صميمهـــم الزيات ، أحد القراء السبعة . مات سنة ١٥٦ هـ . انظر غاية النهاية ١/٢٦١ ـ ٢٦٣

(٥) انظر الحجة للقراء السبعة ٢/١٤ ، والتيسير ص ٧٣ ، وقرأ الباقون (فأزلهمـــا) مشددًا بغير ألف .

الآيـــة : ٣٦

سمي بذلك لبعده من الخير وعن رحمة الله .

وقوله تعالى (فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) أي من النعيم ، وذلك أن ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم، فمنعه الخزنة ، فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب ، لها أربع قوائم كقوائم البعير ، وكانت من خزان الجنة ، وكانت لابليس صديقا فسألها أن تدخله في فمها ، فأدخلته في فمها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون ، فلما دخل الجنة وقف بين يدي آدم وحواء فناح عليهما نياحة وبكى وهو أول من ناح ، فقالا له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي عليكما ، تموتان وتفارقان ما أنتما فيه من النعيم والكرامة ، فاغتما لذلك . فقال : يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ؟ فأبي أن يقبل منه ، فقاسمهما بالله اني لكما لمن الناصحين ، فاغترا ، وما كانا يظنان أن أحدا يحلف بالله كاذبا ، فبادرت حواء الى أكل الشجرة ، ثم ناولت آدم حتى أكلها .(١)

روى أن سعيد بن المسيب (٢) كان يحلف بالله ما يستثني ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ، ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قادته (٣) إليها فأكل (٤) ، فلما أكلا

---

(١) انظر القصة في تفسير الطبري ١/٥٢٧ ـ ٥٢٩ ، وتفسير البغوي ١/٦٤ ولا مستند لها من كتاب ولا سنة ، وقد عدها ابن كثير من الاسرائيليات .
تفسير ابن كثير ١/٨٣

(٢) هو سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي ، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار ، من كبار الثانية ،اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل . مات بعد التسعين . وقد ناهز الثمانين . انظر : التقريب ص ٢٤١

(٣) في أ " فاديه " وهو تحريف ، والتصويب من ط ، م .

(٤) انظر تفسير الطبري ١/٥٣٠، وتفسير البغوي ١/٦٤
وقد أبطل أبو بكر بن العربي هذا القول نقلاً و عقلاً ، فقال : " أما القول بأن آدم أكلها سكران ففاسد نقلاً وعقلاً ، أما النقل فلأن هذا لم يصح بحال ... وقد وصف الله خمر الجنة بأنها لا غول فيها ، فكيف توصف بغير صفتها التي أخبر الله تعالى بها عنها في القرآن . وأما العقل فلأن الأنبياء بعد النبوة منزهون عما يؤدي إلى الإخلال بالفرائض واقتحام الجرائم " .
انظر أحكام القرآن لابن العربي ١/٣١

الآيـــــة : ٣٦

تهافت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما وأخرجا من الجنـــــة ٠

قيـل : ان آدم دخل الجنـة عنـد الضحوة وأخرج ما بين الصلاتين / ٠ مكث نصف يـوم (١٢ / أ) من أيام الآخـرة [١]، خمسمائة عام ٠ [٢]

مســـألـة : قالت القدريـة [٣] : ان الجنة التي أسكنها [٤] آدم لم تكن جنة الخـلد ، وانما كانت بستانا من بساتين الدنيا ، [٥] قالوا : لأن الجنة لا يكون فيها ابتلاء ولا تكليف ٠

فالجـواب : انا قـد أجمعنا على أن أهـل الجنـة مأمورون فيها بالمعرفة ومكلفون ذلك ٠

وجواب آخـر : أن الله قادر على الجمع بين الأضـداد ٠

فأرى آدم المحنـة في الجنـة ، وأرى ابراهيم النعمـة في النـار ٠ لئلا يأمن العبد ربـه ولا يقنط من رحمتـه، وليعلم أن له [٦] أن يفعل ما يشـاء ٠ [٧]

واحتجـوا : بأن من دخل الجنـة مستحيـل [٨] عليه الخروج منهـا ٠ [٩]

---

(١) في م كلمة " وهي " قبل قوله " خمسمائة عام " ٠

(٢) انظر : زاد المسير ٦٩/١ ، والدر المنثور ١٣٩/١

(٣) القدريـة : هم نفاة القـدر ، يزعمون أن الناس هم الذين يقدرون على اكسابهم ، وأنه ليس لله عز وجل في اكسابهم ولا في اعمال سائر الحيوانات صنـع وتقـدير ٠

انظر : الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١١٤ ــ ١١٥

(٤) في ط " أسكنها الله آدم " ٠

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ٥٤/١ ، والبحر المحيط ١٥٧/١

(٦) في م " أن اللـه " ٠

(٧) انظر تفسير الثعلبي ٥٤/١

(٨) في ط ، م " يستحيل " ٠

(٩) انظر : تفسير الثعلبي ٥٤/١ ، والبحر المحيط ١٥٧/١

الآيـــــة : ٣٦

فالجـــواب : أن من د خلهـا للثواب لا يخرج منها أبـدا ، وآدم لم يدخلها للثـــــواب ، ألا ترى أن رضـوان وخـزان الجنان يدخلونهـا ثم يخرجون منها ، وابليـس أيضا كـــان خـازن الجنـــة فأخـرج منها . (١)

قولـه عز وجـل : (وَقُلْنَـا اهْبِطُـوا بَعْضُـكُمْ لِبَعْـضٍ عَـدُوٌّ) : أى قلنا لآد م وحـــواء وابليـس والحيـــة والطـاووس (٢) : انزلوا الى الأرض بعضكم لبعـض عـد و ، فابليـــس عـدو لآد م و ذ ريتـه ، والحيـة تلـد غ ابـن آد م ، وابن آد م يشد خ رأسهـا .

قيـل : ان ابليس قال لآد م وحـواء : أيكما أكل من الشجرة كان مسلطا على صاحبـــه ، فابتد را الى الشجرة فسبقت حـواء فأكلت منها وأطعمـت آد م .

وقيـل : ان آد م قال لها : ياحـــواء ويحك ما تعلمـين أن اللـه قـد نهانا عنهـــا .

فقالت : أما تعـلم سعـة رحمـة اللـه ، فأكلـت منهـا وأطعمتـه .

قيـل : ان ابليس لما د خـل (٣) الجنـة في فم الحيـة سأل الطاووس (٤) عن الشجـــــرة

---

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٥٤/١ ، والبحر المحيط ١٥٧/١

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : " والجنة التي أسكنها آد م وزوجته ـ عنـد سلف الأمـة وأهل السنة والجماعة ـ هي جنة الخلد . ومن قال : انـها جنة فـــي الأرض بأرض الهند ، أو بأرض جد ة أو غير ذلك ، فهو من المتفلسفة والملحد يـــن ، أو من اخوانهم المتكلمين المبتد عين ... والكتاب والسنة يرد هذ ا القـــول ، وسلف الأمـة وأئمتها متفقون على بطلان هذ ا القول .

قال تعالى (وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ) وهذ ا يبين أنهم لم يكونوا في الأرض وانما أهبطوا الى الأرض " .

انظر : مجموع الفتاوى ٣٤٧/٤

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٥٣٥/١ ـ ٥٣٦ ، وتفسير البغوى ٦٤/١ ، وليس فيـــه الطـاووس .

(٣) في ط " أدخل " ، وفي م " د خل الى الجنة " .

(٤) لم أجد للطاووس ذكرًا فيما وقفت عليه من الكتـب التي ذكرت فيهـــا تلك القصـــة .

الآيـــــة : ٣٦

التي نهى اللـــه آدم وحواء عنها ، فدلـــه عليها ، فغضب اللـه على الطاووس ، فأهبطـه بميســـان ، وهو موضـع بسواد العراق .(١) وأهبط ابليس بساحل أيلة وهي مدينـــــة الى جنـــب البصـــرة .(٢) وأهبطت الحيـــة بأصبهـــان .(٣)(٤)

قولـه تعالى (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) : أي الى وقت انقضـــاء آجالكم ومنتهـــى أعمـــاركم .

روى أن ابراهيم بن أدهم(٥) كان يقول : أورثتنا تلك الأكلة حزنا طويـــلا .(٦)

---

(١) بين البصـــرة وواســـط . انظر : معجم البلدان ٢٤٢/١

(٢) انظر : معجم البلـــدان ٧٧/١

(٣) أصبهان مدينـــة عظيمـــة مشهورة ، وهي من بلاد الفرس ، وقد تخرج منها عـدد كبير من العلماء والأئمة في كل فـن .

انظر : معجم البلدان ٢٠٦/١ ــ ٢١٠

(٤) ذكر المفسرون هـذه القصـــة بعبارات مختلفة ، ولم يذكـــر فيها الطاووس .

انظر : تفسير ابن أبي حاتم ١٣١/١ ــ ١٣٢ ، وتفسير البغـــوى ٦٤/١ ، وتفسير ابن كثير ٨٤/١ ، والدر المنثـــور ١٣٩/١

قلـــت : وهذه الأقوال المذكورة حول تلك القصة هي أقوال جوفاء لا دليل عليهـــا من الكتاب العزيز ، ولم يرد فيها عن المعصوم صلى الله عليه وسلم شيء يمكـــن الرجوع اليه ، فالأولى الاعراض عن مثل هذا ، اذ لا طائل من ذكره ، بل هو مـــن الحشو الذى ابتلي به كثير من المفسرين . فيا ليت مفسرنا وغيره سلموا مـــن تلك الاسرائليات ووقفوا عند مدلول الآيات وما صح عن المصطفى في ذلـــك وما استنبطـه العلماء الأفذاذ من المعاني والأحكام بعد التدبر والإمعـــان والتحقيق والإتقان ، مسترشدين بهدى الكتاب ، مستنيرين بسنة المصطـــفى صلى الله عليه وســـلم .

(٥) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي ، أبو اسحاق ، أحد مشاهير العبـاد وأكابر الزهاد . مات سنة ١٦٢ هـ .

انظر : البداية والنهاية ١٣٨/١٠ ــ ١٤٨ ، والأعلام ٣١/١

(٦) انظر : تفسير البغوى ٦٤/١

الآيـــــة : ٣٧

(٣٧) قوله تعالى (فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ)

قرأ ابن كثير بنصب " آدم " ورفع " كلمات " [١] بمعنى : جاءت الكلمات آدم من ربه .

وفي قوله (فَتَابَ عَلَيْهِ) اختصار وتغليب المذكر ، والا فهو قد تاب عليه وعلى حواء .

واختلفوا في الكلمات التي تلقاها آدم :

قيل : نزل بها جبريل ، وهي " سبحانك لا اله الا أنت وبحمدك ، عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني وأنت خير الراحمين . سبحانك لا اله الا أنت وبحمدك ، عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انك أنت الغفور الرحيم . سبحانك لا اله الا أنت وبحمدك ، عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي انك أنت التواب الرحيم " .

هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . [٢]

وعن ابن عباس : أنها (رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ) . [٣]

---

(١) وقرأ الباقون برفع آدم ونصب الكلمات . انظر : الكشف ٢٣٦/١ ـ ٢٣٧

(٢) ذكره السيوطي في حديث طويل ، قائلا : أخرج الديلمي في مسند الفردوس بسند واه عن علي قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله (فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ) فذكر الحديث .
ولم أجده عند غيره مرفوعا ، بل قد جاء بالقدر الذي ساقه المؤلف موقوفاً على عدد من السلف ، منهم مجاهد ، وعبد الله بن زيد ، وأنس ، ومحمد بن كعب القرظي . انظر : الدر المنثور ١٤٥/١ ـ ١٤٧
وانظر : تفسير الطبري ٥٤٥/١ ، وتفسير ابن كثير ٨٥/١ ، وتفسير البغوى ٦٥/١ ، وتفسير القرطبي ٣٢٤/١

(٣) الأعراف ٢٣ .
وانظر قول ابن عباس في زاد المسير ٦٩/١ ، وتفسير القرطبي ٣٢٤/١ ، والدر المنثور ١٤٤/١ . وروى هذا التفسير أيضا عن الحسن ، وسعيد بن جبير ،

الآيـــة : ٣٧

وروى أنه قال : يا رب أرأيت ما أتيت ، أشيء ابتدعتـه من نفسي ، أو شيء قدرتـه عليّ قبـل أن تخلقني ؟ فقال : " بل شيء قدرتـه / عليـك قبل أن أخلقك " . قال : يا رب فكمـا (١٢ / ب) قدرتـه علي [١] فاغفر لي . [٢]

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " تحاج آدم وموسى ، فقال له موسى : أنـت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنـة الى الأرض ؟ فقال له آدم : أنت موسى الـذي أعطاك الله علم كل شيء واصطفاك على الناس برسالتـه ؟ [٣] قال : نعم . قال : أتلومـني [٤] على أمر كان قد كتب عليّ أن أفعله من قبل أن أخلق . فحج آدم موسى " . [٥]

= ومجاهد ، والضحاك ، وعطاء ، وأبي بن كعب ، وابن زيـد ، ومحمد بن كعب القرظـي وقتادة ، والربيع بن أنس ، وخالد بن معـدان .

انظر المصادر السابقـة ، بالاضافة الى تفسير ابن أبي حاتم ١٣٦/١ .

وهذا التفسير أليق بمعنى الآية لأنه من تفسير القرآن بالقرآن ، حيث دل ما كـان مفصلاً في الأعراف على ما كان مجملاً من معنى الكلمات في آية البقـرة .

(١) في م " لي " .

(٢) روى ذلك عن عبيد بن عمير الليثي .

انظر : تفسير الطبري ٥٤٤/١ ، والدر المنثور ١٤٤/١

(٣) في م " بالرسـالة " .

(٤) في ط " تلومـني " .

(٥) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

انظر : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٢١١/٣

ولفظه عند الشيخين : " احتج آدم وموسى ، فقال له موسى : يا آدم أنـت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنـة . قال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامـه ، وخط لك بيده ، أتلومني على أمر قدر الله عليّ قبـل أن يخلقني بأربعين سنة . فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى " ثلاثـا .

الآيـــة : ٣٧ ، ٣٨

وعن شهر بن حوشب قال : بلغني أن ادم لما أهبط الى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياءً من الله عز وجل . (١)

وقال ابن عباس : بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة ، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ، ولم يقرب آدم حواء مائة سنة . (٢)

وقوله تعالى (فَتَابَ عَلَيْهِ) : أي تجاوز عنه .

(إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) : أي يقبل توبه عباده ، رحيم بخلقه .

(٣٨) وقوله تعالى (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً) :

آدم وحواء وابليس والحية والطاووس . (٣)

(فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى) : أي كتاب ورسول .

(فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) فيما يستقبلهم (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) على ما خلفوا . (٤)

---

(١) انظر : تفسير البغوى ٦٥/١

(٢) انظر : المصدر السابق . وهذا من القصص الذي لا مستند له ولا كبير فائدة في ذكره . والله أعلم

(٣) قلت : أما آدم وحواء وابليس فسياق الآيات يدل على ذلك ، إذ العداوة إنما وقعت بينهم وبين إبليس بسبب وسوسته وإغوائه لهما وإخراجهما من الجنة .

أما الحية والطاووس فمن التخرصات والمبالغات التي لا مستند لها من الكتاب ولا من السنة ، فالأولى الإعراض عنها وعدم الإشتغال بذكرها وروايتها ، إذ لا يتوقف على مثلها كبير فائدة .

(٤) هذا جزء من المعنى ، ولكنهم لا يحزنون أيضا في الدار الآخرة . قال تعالى (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ) . فاطر ٣٤

الآيـــة : ٣٩ ، ٤٠

(٣٩) وقولـه تـعالى : (وَالَّـذِيـنَ كَفَـرُواْ وَكَـذَّبُـواْ بِـئَـايَـٰتِنَـا) :

يـعني القـرآن (أُوْلَـٰٓئِـكَ أَصْحَـٰـبُ ٱلنَّـارِ هُـمْ فِيهَـا خَـٰـلِدُونَ) : لا يخرجون منهـــــا .

(٤٠) قولـه عـز وجـل (يَـٰـبَـنِيٓ إِسْـرَٰءِيـلَ) :

أي يا أولاد يـعقوب ، ومـعنى " اسرائيـل " أي [١] صفوة الله ، و " إيل " هـو اللـــه .

وقيل : " إسـر " [٢] هو العبـد ، و " إيـل " هو اللـه . [٣]

فمعناه : عبـد اللـه . وهو خطاب لليهود والنصارى .

وانما سمي يعقوب ، لأن يـعقوب و عيصا كانا توأمين ، فاقتتلا [٤] في بطن أمهمـا ، فأراد يـعقوب أن يخرج فمنعه عيـص ، وقال : والله لئن خرجت قبلي لأ عترضن في بطن أمـي فأقتلها . فتأخر يـعقوب وخرج عيص ، وأخذ يـعقوب يـعقبـه فخرج بـعـده ، فسمي يـعقـوب . فلذ لك سمي [عيـص] [٥] عيصا لما عصى فخرج قبل يـعقوب .

وكان عيص أحبهما الى أبيـه ، وكان يـعقوب أحبهما الى أمـه ، وكان عيص صاحب صيـد ، فلما كبر اسحاق وعمي قال لـعيص : يا بني أطعمني لحم صيـد واقترب مـني حتى أد عـو لك بد عاء د عا لي بـه أبي ابراهيم عليـه السـلام .

وكان عيص رجلا أشعر ، وكان يـعقوب أجرد ، فخرج عيص يطلب الصيد ، فقالـت أمـه ليـعقوب : يا بني اذ هـب الى الـغنم فاذ بح شاة منـها ثم اشوها والبس جلد هـا وقد مها الى أبيك وقل أنا ابنك عيـص . ففعل ذ لك يـعقوب ، فلما جاء قـال :

---

(١) في م " يـعني " .

(٢) في ط " اسرا " .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ٥٥٣/١ ، وتفسير البـغوى ٦٦/١

(٤) في أ " فاقتـلا " والتصويب من ط ، م .

(٥) ما بين المعقوفتـين من ط .

الآيـــــة : ٤٠

يا أبتـاه كـل ، قال : من أنـت ؟ قال [أنـا](١) ابنك عيص ، فمسه فقال : المس مـن عيص والريح ريح يعقـوب . فقالـت أمـه : هـو ابنـك عيص فادع لـه . قال : قـدم طعامك ، فقدمه فأكل منه ثم قال : ادن مني ، فدنا منه فدعا له أن يجعل الله في ذريته الأنبياء والملوك ، وذهب يعقوب . فجاء عيص فقال : قد جئتك بالصيد الذي أردت ، قال : يا بني قد سبقك أخوك يعقوب ، فغضب وقال : والله لأقتلنه . فقال اسحاق : يا بني قد بقيت لك دعوة فهلم أدعو لك بها ، فدعا / أن تكون ذريته عدد التراب ، وأن لا يملكهم أحد غيرهم .(٢) (١٣/أ)

قوله تعالى (اُذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) :

أي احفظوا واشكروا . قال الحسن : ذكر النعمة شكرها .(٣)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المتحدث بنعم الله شاكر ، وتاركها كافر " .(٤)

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط .

(٢) هذه القصة تفتقر الى دليل النقل وقبول العقل ، وما فيها من خلط وتناقضات كافٍ في ردها وتفنيدها . فيجب أن ينزه عنها تفسير كلام الله عز وجل ، كما يجب أن تنزه ساحة الأنبياء عن مثل هذا العبث والهراء .

(٣) انظر تفسير البغوي ٧٣/١

(٤) هذا جزء من حديث عزاه ابن كثير لعبد الله بن الامام أحمد بسنده عن الشعبي عن النعمان بن بشير مرفوعا .

قال ابن كثير : واسناده ضعيف .

كما عزاه السيوطي أيضا لعبد الله بن الامام أحمد في زوائد المسند ، والبيهقي في شعب الايمان . وضعف السيوطي اسناده أيضا .

وذكره العجلوني في كشف الخفاء ، وقال : أخرجه عبد الله بن أحمد باسناد لا بأس به .

ولفظ الحديث : " من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ، والجماعة رحمة والفرقة عذاب " .

انظر : تفسير ابن كثير ٥٥٩/٤ ، والدر المنثور ٥٤٥/٨ ، وكشف الخفاء ٣٦٦/٢ ـ ٣٦٧

الآيـــــة : ٤٠

وقولـه تـعالى : (**نِعْمَـــتِيَ**) أراد نـعمـي ، لفظها واحـد ومعناها جمـــع ٠

نظيرها قوله تـعالى (**وَإِن تَعُـدُّواْ نِعْمَةَ اللَّـهِ لَا تُحْصُـوهَا**) والـعد د لا يقع على الواحـد ٠

وقوله تـعالى (**أَنْعَمْـتُ عَلَيْـكُمْ**) : أى على أجـد ادكم وأسلافـكم ٠

وذ لك أن الله تـعالى فلق لهم البحر فأنجاهم من فرعون وأهلك عد وهم وأورثهم د يارهـــــم وأموالهم وظلل عليهم الـغمام في التيـــه تقيهم (١) حر الشمس ، وجعل لهم عمود ا من نـــور يضيء لهم بالليل اذ ا لم يكن ضوء القمر ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، وفجر لهم اثني عشر عينـــا ، وأنزل عليهم التوراة فيها بيان كل شيء يحتاجون اليه في د ينهم ود نياهـــــم ٠

فهذ ه نـعم من الله كثـــيرة لا تحصـــى ٠

وقوله تـعالى (**وَأَوْفُـــواْ بِعَهْـــدِى**) : أى الذ ى عهد ت اليكم في التـــــــــوراة ٠

(**أُوفِ بِعَهْـــدِكُـــمْ**) : أى أد خلكم الجنة وأنجز لكم ما وعد تكم ٠

وقـرأ الزهـــرى (٢) " أوفّ " بالتشد يـــد (٣) على التأكيد ، يقال " وفّى وأوفى ووفـــــــى " بمعنى واحـــــــــد ٠

قيـــل : ان الله تـعالى قـد (٤) عهد الى بني اسرائيل في التوراة " أني باعث مـــــــــــن بني اسماعيل نبيا أميا فاتبعوه ، فمن تبعه وصـد ق بالنور الذ ى يأتي بـه غفرت له ذ نوبـــــه وأد خلته الجنة وجعلت له أجرين ، أجرا باتباعه ما جاء به موسى والأنبياء من بني اسرائيـل ، وأجرا باتباعه ما جاء به محمـد صلى الله عليه و سلم " . (٥)

---

(١) في أ " تقهم " والتصويب من ط ، م ٠

(٢) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله القرشي الزهرى أبو بكر ، الفقيه الحافـــــظ ، متفق على جلالتـــه واتقانه ٠ مات سنة ١٢٥ هـ ٠

التقريب ص ٥٠٦

(٣) انظر : تفسير القرطبي ٣٣٢/١ ، والبحر المحيط ١٧٥/١

(٤) في م كلمـة " كان " قبل قوله " قد عهد " ٠

(٥) روى هذ ا عن الكلبي ٠

انظر : تفسير البغوى ٦٦/١ ، والبحر المحيط ١٧٥/١

الآيـــة : ٤٠ ، ٤١

وقال قتادة : هو العهد الذى أخـذه اللـه عليهم في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ الى قوله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ فهذا قوله ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِى﴾ . ثم قال ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ (١) الآيـة . فهذا قوله ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ . (٢)

وقيل : معناه : أوفوا (٣) لي بشرط العبودية أوف بشرط الربوبية . (٤)

وقال أهل الاشارة : ﴿أَوْفُوا۟ بِعَهْدِى﴾ في دار محسنتي بحفظ حرمتي ﴿أوف بعهدكم﴾ في دار نعمتي على بساط كرامتي بقربي ورؤيتي . (٥)

قوله تعالى ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ : أى خافوني في نقض العهد .

(٤١) قوله تعالى ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ :

يعني القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أى موافقا لما معكم من التوراة والانجيل وسائر الكتب في التوحيد والنبوة وبعض الشرائع .

نزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم . (٦)

---

(١) المائدة ١٢ وتمامها ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ .

(٢) انظر : زاد المسير ٧٣/١ وروى ذلك أيضا عن ابن جريج ، والحسن البصرى ، ومجاهد .

انظر : تفسير الطبرى ٥٥٨/١ ـ ٥٥٩ ، وتفسير ابن كثير ٨٦/١ ، والدر المنثور ١٥٤/١

(٣) في م " الىّ " .

(٤) انظر : البحر المحيط ١٧٥/١

(٥) حكاه أبو حيان عن الثورى .

انظر : البحر المحيط ١٧٥/١

(٦) انظر : تفسير البغوى ٦٧/١ ، والبحر المحيط ١٧٦/١

وقال أبو حيان : ظاهره أنه أمر لبني إسرائيل ... و يندرج فيه كعب ومن معه .

قلت : وهو الأولى ، إذ لا دليل على تخصيصه بمن ذكر ، كما أن العبرة إنما هي بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . والله أعلم .

الآيـــــة : ٤١

(وَلَا تَكُـونُـواْ أَوَّلَ كَافِـرٍ بِـهِۦ) أى لا تكونوا أول من يكفر بالقرآن ، فتتابعكم اليهـــــود على ذ لك .

وقوله تعالى (وَلَا تَشْـتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِي ثَمَنـًا قَلِيـلًا) : وذ لك أن علماء اليهـــــــود ورؤساءهم [١] كانت لهم مآكل يصيبونها من سفلتهم وعوامهم ، يأخذ ون منهم شيئا معلومـا كل عام ، من زرعهم وضروعهم [٢] ونقود هـم ، فخافوا أنهم ان بينوا صفة محمـــــــــد صلى الله عليـه و سـلم وتابعوه وآمنـوا بـه تفوتهـم تلك المآكل والرياسة ، واختـاروا [٣] / (١٣/ب) الد نيا على الآخـــرة . [٤]

والهاء في قولـه (كافـر بـه) عائد ة الى (ما أنزلت) على محمـــــد .

ويجوز أن تكون عائد ة الى قوله (لمـا معكـم) لأنهم كتموا نعت محمـــــد صلى الله عليـه وسـلم وصفتـه في التـوراة ، فاذ ا كفـروا بالقرآن فقد كفروا بالتـوراة . [٥]

وقوله تعالى (وَإِيَّـاىَ فَاتَّقُـونِ) : أى فاخشـوني في أمـر محمـــد صلى الله عليـه وسلم ، لا ما يفوتـكم من الرياسـة والمأكـل .

---

(١) في أ ، م " ورؤساؤهـم " والتصويب من ط .

(٢) في ط " ود روعهـم " .

(٣) في ط " فاختـاروا " .

(٤) انظر : تفسير البغوى ٦٧/١

(٥) انظر : البحر المحيـط ١٧٨/١

ورجح أبو حيـان القـول الأول ، وهـو عـود الضمـير الـى (مـا أنـزلـت) يعـني القـرآن . قال : لأنـه أقرب ، وهو منطوق بـه مقصـود للحد يث عنـه .

الآيـــــة : ٤٢

(٤٢) قولـه عـز وجـل (وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَـقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ) :

قال مقاتل : [١] وذ لك أن اليهود أقروا ببعض صفة محمـــــد صلى الله عليه وسلم وكتموا بعضها [٢] ، ليصد قوا في ذ لك ، فقال الله تعالى (وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَـــــقَّ) الذ ى تقرون بـه وتبينونـه (بِٱلْبَـٰطِلِ) الذ ى تكتمونـه ، فالحق بيانـه [٣] ، والباطـل كتمانـــه [٤] [٥]

وقيل معناه : لا تكتمـــوا [٦] الحق بالباطل : هو ايمانهم ببعض ما جاء بـــــــه النـبي صلى الله عليـــه وسلم وكفرهم ببعضـــــه . [٧]

(وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَـقَّ) : يعني نعت النـــبي صلى اللـــه عليه و سلم وصفتـه .

وقولـه تعالى (وَأَنتُمْ تَعْلَمُـونَ) : أى تعلمـون أنـه نـبي مرســـل .

وقولـــه تعالى (وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَـقَّ) : يحتمل أن يكون " تكتموا " جزما على النهـي ، ويحتمل أن يكون نصبا على معنى " وأن تكتمـوا " أى لا تجمعوا بين اللبـــــــس والكتمـــــــان . [٨]

فهذ ا مثـــل : لا تنـــه عـن خـلق وتأتـي مثـــله . [٩]

وقوله تعالى : (ولاتلبسوا الحق) : أي لاتخلطوا ، يقال : لبست عليه الأمر : أي خلطته .

---

(١) هو مقاتل بن سليمان البلخي المفسر ، أبو الحسن ، روى عن مجاهـد والضحـــاك ، كـذ بوه وهجـروه ورمي بالتجسيم ، مات سنة ١٥٠ هـ .

انظر : ميزان الاعتـــد ال ٤/١٧٣ ــ ١٧٥ ، والتقريب ص ٥٤٥

(٢) في ط " بعضـا " .

(٣) (٤) في ط " بيانـهم " ، " كتمانهم " .

(٥) انظر : تفسير البـغوى ١/٦٧

(٦) في ط " لا تلبســوا " .

(٧) وهذ ا بمعنى القول الأول المحكي عن مقاتل .

(٨) انظر : الد ر المصـــون ١/٣٢١ ، والكشاف ١/١٣٢ ، والبحر المحيط ١/١٧٩

(٩) هـذ ا صـد ر بيت لأبي الأسـود الد ؤلي .

و عجـزه : ... عـار عليـك اذ ا فعـلت عظـــيم .

انظر : خزانـة الأد ب ٣/٦١٧ ــ ٦١٨

الآيـــة : ٤٣ ، ٤٤

(٤٣) قولـه تعالى (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ)

أي حافظوا على الصلوات الخمس لمواقيتها بركوعهـا وسجودها ، وأدوا زكـاة أموالكـم المفروضـة .

وقولـه تعالى (وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) : أي صلوا مع المصلين محمـد وأصحابـه في الجماعات الى الكعبـة . يخاطب اليهود ، فعبر بالركوع عن الصلاة اذ كان ركنا من أركانهـا ، كما عبر باليـد عن الجسـد في قولـه (بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ) .(١) وبالعنق عن النفس كقوله تعالى (أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) (٢) .

والفائدة في تكرار ذكـر الصلاة لئلا يتوهم متوهم (٣) أن الصلاة لا تجـب الا على من تجـب عليـه الزكـاة .

وقيـل : ان اليهود كانوا يصلون بغير ركوع ، فأمروا بالركوع في الصلاة .(٤)

(٤٤) قولـه عز وجـل (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ)

خطاب لعلماء اليهود ، كانوا يخبرون مشركي العرب قبل مبعث النبي صلى اللـه عليه وسلم بأن رسولا سيظهر يدعوا الى الحق فاتبعوه وأجيبوا دعوتـه ، فلمـا بعث النبي صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به ، فأنزل الله هذه الآيـة مذكرا لهم ما كان منهـم .(٥)

---

(١) الحـج ١٠ (ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) .

(٢) الاسراء ١٣ (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) .

(٣) في أ " توهم " والتصويب من ط ، م .

(٤) انظر : تفسير البغوى ٦٧/١ ، وزاد المسير ٧٥/١
وهذا القول يفتقر الى الدليل ، ولم أقف عليه . والله أعلم .

(٥) أخرج بمعناه الواحدي في أسباب النزول ص ٢٢ عن ابن عباس من رواية الكلبي عن أبي صالح .
وانظر : تفسير القرطبي ٣٦٥/١

الآيـــة : ٤٤ ، ٤٥

وقوله تعالى (وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ) : أي تتركون أنفسكم فلا تتبعونه .

وقوله (وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ) يعني التوراة ، وتعلمون ما فيها من وجوب اتباعه (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أن ذلكم حجة عليكم ، وأنه نبي حق فتصد قونه وتتبعونه .

(٤٥) قوله تعالى (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)

أي استعينوا على ما يستقبلكم من أنواع البلايا .

وقيل : على طلب الآخرة / بالصبر على أداء الفرائض ، وبالصلاة على تمحيص الذنوب . (١) (١٤/أ)

وقيل : (اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) على ما يذهب منكم من الرياسة والمأكلة باتباع محمد صلى الله عليه و سلم . (٢)

وقال مجاهد : الصبر في هذه الآية الصوم . (٣)

وقيل : الواو هنا بمعنى " على " تقديره : استعينوا فيما ينوبكم بالصبر على الصلاة ، كقوله تعالى (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) . (٤)

وروى أن ابن عباس نعيت اليه بنت له وهو في سفر ، فاسترجع ثم قال : عورة سترها الله ، ومؤنة كفاها الله ، وأجر ساقه الله ، ثم نزل فصلى ركعتين ، ثم قال : صنعنا ما أمرنا الله به

---

(١) وهو مروى عن مقاتل بن حيان .
انظر : تفسير ابن أبي حاتم ١٥٤/١ ، وتفسير ابن كثير ٩٠/١

(٢) انظر : تفسير الطبرى ١٠/٢ ـ ١١ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٢٥/١

(٣) انظر : تفسير ابن أبي حاتم ١٥٤/١ ، وتفسير ابن كثير ٩٠/١

(٤) طه ١٣٢ وانظر القول المذكور في البحر المحيط ١٨٤/١ وقد ضعفه أبو حيان .
وكل تلك الأقوال متقاربة المعنى ، والصبر من أعظم دعائم الايمان ، وهو مطلوب في كل حال ، من أداء الطاعات ، والكف عن المعاصي ، وتحمل الشدائد والكروبات .

الآيـــــة : ٤٥

(وَاسْتَعِينُـوا بِالصَّـبْرِ وَالصَّـلَاةِ)[١] .

وأصل الصبر : هو الحبـس ، يقال : قتل فـلان صـبرا ، اذ حبس حيا حتى مات .[٢]

وقيل : الصبر هو الصـوم[٣] ، ويسمى شهر رمضان شهر الصبر ، وسمي الصوم صـبرا لأن صاحبـه يحبس نفسـه عن الطعام والشراب .

قولـه عز وجـل (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) : يحتمل أن الهاء كناية عـن الصـلاة لأنها أشرف الطاعات . ويحتمل أن يكون عن الاستعانة .

ويحتمل أن يكون المراد بها الصبر والصـلاة جميعا[٤] ، كما قال الله تعالى (وَاللَّـهُ وَرَسُـولُهُ أَحَـقُّ أَن يُرْضُـوهُ)[٥] فاكتفى بذكـر أحدهما دلالـة على الآخـر .

---

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٦٠/١ ، وتفسير القرطبي ٣٧٢/١

وهو عند الطبرى و غيره بلفظ مختلف عن هذا .

ولفظه : " أن ابن عباس نعي إليه أخوه قثم ، وهو في سفر ، فاسترجع ثم تنحـى عن الطريق ، فأناخ فصلى ركعتـين أطال فيهما الجلوس ، ثم قام يمشـي إلى راحلته وهو يقول : (وَاسْتَعِينُـوا بِالصَّـبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَـلَى الْخَـاشِعِينَ) " .

قال الشيخ أحمد شاكر : اسناده صحيح .

انظر : تفسير الطبرى ١٤/٢ ، والدر المنثور ١٦٣/١

(٢) وفي الصحاح ٧٠٦/٢ يقال : قتل فلان صبراً إذا حبس على القتل حتى يقتل .

قلـت : وهـذا فرق بين حبسه حتى يموت وبين حبسه للقتل .

(٣) سبق ذكر هـذا القول عن مجاهـد .

(٤) انظر تلك الأوجه في : الدر المصون ٣٣٠/١ ـ ٣٣١ ، والكشاف ١٣٤/١ ، والبحـر المحيط ١٨٥/١

ورجح أبو حيان القول الأول ، وهو عود الضمير إلى الصلاة . قال : هذا ظاهر الكلام ، وهو القاعدة في علم العربية أن ضمير الغائب لا يعود على غير الأقـرب إلا بدليـل .

(٥) التوبـة ٦٢ (يَحْلِفُونَ بِاللَّـهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّـهُ وَرَسُـولُهُ أَحَـقُّ أَن يُرْضُـوهُ إِن كَـانُوا مُؤْمِنِـينَ) .

الآيـــــة : ٤٥

ونظير القول الأول قوله تعالى (وَالَّذِيـنَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَـــا)[١] رد[٢] الكنايـة الى الفضـة لأنها أغلب وأعـم .

وقال تعالى (وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْـوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا)[٣] رد الكناية الى التجارة لأنهـا الأهـم و أفضـل .[٤]

وقال الأخفش : رد الكناية الى كل واحـدة منهما ، أراد كل خصلة منهما لكبيرة، كقولـه تعالى (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا)[٥] يعني كل واحدة منهما .

وقال تعالى (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً)[٦] ولم يقل آيتين ، أراد جعلنا كل واحـد منهمـا آيـة .[٧]

قوله تعالى (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ) أي ثقيلة شديدة (إِلَّا عَلَى الْخَـٰشِعِينَ) أي المؤمنين .

وقيل : الا على العابدين المطيعين . وقيل : الخائفين . وقيل : المتواضعين .[٨]

---

(١) التوبـة : ٣٤ وتمامها (... فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) .

(٢) في ط " في رد " .

(٣) الجمعـة : ١١ وتمامها (... وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَـٰرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) .

(٤) في ط ، م " والأفضل " .

(٥) الكهف ٣٣ وتمامها (... ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَـرًا) .

(٦) المؤمنـون ٥٠ وتمامها (... وَءَاوَيْنَـٰهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) .

(٧) انظر ما حكاه عن الأخفش في تفسير الثعلبي ٦٠/١ ، والقرطبي ٣٧٤/١ ولم أجده في معاني القرآن للأخفش .

(٨) قلـت : لا تنافي بين هذه المعاني ، بل كلها مرادة ، إذ هي أبرز سمات المؤمن وصفاته التي يجب أن يتصف بها .

الآيـــــة : ٤٥ ، ٤٦

وقال الزجـــاج [١] : الخاشع : الذى يرى أثـر الذل والخشـوع عليـــه . [٢]

ويقال : خشـــع : اذا رمى ببصـــره الى الأرض ، وأخشع : اذا طأطأ رأسه للسجـود .

والخشوع والخضوع نظـيران ، الا أن الخضـوع يكون بالبد ن ، والخشوع بالبصر والصـــوت والقـلـب [٣] ، كما قال تعالى (خَاشِعَـةً أَبْصَـارُهُمْ) [٤] ، (وَخَشَعَـتِ ٱلْأَصْوَاتُ) [٥] ، (أَن تَخْشَـعَ قُلُوبُهُـمْ) . [٦]

(٤٦) قوله عز وجـل (ٱلَّذِيـنَ يَظُنُّـونَ أَنَّهُـمْ مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِـمْ) .

أى الذ ين يـعلمون ويستيقنون ، لأنـهم لـوكانوا شاكـين لكانوا كافريـن .

ومثله (إِنِّي ظَنَنْـتُ أَنِّـي مُلَـٰقٍ حِسَـابِيَهْ) [٧] أى أيقنت .

قوله تـعالى (وَأَنَّهُمْ إِلَيْـهِ رَاجِعُـونَ) فيجزيهم بأعمالهم .

---

(١) هو أبو اسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل الزجاج ، كان من أهل الفضل والد ين ، وكـان يخرط الزجاج ، ثم مال الى النحو فلزم المبرد . من تصانيفـه معاني القـــرآن ، والاشتقـاق ، وشرح أبيـات سيبويـــه ، والقوافي والعـــروض ، و غير ذ لـــــــك ، مـات ســـنة ٣١١ هـ . انظر : بغية الوعاة ٤١١/١ ــ ٤١٣

(٢) وهكـذا حكاه الثعلبي والقرطبي عن الزجـاج .

انظر : تفسير الثعلبي ٦١/١ ، وتفسير القرطبي ٣٧٤/١

والذ ى في معاني القرآن له ١٢٥/١ ــ ١٢٦ : الخاشع : المتواضع المطيع المجيب ، لأن المتواضع لا يبالي برياسة كانت لـه مع الكفـر إذا انتقل إلى الإيمان .

(٣) انظر : اللســـان ٧١/٨ (خشـــع) .

(٤) المعـــارج ٤٤ وتمامها (... تَرْهَقُهُـــمْ ذِلَّـــةٌ ذَٰلِـكَ ٱلْيَـوْمُ ٱلَّـذِى كَانُوا۟ يُوعَـدُونَ)

(٥) طـــــه ١٠٨ وتمامهـــا (... لِلرَّحْمَـٰنِ فَـلَا تَسْمَـعُ إِلَّا هَمْسًـا) .

(٦) الحـد يـد ١٦ (أَلَـمْ يَـأْنِ لِلَّـذِيـنَ ءَامَنُـوٓا۟ أَن تَخْشَـعَ قُلُوبُهُـمْ لِـذِكْـرِ ٱللَّـــــــهِ وَمَـا نَـزَلَ مِـنَ ٱلْحَـــقِّ ...) .

(٧) الحاقـــــة ٢٠

الآيـــة : ٤٧ ، ٤٨

(٤٧) قوله عـز وجـل (يَا بَـنِي إِسْـرَاءِيـلَ ٱذْكُـرُواْ نِـعْمَـتِيَ ٱلَّـتِي أَنْـعَمْتُ عَلَيْـكُمْ وَأَنِّـي فَضَّلْتُـكُمْ عَـلَى ٱلْعَـالَمِـينَ) : أي عالمي زمانكـم .

(٤٨) قوله تعالى (وَاتَّقُـواْ يَوْمـاً) معناه : واخشوا يوما ، أي عـذاب يـوم .

(لَا تَجْـزِي نَفْـسٌ عَـن / نَّفْسٍ شَيْئـاً) أي لا تكـفي ولا تغـــــــني ، (١٤/ب)

وفيـه اضمـار ، تقديـره : واتقوا يوما لا تجزى فيـه [١] نفس عن نفس شيئـــا من الشـدائـد والمكـاره .

وقيل معناه : لا تغـني نفس مؤمنـة ولا كافـرة عن نفس كافـرة شيئا . [٢]

وقوله تعالى (وَلَا تُقْبَـلُ [٣] مِنْهَا شَفَـاعَـةٌ) لأنها كافـرة . [٤]

وكانت اليهود تزعم أن آباءهم الأنبيـاء كابراهيم واسحاق ويعقوب يشفعون لهـم ، فآيسهم اللـه بهـذه الآيـة . [٥]

---

(١) انظر : التبيـان ٦٠/١ ، وتفسـير الطبرى ٢٦/٢

(٢) انظر : البحـر المحيـط ١٩٠/١

(٣) في ط " ولا يقبل " بالياء . وهما قراءتان متواترتان ، كما سيأتي بيانه .

(٤) قال ابن جرير الطبرى : (وهذه الآيـة ، وإن كان مخرجها عاماً في التـلاوة ، فإن المراد بها خاص في التأويل ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " شفاعـتي لأهل الكبائـر من أمـتي " ... وأن قوله " ولا يقبـل منها شفـاعة " إنما هي لمن مات على كـفره غير تائب إلى الله عز وجل) اهـ من تفسـير الطـبرى ٣٣/٢

(٥) انظـر : معـاني القـرآن للزجـاج ١٢٨/١ ، وتفسـير القرطبي ٣٨١/١

الآيـــــة : ٤٨

وقرأ أهـل مكـة والبصـرة[١] " تقبـل " بالتاء ، لتأنيـث الشفاعـة .

وقـرأ الباقـون بالياء[٢] ، لتقديم[٣] الفعل ، أو لأن تأنيثه غير حقيـقي .

وقرأ قتـادة " لا يقبـل منها شفاعـة " بياء مفتوحة ونصب الشفاعة أي لا يقبل الله .[٤]

قولـه تعالى (وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ) أي فداء كما كانوا يأخذون في الدنيا .

وسمي الفداء " عدلا " لأنه يساوى المفدى ويماثله .

قال الله تعالى (أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا) .[٥]

والفرق بين العَدل " و " العِدل "[٦] [أن العِدل] بكسر العين : مثل الشيء من جنسه ، وبفتحها بدله ، قد يكون من جنسه أو من غير جنسه .[٧]

مثل قوله (طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا)[٨]

وقوله (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) اى لا يمنعون من عذاب الله .

---

(١) قوله : " أهل مكة والبصرة " يعني : ابن كثير المكي ، وأبا عمرو ، ويعقوب البصريين .

(٢) انظر : النشر ٢١٢/٢ ، والمهذب في القراءات العشر ٥٥/١ ـ ٥٦

(٣) في أ " لقديم " والتصويب من ط ، م .

(٤) انظر : زاد المسير ٧٧/١ ، والكشاف ١٣٦/١

(٥) المائدة ٩٥

(٦) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٧) انظر : تفسير الطبرى ٣٥/٢ ، والدر المصون ٣٣٨/١ ـ ٣٣٩

وقال ابن قتيبة : (وإنما قيل للفداء : عدل ، لأنه مثل للشيء ، يقال : هذا عدل هذا وعديله . فأما العِدل ـ بكسر العين ـ فهو ما على الظهر) . اهـ . من تفسير غريب القرآن ص ٤٨

(٨) المائدة ٩٥

الآيـــــة : ٤٩

(٤٩) قولـه عـز وجـل (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ)

يعني نجينا أسلافكـم ، وانما عـد ها منـة عليهم ، لأنهم نجوا بنجاتهـم ٠

وقرأ إبراهيم النخعي (١) " نجيتـكم " على التوحيـد ٠ (٢)

وآل فرعـون : أشياعـه وأتباعـه وأسرتـه و عترتـه وأهل د ينـه ٠

وفرعون هو الوليـد بن مصعب (٣) ، وكان من العماليق جمع عملاق ، وهي قبيلة ٠

وقوله عز وجـل (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) أى يكلفونكم ويذيقونكم أشـد العذ اب وأسوأه ٠ وذ لك أن فرعـون جعل بني اسرائيل خد ما وخـولا (٤) ، فصنـف يبنـون ، وصنـف يحترثـون (٥) ويزرعـون ، وصنـف يخد مونـه ٠

---

(١) هو إبراهيم بن يزيـد بن قيس النخعي الكوفي ، أبو عمران ، فقيه أهل الكوفـة وهو تابعي جليل ، أجمعوا على توثيقـه وجلالتـه وبراعتـه في الفقـه ٠ مـات سـنة ٩٦ هـ ٠

انظر : تهذ يب الأسماء واللغات ١٠٤/١ ـ ١٠٥

(٢) انظر : البحر المحيط ١٩٢/١

(٣) حكاه أكثر المفسرين ٠ انظر : تفسير الطبرى ٣٨/٢ ، وزاد المسير ٧٧/١ ـ ٧٨ وتفسير القرطبي ٣٨٣/١

ولا مستند لذ لك ، كما لا فائد ة في بحثه ، فهو فرعون مصر ، الطاغية الكفـار الأثـيم الذ ي جاء وصفـه في القرآن الكريم بما لا يد ع مجالا للإرتياب في معرفته ، بل إن اللـه قد ذكـره بهذ االإسـم الذ ي اشتهـر وعرف بـه وهو " فرعـون " وهـذ ا يكفينـا عن كـل قـول آخـر ٠

(٤) قال في اللسـان ٢٢٥/١١ : يقال : هـؤلاء خـول فـلان ، إذ ا اتخـذ هـم كالعبيـد وقهـرهـم ٠

(٥) في ط " يحرثـون " ٠

الآيـــــة : ٤٩

ومن لم يكـن منهم في عمـل من هـذه الأعمـال فعليـه الجزيـة [١] ، وذلك سـوء العـذاب . [٢]

وقيـل : انهم كلفـوا هـذه الأعمـال القـذرة . [٣]

وقيـل : تفسيره ما بعده (يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ) [٤] .

وقرأ ابن محيصـن " يذبحـون " بالتخفيف [٥] ، ومن قرأ بالتشديد [٦] فعلى التكثير . وذلك أن فرعـون رأى في منامـه نـارا أقبلت من بيت المقدس ، فأحرقت مصر وأحرقـت القبـط وتركت بني اسرائيل ، فسأل الكهنـة، فقالوا : يولـد في بني اسرائيل غـلام يكون هلاكك على يديـه ، فأمـر فرعـون بقتل كل غـلام يولد في بني اسرائيل وترك كـل أنـثى ، ففعلوا ذلك ، وأسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل ، فقال القبط لفرعـون : ان الموت وقع في مشيخة بني اسرائيل ، وأنت تذبح صغارهم ، فيوشك أن يقع العمـل علينا ، فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة ، فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيهـا فترك ، وولد موسى في السنة التي يذبحـون فيها . [٧]

---

(١) في أ " الحرثـة " والتصويب من ط ، م .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٤٠/٢ ، وتفسير القرطبي ٣٨٤/١

(٣) روى هـذا عـن السـدى .

انظر : تفسـير الطبرى ٤١/٢

(٤) انظر : تفسير البغوى ٦٩/١ ، والبحر المحيـط ١٩٤/١

(٥) انظر : المحتسـب في شـواذ القراءات لابن جـني ١٨١/١ ، والبحـر المحيـط ١٩٣/١

(٦) وهـي القـراءة المتواتـرة .

انظر : تفسير القرطبي ٣٨٥/١ ، والبحر المحيـط ١٩٣/١

(٧) رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن السـدى .

انظر : تفسير الطبرى ٤٤/٢ ـ ٤٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١٦١/١ ـ ١٦٢ كما أخرجه الطبرى في تاريخه ٣٨٨/١ من طريق السدى في خبره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الآيـــــة : ٤٩

قوله (وَيَسْتَحْيُـونَ نِسَـآءَكُـمْ) : أي يتركونهن [١] أحياء فلا يذ بحونهـــن [٢] ، بـــل يستخد مونهـــــن . [٣]

وقيل معناه / " يستحيون " : من الحياء الذ ى هو الرحم ، فان القوم كانوا ينظرون الـى (١٥/أ) فروج نساء بني اسرائيل ، ليعلموا هل هـــن [٤] حبل أم لا . [٥]

وقولـــه (وَفِـي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُـمْ عَظِـيمٌ) يعني سومهم اياكم سوء العذ اب محنـــة وفتنـــة عظيمـــــة .

وقيل معناه : وفي انجائي [٦] اياكم منهم نعمـــة عظيمـــة . [٧]

والبلاء ينصرف على وجهين : النعمة والمحنة [٨] ، قال الله تعالى (وَنَبلُوكُـم بِالشَّـــرِّ وَالْخَـيْرِ فِتْنَـــةً) . [٩]

---

(١) في أ " ويتركوهـن " . والتصويب من ط .

(٢) في م " فلا يذ بحوهن " .

(٣) انظر : زاد المسير ٧٨/١ ، والبحر المحيط ١٩٤/١

(٤) في ط " بهـــن " .

(٥) انظر : البحر المحيـــط ١٩٤/١

(٦) في م " انجاء آبائكـم " .

(٧) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبـة ص ٤٨

(٨) قال الطبرى : " وأصـل البـلاء ـ في كـلام العـرب ـ الاختبـار والامتحـــان ، ثم يستعمـــل في الخـير والشـــر ، لأن الامتحـان والاختبـار قـد يكـــون بالخـير كمـا يكـون بالشـر .... " .

تفسـير الطـبرى ٤٩/٢

(٩) الأنبيـــاء : ٣٥

الآيـــة : ٥٠

(٥٠) وقولـه عز وجـل (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ)

وذلك أنه لما دنا هـلاك فرعون ، أمر الله موسى أن يسرى ببني اسرائيل مـــن مصـــر ، فأمر موسى قومـه أن يسرجوا في بيوتهم الى الصبح ، وألقى الله عـلـى القبط الموت ، فاشتغلوا بدفنهم ، وخرج موسى في ستمائة ألف و عشرين ألفا سوى الذرية ، وكان موسى على ساقتهم وهارون على مقدمتهم ، فخرج فرعون في طلبهم و على مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف ، وسار بنو اسرائيـــل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة ، ونظروا فاذا هم بفرعون وقومـــه ، وذلك حين أشرقت الشمس ، فبقوا متحيرين ، وقالوا يا موسى كيف نصنـــع وما الحيلة وفرعون خلفنا والبحر أمامنا ؟

فقال موسى : " كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ " [١] فأوحى الله اليـــه (أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ) [٢] فضربه فلم يطعـه ، فأوحى الله اليه أن كـنّـه ، فضربه بعصاه وقال : انفلق أبا خالد باذن الله عز وجـل ، فانفلق فكان كل فـــرق كالطود العظيم ، وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق ، وأرسل الله الريـــح والشمس على قعر البحر فصار يبسا ، فخاضت بنوا اسرائيل البحر كل سبط في طريق و عن جانبيه الماء كالجبل الضخم ، ولا يرى بعضهم بعضا ، فخافوا وقال كل سبـــط قد قتل اخواننا ، فأوحى الله الى جبال الماء أن تشبكي ، فصار الماء شبكات ، يـرى بعضهم بعضا ، ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين [٣] ، فذلك قوله

---

(١) الشعـــراء : ٦١ ، ٦٢

(٢) الشعـــراء : ٦٣

(٣) انظر القصة بأطول من هـذا في تفسـير البغوى ١/٧٠ ـ ٧١ ، وتفســـــير الخـازن ١/٥٧ ـ ٥٩

وانظر نحوه في تفسير الطبرى ٢/٥٣ ـ ٥٧ .

قلـــت : مثل تلك القصص لا يترتب على ذكرها كبير فائدة ، كما أنه لا علاقة لهـا في تفسير الآية ودلالتها ، إذ معنى الآيـة وما دلت عليه ظاهر ، ولا يؤخـذ من مثـل تلك القصص والأخبار التي لا صحة لها في الغالب ، فكان الأولى الإعراض عن مثـــل هذا ، والإهتمام بتدبر الآية وموطن العبرة منها . والله أعـلم .

الآيـــــة : ٥٠ ، ٥١

تعالـــى (وَإِذْ فَرَقْنَـا بِكُـمُ الْبَحْـرَ) أى فلقنـاه وصيرنـا الماء يمينا وشمالا ٠

وقولـه (فَأَنجَيْنَـاكُمْ) أى من الغرق ومن آل فرعون ٠

وقولـه (وَأَغْرَقْنَـا آلَ فِرْعَـوْنَ) : وذلك أن فرعون لما وصل الى البحر ورآه منفلقا ، قـال لقومـه : انظروا الى البحـر انفلق لهيبتي حتى أدرك أعدائي و عبيد ى الذ يـن أبقوا فأقتلهم ٠ اد خلوا البحـر ، فهاب قومـه أن يد خلوه ، ولم يكن في خيـل فرعـون أنثى ، فجاء جبريل على فرس أنثى ود يـق [١] ، فتقد مهم وخاض البحـر ، فلما شمت خيول فرعـون ريحهـا اقتحمت البحر في أثرهـا ، حتى خاضوا كلهم البحـر ، وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ، ويقول لهم : الحقوا بأصحابكم ، حـتى اذا خرج جبريـل من البحـر وهـمّ أولهم أن يخرج أمر الله البحر أن يأخـذ هم ، فالتطم عليهـم فغرقـوا جميعـا ، وذلك بمرأى من بني اسرائيـل [٢] ، فذلك قوله تعالـى (وَأَغْرَقْنَـا آلَ فِرْعَـوْنَ وَأَنـتُمْ تَنظُـرُونَ) الى مصارعهـم ٠

(٥١) قوله عز وجـل (وَإِذْ وَاعَـدْنَا مُوسَـىٰ أَرْبَعِـينَ لَيْـلَةً)

وذلك أن بني اسرائيل لما أمنوا عد وهم ود خلوا [٣] مصر / لم يكن لهم كتـاب (١٥/ب)
ولا شريعة ينتهون اليها ، فوعـد الله موسى أن ينزل عليهم [٤] التـوراة ، فقال موسى لقومـه :اني ذ اهب لميقات ربي فآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتـون وما تذ رون ، وواعـد هم ثلاثـين [٥] ليلة من ذ ى القعد ة و عشرا من ذ ى الحجة

---

(١) الفرس الود يق : هي التي تشتهي الفحل ٠ انظر : اللسان ١٠/٣٧٢

(٢) هذه القصة تابعة لسابقتها ،وكلها حكايات لا مستند لها ٠ والله أعـلم ٠

(٣) الصواب " وخرجوا من مصر " لأن أمنهم حصل بعد خروجهم من مصر وإغراق عد وهـم في البحـر ٠

(٤) في ط " عليـه " ٠

(٥) في ط " أربعين ليلة ، ثلاثين من ذ ى القعـد ة و عشراً من ذى الحجـة " ٠

الآيـــــة : ٥١

واستخلف عليهم أخاه هارون ، فلما أتى [١] الوعـــد [٢] جاء جبريل عليه السلام على فـــرس يقال له فرس الحياة ، لا تصيب شيئا الا حـــيي بـــه ، فلما رأى السامرى جبريل عليـــــــه الســـلام على ذلك الفرس ، قال : ان لهذا شأنا ، وكان رجـــلا منافقا قد أظهر الاسلام ، فأخـذ قبضـة من تربـة حافر فرس جبريل ، وكان بنوا اسرائيل قد استعاروا حليا كثـــيرا مـــن قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر تعلة [٣] عرس ، فأهلك الله قوم فرعون ، وبقيـــت تلك الحلي في أيدى بني اسرائيل ، فلما لم يرجع موسى قال السامرى لبني اسرائيـــــل : ان الأمتعـة والحلي التي استعرتموها من قوم فرعـــون غنيمـة لا تحل لكم ، فاحفروا حفـــيرة فادفنوهـا فيها حتى يرجع موسى ، ففعلوا ذلك ، فلما اجتمعت الحلي صاغها الســامـــرى وكان رجـــلا صائغا ، وجعل عليها القبضـة التي أخـذها من أثر حافر فرس جبريل ، فخـرج عجـلا من ذهـب فخـــار [٤] ، فذلك قوله تعالى (عِجْـلاً جَسَـداً لَّـهُ خُـوَارٌ) فعبـــد وه مـــن دون اللـــــــه .

قال السدى [٥] : كان يخور ، والسامرى يقول : هذا إلـهـكم وإله موسى فنســيـــــه [٦] : أى تركـه هـهنـا وخرج يطلبـــه . فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامرى افتتن بالعجـــــــل ثمانية آلاف منهم ، فعبدوه من دون اللـــــه . [٧]

---

(١) في أ " آنـا " والتصويب من ط .

(٢) في ط " الموعـــد " .

(٣) في م " بعـلة " .

(٤) انظر القصة بأطول من هـذا في : تفسير الطبرى ٢/٦٤ ـ ٦٥ ، وتفســـــــــــير البغـــوى ١/٧٢ ـ ٧٣

قلـــــت : الأولى الوقـوف على ما جاء في القرآن الكريـم من تفصيـل لخـــــبر السامرى وصناعتـه للعجـل، أما ما زاد على ذلك فلا يلتفـت إليه ما لم يستنـد إلى خـبر صحيـــح .

(٥) هو محمد بن مروان السدى الكوفي ، وهو السدى الصغير ، صاحب الكلـــــبي ، متهـــم بالكـذب . انظر : ميزان الاعتدال ٤/٣٢

(٦) في ط " فنسي " .

(٧) انظر : تفسير البغوى ١/٧٣

الآيـــــة : ٥١

وقال بعضهـــم : معنى الآيـــة : واذكروا اذ أخبر الله موسى أن يؤتيه الألواح فيهـــا التوراة على رأس ثلاثين يوما من ذى القعدة ، وأمره أن يصومها فصامها ، فوجد من فيـــه خلوفا أى تغير رائحـــة ، فاستاك فأمره الله أن يصوم عشرة أخرى من أول ذى الحجة ، كمـــا قال تعالى في موضع آخر (وَأَتْمَمْنَـــاهَـــا بِعَشْـــرٍ) (١) ، فقال السامرى في الأيام العشـــرة لبني اسرائيل : قـــد تمت الثلاثون ولم يرجع (٢) موسى ، وانكم قـــد استعرتم من نســـــاء آل فرعـــون حليهم حين سار بكم من مصـــر ، فلما لم ترد وا عليهن حليهن لم يرد اللـــــه علينا موسى ، فهاتوا ما معكم من الحلي حتى نحرقه فلعل الله أن يرد علينا موســـــى ، فجمعوا الحلي ، وكان السامرى صائغا ، فاتخذ من ذلك عجلا فصار العجل جســـــــدا له خـــوار فعبد وه ، فذلك قوله تعالى (ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْـــــدِهِ وَأَنـــتُمْ ظَـــالِمُـــونَ) .

قال ابن عباس : فصار عجـــلا لـــه لحـــم و د م و شعـــر .

وقيل : جعل فيه خروقـــا ، فكانت الريـــح تقع في تلك الخروق فيسمع منهـــا (٣) مثـــــل الخوار ، فأوهمهـــم أن ذلك الصـــوت خـــواره . (٤)

وقولـــه تعالى (مِنْ بَعْـــدِهِ وَأَنـــتُمْ ظَـــالِمُـــونَ) [أى (٥)] من بعد انطلاق موسى الـــــى الجبل (وَأَنـــتُمْ ظَـــالِمُـــونَ) أى ضارون لأنفسكم بالمعصية ، واضعون العبادة في غير موضعها .

---

(١) الأعـــراف ١٤٢ (وَوَاعَـــدْنَـــا مُوسَـــى ثَـــلَـــاثِينَ لَيْـــــلَـــةً وَأَتْمَمْنَـــاهَـــا بِعَشْـــرٍ ...) .
وانظر نحو هـــذا المعنى في تفسير ابن كثـــير ٢٥٣/٢

(٢) في ط كلمة " الينـــا " بعد قوله " ولم يرجع " .

(٣) في ط " لـــها " .

(٤) قال أبو حيان : " وقد نقل المفسرون عن ابن عباس والسدى و غيرهما قصصاً كثيراً مختلفاً في سبب اتخـــاذ العجل وكيفية اتخاذه ، وانجر مع ذلك أخبار كثيرة الله أعلم بصحتها ، إذ لم يشهد بصحتها كتاب ولا حديث صحيح ، فتركنا نقل ذلك .. "
اهـ . من البحر المحيط ٢٠١/١

(٥) ما بين المعقوفتـــين من ط ، م .

الآيـــــة : ٥١

وفي قولـه (وَعَـدْنَـا)[١] / خلاف بين القراء : فقرأ أبو عمرو ويعقـــوب (١٦/أ) " وعـد نا " بغيرألف في جميع القـرآن[٢] . وقرأ الباقون بالألف[٣] ، وهي قـــراءة ابن مسعـــود .

فمن قرأ بغير ألف قال : لأن الله تعالى هو المنفـرد بالوعـد ، والقرآن ينطق به كقولـه (وَعَدَ ٱللَّهُ)[٤] و (إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ)[٥] ونحوهـا .

ومن قرأ بالألف فقال : قد تجيء المفاعلة من واحـد كقولهم : عاقبت اللص ، وعافاك الله وطارقت النعل ، وسافر ونافق .[٦]

قال أهل اللغـة : الوعـــد في الخـير ، والوعيـــد في الشـر .[٧]

قال الشاعـر : واني اذا أوعدته أو وعـــدتـه ... لمخلف ايعادى ومنجز موعـدى[٨]

---

(١) في ط " واعـــد نا .

(٢) وهي قراءة أبي جعفـــر أيضـــا .

(٣) انظر : النشر ٢١٢/٢ ، والمهذب ٥٦/١

(٤) النســـاء ١٢٢ (وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً) .

(٥) ابراهـيم ٢٢ (وَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَـــقِّ وَوَعَـدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُـــكُمْ ...) .

(٦) انظر : الكشف ٢٣٩/١ ــ ٢٤٠ ، والتبيان ٦٢/١

(٧) انظر : الصحاح ٥٥١/٢ (وعـــد) .

وهذا هو الغالب ، وليس بمطـــرد .

قال الراغب : الوعـــد يكون في الخير والشـــر .

فمن الوعـد بالخير قوله تعالى (وَعَـدَ ٱللَّـهُ ٱلَّـذِيـنَ ءَامَنُـواْ وَعَمِـــــلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُـم مَّغْفِـرَةٌ وَأَجْـرٌ عَظِـيمٌ) المائـدة ٩

ومن الوعـد بالشـر قوله تعالى (ٱلنَّـارُ وَعَـدَهَا ٱللَّـهُ ٱلَّذِيـنَ كَفَـــرُواْ وَبِئْـسَ ٱلْمَصِـيرُ) الحـج ٧٢

انظر : مفردات الراغب ص ٨٢٦ (وعـــد)

(٨) البيت لعامر بن الطفيل ،وهو في ديوانـه ص ٥٨ ، وفيه " إن أوعـد تـــــه " بدل " إذا " .

الآيـــــة : ٥١ ، ٥٢

والعجـل والعجـول ولـد البقـرة .

وانما قـرن التاريخ بالليـل د ون النهار، لأن العرب [١] وضعت التاريخ على سنـين القمـر [٢] ، وانما يهل بالليـل .

وقيل : لأن الظلمة أقـد م من الضوء ، والليل خلق قبل النهار . [٣]

قال الله تعالى (وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ) [٤] .

(٥٢) قولـه تعالى (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ) : أى تركناكم فلم نستأصلكم [٥] من قوله عليه السلام " اعفـوا اللحـى " . [٦]

وقيل : محونا ذ نوبكـم ، من قول العرب : عفت الريـح [٧] المنزل فعفا .

---

(١) في ط " لأن العرف وضع التاريخ على سير القمـر " .

(٢) تقد ير منازل القمـر جاء من عنـد اللـه عز وجل ، ليعلم النـاس عـد د السنيـن والحسـاب . قال تعالى (هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ...) يونس : ٥

(٣) انظر : تفسـير البغوى ٧٢/١ ، والبحر المحيـط ١٩٩/١

(٤) يـس ٣٧ وتمامهـا (فإذا هـم مظلمـون) .

(٥) هـذا أحـد المعنيـين في تفسيرها ، والمعنى الآخر ـ وهو الذ ى عليـه جمهـور المفسرين ـ أن العفـو هنا بمعنى المحـو والتجاوز : أى محونا ذ نوبكـم وتجاوزنـا عنـكم .

انظـر : تفسـير البغـوى ٧٣/١ ، وتفسـير القرطـبي ٣٩٧/١ ، والبحـر المحيـط ٢٠١/١

(٦) هـذا جزء من خـد يث ابن عمـر في الصحيحـين .

ولفظه عند البخارى : " أنهكـوا الشـوارب وأعفـوا اللحـى " .

انظر : صحيح البخارى : كتاب اللباس ، باب : اعفاء اللحى

ومسلم في كتاب الطهارة : باب خصال الفطرة . رقم الحد يث ٢٥٩

ولفظ مسلم : " أحفـوا " بدل " أنهكـوا " .

(٧) في ط ، م " الريـاح " .

الآيـــــة : ٥٢

وقوله عزوجـــل (مِـــنۢ بَـعۡـدِ ذَٰلِـكَ) اى من بعد عباد تكم العجـــل .

وقوله تعالى (لَعَلَّكُمۡ تَشۡـــكُرُونَ) أى لكي تشكروا عفوى عنكم وصنيعي اليكم .

واختلف العلماء في ماهيـــة الشكر :

فقال ابن عباس : هو الطاعة بجميع الجوارح لرب الخلائق في السر والعلانية .(١)

وقال الحســـن : شكر النعمـــة ذ كرهـــا .(٢)

وقال الفضيل (٣) : شكر كل نعمة أن لا يعصي الله تعالى بعد ها .(٤)

وقال أبو بكر الرازى (٥) : حقيقة الشكر معرفة المنعم ، وأن لا تعرف لنفسك في النعمة حظا بل تراها من الله عز وجل (٦) ، قال الله (وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَـةٖ فَمِنَ ٱللَّـهِ) (٧)

---

(١) انظر : البحر المحيـــــط ٢٠١/١

(٢) انظر : تفسير البغوى ٧٣/١

(٣) هو فضيـــل بن عياض بن مسعود التميمي الزاهـــد ، مجمع على ثقته وجلالتـــــه ، مات سنة ١٨٧ هـ .

انظر : ميزان الاعتد ال ٣٦١/٣ ، وطبقات الحفاظ ص ١٠٤

(٤) انظر : تفسير البغوى ٧٣/١

(٥) هو أحمد بن علي الرازى، أبو بكر المعروف بالجصاص ، الفقيه ، امام أصحاب الـرأى في وقتـــه ، كان مشهورا بالزهـد والورع ، من مصنفاتـــه : أحكام القـــرآن . توفـــى ســـنة ٣٧٠ هـ . انظر : تاريخ بغد اد ٣١٤/٤ ـ ٣١٥

(٦) لم أجـــد ه منسوبـا للـــــرازى ، وهـــو عنـــد الثعـــلبي لأبي بكر الوراق .

انظـــر : تفســـير الثعـــلبي ٦٥/١

(٧) النحـــــــــــل ٥٣

الآيـــــة : ٥٢

ويـــدل عليه قولـه صلى الله عليه و سلم " قال موسى : يا رب كيف استطاع آدم أن يـؤدي شكر ما أجريت عليه من نعمك ، خلقتـه بيـدك ، و[أ](١) سجدت له ملائكتك ، وأسكنته جنتـك ، فأوحى الله اليـه : أن آدم علم أن ذلك مني ومن عندي ، فذلك شكره " .(٢)

وقال جنيـــــد(٣) : حقيقة الشكر : العجز عن الشكر .(٤)

وقال بعضهم : الشكر(٥) : ألا ترى النعمة البتة بل ترى المنعم .(٦)

وقال أبو عثمان الحيرى(٧) : صدق الشكر أن لا تمدح بلسانك غير المنعم .(٨)

---

(١) زيـادة الألـف من ط .

(٢) لم أجـد له تخريجـاً . وقـد ساقـه الثعلبي في تفسيره ٦٦/١

(٣) في ط ، م " الجنيـد " . وهو الجنيـد بن محمد ، أبو القاسم الخـزاز ، شـيخ وقتـه ، وفريـد عصره في علم الأحوال والكـلام على لسان الصوفيـة وطريقـة الوعـظ ، ولـه أخبار مشهـورة وكرامات مأثـورة ، مـات سـنة ٢٩٨ هـ . انظر : تاريخ بغداد ٢٤١/٧ ـ ٢٤٨

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٣٩٨/١

(٥) في أ ، م " للشكر " والتصويب من ط .

(٦) قلـت : وهذا القول في غاية البعد ، وهو من شطحات المتصوفـة .
والحـق : أن شكر النعمة هو أن ترى النعمة ، وأن تعلم أنها من الله ، فتـؤدي حقها ، من الثناء على المنعم والاجتهاد في طاعته واجتناب معصيته . قال تعـالى (وَأَمَّا بِنِعْمَـةِ رَبِّكَ فَحَـدِّثْ) . الضحى : ١١

(٧) في أ ، م " الحريـري " والتصويب من ط .
وهو سعيد بن اسماعيل ، أبو عثمان الامام المحدث الواعـظ ، شيخ الاسـلام ، النيسابوري الحـيري الصـوفي ، مات سـنة ٢٩٨ هـ .
انظر : سير أعـلام النبـلاء ٦٢/١٤ ـ ٦٦

(٨) انظر : تفسير الثعلبي ٦٦/١

الآيـــــة : ٥٢

وروى عن الشبلي [١] أنه قال : الشكر : التواضع تحت رؤية المنـة . [٢]

وقيل : الشكر خمسة أشياء : مجانبة السيئات، والمحافظة على الحسنات ، ومخالفـــة الشهوات ، وبذل الطاعات ، ومراقبة رب السموات . [٣]

وسئل أبو الحسن علي بن عبد الرحيم [٤] : من أشكر الشاكريـن ؟ فقال : الطاهر من الذنوب يعد نفسه من المذنبين، والمجتهد بعد أداء الفرائض يعد نفسه من المقصرين ، والراضي من الدنيا بالقليل يعد نفسه من الراغبين ، والقاطع بذكر الله دهره يعد نفسه مـــن الغافلين . فهذا أشكر [٥] الشاكريـن . [٦]

---

(١) هو أبو بكر الشبلي الصوفي ، له أخبار وحكايات كثيرة ، كان فقيهاً عارفـاً بمذهب مالك ، مات سنة ٣٣٤ هـ .

انظر : تاريخ بغداد ١٤/ ٣٨٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٥/٣٦٧

(٢) انظر : البحر المحيط ١/٢٠٢

(٣) انظر : تفسير القرطبي ١/٣٩٨

(٤) هو أبو الحسن علي بن عبد الرحيم السلمي العلامة الأديب اللغوى ، له معرفة بالنحو، ويحفظ من أشعار العرب ما لا يوصف .مات سنة ٥٧٦هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠/٥٧٨ ـ ٥٧٩

(٥) في أ " الشكر " والتصويب من ط ، م .

(٦) انظر : تفسيرالثعلبي ١/٦٦

قلت : والتحقيق أن الشكر هو الثناء والاعتراف للمنعم بما أولاه من نعمه الظاهرة والباطنة ، ويكون الثناء بالقول باللسان ، وباعتقاد القلب حق المنعم على المنعم عليه ، ويصدق ذلك العمل بطاعة الله عز وجل ، فهذه حقوق النعمة ، وبها تدوم .

قال الله تعالى (وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) وقال (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) .

الآيـــة : ٥٣

(٥٣) قوله عز وجل / (وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (١٦/ب)

قال مجاهد والفراء : هما شيء واحد ، يعني التوراة وما يفرق به بين الحق والباطل .(١)

وقد سمى الله تعالى التوراة فرقانا في موضع آخر ، وهو قوله تعالى (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً) (٢) .

وسمى الله نصرة المؤمنين يوم بدر على الكفار فرقانا ، كما قال (وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ) (٣) أراد به يوم بدر .

وانما عطف الشيء على نفسه وكرره ، لأن العرب تكرر الشيء اذا اختلفت ألفاظه ، قال عنترة (٤) :

حييت من طلل تقادم عهده ٠٠ أقوى وأقفر بعد أم الهيثم (٥)

وقال الكسائي : الفرقان نعت الكتاب ، يريد (وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ) فرق بين الحلال والحرام ، والكفر والايمان ، والوعد والوعيد ،

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٧٠/٢ ، ومعاني القرآن للفراء ٣٧/١
وبه أيضا قال الزجاج ٠ انظر : معاني القرآن له ١٣٤/١

(٢) الأنبياء ٤٨ وتمامها (وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ) ٠

(٣) الأنفال ٤١ وتمامها (يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ٠

(٤) هو عنترة بن شداد العبسي ، أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، ومن شعراء الطبقة الأولى ٠ من أهل نجد ٠
انظر : الأعلام ٩١/٥

(٥) انظر البيت في : جمهرة أشعار العرب ٤٧٣/١
والشاهد فيه قوله " أقوى وأقفر " حيث عطف أقفر على أقوى ، وذلك لاختلافهما لفظا ، مع اتحاد معناهما ، فكلاهما بمعنى : خلا ٠

الآيـــة : ٥٣، ٥٤

فزيـد ت الواو فيـه كما تزاد في النعوت من قولهم : فلان حسن وطويل [١] .

ود ليل هـذ ا التأويل قوله تعالى (ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ) . [٢]

وقال قطـرب : أراد بالفرقان القرآن ، وفي الآيـة اضمـار ، معناه : واذ آتينا موسـى الكتـاب ، ومحمـد ا الفرقـان .

قولـه تعالى (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) أى بهـذ ين الكتابـين . [٣]

وقال بعضهم : أراد بالفرقان انفراق البحـر ، وهو من عظيم الآيات . [٤] يد ل عليـه قوله تعالى (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ) [٥]

(٥٤) قولـه تعالى (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ) :

يعني الذ ين عبد وا العجل (يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ) أى أضررتم أنفسكـم (بِاتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ) الها . قالوا : فأيش نصنع ، وما الحيلة ؟

---

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٦٧/١ ، والبحر المحيط ٢٠٢/١

(٢) الأنعام ١٥٤

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٦٧/١ ، وتفسير القرطبي ٤٠٠/١

وقال القرطبي : قال النحاس : هذ ا خطأ في الاعراب والمعنى ، أما الاعراب فان المعطوف على الشيء مثله ، و على هذ ا القول يكون المعطوف على الشيء خلافه .

وأما المعنى : فقد قال تعالى (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ) (الأنبياء ٤٨) . قال أبو اسحاق الزجاج : يكون الفرقان هو الكتاب ، أعيد ذكره باسمين تأكيد ا . اهـ .

(٤) حكي هذ ا القول عن ابن زيد ، ويمان بن ريان ، وقطرب .

انظر : تفسير البغوى ٧٣/١ ، وتفسير القرطبي ٣٩٩/١ ، والبحر المحيط ص ٢٠٢

(٥) البقرة ٥٠ ويقول ابن كثير في تفسير الآية : قوله تعالى (وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ) يعني التوراة (وَٱلْفُرْقَانَ) وهو ما يفرق بين الحق والباطل ، والهد ى والضلالة . اهـ . من تفسير ابن كثير .

الآيـــــة : ٥٤

فقال (فَتُوبُـوٓاْ إِلَى بَـارِئِـكُمْ) أى فارجعوا الى خالقـكم .

وكان أبو عمرو يختلس الهمزة الى الجزم في قوله (بارئكم) و (يأمركم)[١] و (يشعركم)[٢] و (ينصـركم)[٣] طلبا للخفـة .[٤]

وقولـه تعالى (فَاقْتُلُـوٓاْ أَنفُسَـكُمْ) أى يقتل البرىء المجرم .[٥]

وقولـه تعالى (ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ) يعني القتـــل .

قال ابن عباس : أبى الله عـز وجـل أن يقبل توبـة بني اسرائيل الا بالحال الذ ى كرهـــوا أن يقاتلوهم حين عبـد وا العجـــل .[٦]

وقال قتاد ة : جعـل اللـه توبتهـم القتـل ، لأنهم ارتد وا ، والكفـــر يبيـح الـد م .[٧]

---

(١) من الآيـــة ٦٧ من سورة البقـرة (وَإِذْ قَـالَ مُوسَـىٰ لِقَوْمِـهِۦٓ إِنَّ ٱللَّـهَ يَأْمُرُكُـمْ أَن تَذْبَحُـوا۟ بَقَـرَةً) .

(٢) من الآيـــة ١٠٩ من ســورة الأنعام (وَمَا يُشْعِـرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) .

(٣) من الآيـــة ١٦٠ مـن ســورة آل عمـــران " فَمَـن ذَا ٱلَّـذِى يَنصُرُكُـم مِّـــنۢ بَعْـــدِهِۦ) .

(٤) انظر : الكشـــف ٢٤٠/١ ، والتيســـير ص ٧٣

(٥) يعني البرىء من عباد ة العجل يقتل عابد العجل .

وقيل : أمروا بقتل أنفسهم بأيد يهم .

وقيل : قتل بعضهم بعضا من غير تعيين قاتل ولا مقتول .

انظر : البحر المحيط ٢٠٧/١

(٦) انظر : تفسير الثعـلبي ٦٧/١ ورواه الطـبرى عـن الســد ى .

تفســير الطـــبرى ٧٤/٢

(٧) انظـر المصـد ر السابـــق .

الآيـــــة : ٥٤

وقرأ قتادة : " فاقتـالوا أنفسـكم " من الإقالـة .[١] أى استقبلوا العثرة بالتوبـــة ، فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا : نصبر لأمر الله تعالى، فجلسوا بالأفنية محتبـــين [٢] ، وأصلـت [٣] عليهم القوم الخناجـر ، فكان الرجل يرى ابنـه وأخاه وأباه وقريبـــــه وصد يقـه فلا يمكنهم إلا المضي لأمـر اللـه ، وقيل لهم : من حل حبوتـه أو مـد طرفـــه إلى قاتله أو اتقى [٤] بيـد أو رجل فهو ملعون مرد ود توبتـه ، فكانوا يقتلونهـم إلى المسـاء ، فلما كثـر فيهم [٥] القتل د عا موسى وهارون وبكيا وتضرعا وقالا : يارب هلكت بنوا إسرائيل ، البقية البقيـة ، فأمرهم الله تعالى أن يرفع [٦] السلاح عنهم ويكفوا عـن القتـل . وقد قتل منهم ألوف كثـيرة فاشتد ذ لك / على موسى فأوحى الله اليـه : (١٧/أ) " أما يرضيك أن أد خل القاتل والمقتول الجنـة " ، فكان من قتل منهم شهيد ا ومن بقـي

---

(١) انظر المحتسب لابن جني ٨٣/١ وفيه " الاستقالة " بد ل " الاقالة " .
وقال أبو حيان : وقرأ قتاد ة ـ فيما نقل المهد وى ، وابن عطية ، والتبريـــزى وغيرهم ـ " فأقيلوا أنفسـكم " ... فهو أمر من الإقالة ... أى أقيلوهـا بالتوبـة والتزام الطاعـة ... اهـ .
انظر : البحـر المحيط ٢٠٨/١

(٢) احتبى الرجـل : اذا جمـع ظهـره وساقيـه بعمامتـه ، وقد يحتـبي بيد يـه . والاسـم : الحِبـوة والحُبـوة .
انظـر : الصحـاح ٢٣٠٧/٦ " حبـا " .

(٣) في أ " وامتـلت " والتصويب من ط ، م .

(٤) في ط " أو اتقـاه " .

(٥) في ط " عليهـم " .

(٦) في ط ، م " أن يرفعـوا " .

الآيـــــة : ٥٤

منهـم كفر عنـه ذ نوبـــه، وذ لك قوله تعالى (فَتَـابَ عَلَيْـكُمْ) أى ففعلتم ما أمركم [١] به (فَتَـابَ عَلَيْـكُمْ) أى فتجاوز عنكم (إِنَّـهُ هُـوَ ٱلتَّـوَّابُ ٱلرَّحِـيمُ) . [٢]

وفي بعض التفاسير : ان موسى عليه السلام قال لهم بعد ما رجع من الجبل وأعطاه اللـــــه التوراة : (إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَـكُمْ) بعباد تكم العجل (فَتُوبُـوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِـكُمْ فَاقْتُلُـــوٓاْ أَنفُسَـكُمْ) أى ليقتـل الذ ين لم يعبدوا العجـل الذ ين عبـــد وه .

فقالوا : يا موسى نحن نفعل ذ لك . فأخـذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتـــــــل ، فأصبحوا بأفنية البيوت ، كل بني أب على حـد ه ، فأتاهـم هارون والاثنا عشر ألفا الذ يـن لم يعبد وا العجل بالسيوف ، فقال لهم هارون : هـؤلاء اخوانكم قد أتوكم شاهرين السيوف ، فاتقوا الله واصبروا ، فلعن الله رجلا حل حبوتـه أو قام من مجلسه أو مد طرفـه اليهـــــم أو اتقاهم بيد ه أو رجله ، فقالوا : آمـين ، فجعلوا يقتلونهم الى المساء ، وقام موســـى يد عـو ربـــه لما شق عليه من كثرة الد مـاء ، فنزلت التوراة [٣] ، وقيل له ارفع السيـف ، فاني قد قبلت توبتهم جميعا ، من قتل منهم ومن لم يقتل ، وجعلت ذ لك القتل لهـــم شهـاد ة ، وغفرتُ لمن بقي منهم ، فكان القتلى سبعين ألفا ، والقاتلون اثني عشر ألفـا . وكان السبب في امتحانهم بذ لك أنه كان فيهم من عرف بطلان عباد ة العجـــــــــل الا أنهم لم ينـهوا [٤] الآخرين لخشية وقوع القتل فيما بينهم ، فابتلاهم الله بما تركـــوا النهي عن المنكـــر لأجـــله . [٥]

---

(١) في ط " ما أمرتـم بـه " .

(٢) انظر : تفسير البغوى ١/٧٣ ـ ٧٤

(٣) في ط " التوبـــة " . ولعله هو الصواب .

(٤) في أ " لم نهو " والتصويب من ط .

(٥) انظر : تفسير النيسابورى ١/٣١٧ ـ ٣١٨ .

وهذ ا التفصيـل في كيفيـة القتـل لم يرد فيـــه خبر صحيـح ، وعلمه موكـول إلى اللـه عـز وجـــل .

الآيـــــة : ٥٥

(٥٥) قولـه عز وجـل (وَإِذْ قُلْـتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَـكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً)

وذلك أن الله عز وجل أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل ، فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم ، وقال لهم : صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ، ففعلوا ذلك ، فخرج بهم موسى الى طور سيناء (١) لميقات ربه ، فلما بلغوا هنالك أمرهم موسى بالمكث في أسفل الجبل ، وصعد هو ، فقالوا لموسى : اطلب لنا نسمع كلام الله ، فوقع على الجبل غمام أبيض فغشاه كله ، وكان موسى عليه السلام اذا كان يناجي ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه ، فضرب دونه الحجاب ، ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام وخروا سجدا ، فسمعوه وهو يكلم موسى ، يأمره وينهاه ، فأسمعهم الله تعالى : أني أنا الله لا اله الا أنا أخرجتكم من مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري (٢) .

فلما فرغ موسى وانكشف الغمام وأقبل اليهم قالوا : (لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً) أي لا نصدق (٣) حتى نرى الله عيانا وعلانية . (٤)

(فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ) أي نزلت نار من السماء فأحرقتهم جميعا .

وقيل : / سمعوا صوتا فماتوا ، يقال : صعق فلان : أي هلك . (٥) (١٧/ب)

---

(١) هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ، وهو جبل بقرب أيلة ، مدينة من مدن الشام .
انظر : معجم البلدان ١/٣٠٠ ، ٤/٤٨

(٢) في م " اذا ناجى ربه " .

(٣) في ط " لن نصدق " .

(٤) انظر هذا الخبر في : تفسير الطبري ٢/٨٦ ، وتفسير البغوي ١/٧٤
قلت : دعوى سماعهم كلام الله ، هذا تخرص لا برهان له ، فلم يرد في كتاب الله أنهم سمعوا كلامه عز وجل . والله أعلم .

(٥) انظر المعنيين في تفسير الطبري ٢/٨٢ ـ ٨٣ ، وتفسير ابن كثير ١/٩٧
قلت : كلا المعنيين دال على وقوع الهلاك لهم ، وإن اختلف في نوع العذاب الذي هلكوا به . وتعيين ذلك يحتاج الى دليل يعضده . والله أعلم .

الآيـــة : ٥٥ ، ٥٦

قرأ عمر وعثمان وعلي " الصعقة " بغير ألف . (١)

وقرأ ابن عباس " جهرة " بفتح الهاء (٢) ، وهما لغتان .

فلبثوا موتى يوما وليلة . (٣)

(٥٦) قوله تعالى (ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

وذلك أنهم لما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول : يا رب ماذا أقول لبني اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم (لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله عز وجل جميعا رجلا بعد رجل ، ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون . (٤)

فان قيل : كيف يقبل الله التوبة بعد الموت ؟

قيل : البعث في دار الدنيا كانتباه (٥) من النوم ، لأن الله رد هم الى التكليف في الدنيا وأحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم .

---

(١) وهي أيضا قراءة ابن محيصن في جميع القرآن ، وقيل اختلف عنه في الذاريات .
انظر : تفسير القرطبي ٤٠٤/١ ، واتحاف فضلاء البشر ٣٩٣/١

(٢) انظر : البحر المحيط ٢١١/١

(٣) هذا التحديد يفتقر إلى دليل . والأولى عدم الخوض فيما لا دليل عليه ، فعلمه موكول الى الله سبحانه وتعالى .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٩٧/١

(٥) في ط ، م " كالإنتباه " .

الآيـــة : ٥٧

(٥٧) قوله تعالى (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ)

أى في التيه [١] تقيكم حر الشمس ، وذلك أنهم كانوا في التيه ولم يكن لهم كن يسترهم فشكوا ذلك الى موسى ، فأنزل الله عليهم غماماً أبيضَ ، أى سحابا رقيقا ليس بغمام المطر ، لكن أرق وأطيب منه فأظلهم ، وكان يدلي لهم بالليل عمود من السماء من نور فيسير معهم بالليل حيث ساروا مكان القمر ، فقالوا : هذا الظل قد حصل فأين الطعام ، فأنزل الله عليهم المن .

قال مجاهد : هو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار ، وطعمه كالشهد .

وقال الضحاك : هو الترنجبين [٢] . وقال وهب [٣] : هو الخبز الرقاق .

وقال السدى : عسل كان يقع على الشجر بالليل ، وكان ينزل عليهم هذا المن كل ليلة ، يقع على أشجارهم مثل الثلج ، لكل إنسان منهم صاع كل ليلة ، فمن أخذ أكثر من ذلك دوّد وفسد ، ويوم الجمعة يأخذ صاعين لأنه كان [٤] لم يأتهم يوم السبت .

وقيل : هو شيء حلو كان يسقط على الشجر كالشهد المعجون بالسمن [٥] ، وكان

---

(١) قال القرطبي : ذكر المفسرون أن هذا جرى في التيه بين مصر والشام ، لما امتنعوا من دخول مدينة الجبارين وقتالهم .

تفسير القرطبي ٤٠٦/١

(٢) ظل ينزل من السماء شبيه بالعسل . انظر بمعناه : القاموس المحيط (منن) .

(٣) هو وهب بن منبه ، أبوعبد الله اليماني ، من أحبار علماء التابعين ، كان ثقة صادقاً ، كثير الأخذ من كتب بني إسرائيل . مات سنة ١١٤ هـ .

انظر : ميزان الاعتدال ٣٥٢/٤ ـ ٣٥٣

(٤) في ط " لأنه لم يكن يأتهم " .

(٥) انظر تلك الأقوال في : تفسير المن عند الطبرى ٩١/٢ ـ ٩٣ ، والثعلبي ٦٩/١ ، وابن الجوزى ٨٤/١ ، وابن كثير ٩٨/١ ـ ٩٩ .

وقال ابن هشام : المن : شيء كان يسقط في السحر على شجرهم ، فيجتنونه حلواً مثل العسل ، فيشربونه ويأكلونه .

انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١٧٦/٢

الآيـــــة : ٥٧

يأخـذ كل واحد منهم كل غداة صاعا يكفيـه يومه وليلتـه ، فان أخـذ أكثر من ذلك فسـد عليـه ، فقالوا : يا موسى قتلنا هـذا المـن بحلاوتـه ، فادع لنا ربك يطعمنـا لحما ، فدعـا فأنزل اللـه عليهم السلوى ، وهو طائـر يشبه السماني ٠ كـذا قال ابن عباس وأكثـر المفسريـن ٠ (١)

بعث الله سحابة مطرت السماني ، في عرض ميل وقـد ر طول رمح في السماء بعضـه عـلى بعـض ٠ (٢)

وقال المؤرج (٣) : السـلوى هو العسل بلغـة كنانـة ٠ (٤)

فأخـذ (٥) كل واحـد منهم ما يكفيـه يوما وليلة ٠ ويوم الجمعة يأخذ ما يكفيه يومين ٠ (٦)

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٩٦/٢ ـ ٩٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١٧٨/١ ـ ١٧٩ ، وتفسير الخازن ٦٣/١ ، وتفسير ابن كثير ١٠٠/١

(٢) انظر : البحر المحيـط ٢١٤/١

وقد حكاه أبوحيان عن أبي العاليـة ومقاتل ٠

قلـت : وما ذكـر من تفصيل في قـدر أكلهم وكيفيتـه فعلمه عند اللـه ، ولا يتعلق بمعرفته كبير فائـدة ٠ واللـه أعـلم ٠

(٣) هو مؤرج بن عمـر السدوسي النحوى ، أبو فيـد البصرى ، من أعيان أصحاب الخليل ، عالم بالعربيـة والحديث والأنساب ، من مصنفاته : معاني القـرآن ، و غريب القـرآن ٠ مات سنة خمس و تسعين ، وقيل : أربع وتسعين ومائـة ، وقيل : عاش الى بعـد المائتـين ٠

انظر : طبقات المفسرين للداودى ٣٤٠/٢

(٤) انظر : تفسير البغوى ٧٥/١ ، وتفسير القرطبي ٤٠٧/١

(٥) في ط ، م " فيأخـذ " ٠

(٦) تكـرر نحو هـذه العبارة عند المؤلـف ، وقد ذكرهـا بعض المفسريـن ، ومثـل هـذا التفصيـل لا يتوقف عليه تفسير الآيـة ، ولا يتعـلق به كبـير فائـدة ، فكان الأولـى عـدم الخـوض في مثله ما لم يستند الى دليـل ٠ واللـه تعالى أعـلم ٠

الآيـــــة : ٥٧

قولـه تعالى **(كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ)** أي وقلنا لهم : كلوا من حلال ما رزقناكـــم ولا تد خـروا لغـد ، فاد خـروا لغـد ، فقطع اللـه عنهم [١] ذ لك ، ودوّد وفســـــــــد ما اد خـــروا .

قال رسول الله صلى الله عليه و سـلم : " لولا بنـو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز [٢] اللحـــم ، ولولا حـــوى لم تخـــن [*] أنثى زوجهـا " . [٣]

قولـه تعـالى (وَمَا ظَلَمُونَـا) أي ما ضرونا بالمعصيـــة / **(وَلَـٰكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)** (١٨/أ) أي يضرون باستيجابهـــم عذ ابي وقطـع مـاد ة الرزق الذ ى كان ينزل عليهم بلا كلفة ولا مشقـة في الد نيـا ولا حساب ولا تبعة في العقبى ، وهـذ اكلـه في التيســـه .

---

(١) في ط " ذ لك عنهـم " .

(٢) في أ " لم يخـز " والتصويب من م .

(٣) متفق عليـه من حديث أبي هريـــرة رضي اللـه عنـه ،واللفظ لمسلم ، وليـــــــس عنـد البخارى " لم يخبث الطعام " .

انظر : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليـــه الشيخـان ١١١/٢ كتاب الرضاع : باب الوصية بالنساء .

ومعنى : لم يخنز اللحم : أي لم ينـتن ، ولم تتغير رائحتـه .

انظر : النهايـة في غريب الحد يث ٨٣/٢ (خـنز) .

(*) في أ " لم تخـز " والتصويب من ط، م .

الآيـــــة : ٥٨

(٥٨) قولـه عـــز وجـــل (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ)

أي قلنا لبني اسرائيل بعد انقضاء التيه على لسان يوشع بعد موت موسى وهارون : ادخلوا مدينة أريحا بقرب بيت المقدس ، وهي قرية الجبارين ، وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة .

قال الضحاك : (هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ) يعني الرملة (١) والأردن وفلسطين . (٢)

وقال مجاهد : بيت المقدس . (٣) وقال مقاتل : ايلياء . (٤)

قوله تعالى (فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا) : أي واسعا بلا حساب .

وقوله (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا) يعني بابا من أبواب القرية ، وكان لها سبعة أبواب . (٥) وقيل : باب مسجد بيت المقدس . (٦)

(سُجَّدًا) أي ركعا منحنين متواضعين .

وقوله (حِطَّةٌ) أي قولوا : مسألتنا حطة .

وقال ابن عباس : أمروا بالاستغفار . وقيل : أمروا أن يقولوا : لا اله الا الله .

وقيل : قولوا انما قيل لنا حق . وقال قتادة : وحط عنا خطايانا .

---

(١) مدينة عظيمة بفلسطين . معجم البلدان ٦٩/٣

(٢) انظر : تفسير البغوى ٧٦/١ ، وتفسير القرطبي ٤٠٩/١

(٣) وهو قول الجمهور . انظر : تفسير الطبرى ١٠٢/٢ ـ ١٠٣ ، وتفسير القرطبي ٤٠٩/١ وتفسير ابن كثير ١٠٢/١

(٤) انظر : تفسير البغوى ٧٦/١

وايلياء : اسم مدينة بيت المقدس ، وإنما سميت إيلياء باسم بانيها إيلياء بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام .

انظر : معجم البلدان ٢٩٣/١

(٥) انظر : تفسير البغوى ٧٦/١

(٦) وهو يدعى باب حطة . قاله ابن عباس ومجاهد .

انظر : تفسير الطبرى ١٠٣/٢ ـ ١٠٤

الآيـــــة : ٥٨

و عن ابن عباس أيضا قال [١] معناه : قولوا لا اله الاالله [٢] ، لأنها تحط الذ نـــــوب ، وما كان يحط الذ نوب يصح أن يترجم عنـه بحطـة ٠

وذ لك أنهم كانوا قد أذ نبوا بابائهم د خول أريحـا [٣] ، فلما فصلوا عن [٤] التيه أحب اللـه أن يستنقذ هم من الخطيئـة ٠

وحطـة : رفع على الحكاية في قول أبي عبيـد ة ٠ [٥]

---

(١) في ط كلمة " أنـه " قبل قوله " قال " ٠

(٢) انظر الأقوال في معنى " حطة " في : تفسير الطبرى ١٠٥/٢ ــ ١٠٧ ، وتفسير ابـن أبي حاتم ١٨٣/١ ــ ١٨٥ ، وتفسير ابن كثير ١٠٢/١

قال ابن كثير : " وحاصل الأمر أنهم أمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول ، وأن يعترفوا بذ نوبهم ويستغفروا منها ، والشكر على النعمة عند هـــا والمباد رة الى ذ لك من المحبوب عند الله تعالى " ٠

تفسير ابن كثير ١٠٢/١

(٣) مد ينة في الغور من أرض الأرد ن بالشام ، قريبة من بيت المقد س ٠

انظر : معجم البلد ان ١٦٥/١

والصحيح أن القرية التي أمروا بد خولها هي بيت المقد س ، كما نص على ذ لـــك السد ى ، والربيع بن أنس ، وقتاد ة ، وأبو مسلم الأصفهاني و غير واحد ٠

هذ ا قول ابن كثير ، وهو اختيار الجمهور ٠

انظر : تفسير ابن كثير ١٠٢/١ ، والقرطبي ٤٠٩/١

(٤) في ط " مـن " ٠

(٥) أبو عبيد ة هو معمر بن المثنى اللغوى البصرى مولاهم ، صاحب مجاز القرآن ، مـن أئمة العلم بالأد ب واللغة ، قال الد ارقطني : لا بأس به ، الا أنه يتهم بشـــيء من رأى الخوارج ٠ مات سنة ٢١٠ هـ ٠

انظر : ميزان الاعتـد ال ١٥٥/٤ ، والأعلام ٢٧٢/٧ ، وانظر ما حكـــاه المؤلف عنه في مجازه ٤١/١

الآيـــــة : ٥٨ ، ٥٩

وقال الزجـــاج : تقـــد يره : مسألتنا حطـــة .(١)

ومن قرأ " حطـــة " بالنصب (٢) فمعناه : حط عنا ذنوبنا حطـــة .

وقولـه تعـــالى (نُّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) : قرأ أهل (٣) المدينة بياء مضمومة . وأهـــل (٤) الشام بتـــاء مضمومـــة . والباقون بنون مفتوحـــة .(٥)

(وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) : احسانا وثوابـــا .

(٥٩) قولـه عـز وجـل (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) :

أى خالفوا فقالوا " أطـه سمقاثا " أى حنطة حمراء بلغتهم .(٦)

قالوا هذا القول منهم استهـزاءً وتبد يلاً مكان القول الذ ى أمروا بـــه : أن يقولوا حطـة .

وقال الحسن : أمـروا أن يقولوا حطـــة ، فقالوا : حنطـــة . وأمروا أن يد خلوا البـــاب ركعا فد خلوا زحفا على أستاههم (٧) . وقيل : متحرفـــين .(٨)

---

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٣٩/١

(٢) وهي قراءة ابن السميفع ، وابن أبي عبلة .
انظر : الكشاف ٤٣/١ ، وزاد المسير ٨٥/١

(٣) هما نافع وأبو جعفـــــر .
وانظر قراءتهما في النشر ٢١٥/٢ ، والمهذب ٥٧/١

(٤) المراد ابن عامر الشامي . انظر : المصد رين السابقين .

(٥) المصـــد ران السابقـــان .

(٦) انظر : تفسير الطبرى ١١٤/٢

(٧) وهو أيضا قول ابن عباس ، وعطاء ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتـــــادة ، والربيع بن أنس ، ويحيى بن رافع .

(٨) أى د خلوا على حروف عيونهم ، حكاه ابن الجوزى عن مجاهـــد .
انظر : زاد المسير ٨٦/١

الآيـــــة : ٥٩

قـال مجاهـــد : طوطـي، لـهم البـاب ليخفضـوا [١] رؤوسهم فلم يخفضـوا [٢] ولم يركعـــوا ود خـلـوا زحفـــا . [٣]

وانتصـب " قـولا " علىالمصـد ر : أى وقالوا قولا غير الذ ى قيل لهم . [٤]

وقولـه تـعالى (فَأَنـزَلْنَـا عَـلَى ٱلَّـذِيـنَ ظَلَمُـواْ رِجْـزًا) أى عـذ ابا (مِـنَ ٱلسَّـــمَآءِ) : أرسل الله عليهم طاعونـا ، فهلك منهم في ساعـة واحـد ة سبعون ألفا فجأة . [٥]

---

(١) في أ " ليخفظوا " والتصويب من ط ، م .

(٢) في أ " فلم يحفظوا " والتصويب من ط ، م .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ١١٤/٢ ، وتفسير البغوى ٧٦/١

قال الحافظ ابن كثير : " وحاصل ما ذكره المفسرون وما د ل عليه السياق أنهم بد لوا أمر الله لهم ، من الخضوع بالقول والفعل، فأمروا أن يد خلوا سجد ا فد خلـــــوا يزحفون على أستاههم من قبل أستاههم رافعي رؤوسهم ، وأمروا أن يقولوا حطـــة : أى احطط عنا ذ نوبنا وخطايانا ، فاستهزأوا وقالوا : حنطة في شعيرة . وهـــذ ا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاند ة ، ولهذ ا أنزل الله بهم بأسه و عذ ابـــه بفسقهم ، وهو خروجهم عن طاعتـــه " .

انظر : تفسيرابن كثير ١٠٣/١

(٤) ويعرب أيضا مفعول لبد ل . انظر : التبيان ٦٦/١ ــ ٦٧

(٥) روى هذ ا المعنى عن ابن زيد وسعيد بن جبير .

انظر : تفسير الطبرى ١١٧/٢ ، وتفسير ابن كثير ١٠٣/١

وقد روى الشيخان من حد يث أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل ، أو على من كـــان قبلكم ، فإذ ا سمعتم به بأرض فلا تقد موا عليه ، و إذ ا وقع بأرض وأنتم بهـــا فلا تخرجوا فراراً منـــه " .

انظر : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٦٨/٣ كتاب السلام : باب الطاعون والطيرة والكهانة و غيرها .

الآيـــــة : ٥٩ ، ٦٠

وقيـــل : نزلت بهم نـار فأحرقتهم لتبديلهم ما أمروا بـــه .(١)

وقولـه تعـالى (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) : أى يعصون ويخالفون أمر اللـه .

(٦٠) قولـه عـز وجـل (وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ)

أى سأل لهم السقيا ، وذلك أنهم عطشوا في التيـه فقالوا : يا موسى من أين لنـــا الشـراب ؟ وكان قولهم لـه حـال / نزولهم في الأرض القفر بعد غرق فرعـون ، (١٨/ب) فاستسقى لهم موسـى (٢) ، فأوحى الله اليـه (أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَـرَ) وكان عصاه من آس الجنـة ، طوله عشرة أذرع على طول موسى ؛ ولها شعبتـان تتقدان في الظلمة نورا ، وكان آدم حمله معه من الجنة الى الأرض فتوارثه الأنبياء صاغـرا عن كابـر حتى وصـل الى شعيب فأعطـاه موسـى .(٣)

---

(١) لم أجد من نص عـلى هـذا .
وعموم المفسرين وأهل اللغة على أن الرجز : هوالعذاب ، دون تعيين لنوعـه .
قال أبو حيان : " والذى يدل عليه القرآن أنه أُنزِلَ عليهم عذاب ، ولم يبين نوعه ، إذ لا كبير فائدة في تعليق النوع " . البحر المحيط ٢٢٥/١
وانظر : مجاز القرآن ٤١/١ ، ومعاني القرآن للزجـــاج ١٤٠/١
وتفسير الطبرى ١١٦/٢ ـ ١١٨ ، وتفسير ابن كثـير ١٠٣/١

(٢) في كلام المؤلف هنا تداخل واضطراب ، حيث ذكر أن عطشهم كان في التيـــه ، وطلبهم للماء كان حال خروجهم من البحر بعد غرق فرعون ، وهذا لا يتأتـى ، إذ أن المفسرين ذكروا في ذلك قولين منفصلين ، خلطهما المؤلف في قول واحد .
انظر : تفسير الطبرى ١٢٠/٢ ـ ١٢١ ، والبحر المحيط ٢٢٦/١

(٣) انظـر : تفسـير البغـوى ٧٧/١ ، والبحـر المحيـط ٢٢٦/١ ، وتفســـير ابن كثـير ١٠٤/١
والأخبار الواردة في العصـا وصفتهـا لا تستنـد إلى دليـل تقوم بـه حجـة ، فكـان الأولـى الوقـوف عنـد نصوص الكتـاب والسـنة ، وعـدم الخـوض فـي قصـص وحكايات لا دليـل عليهـا . واللـه أعـلم .

الآيـــــة : ٦٠

وأما الحجر الذى أمـر موسى بضربــه فقــد اختلف فيه المفسرون :

قال وهب بن منبــه : كان موسى يضرب لهم أقرب حجر من عرض الحجارة ، فتفجر عيونا لكل سبط عين ، وكانوا اثني عشر سبطا ، ثم تسيل كل عين في جد ول الى السبط الذ ى أمـــــر أن يسقيهم (١)، ثم انهم قالوا : ان فقد موسى عصاه متنا عطشا . فأوجى اللـــه اليـــه : يا موسى لا تقرعـن الحجارة ولكن كلمها تطعـك (٢) لعلهم يعتبرون . (٣)

فقالوا : كيف بنا اذ ا أفضينا الى (٤) الأرض التي ليست فيها حجـــارة ؟

فحمل موســى معــه حجــرا ، فحيثمــا نزلــوا ألقــاه . (٥)

وقال آخرون : كان حجرا مخصوصا بعينـــه .

والد ليل على ذ لك اد خال الألف واللام عليه وذ لك للتعريف . (٦)

ثم اختلفــوا فيــه ما هــو ؟

قال ابن عبـاس : كان حجرا خفيفا مربعا مثل رأس الرجـل ، يحمله معه ، فاذ ا احتاجوا الــى المـاء وضعه وضربه بعصـــــاه .

وروى أنــه كان رخامــا .

وقيل : كان حجرا فيـه اثنتا عشـرة حفـرة ينبع من كل حفـرة عين مـاء عـذ ب فرات ، فـــاذ ا

---

(١) انظر : تفسير البغـوى ٧٧/١ ، والبحـر المحيـط ٢٢٧/١ . وحكي هـذ ا القـــــول أيضا عن الحســن . قال : وهـذ ا أظهـر في المعجزة ، وأبين في القد رة .
انظر : الكشاف ١٤٤/١ ، والبحر المحيط ٢٢٧/١

(٢) في ط " تفهمك " .

(٣) انظر : الكشاف ١٤٤/١ ، والبحر المحيط ٢٢٧/١

(٤) في ط العبارة " الى الرمل والى الأرض " .

(٥) انظر : الكشاف ١٤٤/١ ، والبحر المحيط ٢٢٧/١

(٦) انظر : تفسير البغوى ٧٧/١، والبحر المحيط ٢٢٧/١

الآيـــة : ٦٠

أخذ وا حاجتهم من المـاء وأراد موسى حمله ضربـه بعصاه ، فغار الماء وانقطع ، وكان يسقي كل يوم ستمائة ألـف .

وقال سعيد بن جبـير [١] : هو الذ ى وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل حين رموه بالأد رة [٢] ، فنفر الحجر بثوبـه ومر بـه على ملأ من بني اسرائيل حتى علموا أنه ليس بأد ر ، فلما وقـف الحجر أتاه جبريل عليه السلام ، فقال : يا موسى ان الله عز وجل يقول لك : ارفع هـــذا الحجر ، فلي فيـه قـد رة ولك فيـه معجزة .

وقد ذكر الله تعالى ذ لك في قوله (**لَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّـــهُ مِمَّا قَـــالُوا**) . [٣] فحمله موسى ووضعه في مخلاتـه ، وكان اذ ا احتاج الى المـــاء ضربـه بعصـــاه . [٤]

---

(١) هو سعيد بن جبير الأسد ى مولاهـم ، الكوفي ، ثقة ثبت فقيه ، من الثالثـــة ، قتل بين يد ى الحجاج سنة ٩٥ هـ .

انظر : التقريـب ص ٢٣٤

(٢) الأد رة : نفخـة في الخصيـة .

انظر : الصحاح ٥٧٧/٢ (أ د ر)

(٣) الأحزاب ٦٩ وتمامها (**وَكَانَ عِندَ اللَّـهِ وَجِيهًـا**) .

(٤) انظر تلك الأقـوال حول ذ لك الحجـــر وصفته في :

تفسير الطبرى ١٢٠/٢ ــ ١٢١ ، وتفسير البغوى ٧٧/١ ، والبحر المحيط ١٢٧/١ وتفسير ابن كثـــير ١٠٤/١

قال أبو حيان : " فهذ ه أقوال المفسرين في الحجر ، وظاهرها أو ظاهر أكثرهـــا التعارض .... وظاهر القرآن أن الحجر ليس بمعين ، إذ لم يتقـد م ذ كر حجـر فيكـون هـذ ا معهـوداً ، وأن الإستسقـاء لم يتكـرر لا هـو ولا الضـــرب ولا الإنفجـــار ، وأن هـذ ه الكيفيات التي ذ كروها لم يتعرض لها لفظ القـــرآن ، فيحتمل أن يكون ذ لك متكـــرراً ، ويحتمـل أن يكـون ذ لـك مـرة واحـد ة ، والواحـــد ة هي المتحققـــة " . ا هـ . من البحـر المحيط ٢٢٧/١

الآيـــة : ٦٠

وقصـة ذ لك الحجـر : ما روى عن رسول اللهصلى الله عليه و سلم أنه قـال : " كـــان بنـو اسرائيـل يغتسلون عراة [١] ينظر بعضهم الى سـوءة بعض ، وكان موسى يغتسـل وحـده ، فقالوا : [واللـه] [٢] مايمنع موسى أن يغتسـل معنا الا أنـه آدر ، فذهـب يغتسل مرة فوضع ثوبـه على حجـر ففـر الحجر بثوبـه ، فجمع موسى في أثره يقـول : ثوبـي يا حجـر [٣] ، حتى نظرت بنـوا اسرائيل الى سوءة موسى فقالوا : واللـه ما بموسـى من بأس ، فقام [الحجـر] [٤] بعدمـا نظر بنوا اسرائيل اليه فأخـذ موسـى ثوبـه فطفق بالحجر ضربـا " . [٥]

قيـل : ضربـه موسى اثني عشر ضربـة ، وكان يظهر على كل ضربة مثل ثد ى المـرأة ، ثـم ينفجـر بالأنهار المطـردة [٦] ، فذ لك قوله تعالى / (فَانفَجَرَتْ مِنْـهُ اثْنَتَـا عَشْرَةَ عَيْنًـا) (١٩/أ)

وفي الآيـة اضمار واختصار تقـد يره : فقلنا اضرب بعصاك الحجر فضرب فانفجـرت : أى سـالـت . [٧]

---

(١) في ط " عرايانا " .

(٢) مابين المعقوفتين من ط .

(٣) في ط عبارة " ثوبـي يا حجـر " مكررة .

(٤) ما بين المعقوفتين من ط .

(٥) متفق عليـه من حـد يث أبي هريـرة رضي اللهعنـه .

انظر : اللـؤلـؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٧٢/١ كتاب الحيض : باب جواز الاغتسال عريانا في الخلوة .

(٦) قلـت : الـذ ى يـد ل عليه ظاهر القرآن أنالحجـر انفجـر - بأمر اللـه - اثنتا عشرة عينا من أول ضربـة ضربها موسـى . قال تـعالى (أَنِ اضْـرِب بِّعَصَـاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْـهُ اثْنَتَـا عَشْرَةَ عَيْنًـا) .

وهذ ا أظهر في المعجزة ، وأبين في القـد رة . واللـه أعـلم .

(٧) في أ " مالت " والتصويب من ط ، م .

الآيـــــة : ٦٠

وأصل الانفجـار : الانشقاق والانتشار ، ومنه فجر النهار ، لأنه ينشق من الظلام .

وأما قوله في موضـع آخر (فَانْبَجَسَـتْ) [١] فالانبجاس : أول ما يتقاطر من الماء وينشق ، والانفجـار : حين السيـلان .

وكان الانبجاس في أول القصـة والانفجار في آخرها ، والانبجاس أقل من الانفجار . [٢]

وقال بعضهم : هو حجر أمر الله موسى أن يأخـذه من أسفل البحر حين مر فيه مع قومه . [٣]

وقيـل : انـه مـن الجنـة . [٤]

وقوله تعالى (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ) : أي موضع مشربهم .

ويكون بمعنى المصدر مثل المدخل والمخرج والمطلع . وكان كل سبط يشربون من عـين لا يخالطهم فيها غيرهم للعصبية التي كانت بينهم .

قولـه تعالى (كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ) : أي قلنا كلوا من المن والسلوى واشربوا من الماء ، فهذا كله من رزق الله الذي يأتيكم [٥] بلا مشقة ولا مؤنـة ولا تبعـة .

---

(١) من الآية ١٦٠ من سورة الأعراف (أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا) .

(٢) انظر : الدر المصون ٣٨٥/١ ، وتفسير القرطبي ٤١٩/١ ، والبحر المحيط ٢٢٨/١ وقال أبو حيان : وظاهر القرآن استعمالهما بمعنى واحد ، لأن الآيتين قصـة واحـدة ١٠ هـ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٢٢٧/١

(٤) انظر : الكشاف ١٤٤/١

وقد تقدم قول أبي حيان حـول ما ذكر من قصص وأخبار في وصف وتعيين ذلك الحجر ، وأنها أقوال لا مستند لها ، ولم يتعرض لها لفظ القرآن الكريم .

(٥) في م كلمة " بـه " بعد قوله "يأتيكم" .

الآيـــــة : ٦٠ ، ٦١

قولـه تعالى (وَلَا تَعْثَـوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِـدِينَ) : العيث والعثو : أشد الفساد ، وانمـا جمع بين العيث والفساد وان كان معناهما واحـدا تأكيـدا ، كما يقال : كـذب وزور وظـلم وجـور . أى قيل لهم كلوا واشربوا ولا تسرعوا الى الفساد في الأرض عايثـين .(١)

والدليل على أن العيث هو الفساد قال الشاعر(٢) :

لولا الحياء وأن رأسي قـد عثـــا .(٣) فيـه المشيب لزرت أم القاســـم (٤)

(٦١) قولـه عز وجـل (وَإِذْ قُلْـتُمْ يَـا مُوسَـىٰ لَـن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَـامٍ وَاحِـدٍ)

وذلك أنهم وخمـوا المـن والسـلوى وملوهمـا .

قال الحسـن : كانوا أناسا أهـل كراث وأبصال وأعـداس ، فنزعوا الى عكرهم(٥) عكـر السـوء ، واشتاقت طبائعهم الى ما جرت عليه عاداتهم فقالوا (لَـن نَّصْبِرَ عَـلَىٰ طَعَـامٍ وَاحِـدٍ) يعنـون(٦) المـن والسـلوى(٧) ، وانما قال طعام واحد وهمـــا

---

(١) في ط " عاصـين " .

(٢) في ط " قـول " .

(٣) في ط " أم الهيثم " ، وفي أ ، م " أم القسم " والصواب ما أثبتناه .

(٤) انظر البيت في غريب القرآن لابن قتيبـة ص ٥٠ ،وزاد المسير ٨٧/١ ، واللسان ٢٨/١٥ (عثا) وهو منسوب لابن الرقـاع .

والشاهد فيه قوله " قـد عثا فيـه المشيب " : أى أفسده الشيب بتغيير سـواده وجماله الى تلك الحـالة المعـبرة عـن مفارقـة الشـباب وقوتـه ، والدخـول فـي سـن الشيخوخـة والهـرم .

(٥) العِكـر : بالكسـر : الأصـل . وقيل : العادة والديـدن .

انظر : اللسـان ٦٠١/٤ (عكـر) .

(٦) في م " يعنون بـه " .

(٧) انظـر : تفسير القرطبي ٤٢٢/١ ، وتفسير ابن كثير ١٠٥/١

الآيـــة : ٦١

اثنـان ، لأن العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد وعن الواحد بلفظ الاثنين ، كقولـه تعالى (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) [١] وانما يخرج من الملح د ون العذب .

وقال عبد الرحمن بن زيد [٢] : كانوا يعجنون المن والسلوى فيصير طعاما واحدا فيأكلونه . [٣]

قولـه تعالى (فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا) :

قرأ يحيى بن وثاب [٤] وطلحة بن مصرف [٥] " وقثائها " بضم القاف [٦] . وهي لغة تميم .

قولـه تعالى (وَفُومِهَا) قال ابن عباس : الفوم : الخبز [٧] ، تقول العرب : فوموا لنا : أي اختبزوا لنا . [٨]

---

(١) الرحمـــن ٢٢

(٢) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوى مولاهم ، ضعيف ، من الثامنة . مات سنة ١٨٢ هـ . التقريب ص ٣٤٠

(٣) انظر : تفسير البغوى ٧٨/١ ، والبحر المحيط ٢٣٢/١

(٤) هو يحيى بن وثاب الأسدى مولاهم الكوفي ، تابعي ثقة ، كبير من العباد الأعلام . مات سنة ١٠٣ هـ . غاية النهاية ٣٨٠/٢

(٥) هو طلحة بن مصرف الهمداني اليامي الكوفي ، تابعي كبير ، له اختيار في القراءة ينسب اليه . مات سنة ١١٢ هـ .
غاية النهاية ٣٤٣/١

(٦) انظر : المحتسب لابن جني ٨٧/١ ، والبحر المحيط ٢٣٣/١

(٧) وهو مروى أيضا عن عطاء ، ومجاهد ، وابن زيد .
انظر : تفسير الطبرى ٣١٠/١ ـ ٣١١ ، والدر المنثور ١٧٦/١ ـ ١٧٧
تنبيه : من هنا يبدأ العزو الى تفسير الطبرى حسب طبعته القديمة / الطبعة الثالثة / ١٣٨٨هـ بمطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

(٨) انظر : معاني القرآن للفراء ٤١/١

الآيـــــة : ٦١

ويقال لسائر الحبـــوب التي تخـبز الفـوم[١] ، يقول الرجل لجاريتـــه : فومي : أى اختبزى .

وقال عطـــاء[٢] : هو الحنطـــة .[٣] وهي لـغـة قـديمـــة .

وقال الكلبي : هـــو الثـــوم[٤] . قال حســـان [٥] :

وأنـتم أنـاس لئـام الأصـــــــول .. طعـامكم الفـوم والحـوقـل[٦]

يريـــد : الثـــوم والبصـــل .

والـعرب تـعاقب بين الفـــاء والثاء ، فتقول للقـبر جـدث وجـدف .[٧]

---

(١) حكاه القرطبي عن قتادة وعطاء . انظر : تفسير القرطبي ٤٢٦/١

(٢) هو عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهـم المكـي ، ثقـة فقيـه فاضـل ، لكنه كثـــــير الارســـال ، من الثالثـــة . مات سنة ١١٤ على المشهور .

انظر : التقريـــــب ص ٣٩١

(٣) انظر : تفسير البغوى ٧٨/١ ، والمشهور عن عطـــاء أنـه الخبز .

انظر : تفســـير الطـبرى ٣١٠/١

(٤) وهو مروى أيضا عن مجاهـــد ، والربيع بن أنـــس .

انظر : تفسير الطـــبرى ٣١٢/١ ، وتفسير البغوى ٧٨/١

(٥) في أ " الحسان " والتصويب من م .

وهو أبو عبد الرحمـن حسان بن ثابت بن المنذ ر بن حـرام الأنصارى الخزرجـــــــي النجاري المد نـــي ، شاعـر رسـول اللـه صلى اللـه عليـه و سـلم ، المنافـح عنـــه ، المؤيـــد في شعره بروح القـدس . مات بالمدينـة سنة ٥٤ هـ في أيام معاويـــــة عن مائـة و عشريـن ســـــنة .

انظر : الرياض المستطابـــــة ص ٥١ ــ ٥٢

(٦) انظـــر البيـــت في : تفســير القرطـــبي ٤٢٥/١ ، وفتح القد ير ٩٢/١

(٧) انظـر : معـاني القرآن للفـراء ٤١/١

الآيـــة : ٦١

ودليل هذا التأويل : أنها في / مصحف عبد الله " وثومها " بالثاء .[١] (١٩ / ب)

قوله تعالى (وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا) :

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " عليكم بالعدس فانه مبارك مقدس ، وانه يرق القلب و يكثر الدمعة ، وانه بارك فيه[٢] سبعون نبيا آخرهم عيسى عليه السلام " .[٣]

فقال لهم موسى (**أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ**) .

وفي مصحف أبي (**أتبدلون**[٤] **الذى هو أدنى**) أي أخس وأردى (**بالذى هو خير**) يعني المن والسلوى .

وقوله تعالى (ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا) معناه : ان أبيتم الا ذلك فاهبطوا مصرا من الأمصار .

ولو أراد مصر بعينها لم يصرفه كقوله تعالى (**ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ**) .[٥]

---

(١) انظر : المحتسب ٨٨/١ ، والبحر المحيط ٢٣٣/١

وقال القرطبي ـ في معرض ذكره لأقوال المفسرين في معنى قوله (وفومها) ـ : " وقيل : الفوم الحنطة ، روى عن ابن عباس وأكثر المفسرين، واختاره النحاس ، قال : وهو أولى ، ومن قال به أعلى ، وأسانيده صحاح .... وقال أبو اسحاق الزجاج : وكيف يطلب القوم طعاما لا بر فيه ، والبر أصل الغذاء . وقال الجوهري : الفوم الحنطة " . القرطبي ٤٢٥/١

(٢) في أ " في " والتصويب من ط ، م .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٧٣/١ ، والقرطبي ٤٢٧/١

وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢٩٤/٢

والعجب من ايراد بعض المفسرين لمثل تلك الأخبار والحكايات التي لا صحة لها ، والتي ينبغي تنزيه كتب العلم عنها ، لا سيما تفسير كتاب الله عز وجل .

(٤) انظر : البحر المحيط ٢٣٣/١

(٥) يوسف ٩٩

الآيـــــة : ٦١

وقال الضحـاك : هي مصـر موسـى وفـرعـون .(١)

ود ليل هـذ ا القول : قراءة الحسـن وطلحـة " مصـر " بـغير تنوين (٢) ، جـعلاهـــــــا معرفـة، فاجتمع فيها التعريف والتأنيث من حيث اراد [ة](٣) البقعة فلم ينصرف .

قولـه تـعالى (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِـمُ ٱلـذِّلَّـةُ) أى الذ ل والهوان بالجزيـة .

وقولـه تـعالـى (وَٱلْمَسْكَنَـةُ) أى زى الفقـر فتراهم كأنـهم فقراء وان كانوا مياسـير .

وقيل : فقر القلب ، فلا يرى في أهلل الملل أذ ل ولا أحرص على المال من اليـهود .(٤)

قولـهتعـالى (وَبَـاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّـهِ) أى رجعـوا . وقيل : استحقوا ، والبـاء صـلة . وقيل : احتمـلوا وأقروا بـه .(٥)

ومنـه الد عـاء المأثـور " أبـوء بنعمتـك عـليّ وأبـوء بذ نـبي " .(٦)

---

(١) وهذ ا مروى أيضا عن أبي العالية ، والربيع بن أنس ، والأعمش .
وبالقول الأول قال ابن عباس ، والسد ى ، وقتاد ة ، ومجاهـد ، وابن زيـد . ورجحه الحافظ ابن كثير ، حيث يقول : " والحـق أن المراد مصر من الأمصار ، كمـا روى عن ابن عباس وغيره ، والمعنى على ذ لك ، لأن موسى عليه السلام يقول لهـم : هـذ ا الذ ى سألتم ليس بأمر عزيـز ، بـل هوكثير في أى بلد د خلتموهـا وجد تمـوه ، فليس يساوى من د نا ءتـه وكثرتـه في الأمصار أن أسـأل اللـه فيـه ... " . اهـ . تفسير ابن كثير ١٠٥/١ ـ ١٠٦
وانظر الأقوال في تفسير الطبرى ٣١٣/١ ـ ٣١٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١٩٤/١ ، وتفسير البغوى ٧٨/١ ، وتفسير ابن كثـير ١٠٥/١

(٢) انظر : البحر المحيط ٢٣٤/١ ، والاتحاف ٣٩٥/١

(٣) ما بين المعقوفتـين من ط .

(٤) قلـت : والأوفق أن يكون المعنى : أن الله تعالى ضرب عليهم الذ لة والمسكنـة : بمعنى ألزمهم اياها وقضى عليهم بها حتى صار ذ لك سمة وعلامة لهم ، فهـم أذلا ء جبناء ، وان أظهروا خلاف ذ لك . واللـه أعـلم .

(٥) انظر هذ ه المعاني في : تفسير الطبرى ٣١٦/١ ، ومجاز القرآن ٤٢/١ ، ومعانـي القرآن للأخفش ٢٧٣/١ ، و تفسير القرطبي ٤٣٠/١ ، وتفسير ابن كثير ١٠٦/١

(٦) هذ ا جزء من حد يث أخرجه البخارى في كتاب الد عوات : باب أفضل الاستغفار .

الآيـــــة : ٦١

وغضب الله عليهم ذمه اياهم وتوعده لهم في الدنيا وانزال العقوبة بهم في العقبى . (١)

قوله تعالى (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ) أي ذلك الغضب (بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ)

أي بصفة محمد وآية الرجم في التوراة والانجيل والفرقان .

قوله تعالى (وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) :

قرأ السلمي (٢) " ويقتّلون " بالتشديد . و " النبيين " في جميع القرآن بالتشديد من غير همز ، وتفرد نافع بهمز النبيين . (٣)

فمن همز فمعناه : المخبر ، من قول العرب : أنبأ ينبىء إنباءا .

ومن حذف الهمزة فانه أراده ، لكن حذفه طلبا للخفة لكثرة استعمالها . وقيل : لأنه بمعنى الرفيع ، مأخوذ من النبوة وهي المكان المرتفع . يقال : نبا الشيء بغير همز اذا ارتفع . (٤)

= وهومن حديث شداد بن أوس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه و سلم ومعنى " أبوء " : أي أقر وأعترف .

(١) الواجب في صفات الله تعالى هو اثباتها وفق ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة من غير تأويل أوتكييف أو تمثيل أو تعطيل ، على ما يليق بجلاله تعالى وعظمته (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) الشورى ١١ .

(٢) لعله عبد الله بن حبيب بن ربيعة ، أبو عبدالرحمن السلمي الضرير ، مقرىء الكوفة ، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولأبيه صحبة . قال مجاهد : أول من أقرأ الناس بالكوفة بالقراءة المجمع عليها أبوعبدالرحمن السلمي ، وكان ثقة كبير القدر ، وحديثه مخرج في الكتب الستة . مات سنة ٧٤ هـ . انظر : غاية النهاية ٤١٣/١ ـ ٤١٤

وانظر تلك القراءة في تفسير الثعلبي ٧٤/١ والأشهر نسبتها لعلي رضي الله عنه . انظر : الكشاف ١٤٦/١ ، والبحر المحيط ٢٣٦/١

(٣) انظر : الكشف ٢٤٣/١ ـ ٢٤٤ ، والتيسير ص ٧٣

ويستثنى من ذلك موضعين في سورة الأحزاب ، فإن قالون يشدد الياء ولا يهمز . وذلك في قوله تعالى (وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ) . الآية ٥٠

وقوله تعالى (لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ) الآية ٥٣

(٤) انظر توجيه القراءتين في الكشف ٢٤٤/١ ـ ٢٤٥

الآيـــة : ٦١ ، ٦٢

وقولـه تـعـالى (وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧـينَ بِغَـيْرِ ٱلْحَـقِّ) أى بلا جرم ، مثل زكريا ويحـــــيي وسائر من قتل اليهود من الأنبياء .

وفي الخـبر : " أن اليهود قتلوا سبعين نبيا في أول النهار ، وقامت سوق بقلهـــم [1] في آخر النهار " . [2]

وقيل : قتلوا في يوم واحـد ثلاثمائـة نـبي . [3]

قولـه تـعـالى (ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُـواْ يَعْتَـدُونَ) أى يتجاوزون أمرى ويرتكبون محارمي .

(٦٢) قولـه عـز وجـل (إِنَّ ٱلَّـذِيـنَ ءَامَنُـواْ وَالَّـذِيـنَ هَـادُواْ) :

أى ان الذين آمنوا بموسى والتوراة ثم لم يتهودوا ، والذين آمنوا بعيسى ولم يتسموا بالنصرانية ، والذين تهودوا وتنصروا وتصابأوا [4] (مَنْ ءَامَنَ مِنهُمْ بِاللَّـهِ وَالْيَـوْمِ ٱلْأَخِـرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًـا فَلَهُـمْ أَجْرُهُمْ عِنـدَ رَبِّهِـمْ وَلَا خَـوْفٌ عَلَيْهِـمْ وَلَا هُـــــمْ يَحْزَنُـــــونَ) / . (٢٠/أ)

اختلف العلماء في تسمية الذين هادوا بهـذا الاســم :

فقال بعضهم : سموا بذلك لأنهم هادوا أى تابوا من عبادة العجل ، كقوله تعالـــى اخبارا عنهم (إِنَّـا هُـدْنَـا إِلَيْـكَ) [5] أى تبنـــا .

---

(١) قوله " قامت سوق بقلهم " هذا إظهار لعدم مبالاتهم و عظم جرمهم وقســـــوة قلوبهـم ، حيـث قتـلوا أنبيـاء اللـه في أول النهار ، ثم في آخره سوقهـــم عامـرة ببيع البقول وشرائها .

(٢) روى هـذا عن ابن مسعود . انظر : البحر المحيط ٢٣٦/١

(٣) وهو مروى عن ابن مسعود أيضا . انظر : زاد المسير ٩٠/١ ، والبحـــــــر المحيط ٢٣٦/١ ، وتفسير ابن كثير ١٠٦/١

(٤) قال الطبرى عند تفسير هذه الآيـة : إن الذين آمنوا من هذه الأمة ، والذين هادوا والنصارى والصابئين ، من آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخـــر (فَلَهُـمْ أَجْرُهُـمْ عِنـدَ رَبِّهِـمْ وَلَا خَـوْفٌ عَلَيْهِـمْ وَلَا هُـمْ يَحْزَنُـونَ) .

تفسـير الطـبرى ٣٢٣/١

(٥) الأعـراف ١٥٦

الآيـــة : ٦٢

وقال بعضهم : لأنهم هادوا أى مالوا عن الاسلام وعن دين موسى عليه السلام .(١)

يقال : هاد يهود هودا اذا مال .

واختلفوا أيضا في تسمية النصارى بذلك :

قال مقاتل : لأن أصلهم من قرية يقال لها (٢) ناصرة ، كان ينزلها عيسى وأمه فنسبوا اليها .

وقال الزهرى : سموا بذلك لأن الحواريين قالوا : نحن أنصار الله .(٣)

(وَالصَّابِـِٔـينَ) قرأ أهل المدينة بترك الهمزة ، وقرأ الباقون بالهمز (٤) وهو الأصل ، يقال : صبا (٥) يصبو صبوًا (٦) اذا مال وخرج من دين الى دين .

---

(١) انظر الخلاف في تسميتهم بذلك في : تفسير الطبرى ٣١٨/١ ، والبغوى ٧٨/١ ـ ٧٩ ، والقرطبي ٤٣٣/١ ، وابن كثير ١٠٧/١

قلت : والقول الأول هو الأشهر ، ودلالته أقوى ، لما أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ ـ فيما ذكره السيوطي ـ عن ابن مسعود قال : " نحن أعلم الناس من أين تسمت اليهود باليهودية ، بكلمة موسى عليه السلام (انا هدنا اليك) ولِمَ تسمت النصارى بالنصرانية ، من كلمة عيسى عليه السلام (كونوا أنصار الله) " .

الدر المنثور ١٨٢/١

(٢) في ط " اسمها " .

(٣) انظر الأقوال في تسمية النصارى بذلك في : تفسير الطبرى ٣١٨/١ ، وتفسير الثعلبي ٧٥/١ ، والقرطبي ٤٣٣/١ ـ ٤٣٤ ، وتفسير ابن كثير ١٠٧/١ ويؤيد القول الثاني قول ابن مسعود آنف الذكر . والله أعلم .

(٤) انظر : النشر ٢١٥/٢ ، والبدور الزاهرة ص ٣٤

(٥) في ط " صبأ " بالهمز .

(٦) المشهور أن هذا على قراءة من ترك الهمز ، أما من قرأه مهموزا ، فهو من " صبأ يصبأ صبأً " .

انظر : تفسير الطبرى ٣١٩/١ ، وتفسير القرطبي ٤٣٤/١ ، والتبيان ٧٠/١ ، والدر المصون ٤٠٧/١

الآيـــــة : ٦٢

واختلفوا في الصابئـــين مـن هـــم ؟

فقال عمر : هـم طائفـــة من أهل الكتاب ، ذ بائحهم ذ بائح أهل الكتاب ·

وبـــه قـال الســـد ى .(١)

وقال ابن عباس : لا د ين لهم ولا تحل ذ بائحهم ولا مناكحة نسائهم .(٢)

وقال مجاهد : هم قبيـــلة نحو الشـام بين اليهود والمجوس لا د ين لهم ، وكان لا يراهم من أهـل الكتاب .(٣)

وقال مقاتل وقتاد ة : هم يقرون بالله ويعبد ون الملائكـة ، ويقرأون الزبور ويصلون الـــى الكعبة ، أخـذ وا من كل د يـــن شيئا .(٤)

وقال الكلبي : هم قوم بين اليهود والنصارى ، يحلقون أوساط رؤوسهم ويجبـــــــــون مذ اكيرهـــــــــم .(٥)

---

(١) انظر : تفسير البغوى ٧٩/١ ، وتفسير القرطبي ٤٣٤/١

(٢) انظر : تفسير البغوى ٧٩/١ ، والبحر المحيط ٢٣٩/١

و عبارة البحر عن ابن عباس : هم قوم من اليهود والنصارى ، لا تحل مناكحتهـــم ولا تؤكـل ذ بائحهم ·

(٣) انظر : تفســير الطبرى ٣١٩/١ ، والد ر المنثـــور ١٨٢/١

(٤) انظر : ،، ٣٢٠/١ ، و تفسير البغوى ٧٩/١

(٥) انظر : تفســير البغـــوى ٧٩/١ ، والبحـر المحيـــط ٢٣٩/١

الآيـــــة : ٦٢

وقال عبد العزيز بن يحيى (١) : قد انقرضوا (٢) فلا عين ولا أثر . (٣)

قوله تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) أي على التحقيق و عقد التصديق ، وهم الذين آمنوا بعيسى ثم لم يتهودوا ولم يتنصروا ولم يتصابؤا (٤) ، وانتظروا خروج محمـــــــد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه . (٥)

وقيل : هم طلاب الدين ، منهم حبيب النجار (٦) ، وقس بن ساعدة (٧) ،

---

(١) لعله عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي ، الذى ينسب اليه كتاب الحيـــــدة في مناظرته لبشر المريسي . كان يلقب بالغول لدمامته . مات بعد ٢٣٠ هـ .

انظر : ميزان الاعتدال ٦٣٩/٢ ،والتقريب ص ٣٥٩

(٢) في أ " افترضوا " والتصويب من ط ، م .

(٣) انظر البحر المحيط ٢٣٩/١

قلت : والتباين ظاهر بين تلك الأقوال ، فالله أعلم بهم .

وقد رجح الحافظ ابن كثير : أنهم قوم باقون على فطرتهم ، ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه . انظر : تفسير ابن كثير ١٠٨/١

(٤) في ط " ولم يصبأوا " .

(٥) أي هم على هذا من آمن بعيسى عليه السلام من أهل الفترة ، قبل بعثة محمد صلى الله عليه و سلم ، مؤمنين به صلى الله عليه و سلم ، مترقبين خروجه حسبما بشرت بذلك الأنبياء السابقين . وهذا التفسير فيه بعد . والله أعلم .

(٦) لم أقف على ترجمته .

(٧) ابن عمرو بن عدى بن مالك ، من بني اياد ، أحد حكماء العرب ، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية ، وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ، وأول من توكأ على عصا ، وأول من قال : أما بعد ، وهو معدود في المعمرين ، أدركه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة .

انظر : خزانة الأدب ٢٦٧/١ ـ ٢٦٨ ، والأعلام ١٩٦/٥

الآيـــة : ٦٢

وورقـــة بن نـوفـل [١] ، وزيـد بن عمرو بن نفيل [٢] ، وأبو ذ ر الـغفارى [٣] ، وسلمـــان الفارســي ، وبحيرا الراهـب [٤] . امنوا بالنبي صلى الله عليه و سلم قبل مبعثـــــــه . فمنهم من أد ركـــه وتابعـــه [٥] ، ومنهم من لـم يد ركـــه . [٦]

---

(١) هو ورقـــة بن نـوفـل القرشـي الأســد ى ، ابن عـم خد يجـة زوج النـبي صلى اللـــه عليـه وسـلم ، قال الزبـير : كان ورقـة قد كره عباد ة الأوثان ، وطلب الد ين فـي الآفاق ، وقرأ الكتب ، وكانت خد يجـة تسأله عن أمر النبي صلى الله عليه و سلـــم فيقول لـها : ما أراه الا نـبي هـذ ه الأمـة الذ ى بشـر بـه موسى و عيسى ١ هـ .
وفي صحبته خـلاف ، بسطه الحافظ ابن حجر في الاصابـة ٥٩٧/٣

(٢) الـعد وى ، ابن عم عمـر بن الخطاب ، لم يد رك الاسلام ، وكان يكره عبـــــاد ة الأوثان ، ويـعيب على قريش ذ بحهم لـغير الله تـعالى ، وروى عن سـعيد بن زيـــد أنه قال للنبي صلى الله عليه و سلم : ان أبي كان كما رأيت وكما بلـغك ، أستـغفـــر له ؟ قال : " نـعـم ، فإنه يبعث يوم القيامة أمـة واحـد ة " . مات قبل البـعثـة بخمس سنين . انظر : الاصابـة ٥٥٢/١ ــ ٥٥٣

(٣) اختلف في اسمـه واسم أبيـــه ، والمشهور أنه جند ب بن جنـاد ة بن سكن ، الصحابـي الزاهـد المشهور . توفي بالربـذ ة سنة إحد ى وثلاثـين ، وقيل : في الـــتي بعد هـا ، و عليـه الأكثـــر .
انظر : الاصابـة ٦٣/٤ ــ ٦٥ (الكـنى)

(٤) قال ابن كثير : الذ ى يظهـــر أنه كان راهبًا نصرانيـــاً . والله أعلم .
و عن المسعـود ي : أنه كـان من عبـد القيس ، وكان اسمه جرجيـس .
انظر : البد ايـة والنهايـة ٢٦٦/٢

(٥) كأبي ذ ر الـغفـارى ، وسلمان الفارسـي ، رضي الله عنهمـا .

(٦) كبقيـــة من ذ كـــر .
وهـذ ا القول قريب من معنى ما ذ كـــر ه المؤلـف مـن قبـــل .
وانظـر هـذ ا المعـنى فـي : تفسـير البغـــوى ٧٩/١ ، وزاد المسـير ٩١/١ .

الآيـــــة : ٦٢

وقيـل : هـم مؤمنوا الأمم الماضيـة . (١) وقيل : هم المؤمنون من هـذه الأمة . (٢)

قولـه (وَالَّـذِيـنَ هَـادُواْ) أى الذ ين كانوا على د ين موسى ولم يبدلوا ولم يغيروا .

(وَالنَّصَـارَىٰ) الذ ين كانوا على د ين عيسى ولم يبد لوا وماتوا على ذ لك .

(وَالصَّـابِئِينَ مَـنْ ءَامَـنَ بِاللَّـهِ وَالْيَـوْمِ الْأَخِـرِ) أى من مات منهم وهو مؤمـن . (٣)

وقوله تعالى (وَ عَمِـلَ صَـالِحـاً فَلَهُـمْ أَجْرُهُـمْ عِنـدَ رَبِّهِـمْ)

انما ذكره بلفظ الجمع ، لأن لفظة " من " تصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث . قال اللـه تعـالى (وَمِنْهُـم مَّـن يَسْتَمِـعُ إِلَيْـكَ) (٤)

---

(١) انظر : تفسير البغوى ٩٧/١ ، والبحر المحيط ٢٤١/١

(٢) وهـذا هـو الأشهـر ، وعليـه الأكثـر .

انظر : تفسير الطبرى ٣٢٣/١ ، وزاد المسير ٩١/١ ، والبحـر المحيط ٢٤١/١ ، وتفسير ابن كثير ١٠٧/١ ، وفتح القديـر ١/ ٩٣

قال ابن كثير : وسميت أمـة محمـد صلى الله عليه و سلم مؤمنين ، لكثرة إيمانهم وشـدة إيقانهـم ، ولأنهـم يؤمنـون بجميـع الأنبيـاء الماضية والغيـوب الآتيـة .

(٣) قال الشوكانـي ـ عند تفسير هذه الآيـة ـ : (وكأنـه سبحانه أراد أن يبـين أن حال هـذه الملة الاسلاميـة وحال من قبلهـا من سائر الملل يرجـع الى شـيء واحـد ، وهو أن من آمـن منهم باللـه واليوم الآخـر و عمل صالحـا استحـق ما ذكـره الله من الأجـر ، ومن فاتـه ذ لك فاتـه الخير كلـه) .

فتح القد يـر ٩٣/١

وانظر هـذا المعـنى أيضـا في : تفسـير الطبرى ٣٢٣/١ ـ ٣٢٤ ، وتفسـير ابن كثـير ١٠٧/١ ، وتفسـير السعد ى ٦٤/١

(٤) الأنعـام ٢٥ وتمامهـا (وَجَعَلْنَـا عَـلَىٰ قُلُوبِهِـمْ أَكِنَّـةً أَن يَفْقَهُـوهُ وَفِـي ءَاذَانِهِـمْ وَقْـراً وَإِن يَـرَوْاْ كُـلَّ ءَايَـةٍ لَا يُـؤْمِنُـواْ بِهَـا حَـتَّىٰٓ إِذَا جَـاءُوكَ يُجَـادِلُونَـكَ يَقُـولُ الَّذِيـنَ كَفَـرُواْ إِنْ هَـٰذَا إِلَّا أَسَـاطِيرُ الْأَوَّلِيـنَ) .

الآيـــة : ٦٢

(وَمِنْهُم مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ)[1] (وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ)[2] . قال[3] الفرزدق[4] في التثنية : تعش فان عاهدتني لا تخونني .. نكن مثل من يا ذئب يصطلحان[5] فان قيل : ما معنى اعطاء أجر المؤمن وهو عامل لنفسه ؟ قيل : لما حمل على نفسه / (٢٠ / ب) المشقة وحرمها شهواتها ، فأجره في الآخرة عوض عما فاته من اللذات في الدنيا .[6]

---

(١) هذه الزيادة من ط . وهي من الآية ٤٢ من سورة يونس ، وتمامها (أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ) .

(٢) في ط زيادة " لله ورسوله " ، وهي من تمام الآية .
والآية ٣١ من سورة الأحزاب ، وتمامها (لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً) .

(٣) في ط " وقال " .

(٤) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي أبو فراس ، من الشعراء النبلاء من أهل البصرة ، وهو من الاسلاميين ، له أخبار مع جرير والأخطل ، وكان لشعره عظيم الأثر في اللغة . توفى في بادية البصرة ، وقد قارب المائة .
الأعلام ٨/٩٣

(٥) انظر البيت في ديوانه ص ٦٢٨ وروايته فيه :
تعش فان واثقتني لا تخونني .. نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
والشاهد فيه قوله " يصطحبان " حيث ثناه لمعنى " من " .

(٦) قلت : لا شك أن فعل الطاعات ، وحرمان النفس من الشهوات المحرمة هو من أسباب حصول الأجر والثواب في الآخرة ، وهذا إنما هو بفضل الله وكرمه ، ولو جازى الله سبحانه وتعالى عبده بعدله لهلك ، إذ لا تساوى تلك الطاعات والأعمال مهما بلغت شيئاً أمام نعمة من نعم الله على عبده ، كنعمة الهداية ، أو نعمة السمع ، أو البصر ، أو غير ذلك من نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

فالسعيد من وفقه الله لطاعته ، ثم عامله بلطفه وفضله وكرمه . والشقي من حرم ذلك ، وعامله الله بعدله ، فخسر وهلك .

الآيـــة : ٦٢ ، ٦٣

وقوله تعالى (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) فيما تعاطوا [١] من الاجرام .

(وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) على ما اقترفوا من الآثام لما سبق لهم في الاسلام . [٢]

وقيل : لا خوف عليهم في الكبائر فاني أغفرها (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) على الصغائر فاني أكفرها .

(٦٣) قوله عز وجل (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ)

أي واذ أخذنا ميثاقكم يا معشر اليهود ، ورفعنا فوقكم الطور وهو الجبل بالسريانية في قول بعضهم . [٣] وقالوا : ليس من لغة في الدنيا الا وهي في القرآن . [٤]

---

(١) في أ " تواطوا " والتصويب من ط ، م .

(٢) مراد المؤلف بهذا : أن من عمل ذنبا مهما كان عظيما ، ثم تاب وصار من جملة المؤمنين ، فلا خوف عليه من تبعة ذلك الذنب وعقوبته ، ولا هو يحزن على ذلك الفعل خوفا من جزائه ، لأن الله قد أمنه بالتوبة ود خوله الاسلام . والله أعلم .

وما أحسن قول الطبرى في تفسير قوله تعالى (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) حيث يقول : يعني به جل ذكره : ولا خوف عليهم فيما قدموا عليه من أهوال القيامة ، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من الدنيا وعيشها عند معاينتهم ما أعد الله لهم من الثواب والنعيم المقيم عنده . اهـ من تفسير الطبرى ٣٢١/١

(٣) أخرجه الطبرى عن مجاهد ، وابن زيد .
انظر : تفسير الطبرى ٣٢٥/١

(٤) أخرجه الطبرى عن أبي ميسرة ، وسعيد بن جبير .
واختاره السيوطي ، وصحح اسناد الطبرى الى أبي ميسرة .
وحكى عن أبي عبيد القاسم بن سلام القول بذلك عند الفقهاء .
انظر : تفسير الطبرى ٨/١ ، والاتقان ٤٢٨/١ ـ ٤٣٠

الآيـــة : ٦٣

وقال الحذاق من العلماء : لا يجوز أن يكون في القرآن لغة غير لغة العرب [١] ، لأن الله تعالى قال (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) [٢] وقال (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ) [٣]

وانما قال [٤] هذا وأشباهه وفاق وقع بين اللغتين ، وقد وجدنا الطور في كلام العرب قال جرير : [٥]

فإن يبر سلمى الجن يستأنسوا بها ٠٠ وان يبر سلمى صاحب الطور ينزل [٦]

والمأخوذ عليهم ميثاقان : الأول : حين أخرجهم من صلب آدم كالذر ٠

والثاني : الذى أخذ عليهم في التوراة وسائر الكتب . [٧]

---

(١) وممن قال بذلك : أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وابن جرير الطبرى ٠ وحكاه السيوطي عن الأكثرين ، منهم الامام الشافعي ، والقاضي أبو بكر ، وابن فارس ٠

قال أبو عبيدة : نزل القرآن بلسان عربي مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ١٠ هـ ٠

انظر : مجاز القرآن ١٧/١ ، وانظر : تفسير الطبرى ٨/١ ـ ٩ والاتقان ٤٢٧/١

(٢) الزمر ٢٨ وتمامها (غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) ٠

(٣) الشعراء ١٩٥ (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) ٠

(٤) كلمة " قال " ساقطة من ط ، ولعله أولى من اثباتها ٠

(٥) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي الكلبي اليربوعي ، من تميم ، أشعر أهل عصره ، ولد ومات في اليمامة ، كان هجاءً مراً ، لم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل ٠ مات سنة ١١٠ هـ ٠

انظر : الأعلام ١١٩/٢

(٦) انظر البيت في ديوانه ص ٣٤٤ بشرح مهدى محمد ناصر الدين ٠ والشاهد من البيت ورود كلمة الطور في لغة العرب بمعنى الجبل ٠

(٧) الأولى عدم التخصيص ، فيشمل كل ما أخذ الله عليهم من المواثيق بالإيمان به واتباع رسله ٠

الآيـــــة : ٦٣

والمراد في هذه الآية الثاني ، وذلك أن الله تعالى أنزل التوراة [١] ، فأمر موسى قومه بالعمل بأحكامها ، فأبوا أن يقبلوا ويعملوا بها للآصار والأثقال التي كانت فيها . وكانت شريعة ثقيلة ، فأمر الله جبريل فقطع جبلا على قدر عسكرهم ، وكان فرسخا في فرسخ ، فرفعه فوق رؤوسهم مقدار قامة الرجل . [٢]

وعن ابن عباس : أمر الله جبلا من جبال فلسطين [٣] فانقطع من أصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظلة .

وقال عطاء : رفع الله فوق رؤوسهم الطور وبعث نارا من قبل وجوههم وآتاهم البحر الملح من خلفهم [٤] ، وقيل لهم **(خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ)** أي اقبلوا ما آتيناكم بجد ومواظبة في طاعة الله .

وفيه [٥] اضمار : أي وقلنا لهم خذوا .

وقوله تعالى (وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ) أي احفظوه واعملوا بما فيه .

وقيل معناه : واذكروا ما فيه من الثواب والعقاب .

وفي حرف أبي بكر **" واذّكروا "** بذال مشددة وكسر الكاف . [٦]

---

(١) في ط " أنزل للأنصار التوراة " .

(٢) ما ذكره حول تحديد قدر الجبل لا مستند له ، فالسكوت عنه أولى .
والله أعلم .

(٣) انظر : زاد المسير ٩٣/١

(٤) ذكره البغوى عن عطاء ، عن ابن عباس .
تفسير البغوى ٨٠/١

(٥) في أ " وفي " والتصويب من ط ، م .

(٦) لم أجد من نسب هذه القراءة لأبي بكر ، وإنما نسبوها لأبيّ .
انظر : تفسير الثعلبي ٧٧/١ ، والبحر المحيط ٢٤٣/١
وهي قراءة شاذة .

الآيـــات : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥

وفي حرف عبد الله " **وتـذكـروا مافيـــه** " [١] . ومعناهما : اتعظوا بـــه .

وقوله تعالى (**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) أى لكي تنجوا من الهلاك في الد نيا والعذ اب في العقبي ، فان قبلتموه وفعلتم ما أمرتم بـه ، والا رضختكم بهذ ا الجبل وأغرقتكم في البحر وأحرقتكم بهذ ه النار ، فلما رأوا أن لا مهرب منه قبلوا ذ لك وسجد وا خوفا ، وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود [٢] مخافة أن يقع عليهم ، فصارت سنة في اليهود لا يسجد ون الا على أنصـــاف وجوههـــم، فلما رأوا الجبل قالوا : يا موسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعنا . [٣]

(٦٤) قولـه عـز وجـل (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَالِـكَ)

أى أعرضتم و عصيتم من بعد / أخذ الميثاق ورفع الجبـــل . (٢١ / أ)

(فَلَـوْلَا فَضْـلُ اللَّـهِ عَلَيْـكُمْ) [٤] بتأخير العذ اب عنكم **(لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِيـنَ)**

أى لصرتم من المغبونين في العقوبـة و ذ هاب الد نيـا والآخرة .

(٦٥) قولـه عز وجـل (وَلَقَـدْ عَلِمْتُمُ الَّذِيـنَ اعْتَدَ وْا مِنكُمْ فِي السَّـبْتِ)

وذ لك أنهم كانوا في زمـن د اود [٥] بأرض يقال لهـا أيلة على ساحل البحـــــــــــر

---

(١) انظر : البحر المحيـــط ٢٤٣/١ وعبد الله هو ابن مسعود .

(٢) في ط " وهم في السجود " .

(٣) الأولى الوقـوف عند نص الآيـــة ، وعـدم تجاوز ذ لك بغير د ليل ، فلم يرد فـــي الآيـــة ذكـر لتوعـد هم بإحراقهـم بالنـار أو إغراقهم بالبحر ، كما لم تتضمن الآيـــة أمـرًا بالسجود ، فضـلاً عن تفصيل هيئتـه وكيفيتـه .

(٤) في ط زاد قوله تعالى " ورحمتـه " .

(٥) تحد يد القصـة بزمـن د اود عليه السلام ذكره أكثر المفسرين ، لكن أخـرج الطبرى عن ابن عباس أثـرًا مفـاد ه أن هـذ ه القصـــة و قعـت في زمن موسى عليه السلام . فالله أعـــــــلم .

انظر : تفسـير الطبرى ٣٢٩/١

الآيـــة : ٦٥

بين المدينة والشام [١] وكانت مسكن بني اسرائيل ، وكان قد حرّم الله عليهم صيد [٢] السمك يوم السبت ، وكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى يخرجن خراطيمهن من الماء لامنها في ذلك اليوم ، فإذا مضى يوم السبت تفرقن ولم يخرجن ولزمن لجة البحر ، فذ لك قوله تعالى ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ . [٣]

فعمد رجال فحفروا حفيرة عشية الجمعة حيث يدخل السمك وساقوا اليها الماء من البحر ، فأقبل الموج بالحيتان فحبسوا السمك فيها يوم السبت وأخذوا منها ليلة الأحد [٤] وقالوا : نحن لا نصطاد [٥] يوم السبت . وكان في القرية نحو من سبعين ألفا ، فصنف منهم أمسك عن الاصطياد ونهى ، وصنف أمسك ولم ينه ، وصنف منهم انتهكوا الحرمة . وكان الذين نهوا اثنا عشر ألفا ، فلما أبى المجرمون قبول نصحهم قال الناهون : والله لا ساكناكم في قرية [٦] واحدة ، فقسموا القرية بجدار ، ولعنهم داود عليه السلام ، وغضب الله [عليهم] [٧] لاصرارهم على المعصية . فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ، والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم أحد ، فلما أبطأوا تسوروا عليهم الحائط فاذا هم جميعا قردة ، فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا . [٨]

---

(١) انظر : معجم البلدان ٢٩٢/١

(٢) في ط " الأكل " .

(٣) الأعراف ١٦٣

(٤) في ط ، م زيادة " ويوم الأحد " بعد قوله " ليلة الأحد " .

(٥) في أ " نسطاد " بالسين ، والتصويب من ط ، م .

(٦) في أ " في القرية واحدة " والتصويب من ط ، م .

(٧) الزيادة من ط .

(٨) انظر نحو هذه القصة في تفسير البغوى ٨٠/١ ـ ٨١ ، وابن كثير ١٠٩/١ ـ ١١٠ قلت : ما ذكره في القصة من تفاصيل وحكايات حول كيفية الاعتداء لا اعتبار له ، ما لم يستند الى دليل تقوم به حجة ، ثم إن الغرض من القصة هو موطن العبرة فيها ، وقد بينه الله تعالى .

الآيـــــة : ٦٥

ولم يمكث ممســوخ [١] مسخ فوق ثلاثــة أيام ولم يتوالــد وا [٢] ، فذلك قوله تعالـــــى (فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ) أى صاغرين مطرود ين بلغة كنانـــــــة . قالـه [٣] مجاهد ، وقتادة ،والربيـع . [٤]

وقال أبو روق [٥] : يعنى خرسا لا يتكلمون ، دليله قوله تعالى (اخْسَـئُواْ فِيهَـــــا وَلَا تُكَلِّمُـــونِ) [٦] .

وقيــل : مبعـــد ون مـن كل خـــــــير .

وروى عن ابن مسعود : أنهم لم يلد وا بعد ما مسخوا ، قال : وكذلك الممسوخ لا يكـون لـه نســـــــل . [٧]

---

(١) في ط " مسيخ " .

(٢) روى هـذا عن ابن عباس . وحكاه أبو حيان عن الجمهور .
انظر : تفسير القرطـبي ٤٤١/١ ، والبحـر المحيـط ٣٤٦/١ ، وتفســير ابن كثــير ١٠٩/١

(٣) في أ " قال " والتصويب من ط ، م .

(٤) هو الربيع بن أنس البكرى أو الحنـــفي ، بصرى ، نزل خراسان ، صد وق له أوهـام ، ورمي بالتشـــــيع ، من الخامسة ، مات سنة ١٤٠ هـ . أو قبلها .
انظر : التقريـــب ص ٢٠٥ وانظر قول من ذكر في تفسير الطبري : ٣٣٣/١

(٥) في أ " أبو رفرف " والتصويب من ط .
وهو عطية بن الحارث أبو روق الهمد اني الكوفي ، صاحب التفســير ، صـــــد وق ، من الخامســة . انظر : التقريب ص ٣٩٣
وانظر قوله المذكــور في تفسير الثعلبي ٧٨/١

(٦) المؤمنـــــون ١٠٨ (قَـالَ اخْسَـئُواْ فِيهَـــا وَلَا تُكَلِّمُـــونِ) .

(٧) ما ذكره هنا عن ابن مسعود ورد نحوه مرفوعاً في حد يث طويل رواه مسلم في صحيحـه من حد يث ابن مسعود عن النبي صلى اللـه عليه و سلم ، وفيه : قال : وذكـــــرت عنده القــردة ــ قال مسعر : وأراه قال : والخنازير ــ من مسخ ؟ فقـــــــال : " إن اللـــه لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً . وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك " .
صحيح مسلم : كتاب القد ر ، باب بيان أن الآجال والأرزاق و غيرهـــــــا لا تزيـــد ولا تنقص عما سبق بـه القـد ر ، رقم (٢٦٦٣) .

الآيـــة : ٦٥، ٦٦

وقيـــل : انهم كانوا رجالا ونســـاءا فمسخهم الله تعالى الذكر ذكرا والأنثى أنثى ، وكانوا يتعاوون وكانت تسيل دموعهـم ، ولم يأكلوا ولم يشربوا ، ثم أهلكهم الله تعـــــالى فجاءت ريح فـهبت بهم وألقتهم في المـــاء ، وما مسخ الله تعالى أمة الا أهلكها .(١)

(٦٦) قوله عز وجـل (فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلاً)

أي القـــردة . وقيل : المسخـة . وقيل : العقوبة . وقيل : القريـة .(٢)

وقوله تعـالى (نَكَـٰلاً) أي عقوبـة وعبرة وفضيحـة (لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَـا وَمَا خَلْفَهَـا) أي عقوبـة لما مضى من ذنوبهـم وعبرة لمن بعدهـم .

وقال قتادة معناه : جعلنا تلك العقوبة جزاءا لما تقـدم من ذنوبهم قبل نهيهم(٣)/ (٢١/ب)

عن الصيد (وَمَا خَلْفَهَـا) من العصيان بأخذ الحيتان بعد النهي .(٤)

---

(١) هذه التفاصيل حول كيفيـة مسخهم لا يتوقف عليها تفسير الآية ، فالسكـــوت عنهـا أولـى .

(٢) انظر هـذه الأقوال في : تفسير الطبرى ٣٣٣/١ ـ ٣٣٤ ، وتفسير ابن كثير ١١١/١ قال ابن كثير : والصحيح أن الضمير عائد على القريـة ، أي فجعل الله هـــذه القريـــة ، والمراد أهلها بسبب اعتدائهم في سبتهم اهـ .

(٣) في أ " نهيم " والتصويب من ط ، م .

(٤) انظـــر : تفســـير الطـبرى ٣٣٤/١ ، وتفسير البغـوى ٨١/١

الآيـــة : ٦٦ ، ٦٧

وقيل : لما بين يد يها من عقوبة الآخرة وما خلفها من فضيحة في د نياهم ، فيذكرون بها الى يوم القيامـــة .(١)

وقولـه تعـالى (وَمَوْعِظَـةً لِّلْمُتَّقِـينَ) أى عظة و عبرة للمؤمنين من أمة محمـــــد صلى الله عليـه وسـلم الذ ين يتقون الشرك والكبائـر والفواحش ، فلا يفعـــــلون مثل فعلهـــم .(٢)

(٦٧) قولـه عـز وجـل (وَإِذْ قَـالَ مُوسَـىٰ لِقَوْمِـهِ إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُـمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَـرَةً)

هذ ه الآية نزلت بعد قوله تعالى (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًـا) ولو كانت مقد مة في التلاوة لأن قتل النفس كان قبل ذ بح البقـــرة .

والقصة فيـــه : ما روى أن بني اسرائيل قيل لهم في التوراة : أيما قتيـل وجد بـين قريتين فليقـس [الـى](٣) أيهما أقرب ثم ليؤخـذ أهل (٤) تلك القرية ، وليحـلف خمسون شيخا من شيوخهم بالله ما قتلوه ولا علموا لـه قاتلا ، فقتل رجـلان مـن بني اسرائيل ابن عم لهما ـ اسمه عاميل ـ ليرثـاه ، وكان (٥) لهمـا (٦) ابنـة عم حسـنة ، فخافا أن ينكحها فقتـلاه لذ لك وحملاه الى جانب قرية ، فأخـذ أهـل تلـك القريـة بـه ، فجـاءوا الى موسى عليـه السـلام وقـالوا : اد ع الله تعالى

---

(١) قال ابن كثـير : وأرجح الأقوال المراد بما بين يد يها وما خلفها : من بحضرتهـا من القرى يبلغهم خبرها وما حل بها ، كما قال تعالى (وَلَقَـدْ أَهْلَكْنَـا مَا حَوْلَكُـمْ مِنَ الْقُـرَىٰ) الآيـة ... فجعلهم عـبرة ونكالاً لمـن في زمانهـم ، وموعظـة لمن يأتي بعد هـم بالخبر المتواتـر عنهم ، ولهـذا قـال (وَمَوْعِظَـةً لِّلْمُتَّقِينَ) اهـ .
تفسـير ابن كثـير ١١١/١

(٢) الأولى عد م تخصيص تلك الموعظة لأمـة بعينهـا ، بل هي عامـة لكل من جاء بعد هم الى يوم القيامـــة . والله أعـلم .

(٣) ما بين المعقوفتـين زيـاد ة من ط ، م .

(٤) في م " لأهـل " .

(٥) في م " وكانـت " .

(٦) في أ " لعمهما " والتصويب من ط ، م .

الآيـــة : ٦٧

أن يطلعنـا [١] على قاتله . فأوحى الله اليـه : مرهم أن يذ بحوا بقـرة . فأمرهـم بذ لك ليضرب المقتول ببعض تلك البقرة فيحيى فيخبرهم عن قتلـه . [٢]

(قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا) أى تستهزىء بنا يا موسى حين سألناك عن القتـل ، وتأمر بذ بـح بقـرة .

وانما قالوا ذ لك لتباعـد الأمريـن في الظاهـر ، ولم يد روا ما الحكمـة فيـه .

وقرأ ابن محيصـن [٣] " أيتخذ نـا " بالياء [٤] . يعنون الله عز وجل ، ولا يستبعـد هذا من جهلهم ، لأنهم هم الذ يـن قالـوا (اجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ) .

وفي قولـه عز وجـل (هـزوا) ثلاث لغـات :

(هـزؤا) بالتخفيف والهمز ، ومثله (كفـؤا) . وهي قراءة الأعمش ، وحمزة ، وخلف . [٥]

و (هزؤا) و (كفؤا) مثقلان مهموزان . وهي قراءة أبي عمرو ، وأهل الحجازوالشام ، والكسائي . [٦]

و (هزوا) و (كفوا) مثقلان بغير همز ، وهي قراءة حفص عن عاصم . [٧]

وكلها لغات صحيحة فصيحـة ، معناها [٨] : الاستهزاء .

---

(١) في م " أن يطلعها " .

(٢) في ط " من قتله " ، وفي م " بمن قتـله " .
وانظر نحو هذ ه القصـة في : تفسير ابن كثير ١١٣/١ ، والبحر المحيط ٢٤٩/١
وقد أطال المفسرون في ذكر بعض القصص والحكايات حول هذ ه الآيـة :
قال ابن جرير الطبرى : إلا أنهم جميعاً مجمعون على أن موسى إنما أمرهم بذ بح البقرة من أجل القتيل إذ احتكموا إليه عن أمر الله إياهم بذ لـك .
تفسير الطبرى ٣٤٠/١

(٣) في النسخ " محيـص " وهو خطأ .

(٤) وبها أيضا قرأ عاصم الجحـد رى . انظر : البحر المحيط ٢٥٠/١

(٥) ومعهم يعقوب في " كفؤا " . وليس فيهم الأعمش .
انظر : النشـر ٢١٥/٢ ـ ٢١٦ ، والبحـر المحيـط ٢٥٠/١ ، والاتحـاف ٣٩٧/١

(٦) المصـادر السابقـة .

(٧) المصـادر السابقـة .

(٨) أى معـنى " هـزوا " .

الآيـــــة : ٦٧

فقال لهم موســى (أَعُوذُ بِاللَّـهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَـٰهِلِينَ)

أي أمتنع بالله أن أكون من المستهزئين بالمؤمنـــين .

فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزم من الله قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما هـــــذه البقرة ، كبيرة أم صغـــيرة .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : " والذي نفس محمـــــد بيـــده لو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت ، ولكن شددوا على أنفسهم بالمســـألة فشدد الله عليهم " .(١) وانما كان تشديدهم تقديرا من الله عز وجل وحكمة منه .

وكان السبب فيه : أن رجلا من بني اسرائيل كان برا بأبيـــه ، وبلغ من بره أن رجلا أتـــاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفا وكان فيها فضل ، فقال : ان أبي نائم ، ومفتاح / الصنـــدوق (٢٢ /أ) تحت رأســه ، فأمهلني حتى يستيقظ وأعطيك الثمـــن .

قال : فأيقظه واعطني الثمن . قال : ما كنت لأفعل ، ولكن أزيدك عشرة آلاف وأمهلني حتى ينتبـــه أبي . فقال الرجل : أنا أحط عنك عشرة آلاف ان أيقظت أباك وعجلت النقـــــد .

---

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ١/٢٥٠ وعزاه للحسن مرفوعا .
وذكر نحوه ابن كثير والسيوطي عن ابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث أبي هريرة مرفوعـــا . قال : قال رسول اللـــه صلى اللـــه عليـــه وسلم : " لـــــولا أن بني اسرائيل قالـــوا (وَإِنَّـا إِنْ شَـآءَ اللَّـهُ لَمُهْتَـدُونَ) ما أعطوا أبدا ، ولو أنهـــم اعترضوا بقـــرة من البقـــر فذبحوها لأجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهـــم " .
قال ابن كثير عن رواية ابن مردويه : وهذا حديث غريب من هذا الوجـــــه ، وأحسن أحوالـــه أن يكون من كلام أبي هريرة ، كما تقدم مثله عن الســـــدي والله أعـــلم ١٠هـ .
وأخرج ابن جرير بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفا ، قـــــال : " لو أخذوا أدنى بقـــرة اكتفـــوا بها ، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم " .
وقد صحح ابن كثير اسناد الطبري عن ابن عباس .
انظر : تفسير الطبري ١/٣٤٧ ، وتفسير ابن كثـــير ١ / ١١٤ ـ ١١٥ والدر المنثـــور ١/١٨٩ .

الآيـــــة : ٦٧

فقال : وأنا أزيـد ك عشرين ألفا ان انتظـرت انتباه أبي . ففعل ولم يوقظ الرجل [١] أبـاه فأعقبه الله ببره أباه [٢] أن جعل البقرة تلك بعينها عند ه ، وأمر بني اسرائيـــــل أن يذ بحوا تلك البقرة بعينهـــا . [٣]

وقال ابن عباس : كان في بني اسرائيل رجل صالح له [٤] ابن طفل كان [٥] له عجـــــلة فأتى بالعجلة الى غيضـــة [٦] وقال : اللهم اني أستود عك هذ ه العجلة لابني حتى يكـــبر ، ومات الرجل فنشأت العجلة في الغيضـة وصارت عوانا ، وكانت تهرب من كل من رآها ، [٧] فلما كبر الابن وكان بارا بأمـــه ، كان يقسم الليـــلة أثلاثا ، يصلي ثلثا ، وينام ثلثـــا ، ويجلس عند رأس أمـــه ثلثا . فاذ ا أصبح يحتطب على ظهره ويبيعه في السوق ثم يتصد ق بثلثـه ويأكل ثلثـه ويعطي أمـه ثلثـــه . فقالت له أمـه يوما : ان أباك ورّثك عجـــلة وذ هب بها الى غيضـة كـذ ا واستود عها اللـــه ، فانطلق اليها واد ع الـه ابراهـــــيم واسماعيل واسحاق ويعقوب أن يرد هـا عليك [٨] ، فان من علامتها أنك اذ ا نظرت اليهـا تخيل [٩] اليك أن شعاع الشمس يخرج من جلد ها ، وكانت تسمى المذ هبة لحسنها وصفرتهـا

---

(١) في م " للرجـل " .

(٢) في ط " اياه " .

(٣) انظر القصـة في : زاد المسـير ٩٩/١ ، وتفسير ابن كثـير ١١٣/١ والله أعـلم بصحتها ، وليست العبرة بتفاصيلها ، انما العبرة في مكابرة القـــوم ومعاند تهم وتشد يد هم على أنفسهم حتى شـد د اللـه عليهم أمرهم وضيـــــق سبيلهم عقابا لهم .

(٤) في ط " وله " .

(٥) في ط " وكـان " .

(٦) في أ " الغيطة " بالطاء ، وقد تكررت ، والتصويب من ط ، م .
قال الجوهرى : والغيضة : الأجمة ، وهي مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجـــــر . والجمع : غياض وأغياض . الصحاح ١٠٩٧/٣ (غيض) .

(٧) في ط ، م " من رامها " .

(٨) في ط " اليـــك " .

(٩) في م " يخيـــل " .

الآيـــــة : ٦٧

وصفاء لونها . فأتى الفتى الغيضـة فرآها ترعـى فصاح بها وقال : أعـزم عليك بالـــــه ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ، فأقبلت تسعى حتى قامت بين يد يـــه فقبـض عـلى عنقها وقاد ها ، فتكلمت البقرة باذ ن اللـه وقالت : أيها الفتى البار بوالد تـــــه [١] اركبـني فان ذ لك أهون عليـك . قال : ان أمي لم تأمرني بذ لك ولكن قالت : قد هـــا بعنقها . فقالت البقرة : وحـق الـه بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقد ر عليّ أبـــدا ، فانطلق فانك لو أمرت الجبـــل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأمـــــك . فجاء بها الى أمـــه ، فقالت له : يا بني انك فقـير ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليـــل ، فاذ هـب وبـع هـذ ه البقـرة وخـذ ثمنها . فقال : بكم ؟ قالت : بثلاثـــة [٢] د نانـــير ، ولا تبعها بغير رضا ى ومشورتي . وكان ثمن البقرة في ذ لك الوقت ثلاثـــة د نانـــير . فانطلق بها الى السوق ، فبعث الله ملكا في صورة بشر ليختبر كيف بر الفـتى بوالد تـــه ، فقال له الملك : بكم تبيع هـذ ه البقرة ؟ قال : بثلاثـة د نانير وأشـــرط عليك رضا والد تي . فقال الملك : بستة د نانير ولا تستأمر أمك . فقال : لو أعطيتني وزنها ذ هبـا لم آخـذ ه الا برضـا أمي ، فرد ها الى أمـه ، فقالت : بعها بستة د نانير على رضـــى مـني . فانطلق بها وقال للملك : انها أمرتني أن لا أنقصها من سـتة د نانير عـــــلى أن أستأمرهـا . فقال الملك : أنا أعطيك اثني عشر / على أن لا تستأمرها . فأبى ورجـــع (٢٢/ب) الى أمـه فأخبرها [٣] ، فقالت : يا بني ان الذ ى يأتيك ملك في صورة انسان [٤] فقل لـه : أتأمرنا أن نبيعها أم لا ؟ .

فأتى اليه فقال له ما قالت أمـه . فقال له : اذ هب الى أمك وقل لها : أمسكي هذ ه البقـرة ، فان موسى يشتريها منكم لقتيل يقتل من بني اسرائيل ، فلا تبيعوها الا بملء مسكها [٥] د نانـير .

---

(١) في م " بوالد يـه " .

(٢) في أ " بلثـة " والتصويب من ط ، م .

(٣) في ط ، م زيادة كلمة " بذ لك " بعد قوله " فأخبرها " .

(٤) في م " بشـر " .

(٥) في أ ، م " مشكها " بالشين ، وقد تكرر ، والتصويب من ط .

الآيـــــة : ٦٧ ، ٦٨

فأمسكوها ، وقد ر الله على بني اسرائيل ذ بحها مكافأة له على بـر بوالد تـه [١] ، فضـــلا منـه ورحمـــــة .

وروى أنـها كانت لرجل يبيع الجوهـر ، فجاءه ابليس بجراب من اللؤلؤ يساوى مائتي ألف ، فعرضه عليه بمائة ألف ، فوجد الجوهرى المفتاح تحت رأس أبيه وهو نائم فقال : كيف أوقـظ أبي لربح مائة ألف ، فكره أن يوقظه فرجع وقال : ان أبي نائم والمفتاح تحت رأسه . فقـال له ابليس : اذ هـب أوقظـه وأنا أبيعك بخمسين ألفا ، فذ هب فلم يحتمل قلبه ذ لك فرجع ، فلم يزل ابليس يحط من الثمن حتى بلغ عشرة د راهم فلم يوقظ أباه وترك الشـــــراء . فجعل الله في ماله البركـــة حتى اشتروا [٢] بقرتـه بملء مسكها ذ هبا . [٣]

(٦٨) قولـه عـز وجـــل (قَـالُـوا ادْعُ لَنَـا رَبَّـكَ يُبَـيِّن لَّنَـا مَـا هِـيَ قَـالَ إِنَّـهُ يَقُـولُ إِنَّهَـا بَقَـرَةٌ لَّا فَـارِضٌ وَلَا بِكْـرٌ)

وفي مصحف عبد الله " سـل لنا ربـك يبـين لنـا " . [٤]

ومعنى الآيـة : قالوا ادع لنا ربك يبـين لنا ما سنهـــا .

قال موسى : انـــه ـ يعني اللـه عز وجـل ـ يقول (انهـا بقـرة لا فـارض ولا بكر) أى لا كبيرة ولا صغيرة . وارتفع " فارض " و " بكر " باضمار هي : أى لا هـــي فارض ولا هـي بكـر . [٥]

---

(١) في ط ، م " على بر والدتـــه " .

(٢) في ط " اشـتريت " .

(٣) وردت هذه القصص والحكايات في بعض كتب التفسير مع تنوع في أساليبهـــا ، واختلاف في بعض عباراتها ، وهي من قبيل الاسرائيليات التي لا يعتمد عليهـــا ، فالأولى عدم الخوض فيها ، اذ لا يتعلق بروايتها كبير فائدة ، بل ربما شغلت عـن تدبـر الآيـة وما فيها من عبر ، وفوق ذلك كله ينبغي تنزيه تفسير كتاب اللـــه تعالى عما لا مستند له من رواية صحيحة ، أو درايـة سليمة . والله أعلم .

(٤) انظر : البحر المحيـــط ٢٥١/١

(٥) انظر : التبيان ٧٤/١ ، والبحر المحيط ٢٥١/١

والأشهر اعرابهما صفة لبقـرة ، والصفة اذا كانت منفية بلا وجب تكرارها :

الآيـــــة : ٦٨ ، ٦٩

قال مجاهـــد والأخفش : الفارض : الكبيرة المسنة التي لا تلـــد . والبكر : الفتيـــة الصغيرة التي لم تلـــد .(١)

قال السدى : البكر : التي لم تلد قط الا واحدا .(٢)

وقيل معناه : " لا فارض " : أي ليست بكبيرة وقد ولدت بطونا كثيرة . " ولا بكر " : أي لم تلـــد .(٣)

قولـه تعالى (عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ) أي وسط بين الصغيرة والكبيرة ،وقد ولدت بطنـــاً أو بطنـــين .(٤) وجمعها " عـــون " .

قولـه تعالى (فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ) أي افعلوا ما تؤمرون بـه من الذبح ولا تكثـروا الســؤال . ثم عادوا في الســؤال فقالـوا :

(٦٩) (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا)

موضع " ما " رفع بالابتداء ، و " لونها " خبره .(٥) وقرأ الضحاك " ما لونها "

---

(١) لم أقف على هذا القول للأخفش في معاني القرآن له ، وقد حكاه عنه الثعلبي في تفسيره ٨١/١

أما عن مجاهد ، فانظر قوله في تفسير القرطبي ٣٤١/١ ــ ٣٤٢ ، وتفسير الثعلبي ٨١/١ ، وتفسير ابن كثير ١١٤/١ .

قال ابن جرير : (لا فارض) : لا مسنة هرمة .... (ولا بكر) : ولا صغيرة لم تلد . ثم روى نحو هذا المعنى عن جمع من السلف .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٣٤٢/١

(٣) وعلى هذا جمهور المفسرين . انظر : تفسير الطبرى ٣٤١/١ ــ ٣٤٢ ، والقرطبي ٤٤٨/١ ــ ٤٤٩ ، وابن كثير ١١٤/١ قال ابن كثير : لا كبيرة هرمة ، ولا صغيرة لم يلحقها الفحـــل .

(٤) روى الطبرى مثل هذا عن مجاهد . انظر : تفسير الطبرى ٣٤٣/١

وقال الضحاك عن ابن عباس : (عوان بين ذلك) يقول : نصف بين الكبيرة والصغيرة وهي أقوى ما يكون من الدواب والبقر ، وأحسن ما تكون .

انظر : تفسير ابن كثير ١١٤/١

(٥) انظـــر : مشكل اعراب القرآن ١/ ٩٨ ، والتبيان ٧٤/١

الآيـــة : ٦٩

نصـــبا ، كأنـه أعمل فيـــه التبيـــين وجعـل " ما " صـلة .[١]

(قَـالَ إِنَّـهُ يَقُـولُ إِنَّهَـا بَقَـرَةٌ صَفْـرَاءُ فَاقِـعٌ لَوْنُهَـا)

قيل : يعني سوداء ، مثل قوله (جمـالـت صفـر)[٢] أي سود . كذا قال الحسـن .[٣]

والعرب تسمي الأسـود أصفـرَ . قال الشاعـر :

تلـك خيـلي منهـا وتـلك ركـابـي .. هـن صفـر أولادها كالزبيب[٤]

والصحيح : أنـها صفراء[٥]، لأن السوداء لا تؤكد بالفاقع وانما تؤكد بالحالك .

يقال في المبالـغة في الوصف : أصفر فاقع ، وأحمر قان ، وأسود حالك ، وأخضر ناضـــر ، وأبيض ناصع ، ويقال : أبيـض يقـق .[٦]

---

(١) انظر نسبة هـذه القراءة للضحاك في تفسير الثعلبي ٨١/١ .
وأجازها العكبرى ولم ينسبها في التبيـان ٧٤/١
وأنكرها الزجاج في معاني القـــرآن ١٥١/١
وعلى كل فمن أجازها فعلى الشذوذ ، وإنما أراد بيان أحد أوجه الاعـــراب فيها . والله أعـلم .

(٢) المرسـلات ٣٣ (كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْـرٌ) .

(٣) انظر : تفسـير الطـبرى ٣٤٥/١

(٤) البيـت للأعشـى ميمون بن قيس . وهو في ديوانـه ص ٢٠
وفيـه " منـه " بـدل " منهـا " .

(٥) ما رجحه المؤلف هنا هو قول أهل التحقيـق من المفسرين كالامام الطـــبرى والقرطـبي ، وابن كثـير ، والشوكاني .
وهو الذى يدل عليه ظاهـــر الآيـة ، ويصـدق عليه وصفه بأنـه يســـر الناظريـــن ، كما أنه الذى يصح نعته بالفقـوع .
انظر : تفسـير الطـبرى ٣٤٥/١ ، والقرطـبي ٤٥٠/١ ، وابن كثـــير ١١٥/١ ، وفتـح القديـر ٩٨/١

(٦) انظـر : معـاني القـرآن للزجـاج ١٥١/١ ـ ١٥٢ ، وتفســـير القرطـــبي ٤٥٠/١

الآيـــــة : ٦٩

فمعنى فاقـع : أى صاف شديد الصفـرة ٠ / (٢٣/أ)

وقال ابن عباس : (صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا)(١) : شديدة(٢) الصفرة .(٣)

وقال القتيبي(٤) ؟ غلط من قال : الصفراء ههنا السوداء ، لأن هذا غلط في نعوت البقر ، وانما هو في نعوت الابل .(٥)

قوله تعالى (تَسُرُّ النَّاظِرِينَ) أى تعجب الناظر اليها لتمام خلقها وكمال حسنها ونصوع لونها ٠

قال علي رضي الله عنه : من لبس نعلا صفراء قل همه(٦) ، لأن الله تعالى يقول (صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ) ٠

---

(١) في ط زاد قوله تعالى " بقرة " قبل قوله " صفراء " ٠

(٢) في ط كلمة " أى " قبل قوله " شديدة " ٠

(٣) انظر : تفسير الطبرى ٣٤٦/١

(٤) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، أبو محمد الدينورى النحوى اللغوى الكاتب ، نزيل بغداد ، كان رأساً في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس ، ثقة دينا فاضلاً ٠ له مصنفات كثيرة ، منها : غريب القرآن ، واعراب القرآن ، ومشكل القرآن ، ومختلف الحديث ، وطبقات الشعراء ، و غيرها كثير ٠ مات سنة ٢٧٦ هـ ٠

انظر : تاريخ بغداد ١٧٠/١٠ ـ ١٧١ ، وطبقات المفسرين للداودى ٢٥١/١ ٠

(٥) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٣

(٦) انظر : الكشاف ١٥٠/١

قال الحافظ ابن حجر في تخريجه لأحاديث الكشاف : موقوف لم أجده ٠ لكن أخرجه العقيلي ، والطبراني ، والخطيب ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : " من لبس نعلاً صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسها " ٠

وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه ، فقال : كذب ، موضوع ١٠هـ ٠

انظر : الكشاف ١/ ١٥٠ هامش (١) ٠

الآيـــة : ٦٩ ، ٧٠

فان قيل : لم أمروا بذبح البقرة دون غيرها ؟

قيل : لأن القربان يكون من الابل والبقر والغنم ، وكانوا يحرمون لحم الابل كما قال تعالى (إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ) [١] يعني لحوم الابل .

وكان ذبح البقرة أفضل من ذبح الغنم ، فخصت بذلك .[٢]

(٧٠) قوله عز وجل (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ)

أسائمة أم عاملة .

قوله تعالى (إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا) هذه قراءة العامة .

وقرأ محمد الأموى " إن الباقر " [٣] هو [٤] جمع البقر .

---

(١) آل عمران ٩٣ (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) .

(٢) وحكى القرطبي عن الماوردى قوله : إنما أمروا - والله أعلم - بذبح بقرة دون غيرها ، لأنها من جنس ما عبدوه من العجل ، ليهون عندهم ما كان من تعظيمه وليعلم بإجابتهم ما كان في نفوسهم من عبادته . قال القرطبي : وهذا المعنى علة في ذبح البقرة ، وليس بعلة في جواب السائل ، ولكن المعنى فيه أن يحيي القتيل بقتل حي ، فيكون أظهر لقدرته في اختراع الأشياء من أضدادها . اهـ . من تفسير القرطبي ٤٤٥/١

(٣) انظر مختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص ٧ ، والكشاف ١٥١/١ ، وفي البحر المحيط ٢٥٣/١ نسبها أبو حيان لعكرمة ويحيى بن يعمر . أما محمد الأموى المذكور فنسب إليه أبو حيان قراءة " تشابه علينا " .

(٤) في ط " وهو " .

الآيـــة : ٧٠

قال قطـرب : يقـال في جمـع البقـر : بقـر ، وباقـر ، وبيقـور [١] ، وباقور . [٢]

فان قيل : لم قـال (تشـابـه) والبقـر جمع ولم يقـل تشابهـت ؟

قيل : فيـه ثلاثـة أقـوال : أحدهـا : أنه ذكـر لتذكـير لفظ البقـر ، كقوله تعالـــــى (أَعْجَـازُ نَخْـلٍ مُّنقَعِـــرٍ) . [٣]

وسئل سيبويـه عـن هـذا ، قال [٤] : كل جمـع حروفـه أقل من حروف واحـده فان العـرب تذكـره . [٥] وقال الزجاج : معناه : أن جنس البقـر . [٦]

وقوله تعالى (تشـابـه) فيه سبع قراءات :

" تشـابـه " بفتح التاء والهاء وتخفيف الشين . وهي قراءة العامـة .

وقـرأ الحسن " تشـابـه " بالتخفيف وهاء مضمومة يعني تتشابـه . [٧]

وقرأ الأعـرج [٨] " تشّابـه " بفتح التاء والتشديد وضم الهاء على معنى تتشابه . [٩]

---

(١) في م " بقـور " .

(٢) انظر : تفسير الثعـلبي ٨٢/١ ، وتفسير القرطبي ٤٥١/١

(٣) القمـر : ٢٠ (تـنزع النـاس كأنهـم أعجـاز نخـل منقعـر) .

وانظر : البحـر المحيـط ٢٥٤/١

(٤) في ط ، م " فقـال " .

(٥) انظـر : تفسـير الثعلبي ٨٢/١

(٦) انظر : تفسـير البغوى ٨٣/١ ، وتفسير القرطبي ٤٥١/١

(٧) انظر : البحـر المحيـط ٢٥٤/١

(٨) هو حميـد بن قيس الأعـرج ، أبو صفـوان المكي القارى ، ثقـة ، أخـذ القـراءة عن مجاهـد بـن جبر . مات سـنة ١٣٣ هـ .

غايـة النهايـة ٢٦٥/١

(٩) انظـر : البحـر المحيـط ٢٥٤/١

الآيـــة : ٧٠ ، ٧١

وقـرأ[١] مجاهـد " تشـــبـه " كقراءة الأعـرج الا أنـه بـغير ألـف .[٢]

وفي مصحـف أبيّ " تشابهـت " أنثـه لتأنيث البقـرة .[٣]

وقرأ ابن اسحـاق[٤] " تشّابهـت " بالتشـديـد .

وقـرأ الأعمـش " متشابـه " .[٥]

قولـه (وَإِنَّـآ إِنْ شَـآءَ ٱللَّـهُ لَمُهْتَـدُونَ) يعني الى وصفها .

قال رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم " وأيـم اللـه لو لم يستثنـوا لما بينـت لهـم الى آخـر الأبـد " .[٦]

(٧١) وقولـه تعـالى (قَـالَ إِنَّـهُ يَقُـولُ إِنَّهَـا بَقَـرَةٌ لَّا ذَلُـولٌ) : أى لا مذللة بالعمل ، **(تُثِـيرُ ٱلْأَرْضَ)** أى ليست بحراثـة **(وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ)** أى ليست ناضحـة ، لا يسـقى[٧] عليها الزرع .

وقوله **(مُسَلَّمَـةٌ)** أى بريـة من العيوب . وقال الحسن : مسلمة القوائم ليس فيها أثر العمـل .[٨]

---

(١) في أ " وقال " والمثبت من ط ، م .

(٢) انظر : البحـر المحيـط ٢٥٤/١

(٣) في ط ، م " البقـر " . وانظر قراءة أبـيّ في البحـر المحيط ٢٥٤/١

(٤) الصواب " ابن أبي اسحاق " . وقـد تقدمت ترجمتـه .
وانظر قراءتـه المذكورة في البحـر ٢٥٤/١

(٥) المصـدر السابـق .

(٦) أخرجه الطبرى و غيره عن ابن جريج مرفوعـا .
انظر تفسير الطبرى ٣٤٧/١ ـ ٣٤٨ ، وابن كثـيـر ١١٤/١
والـدر المنثـور ١٩٠/١ .
ولم أقـف على تخريجـه في كتـب الحـديث .

(٧) في ط " يسقي " بدل " لا يسقي " .

(٨) انظر : تفسير القرطبي ٤٥٤/١.

الآيـــــة : ٧١

قولـه تعـالى (لَا شِيَةَ فِيهَا) أى لا عيب فيها . وقال قتادة : لا بياض فيها أصلا .(١)

وقال مجاهد : لا بياض فيها ولا سواد .(٢) وقيل : ليس فيها لون يفارق سائر لونها .(٣)

والـذلول في الـدواب بمنزلـة الذليل في الناس ، يقال : رجل ذليل ، ودابة ذلول .

قولـه تعالى (قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ) أى بالوصف البين التـــام .

فطلبوها ولم يجدوها بكمال وصفها الا عنـد الفـتى البار بوالدتـه ، فاشتروها منـه بملء مسكها(٤) ذهبـــــا . وقال السدى : بوزنها عشر مرات ذهبا .(٥) (٢٣/ب)

وقوله تعالـى (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) أى من غلاء ثمنها .(٦)

وقيل : وما كادوا يجدونها باجتماع أوصافها .(٧)

وقيل : لأن كل واحد منهم خشي أن يكون القاتل من قبيلته .(٨)

---

(١) انظـر : تفسير الطـبرى ٣٥٢/١

(٢) ،، : ،، ،، ٣٥٣/١

(٣) وهـذا الذى عليـــه أكثـــر المفسريـن .

انظر : تفسير الطبرى ٣٥٢/١ ، وتفسير البغوى ٨٤/١ ، وتفسير القرطـبي ٤٥٤/١ ، وتفسير ابن كثـير ١١٥/١

(٤) في م " فلم " .

(٥) انظر : تفسير الطبرى ٣٥٥/١

(٦) وبهذا قال محمد بن كعب القرظي . انظر : تفسير الطبرى ٣٥٤/١

(٧) انظر : تفسير الخـــازن ٧٢/١

(٨) انظر : البحر المحيط ٢٥٨/١

ولعل الأليق بمعنى قولـه تعالى (وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) : أى أنهم كـــاد وا أن لا يفعلوا ما أمروا به من ذبح البقرة ، وذلك لتعنتهم ومماطلتهم وكثرة أسئلتهم ، وفي هذا ذم لهم ، اذ لم يكن غرضهم الا التعنت . والله أعلم .

وقد روى نحو هـذا المعنى عن ابن عباس ، واختاره ابن كثير . وبه قال الزمخشرى . انظر : تفسير ابن كثـير ١١٥/١ ــ ١١٦ ، والكشاف ١٥٢/١

الآيـــــة : ٧٢

(٧٢) قولـه عـز وجـل (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا) :

يعـــني عاميـل .(١) وهـذه الآيـة أول القصـة .(٢) ومعناها : واذكـــروا اذ قتلتم نفسـا (فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا) أى اختلفتم فيها . كذا قال ابن عبـــاس ومجاهـــد .(٣)

ومنه قول النبي صلى اللـه عليه وسـلم : " كنـت خير شـريك لا تـــداري ولا تمـــاري " .(٤)

وقال الضحاك : (فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا) أى اختصمتم .(٥)

وقال عبد العزيز بن يحـيى : شككتم .(٦) وقال الربيـع : تدافعتم .(٧)

---

(١) هذا التعيين يحتاج الى دليل ، كما أنه لا يترتب عليه كبير فائدة . والله أعلم .

(٢) هكذا قال جمهور المفسرين . ويرى أبو حيان أن الأمر بالذبح هو المتقـدم ، وأن القتل تأخـر ، كحالهما في التلاوة ، ومتى أمكن حمل الشيء على ظاهره كان أولـى ، اذ العدول عن الظاهر الى غيره انما يكون لمرجح ، ولا مرجح ، بل تظهـر الحكمة البالغة في تكليفهم أولا ذبح بقرة هل يمتثلون ذلك أم لا ، لأن امتثال ذلك أعظم من امتثال ما تظهر فيه حكمـة ... انتهى مختصرا من البحر المحيط ١/٢٥٨ ـ ٢٥٩

(٣) انظر : تفسير البغوى ١/٨٤ ، وزاد المسير ١/١٠١

(٤) لم أجد هذا من قول النبي صلى الله عليه و سلم ، بل هو من قول السائب قال للنـبي صلى الله عليـه و سـلم : كنت شريكي في الجاهليـة ، فكنت خير شـريك ، كنـت لا تداريني ولا تماريـني .

أخرجه ابن ماجـه في كتاب التجارات : باب الشركة والمضاربة .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ١/١١٦

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ١/٨٣

(٧) انظر : تفسير البغوى ١/٨٤

الآيـــــة : ٧٢ ، ٧٣

وأصل الدرء الدفع ، يعني القاء ذاك على هـذا وهـذا على ذاك ، يدافع كل واحـد عـــــن نفســـه ، كقولـه (وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) .(١)

وقولـه (وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) أى مظهر ما كتمتم(٢) مـن أمر القاتـل .

(٧٣) قولـه عـز وجـل (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا) :

أى اضربوا المقتول ببعض البقرة ، أى بعضو منها . واختلفوا في هذا البعض ما هو :

فقال ابن عباس : العضو الذى يلي الغضروف ، وهو المقتل .

وقال الضحاك : بلسانها . وقال سعيد بن جبير : بعجب ذنبها ، وهو العصعـــص ، لأنـه أساس البدن الذى ركب عليه ، وهو أول ما يخلق وآخر ما يبلى .

وقال مجاهد : بذنبها . وقيل : بفخذها . وقيل : فخذها الأيمـــن .

وقال السدى : بالبضعـــة(٣) التي بين كتفيهـا .(٤)

ففعلوا ذلك ، [فلمـــا](٥) ضربوه قام القتيل حيا باذن الله ، وأوداجه تشخب دمـــا ،(٦)

---

(١) الرعـــــد ٢٢

(٢) في أ " ما كنتم " والتصويب من م .

(٣) في أ " بالبعضة " والتصويب من ط ، م .

(٤) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبرى ٣٥٩/١ ـ ٣٦٠ ، وزاد المسير ١٠١/١ ـ ١٠٢ ، والدر المنثـــور ١٩٤/١

قال ابـن جرير الطبرى : " ولا دلالة في الآية ، ولا خبر تقوم به حجة على أى أبعاضها التي أمر القوم أن يضربوا القتيل بـه ... ولا يضر الجهل بأى ذلك ضربوا القتيـل ، ولا ينفع العلم بـه ، مع الاقرار بأن القوم قـد ضربوا القتيل ببعض البقـــرة بعد ذبحها ، فأحياه الله " .

(٥) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٦) الأوداج : عروق في العنـق . ومعنى " تشخب " : أى تنفجـر .
انظر : الصحاح مادة (ودج) و (شخب) .
أما كيفية الهيئة والحال التي قام عليها ، فعلم ذلك عند اللـه .

الآيـــة : ٧٣ ، ٧٤

فسألوه • من قتلك ؟ فقال : فلان وفلان ، لابني عم لـه ، ثم اضطجع ميتا • فأخـــذا فقتـلا • وفي الآيـة اختصار تقديـره : فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه فحيي •

قولـه تعالى (كَذَٰلِكَ يُحْيِي ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ) أي كما أحيا عاميل بعد موتـه كذلك يحـيي اللـه الموتى • (وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ) أي عجائب قدرتـه ودلالتـه • (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) أي لكي تفهموا احياء الموتى و غير ذلك •

قال الواقـدى [١] : كل شيء في القرآن " لعلكم " [٢] فهو بمعنى " لكي " غير الذى في الشعراء (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) [٣] فانه بمعنى : كأنكم تخلـــد ون فلا تموتـون • [٤]

والله سبحانه وتعالى كان قادرا على احيائه بغير السبب [٥] ، الا أن الله أمرهم بذلك لأن احياء الميت بالميت آكد دليلا وأبين قدرة •

(٧٤) قولـه تعالى (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ)

قال الكلبي : قالوا بعد ذلك : لم نقتله نحن وأنكروا ، ولم يكن أعمى قلبا ولا أشـــد تكذيبا منهم لنبيهم عنـد ذلك • [٦]

---

(١) هو محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ، مولاهم الواقدى المدني القاضي ، صاحـــب التصانيف ، وأحد أوعية العلم على ضعفه ، قال الذهبي : استقر الاجماع على وهـن الواقـدى • مات سنة ٢٠٧ هـ •
انظر : ميزان الاعتـدال ٦٦٢/٣ ــ ٦٦٦

(٢) في ط " لعلكم تعقلون : أي لكي تفهموا " •

(٣) الشعـــراء ١٢٩

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٨٣/١

(٥) في ط ، م " بغير هـذا السبب " •

(٦) انظر : تفسير البغوى ٨٥/١

الآيـــــة : ٧٤

فقال الله تعالى (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ) .

قال الكلبي : (قسـت) أي يبست وفسدت .

وقال أبو عبيد : حقـدت . وقال الواقدي : جفت فلم تلن .

وقيل : اسودت . وقال الزجاج : تأويل القسوة : ذهاب اللين والخشوع والخضوع .

وقيل : (قَسَتْ) / : أي غلظت .(١) (٢٤/أ)

وقولـه تعالى (مِنْ بَعْـدِ ذَٰلِكَ) أي من بعد احياء الميت .

وقيل : من بعد هذه الآيات التي تقدمت ، من مسخ القردة والخنازير ، ورفع الجبـــل ، وخروج الأنهار من الحجر ، وغير ذلك .(٢)

(فَهِيَ كَالْحِجَـارَةِ) أي غلظها(٣) وشدتها ويبسها (أَوْ أَشَـدُّ) يبسا وغلظـــا .

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الثعلبي ٨٣/١ ـ ٨٤ ، وتفسير البغـــوى ١ / ٨٥ ومعاني القرآن للزجـاج ١٥٥/١ ، ومجاز القرآن لأبي عبيـــــدة ١ / ٤٥ وغريب القرآن لابن قتيبـــة ص ٥٥

وكلها أقوال متقاربـــةالمعنى . والله أعـلم .

قال القرطبي : القسوة : الصلابـة والشدة واليبس . وهي عبارة عن خلوها مـــــن الانابـــة والاذعان لآيات الله تعالى .

تفسير القرطبي ٤٦٢/١

(٢) والأولى حمله على جميع ما تقدم من الآيات المذكورة الموجبة لين القلوب ورقتها ، ويدخل في ذلك احيـاء القتيل دخولا أوليـا لكونـه أقرب مذكـور وأعظم آيـــة . والله أعـــلم .

(٣) في ط ، م " في غلظها " .

الآيـــة : ٧٤

ومعنى " أو أشـد " : بل أشد ، كقوله (كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) (١)

وقيل : [أو] (٢) بمعنى الواو : أي وأشـد قسـوة . (٣)

وكقولـه تعالـى (مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ) . (٤)

ومثـل (لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَائِهِنَّ أَوْ ءَابَاءِ بُعُولَتِهِنَّ) . (٥)

وكقولـه تعالى (ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً) . (٦)

وقـرأ أبو حيـوة : " أو أشـد قساوة " . (٧)

ثم عذ ر اللـه الحجارة وفضلها على القلب القاسي ، وأخبر أن منها ما يكون فيه رطوبـة ، وأن منها لما يترد ى من أعلى الجبل الى أسفله من مخافة الله عز وجل . فقال تعالى (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ) . وقرأ مالك بن د ينار (٨) " ينفجر " بالنون (٩)

---

(١) النحل ٧٧ (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ)-

(٢) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ٣٦٣/١

(٤) من الآيـة ٦١ من سورة النـور .

(٥) من الآيـة ٣١ من سورة النور .

(٦) الانسـان ٢٤ (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً) .

(٧) انظر : البحـر المحيط ٢٦٣/١

(٨) هو مالك بن د ينـار البصـرى، الزاهـد ، أبو يحيى ، صـد وق عابـد ، من الخامسـة ، مات سنة ١٣٠ هـ ، أو نحوها .
انظر : التقريب ص ٥١٧

(٩) انظر : البحـر المحيـط ٢٦٥/١

الآيـــــة : ٧٤ ، ٧٥

كقولــه (فَانفَجَــرَتْ)[١] .

وفي مصحف أبـيّ " منهــا الأنهــار " رد الكناية الى الحجارة .[٢]

(وَإِنَّ مِنْهَـا لَمَـا يَشَّـقَّقُ فَيَخْـرُجُ مِنْـهُ الْمَـاءُ) : قرأ الأعمش " يتشــقق " .[٣]

وقولـه تعـالى (وَإِنَّ مِنْهَـا لَمَـا يَهْبِـطُ مِـنْ خَشْيَـةِ اللَّـهِ) : أى ينزل من أعلى الجبل الــى أسفله من خشية الله ، وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع ولا تأتي بخير .

قيل : لا يهبط من الجبال حجر بغير سبب ظاهر الا وهو مجعول فيه التمييز .[٤]

قوله تعــالى (وَمَـا اللَّـهُ بِغَـافِلٍ عَمَّـا تَعْمَلُونَ) وعيد وتهديد : أى ما الله بتارك عقوبة ما تعملون بل يجازيكم بــه .

(٧٥) قولـه تعــالى (أَفَتَطْمَعُـونَ أَن يُؤْمِنُـواْ لَكُـمْ) :

خطاب للنبي صلى الله عليه و سلم وأصحابه ، أى أفترجون أيها المؤمنون أن تصد قكم اليهود فيما آتاكم بـه نبيكم محمــــد [صلى الله عليه وســــــــــلم][٥]

---

(١) من الآيـة ٦٠ من سورة البقرة (وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَـا اضْرِب بِّعَصَـاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْـهُ اثْنَتَـا عَشْـرَةَ عَيْنـاً ...) .

(٢) انظر : البحـــر ٢٦٥/١

(٣) انظر : الكشاف ١٥٥/١ ، والبحر ٢٦٥/١

(٤) روى ابن جرير الطبرى عن مجاهد قال : كل حجر يتفجر منه الماء أو يتشقق عن مــاء ، أو يتردى من رأس جبل ، فهو من خشية الله عز وجل ، نزل بذلك القرآن .
انظر : تفسير الطبرى ٣٦٤/١

(٥) ما بين المعقوفتين من ط .

الآيـــة : ٧٥

(وَقَـدْ كَـانَ فَرِيـقٌ مِنْهُـمْ يَسْمَعُـونَ كَـلَـامَ اللَّـهِ) يعني التوراة (ثُـمَّ يُحَرِّفُونَـهُ) أي يغيرونـه (مِـنْ بَعْـدِ مَـا عَقَلُـوهُ) أي من بعد ما فهموه وعلموه ، كما غيروا آيـة الرجم وصفة النبي صلى الله عليه و سلم .

وقولـه تعـالى (وَهُـمْ يَعْلَمُـونَ) أي وهم يعلمون أنهم كاذبون ، هـذا قول مجاهـد ، وقتادة ، وعكرمـة ، والسـدي .(١)

وقال ابن عباس ، ومقاتل ، والكلبي : نزلت هذه الآية في السبعين الذين اختارهـم موسى لميقات ربـه لما أخذتهم (٢) الرجفـة وأحياهم الله بدعاء موسى ، قالوا : يا موسـى أسمعنا كلام الله ، فطلب ذلك ، فأجابه الله تعالى : مرهم أن يتطهروا ويطهروا ثيابهـم ويصوموا . ففعلوا، ثم خرج بهم موسى حتى أتوا الطور ، فلما غشيهم الغمام سمعوا صوتـا كصوت الشبور (٣) ، فسجدوا فسمعوا كلام الله يقول : " انـي أنـا اللـه ربكـم لا اله الا أنـا الحي القيـوم ولا (٤) تعبدوا الها غيرى ولا تشركوا بي شيئا ، وأوصيكم ببر الوالديـن وأن لا تحلفوا بي كاذبين ولا تزنـوا ، ولا تسرقوا ، ولا يقتل بعضكم بعضا ، ولا يشهـد بعضكم على بعض شهادة زور ، وأطعموا المساكين ، وصلوا القرابة ، ولا تظلموا اليتـيم ، ولا تقهروا الضعيـف " ، فلما سمعوا خرجت أرواحهم / ثم ردت اليهم، فقالـوا : (٢٤/ب)
يامـوسى انا لا نطيق أن نسمع كلام الله ، فلما رجعوا الى قومهم قال فريق منهـم :

---

(١) انظر : تفسير البغوى ٨٧/١
وذكر الواحدى أن هذا قول أكثر المفسرين ، حيث قال : وعند أكثرالمفسريـن : نزلت الآية في الذين غيروا آية الرجم وصفـة محمـد صلى الله عليه وسلم .
انظر : أسباب نزول القرآن للواحدى ص ٢٥

(٢) في أ " أخذتم " والتصويب من ط ، م .

(٣) قال في اللسان : الشبور على وزن التنور : البوق ، ويقال : هو معرب .
انظر : اللسان ٣٩٣/٤ (شـبر)

(٤) في ط ، م " لا تعبـدوا " بغير واو قبل لام النهي . ولعله أوفق .

الآيـــــة : ٧٥، ٧٦

سمعنا اللـــه عز وجـل يقول في اخـر كلامـــه " ان استطعتم أن تفعلوا هـذه الأشياء فافعـــلوا ، وان شئتم فلا تفعلوا ولا بأس " . (١)

والمعنى بهـــذه الآيـــة : تعزيـة الصحابة في أن اليهود ان كذبوا النـــبي صلى الله عليـه وســلم فلهم سابقـة في الكفر والتحريف .

(٧٦) قولـه عـزوجـل (وَإِذَا لَقُـوا الَّذِيـنَ ءَامَنُـوا قَـالُـوا ءَامَنَّـا)

قرأ ابن السميفع " واذا لاقـوا " (٢) . قيل : بمعنى (٣) المنافقين من أهل الكتـاب في وقت موسى ، فانه كان في قومـه منافقون كمـا في أمتنـا . (٤)

وقيل : المراد به منافقوا هـذه الأمـة ، وانما ذكرهم الله هنـا مع اليهود ، لأن أكثرهم كانوا من اليهود قبل مبعث النبي صلى الله عليه و سلم . (٥)

---

(١) انظر بعض هـذه القصة في تفسير الطبرى ٣٦٧/١ ــ ٣٦٨، وأسباب نزول القـرآن للواحـدى ص ٢٥ ، وزاد المسير ١٠٣/١، وتفسير ابن كثير ١١٩/١
وقد ذكر ابن الجوزى القولين السابقين ، ثم قال : والأول أصح ، وقد أنكـــــر بعض أهل العلم ــ منهم الترمذى صاحب النوادر ــ هذا القول انكاراً شديـــداً ، وقال : إنما خص بالكلام موسى وحـــده ، وإلا فأي ميزة . وجعل هذا من الأحاديث التي رواها الكلبي ، وكان كذابا . اهـ .
زاد المســـــير ١٠٣/١ ــ ١٠٤
وقال ابن كثير : " ليس يلزم من سماع كلام الله أن يكون منه كما سمعه الكلـــــيم موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام ، وقد قال الله تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ) أى مبلغا اليه ... " .
تفسير ابن كثـــير ١١٩/١

(٢) انظر : البحـــــر ٢٧٢/١

(٣) في ط ، م " يعني " .

(٤) لم أقف على هذا القول ، وهو بعيد عن ظاهر الآية . والله أعـلم .

(٥) هـذا قول عامة المفســـرين .
انظر : تفسير الطبرى ٣٦٩/١ ــ ٣٧٠ ، وزاد المسير ١٠٤/١ ، وتفســـير القرطبي ٣/٢ ، وتفسير ابن كثير ١٢٠/١

الآيـــــة : ٧٦

ومعنـــاه : واذا لقي المنافقـون من اليهود الذين آمنـوا ، يعني أبا بكر وأصحابه مـــن المؤمنـــين قالوا : آمنا كايمانكم وشهدنا بأن محمـــد ا صادق ونجده في كتابنا بنعتـــه وصفتـــه ، واذا خـلوا الى رؤسائهم قال لهم رؤساؤهـم كعب بن الأشرف ، وكعب بن أسد (١) ووهب بن يهوذا (٢) ، وغيرهم من رؤساء اليهود .

(أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ) أى أتخبرونهم أنهم على الحق لتكون لهم الحجـة عليكم عند الله في الدنيا والآخرة اذ كنتم مقريـن (٣) بصحة أمرهم ولم تتبعوهـم .

وقال الكلبي معناه : أتحدثونهم بما قضى (٤) الله عليكم في كتابكم أن محمـــدا حق ، وقولـــه صـدق (٥) ، ومنـه قيل للقاضي : الفتـــاح .

وقال الكسائي : بما بينـه اللـه لكم . (٦) وقال الواقدى : بما أنزل الله عليـــــكم (٧)

---

(١) هوكعب بن أسد بن سعيد القرظي ، من بني قريظة ، شاعر جاهلي .
انظر : الأعـــــلام ٢٢٥/٥

(٢) من أحبار اليهود الذين دعاهم رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الإســـــــلام ورغبهم فيه ، فأبوا عليه وكفروا بما جاء به ، وقالوا : ما أنزل الله من كتاب بعـــد موسى ، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعـــده .
فأنزل الله تعالى في ذلك (يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ...) المائدة ١٩
انظر : سيرة ابن هشـــام ٢٠٥/٢

(٣) في ط " مقرون " .

(٤) في ط " قـص " .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ٨٤/١ ، والبحر المحيط ٢٧٣/١

(٦) انظر : تفسير البغوى ٨٧/١

(٧) انظر : المصدر السابق .

الآيـــة : ٧٦

نظـيره (لَفَتَحْنَـا عَلَيْهِـم بَرَكَـاتٍ مِّـنَ السَّمَـاءِ) [١] أى أنزلنـا .

وقال أبو عبيـــد [٢]، والأخفش : بما مـن اللـه عليـكم وأعطاكـم .

قولـه تعالى (لِيُحَـآجُّوكُم بِـهِ عِندَ رَبِّكُـمْ) أى ليخاصموكم ويحتجوا بقولكم عليكم عند ربكم .

وقال بـعضهم : هو أن الرجل من المسلمين يلقى قريبـه وصديقه من اليهود فيسأله عن أمـــر محمـــــد صلى الله عليه و سلم ، فيقول : انـه حق وهو نبي ، فيرجعون الى رؤسائهـم ، فيلومونهم على ذلك . [٣]

وقيل : ان كعب بن الأشرف و غيره من رؤساء الكفر كانوا يقولون لعبد الله بن أبي وأصحابه : اذا أقررتم بنبوة هـذا النبي وأن ذكره في التوراة حق تأكدت حجته عليكم . [٤]

وقال مجاهد : أن النبي صلى الله عليه و سلم سب يهود بني قريظة ، فقال لهـــــــم : " يا اخوان القردة والخنازير ، يا [٥] عبـــدة الطاغوت " ، فقال بعضهم لبعض : مـــــن أخبر محمـــــدا بهذا ؟ ما سمعه الا منكم ، أو ما خرج هـذا الا منكـم . [٦]

---

(١) من الآيـــة ٩٦ من سورة الأعراف .

(٢) لعل الصواب " أبو عبيـدة " معمر بن المثنى ، حيث القول المذكور هو قولـه كمـــا في مجاز القرآن ٤٥/١ . وانظر : تفسير الثعلبي ٨٥/١

وكلها معان متقاربة . قال الطبرى : وأصل الفتح في كلام العرب : النصـــــــــر والقضاء والحكم .

وقال الراغب :فتح عليه كـذا ، إذا أعلمـه ووقفـه عليـه .

انظر : تفسير الطبرى ٣٧١/١ ، ومفردات الراغب ص ٥٥٧

(٣) روى هـذا عن مقاتل . انظر : زاد المسير ١٠٤/١

(٤) انظر نحو هـذا في تفسيرابن كثير ١٢٠/١

(٥) في م " ويا عبـدة " .

(٦) انظر : تفسير الطبرى ٣٧١/١ ، وتفسير ابن كثير ١٢٠/١

الآيـــة : ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨

وأصل الفتح : فتح المغلق ، ثم استعمل في مواضع كثيرة من فتح البلدان ، وفتحك على القارىء . وقد يكون الفتح بمعنى الحكم ، كما في هذه الآية .

ومثله قوله (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا)[1] . ويسمى القاضي الفاتح بلغة عمان . وقد يكون الفتح بمعنى النصر ، مثل قوله تعالى (وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا)[2] أي يطلبون النصرة عليهم .[3]

وقوله تعالى (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أي أفليس / لكم ذهن الانسانية . (٢٥ / أ)

(٧٧) قوله تعالى (أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) :

أي ما يسرون من تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم فيما بينهم ، وما يعلنون مع الصحابة من التصديق .

(٧٨) وقوله تعالى (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ) :

أي ومن اليهود من لا يحسن القراءة ولا الكتابة الا أن يحدثهم كبارهم بشيء فيظنونه حقا ، فيصدقونهم وهو كذب .

قوله تعالى (لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ) اختلفوا في معنى الأماني :

قال الكلبي معناه : لا يعلمون الا ما يحدثهم به علماؤهم .[4]

وقال أبو روق : القراءة عن ظهر القلب ، ولا يقرأون في الكتب[5] ،

---

(١) من الآية ٨٩ من سورة الأعراف ، وتمامها (وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) .

(٢) البقرة ٨٩

(٣) انظر هذه المعاني في : مفردات الراغب ص ٥٥٧ ـ ٥٥٨ ، والوجوه والنظائر لابن الجوزي ص ٤٦١ ـ ٤٦٣

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٨٥/١

(٥) المصدر السابق .

الآيـــة : ٧٨

ودليل هـذا قولـه تعالى (إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِي أُمْنِيَّتِـهِ) (١)

أي الا اذا قرأ ألقى الشيطان في قراءتـــه . (٢)

قال الشاعـــــــر :

تمـنى كتـاب اللـه أول ليـــلـه ... وآخـره لا قـى حمـام المقـــاد ر (٣)

وقال مجاهد : الأماني : الكذب والأباطيل ، كقول عثمان (٤) رضي الله عنه : ما تمنيـــت منـذ أسلمت : أي ما كذبـت . (٥)

وأراد بالأماني :الأشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم ثم أضافوها الى الله من تغيـــير صفة النبي صلى الله عليه و سلم .

وقال الحسن : يعني يتمنون على الله الباطل والكذب (٦) ، مثل قولهم (لَـن تَمَسَّنَا ٱلنَّـارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْـدُودَةً) (٧) وقولهم (لَـن يَـدْخُـلَ ٱلْجَنَّـةَ إِلَّا مَن كَـانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ) (٨) وقولهم (نَحْـنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّـهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ) (٩)

---

(١) الحـج ٥٢ (وما أرسلنا من قبلك من رسـول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطـن في أمنيتـه فينسخ اللـه ما يلقي الشيطـن ثم يحكم اللـه ءايـته واللـه علـــيم حكـــيم) .

(٢) انظر : تفسير البغوى ٢٩٣/٣ . وقد حكاه البغوى عن أكثر المفسرين .

(٣) انظر البيت في : تفسير القرطبي ٦/٢ ، واللســـان ١٥ / ٢٩٤ (مـني) وقد نسبه القرطبي لكعب بن مالك .

(٤) في ط " عمـر " .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ١٢١/١

(٦) انظر : تفسير البغوى ٨٨/١ ، و تفسير ابن كثير ١٢١/١

(٧) البقـــرة : ٨٠

(٨) البقـــرة : ١١١

(٩) المائـــدة : ١٨

الآيـــة : ٧٨ ، ٧٩

قوله تعالى (وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) أي ما هم الا يظنون ظنا وتوهما لا حقيقة ويقينا . قاله قتادة ، والربيع .(١) وقال مجاهد : معناه : وان هم الا يكذبون .(٢)

(٧٩) قوله تعالى (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ) :

نزلت هذه الآية في علماء اليهود الذين غيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة ، فكتبوها : محمدًا(٣) سبطاً طويلاً أزرق ، سبط الشعر . وكانت صفته في التوراة : حسن الوجه ، جعد الشعر ، أسمر ، ربعة . فبدلوا وقالوا : هذا من عند الله . واذا سُئِلوا عن صفته قرأوا ما كتبوه فيجدونه مخالفا لصفته فيكذبونه . وانما فعلت اليهود ذلك لأنهم خافوا ذهاب ملكهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، فاحتالوا في تغيير صفته ليمنعوا الناس عن الايمان [به](٤) .

والويل : الشدة في العذاب .(٥) وقيل : الهلاك .(٦) وقيل : الخزي .(٧) ويكنى عنه بويس ووبح .(٨) وقيل : هو واد في جهنم يهوى فيه الكافر

---

(١) انظر : تفسير البغوى ٨٨/١ ، وتفسير ابن كثير ١٢١/١

(٢) المصدران السابقان .

(٣) في أ " محمد " والتصويب من ط .

(٤) ما بين المعقوفتين من ط ، م .
وانظر : تفسير ابن أبي حاتم ٢٤٥/١ - ٢٤٦ ، وأسباب نزول القرآن للواحدى ص ٢٤

(٥) روى هذا عن ابن عباس . انظر : تفسير البغوى ٨٨/١

(٦) قاله الزجاج . انظر : معاني القرآن ١٦٠/١

(٧) في ط " الجزاء " .

(٨) انظر : تفسير القرطبي ٨/٢

الآيـــة : ٧٩ ، ٨٠

أربعين خريفاً قبل أن يقع الى قعره .(١) وقيل : يسيل فيه صديد أهل النار .(٢)

وقيل : لو جعلت فيه جبال الدنيـــا لماعت من شدة حره .(٣)

وقولـه تعالى (لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) يعني ما كان لهم من المأكلة والهدايا مـــن أغنيائهم ، ألحق الله بهم ثلاث ويلات فيما غيروا من الكتـــاب .

وقوله تعالى (وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ) أى مما يصيبون من المأكل والهدايا .

ولفظ الأيدى للتأكيـــد ، كقولهم : مشيت برجلي ، ورأيت بعيني .

قال الله تعالى / (وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ)(٤) (٢٥/ب)

(٨٠) قولـه تعالى (وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً) :

اختلفوا في هذه الأيام ما هي ؟ قال ابن عباس ومجاهد : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول : مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وانما نعـــذب بكل ألف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب عنا بعد سبعة أيام ، فأنزل اللـــه هـــذه الآيـــة .(٥)

---

(١) روى هذا مرفوعا من حديث أبي سعيد الخدري .
أخرجه أحمد في مسنده ٣/٧٥ ، والترمذي في سننه : كتاب التفسير : باب : ومـــن سورة الأنبياء . وقال : حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من حديث أبي لهيعة .
وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٥٣٤ وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه الطبرى عن أبي عياض . انظر : تفسير الطبرى ١/٣٧٨

(٣) أخرجه الطبرى عن عطاء بن يسار . انظر : تفسير الطبرى ١/٣٧٩

(٤) الأنعام ٣٨ (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُـــم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) .

(٥) انظر : تفســـير الطـــبرى ١/٣٨٢ ـ ٣٨٣ ، وأسـباب نزول القـــــرآن للواحـــدى ص ٢٤

الآيـــــة : ٨٠

وقال قتادة و عطـاء : يعنون الأربعون يوما التي عبـد آباؤهم فيها العجل [١] ، وهي مـدة غيبـة موسى عليـه السلام .

وفي بعض التفاسير : اختلف في مقدار عباد تهم العجـل : فقيل : عشرة أيـام . وقيل : سبعة أيام . وقيل : أربعون يوما . [٢]

فقال الله تعالى تكذيبا لهم : قل يا محمـد (**أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا**) أى موثقا أن لا يعذبكم الا هذه المدة (**فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**) .

وروى أنه يقال لهم عند مضي الأجل : يا أعداء الله قد مضى الأجل وبقي الأبـد . [٣]

ولفظ المعدود ة للقلة ، كقولـه (**بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ**) . [٤]

وفي الصوم (**أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ**) [٥] . واحتج أصحابنا بقوله عليه السلام : " المستحاضة تدع الصلاة أيام أقرائها " .

وقوله عليه السلام : " دعي الصلاة أيام أقرائك " . [٦] أن أقل الأيام ثلاثة ،

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٣٨١/١ ، وتفسير البغوى ٨٩/١

(٢) انظر : التفسير الكبير للفخر الرازى ١٤١/٣ ـ ١٤٢

(٣) روى هذا عن ابن عباس من طرق ضعيفة .
فقد أخرجه عنه الطبرى من طريق محمد بن سعد قال : حدثني أبي قال : حدثني عمي قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس .
كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس من طريق جويبر عن الضحاك .
انظر : تفسير الطبرى ٣٨١/١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٤٩/١

(٤) يوسف ٢٠ (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين)

(٥) البقرة ١٨٤ (أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ...) .

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة : باب في المرأة تستحاض . رقم ٢٨١
والنسائي في كتاب الطهارة : باب ذكر الأقراء .
والترمذى في كتاب الطهارة : باب ما جاء أن المستحاضة تتوضأ لكل صلاة . رقم ١٢٦

الآيـــة : ٨٠ ، ٨١

وأكثرها عشـــرة ، لأنـه يقال لما د ون الثلاثـــة : يوم ويومان ، وفيما زاد على العشـــرة : أحـــد عشـــر يومـــا .

وليس لأحـد أن يعترض على هذا بقوله في آية الصيام (أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ)[1] أراد بهـــــا الشهر كلـــه ، لأن ظاهر لفظ الأيام من الثلاثة الى العشرة ، الا أنـه قد يذكر ويراد بـــــه الزيـــــادة .

وقد فسر الله تعالى أيام الصوم بالشهر ، فانعقد بذلك التفسير .

وأما أيام الحيض فمبهمة ، فلابـــد أن تكون محصورة ، لأن الأحكام تختلف بحال الحيـــض والطهـــر ، فكان حمل اللفظ على ظاهره وحقيقته أولى .[2]

(٨١) وقولـه تعالـى (بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً) :

أي ليس كما تقولون . قال الكسائي : الفرق بين " بلى "[3] و " نعـــم " : أن " بلى " اقرار بعد جحـد ، و " نعم " جواب استفهام بغير جحد .[4]

فاذا قيل لك : أليس[5] فعلت كذا ؟ تقول : بلى .

أو قيل لك : ألم تفعل كذا ؟ تقـول : بلى .

واذا قيل لك : أفعلت كـذا ؟ قلت : نعـــم .

---

(١) في ط " أيام " .

(٢) ليس هذا موضع بحث مسألة أقل الحيض وأكثره ، لكن أوردها المؤلف هنا لمناسبـــة قوله في الآية (الا أياما معـــدودة) .
وأن لفظ المعدودة للقلة ، فدل على أن أقل ما يطلق عليه اسم " أيام " هـــو ثلاثـــــة .
وأراد المؤلف بذلك الاستدلال لمذهب الأحناف في هذه المسألة .
وانظر بسط هذه المسألة في أحكام القرآن للجصاص ٢٣/٢ ، وتفسير القرطبي ٨٣/٣ ، والمغني لابن قدامة ٣٠٨/١ ، والمحلى ١٩٢/٢ ـ ١٩٣

(٣) في أ " البلى " والتصويب من ط ، م .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٨٧/١

(٥) في ط " لست " .

الآيـــة : ٨١

قال الله تعالى (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ) [١] وقال الله تعالى (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ) [٢] وقال في غير الجحود (فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ) . [٣]

وانما قال هنا " بلى " للجحود الذى قبله ، وهو قوله (لَن تَمَسَّنَا النَّارُ) .

والسيئة هنا : الشرك . [٤]

وقوله تعالى (وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ) قرأ أهل المدينة " خطيآته " بالجمع ، وقرأ الباقون " خطيئته " على الواحد . [٥]

والاحاطة : الاحداق بالشيء من جميع نواحيه [٦] : أى سدت عليه طريق النجاة ومات على الشرك . [٧]

---

(١) الملك ٨ ، ٩ (تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم الا في ضلال مبين) .

(٢) الأعراف ١٧٢

(٣) الأعراف ٤٤

(٤) هكذا قال عامة أهل التفسير .

انظر : تفسير الطبرى ٣٨٤/١ ـ ٣٨٥ ، وابن أبي حاتم ٢٥١/١ ، وزاد المسير ١٠٨/١ ، وتفسير القرطبي ١٢/٢

(٥) انظر : النشر ٢١٨/٢ ، والمهذب ٦٢/١

(٦) في ط " جوانبه " .

(٧) انظر نحو هذا المعنى في : تفسير الطبرى ٣٨٦/١ ، وابن كثير ١٢٣/١

الآيـــة : ٨١

وقيل : السيـئة : الذنوب التي وعـد عليها العقاب .[١]

والخطيئـة : الشرك .[٢] ولابـد أن تكون الخطيئة أكبر من السيئة ، لأن ما أحـاط بغـيره / كان أكـبر منـه . (٢٦/أ)

وأصل " بلى " بل ، وهو لرد الكلام الماضي واثبات كلام آخر مبتدأ .

وانما زيدت الياء لتحسين الوقف . وقيل : أصله " بل لا " فخففت .[٣]

وعن الربيع بن خثـيم[٤] في معنى قوله (وَأَحَـاطَت بِـهِ خَطِيئَـتُهُ) قال : هو الذي يموت[٥] على خطيئته قبل أن يتوب . ومثله قال عكرمـة .[٦] وقال مقاتل : يعني أصر عليها .[٧]

---

(١) روى هذا عن السدي . انظر : تفسير الطبري ٣٨٥/١

(٢) انظر : تفسير البغوي ٨٩/١ ، والبحر المحيط ٢٧٩/١

قلـت : وعلى هذا تكون الخطيئة هنا مرادفة للسيئة في المعنى ، إذ تقـدم تفسير السيئة في الآية بالشرك ، كما هو قول الجمهور ، ويؤيده أن الله قد توعـد على ذلك بالخلـود في النـار ، ولا يخـلد في النار إلا أهـل الشرك والكفر .

(٣) ويرى ابن هشام أن " بلى " حرف جواب أصلي الألف . أما " بـل " فهـي حـرف اضـراب .

وانظر أحكام " بلى " و " بل " في : معاني القرآن للفـراء ١ / ٥٢ ـ ٥٣ ومغني اللبيب ص ١٥١ ـ ١٥٤ ، ورصف المباني ص ٢٣٠ ـ ٢٣٤ ، والتبيـان ١ / ٨٢

(٤) هو الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله الثـوري ، أبو زيد الكوفي ، ثقـة عابـد ، مخضرم ، من الثانيـة ، قال له ابن مسعود : لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبـك . مات سنة احدى ، وقيل : ثلاث وستين ومائـة .

انظر : التقريـب ص ٢٠٦

(٥) في أ " عودت " والتصويب من ط ، م .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٣٨٧/١ ، وتفسير البغوي ٨٩/١

(٧) انظر : البحـر ٢٧٩/١

الآيـات : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣

وقال الكلبي : معنى (وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ) أي أوبقته [١] ذنوبه . [٢]

(٨١ ، ٨٢) قوله تعالى (فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) :

ظاهر المعنى

(٨٣) قوله عز وجل (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) :

أي أخذنا عليهم في التوراة العهد الشديد (لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ) بالياء قرأ [٣] ابن كثير وحمزة والكسائي . وقرأ الباقون بالتاء . [٤]

قال أبو عمرو : ألا تراه يقول (وَقُولُوا لِلنَّاسِ) [٥] فدلت المخاطبة على التاء . [٦]

قال الكسائي : انما ارتفع " لا تعبدون " لأن معناه : أخذنا ميثاق بني اسرائيل أن لا تعبدوا [٧] الا الله . فلما ألقي " أن " رفع . ومثله (لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ) [٨] ، ونظيره قوله تعالى (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ) [٩] يريد أن أعبد ، فلما حذف " أن " الناصبة عاد الفعل الى المضارعة . [١٠]

---

(١) في ط " أوثقته " .

(٢) انظر : تفسير البغوي ٩٠/١ ، والبحر ٢٧٩/١

(٣) في ط " قراءة " .

(٤) انظر : النشر ٢١٨/٢

(٥) في ط زاد قوله تعالى (حسنا) . والمذكور من الآية ٨٣ من سورة البقرة .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ٨٨/١

(٧) في أ ، م " أن لا تعبدون " والتصويب من ط .

(٨) البقرة ٨٤ (واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون) .

(٩) الزمر ٦٤ ، وتمامها (أيها الجاهلون) .

(١٠) انظر : تفسير الثعلبي ٨٨/١ ، وانظر : البحر ٢٨٢/١ ـ ٢٨٣

الآيـــــة : ٨٣

وقرأ أبيّ بن كعب " لا تعبـدوا " جزما على النهي .[١] أي قل لهم : لا تعبدوا الا الله .

ومعنى الآيـــة : أمرناهـــم باخلاص العبادة للـه .

قوله عز وجل (وَبِالْوَالِدَيْـــنِ إِحْسَانـاً) أي وصيناهم بالوالدين احسانا ، برا بهما و عطفـا عليهما . وانما قال **(وَبِالْوَالِدَيْـنِ)** وأحدهما والدة ، لأن المذكر والمؤنث اذا اقترنا غلـب المذكـــر لخفتـه وقوتـــه .

قولـه تعـالى (وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَـٰمَىٰ وَالْمَسَـٰكِينِ) أي وبذي القربى ، أي وصيناهـــم بصلة الرحم . واليتامى : جمع يتيم وهو الطفل الذي لا أب له . والمساكين : الفقـــــراء .

قولـه تعـالى (وَقُولُواْ لِلنَّـاسِ حُسْـناً) اختلفت[٢] القراءة فيـه :

فقرأ زيـد بن ثابت[٣] ، وأبو العالية[٤] ، وعاصم ، وأبو عمرو ، ونافع : بضم الحـــــاء وجزم الســـين[٥] . وهو اختيـار أبي حـاتم .[٦] ودليـله قولـه تعـــــــــالى

---

(١) وبها قرأ ابن مسعود أيضـــا .

انظر : تفسير القرطبي ١٣/٢ ، والبحر ٢٨٢/١

(٢) في أ " اختلف " والتصويب من ط ، م .

(٣) هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن لوذان الأنصاري النجاري ، أبو سعيد وأبو خارجـة ، صحابي مشهور ، كتب الوحي ، قال مسروق : كان من الراسخين في العـــــلم . مات سنة خمس أو ثمان وأربعين ، وقيل : بعد الخمسين .

التقريـــــب ص ٢٢٢

(٤) هـو رُفيـع ـ بالتصغير ـ ابن مهران ، أبو العالية الرياحي ، ثقة كثير الارسال ، من الثانيـــة . مات سنة تسعين ، وقيل : ثلاث وتسعين .

انظر : التقريـــــب ص ٢١٠

(٥) وهي قراءة الجمهـــور . انظر : النشر ٢١٨/٢

(٦) لعله سهل بن محمد بن عثمان ، أبو حاتم السجستاني ، امام البصرة في النحـــو والقراءة واللغة والعروض ، كان امام جامع البصرة ، وله تصانيف كثيرة . توفـــي سنة ٢٥٥ هـ .

انظر : غايـــة النهايـــة ٣٢٠/١ ـ ٣٢١

وانظر ما حكاه عن زيد بن ثابت وأبي العالية وأبي حاتم في تفسير الثعلبي ٨٨/١

الآيـــة : ٨٣

(بِوَالِدَيْـــهِ حُسْـــنًا) [١] وقولـه (ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) . [٢]

وقرأ ابن مسعود ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف " حَسَنا " بفتح الحاء والسين . [٣]

وهو اختيار أبي عبيـــد ، قال : انما آثرناها لأنها نعت : بمعنى قولا حسنا . [٤]

وقرأ عيسى بن عمر [٥] : بضم الحاء والسين والتنوين . [٦] وهو لغـة ، مثل النصـــــب والسحـــــب .

وقرأ عاصم الجحدرى " إحسانًا " بالألـف . [٧]

وقرأ أبيّ بن كعب ، وطلحة بن مصرف " حسنى " بالتأنيث [٨] مرسلة .

ومجازه : كلمة حســـنى .

---

(١) من الآيـة ٨ من سورة العنكبوت (ووصينـا الإنسـان بوالديـه حسـنًا) .

(٢) من الآيـة ١١ من سورة النمـل (إلا من ظـلم ثم بـدل حسنًا بعد سـوء فإنـي غفـور رحـــيم) .

(٣) وهي أيضا قراءة يعقـــوب . انظر : النشـــر ٢١٨/٢

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٨٨/١

(٥) هو عيسى بن عمر ، أبو عمـر الهمداني الكوفي القارى الأعمى ، مقرىء الكوفـــة بعد حمزة ، عرض على عاصم بن أبي النجود ، وقرأ على أبي عمرو ، وعرض عليـــه الكسائي ، قال العجلي : ثقة صالح رأس في القرآن . مات سنة ١٥٦ هـ ، وقيـــل : ١٥٠ انظر : غاية النهاية ٦١٢/١ ــ ٦١٣

(٦) انظر : البحـــــر ٢٨٤/١ ــ ٢٨٥

(٧) انظـر : البحـــــر ٢٨٥/١

(٨) المصـــدر السابـــــق .

الآيـــة : ٨٣

ومعنى الآيـة : أيها الرؤساء من اليهود قولوا للسفلة [١] قولا حسنا : أى حقا وصد قـــــا وبينوا لهم صفة النبي صلى الله عليه و سلم كما في التوراة ولا تكتموها ، ولا تـغيروا صفـــــة محمـــــد صلى الله عليه و سلم . هـذا قول ابن عباس ، وابن جبير ، وابن جريـــــج ، ومقاتـــــل . [٢]

ودليله قوله تعالى (أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً) [٣] أى صدقا . [٤]

وقيل معناه : مروهم بالمعروف / وانهوهم عن المنكـــــر . [٥] (٢٦/ب)

قولـه تعالـــى (وَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ الزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ)

(ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ) أى أعرضتم عن العهد والميثاق .

وقوله **(إِلَّا قَلِيلاً مِنكُمْ)** هو عبد الله بن سلام وأصحابه . وانتصب " قليلاً " على الاستثناء . [٦]

---

(١) يريد عامة الناس سوى رؤساء اليهود ، فإن عامة الناس في نظر هؤلاء الرؤســـــاء سـفلة . لكن الأولى ترك هذا التعبير ، والمصير إلى ما ورد في ظاهر الآية مـــــن العموم ، والتعبير بلفظ الناس .

(٢) انظر تفسير البغوى ٩٠/١ ، وزاد المسير ١١٠/١

(٣) طـــــه ٨٦ (قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً) .

(٤) قال ابن كثير في تفسير ذلك : أى أما وعدكم على لساني كل خير في الدنيا والآخـــرة وحسن العاقبة ، كما شاهد تم من نصرته إياكم على عدوكم وإظهاركم عليه ، و غير ذلك من أيادى اللـــــه .

تفسـير ابن كثـــير ١٧٠/٣

(٥) روى هـــذا عـــن سفيـــان الثـــورى .

انظـر : تفسـير الطبرى ٣٩٢/١

(٦) انظر : التبيـــان ٨٥/١

الآيـــــة : ٨٤

(٨٤) قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ) :

أى لا يقتل بعضكم بعضا بغيرحق ، وانما قال ذلك لمعنيين :

أحدهما : أن كل قوم اجتمعوا على دين واحد فهم كنفس واحدة .

والآخر : وهو أن الرجل اذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه ، لأنه يقاد ويقتص منه .

وقرأ طلحة بن مصرف " لا تسفكون " بضم الفاء [1] ، وهما لغتان ، مثل : (يعرِشون) [2] و (يعكُفون) [3] . وقرأ بعضهم " لا تسفّكون " بالتشديد [4] على التكثير .

قوله تعالى (وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ) أى لا يخرج بعضكم بعضا من داره .

وقوله تعالى (ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ) أى ثم اعترفتم بأن هذا العهد قد أخذ عليكم وعلى آبائكم وأنه حق (وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ) اليوم على ذلك يا معشر اليهود .

(٨٥) وقوله تعالى (ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ) :

أى ثم أنتم يا هؤلاء ، فحذف حرف النداء للاستغناء بدلالة الكلام عليه ، كقوله تعالى (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) . [5]

---

(١) انظر : البحر ٢٨٩/١

(٢) اللفظ من الآية ١٣٧ من سورة الأعراف (وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) .

(٣) اللفظ من الآية ١٣٨ من سورة الأعراف (فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ...) .

(٤) وهي قراءة أبي نهيك ، وأبي مجلز . انظر : البحر ٢٨٩/١

(٥) الإسراء ٣ ، وتمامها (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) .

الآيـــــة : ٨٥

وقولـــه (**تَقْتُـــلُونَ أَنفُسَـــكُمْ**) قرأ الحسن " تقتّلون " بالتشديد .(١)

والآيـــة خطاب ليهود قريظـــــــة والنضـــير ، كانت بنـــو قريظـة حلفـــــــاء الأ و س ، وبنـــو النضـــير حلفاء الخزرج ، وكان كل فريق يقاتل الفريق الآخر ، فاذا غلبهـــــــــــم [قتلهـم و](٢) سبى ذراريهم وأخرجهم من د يارهم .(٣)

قولـه تعالى (**تَظَـــٰهَـرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْـمِ وَالْعُـدْوَانِ**) : قرأ أهل الشام ، وأبو عمـــــرو ، ويعقوب " تظّاهرون " بتشديد الظاء(٤) ، ومعناه : تتظاهرون ، فأدغم التاء في الظاء ، مثل (**اثّاقلتم**)(٥) و (**ادّاركوا**) .(٦)

وقرأ عاصم ، والأعمش ، وحمزة ، وطلحة ، والحسن ، والكسائي " تظاهرون " بالتخفيف ،(٧) حذفوا تاء التفاعـــل ، وبقّوا تاء الخطـــاب ، مثـل قولـه تعالـــــــــــــــى

---

(١) انظر : الاتحاف ٤٠١/١ ، والقراءات الشاذة لعبد الفتاح القاضي ص ٣١

(٢) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ١٢٥/١

(٤) وهي أيضا قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي جعفر ، وخلف .
انظر : النشـــــــــر ٢١٨/٢

(٥) اللفظ من الآيـة ٣٨ من سورة التوبـة (يَـٰٓأَيُّهَـا ٱلَّذِيـنَ ءَامَنُـوا۟ مَا لَكُـمْ إِذَا قِيـلَ لَكُـمُ ٱنفِـرُوا۟ فِي سَبِيـلِ ٱللَّـهِ ٱثَّـاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ...) .

(٦) من الآيـة ٣٨ من سـورة الأعـراف (حَـتَّىٰٓ إِذَا ادَّارَكُـوا۟ فِيهَـا جَمِيعًـا ...) .

(٧) انظر : النشـــــــــر ٢١٨/٢

وانظـر نسـبة هـذه القـراءة للأعمـش ، وطلحـة ، والحســن في : تفســـــــير الثعـــلبي ٨٩/١

الآيـــة : ٨٥

(وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) [١] و (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ) . [٢]

وقرأ أبيّ ، ومجاهد ، وقتادة " تظّهرون " بالتشديد من غير ألف [٣] ، أي تتظهرون ، ومعناهما جميعا واحد : تعاونون .

والظهير : العون ، سمي بذلك لاسناد ظهره الى ظهر صاحبه . [٤]

وقوله تعالى (بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) أي بالمعصية والظلم .

قوله تعالى (وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ) متصل بقوله (وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ) ، لأن قوله (وَإِن يَأْتُوكُمْ) داخل في الميثاق . ومعناه : فكوا أسراكم من غيركم بالفداء .

قرأ السلمي، ومجاهد ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر " أسارى " بالألف ، و " تفدوهم " بغير ألف .

وقرأ الحسن " أسرى " بغير ألف ، و " تفادوهم " بالألف .

وقرأ النخعي ، وطلحة ، والأعمش / وحمزة " أسرى تفدوهم " ، كلاهما بغير ألف . (٢٧/أ)

وقرأ شيبة [٥] ، ونافع ، وعاصم ، وقتادة ، والكسائي ، ويعقوب (أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ) كلاهما بالألف . [٦]

---

(١) المائدة ٢ (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) .

(٢) الصافات ٢٥

(٣) انظر : البحر ٢٩١/١

(٤) انظر : غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٧

(٥) هوشيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب ، امام ثقة ، مقرىء المدينة مع أبي جعفر وقاضيها ، ومولى أم سلمة رضي الله عنها ، وهو أول من ألف في الوقوف . مات سنة ١٣٠ ، وقيل : ١٣٨ هـ .

انظر : غاية النهاية ٣٢٩/١ ـ ٣٣٠

(٦) خلاصة ذلك أن القراءات المتواترة في " أسارى " و " تفادوهم " هي كالتالي :

قرأ حمزة " أَسْرى " بفتح الهمزة وسكون السين من غير ألف .

وقرأ الباقون بضم الهمزة ، وألف بعد السين .

الآيـــــة : ٨٥

والأسرى جمع أســير ، مثل مريض ومرضى ، وصريع وصرعى ، وقتيل وقتلى ٠

والأسارى جمع أسير أيضا ، مثل سكارى ، وكسالى ٠

ولا فرق بين الأسارى والأسرى في الصحيح ٠

وقال بعضهم :المقيد ون المشد د ون أسارى ، والأسرى هم المأسورون غير المقيد ين ٠

وقوله تعالى (تَفْـدُ وهُـمْ) أى بالمال ٠ و **(تُفَـادُ وهُـمْ)** أى مفاد ات الأسير بالأسير ٠(١)

وأســرى (٢) في موضع نصب على الحال ٠

ومعنى الآية ما قال السد ى : ان الله تعالى أخـذ على بني اسرائيل في التوراة أن لا يقتـل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم ، وأيما عبد وأمـة وجد تموه من بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه ٠ وكانت قريظـة حلفاء الأوس ، والنضير حلفاء الخزرج ، وكانـــــــوا يقتتلون في حرب سمـــير ٠(٣)

= وقرأ نافـع ، وأبوجعفـر ، وعاصـم ، والكسائي ، ويعقوب " تُفـاد وهـــم " بضم التـاء وألف بعـــد الفـاء ٠

وقرأ الباقون بفتح التـاء وسكون الفـاء من غير ألـف ٠

انظر : النشـــــر ٢١٨/٢

(١) انظر الكشف عن وجـوه القراءات السبع ٢٥٢/١

وقال السمين الحلبي ـ بعد أن ذكر الخلاف في توجيه القراءتين ـ : " والظاهـــر أن (تفاد وهم) على أصله من اثنين ، وذ لك أن الأسير يعطي المال ، والآســـــر يعطي الاطـــلاق ٠

و (تفـد وهم) على بابـه ، من غير مشاركة ، وذ لك أن أحـد الفريقين يفد ى صاحبه من الآخر بمال أو غيره ٠ فالفعل على الحقيقة من واحد ، والفد اء ما يفتد ى به ٠٠ " ٠

ا هـ ٠ الـد ر المصـــون ٤٨٣/١

(٢) في ط " والأســرى " ٠

(٣) حرب سمير :كانت في الجاهلية بين الأوس والخزرج ٠

وسمـير : رجـــل من بني عمـرو بن عـــوف ٠

انظر : الأغانـــي ٢٠/٣ ـ ٢٧

الآيـــة : ٨٥

فتقاتل بنو قريظة مع حلفائهم ، والنضير مع حلفائهم ، فاذا غلبوا خربوا د يارهم وأخرجوهم منها ، واذا أسر رجل من الفريقين كليهما جمعوا له حتى يفد وه . فتعيرهم العرب بذ لك ، فيقولون : كيف تقاتلونهم وتفد ونهم ؟ فيقولون : انا قد أمرنا أن نفد يهم وحرم علينـــا قتالهم . قالوا : فَلِمَ تقاتلونهم ؟ قالوا : انا نستحي أن يستذ ل حلفاؤنا . فذ لك حـــين عيّرهم الله تعالى فقال (ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ) .(١)

وفي الآيـة تقد يم وتأخـير تقد يره : وتخرجون فريقا منكم من د يارهم تظاهرون عليهـــم بالاثم والعد وان وهو محرم عليكم اخراجهم وان يأتوكم أسارى تفد وهم .

فكأن الله تعالى أخـذ عليهم أربعة عهود : ترك القتل ، وترك الاخراج ، وتـــرك المظاهرة عليهم من (٢) أعد ائهم ، وفـداء أسـراهم .

فأعرضوا عن كل ما أمر الله تعالى بـه الا الفـداء ، فقال الله تعالى (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) فايمانهم الفـداء ، وكفرهم القتـل والاخراج والمظاهرة .

وقال مجاهد : يقول : ان وجد تـه في يد غيرك فد يتـه ، وأنت تقتله بيد ك .(٣)

قولـه تعالى (فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) :

أي فما جزاء من يـؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض الا ذ ل وهوان في الد نيا .

يعني بالخزي : قتل بني قريظة وسبيهم (٤) ، واجلاء بني النضير عـــــن

---

(١) انظر : تفسـير الطبري ٣٩٧/١ ـ ٣٩٨

(٢) في ط " مـع " .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٣٩٩/١

(٤) في أ " وسبهم " والتصويب من ط ، م .

وذ لك أنهم حزّبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه و سلم، حتى اجتمعوا فـي غزوة الخـند ق ، فخذ لهم الله ، ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالمسير اليهم في د يارهم ، فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فحكم فيهم بقتـــل الرجال وسبي الذ راري والنســاء .

انظر : تفصيل خبرهم في سيرة ابن هشام ١٦٥/٣ ـ ١٩٠

الآيـــة : ٨٥ ، ٨٦

منازلهم[١] ، يقال في السوء والشر خزى يخزى خزيا . وفي الحياء خزى يخزى خزايـة .[٢]

قولـه تعالى (**وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ**) وهو عذاب النار .

وقرأ[٣] السلمي ، والحسن ، وأبو رجاء[٤] " ترد ون " بالتاء[٥] ، كقوله تعـــالى (**أَفَتُؤْمِنُونَ**) .

قوله تعالى (**وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**) بالياء مدني ، ومكي[٦] ، وأبو بكـــر[٧] ، ويعقوب . والباقون بالتـــاء .[٨]

(٨٦) قوله تعالى (أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ) :

أي استبدلوا الدنيا بالآخرة (**فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ**) أي لا يهون (**وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ**) من عذاب اللـــه .

---

(١) وذلك أن بني النضير أئتمروا على الغدر بالنبي صلى الله عليه و سلم ونقضوا العهد، فخرج إليهم النبي صلى الله عليه و سلم وحاصرهم ، فسألوه أن يجليهم من ديارهـــم ويكف عن دمائهم . ففعل ، فخرجوا إلى خيبر و غيرها .

انظر : سيرة ابن هشـــام ١٤٣/٣

(٢) انظر : الصحاح ٢٣٢٦/٦ مادة (خزا)

(٣) في ط " وقراءة " .

(٤) هو عمران بن تميم ، ويقال : ابن ملحان ، أبو رجاء العطاردى البصرى التابعي الكبير أسلم في حياة النبي صلى الله عليه و سلم ولم يره . مات سنة ١٠٥ ، وقيل : ١٣٠ هـ .

انظـــر : غايـة النهايـــــة ٦٠٤/١

(٥) انظر : القراءات الشاذة لابن خالويـــه ص ٨ ، وتفسير الثعلـــــبي ٩١/١ والبحـــر ٢٩٤/١

(٦) قوله " مدني ومكي " يعني : نافع المدني ، وابن كثير المكي .

(٧) هو شعبة بن عياش بن سالم ، أبو بكر الحناط الأسدى النهشلي الكوفي الامام العـلم ، روى عاصم . مات سنة ١٩٣ ، وقيل : ١٩٤ هـ .

انظر : غاية النهايـــة ٣٢٥/١ ـ ٣٢٧

(٨) انظر : النشـــــر ٢١٨/٢

وقراءة " يعملون " بالياء هي أيضا قراءة خلف .

الآيـــة : ٨٧

(٨٧) وقوله تعالى (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ) :

أى أعطينا موسى التوراة جملة واحدة ، وأردفنا وأتبعنا من بعده رسولا من بعد رسول . يقال : قفا أثره ، وقفا غيره في التعدية [١] ، مأخوذ من قفا الانسان . قال الله تعالى (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ) . [٢]

وقيل : ان الله أنزل التوراة على موسى جملة واحدة وأمره أن يحملها فلم يطق ، فبعث الله بكل آية ملكا فلم يطيقوا حملها ، فبعث الله بكل حرف ملكا فلم يطيقوا [٣] ، فخففها الله على موسى فحملها و عمل بها . [٤]

قوله تعالى (وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ) يعني من احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص ونزول المائدة . [٥]

ومعنى البينات : الدلالات اللائحات والعلامات الواضحات .

---

(١) وقال أبو حيان : والتضعيف الذى في " قفينا " ليس للتعدية ، إذ لو كان للتعدية لكان يتعدى إلى اثنين ، لأن " قفوت " يتعدى إلى واحد ، تقول : قفوت زيداً ، أى تبعته ، فلو جاء على التعدية لكان " وقفيناه من بعده الرسل " .

انظر : البحر المحيط ٢٩٨/١

(٢) الاسراء ٣٦

(٣) في ط كلمة " حملها " بعد قوله " فلم يطيقوا " .

(٤) هذا قول ظاهر النكارة والبطلان ، وكان الأولى عدم ذكر مثل هذا الهراء الذى لا يسنده نقل ولا يقبله عقل .

(٥) وآتاه الله أيضاً الإنجيل وما فيه من بيان وتفصيل لشريعته .

الآيـــــة ؟ ٨٧

وقولـه تعالى (وَأَيَّدْنَـــهُ بِـرُوحِ ٱلْقُدُسِ) الآد والأيـد هما القـوة [١] ، أى : وأعنـــــــاه بجبريـــل . خـفف ابن كثـــير " القـد س " وثقـله الآخـرون [٢] ، وهما لـغتان مثـــــل الرعـــب والسحـــب .

قال السد ى ، والضحاك ، وقتاد ة : روح القد س : جبريـــل . [٣]

قال الحسن : القد س : هو الله عز وجـل ، وروحه جبريل عليه السلام . [٤]

وأضافه الى نفسه تكريما وتخصيصا ، نحو بيت الله ، وناقة الله ، و عبد اللـــه .

وقال السد ى : القد س : البركـة . [٥] وقد أعظم الله تعالى بركة جبريل اذ نزل عامة وحـــي أنبيائـــه على لسانه .

وتأييد عيسى بجبريل عليه السلام أنه كان قرينـه يسير معه حيثما سار ، ور فعه الى السمـــاء حين أراد [٦] اليهود قتـــله . [٧]

---

(١) انظر : الصحاح ٤٤٣/٢ (أيـــد) .

(٢) انظر : النشر ٢١٦/٢ ، والبد ور الزاهرة ص ٣٦

(٣) انظر : تفسير الطبرى ٤٠٤/١

واختار هذ ا القول جمهور المفسرين ، منهم ابن جرير الطبرى ، والقرطـــــــبي ، وأبو حيان ، وابن كثير .

انظر : تفسير الطبرى ٤٠٥/١ ، والقرطبي ٢٤/٢ ، والبحر المحيط ٣٠٠/١ وتفسير ابن كثير ١٢٦/١

واستد لوا بقوله صلى الله عليه و سلم لحسان بن ثابت : " يا حسان ، أجب عـــــن رسول الله ، اللهم أيد ه بروح القد س " ، وفي رواية " اهجهم وجبريل معـــك " .

أخرجه البخارى في صحيحه : كتاب الأد ب ، باب هجاء المشركين .

(٤) انظر : تفسير البغوى ٩٢/١ ، والقرطبي ٢٤/٢

(٥) انظر : تفسير الطبرى ٤٠٥/١

(٦) في أ " أراد وا " والتصويب من ط .

(٧) ومن تأييـــد ه له اظهار حجتـــه وأمر د ينـــه .

الآيـــة : ٨٧ ، ٨٨

وقيل : سمي جبريل روح القدس لان بمجيئه يحيى الكفار بالاسلام . (١)

والقدس : الطاهر . (٢) وقيل : المبارك . (٣)

وقال ابن عباس ، وسعيد بن جبير : روح القدس : اسم الله الأعظم ، وبه كان يحيي الموتى ويرى الناس تلك العجائب . (٤)

وقال ابن زيد : هوالانجيل جعله الله روحا كما جعل القرآن لمحمد روحا (٥) ، قال الله تعالى (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) . (٦)

فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا : يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت (٧) ، ولا كما تقص علينا من الأنبياء فعلت ، فأتنا بما أتى به عيسى ان كنت صادقا (٨) ، قال الله تعالى (أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ) : أي أفكلما جاءكم أيها اليهود رسول بما لا يوافق هواكم (ٱسْتَكْبَرْتُمْ) أي تكبرتم وتعظمتم عن الايمان به (فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ) مثل عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الأنبياء عليهم السلام .

والألف في (أَفَكُلَّمَا) ألف استفهام معناه التوبيخ والزجر .

(٨٨) قوله تعالى (وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌ) :

أي قالت اليهود قلوبنا ممنوعة من القبول ، فرد الله عليهم بقوله / (بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ) أي أنهم ألفوا كفرهم فاشتد اعجابهم به ومحبتهم له ، فمنعهم (٢٨ / أ)

---

(١) انظر نحوه في : البحر المحيط ٣٠٠/١

(٢) روى عن ابن عباس . انظر : تفسير ابن كثير ١٢٧/١

(٣) روى بمعناه عن السدى . انظر : تفسير الطبرى ٤٠٥/١

(٤) انظر : تفسير الطبرى ٤٠٤/١ ، وتفسير البغوى ٩٢/١

(٥) انظر : تفسير الطبرى ٤٠٤/١

(٦) الشورى ٥٢

(٧) في أ " علمت " والتصويب من ط ، م .

(٨) انظر : تفسير البغوى ٩٢/١

الآيـــة : ٨٨

الله الألطاف والفوائـــد التي منح الله المؤمنـين ، مجازاة لهم على كفرهم .(١)

قرأ ابن محيصن " غُلُـفُ " بضم اللام . وقرأ الباقون بجزمها .(٢)

فمن خفف فهو جمع الأغلف مثل أصفر وصفـــر ، وهو الذى عليه غشاوة و غطاء ، بمنزلـــة الأغلف غير المختـــون ، والأقلف مثله : أى عليها غشاوة فلا تعي ولا تفقه ما تقـــــــول يا محمـــــــد . قاله قتـــا دة ومجاهـــد .(٣)

نظيره قوله تعالى (وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ) .(٤)

ومن ثقل " غلف " فهو جمع غلاف ، مثل حجاب وحجب ، وكتاب وكتب ، ومعناه : قلوبنا أوعية لكل علم فلا نحتاج الى علمك وكتابك . قاله عطاء ، وابن عباس .(٥)

وقال الكلبي : يريد ون أوعية لكل علم ، فهي لا تسمع حد يثا الا وعته الا حد يثك لا تعيـــه ولا تعقله ، فلوكان فيه خير لفهمته ولوعتـــه .(٦)

قال الله تعالى (بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ) وأصل اللعن : الطرد والابعاد .

فمعناه : طرد هم اللـــه أى أبعد هم من كل خـــــير .

وقال النضـــر بن شميل (٧) : الملعون : المخزى والمهلك .(٨)

---

(١) أى أبعد هم وطرد هم من رحمته وهد ايته ، فحرموا السعاد ة في الد نيا والآخرة .

(٢) انظر : البحر ٣٠١/١

وذكر أبو حيان أن قراءة الضم مروية عن أبي عمـــرو .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ٤٠٦/١ ــ ٤٠٧ ، وتفسير ابن كثير ١٢٨/١

(٤) فصـــلت ٥

(٥) انظر : تفسير الطبرى ٤٠٧/١ ، وتفسير ابن كثير ١٢٨/١

وانظر توجيه القراءتين في : تفسير الطبرى ٤٠٦/١ ــ ٤٠٧ ، والبحر المحيط ٣٠١/١

(٦) انظر : تفسير البغوى ٩٣/١

(٧) في أ " النضير " والتصويب من ط ، م .

وهو النضر بن شميل المازني ، أبو الحسن النحوى البصرى ، نزيل مرو ، ثقة ثبـــت ، وهو أول من أظهرالسنة بمرو وخراسان ، روى عنه يحيى بن معين و علي بن المد يني . من مصنفاته : غريب الحد يث ، والصفات ، والمد خل الى كتاب العين . مات سنة ٢٠٤ هـ

انظر : التقريب ص ٥٦٢ ، وبغية الوعاة ٣١٦/٢

(٨) انظر : تفسير الثعلبي ٩٢/١

الآيـــــة : ٨٨

قولـه عـز وجـل (فَقَلِيـلاً مَـا يُـؤْمِنُـوَنَ) قال قتاد ة معناه : ما يؤمن منهم الا قليل ، وهـو عبد الله بن سلام وأصحابـه ، لأن من آمن مـن المشركين أكثر ممن آمـن من اليهـود .(١)

فعلى هـذ ا القول " ما " صـلة ، معناه : فقليـلا يؤمنـون . ونصب " قليـلا " عـلى الحـــال .(٢)

وقيل : على معنى : صـاروا قليـلا يـؤمنـون . وقيل : معناه ايمانهم بالله قليل ، لأنهـم يؤمنـون ببعض ويكفـرون ببعض .

وانتصب " قليـلا " على هذ ا التأويل على معنى : ايمانا قليـلا يؤمنـون .(٣)

وقال معمر : معناه لا يؤمنون الا بقليل مما في أيد يكم ويكفرون بأكـثر .(٤)

و على هذ ا القول يكون " قليلا " منصوبا بنزع الخافض و " ما " صلة ، أى فبقليل يؤمنون .(٥)

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٤٠٨/١ ، والبغوى ٩٣/١

(٢) إما حال من الإيمان : أى فيؤمنونـه أي الإيمان في حال قلته ، وهذ ا مذ هب سيبويه . أو يكون حالاً من الفاعل الذ ي هو الضمير في يؤمنـون .
المعنى : أي فجمعاً قليلاً يؤمنون ، أي المؤمن منهم قليل .
وهذ ا معنى قول ابن عباس وقتاد ة .
انظر : البحر ٣٠١/١ ـ ٣٠٢ ، والد ر المصون ٥٠٢/١

(٣) على أنه نعت لمصد ر محذ وف . وعلى هذ ا أكثر المفسرين والمعربين .
انظر : المصد رين السابقين ، وتفسير الطبرى ٤٠٩/١ ، والكشاف ١٦٤/١ والتبيان ٩٠/١

(٤) انظر : زاد المسير ١١٣/١ ، وتفسير القرطبي ٢٦/٢

(٥) انظر : البحر ٣٠٢/١ ، والد ر المصـــون ٥٠٢/١

الآيـــــــة : ٨٨ ، ٨٩

وقال الواقدى وغيره : معناه لا يؤمنون قليلا ولا كثيراً.[١] وهذا كقول الرجل للآخر : ما أقل ما نفعل كذا ، يريد لا نفعله البتة .

(٨٩) قوله عز وجل (وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ) :

يعني القرآن موافقا لما معهم : يعني التوراة وسائر الكتب في التوحيد والدعاء الى الله .

وقوله (وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟) :

أي وكانوا من قبل مبعث محمد صلى الله عليه و سلم يستنصرون بذكر القرآن ونبي آخر الزمان على الذين جحدوا توحيد[٢] الله ، كانوا اذا قاتلوا المشركين قالوا : اللهم انصرنا عليهم باسم نبيك وبكتابك الذى تنزله على الذى وعدتنا أنك باعثه في آخر الزمان الذى نجد صفته في التوراة ، وكانوا يرجون أن ذلك النبي منهم ، وكانوا اذا قالوا ذلك نصروا ، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين : أطل زمان نبي يخرج فيصدق ما قلناه فنقتلكم معه قتل عاد[٣] وارم .[٤]

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ٢٦/٢ ، والبحر المحيط ٣٠٢/١

قال العكبرى : وهذا أقوى في المعنى ، وإنما يضعف شيئاً من جهة تقدم معمول ما في حيّز " ما " عليها .

انظر : التبيان ٩٠/١

(٢) في ط " آيات الله " .

(٣) هم قوم هود عليه السلام .

(٤) هي إرم ذات العماد ، وهم عاد الأولى ، من نسل إرم بن سام بن نوح .

انظر : تفسير ابن كثير ٣٥٥/٣

وانظر ماقيل حول استفتاح اليهود على العرب بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم في : تفسير الطبرى ٤١٠/١ ـ ٤١٢ ، وتفسير ابن كثير ١٢٨/١ ـ ١٢٩ ، والدر المنثور ٢١٦/١ ـ ٢١٧

الآيـــــة : ٨٩ ، ٩٠

وقولـه تعـالى (فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ) : أي فلما بعث محمـــد / صـــلى (٢٨ / ب)
الله عليه وســلم و عرفوه بصفته في كتابهم ، ولم يكن منهم كفروا به و غيروا صفته بغيـــا
وحسـدا ، كما بعث من غير بـني اسرائيـــل ، مخافـــة زوال رياستهـــــــم
(فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) .

(٩٠) قولـه تعـالى (بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا) :
أي بئسما باعوا به أنفسهم من الهدايا بكتمان صفة محمـــد صلى الله عليه و سلم
أنهم اختاروا الدنيا على الآخرة ، فباعوا أنفسهم بأن يكفروا بما أنزل اللـــــه :
يعني القرآن ، حسدا منهم للنبي صلى الله عليه وسلم .
وقيل : معناه بئس الذي اختاروا لأنفسهم حتى استبدلوا الباطل بالحق ، والكفـــر
بالايمان . وقوله تعالى (بَغْيًا) أصل البغي : الفساد ، يقال : بغى الجـــرح اذا
فســـد ومـــد .(١) ومعنى قولـه (بَغْيًا) أي بالبغي .

وقوله تعالى (أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) : يعـــني
الكتاب والنبوة على محمـــــد صلى الله عليه وسلم .

قولـه تعـالى (فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ) : قال قتادة : الغضـــب الأول :
حين كفروا بعيسى والانجيل . والثاني : حين كفروا بمحمـــد والقرآن صلوات اللـــه
عليهمـــا ، فاستوجبوا اللعنة على أثر اللعـنة .(٢)

---

(١) قال في اللسان : بغى الجرح يبغي بغياً : فسد وأمدّ وورم وترامى إلـى فساد .
اللســـان ٧٩/٤ (بغا)
وقال ابن جرير : وأما معنى قوله (بغياً) فإنه يعني به : تعدياً وحسداً .
انظر : تفسير الطبرى ٤١٥/١

(٢) انظر : تفسير البغوى ٩٤/١ ، وتفسير ابن كثير ١٢٩/١
وهو مروى أيضا عن عكرمـة وأبي العاليـة .

الآيـــة : ٩٠ ، ٩١

وقال السد ى : الغضب الأول : بعباد تهم العجل . والثاني : بكفرهم بمحمـــد صلى اللـــه عليه وسلم وتبد يل صفتـــه .(١)

قولـه تـعـالى (وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَـذَابٌ مُّهِـينٌ) : أى وللجاحد ين بنبوة محمـــد صلى اللـــه عليه و سلممن الناس كلهم عذ اب مهين ، يهانون فيـــه فلا يعـزون .

(٩١) قولـه تـعالى (وَإِذَا قِيـلَ لَهُـمْ ءَامِنُـوا۟ بِمَـآ أَنـزَلَ ٱللَّـهُ) :

أى اذ ا قيل ليهود المد ينـة صد قوا بالقرآن (**قَالُـوا۟ نُؤْمِـنُ بِمَـآ أُنـزِلَ عَلَيْنَـــا**) يعنون التـوراة (**وَيَكْفُـرُونَ بِمَـا وَرَآءَهُ**) أى يجحد ون بما سوى الذ ى أنزل عليهـــم كقولـه تـعالى (**فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِـكَ**)(٢) أى سواه .

وقولـه تـعالى (وَهُـوَ ٱلْحَـقُّ) يعني القرآن (**مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُـمْ**) أى موافقـــا للتوراة وسائر الكتب . ونصب " مصد قا " على الحـال .

وقولـه تـعالى (قُـلْ فَلِـمَ تَقْتُـلُونَ أَنبِيَـآءَ ٱللَّـهِ) أى قل لهم يا محمـــد : ان كنـتم تصد قون بالتوراة فلم تقتلون أنبيا ء اللـه وليس فيما أنزل عليكم قتل الأنبيا ء ؟ .

قولـه تـعالى (إِن كُنـتُم مُّؤْمِنِـينَ) أى فلم تقتلون أنبيا ء الله ان كنتم مؤمنـــين بالتوراة وقـد نـهيتم فيها عن قتلهم . وقولـه " لـم " أصله " لما " فحذ فـت الألـــف فرقـــا بين الخـــبر والاستفهـام ، كقولـــه : فيمَ ، وبمَ ، ومـمَ ، وعلامَ ، وحتـــامَ .

---

(١) انظـر : تفسـير الطـــبرى ٤١٧/١ ، وابن كثـــير ١٢٩/١

(٢) المؤمنـــون ٧ وتمامها (**فَأُو۟لَـٰٓئِـكَ هُـمُ ٱلْعَـادُونَ**) .

الآيـــــة : ٩٢ ، ٩٣

(٩٢) وقولـه عـز وجل (وَلَقَـدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَـٰتِ) :

أي بالد لالات اللائحـات والآيات التسـع [١] (ثُمَّ ٱتَّخَذتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْـدِ ذَٰلِـكَ) الـهـا (وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ) أي كافرون باللـه .

وفائـدة الآية : أن تكذيب الأنبياء من د أبكم وعاد اتكـم [٢] ، كما أن موسـى جاءكـم بالبينات ثم اتخذ تم العجل الـهـا .

(٩٣) قولـه تـعـالى (وَإِذْ أَخَذْنَـا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَـا فَوْقَـكُمُ ٱلطُّـورَ) :

أي أخذ نا عليكم العهد في التوراة / (وَرَفَعْنَـا فَوْقَكُمُ ٱلطُّـورَ) : أي الجبـل ، (٢٩ / أ)

خذوا ما أعطيناكم بجـد ومواظبـة في طاعـة اللـه تـعالى .

وقولـه تـعالى (وَٱسْمَعُـوا۟) أي اسمعوا ما فيه من حلالـه وحرامـه ، وما تؤمرون بـه ، أي استجيبوا وأطيعوا . سميت الطاعة سمعا لأنـها [٣] سبب الطاعة والإجابـة .

ومنه قولهم : سمع اللهُ لمـن حمـد ه : أي أجابـه . وقال الشاعر :

د عوت الله حتى خفت أن لا ... يكون الله يسمع ما أقـول [٤]

---

(١) الآيات التسع هي : يـد ه ، و عصاه ، والسنين ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد والقمل ، والضفاد ع ، والـد م .
ذكره ابن كثير عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمـة ، والشعبي ، وقتاد ة .
ثم قال : وهذ ا القول ظاهر جلي حسن قوى ... وقد أوتي موسى عليه السلام آيات أخـر كثيرة ، منها ضربه الحجر بالعصا وخروج الماء منه ، ومنها تظليلهم بالغمام ، وإنزال المن والسلوى ، وغير ذ لك مما أوتيـه بني إسرائيل بعد مفارقتهم بلا د مصر ، ولكـن هـذ ه الآيات التسع هي التي شاهد ها فرعون وقومه من أهل مصـر قبل خـروج بني إسرائيل منها ، فكانت حجة عليهم .
انظر : تفسير ابن كثير ٣/٧٠ ــ ٧١ مع تصرف يسير .

(٢) في ط ، م " وعاد تكم " .

(٣) لـعل صحة العبارة " لأن السمع سبب الطاعة والاجابة " .

(٤) انظر البيت في : تفسير القرطبي ٢/٣١ ، واللسان ٨/١٦٣ مادة (سمع) وعـزاه في اللسان لأبي زيـد .

الآيـــــة : ٩٣ ، ٩٤

أي يجيـب . وقوله تعالى (**وَقَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا**) أي سمعنا قولك و عصينا أمـــرك ، ولولا مخافة الجبل ما قبلنا . قالوا ذ لك بعد ما رفع الجبل عنهم .

قوله تعالى (**وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ**) أي سقوا في قلوبهم حب العجل بكفرهـم [(١)] ، وخالطها ذ لك كإشراب اللون لشد ة الملازمـة . [(٢)]

قولـه تعالى (**قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ**) أي قل لهم يا محمـــد : بئس شيئا يأمركم بـه ايمانكم من عباد ة العجل من د ون اللـه ، أي بئس الايمان ايمان يأمركم بالكفر .

وقولـه (**إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**) أي ان كنتم مؤمنين بزعمكم ، لأنهم قالوا : نؤمن بما أنـزل علينـا . فكذ بهم اللـه [عـز وجـل] [(٣)] .

(٩٤) قولـه عـز وجـل (**قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً**) :

هذ ا جواب قول اليهود (**لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ**) [(٤)] وقولهم (**لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً**) [(٥)] وقولهم (**نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**) [(٦)] . فكذ بهم اللـه وألزمهم الحجـة ، فقال : قل لهم يا محمـــد :

---

(١) في ط زاد بعد قوله " بكفرهم" عبارة " معناه أد خل في قلوبهم حب العجل " .

(٢) الإشراب : لون قد أشرب من لون آخر .

انظر : الصحاح ١٥٤/١ (شـرب) .

قال قتاد ة : أشربوا حبه حتى خلص ذ لك إلى قلوبهم .

انظر : تفسير الطبرى ٤٢٢/١

(٣) ما بين المعقوفتين من ط .

(٤) البقـــــرة ١١١

(٥) البقـــــرة ٨٠

(٦) المائـــدة ١٨

الآيـــة : ٩٤ ، ٩٥

(إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ) يعني الجنـة (خالصـة) أى خاصة . وقيل : صافيـة .

(مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ) أى فاسألوا اللـه الموت ، فان من كان بهـذه الصفة فالموت خير لـه ، ولا سبيل الى د خـول الجنـة الا بعـد المـوت .

وقولـه تعـالى (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) أى في قولكم ، فقولوا : اللـهم أمتنـا .

فقال لـهم النـبي صلى الله عليه و سلم ـ بعد نزول هذ ه الآيـة ـ " إن كنتم صاد قـين في مقالتكم فقولوا : اللـهم أمتنـا ، فو الذ ى نفسي بيـده لا يقولها رجل منكم الا غـص بريقـه فمات مكانـه " . فأبوا أن يفعلوا ذ لك .

قال ابن عباس : عن رسول الله صلى الله عليه و سلم : " لو قالوا ذ لك ما بقي على وجـه الأرض يهود ى إلا مات " [1] ، فلما لم يقولوا ذ لك أنزل الله تعالى قولـه :

(٩٥) (وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) أى أسلفت من المعاصي وكتمـان صفـة النبي صلى الله عليه و سـلم .

وقولـه (أَبَدًا) يعني في مد ة العمر ، وأما بعد ذ لك فانهم يتمنونـه في الآخرة وقت مشاهد ة العذ اب . وانما أضاف الى الأيد ى لأن أكثر المعاصي تكون باليد .

---

(١) انظر : تفسير البغوى ٩٥/١ ، والكشاف ١٦٧/١ ، والبحر المحيط ٣١١/١

وأخرجه البيهقي في الد لائل ـ فيما ذكره السيوطي ـ عن ابن عباس مرفوعا .

انظر : الـدر المنثـور ٢٢٠/١

وذ كره ابن كثير عن محمد بن اسحاق ، وابن أبي حاتم بأسانيد موقوفا على ابن عباس . وصحح ابن كثير تلك الى ابن عباس .

انظر : تفسـير ابن كثـير ١٣١/١

وقد روى الامام أحمد في مسند ه ٢٤٨/١ عن ابن عباس قال : قال أبو جهـل : لئـن رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ يصلي عند الكعبة لأتيته حتى أطا على عنقـه ، قال : فقال : " لو فعل لأخذ ته الملائكة عياناً ، ولو أن اليهود تمنـوا الموت لماتوا ، ورأوا مقاعد هم في النار ... " .

الآيـــــة : ٩٦

(٩٦) قوله تعالى (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاوةٍ) :

اللام لام القسم ، والنون تأكيد القسم ، تقديره : والله لتجدنهم يا محمد ، يعني اليهود .

ومعنى الآية : لتعلمن اليهود أحرص الناس على البقاء .

وفي مصحف أبيّ " على الحياة " .(١)

قوله تعالى (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) قيل : انه متصل بالكلام الأول ، معناه / : (٢٩/ب) وأحرص من الذين أشركوا .

قال الفراء : وهذا كما يقال : هو أسخى الناس ومن حاتم : أي وأسخى من حاتم .(٢)

وقيل : هو ابتداء ، وتمام الكلام عند قوله (حياة) ثم ابتدأ بواو الاستئناف ، وأضمر " ليهود " اسما تقديره : ومن الذين أشركوا قوم يود أحدهم .(٣)

وقيل : معناه : ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ، وأحرص من الذين أشركوا .

وأراد بالذين أشركوا : المجوس ومن لا يؤمن بالبعث .(٤)

وقوله (لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ) أي أن يعمر .

قوله تعالى (وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ) :أي وما أحدهم بمباعده من العذاب تعميره : أي وما التعمير بمباعده من العذاب (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) تمام الآية مفسر .

---

(١) انظر : البحر المحيط ٣١٣/١

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٦٢/١ ــ ٦٣ ، وتفسير الطبري ٤٢٨/١

(٣) انظر : التبيان ٩٥/١ ، والدر المصون ١١/٢

(٤) انظر : تفسير الطبري ٤٢٩/١

وهو مروى عن ابن عباس ، وأبي العالية ، والربيع .

الآيـــة : ٩٧

(٩٧) قولـه عز وجـل (قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ) :

قال ابن عباس : ان حبرا من الأحبار ، عالما من علماء اليهود يقال له ابن صوريا [١] قال للنبي صلى الله عليه و سلم : كيف نومك ، فانا نعرف نوم النبي الذي يجيء في آخر الزمان ؟ قال : " تنام عيناي وقلبي يقظان " . قال : صدقت . فأخبرنا عن الولد ، أمن الرجل أم من المرأة ؟

قال : " أما العظم والعصب والعروق فمن الرجل ، وأما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة " . قال : صدقت . فمابال الولد يشبه أعمامه ، ليس [٢] فيه شبه من أخواله ، ويشبه أخواله ليس [٣] فيه شبه من أعمامه ؟ فقال : " أيهما علا ماؤه [٤] [مـاء] صاحبه كان شبه له [٥] " . قال : صدقت . بقيت خصلة ان قلتها آمنت [٦] بك واتبعتك : أي ملك يأتي بالوحي ؟ قال : " جبريل " . قال : ذاك عدونا ، ينزل بالقتال والشدة . ورسولنا ميكائيل ، ينزل [٧] بالسرور والرخاء ، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمنا بك وصدقناك .

قال عمر رضي الله عنه : أنا أشهد أن من كان عدوا لجبريل فانه عدو لميكائيل . فقال : لا تقولن هذا . فأنزل الله هذه الآية . [٨]

---

(١) هو عبد الله بن صوريا الأعور ، من يهود بني ثعلبة ، كان أعلمهم بالتوراة . انظر : الروض الأنف ٢٨٩/٢

(٢)و(٣) في ط " وليس " .

(٤) ما بين المعقوفتين من ط .

(٥) في ط ، م " الشبه " .

(٦) في أ " آمت " والتصويب من ط ، م .

(٧) في ط " يأتي " .

(٨) انظر : تفسير الرازي ١٩٤/٣ ، وتفسير النيسابوري ٣٨٠/١ وهناك روايات أخرى حول سبب نزول الآية . انظر : تفسير الطبري ٤٣١/١ ـ ٤٣٣ وتفسير ابن كثير ١٣٣/١ ـ ١٣٥ ، والدر المنثور ٢٢١/١ ـ ٢٢٢

الآيـــة : ٩٧

وقال مقاتل : ان اليهود قالت : ان جبريل عد ونا ، أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلهـــا في غيرنـــا .(١)

وقال قتاد ة ، و عكرمة ، والسد ى : كان لعمر رضي الله عنه أرض بأعلى المد ينة ممرها عـلى مد ارس اليهود ، وكان عمر اذ ا أتى أرضه يأتيهم ويسمع منهم ويكلمهم ، فقالوا : يا عمـــر ما في أصحاب محمـــد أحب الينا منك ، انهم يمرون بنا فيؤذ ونا ، وأنت لا تؤذ ينـــا ، وانا لنطمع فيـــك .

فقال عمر رضي الله عنه : والله ما آجيكم لحبكم اياى ، ولا أسألكم أني شاك في د يـــني ، وانما أد خل اليكم لأزد اد نصرة (٢) في أمـر محمـــد صلى الله عليه و سلم وأرى آثاره فـــي كتابكم . فقالوا :من صاحب محمـــد الذ ى يأتيه من الملائكـة ؟ قال : جبريـــل . قالوا : ذ اك عد ونا ، يطلع محمـــد ا على سرنا ، وهو صاحب كل عذ اب وخسف وشد ة ، وان ميكائيل اذ ا جاء جاء بالخصب والسلامـة . فقال / عمـر : أتعرفون جبريل وتنكـرون (٣٠/أ) محمـــد ا صلى الله عليه و سلم ؟ قالوا : نعـم . فقال عمر : أنا (٣) أشهد أن من كـان عد وا لجبريل فهو عد و لميكائيل ، ومن كان عد وا لهما فان الله عد و لـه .

ثم رجع عمر الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي ، فقـــرأ عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم هذ ه الآيات ، وقال : " لقد وافقك ربك يا عمـــر " .

فقال عمر رضي الله عنه : لقد رأيتني في د ين الله بعد ذ لك أصلب من الحجر .(٤)

---

(١) انظر : تفسير البغوى ٩٦/١

(٢) في ط ، م " بصـيرة " .

(٣) في أ " أن " والتصويب من ط ، م .

(٤) انظر : تفسير البغوى ٩٦/١ ، والكشاف ١٦٩/١

وانظر نحوه أيضا في : تفسير الطبرى ٤٣٤/١ ـ ٤٣٥ ، وتفسير ابن كثـــير ١٣٥/١ ـ ١٣٦ ، وفتح البارى ١٦/٨

وقد نقل ابن جرير اجماع المفسرين على أن هذ ه الآية نزلت جوابا ليهـــود بني اسرائيل ، اذ زعموا أن جبريل عد وهم ، وأن ميكائيل وليهم .

انظر : تفسير الطبرى ٤٣١/١

وساق الحافظ ابن حجر بعض الروايات حول ما ذكرفي سبب نزول الآيـــة ، ==

الآيـــة : ٩٧

قال الله تعالى ـ تصديقا لقول عمر ـ (قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ) : أي قل لهم يا محمـــد : من كان عدوا لجبريل اذ هو المنزل للكتاب عليّ ، فانه [١] نزله على قلبي بأمر الله لا من تلقاء نفسه ، وإنما أنزل ما هو مصدق لما بين يديه من الكتب التي في أيديكم لا مكذبًا لها [٢] ، وإنه وإن كان فيما أنزل الأمر بالحرب والشدة على الكافرين فإنه هدى وبشرى للمؤمنين .

وقيل معناه على وجه الترغيم : أي فان جبريل هو الذي نزل عليك رغما لهم . [٣]

وفي جبريل سبع قراءات : " جبرئيل " مهموز مشبع ، مفتوح الجيم والراء . وهي قراءة حمزة ، والكسائي ، وخلف . [٤]

قال الشاعر :

شهدنا وما تلقى لنا من كتيبة ... مدى الدهر الا جبرئيل أمامها [٥]

و " جبرائيل " ممدود مشبع ، على وزن : جبراعيل . وهي قراءة ابن عباس ، وعلقمة [٦] ، وابن وثاب . [٧]

ثم قال : (وهذه طرق يقوى بعضها بعضا) . وأيد أن سبب نزول الآية هو قول اليهود المذكور . انظر : فتح الباري ١٦/٨

(١) في ط ، م كلمة " انما " بعد قوله " فانه " .

(٢) في ط " بها " .

(٣) انظر بمعناه في : الكشاف ١٧٠/١

(٤) انظر : النشر ٢١٩/٢

(٥) البيت لكعب بن مالك ، كما في اللسان ١١٤/٤ (جبر) ، وخزانة الأدب ١٩٩/١ ـ ٢٠٠

(٦) هو علقمة بن قيس ، أبو شبل النخعي ، الفقيه الكبير ، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخذ القراءة عرضا عن ابن مسعود ، وسمع من عليّ وعمر وأبي الدرداء ، وعائشة . مات سنة ٦٢ هـ .

انظر : غاية النهاية ٥١٦/١

(٧) انظر : تفسير الثعلبي ٩٦/١

وفي البحر ٣١٨/١ عزاها أبو حيان لابن عباس وعكرمة .

الآيـــة : ٩٧

و" جبرائـــل " ممـد ود مختلس ، على وزن : جبراعل • وهي قراءة طلحة بن مصرف .(١)

و " جبرئـل "(٢) مهموز مقصور مختلس • وهي قراءة يحيى بن آد م .(٣)

و " جبرالّ " مقصور مشد د اللام من غير ياء • وهي قراءة يحيى بن يعمر .(٤)

و " جَبريـل " بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز • وهي قراءة ابن كثير .(٥)

و " جِبريـل " بكسر الجيم والراء من غير همز • وهي قراءة علي رضي الله عنه ، وابـــن المسيب ، والحسن ، وأهل البصرة والمدينـــة .(٦)

وقد روى ذ لك عن النبي صلى الله عليه و سلم •

وجبريل بلغة السريانية عبد الله ، فان جبر : هو العبد • وأيل : هو اللـه .(٧)

---

(١) انظـر : البحـــــر ٣١٨/١

(٢) في أ ، م " جبريل " وهو خلاف ما ذكره من تفصيل ذ لك • والتصويب من ط •

(٣) هو يحيى بن آد م بن سليمان الصلحي ، امام كبير حافظ ، روى القراءة عـــــــن أبي بكر بن عياش سماعا ، وروى أيضا عن الكسائي • مات سنة ٢٠٣ هـ •

انظر : غايـــة النهايـــة ٣٦٣/٢ ـ ٣٦٤

وانظر : القراءة المذكورة في البحر ٣١٨/١ ، وذكر أبو حيان أنها رواية يحـــــيى ابن آد م ، عن أبي بكر ، عن عاصـم •

(٤) هو يحيى بن يعمر ، أبو سليمان العد واني البصرى ، تابعي جليل ، روى البخارى في تاريخـه أنه أول من نقط المصاحف • توفي قبل سنة تسعين •

انظر : غايـــة النهايـــة ٣٨١/٢

وانظر قراءتـه في مختصر القراءات الشاذ ة لابن خالويـه ص ٨

(٥) انظر : النشـــــر ٢١٩/٢

(٦) انظـر : النشـــر ٢١٩/٢ ، والمهـــذب ٦٧/١ ، وانظر : تفســـــــــير الثعلبي ٩٦/١ .

(٧) روى هـــذا عن ابن عبـــاس و عكرمـــة •

انظر : تفسير الطبرى ٤٣٧/١ ، وزاد المســير ١١٩/١

الآيـــة : ٩٧ ، ٩٨

وعن معاذ[١] رضي الله عنه قال : انما جبريـل وميكائيل كقولك : عبد الله و عبد الرحمن ٠

وقيل : جبريل مأخوذ من جبروت الله ٠ وميكائيل من ملكوت الله ٠[٢]

قوله تعالى (فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ) يعني فان جبريل نزل القرآن ، كناية عن غـــير مذكـور ٠ كقوله تعالى (مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ)[٣] و (حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ)[٤] يعني الشمـــس ٠

(٩٨) قولـه تعالى (مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ) ٠

معناه : من كان عد وا لهؤلاء فليكن ٠ وهذا على التهد يد ٠

(فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ) يعني اليهود ٠[٥] وانما قال (عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ) ولم يقل : عد ولهم ٠ لأنه لو قال ذ لك لم يعلم بذ لك أن عد اوة جبريل تكون كفرا ، بل كان يجوز أن يتوهم متوهم أن عد اوة جبريل تكون فسقا ولا تكون كفرا ، فأزال الله هذا الاشـــكال ٠

---

(١) في ط " معاوية " ٠ ولعله أولى ، حيث لم أقف على هذا القول لمعاذ ٠ وقد ذكره الثعلبي قائلا : عن معاوية يرفعه ٠ انظر : تفسير الثعلبي ٩٦/١ ولعل هذا يؤيـد ما في نسخة " ط " فيكون المؤلف اقتصر على وقفـــه عـلى معاويـــة ٠ والله أعـلم ٠

وقد ورد نحو القول المذكور عن ابن عباس ٠ انظر : زاد المسير ١١٩/١

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٩٦/١ ، والبحر المحيط ٣١٧/١ وضعف أبو حيان هـذ االقول ٠ ورجح أنـه اسم ملك ، علم له ، وهو اسم أعجمـــي ممنوع من الصرف للعلميـــة والعجمـــة ٠

(٣) فاطر ٤٥ (ولـو يؤاخـذ اللـه النـاس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من د ابة) ٠

(٤) ص ٣٢ (فقال إني أحببت حب الخير عن ذكرربي حتى توارت بالحجاب) ٠

(٥) هذا بالنظر إلى سبب نزول الآيـة ، و إلا فهو سبحانه عـد و للكافرين كلهـم ، مـــن اليهود وغيرهـم ، كما أنـه ولي للمؤمنـــين كلهم ٠

الآيـــة : ٩٨

وفي " ميكائيـــل " أربع لـغات : ممد ود / مشبع على وزن : ميكاعيل ٠ وهي قراءة أهل مكـة (٣٠/ب) والكوفـة والشـــام ٠ (١)

و " ميكائـــل " ممد ود مهموز مختلس ، مثل : ميكاعل (٢) ٠ وهي قراءة أهل المد ينة ٠ (٣)

و " ميكـال " مهموز مقصور ، على وزن : ميكعل ٠ وهي قراءة الأعمش وابن محيصن ٠ (٤)

و " ميكـال " بـغير همز ٠ وهي قراءة أبي عمـرو ٠ (٥)

و ميكائيل معناه : عبد الله ٠ " ميك " عبـد ، و " ايل " هو الله ، وكذ لك اسرائيـــــل ٠

وهذ ه أسماء أعجمية رفعت الى العرب فلفظت بها بألفاظ مختلفـــة ٠ (٦)

وانما عطف جبريل وميكائيل على الملائكة بـعد د خولهما في اسم الملائكة لفضيلتهمـــا (٧)،

---

(١) انظر : النشر ٢١٩/٢ ، والبد ور الزاهرة ص ٣٧

(٢) في أ " ميكاعيل " والتصويب من ط ، م ٠

(٣) انظر : النشر ٢١٩/٢ ، والبد ور الزاهـــرة ص ٣٧

(٤) المشهور أن هـذ ه قراءة ابن محيصن ، أما الأعمش فقرأ " ميكاييل " بيـاءيـــن أولاهمـــا مكســـورة ٠

انظر : المحتسب ٩٧/١ ، والبحر ٣١٨/١ ، والاتحاف ٤٠٩/١

(٥) وهي أيضا قراءة حفـــص ، ويـعقـــوب ٠

انظر : النشـــر ٢١٩/٢

(٦) انظر : تفسير الطبرى ٤٣٧/١ ، والبحر المحيط ٣١٧/١

(٧) قـال ابن كثـــــير : (خصصـا بالذكـر لأن السياق في الانتصـار لجبريـــــل وهو السفـير بـين اللـه وأنبيائـه ، وقـرن معـــه ميكائيـل فـي اللفـــــظ لأن اليهـود زعمـوا أن جبريـــل عـد وهـم ، وميكائيـل وليهـم ، فأعلمهـم اللـه تعـــالى أن مـن عـاد ى واحـــد ا منهمـا فقـــد عـاد ى الآخـــــر وعـــاد ى اللـه أيضـــا) ٠

انظر : تفســـير ابن كثـير ١٣٧/١

الآيـــــة : ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠

مثل قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ) . الآية .[1]

ومعنى الآية : من كان عدوا لأحد هؤلاء فان الله عدو له .

والواو فيه بمعنى " أو " : يعني من كفر بالله أو ملائكته أو كتبه ، لأن الكافر بالواحد كافر بالكل . فقال ابن صوريا : يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينة . فأنزل[2] الله قوله تعالى :

(٩٩) (وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ) :

أي واضحات مفصلات بالحلال والحرام ، والحدود والأحكام .

قوله تعالى (وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ) : وهم اليهود وغيرهم .

سمي الكفر فسقا لأن الفسق : الخروج من شيء الى شيء ، واليهود خرجوا من دينهم بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم .

والفاسقون : هم الخارجون عن أمر الله .

(١٠٠) قوله تعالى (أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا) :

واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام كما تدخل على الفاء في قوله تعالى : (أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ)[3] (أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ)[4] .

وعلى " ثم " كقوله (أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ) .[5]

---

(١) الأحزاب ٧

(٢) انظر : أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٢٨ ، وتفسير الطبري ٤٤١/١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٩٤/١ ، وتفسير ابن كثير ١٣٨/١

(٣) يونس ٤٢ وتمامها (وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ) .

(٤) الكهف ٥٠ ، وتمامها (مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا) .

(٥) يونس ٥١ ، وتمامها (ءَآمَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ) .

الآيـــــة : ١٠٠

قرأ أبو السَمّال[١] " أوْكلما " ساكنة الواو على النسق .[٢]

و (كلمـــا) انتصب على الظرف .[٣]

قوله تعالى (عَـٰهَدُوٓاْ عَهْـدًا) يعني اليهود .

قال ابن عباس : لما ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم لهم ما أخذ الله عليهم وما عهـــد ه اليهم فيـــه ، قال مالك بن الصيف[٤] : والله ما عهد الينا في محمـــــد عهدا ولا ميثاقا . فأنزل الله هـــذ ه الآيـــــة .[٥]

---

(١) في أ " ابن سماك " ، وفي ط ، م " ابن السماك " وكله تحريف . والصواب ما أثبتناه ، كما في البحر ٣٢٣/١ وغيره .

وهو قعنب بن أبي قعنب ، أبو السَمّال ـ بفتح السين وتشد يد الميم وبالـــلا م ـ العد وى البصرى ، له اختيار في القراءة شاذ عن العامـــة .

انظر : غاية النهايـــة ٢٧/٢

(٢) انظر القراءة المذكورة في : المحتسب ٩٩/١ ، ومختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص ٨ ، والبحر المحيط ٣٢٣/١ .

واختلفوا في توجيه هذ ه القراءة : فمنهم من جعل " أو " عاطفة على " الفاسقين " وقد ره : " وما يكفر بها إلا الذ ين فسقوا أو نقضوا عهد الله " .

ومنهم من جعل " أو " بمنزلة " أم " المنقطعة ، التي هي بمعنى " بل " ، فكأنه قال : بل كلما عاهد وا عهداً .

وقال بعضهم : هي بمعنى الواو . التقد ير : وكلما عاهد وا عهداً .

وعلى هذا التقد ير ـ تتفق مع القراءة المتواترة . والله أعلم .

انظر : الكشاف ١٧١/١ ، والبحر ٣٢٤/١ ، والد ر المصون ٢٥/٢

(٣) انظر : مشكل اعراب القرآن ١٠٦/١

(٤) في م " ابن الضيف " بالضاد المعجمة ، وذكر فيه ابن هشام الوجهين . وهـــو من يهود بني قينقـــاع .

انظر : السيرة النبويـة لابن هشـــام ١٥٦/٢

(٥) وهذا قول آخـــر في سبب نزول الآيـــــة .

انظر : تفسير الطبرى ٤٤٢/١ ، وتفسير ابن أبي حاتـــم ٢٩٥/١

وتفســـــير ابن كثـير ١٣٨/١

الآيـــة : ١٠٠ ، ١٠١

توضحه قراءة أبي رجاء العطاردي " أوكلما عوهدوا عهدا " .[١] فجعلهم مفعولين .[٢]

ودليل هذا التأويل قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ) . الآية .[٣]

وقال بعضهم : هو أن اليهود عاهدوا : لان خرج محمد لنؤمنن به ولنكونن معه على مشركي العرب ، وينفونهم[٤] عن بلادهم . فلما بعث نقضوا العهد وكفروا به .[٥]

(١٠١) دليله قوله تعالى (وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ) أي طرحوه[٦] (وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) صدق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم : أي أنهم يعلمون ذلك ولكنهم تجاهلوه[٧] كأنهم لا يعلمون .

---

(١) وقرأ بها أيضا الحسن .
انظر : البحر ٣٢٤/١ ، والقراءات الشاذة لعبد الفتاح القاضي ص ٣٢

(٢) في أ " مفعران " والتصويب من ط ، م .

(٣) آل عمران ١٨٧

(٤) في أ " وينفوهم " والتصويب من ط ، وفي م " وننفوهم " .

(٥) انظر : تفسير البغوى ١ / ٩٧ ، وزاد المسير ١٢٠/١ وتفسير القرطبي ٤٠/٢

(٦) في أ " طرحه " ، والتصويب من ط ، م .

(٧) في ط " تجاهلوا " .

الآيـــة : ١٠١

قوله تعالى (نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) يعني التوراة (كِتَابَ اللَّهِ) يعني القرآن . وقيل : التوراة أيضا ، لأنهم اذا نبذوا القرآن / فقد نبذوا التوراة . (٣١/أ)

والنبـــذ : الطرح . وقرأ ابن مسعود " نقضه فريق " .(١)

وقال عطاء : هي العهود التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه و سلم وبين اليهـود ، كفعل قريظة والنضير (٢) ، دليله قوله تعالى (الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ)(٣) . فكانوا (٤) قد عاهدوا النبي صلى الله عليه و سلم أن لا يعينوا عليـــــه أحـدا ، فنقضوا وأعانوا مشركي قريش عليه يوم الخندق .(٥)

وانما قال " فريق منهم " لأن علماءهم هم الذين نبذوا عنادا مع العلم بـه .

وانما قال " بل أكثرهـم " لأن منهم من آمن ، وهو ابن سلام وكعب الأحبار و غيرهمـــــــا .

والنبذ وراء الظهر : مثل من (٦) يستخف بالشيء ولا يعمل بـــه .

تقول العرب : اجعل هذا خلف ظهرك ، وتحت قدمك ، و دبر أذنك : أى اتركه وأعرض عنه .

قال الله تعالى (وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا)(٧) .

---

(١) في ط زاد قوله تعالى (منهـم) .
وانظر القراءة المذكورة في : البحر ٣٢٤/١ وهي محمولة على التفسير .

(٢) انظر : تفسير البغوى ٩٨/١ ، وزاد المســـــير ١٢٠/١ ، والقرطبي ٤٠/٢

(٣) الأنفـــال ٥٦ ، وتمامها (ولا هـم يتقـــون) .

(٤) في ط ، م " وكانـــوا " .

(٥) فخذل اللـه تلك الأحزاب وفرق جمعهـم ، وكفى نبيـه والمؤمنين شرهـم .

(٦) في ط " مثل لمـن " .

(٧) هـــود ٩٢ (أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّـــهِ وَاتَّخَذْتُمُـــوهُ وَرَاءَكُـــمْ ظِهْرِيًّـــــا) .

الآيـــة : ١٠١ ، ١٠٢

وأنشـــد الزجـاج :

نظـرت الى عنوانـه فنبـذتـــــــه ٠ كنبـذك نعـلا أخـلقـت من نعالكـا [١]

(١٠٢) قوله عز وجل (وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَـاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ)

يعني اليهود ، وهو عطف على " نبذ فريق " كأنه قال : نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين من السحر على ملك سليمان ٠

ومعنى (مَا تَتْلُـواْ) أى ما تلت قبلهم شياطين الجن والانـــــــس ٠

(عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ) أى على عهد ملك سليمـان ٠

قيل : معنى (تتلـوا) تكذب ، يقال : فلان تـلا عـن [٢] فلان اذا صدق فـــي الحكاية عنـــــه ٠

وتلا عليه اذا كذب عليـــه ٠ [٣] كما يقال : قال عنه وقال عليه ٠

وقال ابن عباس : (تتلـوا) أى تتبع وتعمل ٠ [٤] [و] [٥] قال عطاء : تتحدث وتتكلم بـــــــــه ٠ [٦]

وقرأ الحسن " الشياطـون " بالواو في موضع الرفع في كل القرآن ٠ [٧]

---

(١) البيـت لأبي الأسـود الدؤلي ٠

وهو في : معاني القرآن للزجاج ١٨١/١ ، وتفسير الطبرى ٤٤٢/١ ، وتفســـــــير القرطـبي ٤٠/٢ ومعنى أخلقت : بليت ٠

(٢) في أ ، م " من " والتصويب من ط ٠

(٣) قال ابن كثير : " ما تتلوا الشياطين : أى ما ترويه وتخبر به وتحدثه الشياطين عـلى ملك سليمـان ، وعداه (بعلى) لأنـه تضمن (تتلوا) تكذب " ٠

تفســـير ابن كثير ١٤١/١

وانظر نحو هـذا المعنى في تفسير القرطبي ٤٢/٢

(٤) انظر : تفسير الطبرى ٤٤٧/١ ، وتفسير البغوى ٩٨/١

(٥) ما بين المعقوفتين من ط ٠

(٦) انظر : تفسير الطبرى ٤٤٧/١ ، وتفسير البغوى ٩٨/١

(٧) انظر : البحر ٣٢٦/١ ، والاتحاف ٤١٠/١ ، ومختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص ٨

الآيـــة : ١٠٢

وسئل أبوحامد الخارزنجـي [١] عن قراءة الحسن هـذه . فقال : هي لحن فاحش عنـــد أكثر أهل الأدب ، غير أن الأصمعي [٢] زعم أنه سمع أعرابيا يقول : بستان فلان حولـــــه بساتـــون . [٣]

وقصة ذلك : أن الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات [٤] على لسان آصف : هذا ما علّم آصـف ابن برخيـا [٥] سليمان الملك ، ثم دفنوها تحت مصلاه حين نزع الله ملكه ولم يشعر بذلـك سليمان ، فلما مات عليه السلام استخرجوها من تحت مصلاه ، وقالوا للناس : انما ملككـم سليمان بهذا فتعلموه . وأما علماء بني اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا : معاذ الله أن يكـــون

---

(١) في النسخ " الخارجي " والمثبت هو الصواب ، كما في تفسير الثعـــلبي ٩٨/١ وبغية الوعـاة ٣٨٨/١

وهو أحمد بن محمد البستي ، يعرف بالخارزنجي أبو حامد ، امام الأدب بخراسـان في عصره ، سمع الحديث من أبي عبد الله البوشنجي ، وعنه أبو عبد الله الحاكم ، وصنف تكملة كتاب العين ، وشرح أبيات أدب الكاتب . مات سنة ٣٤٨ هـ .

انظر : بغية الوعـــاة ٣٨٨/١

(٢) هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن أصمع ، أبو سعيد الأصمعي البصـــرى اللغوى ، أحد أئمة اللغة والغريب . مات سنة ٢١٦ هـ .

انظر : بغية الوعـاة ١١٢/٢ ـ ١١٣

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٩٨/١ ، والبحر المحيط ٣٢٦/١

(٤) النيرنجـات : أخذ تشبه السحر ، وليست بحقيقته ولا كالسحر ، انما هـــو تشبيـه وتلبيـــس .

انظر : اللســان ٣٧٦/٢ (نـرج) .

(٥) وهو كاتب سليمـان . انظر : تفسير القرطبي ٤٢/٢

الآيـــة : ١٠٢

هذا علم سليمان .(١) وأما السفلة (٢) فقالوا : هذا علم سليمان ، وأقبلوا على تعلمـــه ورفضوا كتب أنبيائهم ، وقالوا : انما تم ملكه بالسحر ، وبه سحر الجن والانس والطـــير والرياح . فلم يزالوا على ذلك الاختلاف ، وفشت الملامة لسليمان حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عذره على لسانه وأظهر براءته مما رمي به من الكفر تكذيبا لليهـــود . فقال عز وجل (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا) أي هم الذيـــن كتبوا السحر وهم الذين يعلمونه الناس ، هذا قول الكلبي .(٣)

وقال السدي : كانت / الشياطين تصعد الى السماء فتقعد منها مقاعد للسمع ، فيستمعـــون (٣١/ب) كلام الملائكة فيما (٤) يكون في الأرض من موت أو من غيره ، فيأتون الكهنة فيخلطـــون بما سمعوا كذبا وزورا ، في كل كلمة سبعين كذبة ، ويخبرونهم بذلك . فالتفت (٥) الناس الى ذلك ، وفشا في بني اسرائيل أن الجن تعلم الغيب . فبعث سليمان في النـــاس وجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنها تحت كرسيه ، وقال : لا أسمع أحدا يقـــول ان الشياطين تعلم الغيب الا ضربت عنقـــه .

فلما مات سليمان ضل الناس ، وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمـــان ، فتمثل شيطان على صورة انسان ، فأتى نفرا من بني اسرائيل وقال : هل أدلكم على كـــنز ؟ قالوا : نعـــم . قال : فاحفروا تحت الكرسي ، وذهب معهم فأراهم المكان ، فحفروا فوجدوا تلك الكتب ، فلما أخذوها قال الشيطان : ان سليمان كان بضبط الجن والانس والشياطـــين بهذه الكتـــب .(٦) وفشا في الناس أن سليمان عليه السلام كان ساحرا ، واتخـــذ

---

(١) في ط ، م عبارة " فلا تعلموه " بعد قوله " هذا علم سليمان " .

(٢) في ط " السفهاء " .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٩٨/١ ، والقرطبي ٤٢/٢

(٤) في ط " مما يكون " .

(٥) في ط " فاكتتب الناس " .

(٦) في ط عبارة " فلما أخذوها " بعد قوله "بهذه الكتب " .

الآيـــة : ١٠٢

بنو اسرائيل الكتب . ولذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود . فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم خاصمته اليهود بهذا [١] ، فبرأ الله سليمان وأنزل هذه الآية . [٢]

قوله تعالى (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ) أي بالسحر ، فان السحر كفر . [٣]

---

(١) في م " بذلك " .

(٢) انظر : تفسير البغوى ٩٨/١ ـ ٩٩ ، وزاد المسير ١٢١/١ ـ ١٢٢ ، وتفسير ابن كثير ١٣٩/١ ـ ١٤٠

قلت : الأولى ترك مثل هذه الأخبار التي لا صلة لها بمعنى الآية ، ولا مستند لها من خبر صحيح .

قال أبو حيان : وقد ذكر المفسرون في كيفيات ما رتبوه من هذا الذي تلوه قصصاً كثيرة الله أعلم به ، ولم تتعرض الآية ولا الحديث المسند الصحيح لشيء منه ، فلذلك لم نذكره . اهـ . من البحر المحيط ٣٢٦/١

(٣) **قلت** : السحر المذكور في هذه الآية كفر بلا نزاع ، أما مطلق السحر ففي حكمه تفصيل :

فإن كان يتضمن قولاً أو فعلاً يقتضي الكفر فهو كفر .

وإن كان لا يتضمن كفراً ، فليس بكفر ، بل معصية كبيرة .

انظر : شرح النووى على صحيح مسلم ١٧٦/١٤ ، وأضواء البيان ٤٥٦/٤ .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله ـ بعد أن ذكر الأقوال في المسألة ـ (التحقيق في هذه المسألة هو التفصيل ، فإن كان السحر مما يعظم فيه غير الله ، كالكواكب والجن وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر فهو كفر بلا نزاع ، ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور في سورة البقرة ، فإنه كفر بلا نزاع ، كما دل عليه قوله تعالى (**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ**) وقوله (**وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ**) وقوله تعالى (**وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى**) ... وإن كان السحر لا يقتضي الكفر ، كالإستعانة بخواص بعض الأشياء ، من دهانات وغيرها فهو حرام حرمة شديدة ، ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر) .

الآيـــة : ١٠٢

(وَلَٰكِـــنَّ ٱلشَّيَـٰطِـينَ كَفَـرُواْ) قرأ أهل الكوفـة إلا عاصماً ، وأهل الشام بتخفيف النـــون ورفع " الشياطين " ، وكذلك في الأنفال (وَلَٰكِـنَّ ٱللَّـهَ قَتَلَهُمْ) (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ) (١) . وقرأ الباقون بالتشديد ونصب ما بعده . (٢)

قوله تعالى (يُعَلِّمُـونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ) قال بعضهم : السحر العلم والحذق بالشـيء . قال الله تعالى (وَقَالُـواْ يَـٰٓأَيُّهَـا ٱلسَّاحِرُ) (٣) أي العالم .

وقال بعضهم : هو التمويه بالشيء حتى يتوهم أنه شيء ولا حقيقة له ، كالسراب غُـرّ مـن رآه . قال الله تعالى (يُخَيَّـلُ إِلَيْـهِ مِـن سِحْـرِهِمْ أَنَّهَـا تَسْعَـىٰ) . (٤)

---

(١) الأنفـال ١٧ (فلم تقتلوهـم ولكن اللـه قتلهـم وما رميت اذ رميت ولكـــن اللـه رمـى ...) .

(٢) انظر : النشر ٢١٩/٢ ، والمهذب في القراءات العشر ٦٧/١ ـ ٦٨

(٣) الزخـرف ٤٩ ، وتمامهـا (ادع لنـا ربـك بمـا عهـد عنـدك إننا لمهتدون) .

(٤) طـه : ٦٦ (قال بل ألقـوا فإذا حبالهـم وعصيهـم يخيـل إليـه من سحرهـم أنها تسعـى) .

وقد حكى القرطبي ما قيل في تعريف السحر ، وهل له حقيقة ، ثم قال : وعندنـا أنـه حـق ، ولـه حقيقـة .

تفسـير القرطبي ٤٣/٢ ـ ٤٤

قلـت : وفي هذا رد على المعتزلـة الذين ينكرون حقيقة السحـر .

وهو في اللغة : كل ما لطف مأخذه ودق فهو سحـر ، وسحره بمعنى خدعـه ، وكذلك إذا اعلله . الصحاح ٦٧٩/٢ (سحر)

وفي الاصطلاح : هو عزائم ورقى وعقـد ، يؤثر في القلوب والأبدان ، فيمـرض ويقتل ، ويفرق بين المرء وزوجـه .

فهو ثابت ، وله حقيقة وتأثير ، ومنه ما هو تخييل لا حقيقة له .

ويستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان قولاً واعتقاداً وعملاً .

انظر : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ، وروح المعاني للألوسي ٣٣٨/١ ، وأضواء البيان ٤٥٥/٤

الآيـــــة : ١٠٢

قولـه تعالى (وَمَا أُنـزِلَ عَلَى الْمَلَكَـيْنِ بِبَابِـلَ) محل " ما " نصب بايقاع [١] التـعليم عليـــه ، معناه : ويعلمون الذ ى [٢] أنزل على الملكين . ويجوز أن يكون نصبا بالاتباع أى واتبعـــوا ما أنزل على الملكين . [٣]

قرأ ابن عباس ، والحسن ، والضحاك ، ويحيى ، وابن كثير [٤] : بكسر اللام من الملِكـين . وقال : هما رجلان ساحران كانا ببابل ، لأن الملائكة لا يعلمون الناس السحر . [٥]

---

(١) في أ " بانفاع " والتصويب من ط ، م .

(٢) في أ " الذ ين " والتصويب من ط ، م .

(٣) انظر : البحر المحيط ٣٢٨/١ ، والد ر المصون ٣١/٢

(٤) نسبة هـذ ه القراءة لابن كثير وهم ، فلم أجد من نسبها اليه ، وهي قراءة شاذ ة .
انظر : مختصر شواذ القراءات ص ٨ ، والمحتسب ١٠٠/١

(٥) هذ ا قول ابن عباس .
انظر : تفسير البغوى ٩٩/١ ، والبحر المحيط ٣٢٩/١
قلـت : قد اختلف العلماء في المراد بالملكين هنا اختلافًا كبيرًا ، وذ لك مبسوط في كتب التفســـــير .
ولعل أقرب ما قيل في ذ لك : أنهما ملكان من ملائكة الله تعالى ، أنزلا لتعلـــيم السحر ، ابتلاءً من الله للناس وامتحاناً ، فمن تعلم السحر و عمل به كفـــــر ، ومن لم يعمل به ثبت على إيمانه ونجا وســلم .
هذ ا هو الموافق لظاهر الآيـــة وسياق القصــة .
ولم يصح في ذ لك عن المعصوم شيء يمكن المصير اليه ، فكان الوقوف على ظاهـــر الآيــة هو الأولى . واللـــه أعـــلم .

وبهذ ا قال أكثـر أئمــة أهل التفسير ، منهم : ابن جرير الطـــــبرى ، والزمخشــرى ، والفخر الرازى ، والشوكاني ، والألوسي ، و غيرهم .
انظر : تفسير الطبرى ٤٥٣/١ ــ ٤٥٥ ، والكشاف ١٧٢/١ ، وتفسير الرازى ٢٣٨/٣ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ٨٥٥/٢ ، وفتح القد ير ١٢٠/١ ، وروح المعاني ٣٤٠/١

و على هـذ ا تكون " ما " في قوله (وما أنزل على الملكـين) بمعـــــنى " الذ ى " . وذ هب قوم الى أن معناها النفي والجحد ، وسيأتي بيانـــه .

الآيـــة : ١٠٢

قولـه تعالى (بِبَابِـلَ) هي بابل العراق .

قولهتعالى (هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ) اسمان سريانيان . وهما في محل الخفض على تفسير الملكين بد لا منهما ، الا أنهما فتحا لعجمتهما ومعرفتهما .

وكانت قصتهما على ما حكاهابن عباس والمفسرون : أن الملائكة رأوا ما يصعد الى السمـــاء من أعمال بني آد مالخبيثة وذ نوبهم الكثيرة ، وذ لك زمـن (١) اد ريس عليه الســـــلام ، فعيروهم بذ لك وقالوا : هـؤلا ء الذ ين جعلتهم في الأرض واخترتهم فهميعصونـــــــك . فقال الله تعالى " لو أنزلتكم الى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لارتكبتم ما ارتكبـــوا " . فقالوا / : سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك . قال الله تعالى " فاختاروا ملكين مـــــن (٣٢/أ) خياركم أهبطهما الى الأرض " . فاختاروا هاروت وماروت ، وكانا من أعبد الملائكة وأصلحهم . فركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما الى الأرض ، وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحـــــــق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير حق والزنا وشرب الخمـر . فكانا يقضيان بين النـــــــاس يومهما ، فاذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم (٢) وصعدا بـه الى السماء .

قال قتادة : فما مر عليهما شهر حتى افتتنا . وذ لك أنه اختصم اليهما ذ ات يوم الزهـــــرة وكانت من أجمل النساء ، وكانت من أهل فارس ملكة في بلد ها ، فلما رأياها أخذ ت بقلوبهمـا

---

(١) في ط " في زمـن " .

(٢) ورد عن النبي صلى الله عليه و سلم في بيان اسم الله الأعظم أنـــــــــــه :
" ... لا إله إلا أنـت المنان ، بد يع السموات والأرض ، يا ذ ا الجلال والاكـرام ، يا حـي يا قيـــوم " .
وفي حد يث آخر : " أنت اللـه ، الأحـد الصمد الذ ى لم يلـد ولم يولـد ، ولم يكـن لـه كفـــوًا أحـــد " .
أخرج الحد يثين النسائي في سننه ٥٢/٣ باب : الد عاء بعد الذكر .
وأبو د اود في كتاب الصلاة : باب الد عاء . رقم الحد يث ١٤٩٥
وابن ماجه في كتاب الد عـاء : باب اسم الله الأعظـم . رقم ٣٨٥٧ ، ٣٨٥٨
والبغوى في شرح السنة ٣٦/٥ ـ ٣٧

الآيـــة : ١٠٢

فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ، ثم عادت في اليوم الثاني ، ففعلا مثل ذلك ، فأبت وقالت : لا الا أن تعبدا ما أعبد ، وتصليا لهذا الصنم ، وتقتلا النفس ، وتشربا الخمر . فقالا : لا سبيل الى هذا ، فان الله تعالى نهانا عنها . فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر . وفي أنفسهما من الميل اليها ما فيها ، فراوداها عن نفسها ، فعرضت عليهما ما قالت بالأمس . فقالا : الصلاة لغير الله عظيم ، وقتل النفس عظيم ، وأهون الثلاثة شرب الخمر ، فشربا وانتشيا ووقعا بالمرأة وزنيا ، فلما فرغا رآهما انسان فقتلاه .(١)

قال الربيع بن أنس : وسجدا للصنم ، فمسخ الله عز وجل الزهرة كوكبا .(٢)

وقال الكلبي والسدى : انها قالت لهما : لن تدركاني حتى تخبراني بالذى تصعدان به السماء . فقالا : بالاسم الأكبر . فقالت : ما أنتما مدركاني حتى تعلمانيه . قال أحدهما للآخر : علمها . قال : اني أخاف الله . قال الآخر : فأين رحمة الله . فعلماها ذلك ، فتكلمت به وصعدت الى السماء ، فمسخها الله كوكبا .(٣)

فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها ، وقيدوها فقالوا : هي الكوكب الحمراء .(٤)

يدل على صحة هذا القول : ما روى عن علي رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى سهيلا قال : " لعن الله سهيلا ، انه كان عشارا باليمن " ، واذا رأى الزهرة قال : " لعن الله الزهرة ، فانها فتنت ملكين " .(٥)

---

(١) انظر القصة عن ابن عباس و غيره بأطول من هذا عند الطبرى ١/٤٥٦ ـ ٤٥٨ ، وابن أبي حاتم ١/٣٠٥ ـ ٣٠٦ ، وابن كثير ١/١٤٤ ـ ١٤٥ وغيرهم .

(٢) انظر : تفسير البغوى ١/١٠٠

(٣) انظر : تفسير البغوى ١/١٠١

(٤) في م " الأحمر " .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ١/١٠١

ورواه ابن مردويه وابن راهويه ـ فيما ذكره ابن كثير والسيوطي ـ عنهما .

وقال ابن كثير : لا يصح ، وهو منكر جدا .

وذكره ابن الجوزى في زاد المسير ، وقال : هذا بعيد عن الصحة .

الآيـــة : ١٠٢

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا رأى الزهـرة قال : لا مرحبا ولا أهـلا .(١)

وعن ابن عباس : أن المرأة التي فتنت هاروت وماروت مسخت ، فهي هذه الكوكب(٢) الحمراء . يعني الزهـــرة .(٣)

وأنكر الآخرون هـذا ، وقالوا : ان الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي أقسم الله بهـا فقال تعالى (فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ)(٤) . وانما المرأة التي فتنت هاروت وماروت كان اسمها زهرة من جمالها ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر هذه المرأة لموافقة الاسمين فلعنها(٥) ، وكذلك سهيل كان رجلا عشارا باليمن ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم النجم ذكره فلعنه .(٦) والله أعلم .

قال المفسرون : فلما أمسيا(٧) هاروت وماروت بعد ما أصابا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم / تطاوعهما أجنحتهما ، فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي صلى الله عليه وسلم

كما ذكره القرطبي موقوفا على ابن عمر ، ثم قال : هذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر و غيره ، لا يصح منه شيء .

انظر : زاد المسير ١٢٤/١ ، وتفسير القرطبي ٥٢/٢ ، وابن كثير ١٤٣/١ ، والدر المنثور ٢٣٩/١

قلت : وبهذا بطل استدلال المؤلف بهذا الحديث ، و عليه فإن كل التفريعات السابقة واللاحقة المتعلقة بذلك لا أصل لها .

(١) انظر : تفسير الطبرى ٤٥٨/١

(٢) في ط " الكوكبة " .

(٣) عزاه السيوطي لعبد الرزاق و عبد بن حميد ، عن ابن عباس .
كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس ضمن قصة ساقها عنه في شأن الملكين .
انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٣٠٨/١ ، والدر المنثور ٢٣٩/١

(٤) سورة التكوير ١٥

(٥) تقدم بيان عدم صحة ذلك عن النبي صلى الله عليه و سلم .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ١٠٢/١ والظاهر أنه كسابقه في الحكم . والله أعلم .

(٧) في ط ، م " أمسى " .

الآيـــــة : ١٠٢

فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما ، وقالا : انا رأيناك يصعد لك من العباد ة مثـــــل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا الى ربـك .

ففعل اد ريس ، فخيرهما الله تعالى بين عـذ اب الد نيا و عذ اب الآخرة ، فاختـــــارا عـذ اب الد نيا ، اذ علما أنـه ينقطع ، فهما ببابـل يعذ بـان .(١)

واختلف العلماء في عذ ابهما (٢) : فقال ابن مسعود : هما معلقان بشعورهما الى يـــوم القيامـــــــة .

وقال قتاد ة : كبـلا من أقـد امهما الى أصول أفخاذ همـــا .

وقال مجاهـد : ان جبا ملئت نارا فجعـــلا فيها .

وقيل : معلقان منكسان في السلاسل .

وقيل : منكوسان يضربان بسياط الحـــد يـد .

وروى أن رجلا أراد تعلم السحر فقصد هما فوجد هما معلقين بأرجلهما ، مزرقة أعينهمـــا ، مسود ة وجوههما ، ليس بين ألسنتهما وبين الماء الا قد ر أربع أصابع وهما يعذ بان بالعطش ، فلما رأى ذ لك هاله مكانهما ، فقال : لا اله الا اللـه . فلما سمعا كلامه قالا : من أنـــت ؟ قال : (٣)رجل من الناس . قالا : (٤) ومن أى أمـة أنت ؟ قال : من أمـة محمـــــــــــد صلى الله عليه و سلم . قالا : أو قـد بعث محمـــد ؟ قال : نعم . قالا : الحمد للـــه ، وأظهرا الاستبشـــار . قال الرجـــل : ومِمّ (٥) استبشاركمـــا ؟ قالا : انه نبي الساعـة ،

---

(١) انظر : تفسير البغوى ١٠١/١ ، وتفسير الخازن ٩٠/١

(٢) انظر تلك الأقـوال في : تفسير البغوى ١٠١/١ ، وزاد المسير ١٢٥/١

(٣) في ط زاد كلمة " أنا " بعد قوله " قال " .

(٤) في ط ، م " قالـوا " .

(٥) في أ ، م " ومما " والتصويب من ط .

الآيـــة : ١٠٢

وقـــد دنـــا انقضـــاء عـذابنـا .(١)

قولـه عـز وجـل (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَـدٍ) يعني الملكين ، و (مـــن) صلـــــة : أي لا يعلمان أحـدا السحر حتى ينصحـاه أولا وينهياه ، و (يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ) ومحنـــة (فَلَا تَكْفُـرْ) بتعلم السحر ، يقولان له ذلك سبع مرات .(٢)

قال السدى و عطاء : فان أبى الا التعلم قالا له : ائت هـذا الرماد فبل فيه يخرج منـــك(٣)

---

(١) قلـــت : ما ساقـه المؤلـف و غيره من المفسرين من تفصيلات حول قصة هاروت وماروت هي من قبيل القصص والحكايات التي لا طائل من ورائها ، بل هي مشغلة عن تدبـــر الآيـــة ، صارفـة عن موطن العبرة والعظة منها . فالخير للمفسر الاعراض عـــن مثـــل هـــذا ، والاقتصار على ادراك الغاية المرادة من ذلك القصص القرآنـــي . ألا وهي العبرة والعظة من مجمل تلك القصة . والله أعـــلم .

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ عما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصـة هاروت وماروت ، وما روى عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهمـــا : " اعلم ـ أكرمك اللـه ـ أن هذه الأخبار لم يرو منها شيء ، لا سقيم ولا صحيـــح عن رسول اللـه صلى الله عليه و سلم ، وليس هو شيئا يؤخذ بقياس ، والذي منـه في القرآن اختلف المفسرون في معناه ، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلـف . وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم ، كما نصه الله أول الآيات من افترائهـــم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه " .

انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٨٥٣/٢ ـ ٨٥٥

وقال ابن كثير أيضا بنحو هذا القول . انظر : تفسير ابن كثير ١٤٦/١

(٢) هذا العدد لم يتعرض له لفظ الآيـــة .

فاللـــه أعـــلم بـــه .

(٣) في ط " منـــه " .

الآيـــــة : ١٠٢

نور ساطع في السماء فتلك المعرفة ، ونزل [١] شيء أسود حتى دخل مسامعه يشبه الدخـــان ، وذلك غضب اللـــه . [٢]

وقوله تعالى عز وجل (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ) انما وحدها لأنها مصدر ، والمصـــــادر [٣] لا تثنى ولا تجمع ، مثل قوله : (وَعَلَى سَمْعِهِمْ) [٤].

وفي مصحف أبيّ " وما يعلم الملكان من أحـــد " . [٥]

وتعلم السحر لا يكون اثما ، كمن يقول لرجل : علمني ما الزنا ؟ وما السرقة ؟ فيقـــول : هوكذا وكذا ولكنه حرام ، فلا تفعله .

وهما كانا لا يصفان السحر لأحد حتى يقولا : انما نحن اختبار وابتلاء للناس فلا تكفـــــــر أيها المتعلم : أى لا تتعلم العمـــل به . [٦]

وعن عائشـــة [٧] رضي الله عنها قالت : قدمت على امرأة من أهل دومة الجنـــــــدل

---

(١) في م " وينزل " .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٤٦١/١ ، وتفسير ابن كثير ١٤٨/١

(٣) في م " والمصدر لا يثنى ولا يجمع " .

(٤) من الآية ٧ من سورة البقـرة (خـتم اللـه على قلوبهم وعلى سمعهم وعـــلى أبصـارهم غشـاوة ولهم عـذاب عظـيم) .

(٥) انظر : البحر ٣٣٠/١ ، والدر المصـون ٣٤/٢

(٦) في م " للعمـل بـه " .

(٧) هي أم المؤمنين ، عائشة بنت أبي بكر الصديق التيميـة ، تزوجها رسول الله صلـــى الله عليه وسلم قبل الهجرة بمكـــة وهي بنت ست سنين ، وقيل : سبع ، وبنى بهـا بالمدينـة وهي بنت تســع ، كانت أفقـه النساء ، وأحب أزواج رسول الله صـــلى الله عليه وسلم اليـــه ، ولم يتزوج بكراً غيرها ، روت عن النبي صلى الله عليـــه وسلم في كتب الحديث كلها ، وهي معدودة من أصحاب الألوف في رواية الحديث ، ماتت بالمدينة سنة ست وخمسين ، وقيل : سنة ثمان وخمسين ، ودفنـــــــت بالبقيـع ليـلاً ، وصلى عليها أبو هريـرة . فرضي الله عنها وعن أبيها .

انظر : الرياض المستطابـــة ص ٣١٠ ــ ٣١١

الآيـــة : ١٠٢

تبغي رسول اللـه صلى الله عليه وسلم بعد موتـه لتسأله عن شيء دخلت فيه من أمـر السحر ولم تعمل بـه ، فلما لم تجد رسول الله صلى الله عليه و سلم بكت حتى رحمتهـا .

وقالت : اني أخاف أن أكون قد هلكت ، كان لي / زوج فغاب عني ، فدخلت عليّ عجـوز (٣٣/أ) فشكوت ذلك اليها . فقالت : ان فعلت ما آمرك فأجعله يأتيك ، فلما كان الليل جاءتـني بكلبين أسودين ، فركبت أحدهما [١] وركبت الآخر ، فلم يكن كثيرا حتى وقفتا ببابـل ، فاذا برجلين معلقين بأرجلهما ، فقالا : ما جاء بك ؟ قلت : لتعلم السحر . فقالا : انمـا نحن فتنـة فلا تكفري وارجعـي ، فقلت : لا . قالا : فاذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه ، فذهبت ففزعـت [٢] ولم أفعل ، فجئت اليهما ، فقالا لي : فعلت ؟ قلت : نعم . قالا : هل رأيت شيئا ؟ قلت : لا . قالا : كذبت ، انك لم تفعلي ، ارجعي الى بلادك انما نحـن فتنة فلا تكفري . فأبيت . فقالا : اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه . فذهبت فاقشعر جلدي فرجعت اليهما فقلت : قد فعلت . قالا : هل رأيت شيئا ؟ قلت : لا . فقالا : كذبت لم تفعلـي ارجعي الى بلادك فلا تكفري . فأبيت ، فقالا : اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه . فذهبـت فبلت فيه ، فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب عني حتى لـم أره ، فجئتهما فقلت : قد فعلت . فقالا : ما رأيت : قلت : رأيت فارسا مقنعا بالحديـد خرج مني ، فذهب في السماء حتى غاب . قالا : صدقت ، ذاك ايمانك خرج منـك ، اذهبي . فلما رأيت أني لا أريـد شيئا الا كان سقط في يدي وندمـت . والله يا أم المؤمنـين ما فعلت شيئا قط ولا أفعله أبدا . [٣]

---

(١) في أ " احداهما " والتصويب من ط ، م .

(٢) في أ " ففوعت " والتصويب من ط ، م .

(٣) أخرجه الطبري ٤٦٠/١ ـ ٤٦١ ، وابن أبي حاتم ٣١٢/١ ـ ٣١٣ كما ذكره ابن كثير في تفسيره ١٤٦/١ ـ ١٤٧ نقلاً عن ابن جرير وابن أبي حاتم ، وقد م له قبل شروعه في ذكره بقوله : " وقد ورد أثر غريب وسياق عجيب في ذلك ، أحببنا أن ننبه عليه " . ثم ذكره ، وقال عقبه : هذا إسناد جيد إلى عائشـة رضي الله عنها .

كما عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤٦/١ للحاكم ، قال : وصححه اهـ .

وصحة الإسناد إلى عائشة رضي الله عنها لا يعني بالضرورة التسليم المطلق بقبول هذه القصة ، لاحتمال أن تكون المرأة التي حدثت عائشة كاذبة .

انظر بمعناه تعليق أحمد شاكر على تفسير الطبري ٤٤٢/٢

الآيـــــة : ١٠٢

قوله تعالى (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) :

قيل معناه : يعمل به السامع فيكفر بالعمل ، فتقع الفرقة بينه وبين زوجته بالـــــــردة اذا كانت مسلمـــة .

وقيل معناه : يسعى بينهما بالنميمـة والاغراء والافساد وتمويـه الباطل لكي يبغض كـــل واحـــد منهما صاحبـه فيفارقـه .(١)

قرأ الحسن " بين المـرّ " بالتشديد . وقرأ الزهرى بضم الميم والهمزة .

وقرأ الباقون بفتح الميم والهمزة .(٢)

(وَمَا هُم بِضَـــارِّينَ بِهِ) أى بالسحر (مِنْ أَحَدٍ) أى أحـــدا .

وقوله (إِلَّا بِإِذْ نِ اللَّـهِ) أى بعلمه وقضائـه ومشيئتـه .

قوله تعالى (وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ) أى يضرهم في الآخرة ولا ينفعهم فـــــي الدنيـــــا .

وقيل معناه : يضرهم ولا ينفعهم كلاهما في الآخرة ، لأن السحر كان ينفعهم في دنياهـــــم لأنهم يتكسبون بـــه .(٣)

---

(١) قال الطبرى : تفريقه بين المرء وزوجـه : تخييله بسحره إلى كل واحد منهمـــــا شخص الآخر على خلاف ما هو بـــه في حقيقته من حسن وجمال ، حتى يقبحـــــه عنـد ه ، فينصرف بوجهـه ويعرض عنـــه ، حتى يحدث الزوج لامرأتـه فراقـــاً ، فيكون الساحر مفرقاً بينهما بإحداثـه السبب الذى كان منـه فرقة ما بينهما ١٠ هـ . من تفســـير الطبرى ٤٦٣/١

(٢) التحقيق : أن ما نسبه للحسن هي قراءة الزهرى ، وما نسبه للزهرى هي قراءة ابـــن أبي اسحاق ، أما الحسن فقرأ " المر " مخففاً بغير همـز .

انظر : البحر ٣٣٢/١ ، ومختصر شواذ القراءات ص ٨ ، والمحتســـب ١٠١/١

(٣) بل يضرهم ولا ينفعهم في الدنيا والآخرة .

وما يتصور من نفعـه في الدنيـا فهو مؤقت زائل ، ثم يعـود على أصحابه بالضـــرر والخســـران في الدارين ، كما بينه الله تعالى .

الآيـــــة : ١٠٢

قولـه تعالى (وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ) أي علمت اليهود (لَمَنِ اشْتَرَاهُ)

أي لمن اختار السحر والكفر على الايمـــان ٠

(مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ) أي من نصيب ٠

وقال الحسن : من د ين ولا وجـــه عنـــد اللـــه ٠

وقال ابن عباس : من قـوام ٠ وقيل : من خـــلاص ٠ (١)

قال أميـــــة : (٢)

يد عـون بالويـل فيهـا لا خـلاق لهـم ٠٠ إلا السرابيل من قطـر وأغلال (٣)

أي : لا خـلاص لهم ٠ (٤)

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبرى ٤٦٥/١ ــ ٤٦٦ ، وتفسير ابن كثـير ١٤٨/١ والد ر المنثـــور ٢٥١/١

قلـــت : وكلها أقوال متقاربة المعـــنى ، ولا منافاة بينها ٠ واللـــه أعـــلم ٠

وإن كان الغالب في معنى " الخـلاق " هو الحظ والنصيب ٠

انظر : تفسير الطبرى ٤٦٦/١ ، و غريـب القرآن لابن قتيبـة ص ٥٩ ، ومعانـي القرآن للزجاج ١٨٦/١

(٢) هو أمية بن عبد الله بن أبي الصلت الثقفي ، شاعر جاهلي من أهل الطائف ، كـــان مطلعاً على الكتب القد يمـة ، راغباً عن شرب الخمر و عباد ة الأوثان ، وكان يخـــبر بأن نبياً يبعث قد أظل زمانه ، ويؤمل أن يكون هو ذ لك النبي ، فلما بلـغه خـــروج النبي صلى الله عليه و سلم كفر بـه حسداً له ، وكان عامة شعره عن ذكر الآخـــــرة وأحوالـها ، قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم : " آمن شعره وكفر قلبـــه " ٠

انظر : خزانة الأد ب ١١٩/١ ــ ١٢٠ ، والاعـــلام ٢٣/٢

(٣) انظر البيت في د يوانـــه ص ٦٠ ، وتفسير الطبرى ٤٦٦/١

(٤) الأليـق بمعنى البيـــت أن الخـلاق : بمعنى الحظ والنصيب ٠

الآيـــــة : ١٠٢ ، ١٠٣

قولـه تعالـى (وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ) أي باعـوا بـه أنفسهم ، حيث اختـاروا السحر والكفر على الدين والحـق .

وقيـل : لبئس ما باع المستعملون السحر بـه أنفسهم بعقوبـة الآخـرة .

وذهب جماعة الى أن قوله **(وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ)** عطف على **(وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ)** في معنى / النفي ، كأنه قال : لم ينزل على الملكين ولكن الشياطين هـاروت (٣٣/ب) وماروت وأتباعهما يعلمون (١) الناس السحر . (٢)

والغرض من هذه الآيـة : أن بهت (٣) اليهود وكذبهم حملهم على أخذ السحر من الشياطين ، وادعوا أنهم أخذوه من سليمان ، وأن ذلك اسم الله الأعظم ليكتسبوا بـه .

(١٠٣) قولـه تعالى (وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا) :

أي لو أن اليهود امنوا بمحمـد صلى الله عليه وسلم والقرآن ، واتقوا اليهودية والسحـر .

(لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ) أي لكان ثواب الله خيرا لهم من كسبهم بالكفر والسحر .

---

(١) في ط ، م " يعلمان " .

(٢) هذا الوجـه الثاني في معنى " ما " في قوله " وما أنزل على الملكين " . وبه قال بعض المفسرين ، واختاره القرطبي ، فقال : " وفي الكلام تقديم وتأخـير ، التقدير : وما كفر سليمان وما أنزل على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا يعلمـون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ، فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قولـه (ولكن الشياطين كفروا) هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل ، وأصح ما قيـل فيها ، ولا يلتفت الى سواه " . تفسير القرطبي ٢/٥٠

وقد تقدم بيان الوجـه الأول ، وهو أن " ما " في الآية بمعنى " الذي " .واختاره جلة من العلماء المحققـين .

(٣) في أ " تهب " والتصويب من ط ، م .

الآيـــة : ١٠٤

(١٠٤) قـولـه عـز وجـل (يَـٰٓأَيُّهَـا ٱلَّذِيـنَ ءَامَنُـواْ لَا تَقُـولُواْ رَاعِنَـا) :

وذ لك أن المسلمين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا يا رسول الله وأرعنا سمعك ، يعنون من المراعاة . وكانت هذ ه اللفظة شيئا قبيحا باليهود ية . قيل : كان معناها عند هم اسمع لا سمعت ، فلما سمعها اليهود اغتنموهـــا (١) ، وقالوا فيما بينهم : كنا نسب محمـــد ا سرا فأعلنوا له الآن بالشتم ، فكانوا يأتونـه ويقولون : راعنـا يا محمـــد ، ويضحكون فيما بينهم . فسمعها سعد بن معاذ (٢) رضي الله عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم ، فقال لليهود : عليكم لعنة اللـــه ، والذ ى نفسي بيد ه يا معشر اليهود لا ن سمعتها من رجل منكم يقولهـــا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقـــه .

قالوا : أو لستم تقولونها ؟ فأنزل الله هذ ه الآيـــة (٣) (يَـٰٓأَيُّهَـا ٱلَّذِيـنَ ءَامَنُـواْ لَا تَقُـولُواْ رَاعِنَـا) لكيلا تجد اليهود سبيلا الى سب رسول الله صلى اللـــه عليه وســـلم .

---

(١) في أ " أعتموها " والتصويب من ط ، م .

(٢) هو سعد بن معاذ بن النعمان الأنصارى الأشهلي ، سيد الأوس ، شهد بـــدرا ، ورمي بسهم يوم الخند ق ، فعاش بعد ذ لك شهرا حتى حكم في بني قريظـــة ، وأجيبت د عوتـه في ذ لك ، ثم انتقض جرحه فمات ، وذ لك سنة خمس ، قـال فيه النبي صلى الله عليه و سلم : " اهـتز العرش لموت سعد بن معاذ " .
انظر : الاصابـــة ٣٥/٢

(٣) انظـر : أسـباب نـزول القـرآن للواحـد ى ص ٣١ ، وتفســـير البغـوى ١٠٢/١ ، وتفســـير القرطبي ٥٧/٢
وفـي بعـض المصـادر " سعـد بـن عبـادة " بـدل " سعـد ابـن معـاذ " .

الآيـــــة : ١٠٤

وقيل معناها : يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا للنبي صلى الله عليه و سلم راعنا : أي اسمع الينا نسمع اليك .(١)

وقيل : ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه و سلم : اسمع الى كلامنا حتى نستمع الى كلامك . فنهى الله عنه ، اذ لا يجوز لأحد أن يخاطب أحدا من الأنبياء الا على وجه التوقير والاعظام .(٢)

قوله تعالى (**وَقُولُواْ انظُرْنَا**) يحتمل أن يكون من النظر الذي هو الرؤية ، ويحتمل أن يكون انتظرنا حتى تبين لنا(٣) ما تعلمنا .

وقال مجاهد : معناه فهمنا . وقال بعضهم : معناه : بين لنا .(٤)

وقوله تعالى (**وَاسْمَعُوا**) أي اسمعوا ما تؤمرون به . والمراد أطيعوا .

وقوله تعالى (**وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) تفسيره قد تقدم .(٥)

---

(١) روى هذا عن ابن عباس ومجاهد .
انظر : تفسير الطبري ٤٦٩/١

(٢) أي كانت اليهود تقول ذلك للنبي صلى الله عليه و سلم على وجه الاستهزاء والمسبة ، فنهى الله تعالى المؤمنين أن يقولوا كقولهم .
انظر : تفسير الطبري ٤٦٩/١ ، وابن كثير ١٥٣/١

(٣) في ط " نبين لك " .

(٤) انظر هذه الأقوال في : تفسير الطبري ٤٧٣/١ ، وتفسير البغوى ١٠٢/١ ـ ١٠٣ وتفسير القرطبي ٦٠/٢
وكلها متقاربة .
قال ابن جرير الطبري : " يعني بقوله جل ثناؤه (وقولوا انظرنا) : وقولوا يا أيها المؤمنون لنبيكم صلى الله عليه و سلم : انتظرنا وارقبنا ، نفهم ونتبين ما تقول لنا وتعلمنا " .
تفسير الطبري ٤٧٣/١

(٥) في ط عبارة " يعني اليهود " بدل قوله " تفسيره قد تقدم " .

الآيـــــة : ١٠٥ ، ١٠٦

(١٠٥) قوله تعالى (مَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ) :

أي ما يتمنى الذين كفروا من يهود المدينة ونصارى نجران ، ولا مشركي العرب عبدة الأوثان أن ينزل عليكم أيها المؤمنون من خير من ربكم ، من الوحي وشرائع الاسلام .

قوله تعالى (وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ) مجرور في اللفظ بالنسق على " من " مرفوع في المعنى بفعله ، كقوله تعالى (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ) [1] / . (٣٤/أ)

وقوله تعالى (مِنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ) أي خير . كما تقول : ما أتاني من أحد ، فـ " من " فيه وفي اخوانه صلة ، وهي كثيرة في القرآن . [2]

قوله تعالى (وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ) أي يختار برحمته للنبوة والاسلام من يشاء ، يختص بها محمدا صلى الله عليه وسلم . والاختصاص آكد من الخصوص ، لأن الاختصاص لنفسك ، والخصوص لغيرك .

(وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ) على من اختصه بالنبوة والاسلام .

(١٠٦) قوله عز وجل (مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا) [3] :

قيل : سبب نزول هذه الآية : أن اليهود كانوا يقولون حين حولت القبلة الى

---

(١) الأنعام ٣٨ ، وتمامها (إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) .

(٢) وبعضهم يسميها زائدة ، وهذا من جهة الاعراب .
أما من حيث المعنى فليست بزائدة ، بل هي لتأكيد استيعاب كل الأفراد ، إذ ليس في القرآن حرف زائد لا معنى له .

(٣) في ط ، م " أو ننسها " بغير همز .
وهما قراءتان متواترتان ، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو : بفتح النون والسين وهمزة ساكنة بين السين والهاء . وقرأ الباقون بضم النون وكسر السين من غير همزة .
انظر : النشر ٢/٢٢٠

الآيـــــة : ١٠٦

الكعبـــة : ان كان الأول حقا فقـد رجعتم ، وان كان الثاني حقا فقد كنتم على الباطل . (١)

وقيل : سببه أن اليهود كانوا ينكرون نسخ الشرائع ، ويقولون : ان النسخ سبب الندامة ، ولا يجوز ذلك على الله . (٢) فنزلت هذه الآية ردا عليهم ، وبين أنه يدبر الأمر كيـف يشـــاء .

ومعناه : ما نبدل من آية أو نتركها غير منسوخة نأت بخير من المنسوخة : أى أكثر فـــي الثـــواب . وقيل : ألين وأسهل على الناس . (٣)

(**أَوْ مِثْلِهَا**) في المصلحة والثواب .

قيل : ان قوله (**بِخَيْرٍ مِّنْهَا**) مثل الأمر بالقتال ، فرض الله في القتال أول ما فرض في (٤) الجهاد أن يكون كل مسلم بدل عشرة من الكفار ، وكان لا يحل له أن يفر من عشـــرة . كمـــا قال تعالى (**إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ**) (٥) ثم نسخ بقولـــــــه (**ٱلْـَٰٔـنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ**) الآيـة . (٦)

ولم يقل أحد ان بعض القرآن خير من بعض في التلاوة والنظم ، اذ جميعه معجـــز .

---

(١) انظر نحو هـذا في : تفسير القرطبي ٢/٦١ ، وزاد المسير ١/١٢٧

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٢/٦٣ ، وتفسير ابن كثـير ١/١٥٦

(٣) وكلا القولين تحتمله الآيـة . والله أعلم .

(٤) لفظة " في " ساقطة من ط ، ولعله أولى من اثباتها .

(٥) الأنفـــال ٦٥

(٦) الأنفـــال ٦٦ (**ٱلْـَٰٔـنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُـــواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ**) .

وانظـــر : نواسـخ القـــرآن لابـن الجـــوزى ص ٣٥٠ ، وتفســـــــــــــير ابن كثـــير ٢ / ٣٣٧

الآيـــة : ١٠٦

وأما قولـه تعالى (**أَوْ مِثْلِهَـا**) فهو مثل آية القبلة ، جعل الله ثواب الصلاة الى الكعبة بعد النسخ مثل ثواب الصلاة الى بيت المقدس قبل النسخ .

وروى أن المشركين قالوا : ألا ترون الى محمـــد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنـــه ويأمرهم بخلافـــه ، ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ، ما هذا القرآن الا كلام محمـــد يقوله من تلقاء نفسه ، وهو كلام يناقض بعضه بعضا . فأنزل الله تعالى (**وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَـةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّـهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**) .(١)

وأنزل أيضا (**مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَـا**) .(٢)

قولـه تعالى (مَا نَنْسَـخْ) قرأ ابن عامر(٣) " نُسخ " بضم النون وكسر السـين . ومعناه على هذه القراءة : نجعله نسخة ، من قولك : نسخت الكتاب ، اذا كتبتـه . وقرأ الباقون " نَسَخ " بفتح النون والسين .(٤)

وقولـه (**أو ننسـأها**) قرأ سعيد بن المسيب ، وشيبـة ، ونافع ، وابن عامـر ،

---

(١) النحـــل ١٠١

وانظر : أسباب نزول القرآن للواحـدى ص ٢٨٧ ، وتفسير البغوى ٨٤/٣

(٢) انظر : أسباب نزول القرآن للواحدى ص ٣٢ ، وتفسير البغـوى ١٠٣/١ وتفسـير القرطبي ٦١/٢

(٣) هو عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي ، أبو عمران ، امام أهل الشام في القـراءة ، والذى انتهت إليه مشيخة الإقراء بها ، سمع من جماعة من الصحابة ، منهم معاوية ابن أبي سفيان ، والنعمان بن بشير . توفي بدمشق سنة ١١٨ هـ .

انظر : غاية النهايـة ٤٢٣/١ ـ ٤٢٥

(٤) انظـر : النشـــر ٢١٩/٢ ـ ٢٢٠

الآيـــة : ١٠٦

وعاصـم ، وحمـزة ، والكسائي (أو ننسِها) بضم النون وكسر السين .(١)

ومعناه : نأمره بتركهـا .(٢) وقرأ أبيّ بن كعب " أو ننسك " .(٣)

وقرأ عبد الله " ما ننسك من آيـة أو ننسخها " .(٤)

وقـرأ / سالم مولى أبي(٥) حذيفـة " أو ننسكها " .(٦) (٣٤/ب)

وقرأ أبو حاتم " أو ننسّها " بالتشـــديـد .(٧)

وقرأ الضحاك " أو تُـنسَها " بضم التاء وفتح السين .(٨)

---

(١) انظر : النشر ٢/٢٢٠ . وانظر نسبتها لابن المسيب و شيبة في تفسير الثعلبي ١/١٠٧ والذ ى في البحـــر ١/٣٤٣ ، والمحتسـب ١/١٠٣ : أن قراءة سعيد " تنسهـا " بضم التاء وفتح السين .

(٢) قال في اللســان ١٥/٣٢٢ : " يقال : أنسيتـه أى أمرت بتركـه ، ونسيتـــه تركتـــه " .

(٣) انظر : البحـر ١/ ٣٤٣

(٤) انظـر : المحتســب ١/١٠٣

(٥) في أ " أبي بن حذيفة " بزيادة لفظ (ابن " والتصويب من ط ، م .
وهو سالم مولى أبي حذيفـة بن عتبة بن ربيعة ، أبو عبد الله الصحابي الكبير ، وأحـد السابقين الأولين ، روى البخارى ومسلم و غيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العـــاص يرفعـه " خذ وا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفـــة ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل " . استشهد يوم اليمامـة في ربيـــع الأ و ل سنة اثنـتي عشـرة رضي الله عنـه .
انظر : الاصابـة ٢/٦ ــ ٧ ، و غايـة النهايـة ١/٣٠١

(٦) انظر : البحـــــر ١/٣٤٣

(٧) لم أقف على نسبة هذ ه القراءة لأبي حاتم ، وانما نسبوها لأبي رجاء .
انظر : المحتســب ١/١٠٣ ، ومختصـر شواذ القـــراءات ص ٩
والبحـــــر ١/٣٤٣

(٨) انظر : المحتسب ١/١٠٣

الآيـــة : ١٠٦

وقـرأ سعـد بن أبي وقاص [١] " أو تَنساها " بتاء مفتوحة . [٢]

وعن القاسم بن ربيعة [٣] قال : سمعت سعد بن أبي وقاص يقرأ " أو تنسها " فقلت لـه : ان سعيد بن المسيب يقرأ " أو ننسها " . فقال : ان القرآن لم ينزل على آل المسيب ، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ) [٤] ، (وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) . [٥]

وقرأ عمر بن الخطاب ، وابن عباس ، وعطاء ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، والنخعي " أو ننسأها " بفتح النون الأولى وفتح السين وبعد ها همزة مهموزة . [٦]

---

(١) هو سعد بن أبي وقاص ، أبو اسحاق القرشي الزهرى المكي ، كان من المهاجرين الأولين ، وشهد بدرا وما بعد ها ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد السبعة السابقين بالاسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وكان يحرس النبي صلى الله عليه و سلم في مغازيه ، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأول من أراق دما في سبيل الله . وكانت وفاته سنة ثمان ، أو خمس وخمسين .
انظر : الرياض المستطابة ص ٩١ ــ ٩٤

(٢) انظر : المحتسب ١٠٣/١

(٣) هو القاسم بن عبد الله بن ربيعةالثقفي ، وربما نسب الى جده ، مقبول ، من الثالثة . انظر : التقريب ص ٤٥٠

(٤) الأعلى ٦

(٥) الكهف ٢٤
وقول سعد المذكور أخرجه الطبرى في تفسيره ٤٧٦/١ ، والحاكم في المستدرك ٢٤٢/٢ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وسكت عنه الذهبي .
وفيه " أو ننساها " بدل " أو تنسها " .

(٦) انظر : النشر ٢٢٠/٢ ، والبحر ٣٤٣/١

الآيـــة : ١٠٨ ، ١٠٩

وقولـه (رَسُـولَكُمْ) يعني محمـــــد ا صلى الله عليـه وسـلم .

قولـه تعالى / (وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْـرَ بِٱلْإِيمَـٰـنِ) أي من يختر [١] الكفر على الايمـــان (٣٥ / أ)

ويستبدله بـه (فَقَـدْ ضَلَّ سَـوَآءَ ٱلسَّبِيلِ) أي أخطأ قصـد الطريق .

(١٠٩) قولـه عـز وجـل (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْـلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَـوْ يَرُدُّ وَنَكُـم مِّنۢ بَعْـدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّـارًا حَسَـدًا) :

نزلت في نفر من اليهود قالوا لحذيفـة بن اليمان [٢] ، وعمار بن ياســـر [٣]

بعد وقعة أحـــد [٤] : ألم تروا ما أصابكم ، ولو كنتم على الحق ما هزمـــتم ،

فارجعوا الى دينـنا فهو خير لكم وأفضل ، ونحن أهدى منكم سبيلا .

فقال لهم عمار : كيف نقض العهد فيكم ؟ قالوا : شـديـد .

قال : فانـي عهـدت أن لا أكفر بمحمـــد صلى الله عليه وسلم ما عشـت .

---

(١) في م " يختـار " .

(٢) هو حذيفـة بن اليمان العبسي ، من كبار الصحابة ، شهد أحـدًا والخنـــدق وما بعدها ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير ، استعمله عمر عـــلى المدائن ، فلم يزل بها حتى مات بعد قتل عثمان وبعد بيعة علي ، سنة ســت وثلاثـــين . انظر : الاصابـــة ٣١٦/١ ــ ٣١٧

(٣) هو عمار بن ياسر بن عامر العنسي ، أبو اليقظان ، القحطاني نسبا ، المخزومـــي حلفا وولاء ، المكي ثم المدني ثم الشامي الدمشقي ، كان أبوه وأمـه سميـــــة واخوتـــه من السابقـــين الأولـين المعذبـين في اللـــه أشـــد العـــذاب ، وكانـــت أمـــه سميـــة أول شهيـــدة في الاســـلام .

شهـد عمار جميع المشاهـــد مع رسـول اللـــه صلى اللـــه عليه وسلم . قتـــل بصفـــين سنة سبع وثلاثـــين .

انظر : الرياض المستطابـــة ص ٢١١ ــ ٢١٢

(٤) وكانت في شوال سنة ثلاث من الهجرة .

الآيـــة : ١٠٩

فقالت اليهود : أما هـذا فقـد صبأ .(١)

وقال حذيفة : وأما أنا فقد رضيت بالله [ربـا](٢) وبمحمـــد نبيا ، وبالاسلام دينـــا ، وبالقرآن اماما ، وبالكعبـة قبـلة ، وبالمؤمنين اخوانا . ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه بذلك . فقال : " أصبتما الخـير وأفلحتما " ، فأنزل(٣) الله تعالـــى (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ) يا معشر المؤمنين (مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا) . نصب " كفارا " بالرد .(٤) وقيـل : بالحال .(٥)

---

(١) صبأ : أي خرج من دين الى دين ، وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي صلى الله عليه و سلم : قد صبأ فلان ، أي خرج من ديننا إلى دين محمد صلى الله عليه و سلم .

انظر : غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٢ ، واللسان ١٠٧/١ مادة (صبأ) .

(٢) ما بين المعقوفتين من م .

(٣) انظر : تفسير البغوى ١٠٥/١ ، والكشاف ١٧٦/١ ، وتفسير الفخر الرازى ٢٥٦/٣ ـ ٢٥٧

وقال الحافظ ابن حجر في تخريجه لأحاديث الكشاف : لم أجده مسنداً .

انظر : الكشاف ١٧٦/١ هامش (١)

وأخرج الواحدى في أسباب النزول ص ٣٢ ـ ٣٣ عن كعب بن مالك ، عن أبيه أنها نزلت في كعب بن الأشرف والمشركين واليهود من أهل المدينة ، حيث كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وانظر : الدر المنثور ٢٦١/١

(٤) قوله " بالرد " أي منصوب على أنه مفعول ثان للفعل (يرد) .

انظر : الدر المصون ٦٧/٢ ، ومشكل اعراب القرآن ١٠٨/١

(٥) انظر : التبيان ١٠٤/١ ، ومشكل اعراب القرآن ١٠٨/١

الآيـــة : ١٠٩

وقولـه تـعالى (حَسَـــدًا) أى حســـدا لكم لتشريف الله اياكم عليهم بوضع النبوة فيكـــم بعد ما كانت في بني اسرائيل .

وانتصب " حســـدا " على المصدر : أى يحسد ونكم حسدا .

وقيل : بنزع الخافض ، تقديره : للحســـد . (١)

قولـه تعـالى (مِنْ عِنـدِ أَنفُسِهِـمْ) راجع الى **(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَـــابِ)** لا الى قولـه **(حسـدًا)** لأن حسد الانسان لا يكون الا من قبـله . (٢)

فكأن الله تعالى بـين أن مودتهم ردكم الى الكفـــر ، لا لأن دينهم يأمرهم بذلـك ، ولكن ذلك من عنـــد أنفسهم **(مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ)** في التوراة وسائـــر الكتـــب أن محمـــــدا صلى الله عليه وسلم صدق ، وأن دينه حـق .

وقيل : معنى **(مِنْ عِنـــدِ أَنفُسِهِمْ)** أى لم يأمرهم اللـــه بذلك .

قوله تعالى (فَاعْفُـوا وَاصْفَحُـوا حَـتَّى يَأْتِيَ اللَّـهُ بِأَمْرِهِ) أى اتركوهم وأعرضوا عنهم حـتى يأتي الله بأمره : أى حتى يأذن الله لكم في مقاتلتهم وسبيهم وينصركم عليهم . وقد جـاء الله تعالى بأمره حين استقرت آيات النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ولم يؤمنـــوا ، أمر الله النبي بقتالهم بقوله : **(قَاتِلُوا الَّذِيـنَ لَا يُـؤْمِنُـونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَـوْمِ الْآخِرِ)** الآيـة

---

(١) انظر : مشكل اعراب القرآن ١٠٨/١ ، والتبيان ١٠٤/١ ، والبحر المحيط ٣٤٨/١ والدر المصون ٦٧/٢

واختار أبو حيان والسمين الحلبي أن يكون انتصابه على أنه مفعول من أجـــله ، والعامل فيـه " ودّ " : أى الحامل لهم على ودادة ردكم كفاراً هو الحسد .

(٢) لعل صواب العبارة " لأن حسد الانسان لا يكون من قبله " .

كما هو في معاني القرآن للزجـــاج ١٩٣/١

قلـت : والذى عليه أكثر المعربين جواز تعلق ذلك بقوله " حسـداً " .

انظر : مشكل اعراب القرآن ١٠٨/١ ، والتبيـان ١٠٥/١ ، والـــدر المصـــون ٦٧/٢ ـ ٦٨

الآيـــــة : ١٠٩ ، ١١٠

الى قولـــه (**وَهُمْ صَـــٰغِرُونَ**)[١] وغير ذلك من الآيات .[٢]

فقتلوا بني قريظـــة ، وأجلوا بني النضـــير .

وقيل معناه : حتى يأتي الله بأمره من قيام الساعة ويجازيهم بأعمالهم .[٣]

(١١٠) قولـه تعالى (وَأَقِيمُـوا۟ ٱلصَّـــلَوٰةَ وَءَاتُـوا۟ ٱلزَّكَـــوٰةَ)

لما أمر الله تعالى بالصفح عن اليهود ، علم أن ذلك يشق على المسلمين ، فأمرهم الله بالاستعانة على ذلك بالصلاة والزكاة ، كما قال تعالى (**وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّـــبْرِ وَٱلصَّـــلَوٰةِ**) .[٤]

---

(١) التوبـــة ٢٩ ، وتمامها (وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُـوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَـةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ) .

(٢) مثل قوله تعالى (فَٱقْتُـلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) ـ التوبـــة ٥

والمؤلف يشير بهذا الى أن الأمر بالعفو والصفح منسوخ بآية القتال ، وهذا قـــول كثير من السلف .

انظر : تفسير الطبرى ٤٨٩/١ ـ ٤٩٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٣٣/١ ـ ٣٣٥ وتفسير ابن كثير ١٥٨/١

ورجح ابن الجوزى عدم نسخها ، وذكر أنه قول جماعة من المفسرين والفقهاء ، قال : " لأنه لم يأمر بالعفـــو مطلقا ، وإنما أمر به إلى غاية ، وبين الغاية بقولـــه (حتى يأتي اللـــه بأمره) وما بعد الغاية يكون حكمه مخالفاً لما قبلها ، وما هذا سبيله لا يكون أحـــد هما ناسخاً للآخر ، بل يكون الأول قد انقضت مدته بغايته ، والآخر محتاجاً إلى حكم آخـــر " .

انظر : نواسخ القرآن لابن الجوزى ص ١٣٧ ، وزاد المسير ١٣٢/١

(٣) روى نحـــو هـــذا عـــن الحســـن .

انظر : نواســخ القــرآن لابــن الجــوزى ص ١٣٨ ، والبحـــــــــر المحيـــط ٣٤٩/١

(٤) البقـرة ٤٥ وتمامها (وإنها لكبـــيرة إلا على الخـٰشعـين) .

الآيـــة : ١١٠

قولـه تـعالى (وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ)

يـعني من طاعـة و عمـل صالح تجـد وا ثوابـه ونفعـه عند الله .

وقيل : أراد بالخير / المال [١] ، كقوله تـعالى (إِن تَرَكَ خَيْرًا) [٢] . (٣٥/ب)

ومعناه : وما تقد موا لأنفسكم من زكاة وصد قة التمرة واللقمة تجد وه عند الله مثل أحد . [٣]

وفي الحديث " اذا مات العبد قالت [٤] الناس : ما خلف . وقالت الملائكة : ما قد م " . [٥]

روى أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه د خل المقابر فقال : السلام عليكم يا أهل القبـور ، أموالكم قسمت ، ود وركم سكنت ، ونساؤكم نكحت ، فهذا خبر ما عند نا ، فما خـبر [٦] ما عندكم ؟ . فهتف به هاتف : وعليكم السلام ، ما أكلنا ربحنا وما قد منا وجد نـا وما خلفنـا خسرنا . [٧]

---

(١) وهذا د اخل تحت ما ذكـره من التفسير السابق ، لأن المال إذا أنفـق في طاعـة الله تـعالى كان من أعظـم القربـات والأعمال الصالحـة عند الله .

(٢) من الآيـة ١٨٠ من سورة البقـرة (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) .

(٣) هذا التحديد لا د ليل عليـه ، ولا مجال للرأى فيـه ، فتركـه أولى .

(٤) في م " قال الناس " .

(٥) لم أجـد ه مسـنداً . وقد ذكره القرطبي في تفسيره ٧٣/٢
والألباني في ضعيف الجامع الصغير ٢٣٣/١

(٦) في ط " فأخبروا " .

(٧) انظـر : تفسـير الثعلبي ١١٠/١
وفي تفسـير القرطـبي ٧٣/٢ أن القائـل هو عمر بـن الخطـاب رضي اللـه عنـه .

الآيـــة : ١١١، ١١٢

(١١١) قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ﴾ :

قال الفراء : أراد يهوداً ، فحذفت الياء الزائدة .(١)

وقال الأخفش : الهود جمع هائد ، مثل : عائذ وعوذ ، وحائل وحول .(٢)

وفي مصحف أبي " إلا من كان يهودياً أو نصرانياً " .(٣)

ومعنى الآية : قالت اليهود : لن يدخل الجنة الا من كان يهودياً ، ولا دين إلا اليهودية .

وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ، ولا دين إلا النصرانية .

فأنزل الله تعالى ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ يجوز أن يكون " تلك " كناية عن الجنة .

ويجوز أن يكون عن المقالة .(٤) و ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ : أباطيلهم بلغة قريش .

وقيل : شهواتهم التي تمنوها على الله بغير الحق .(٥)

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي حجتكم على ذلك من التوراة والانجيل ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

(١١٢) ثم قال الله تعالى رداً عليهم وتكذيباً لهم : ﴿بَلَىٰ﴾ أي ليس كما قالوا ، بل يدخل الجنة ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي من أخلص دينه لله .

---

(١) انظر : معاني القرآن ٧٣/١

(٢) انظر : معاني القرآن ٣٣١/١

(٣) انظر : البحر ٣٥٠/١

(٤) قلت : وهذا الأخير هو الموافق لظاهر الآية وسياقها ، أما الأول فهو بعيد .

انظر : تفسير ابن كثير ١٥٩/١

(٥) قلت : لا منافاة بين القولين ، بل معناهما واحد .

انظر : تفسير الطبري ٤٩٢/١

الآيـــة : ١١٢ ، ١١٣

وقيل : من فوض أمره الى اللـه . وقيل : من خضع وتواضع للـه .[١]

وأصل الاسلام : الاستسلام ، وهو الخضوع والانقيـاد .

وانما خص الوجه لأنه اذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحـه .

وقولـه تعالى (وَهُـوَ مُحْسِـنٌ) أي محسن في عمله[٢] . وقيل معناه : وهو مؤمن مخلص .[٣]

(فَلَـهُ أَجْـرُهُ عِنـدَ رَبِّـهِ وَلَا خَـوْفٌ عَلَيْهِـمْ) أي فيما يستقبلهم من أهوال يوم القيامـة

(وَلَا هُـمْ يَحْزَنُـونَ) على ما خلفوا في الدنيا ، لأنهم يتيقنون بثوابهم عند الله .[٤]

(١١٣) قولـه تعالى (وَقَـالَتِ ٱلْيَهُـودُ لَيْسَـتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَـلَى شَـيْءٍ وَقَـالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُـودُ عَلَى شَـيْءٍ) :

قال ابن عباس : صدق كل واحـد من الفريقين ، ولو حلف[٥] على ذلك ما حنث وليس أحد من الفريقين على شيء .[٦]

قوله تعالى (وَهُـمْ يَتْلُـونَ ٱلْكِتَـٰبَ) أي وكلا الفريقين يقرأون كتاب اللـه ، ولو رجعوا الى ما معهم من الكتاب لما اختلفـوا .

---

(١) قلـت : كل ذلك مراد ، ومدلوله واحـد ، وهي أمور متلازمـة لا انفصال بينها ولا يتحقق إيمان المرء إلا بها .

(٢) في أ " في علمـه " والتصويب من ط ، م .

(٣) لا منافاة بين القولـين ، بل هما متلازمـان ، إذ الإحسان في العمل لله تعالـى لا يكون إلا من مؤمـن مخلص .

(٤) قلـت : هذا المعني محتمـل ، ولكن الأولى حمل الآيـة على نفي الحزن عنهـم في الـدار الآخـرة ، إذ هم مقبـلون على أهوال يوم القيامـة وأحزانـه .

(٥) في م كلمـة " أحـد " بعد قولـه " ولو حلف " .

(٦) لم أقف على هـذا القـول .

الآيـــة : ١١٣

قولـه تعالى (كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ) : أي الذين ليســـوا بأهل كتاب نحو المجوس ومشركي العرب يقولون أيضا : لن يد خل الجنة الا من كـــان على د يننـــا .

وقيل : أراد بالذ ين لا يعلمون آباءهـم الذ ين مضـوا .(١)

وقال مقاتل : هم مشركو العرب ، قالوا في محمـــد صلى الله عليه و سلم وأصحابـه : ليسوا على شيء / من الد يـــن .(٢) (٣٦ / أ)

وقال ابن جريج (٣) : قلت لعطاء : كيف قال الذ ين لا يعلمون ، من هم ؟

قال : أمم كانت قبل اليهود والنصارى ، مثل قوم نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيـب و نحوهـم ، قالوا في أنبيائهم ليسوا على شيء وأن الد ين د يننـا .(٤)

قولـه تعالى (فَٱللَّـهُ يَحْـكُمُ بَيْنَهُمْ يَـوْمَ ٱلْقِيَـٰمَـةِ) أي يقضي بين اليهود والنصـــارى والمشركين يوم القيامـة : أي يريهم مـن يد خل الجنة عيانا ومن يد خل النار عيانا .

قولـه تعالى (فِيمَا كَانُـوا۟ فِيـهِ يَخْتَلِفُـونَ) يعني من الد يـــن .

---

(١) انظر : تفسير البغـوى ١٠٦/١

(٢) انظر : المصـد ر السابق ، وفي أكثر المصاد ر جاءت روايـة هذ ا القول عن السـيـد ى ، وليس مقاتـــــلاً .

انظر : تفسير الطـبرى ٤٩٦/١ ـ ٤٩٧ ، وابن أبي حاتـم ٣٤٠/١

وزاد المسير ١٣٣/١ ، وتفسير ابن كثـير ١٦٠/١

(٣) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريـج الأمـوى مولاهم المكـي ، ثقة فقيه فاضل ، كان يد لس ويرسل ، من السادسـة . مات سنة مائة وخمسين أو بعد ها .

انظر : التقريب ص ٣٦٣

(٤) انظر : تفسير الطبرى ٤٩٦/١ ، وزاد المسير ١٣٣/١

واختار الطبرى وابن كثـير حمل ذ لك على العمـوم .

انظر : تفسير الطبرى ٤٩٧/١ ، وابن كثير ١٦٠/١

الآيـــــة : ١١٤

(١١٤) قولـه تعالى (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) :

نزلت هذه الآية في ططوس بن استيبنيانوس[١] الرومي وأصحابه ، وذلك أنهم غزوا بني اسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم ، وحرقوا التوراة ، وخربوا بيت المقدس وألقوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير[٢] ، وكان خرابا الى أن بناه المسلمون في أيام عمر رضي الله عنه ، ولم يدخل بيت المقدس [بعد][٣] عمارتها رومي الا خائفا مستخفيا لو علم به لقتل .[٤]

وقال قتادة والسدى : نزلت في بخت نصر[٥] وأصحابه ، غزوا اليهود وخربوا بيت المقدس ، وأعانهم على ذلك ططوس الرومي وأصحابه النصارى[٦] من أهل الروم ، وذلك لبغضهم اليهود .[٧]

---

(١) في ط " استيبسيانوس " وفي م " استينسيانوس " .

(٢) انظر : أسباب نزول القرآن ص ٣٣ ، وتفسير البغوى ١٠٧/١

(٣) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٤) قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى (أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ) هذا خبر معناه الطلب ، أى لا تمكنوا هؤلاء إذا قدرتم عليهم من دخولها إلا تحت الهدنة والجزية . تفسير ابن كثير ١٦١/١

وقيل : ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وغيرهم .

وقيل : هذا بشارة من الله للمسلمين أنه سيظهرهم على المسجد الحرام وسائر المساجد .

(٥) في أ ، م " بخت النصر " ، والتصويب من ط ، وكذلك هو في المصادر .

(٦) في ط " والنصارى " .

(٧) انظر : أسباب نزول القرآن للواحدى ص ٣٤ ، وتفسير الطبرى ٤٩٨/١ والبغوى ١٠٧/١ ، وابن كثير ١٦١/١

الآيـــة : ١١٤

الا أن هـــذا يشبه الغلط ، والأول أظهر ، لانـــه لا خلاف أن بخت نصر قبل مولد عيســـــى بد هـــر طويـــل ، والنصارى انما ينتمون الى عيسى عليه السلام ، فكيف يكونـــون مـــع بخـــت نصـــر [١] .

ومعنى الآيـــة : (وَمَـنْ أَظْـلَمُ) أى ومن أكفـــر وأعـــتى ممن منع مساجد اللـــه : يعني بيت المقـــدس ومحاريبـــه . [٢]

وقولـــه (أَن يُذْكَـرَ) موضع " أن " نصب على أنه مفعول ثان ، لأن المنع يتعد ى الـــى مفعولـــين . وان شئت جعلته نصبا بنزع الخافض : أى بأن يذكـــر . [٣]

وقولـــه (وَسَعَـىٰ فِـي خَرَابِهَـا أُوْلَئِـكَ مَـاكَـانَ لَـهُـمْ أَن يَدْ خُلُوهَـا إِلَّا خَـآئِفِـيـنَ) :

وقال قتاد ة ومقاتـــل : لم يد خـل بيت المقد س أحـــد من النصارى الا متنكرا مسارقـــــة ، لو قـــد ر عليه عوقب ونهك ضربـــا . [٤]

قال السد ى : أخيفـــوا [٥] بالجزيـــــة .

وقال أهل المعاني : هـذا خبر فيـــه معنى الأمـــر ، يقول : أجهضوهم [٦] بالجهاد لئـــــلا يد خلها أحـــد منهم الا خائفا من القتل والسبي . [٧]

---

(١) انظر نحـو هـــذا في : أحـكام القرآن للجصاص ٧٥/١ ، والبد اية والنهاية لابـــــن كثـــير ٣١/٢ ـ ٣٥

(٢) هذا التخصيص على اعتبار أن الآيـــة في شأن النصارى ، وظاهر الآيـــة العموم في كـــل مانع وكل مسجـــد .

(٣) انظر : البحر المحيط ٣٥٨/١ ، والد ر المصون ٧٨/٢

وذكروا فيه أيضا وجهين آخريـــن :

أحد هما : أنه مفعول من أجـــله : أى كراهة أن يذكـر .

والثاني : أنه بد ل اشتمال من "مساجد" : أى منع ذكر اسمه فيها .

(٤) انظر : تفسير الطبرى ٥٠٠/١ ، والبغوى ١٠٧/١ ، وابن كثير ١٦٢/١

(٥) في أ " اختفـــوا " والتصويب من ط . وانظر : المصاد ر السابقة .

(٦) أى اقهروهم وأجهد وهـــم .

(٧) انظر : تفسير البغوى ١٠٧/١ ، وزاد المســـير ١٣٤/١ ، والقرطبي ٧٩/٢

الآيـــــة : ١١٤

قولـــه تعالـــى (لَهُـمْ فِـي الدُّنْيَـا خِـزْيٌ) أى عـــذاب وهوان ، وهو القتل والســـــبي ان كانوا حربـــا ، والجزيـــة ان لم يكونـــوا [١] حربـــا .

قولـــه تعالى (وَلَهُـمْ فِي الْآخِـرَةِ عَـذَابٌ عَظِـيمٌ) وهو النـــار .

قال عطاء : نزلت هـــذه الآيـة في مشركي مكـة .

وأراد بالمساجـــد المسجد الحرام ، منعوا النبي صلى الله عليه و سلم والمسلمين عن ذكـــر الله فيـــه وصد وهم عنه عام الحد يبيـــة .[٢]

فعلى هـــذا سعيهم في خرابها هو المنع عن ذكر الله فيها ، لأن عمارة المساجد باقامـــــة العبادات فيهـــــا .

(أُوْلَـئِـكَ مَـا كَـانَ لَـهُـمْ أَن يَدْخُـلُـوهَـا إِلَّا خَـآئِفِـيـنَ) يعني أهل مكـــة .

---

(١) في أ " تكونوا " بالتاء ، والتصويب من م .

(٢) الحد يبيـــة : قريـــة قرب مكـــة ، سميت باسم بئر هناك ، عند مسجد الشجرة الـــتي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها .

وتعرف اليوم بالشميسي ، على بعد ٢٥ كم تقريبا من مكـــة .

وانظر : معجم البلدان ٢٢٩/٢

و عام الحد يبية هو العام الذى خرج فيه النبي صلى الله عليه وسلم بمن معـــه مـــن المهاجريـــن والأنصـــار ومن لحق بـــه من العرب ، وساق معـــه الهدى وأحـــــرم بالعمرة ، ليأمن النـــاس من حربـــه ، وليعلم الناس أنـــه إنما خرج زائـــراً لهـــذا البيـــت ومعظماً لـــه . فصـــده المشركون عن ذلك ، و عاد النبي صلى اللـــــه عليـــه وســـلم دون أن يدخـــل مكـــة ، على أثر صلح جرى بينهم عـــــرف بصـــلح الحد يبيـــة ، وذلك آخر ســـنة ست للهجـرة .

انظر : السيرة النبوية لابن هشام ٢٥٥/٣ وما بعدها .

وانظر القول المذكور عن عطـاء في : أسباب نزول القرآن للواحـــــدى ص ٣٤ ، وتفســـير البغـــوى ١٠٧/١

الآيـــة : ١١٤

يقـول اللـه : أفتحها عليكم حتى تدخلوهـا / . وتكونوا أولى بها [منهـم](١) ففتحهـا (٣٦/ب)
الله عليهم ، وأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم مناد يا ينادى : " ألا لا يحجن بعـد
هـذا العام مشرك ولا يطوفن(٢) بالبيت عريان "(٣) ، فمنعوا منها ، فهذا خوفهم .
(لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ) أى ذل وقتل ونفي (وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .
وقيل : المراد بالآيـة جميع الكفار الذين منعوا المسلمين من المساجـد .(٤)
وكل موضـع يتعبـد فيـه فهو مسجـد .
قال عليه السلام : " جعلت لي الأرض مسجدا [وطهـورا](٥) " .
فعلى هذا تقديره : ومن أظلم ممن خالف ملة الاسـلام .

---

(١) ما بين المعقوفتـين من ط ، م .

(٢) في ط " ولا يطوف " وهو الأشهر كما في الصحيحين .
وجاء في بعض روايات البخارى " ولا يطوفن " كما هو مثبت .

(٣) متفـق عليـه من حديث أبي هريرة .
انظر : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٧٦/٢ كتاب الحج : بـاب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

(٤) ذكره القرطـبي ٧٧/٢ ثم قال : وهو الصحيح ، لأن اللفظ عام ورد بصيغـة الجمـع ، فتخصيصها ببعض المساجـد وبعض الأشخاص ضعيف .
واختاره أبو حيان في البحـر ٣٥٧/١

(٥) ما بين المعقوفتـين من ط ، كما هي أيضا من تمام الحديث .
والحديث متفق عليـه ، من رواية جابـر بن عبد اللـه .
انظر : اللـؤلـؤ والمرجـان فيما اتفق عليه الشيخان ١٠٤/١ كتاب المساجـد ومواضع الصلاة ، رقم الحديث ٢٩٩

الآيـــة : ١١٤ ، ١١٥

(أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ) أي يظهر [١] الاسلام على جميع الأديان . ولا يدخل الكفار المساجد الا خائفين بعد أن كانوا [٢] لا يتركون المسلمين أن يدخلوا مساجدهم .

(١١٥) قوله عز وجل (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) :

قيل معناه : لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله أن تذكروه حيث كنتم من أرضه . [٣]

وقال ابن عباس : نزلت هذه الآية في نفر من الصحابة رضي الله عنهم في سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة ، فأصابهم الضباب ، وحضرت الصلاة فتحروا القبلة فصلوا ، فمنهم من صلى قبل المشرق ، ومنهم من صلى قبل المغرب ، فلما ذهب الضباب استنار لهم أنهم لم يصيبوا ، فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فنزلت هذه الآية . [٤]

وقال عبد الله بن عامر [٥] [عن أبيه [٦]] : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة ، فنزلنا منزلا ، فجعل الرجل يأخذ الأحجار فيعمل

---

(١) في ط " أي يظهر الله الاسلام " .

(٢) في ط " بعد ما كانوا " .

(٣) وقال ابن كثير : هذا ـ والله أعلم ـ فيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين أخرجوا من مكة وفارقوا مسجدهم ومصلاهم ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة الى بيت المقدس والكعبة بين يديه ، فلما قدم المدينة وجه الى بيت المقدس ستة عشر شهرا ، ثم صرفه الله الى الكعبة بعد .
تفسير ابن كثير ١٦٢/١

(٤) أخرجه ابن مردويه ـ فيما ذكره ابن كثير والسيوطي ـ وضعفا اسناده .
انظر : تفسير ابن كثير ١٦٤/١ ، والدر المنثور ٢٦٧/١

(٥) هو عبد الله بن عامر بن ربيعة العنزي ، حليف بني عدي ، أبو محمد المدني ، ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولأبيه صحبة مشهورة ، وثقه العجلي . مات سنة بضع وثمانين . انظر : التقريب ص ٣٠٩

(٦) ساقط من النسخ ، وأثبت من المصادر . انظر : تفسير الطبري ٥٠٣/١ وابن أبي حاتم ٣٤٤/١ ، والقرطبي ٧٩/٢ ـ ٨٠ ، وابن كثير ١٦٣/١

الآيـــة : ١١٥

مسجـــدا يصلي فيـــه، فلما أصبحنا اذا نحن قد صلينا الى غير القبلة ، فأنزل اللـــــه هـــذه الآيـــة .(١)

وقال عبد الله بن عمـــر (٢) : نزلت في صلاة المسافر يصلي حيثما توجهـــــت بـــه راحلتـــــه تطوعـــا .

" كان رسول اللـــه صلى اللـــه عليـــه وســـلم يصـلي على راحلتـــه في السفـــر أينمـــا توجهـــت بـــه " .(٣)

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٥٠٣/١ ، وابن أبي حاتم ٣٤٤/١ ، والقرطـــبي ٧٩/٢ ــ ٨٠ وابن كثير ١٦٣/١ ، وأسباب النزول للواحدى ص ٣٥ .
وأخرجه الترمذ ى في كتاب الصلاة : باب ما جاء في الرجل يصلي لغير القبـــــلة في الغـــيم .
وابن ماجه في كتاب الصلاة : باب من يصلي لغير القبلة وهو لا يعلم .
قال الترمذ ى : " هذ ا حد يث ليس استاد ه بذ اك ، لا نعرفه الا من حد يث أشعـــث السمان ، وأشعث بن سعيد أبو الربيع السمان يضعف في الحد يث " .

(٢) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ولد سنة ثلاث من المبعـــــث النبوى ، أسلم قد يما بمكة مع اسلام أبيه ، وهاجر وهو ابن عشر ، وقد شهد الخنـــد ق وما بعد ها ،كان من ساد ات الصحابة وفضلائهم ، مات سنة ثلاث وسبعين .
انظر : الاصابة ٣٣٨/٢ ، والرياض المستطابة ص ١٩٤ ــ ١٩٥

(٣) أخرجـــه مســـلم في كتـاب صـــلاة المسافريـــن : باب جـواز صـلاة النافلة عـــلى الدابـــة في السفر حيث توجهـــت .

الآيـــــة : ١١٥

وقال عكرمـــة : نزلت في تحويل القبـــلة الى الكعبـــة [١] لما صلى اليها المسلمـــــون بعد ما كانت قبلتهم بيت المقد س ، قالت اليهود : مرة يصلون هكـذا ، ومرة يصلـــون هكـذا ، فأنزل اللـه هـذ ه الآيـة .

فان قيل : لِمَ قال المشـــرق والمغرب على التوحيـــد ، وله المشـارق والمغـــارب ؟

قيل : لأنـه أخـرجه مخرج الجنس ،كما يقـال : أهلك الناس الد ينار والد رهـــم .

قولـه تعـالى (فَثَمَّ وَجْـهُ ٱللَّـهِ) أى رضا اللـه ،كقولـه تعالى (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْـهِ ٱللَّـهِ) [٢] أى لرضاه . وقيل معناه : (فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ) أى علمه محيط بهم .

وقيل معناه : فأينما تولـوا وجوهكـم أيها المؤمنـون في سفركم وحضركم فثم قبلة اللـــه التي وجهكم اليها فاستقبلوها ، يعني الكعبـــة .

وقال الكلبي : معناه فثـــم الله تعالى يعلم ويرى . [٣]

---

(١) انظر : تفسير الثعلبي ١١٣/١ ، والخازن ٩٩/١

قلـت : قد نصت الرواية الصحيحة المتقد مة عن ابن عمر أنها نزلت في صلاة النافلة في السفر ، وتمامهاعنـد مسـلم : عن ابن عمر قال : " كان رسول اللـه صلى الله عليه و سلم يصلي وهو مقبل من مكة الى المد ينـة على راحلته حيـث كان وجهـه . قال : وفيه نزلت (فأينما تولـوا فثم وجه الله) . " ١٠ هـ .

ولا مانع أن تكون قـد نزلت في صلاة النافلة في السفر ، وهي تشمـل معنى أعم ممّـا نزلت فيـه ، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(٢) سـورة الانسـان : ٩

(٣) انظر هذ ه الأقوال في : تفسير الطبرى ٥٠٦/١ ، والبغـوى ١٠٨/١ والقرطبي ٨٣/٢ ـ ٨٤ ، والبحر المحيط ٣٦١/١ ، وتفسير ابن كثير ١٦٢/١ ـ ١٦٣

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (فثم وجه اللـه) قال : قبلة الله أينما توجهت شرقاً أو غرباً ١٠ هـ .

وروى مثله عن مجاهد والحسن وقتاد ة ومقاتل بـن حيـان .

انظر : المصاد ر السابقة ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٤٧/١

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : قوله (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه اللـه) : أى قبلة الله ووجهة الله ، هكذا قال جمهور السلف ، وإن عد ها بعضهم في الصفـات ،

الآيـــة : ١١٥

والوجـه صلة [١] ، كقوله (تُرِيـدُونَ وَجْهَ ٱللَّـهِ) [٢] أي تريد ونه / بالد عـــاء . (٣٧/أ)

وقولـه (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَـهُ) [٣] أي الا هـو .

وقولـه (وَيَبْقَى وَجْـهُ رَبِّـكَ) [٤] أي ويبقى ربـك .

قولـه تعالى (إِنَّ ٱللَّـهَ وَاسِـعٌ عَـلِيمٌ) قال الكلبي : يعني واسع المغفـرة . [٥]

= وقد يدل على الصفـة بوجه فيه نظر ، وذلك أن معنى قوله (أينما تولـوا) أي تتولوا أي تتوجهوا وتستقبلوا يتعد ى الى مفعول واحد ، بمعنى يتولاهـا ... وهو الوجـه الذ ى للـه ، والذ ى أمـر الله أن نستقبـل ، فإن قوله (وَلِلَّـهِ ٱلْمَشْـرِقُ وَالْمَغْـرِبُ) يدل على أن وجه اللـه هناك من المشرق والمغرب الذى هوللـه ، كما في آية القبـلة (سَيَقُـولُ ٱلسُّفَهَـآءُ مِنَ ٱلنَّـاسِ مَا وَلَّاهُـمْ عَن قِبْلَتِهِـمُ ٱلَّـتِي كَانُـواْ عَلَيْهَا قُـل لِّلَّـهِ ٱلْمَشْـرِقُ وَالْمَغْـرِبُ يَهْـدِ ى مَـن يَشَـآءُ إِلَىٰ صِـرَاطٍ مُسْـتَقِيمٍ) .

انظر : مجموع الفتاوى ٤٢٨/٢ ـ ٤٢٩

(١) قـد تقـدم بيان معنى الوجـه في الآيـة على أن المراد بـه القبـلة . وفيما ذكـره المؤلـف من الآيات التي ورد فيها ذكر الوجه مضافاً إلى اللـه عـز وجـل إثبات الوجـه لله تعالى ، على ما يليـق بجلالـه و عظمته ، كما هـو مذ هـب أهـل السـنة والجماعـة .

(٢) الـروم ٣٩ (وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَـوٰةٍ تُرِيـدُونَ وَجْـهَ ٱللَّـهِ فَأُوْلَـٰٓئِـكَ هُـمُ ٱلْمُضْعِفُـونَ) .

(٣) القصـص ٨٨

(٤) الرحمـن ٢٧ (وَيَبْـقَى وَجْـهُ رَبِّـكَ ذُو ٱلْجَـلَـٰلِ وَالْإِكْـرَامِ) .

(٥) انظـر : تفسـير البغـوى ١٠٨/١

الآيـــة : ١١٥ ، ١١٦

وقال أبو عبيـــدة : الواسـع الغـني ، يقال : فـلان يعطي مـن سعـة : أي من غنى . (١)

وقـال الفراء : الواســع : الجواد الذ ى يسـع عطـاؤه كل شـيء . (٢)

وقيل : الواســع : الرحـيم ، دليلـه (ورحمـتي وسعـت كل شيء) . (٣)

وقيل : الواســع : العالم الذ ى يسع علمـه كل شيء ، قال الله تعالى : (وسع كرسيـــه السـمـوات والأرض) . (٤)

وقولـه (علـيم) أي عالم بنياتهم حيثما صـلوا ود عـوا .

(١١٦) قولـه تعالى (وَقَالُـوا اتَّخَـذَ اللَّـهُ وَلَـداً سُبْحَـانَـهُ) :

نزلت في يهود المد ينـة ، حيث قالوا : عزيـر ابن اللـه ، وفي نصارى نجـــران حيث قالوا : المسـيح ابن اللـه ، وفي مشركي العرب ، حيث قالوا : الملائكـة بنـات اللـــه . (٥)

وقولـه (سُبْحَانَـهُ) نـزه نفســـه .

---

(١) انظر : تفسير الثعلبي ١١٣/١

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٨٤/٢

(٣) الأعـراف ١٥٦

(٤) البقـرة ٢٥٥

قلـت : لا منافاة بين ما ذكره المؤلف من الأقوال في معنى " واسع "، فهـي متقاربـة ، وإن كان أقربها لسياق الآية تفسيره بالرحيم وبالعالم . والله أعلم .

إلا أن استد لال المؤلف بقوله تعالى (وسع كرسيه السمٰوات والأرض) على تفسـير الواسع بمعنى العالم ، يفهم من هذ ا تفسير الكرسي في الآية بالعلم . وهذا تأويل ، والصواب أن الكرسي ثابت لله تعالى ، وأنه غير العرش ، والعرش أكبر منـه ، كما د لت على ذ لك الآثـار والأخبار .

انظر : شرح العقيد ة الطحاوية ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ، وتفسير ابن كثـير ٣١٧/١ ـ ٣١٨

ويمكن الإستد لال للواسع بمعنى العالم بقوله تعالى (وسع كل شيء علماً) طـه ٩٨

(٥) انظر : أسباب نزول القرآن للواحد ى ص ٣٦ ، وتفسير البغـوى ١٠٨/١ وتفسـير ابن كثـير ١٦٥/١

الآيـــــة : ١١٦

قولـه تعالى (بَـلْ لَّـهُ مَـا فِـي السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) عبيـد وملك : أى من كان مالك السمـوات والأرض فان الأشياء تضاف اليـه من جهة الملك .

قوله تعالى (كُـلٌّ لَّـهُ قَـٰنِتُـونَ) أى مطيعون ، وهـذا تأويل لا يستغرق الكل ، فيكـــون لفظ عموم أريـــد بـه الخصوص ، ثم سلكوا في تخصيصـه طريقـــين :

أحدهما : راجـع الى عزير والمسيح والملائكـة . وهذا قول مقاتل .(١)

والطريق الثاني : راجع الى أهل طاعتـه ، دون الناس أجمعين . وهذا قول ابن عباس والفراء .(٢)

وقال بعضهم : هو عام في جميـع الخـلق .

ثم سلكوا في الكفار طريقـــــين :

أحدهما : أن ظلالهم تسجد لله وتطيعه . وهو قول مجاهـد .(٣) ودليله قوله تعالى (يَتَفَيَّـؤُاْ ظِلَـٰلُهُ عَنِ الْيَمِـينِ وَالشَّمَـائِلِ سُجَّـدًا لِّلَّـهِ)(٤) وقال الله تعالى (وَظِلَـٰلُهُمْ) .(٥)

والثاني : قالوا : هـذا في يوم القيامـة . قاله السدى(٦) ، وتصديقه قوله تعالى (وَعَنَـتِ الْوُجُـوهُ لِلْحَـيِّ الْقَيُّـومِ) .(٧)

وقال عكرمـة و مقاتل : معنى الآيـة : كل لـه مقـرون بالعبوديـة .(٨)

---

(١) انظر : تفسير البغوى ١٠٩/١

(٢) انظر : المصدر السابق ، ومعاني القرآن للفراء ٧٤/١

(٣) انظر : تفسير الطبرى ٥٠٧/١ ، وتفسير ابن كثير ١٦٥/١

(٤) النحـــل ٤٨ وتمامها (وهم داخـــرون) .

(٥) من الآيـة ١٥ من سورة الرعـــد (وَلِلَّـهِ يَسْجُـدُ مَن فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًـا وَكَرْهًـا وَظِلَـٰلُهُم بِالْغُـدُوِّ وَالْآصَـالِ) .

(٦) انظر : تفسير الطبرى ٥٠٧/١ ، وتفسير القرطبي ٨٦/٢

(٧) طـــه ١١١ وتمامهـا (وقـد خـاب من حمـل ظلمـًا) .

(٨) انظر : تفســـير الطبرى ٥٠٧/١ ، وتفسير الثعلبي ١١٣/١

الآيـــــة : ١١٦ ، ١١٧

وقال ابن كيسان [١] : قائمون بالشهادة . [٢] وأصل القنوت : القيام .

وقيل : مصلون ، دليله (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ) [٣] .

وقيل : داعون . [٤] وسمي دعاء الوتر قنوتا لأنه يدعو قائما . [٥]

(١١٧) قوله عز وجل (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) :

أي مبتدعهما ومنشئهما على غير مثال سبق .

(وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا) أي اذا أراد شيئا **(فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)** .

وهذه الآية والتي قبلها جواب عن قول جماعة من النصارى ناظروا النبي صلى الله عليه وسلم في أمر عيسى عليه السلام ، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : " هو عبد الله ورسوله " . فقالوا : هل رأيت خلقا [٦] من غير أب ؟ . فأنزل الله هذه الآية وما قبلها جوابا لهم . [٧]

---

(١) هو طاوس بن كيسان اليماني ، أبو عبد الرحمن الحميري مولاهم ، الفارسي ، يقال : اسمه ذكوان ، وطاوس لقب ، ثقة فقيه فاضل ، مات سنة ست ومائة ، وقيل : بعد ذلك . التقريب ص ٢٨١

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ١١٣/١

(٣) الزمر ٩ (ساجداً وقائماً يحذر الأخرة ويرجوا رحمة ربه) .

(٤) في ط " دائمون " .

(٥) قلت : كل هذه المعاني محتملة ، والحمل على العموم أولى ، وهو اختيار ابن جرير الطبري ، حيث يقول : " وأولى معاني القنوت في قوله (كل له قانتون) الطاعة والإقرار لله عز وجل بالعبودية بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصنعة ، والدلالة على وحدانية الله عز وجل ، وأن الله تعالى ذكره بارئها وخالقها ... " . تفسير الطبري ٥٠٧/١ ، وانظر : تفسير ابن كثير ١٦٥/١

(٦) في م " من خلق بغير أب " .

(٧) انظر نحو هذا في : تفسير الطبري ٥٠٨/١ ، وتفسير ابن كثير ١٦٦/١

الآيـــــة : ١١٧

ومعناها : ان الله مبتدع السموات والأرض وخالقهما ، فاذا أراد أمرا مثل عيسى بغير أب أو من (١) غير ذلك ، فانما يقول له " كـن " فيكون كما أراده .

والابـــداع : ايجاد (٢) الأشياء على غير مثال سبق .

/ والبديع : فعيل بمعنى مفعل . والبديع أشد مبالغة من المبدع (٣) . (٣٧/ب)

قوله تعالى (فَيَكُـونُ) من رفعه فمعناه : فهو يكون .

ومن نصـــبه فعـلى جواب الأمـــر بالفـــاء . (٤)

فان قيل : قوله " كـــن " خطاب للموجود أو للمعدوم ، ولا يجوز الأول ، لأن الشـــــيء الكائن لا يؤمر بالكون . والثاني لا يجوز أيضا ، لأن المعدوم لا يخاطـــــــــــب .

قيل : انما قال ذلك على سبيل المثل ، لأن الأشياء لسهولتها عليه وسرعة كونها بأمـــــره بمنزلة ما يقول (٥) له : كـن ، فيكون .

وهذا مثل قوله (ائتِيَـا طَوْعـًا أَوْكَرْهـًا) (٦) لم يرد بهذا أن السماء والأرض كانتا فـــي موضع فقال لهما ائتيا ، فجاءا من ذلك الموضع ، ولكن أراد بـه (٧) تكوينهمـــا .

فعلى هـذا معنى (كـن فيكـون) أي (٨) يريـده فيحدث . (٩)

---

(١) لفظة " من " ساقطة من ط ، م .

(٢) في ط " الانشاء " بدل " ايجاد الأشياء " .

(٣) في ط " المبتدع " .

(٤) برفع النون قرأ الجمهور ، وبنصبها قرأ ابن عامـر .
انظر : النشر ٢/٢٢٠ ، والبدور الزاهرة ص ٣٩
وانظر : توجيه هذه القراءات في : الكشف ١/٢٦٠ ، والبحر المحيط ١/٣٦٥ ـ ٣٦٦

(٥) في ط " ما يقال " .

(٦) من الآيـة ١١ من سورة فصلت (ثم استوى الى السماء وهي دخـان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعـين) .

(٧) في ط " ولكن اراده تعالى أراد كونهما " .

(٨) في ط " أنـه " .

(٩) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى (كـن فيكـون) : يبين بذلك تعالى كمال قدرته وعظيم سلطانه ، وأنه اذا قدر أمرا وأراد كونه ، فانما يقول لـــه

الآيـــة : ١١٨

(١١٨) قولـه تـعالى (وَقَـالَ ٱلَّذِيـنَ لَا يَعْلَمُـونَ لَـوْلَا يُكَلِّمُنَـا ٱللَّـهُ) :

أراد بالـذين لا يعلمون يهود المدينة و غيرهم من الكفـار ٠

وقيل : النصارى ٠ وقيل : مشركو العرب [١] ، قالوا : هلا يكلمنا الله عيانا بأنـك رسـوله (أَوْ تَأْتِينَـا ءَايَـةٌ) أى علامـة دالة على صدقك ونبوتك ، يعنـون قولهم (لَـن نُّـؤْمِـنَ لَـكَ حَـتَّى تَفْجُـرَ لَنَـا مِـنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًـا) الآيـة ٠ [٢]

قال الله عز وجل (كَـذَٰلِكَ قَـالَ ٱلَّذِيـنَ مِـن قَبْلِهِـم مِّثْـلَ قَوْلِهِـمْ) : يعني اليهود الذين قالوا لموسـى (أَرِنَـا ٱللَّـهَ جَهْـرَةً) [٣] .

قولـه تـعالى (تَشَـٰبَهَـتْ قُلُوبُهُـمْ) أى قلوب الأولين والآخرين منهم في القسوة والكفـر ٠ ويقال : تشابهت قلوب المشركين واليهود والنصارى في القسـوة والكفـر ٠

قوله تـعالى (قَـدْ بَيَّنَـا ٱلْأَيَـٰتِ لِقَـوْمٍ يُوقِنُـونَ) أى لمن أيقن وطلب الحـق ٠

والآيات : مثل بيان بعث النبي صلى الله عليه و سلم وصفته في التوراة ، وانشقـاق القمر ، واعجاز القرآن ، و غير ذلك ٠

(كـن) أى مرة واحدة ، (فيكون) أى فيوجد على وفق ما أراد ٠

تفسير ابن كثـير ١٦٦/١

(١) وردت هذه الأقوال عن السلف رحمهم اللـه ٠

ورجح الطبرى أن المراد بهم النصارى ، دون غيرهم ، لان السياق فيهم ٠

ويرى ابن كثير أن المراد بهم مشركو العرب ، وذكر من قال بذلك ، ثم ساق عـدد ا من الآيات حول هذا المعنى ٠

انظر : تفسير الطبرى ٥١٢/١ ــ ٥١٣ ، وتفسير ابن كثير ١٦٦/١ ـ ١٦٧

قلت : ولا مانع من حمل ذلك على الكل ممن كان منهم في عصر النبي صلى اللـه عليه وسـلم ٠

(٢) الاسـراء ٩٠

(٣) النسـاء ١٥٣ (يَسْـَٔلُكَ أَهْـلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِـمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَـآءِ فَقَـدْ سَأَلُوا۟ مُوسَـىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَـا ٱللَّـهَ جَهْـرَةً) ٠

الآيـــــة : ١١٩

(١١٩) قولـه تعـالى (إِنَّـا أَرْسَـلْنَـاكَ بِالْحَـقِّ) :

أى أرسلناك يا محمـــــد بالصدق ، من قولهم : فلان محق في دعواه ، اذا كـــان صادقا . دليله قوله تعالى (وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَـقٌّ هُـوَ) [١] أى صدق .

وقال مقاتل معناه : لن [٢] نرسلك عبثا بغير شيء ، بل أرسلناك بالحـق .

دليله قوله تعالى (وَمَا خَلَقْنَـا السَّمَـاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَـآ إِلَّا بِالْحَـــقِّ) [٣] ، وهـو ضـد الباطـل .

قال ابن عباس : بالقـرآن . دليله قوله تعالى (بَـلْ كَذَّبُـواْ بِالْحَـقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ) [٤]

وقال ابن كيسان : بالاسلام . دليله قوله تعالى (وَقُـلْ جَـآءَ الْحَـقُّ وَزَهَـقَ الْبَـاطِلُ) [٥]

قولـه تعالى (بَشِـيرًا وَنَـذِيـرًا) أى بشيرا للمؤمنين بالثواب ، ونذيرا للكافريـن بالعقـــــاب .

وقولـه (وَلَا تُسْـئَلُ عَـنْ أَصْحَـابِ الْجَحِـيمِ) أى لست تُسأل في الأخرة عن أصحاب الجحيم ، كما قال (فَـلَا تَـذْهَبْ نَفْسُـكَ عَلَيْهِمْ حَسَـرَاتٍ) [٦] وقال (فَإِنَّمَا عَلَيْـكَ الْبَـلَـاغُ) . [٧]

---

(١) يونـــس ٥٣

(٢) كـذا في النسـخ ، ولعلها " لم " .

(٣) الحجـــر ٨٥

(٤) قّ ٥ وتمامها (فهـم في أمـــر مريـج) .

(٥) الاســراء ٨١ وتمامها (إن البـــاطل كـان زهـوقـاً) .

قلـــت : ولا منافاة بين هـذه الأقوال ، بل هي متلازمـة ، فكل ما جاء به النـــبي صلى اللـه عليه وسـلم فهو حـق ، فالصـدق حـق ، والقرآن حـق ، والإسلام حق .

(٦) فاطـــــر ٨

(٧) الرعـــــد ٤٠

الآيـــة : ١١٩ ، ١٢٠

ومن فتح التاء فعلى النهي ، وتأويله : أن النبي صلى الله عليه و سلم قال ذات يـــــــوم : " ليت شعرى ما فعل بأبـوى " . فنزلت هذ ه الآيـــة .(١)

وفيه قراءتان : الجزم على النهي . وهي قراءة نافع ، وشيبة ، والأعرج ، ويعقوب .

وقرأ الباقون بالرفع (٢) على النفي / يعني : ولست تُسأل عنهم . (٣٨/أ)

وقرأ أبيّ " وما تســـأل " (٣) . وقرأ ابن مسعود " ولن تسأل " .(٤)

والجحـــيم والجحـــم والجحمـــة معظم النار .

(١٢٠) قوله تعالى ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ :

وذ لك أنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه و سلم الهد نة ، ويطمعونه فـــــي أن يتبعوه ان هاد نهم . فأنزل الله هـذ ه الآيـة .(٥)

وقيل : كان النبي صلى الله عليه و سلم حريصا على طلب رضاهم طمعا في أن يرجعوا الى الحـــــــق .

وقيل : كانوا يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم المسالمة ، ويطمعونه في أنـــــه ان هاد نهم أسلموا ، فأمر الله النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يعطيهم ما طلبـــوا

---

(١) هذ ا الخبر من رواية محمد بن كعب القرظي ، وهو تابعي ، فالحد يث مرسل .
أخرجه الطبرى في تفسيره ٥١٦/١
وزاد السيوطي في الد ر المنثور ٢٧١/١ : وكيع وسفيان بن عيينة و عبد الـــــرزاق و عبد بن حميد وابن المنذ ر .
ثم قال السيوطي : هذ ا مرسل ، ضعيف الإسناد .

(٢) انظر : النشـــــر ٢٢١/٢
وانظر نسبةقراءة الجزم لشيبة والأعرج في تفسير الثعلبي ١١٥/١

(٣) انظر : مختصر شواذ القراءت لابن خالويه ص ٩ ، والبحر ٣٦٧/١

(٤) انظر : المصد ريـن السابقـين .

(٥) انظر : أسباب نزول القرآن للواحد ى ص ٣٧ ، وتفسير البغوى ١١٠/١

الآيـــة : ١٢٠

من اليهـ ـنـة ، فأخبر أنهم لا يرضـــون عنه بذلك . [١] وهم يهود أهـل المدينـــــة ونصـارى نجـــران .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هذا في القبلة ، وذلك أن يهود المدينة ونصـــارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي صلى الله عليه وسلم الى قبلتهم ، فلما صـــرف اللـــه القبلة الى الكعبة شق عليهم وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم ، فأنزل [٢] الله هـــذه الآيـــة : (وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) أي دينهم وقبلتهم بيت المقـدس .

قوله تعالى (قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ) أي الصراط الذي دعا الله اليه ، وهو الذي أنت عليه هو صراط الحق .

قوله تعالى (وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم) أي ان اتبعت ملتهم وصليت إلى قبلتهم (بَعْدَ ٱلَّذِي جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ) أي بعد ما ظهر لك أن دين [٣] الله الاسلام ، وأن القبلـــة قد حولت الى الكعبـــة .

(مَالَكَ مِن ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) أي مالك من الله من ولي ينفعك ويحفظك عن عقابه ، ولا نصير يدفع مضرة عقابه عنك .

وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به عامة الناس ، مثل قوله (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) [٤] وقد علم الله أنه لا يشرك ، وهذا كما يقال في المثـــل " اياك أعني فاسمعي يا جارة " . [٥]

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ٢/٩٤

(٢) انظر : أسباب نزول القرآن ص ٣٧ ، وتفسير البغوى ١/١١٠ ، وزاد المسير ١/١٣٨

(٣) في أ " أن الدين لله " والتصويب من ط ، م .

(٤) الزمـــــر ٦٥

(٥) انظر : مجمع الأمثال للميداني ١/٤٩

وهذا المثل يضرب لمن يكلم أحداً بكلام ويريد به غيره .

ولا وجه للإستشهاد بهذا المثل هنا ، فهو تمثيل مع الفارق . لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو المخاطب بالقرآن ، وأمته تبع له في ذلك . ثم إن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب .

الآيـــة : ١٢١

(١٢١) قوله تعالى (ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ) :

قال ابن عباس : نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب [١] ، وكانوا أربعين رجلا ، اثنان وثلاثون من الحبشة ، وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا . [٢]

وقال الضحاك : هم من آمن من اليهود ، عبد الله بن سلام ، وشعبة [٣] بن عمرو ، وأسيد ، وأسد أبناء كعب ، وابن يامين ، وعبد الله بن صوريا . [٤]

وقال عكرمة : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . [٥]

وقيل : هم المؤمنون عامة . [٦]

وقوله تعالى (يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ) قال الكلبي : يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس . [٧] وعلى هذا القول تكون الهاء راجعة

---

(١) هو شقيق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وأحد السابقين إلى الإسلام ، مناقبه كثيرة ، استشهد بمؤتة من أرض الشام مجاهداً للروم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثمان في جمادى الأولى ، وكان أسن من علي بعشر سنين . انظر : الاصابة ٢٣٩/١

(٢) انظر : أسباب نزول القرآن ص ٣٧ ، وتفسير البغوى ١١٠/١

(٣) في أ ، م " وسعية " بالسين المهملة ، والتصويب من ط .
وكذلك هو في المصادر . انظر : تفسير البغوى ١١٠/١

(٤) انظر : المصدر السابق ، وأسباب نزول القرآن ص ٣٧ ، والبحر المحيط ٣٦٩/١

(٥) انظر : المصادر السابقة .

(٦) قلت : وهذا أولى وأشمل . والله أعلم .

(٧) انظر : تفسير البغوى ١١٠/١ ـ ١١١

الآيـــــة : ١٢١، ١٢٢

على [١] محمـــــد صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : هي عائـدة على [٢] الكتـــاب .

واختلفوا في معناه : قال ابن مسعود : (يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ) أي يحلون حلاله ويحرمـــون حرامـــه ، ويقرأونـــه كما أنزل ولا يحرفونـــه عن مواضعـــه . [٣]

وقال الحسن : معناه يعملون بمحكمـه ، ويؤمنون بمتشابهه ، ويكلون علم ما أشكل عليهـــم الى عالمـــــه . [٤] / وقال مجاهـد : يتبعونه حـق اتباعـــــه . [٥] (٣٨/ب)

قوله تعالى (أُوْلَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ) أي بالقرآن ، ويقرون بمحمـــد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ) أي بالقرآن ، ويجحد بنبوة [٦] محمـــد صلى الله عليه وســـلم (فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ) وهم كعب بن الأشرف وأصحابـــه . [٧]

(١٢٢) قوله تعالى (يَـٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) :

تقـد م [٨] تفسيره . وفائدة تكرار القصص والألفاظ : أن الله تعالى أراد برحمتـه أن يشهر القصص في أطراف الأرض ، ويلقيها في كل سمع ، ويثبتها في كل قلب ،

---

(١) في ط ، م " الى " .

(٢) في م " الى " .

(٣) وهو مروى أيضـــاً عن ابن عبـــاس .
انظر : تفسير الطبرى ٥١٩/١ ــ ٥٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٥٦/١

(٤) انظر : تفسير الطبرى ٥٢٠/١ ، وابن أبي حاتم ٣٥٧/١

(٥) وهو مروى أيضاً عن عكرمة ، وعطاء ، وأبي رزين ، وقتادة .
انظر : المصدرين السابقـين .
قلـت : وكل هذه الأقوال متلازمـة ، ومرجعها إلى معنى واحـــد .

(٦) في ط " نبـــوة " .

(٧) وكل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما جاء به فهو خاسر .

(٨) في ط كلمة " قـد " قبل قوله " تقـــد م " .

الآيـــة : ١٢٢ ، ١٢٤

ويزيـد الحاضرين افهاما ، فان القرآن نزل بلسانهم .

ومن مذهبهم أن التكرار ارادة التوكيـد وزيادة الافهام .(١)

(١٢٤) قوله تعالى (وَإِذِ ابْتَـلَىٰ إِبْرَاهِـيمَ رَبُّـهُ بِكَلِمَـاتٍ فَأَتَمَّهُـنَّ)

أى اختبره بما تعبده (٢) من السنـن ، وهي عشر خصال : خمس في الرأس ، وهـي المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الرأس . وخمس في الجسـد : التقليم والختان والإستنجاء بالماء وحلق العانة ونتف الإبط .(٣)

وقيل معناه : ابتلاه الله بالمناسك التي تعبده بها ، وهي عرفـة ، والمزدلفـة ، والرمي ، والطواف ، والسعي .(٤)

وقيل : ابتـلاه (٥) بأمر عظيم ، فصبر وأحسن الظن بالله ، فأول ذلك الكوكـب والقمر والشمس ، ثم النار فجعلها عليه برداً وسلاماً ، ثم بالهجرة من أهله وولده ،

---

(١) قلـت : ومن أعظم فوائـد تكرار القصص هو التأكيد على رسوخ العبرة والعظـة من ذلك ، مع التذكير بنعم الله وآياته العظام .

(٢) في أ "يعتده" والتصويب من ط .

(٣) روى هـذا عن ابن عباس ، وقتـادة .

انظر : تفسير الطبرى ١/٥٢٤ ـ ٥٢٥

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم : " عشـر من الفطـرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتـف الإبـط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء " .

قال مصعب : ونسيت العاشرة ، إلا أن تكون المضمضة .

انظر : صحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب خصال الفطرة ، رقم الحديث ٢٦١

(٤) روى هذا عن ابن عباس أيضاً .

انظر : تفسير الطبرى ١/٥٢٦ ، وابن كثير ١/١٧٠

(٥) في م لفظ " اللـه " بعد قوله " ابتـلاه " .

الآيـــــة : ١٢٤

ثم بالختان على رأس ثمانين سنة ، ثم بذبح الولد ، فاتخذه الله خليلا .[١]

قوله تعالى (فَأَتَمَّهُنَّ) أي عمل[٢] بهن ، ولم يترك منهن شيئا .

قوله تعالى (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) أي مقتدى[٣] بك .

قال ابراهيم **(وَمِن ذُرِّيَّتِي)** أي ومن أولادي فاجعل أئمة يقتدى بهم .

وأصل الذرية : الأولاد الصغار ، مشتق من الذر لكثرته . وقيل : من الذراء وهو الخلق .

وفيه ثلاث لغات : " ذِرية " بكسر الذال ، وهي قراءة زيد بن ثابت .[٤]

و " ذَرية " بفتح الذال . وهي قراءة أبي جعفر .

و " ذُرية " بضم الذال . وهي قراءة العامة .[٥]

قوله (قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) أعلمه الله أن في ذريته الظالم ، والظالم لا يصلح إماماً .

---

(١) روى هذا عن الحسن البصري .

انظر : تفسير الطبري ٥٢٧/١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٦٢/١

قال ابن جرير الطبري ما حاصله : أنه يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ما ذكر ، وجائز أن يكون بعض ذلك ، ولا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعيين إلا بحديث أو إجماع . قال : ولم يصح في ذلك خبر بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسليم له .

انظر : تفسير الطبري ٥٢٧/١ ـ ٥٢٨ ، وانظر : تفسير ابن كثير ١٧١/١ ـ ١٧٢

(٢) في أ " علم " والتصويب من ط ، م .

(٣) في ط " يقتدى " .

(٤) انظر : البحر المحيط ٣٧٧/١

(٥) المصدر السابق .

الآيـــة : ١٢٤

وفيه ثلاث قراءات : " عهـد ى الظالمون " بالواو . وهي قراءة ابن مسعود .(١)

و " عهد ى الظالمين " باسكان الياء . وهي قراءة الأعمش ، وحفص ، وحمزة .

و " عهد يَ " بفتح اليـــاء . وهي قـراءة العامنـــة .(٢)

واختلفوا في هـذا العهـــد : قال عطاء : رحمـتي .(٣)

وقال الضحاك : طاعتي(٤) ، ودليله قوله تعالى (وَأَوْفُوا بِعَهْدِيَ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) .(٥)

وقال السدى : نبوتـي .(٦) وقال حذيفة : أمانتي ، دليله قوله تعالى (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ) .(٧)

وقال أبو عبيدة : أمانـي(٨) ، دليله قوله تعالى (فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ) .(٩)

قال السدى : ليس للظالم أن يطاع في ظلمـــه .

---

(١) انظر : مختصر شواذ القراءات لابن خالويـــه ص ٩ .
وعزاها أبو حيان في البحر ٣٧٧/١ لأبي رجاء وقتادة والأعمش .

(٢) انظر : البدور الزاهـرة ص ٤٠ ، والمهذب ٧٢/١

(٣) انظر : تفسير البغوى ١١٢/١ ، وزاد المسير ١٤٠/١

(٤) انظر : تفسير الطبرى ٥٣١/١

(٥) البقـــرة ٤٠

(٦) انظر : تفسير الطبرى ٥٣٠/١

(٧) النحـــل ٩١

(٨) انظر : زاد المسـير ١٤١/١

(٩) التوبـــة : ٤

قلـــت : والذى يدل عليه ظاهر الآية أن المراد بالعهد هنا هـــو الإمامـــة . والله أعلم .
وهو اختيار أكثر المفسرين .
انظر : تفسير الطبرى ٥٣٠/١ ، وزاد المسير ١٤١/١ ، والبحر المحيـــط ٣٧٧/١ ، وتفسير ابن كثير ١٧٣/١

الآيـــة : ١٢٥

(١٢٥) قولـه تعالى (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا) :

يعني جعلنا الكعبة مثابة : أي مرجعـا .

وقال ابن عباس : يعني معاذا وملجـأ.(١)

وقال ابن جبير / ، ومجاهد ، والضحاك : يثوبون اليه من كل جانب ، ويحجونـه (٣٩/أ)
ولا يملون منـه ، فما من أحد قصده الا ويتمنى العود اليه .(٢)

وقال قتادة وعكرمة : مجمعا .(٣)

وقال طلحة : مثابا يحجون اليه ويثابون عليه .

قولـه تعالى (وَأَمْنًا) وصف البيت(٤)، والمراد به جميع الحرم ، كما قال (بَالِغَ الْكَعْبَةِ)(٥) والمراد الحرم لا الكعبة ، لأنه لا يذبح فيها ولا في المسجد . ومعنى (وَأَمْنًا) : أي مأمنا يأمنون فيه .

---

(١) انظر : تفسير البغوى ١١٢/١

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٥٣٣/١ ، وتفسير البغوى ١١٢/١

(٣) المصدران السابقان .

قال ابن كثير رحمه الله : " ومضمون ما فسر به هؤلاء الأئمة هذه الآية أن الله تعالى يذكر شرف البيت وما جعله موصوفاً به شرعاً وقدراً ، من كونه مثابة للناس ، أي جعله محلاً تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه ، ولا تقضي منه وطراً ولو ترددت إليه كل عام ، استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام في قوله : (فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم) ... ويصفه تعالى بأنه جعله آمنا ، من دخله أمن ولو كان قد فعل ما فعل " .

تفسير ابن كثير ١٧٣/١

(٤) في ط " للبيت " .

(٥) المائدة ٩٥ (يحكم به ذوا عدل منكم هديًا بالغ الكعبة) .

الآيـــــة : ١٢٥

قال ابن عباس : فمن أحـدث حدثا خارج الحرم ثم جاء [١] اليه أمن من أن يهاج فيه : أى لم يتعرض لـه ، ولكن لا يبايع ولا يخالط ، ويؤكل بـه ، فاذا خـرج منـه أقيم عليه الحـد . [٢]

ومن أحـــدث في الحـرم أقـيم عليـه الحـد فيـه .

وهذا كانوا يتوارثونـه من زمن اسماعيل الى أيام النبي صلى الله عليه و سلم ، وكانت العـــرب في الجاهلية تعتقد ذلك في الحرم وتستعظم القتل فيه ، كان الرجل منهم يرى فيه قاتل أبيه فلا يتعرض لـــه .

ومن الأمن الذى جعله الله فيه اجتماع الطير والكلب ، ولا يهيج الكلب الصيد ولا ينفـــــر الصيد من الكلب ، حتى اذا خرجا منه عدا الكلب على الصيد و عاد الصيد الى الهرب . [٣]

قولـه تعالى (اتَّخِـذُواْ مِـن مَّقَـامِ إِبْرَاهِـيمَ مُصَـلًّى) : قرأ شيبة ، ونافع ، وابن عامـــــر ، والحسن : " واتخـذ وا " بفتح الخاء ، على الخبر . وقرأ الباقون بالكسر ، على الأمر . [٤]

قال ابن كيسان : ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالمقام ومعه عمر رضي الله عنـــه فقال : يا رسول الله ، أليس هـذا مقام أبينا ابراهيم ؟ قال : " بلى " . قال : [أ] [٥] فـلا نتخـذه [٦] مصـلى . قال : " لم أؤمر بذلك " ، فلم تغب الشمس من يومهم حتى نـزل [٧] **(وَاتَّخِـذُواْ مِـن مَّقَـامِ إِبْرَاهِـيمَ مُصَـلًّى)** .

---

(١) في ط ، م " لجـأ " .

(٢) انظر : تفسـير الثعلبي ١١٧/١ ، وزاد المسير ١٤١/١

(٣) انظر نحو هـذا في تفسير القرطبي ١١٧/٢

وهي مبالـغة لا أساس لـها من الصحـــــة . والله أعـــلم .

(٤) انظـــر : النشـــر ٢٢٢/٢

(٥) ما بين المعقوفتـــين من ط ، م .

(٦) في م " أفـلا تتخـذوه " .

(٧) انظر : تفسير ابن كثير ١٧٤/١

الآيـــة : ١٢٥

و عن أنس بن مالك قال : قال عمر رضي الله عنه : وافقني ربي في ثلاث : قلـــت : لو اتخذ ت مقام ابراهيم مصلى ، فأنزل الله (وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) .

وقلت : يا رسول الله انه يد خل عليك البر والفاجر ، فلو حجبت أمهات المؤمنين ، فأنـــزل الله آيـة الحجـــاب .

قال : وبلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستقريتهن (١) أقول : لتكفن عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أو ليبد لنه الله تعالى أزواجا خيرا منكـــن ، حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين ، فقالت أم سلمـــة (٢) : يا عمر ، ما في أصحـــــاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعظ نساءه حتى تعظهن ، فأمسكت ، فأنزل الله تعـــالى (٣) : (عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ) . (٤)

واختلفوا في قوله تعالى (مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ) : قال النخعي : الحرم كله مقام (٥) ابراهيم .

وقيل : المسجـــد كله مقـــام ابراهيم .

---

(١) الاستقراء : التتبـــع . انظر : الصحاح مـادة (قـــرا)

(٢) هي أم المؤمنين هنـــد بنت أبي أميـــة بن المغيرة المخزومية ، كانت فاضلة حليمة ، ماتت بالمد ينة سنة اثنتين وستين ، وقيل : سنة تسع وخمسين ، ود فنـــــت بالبقيع ، وهي آخر أمهات المؤمنـــين موتا .

انظر : الرياض المستطابـة ص ٣١١ ــ ٣١٢

(٣) أخرجه البخارى في كتاب القبلة : باب ما جاء في القبلة ومن لا يرى الاعاد ة على من سها فصلى الى غير القبلة .

وفي كتاب التفسير : سورة البقرة : باب (واتخذ وا من مقام ابراهـم مصلى) مع اختلاف في بعض الألفاظ ، وفيه " احد ى نسائه " بد ل " أم سلمة " .

(٤) ســـورة التحـــريم ٥

(٥) في م " من مقام " .

الآيـــة : ١٢٥

وقال قتادة ، ومقاتل ، والسدى : هو الصلاة عند مقام ابراهيم[١] ، أمروا بالصلاة عنـــده ، ولم يؤمـروا بمسحه ولا بتقبيـــله .

وقصة ذلك ما روى عن ابن عباس : لما أتى ابراهيم عليه السلام بابنه اسماعيل وأمه هاجـــر فوضعهما بمكـــة ، ومضى مدة ، وتزوج اسماعيل امرأة من الجرهميـين، استأذن / ابراهـــيم (٣٩/ب) سارة أن يأتي هاجـر ، فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل ، فقدم ابراهيم وقد ماتـــت هاجـــر ، فقال لامرأة اسماعيل : أين صاحبك ؟ قالت : ليس هو هـهنا ، ذهب يتصيـــد . وكان اسماعيل يخرج من الحرم فيصطاد ، فقال لها ابراهيم : هل عندك من ضيافة ، مـــن طعام أو شراب ؟ قالت : لا . فقال لها : اذا جاء زوجك فأقرئيه السلام ، وقولـــي لـــه : فليغير عتبـــة بابـــه . وذهب ، وجاء اسماعيل فوجد ريح أبيه ، فقال لامرأته : هل جـــاء أحـــد ؟ قالت : جاءني شيـخ صفتـه كـذا وكـذا ، كالمستخفة بشأنه . قال : فما قال لك ؟ قالت : قال : أقرئي زوجك السلام وقولي له : يغير عتبة بابـه . فطلقها ، وتزوج أخرى . فلبث ابراهيم ما شاء الله ثم استأذن سارة في زيارة اسماعيل ، فأذنت له ، واشترطت عليـــــه أن لا ينزل . فجاء فقال لامرأة اسماعيل : أين ذهب صاحبك ؟ قالت : يتصيد ، وهـو يجـــيء الآن ان شاء اللـه ، فانزل يرحمك الله . قال : هل عندك ضيافة ؟ قالت : نعم ، فجـــاءت باللبن واللحم ، فدعـا فيها بالبركـة ـ ولو جاءت يومئذ بخبز بـر وشعير أو تمر لكانـــت أكثر أرض الله بـرًا [وشعيرًا وتمرًا][٢] فقالت له : إنزل حتى أغسل رأسك . فلم ينزل[٣] ، فجاءته

---

(١) انظر الخلاف في ذلك في تفسير الطبرى ٥٣٦/١ ـ ٥٣٧ ، والقرطبي ١١٢/٢ ـ ١١٣ وتفسير ابن كثير ١٧٤/١ ـ ١٧٥

قلـــت : والصحيح أن مقام ابراهيم هو المقام المعروف بهذا الاسم الذى يصـــلي عنده الناس ركعتي الطواف .

يدل لذلك حديث عمر بن الخطاب المتقدم . وكذلك ما أخرجه البخارى من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : " قدم النبي صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيـــت سبعا ، وصلى خلف المقام ركعتين ... " .

انظر : صحيح البخارى : كتاب الحج : باب من صلى ركعتي الطـــواف خلف المقـــام .

(٢) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٣) في أ " فلم نـزل " والتصويب من ط ، م .

الآيـــة : ١٢٥

بالمقام فوضعته في شقه الأيمن ، فوضع قدمه عليه ، فبقي أثر قدمه عليه ، فغسلت شق رأسه الأيمن ، ثم حولت المقام الى شقه الأيسر فغسلته ، وبقي أثر قدمه عليه [١] ، فقال : اذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له : قد استقامت عتبة بابك .

فلما جاء اسماعيل وجد ريح أبيه ، فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ قالت : نعم ، شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا ، فقال كذا ، وقلت له كذا ، وغسلت رأسه ، وهذا موضع قدمه على المقام . قال : ذاك ابراهيم . [٢]

قال أنس بن مالك : رأيت في المقام أثر أصابعه و عقبه وأخمص قدمه ، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم . [٣]

وروى عن عبد الله بن عمرو [٤] أنه قال : أشهد بالله ـ ثلاث مرات ـ أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، طمس الله نورهما ، ولولا أن الله طمس نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب " . [٥]

---

(١) رجح القرطبي أن أثر قدمه على الحجر كان بسبب ارتفاعه عليه حين ضعف عن رفع الحجارة التي كان اسماعيل يناولها اياه في بناء البيت .

انظر : تفسير القرطبي ١١٣/٢ ، وانظر : تفسير ابن كثير ١٧٤/١

(٢) انظر القصة في : تفسير البغوى ١١٣/١ ، والبداية والنهاية ١٤٥/١

(٣) انظر : تفسير القرطبي ١١٣/٢ ، وتفسير ابن كثير ١٧٥/١

(٤) في النسخ " بن عمر " والتصويب من المصادر .

(٥) أخرجه الامام أحمد في مسنده ٢١٤/٢

والترمذى في كتاب الحج : باب ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام ، وليس فيه " أشهد بالله ـ ثلاث مرات " .

قال الترمذى : هذا يروى عن عبد الله بن عمرو موقوفا ... وهو حديث غريب .

وقال الحافظ في الفتح ٥٤٠/٣ : " أخرجه أحمد والترمذى ، وصححه ابن حبان ، وفي اسناده رجاء أبو يحيى وهو ضعيف ... وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : وقفه أشبه ، والذى رفعه ليس بقوى " .

الآيـــة : ١٢٥

وقيل : مقام ابراهيم الحج كلـه ، عرفـة والمزدلفـة والرمي .

وقيل : الحـرم كلـه .

وقيل : الحجر المعروف ، الذى وضعته امرأة اسماعيل تحت قدمـه ، فغابت رجله فيـه .

وهـذا من معجـزات ابراهيم عليـه السـلام .

قولـه عـز وجـل (وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَاهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ) :

أى أمرناهما وأوصيناهما (**أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ**) أى مسجدى : يعني الكعبة ، من الأوثـان والنجاسـات .

وعن حذيفـة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان الله أوحى الىّ : أن أنـذر قومك أن لا يدخلوا بيتا من بيوتي الا بقلوب سليمة وألسنة صادقة وأيـد نقيـة وفروج طاهـرة ، ولا يدخلوا بيتا من بيوتي ولأحـد عندهم / مظلمـة ، فاني ألعنه ما دام قائما بين يـدى (٤٠/أ) يصلي حتى يرد تلك الظلامـة الى أهلهـا ، فأكون سمعه الذى يسمع بـه ، وبصره الـذى يبصر بـه ، ويكون من أوليائي وأصفيائي " .(١)

وعـن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " جنبوا مساجدكم صبيانكـم ومجانينكم وسل سيوفكم ورفع أصواتكم وحـدودكم وخصومتكم وبيعـكم وشراءكم ، وجمروهـا يوم جمعكم واجعلوا على أبوابها مطاهركم " .(٢)

---

(١) انظر : تفسـير القرطـبي ١١٥/٢

ولم أجـده فيما وقفت عليه من كتب الحـديث .

(٢) حديث معاذ هذا ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦/٢ من طريق مكحول عن معـاذ ابن جبل . وقال : رواه الطبراني في الكبير ، ومكحول لم يسمع من معاذ ١٠ هـ .

قلـت : وقـد ورد هذا الحديث أيضاً من رواية واثلة بن الأسقع ، وكذا من رواية أبي الدرداء ، وأبي أمامـة بأسانيد ضعفها العلماء .

انظر : نصب الرايـة ٤٩١/٢ ـ ٤٩٢ ، وتفسير ابن كثير ٣٠٤/٣ وكشف الخفاء ٤٠٠/١

الآيـــــة : ١٢٥

وقـرأ الحســـن ، وحفـــص [١] ، وهشام ، ونافع : " بيتيَ " بفتح الياء .

والباقـــون باسكانهـــا . [٢]

واضافة الله عز وجـل البيت الى نفسه تخصيصا وتفضيـلا .

قولـه تعالى (لِلطَّـــائِفِـيـنَ) وهم الغربـــاء . [٣]

وقولـه تعالى (وَالْعَـــاكِفِـيـنَ) أى المقيمين والمجاوريـــن .

وقولـه تعالى (وَالرُّكَّـعِ السُّجُـودِ) يعني المصلين . وقيل : أراد بذلك جميع المسلمين

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ان لله في كل يوم وليـــــلة عشرين ومائة رحمـة ينزل على أهل البيت ، ستون للطائفـين ، وأربعون للمصـــــلين ، و عشرون للناظـــــريـن " . [٤]

---

(١) هو حفص بن سليمان بن المغيرة ، أبو عمـــر بن أبي داود الأسدى الكوفي البزاز ، أخـــذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصـــم ، ولـد سنة تسعين ، ونزل بغداد فأقرأ بها ، وجـــاور بمكـــــة فأقرأ أيضاً بها .

قال الذهبي : أما القراءة فثقـــــة ثبت ضابط لها ، بخلاف حاله في الحديث .

توفي سنة ثمانين ومائـــة على الصحيح .

انظر : غاية النهاية ١/٢٥٤ ــ ٢٥٥

(٢) وبالفتـح أيضاً قرأ أبو جعفر .

انظر : البـــدور الزاهـــرة ص ٤٠

(٣) روى هـذا عن سعيد بن جبير .

انظر : تفسير الطبرى ١/٥٣٩

وقال عطاء : إذا كان طائفاً بالبيت فهو من الطائفين .

قال ابن جرير : وأولى التأويلين بالآيـة ما قاله عطاء ، لأن الطائف هو الذى يطـــوف بالشيء دون غيره ، والطارىء من غربة لا يستحق اسم طائف بالبيت إن لم يطف به ١٠ هـ

تفســير الطـبرى ١/٥٣٩

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائـــد ٣/٢٩٢

وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ... وفيه يوسف بن السفر وهو متروك .

الآيـــــة : ١٢٦

(١٢٦) قولـه تعـالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا)

يعني مكـة والحـرم أمنا من الجـدب والقحـط . وقيل : من الحرب .

قوله تعالى (وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) :

لا يكون الا ويوجـد فيه أنواع الثمار . فأحب ابراهيم أن لا يأكل طعام اللـــــه الا الموحـــد ون ، فأعلمه الله أن لا يخلق خلقا الا يرزقه ، فذ لك قوله تعالـــى (وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا) أى سأرزقـه في الد نيا يسـيرا .

قيل : خشـي ابراهيم أن لا يستجاب له في الرزق كما لم يستجب له في الامامـــة ، فخص المؤمنين في المسألة للرزق ، فأعلمه الله أن المؤمن والكافـــــــــر في الـرزق سـواء .

وقوله تعالى (مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ) في موضع نصب بد ل من أهله ، بد ل بعض من كل . كقوله تعالى (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) .(١)

وقولـه تعالى (وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا) أى فسأرزقـه الى منتهى أجله .

[قرأ ابن عامر " فأمتعه " بإسكان الميم مخففاً . وقرأ أبيّ بن كعب " فنمتعـه " قليـلا ثم نضطـره " بالنـون](٢) .

قرأ ابن عباس (٣) " فأمتعـه " بفتح الألف وجزم العين (ثم اضطرّه) موصولـــة الألف مفتوحة الراء ، على جهة الـدعاء من ابراهيم عليه السلام .

والباقون بالتشـــد يـد .(٤)

---

(١) آل عمـران ٩٧

(٢) ما بين المعقوفتـين من ط .

(٣) في أ ، م " ابن عامـر " والمثبت من ط ، كما هو كذ لك في البحـــــــــــــر المحيط ٣٨٤/١

(٤) انظر : النشر ٢٢٢/٢ ، والبحر المحيط ٣٨٤/١

والقراءة المتواترة في ذ لك هي في قوله " فأمتعـه " كما تقد م ، فقرأ ابن عامـــر بتخفيف التـاء ، وقرأ الباقون بالتشـد يـد .

الآيـــة : ١٢٦

وقوله تعالى (ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ) أى ألجئه الى عذاب النار في الآخرة .

(وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ) أى بئس المرجع يصير اليه .

واختلفوا في مكة : هل كانت حرما آمنا قبل دعاء ابراهيم ، أو انما صارت كذلك بدعائه ؟

قيل : انما صارت كذلك الا [1] بدعائه ، بدليل : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " اني حرّمت المدينة كما حرّم ابراهيم مكة " . [2]

والأصح أنها كانت حرما آمنا قبل دعائه ، بدليل قوله عليه السلام : " ان الله حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض ، ووضعها بين أخشبين " [3] أى جبلين . فعلى هذا كانت أمنا

---

(١) الأولى حذف " الا " فلا موقع لها هنا .

(٢) أخرجه البخارى في كتاب البيوع : باب بركة صاع النبي صلى الله عليه وسلم ومدهم . من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه .

(٣) هذا طرف من حديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما بألفاظ مختلفة ، وليس فيه " ووضعها بين أخشبين " .

ولفظه المتفق عليه عند الشيخين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : " لا هجرة ولكن جهاد ونية ، واذا استنفرتم فانفروا ، فان هذا بلد حرّم الله يوم خلق السموات والأرض ، وهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، وانه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي ، الا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ، ولا يختلى خلاها " .

قال العباس : يا رسول الله ، إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم . قال : قال : " إلا الإذخر " .

انظر : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٢/٧٧ ـ ٧٨

وقوله : " لا يعضد شوكه " : أى لا يقطع .

" ولا يختلى خلاها " : أى لا يقطع نباتها الرطب .

الإذخر : نبت طيب الرائحة . القين : الحداد .

والمعنى : أن الإذخر يحتاج إليه القين في وقود النار ، ويحتاجون إليه في سقوف البيوت ، يجعل فوق الخشب .

الآيـــة: ١٢٦ ، ١٢٧

قبـل دعائـه ، من الخسـف والاصطـلام[١] / لأهـله . وكان الله قـد جعل في قلـوب (٤٠/ب)
الناس هيبة ذلك المكان ، حتى كانوا لا ينتهكون حرمة من كان فيه بمال ولا نفس .
ثم بدعاء ابراهـيم صارت حرمـا آمنـا ، بأن أمـر اللـه الناس بتعظيمه على ألسـنة
الرسـول .[٢]

والـواو في قولـه (وَمَـن كَفَـرَ) دليـل على اجابـة اللـه دعـوة ابراهـيم
خاصـة .

(١٢٧) قولـه تعـالى (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) :

قيل : ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل أن يخلق الأرض[٣] بألفي عام ، وكـان
ربوة بيضاء على الماء ، فدحيت الأرض من تحتها ، فلما أهبط الله آدم الى الأرض
كان رأسه يلمس السماء ، حتى صلع وأورث أولاده الصلع ، ونفرت من طوله
دواب الأرض ، وكان يسمع كلام أهل السماء وتسبيحهم ويأنس اليهم[٤] ، فاشتكت

---

(١) الإصطـلام : الإستئصـال والإبـادة .
انظر : اللسـان (صـلم) .

(٢) قال الحافظ ابن كثير : لا منافاة بين الأحاديث الدالة على أن الله حرّم مكـة يـوم خلق السموات والأرض ، وبين الأحاديث الدالة على أن إبراهيم عليه السـلام حرّمها ، لأن إبراهيم بَلَّغَ عن الله حكمه فيها وتحريمه إياها وأنها لم تـزل بلـداً حراماً عنـد اللـه قبـل بناء إبراهـيم عليه السلام لها ١٠ هـ .
تفسـير ابن كثـير ١٧٩/١

(٣) في ط " قبـل خـلق آدم " .

(٤) في ط " بهم " .

الآيـــــة : ١٢٧

نفسه ، فنقصه [١] الله الى ستين ذ راعا بذ راع آد م ، فلما فقد آد م ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسبيحهم ، واستوحش وشكى الى الله ، فأنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة لها بابان من زمرد أخضر ، باب شرقي وباب غربي ، وفيه قناديل من الجنة ، فوضعه على موضع البيت الآن ، ثم قال : " يا آد م اني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي ، وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي " . وأنزل عليه الحجر ليمسح به دموعه ، وكان أبيض .

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " إن الحجر ياقوتة من ياقوت الجنة ، ولولا ما مسه المشركون بأنجاسهم ما مسه ذ و عاهة إلا شفاه الله تعالى " . [٢]

فتوجه آد م من أرض الهند الى مكة ماشيا ، وقيض له ملك يد له على البيت .

قيل لمجاهد : يا أبا الحجاج ، ألا كان يركب ؟ قال : وأى شيء يحمله ، فو الله ان خطوته مسيرة ثلاثة أيام ، وكل موضع وضع عليه قدمه صار عمرانا ، وما تعداه صار مفاوز وقفارا .

فأتى مكة وحج البيت وأقام المناسك ، فلما فرغ تلقته الملائكة فقالوا [٣] : برّ حجك يا آد م ، فلقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام .

قال ابن عباس : حج آد م أربعين سنة من الهند الى مكة على رجليه ، فكانت الكعبة كذ لك الى أيام الطوفان ، فرفعها الله تعالى الى السماء الرابعة ، فهو البيت المعمور ، يد خله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعود ون اليه الى يوم القيامة . وبعث الله جبريل حتى خبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس [٤] ، صيانة له عن الغرق ، فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام .

---

(١) في ط ، م " فقبضه " .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٢/٣ مع اختلاف في اللفظ .
وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وفيه محمد بن أبي ليلى وفيه كلام .

(٣) في ط " فقالوا له " .

(٤) هو جبل يشرف على مكة من شرقيها ، قيل : سمي باسم رجل من مذ حج كان يكنى أبا قبيس ، لأنه أول من بنى فيه قبة .
انظر : معجم البلدان ٨٠/١

الآيـــــة : ١٢٧

ثم أمر اللهَ ابراهـــيم ــ بعد ما ولد اسماعيل واسحاق عليهما السلام ــ أن يبني بيتـــا لـــه يعبـــد ويذكـــر فيـــه ، فلم يد ر ابراهيم أين يبني ، فسأل الله أن يبين له موضعه ، فبعث الله اليه السكينة لتد له على موضع البيت ، وهي / ريح خجوج [١] ، لها رأسان ، تشبـــه (٤١/أ) الحيـــة ، فتبعها ابراهيم حتى أتيا مكـــة ، فجعلت السكينة تطوف على موضع البيـــــت كما تطوف الحيـــة ، وأمر ابراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة ، فبنى . وهذا قول عـــليّ كرم الله وجهـــه .

وقال ابن عباس : بعث الله تعالى سحابـــة على قد ر الكعبة ، فجعلت تســـــير وابراهيم يسير في ظلها الى أن وافت مكـــة ووقفت على موضع البيت ، ونود ى : يا ابراهـــيم ابن على ظلها ، لا تزيـــد ولا تنقص ، فبنى بحيالها .

وقال بعضهم : أرسل الله جبريل ليد له على موضع البيت [٢] ، وذلك قوله تعالـــى (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) فبنى ابراهيم واسماعيل البيت ، كان ابراهيم يبنيـــه واسماعيل يناولـه الحجـارة [٣] ، والملائكـة ينقلون الحجارة من خمسة أجبل : طور سينـاء [٤]

---

(١) قال الجوهرى : ريح خجـــوج : تلتوى في هبوبهـــا .
وقال الأصمعي : الخجوج من الرياح : الشد يد ة المـــرّ .
انظر : الصحاح ٣٠٨/١ (خجـج) .

(٢) انظر هذ ه القصص والأخبار في : تفسير البغوى ١١٥/١ ، وتفسير ابن كثير ١٨٣/١ ـ ١٨٤ والد ر المنثور ٣١٣/١ ــ ٣١٨
وهي قصص وأخبار تبد و عليها الغرابة والنكارة ، كما لا علاقة لها بتفسير الآية ، بـــل هي مشغلة عن تد برها ، فكان الأولى الاعراض عن مثل هذ ه الأخبار التي لا طائل مـــن ورائها ولا مستند لها تقوم به حجة . والله أعـــلم .

(٣) في ط " الحجـــر " .

(٤) هو اسم جبل بقرب أيلة في بلاد الشام ، وهو الجبل الذ ى كلم الله عليه موسى عليـــه السلام . انظر : معجم البلد ان ٣٠٠/٣ ، ٤٨/٤

الآيـــة : ١٢٧

وطـور زيتـا (١) ، والجـودى (٢) ، ولبنـان (٣) ، وحـراء (٤) . قيل : ان قواعـــده من حـــراء .

فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الأســود قال لاسماعيل : ائتـني بحجـر حسن يكـــون للناس علمـا ، فأتـاه بحجـر ، فقال : ائتـني بحجـر أحسـن من هـذا . فمضى اسماعيـل ليأتي بحجـر ، فصاح أبو قبيـس : يا ابراهـيم ان لك عنـدى وديعـة فخذها . فأخـذ الحجـر الأســود ووضعـه مكانـــه .

وقيل : إن الله تعالى أمـد إبراهـيم وإسماعيـل بتسعة (٥) أملاك يعينوهما عـلى بناء البيت ، فلما فرغـا من بنائـه جثيا على الركب ، وقالا : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّـكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ .

فقيـل : قـد فعـل (٦) لكمـا ، فقـــالا :

---

(١) جبل بقرب رأس عين عند قنطرة الخابور ، على رأسه شجر زيتون عـذى يسقيه المطر ، ولذلك سمي طور زيتا ، وهو مطل على مسجد بيت المقدس شرقي وادى سلوان .
انظر : معجم البلدان ٤٧/٤ ـ ٤٨

(٢) الجـودى : هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر ، في الجانب الشرقي من دجـــلة من أعمال الموصل ، وعليه استوت سفينة نوح عليه السلام لما نضب الماء .
انظر : معجم البلدان ١٧٩/٢

(٣) هو جبل مطل على حمـــص . انظر : معجم البلدان ١١/٥

(٤) هو جبل من جبال مكة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتيه الوحـــي يتعبد في غار من هذا الجبل ، وفيه أتاه جبريل عليه السلام .
انظر : معجم البلدان ٢٣٣/٢

(٥) في أ " تسعة " والتصويب من م .
وفي ط " بسبعة " .
ومثل هذه الأخبار لا معول عليها ما لم تستند الى دليل تقوم به حجة ، وقد تقـدم التعليق على مثلها . وبالله التوفيـق .

(٦) في ط كلمة " ذلك " بعد قوله " فعل " .

الآيـــــة : ١٢٨

(١٢٨) ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾

فقيل : قد فعل لكما ذلك ، فقالا : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ أي موحدين مخلصـــــين .

والقواعـــد هي أساس الكعبـــة ، كذا قال الكلبي .

وقوله تعالى ﴿ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ أي بنياتنا .(١)

قولـه تعـالى ﴿ وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكِ ﴾ قرأ عوف " مسلمين " على الجمع .(٢)

وقولـه تعالى ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً ﴾ أي واجعل من ذريتنا أمة مخلصـــــــة لك بالتوحيـــد والطاعـة ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ أي عرفنا متعبداتنا وشرائع ديننـــــا وأعـلام حجنـا .

وأصل النسـك : العبادة ، ويقال للعابـد : ناسك .

وقرأ ابن مسعود " وأرهم مناسكهـم "(٣) رده الى الأمـة .

وقرأ قتادة ، وابن كثير " وأرنـا " بسكون الراء في جميع القرآن .

وقرأ أبو عمرو باختلاس كسرة الراء . وقرأ الباقون بكسر الراء .(٤)

فأجاب الله دعاءهما ، فبعث جبريل عليه السلام فأراهما المناسك في يوم عرفـــة ، فلما بلغ عرفات قال : يا ابراهيم عرفت ؟ قال : نعم . فسمي الوقت عرفة والموضـع عرفـــات .(٥)

---

(١) في م " ببنائنا " .

(٢) ونسبت هذه القراءة أيضا لابن عباس . انظر : البحر المحيط ٣٨٨/١

(٣) انظر : البحر المحيط ٣٩٠/١

(٤) انظر : التيسير ص ٧٦ ، وتفسير القرطبي ١٢٧/٢ ـ ١٢٨

(٥) روى هـذا عن ابـن عبـاس ، وعطـــاء .

انظر : تفسير الطبرى ٢٨٦/٢ ـ ٢٨٧

الآيـــة : ١٢٨ ، ١٢٩

قولـه تعالى (وَتُبْ عَلَيْنَـا) أي تجاوز عن ذنوبنـا الصغائر ، لأن ذنـوب الأنبيـاء لا تكون الا الصغائـر .(١)

وقولـه تعـالى (إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ) أي المتجاوز ، الرجاع بالرحمة على عباده .

(١٢٩) قولـه تعـالى (رَبَّنَـا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ)

أي في ذريتنا الأمة المسلمة : أي ذرية ابراهيم واسماعيل من أهل مكـة .

وقولـه (رَسُولاً مِّنْهُمْ) أي من أهـل نسبهـم .

(يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ) أي يقرأ عليهم كتابـك .

(وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ) الذي ينزل عليـه ومعانيـه .

(وَٱلْحِكْمَـةَ) أي فقه الحـلال / والحـرام . (٤١/ب)

وقال مجاهد : فهم القرآن . وقال مقاتل : هي مواعظ القرآن وبيان الحلال والحرام .

وقال ابن قتيبـة : هي العلم والعمل ، ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعها .(٢)

---

(١) قلـت : وهـذا غير مسلّم ، فإنهم معصومون حتى من الصغائر ، لأنا مأمـورون باتباعهم في أفعالهم وسيرهم أمراً مطلقاً ، من غير التزام قرينـة ، فكل أقوالهـم وأفعالهم حق ، ولو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكـن الاقتـداء بهم بكل حال .

أمـا ما ورد من ظواهر بعض الآيـات والأحاديث من اعتراف الأنبيـاء بذنوبهـم ، وتوبتهم واستغفارهـم ونحو ذلك ، فإن هذا مبعثه علو درجـة الأنبياء في الرفعة والمعرفة بالله عز وجل وسنته في عباده ، وعظم سلطانـه وقوة بطشه ، مما يحملهم على الخوف منه سبحانه ، والإشفاق من المؤاخذة بمـا لا يؤاخذ به غيرهم ، ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف .

ثم إن ذلك أيضاً محمول على طلب التثبيت والدوام على التوبة والمغفرة والعمـل الصالح . والله أعلم .

انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٨٠٩/٢ ، ٨٤٠ ، وتفسـير القرطـبي ٣٠٨/١ ـ ٣٠٩

(٢) في ط ، م " يجمعهما " .

الآيـــــة : ١٢٩

وقال بعضهم : كل كلمة وعظتك أوزجرتك أودعتك الى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة .

وقيل : الحكمة وضع الأشياء مواضعها .

وقيل : هي السنة البينة .(١)

قوله تعالى (وَيُزَكِّيهِمْ) أى يطهرهم من الكفر والفواحش والدنس والذنوب .

وقيل : يصلحهم بأخذ زكاة أموالهم .(٢)

وقال ابن كيسان : أن يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ .(٣)

قوله تعالى (إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) العزيز : هو المنيع الذى لا يغلبه شيء .

الحكيم : الذى يحكم بما يريد .

وقال ابن عباس : العزيز : الذى لا يوجد مثله .(٤) دليله : قوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)(٥) .

وقال الكلبي : العزيز : المنتقم ممن شاء(٦) ، دليله : قوله تعالى (وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ)(٧) .

وقال الكسائي : العزيز : الغالب(٨) . دليله (وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ)(٩) أى غلبني .

وقال ابن كيسان : العزيز : الذى لا يعجزه شيء .(١٠)

---

(١) انظر هذه الأقوال في : تفسير الطبرى ٥٥٧/١ ، وتفسير البغوى ١١٦/١ ـ ١١٧ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٢ ، والبحر المحيط ٣٩٣/١

قلت : وهذا اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد .

(٢) قاله ابن عباس والفراء . انظر : زاد المسير ١٤٦/١

(٣) انظر : تفسير البغوى ١١٧/١

(٤) انظر : تفسير البغوى ١١٧/١

(٥) الشورى ١١ وتمامها (وهو السميع البصير) .

(٦) انظر : تفسير البغوى ١١٧/١

(٧) آل عمران ٤

(٨) انظر : تفسير القرطبي ١٣١/٢

(٩) سورة ص ٢٣

(١٠) انظر : تفسير القرطبي ١٣١/٢

الآيـــــة : ١٢٩

وقال المفضل : العزيز : الممتنع الذى لا تناله الأيدى ، ولا يرد له أمر ، ولا غالب لـــه فيمـا أراد .(١)

وقيـل : العزيـز : هو القوى ذو القدرة(٢) ، دليله : قوله (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ)(٣) : أى قوينـــــــا .

وأصل العزة في اللغة : الشدة ، يقال : عز عليّ كذا اذا شق .

والمراد بالرسول في هذه الآية محمـــد صلى الله عليه وسلم . وبالكتاب : القرآن .

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إنما [أنـا](٤) دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى أخـــي عيســـى "(٥) ، يعني قوله تعالى (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ) ، وقوله (وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَـــدُ) .(٦)

---

(١) انظر : البحـــر المحيـــــــط ٣٩٣/١

(٢) انظر : تفســـــير البغـــــوى ١١٧/١

(٣) يـــس ١٤ (إذ أرسلنـا إليهـم اثنـين فكذبوهمـا فعـززنـا بثالـث فقالـوا إنـــا إليكـم مرســـلون) .

قلـــت : وكل هذه الأقوال متقاربـة المعنى ، ولا منافاة بينها .

قال ابن كثير : " العزيز : الذى لا يعجزه شيء ، وهو قادر على كل شيء " .

تفسير ابن كثير ١٩٠/١

(٤) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٥) أخرجه الامام أحمد في مسنده ٢٦٢/٥

من حديث أبي أمامة قال : قلت : يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك ؟ قال : " دعـــوة أبي إبراهيم و بشرى عيســـــــــى ، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منهـــا قصـــور الشـــام " .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائـــد ٢٢٢/٨ وقال : رواه أحمد وإسناده حســـن ، وله شواهـــد تقويه ، ورواه الطبراني ١٠ هـ .

وقد ذكره الألباني في ضعيف الجامع ٢٢٣/٢ .

(٦) ســـورة الصـــف ٦

الآيـــة : ١٢٩ ، ١٣٠

فاستجاب الله دعـاء ابراهيم عليـه السـلام ، وبعث فيهـم محمـدا سيد الأنبيـاء .

كذ لك قال رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم : " اني عنـد [١] الله لخاتم النبيـين ، وان آد م لمنجـد ل في طينتـه " . [٢]

(١٣٠) قولـه تعالى (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ) :

هذ ا تحريض من الله على ملة نبينا محمـد صلى الله عليه و سلم التي هي ملـة ابراهـيم ، لأن ابراهيم واسماعيل كانا سألا في د عائهمـا أن يجعل الله مـن ذ ريتهمـا بمكـة رسولا ، لأن الكلام كان في ذكـر مكـة ، ولم يكن أحـد من أهـل مكـة من ذ ريتهما نبيا سوى محمـد صلى الله عليه و سلم .

وملة ابراهيم د اخلة في ملة نبينا محمـد ، مع الزياد ات التي في شرائـع هـذ ه المـلة . [٣]

---

(١) في م " عبد الله " . وهي رواية في الحد يث .

(٢) أخرجه الامام أحمـد في مسند ه ١٢٧/٤ ، والحاكم في المستد رك ٤١٨/٢ من حد يـث العرباض بن ساريـة .

وقال الحاكم : هـذ ا حد يث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ووافقـه الذ هبي .

وذ كره الهيثمي في مجمع الزوائـد ٢٢٣/٨ وقال : رواه أحمـد بأسانيد ، والـبزار ، والطبرانـي بنحـوه ... وأحـد أسانيد أحمـد رجاله رجال الصحيح ، غـير سعيد بن سويد ، وقد وثّقه ابن حبان .

وتمام الحد يث : " وسأنبئكم بأول ذ لك : د عـوة أبي ابراهـيم ، وبشـارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذ لك أمهات النبيين يريـن " .

ومعنى " لمنجد ل في طينته " : أى ملقى على الجد الة ، وهي الأرض .

انظر : النهايـة في غريب الحـد يث والأثـر ٢٤٨/١ مادة (جد ل) .

(٣) في ط " الأمـة " .

الآيـــة : ١٣٠

وسبب نزول هذه الآية : أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه ـ سلمة ومهاجرا ـ الى الاسلام ، وقال لهما : قد علمتما [١] أن الله قال في التوراة : اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه أحمد ، فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ، ومن لم يؤمن به فملعون . فأسلم سلمة ، وأبى مهاجر أن يسلم ، فأنزل [٢] الله تعالى (**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ**) أي يترك دينه وشريعته .

يقال : رغبت في الشيء / اذا أردته ، ورغبت عنه اذا تركته . (٤٢/أ)

والرغبة في اللغة : محبة [ما] [٣] للنفس فيه منفعة ، ولهذا لا يجوز في صفات الله راغب . [٤]

قوله تعالى (**إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ**) أي خسر وهلك .

وقال الكلبي : ضل من قبل نفسه . [٥]

وقال بعض أهل اللغة : " سفه " بمعنى سفّه . [٦]

وقيل : (**سفه نفسه**) : **أي جهل نفسه ، بمعنى لم يفكر في نفسه أن لها خالقا** . [٧]

وقيل : سفه في نفسه ، الا أنه حذف الخافض فنصب [٨] ، مثل قوله (**وَلَا تَعْزِمُوا**

---

(١) في ط " علمنا " .

(٢) انظر : تفسير البغوى ١١٧/١ ، والكشاف ١٩١/١

وقال السيوطي : لم أقف عليه في شيء من كتب الحديث ولا التفاسير المسندة .

انظر : الفتح السماوى للمناوى ١٨٣/١

(٣) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٤) صفات الله تعالى إنما هي توقيفية ، والمرجع فيها هو الكتاب والسنة فحسب ، دون التقعيدات والتعليلات اللغوية .

(٥) انظر : تفسير البغوى ١١٧/١

(٦) انظر : معاني القرآن للأخفش ٣٣٧/١

(٧) هذا قول الزجاج كما في معاني القرآن له ٢١١/١

(٨) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢١٠/١

قلت : وكلها أقوال متقاربة المعنى . قال ابن كثير : (سفه نفسه) : أي ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق الى الضلال ... تفسير ابن كثير ١٩٠/١

الآيـــــة : ١٣٠

عُقْـــدَةَ ٱلنِّكَـــاحِ) . [١] **أى** على عقـد ة النكاح .

ويقال : ضربتـــه الظهر والبطن : أى على الظهر والبطن . [٢]

وأصل السفه والسفاهـــة : الجهل وضعف الرأى .

قوله تعالى (وَلَقَـــدِ ٱصْطَفَيْنَـٰـهُ فِـي ٱلدُّنْيَـــا) أى للرســالة .

وأصل " الطاء " فيه " التـــاء " [٣] حولت [٤] طاءً ، لقرب مخرجهما ولتطـــــــوع اللســـان بـــه .

قولـه تعـــالى (وَإِنَّـــهُ فِـــي ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰـلِحِـينَ) أى الفائزين . قاله الزجـــاج . [٥]

وقيل : المستوجبـــين للكرامـــة . [٦]

وقيل : في الآية تقد يم وتأخـــير ، تقد يره : ولقد اصطفيناه في الد نيا والآخرة وانـــه لمـــــن الصالحين . [٧] نظيره في سورة النحل **(وَءَاتَيْنَـٰـهُ فِي ٱلدُّنْيَـا حَسَنَةً وَإِنَّـهُ فِـي ٱلْأَخِـــــرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰـلِحِـينَ)** . [٨]

---

(١) البقـــرة ٢٣٥

(٢) انظر : معاني القرآن للزجـــاج ٢١٠/١ ــ ٢١١

(٣) في ط " تا " بغير " أل " التعريف .

(٤) في م " جعلت " .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢١١/١

(٦) روى عن الحسن . انظر : البحر المحيط ٣٩٥/١

(٧) قاله الحسين بن الفضل . انظر : تفسير البغوى ١١٧/١ ، وتفسير القرطبي ١٣٣/٢

(٨) النحـــــل : ١٢٢

وقال الطبرى : يعني تعالى ذكره بقوله (وإنـه في الأخرة لمن الصـٰلحين) : وإن إبراهيم في الد ار الآخرة لمن الصالحين ، والصالح من بني آد م هو المؤد ي حقوق الله عليـــه ، فأخبر تعالـــى ذكـره عـن إبراهـيم خليـله أنـه فـي الد نيـا لـه صفي ، وفـــي الآخـرة ولـي ، وأنـه وارد موارد أوليائـــه الموفـــين بعهـــد ه . ا هـ .

تفســـير الطـــبرى ٥٥٩/١

الآيـــة : ١٣١

(١٣١) قولـه تعـالى (إِذْ قَـالَ لَـهُ رَبُّـهُ أَسْـلِمْ) :

أي استقم على الاسـلام واثبت عليـه ، لأنـه كان مسلما ، كقوله تعالى (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّـهُ) [١] أي اثبت على علمك .

وقال ابن عباس : انما قال ذلك حين خرج من السَرَب [٢] ورأى الكوكب والقمر والشمس فألهمه الله الاخلاص ، فاستدل وعرف وخدانية الله فأسلم حينئذ [٣] وقـال : (إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ) . [٤] الآيـــة .

وليس أنـه كان حين أفَلَت الشمس كافراً ، لأن الله تعالى لا يتنبأ من كان كافرا قط .

ويجوز أن يكون معنى الاسلام : تسليم الأمور الى الله تعالى والانقياد له من غـير امتنـاع وعصيـان . [٥]

وقال الكلبي معناه : أخلص دينك للـه بالتوحيـد . [٦]

وقال عطاء : سلم نفسك الى اللـه وفوض أمرك إليـه . [٧]

وقيل : اخضـع واخشـع .

---

(١) سـورة محمـد ١٩

(٢) السَرَب (بالتحريك) : حفير أو بيت تحت الأرض .

انظر : اللسان ٤٦٦/١ مادة (سرب)

وانظر قصة السرب المذكور في : تفسير القرطبي ٢٤/٧

ولغرابتها وعدم استنادها الى خبر ثابت آثرت عدم ذكرها .

(٣) انظر : تفسير البغوى ١١٧/١ ـ ١١٨ ، والخازن ١١٣/١

(٤) الأنعـام ٧٨ ـ ٧٩

(٥) قال ابن كثير رحمه الله : قوله تعالى (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ) :

أي أمره الله تعالى بالإخلاص والإستسلام والإنقياد ، فأجاب إلى ذلك شرعًا وقدرًا ١٠ هـ .

تفسـير ابن كثـير ١٩١/١

(٦) انظر : تفسير البغـوى ١١٨/١

(٧) انظـر : المصدر السابـق .

الآيـــة : ١٣١ ، ١٣٢

قولـه تعـالى (قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَـٰلَمِينَ) ظاهـر المعنى .

(١٣٢) قولـه تعالـى (وَوَصَّـىٰ بِهَـآ إِبْرَاهِـۧمُ بَنِيـهِ وَيَعْقُـوبُ) :

قرأ أهل المدينـة والشام[١] " وأوصى " بالألف . وقرأ الباقون بالتشديد .[٢]

وهما لغتان ، يقال : أوصيته ووصيته اذا أمرته ، مثل : أنزل ونـزل .

وقوله تعالى (بِهَا) يعني بكلمة الاخلاص : لا اله الا اللـه .

وقال أبو عبيد :[٣] ان شئت رددت الكناية الى الملة ، لأنه ذكر ملة ابراهـيم ، وان شئت رددتها الى الوصيـة .

وقال المفضل : بالطاعـة ، كناية عن غير مذكـور .[٤]

وكناية الملة هنا أصح ، لأن ردها الى المذكور أولى من ردها الى المدلول[٥] ، وكلمـة الاخلاص مدلول عليها في ضمن قوله تعالى (قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَـٰلَمِينَ) .

وبنو ابراهيم أربعـة : اسماعيل ، واسحاق ، ومدين ، ومداين .[٦]

قوله تعالى (وَيَعْقُـوبُ) قيل : سمي يعقوب لأنـه خرج على اثر العيص آخذا بعقبه ،[٧]

---

(١) في م كلمة " أهل " قبل قوله " الشام " .

(٢) انظر : النشـر ٢/٢٢٢ ـ ٢٢٣

(٣) في تفسير الثعلبي والبغوى (أبو عبيدة) ولم أجده في مجازه .
انظر : تفسير الثعلبي ١/١٢٦ ، وتفسير البغوى ١/١١٨

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ١/١٢٦

(٥) انظر : البحر المحيـط ١/٣٩٨

(٦) ذكر بعض المفسـرين أنهم ثمانيـة .
انظر : تفسـير البغـوى ١/١١٨ ، والقرطـبي ٢/١٣٥ والبحـر المحيـط ١/٣٩٩

(٧) قال القرطبي : وفي ذلك نظـر ، لأن هذا اشتقاق عربي ، ويعقـوب اسم أعجمي ، وإن كان قد وافق العربية في التسمية به اهـ .
انظر : تفسير القرطـبي ٢/١٣٦

الآيـــة : ١٣٢

وقـد مضـت قصتهمـا . وقيـل : سمي يعقوب لكثرة عقبـــه .(١)

قال /رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي ، أربعـة الاف (٤٢/ب)
من بني اسرائيـــل " .(٢)

ومعنى الآيـة : ووصى بها أيضا يعقوب بنيـه الاثني عشر .(٣)

وحكي عن مجاهـد : أنه حكى عن بعضهم " ويعقـوبَ " بالنصب عطفا على " بنيـــه " داخـلا في جملة الموصيـين .(٤)

قولـه تعـالى (**يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ**) أى الاسلام (**فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**) أى مؤمنـون . وقيل : مخلصون . وقيـــــل : محسـنون بربكـم الظـن .

---

(١) وأنكر أبو حيـان هـذا والذى قبله ، وقال : لوكان كذلك لكان له اشتقاق عربـــي ، فكان يكـون مصـــروفا ١٠ هـ .

البحـــر المحيـــط ٣٩٧/١

(٢) أخرجه الحافظ ابن كثـير في تفسـيره ٥٩٩/١ ــ ٦٠٠ من حـديث أنس بن مالـك . ثم قال : وهـذا غريب من هـذا الوجـه ، واسناده لا بأس بـه ، رجاله كلهم معروفـــون الا أحمـــد بن طارق فاني لا أعرفـه بعدالة ولا جـرح . والله أعلم ١٠ هـ .

(٣) انظر أسماءهـم في البداية والنهاية ١٨٤/١

(٤) في ط " الموصـين " بياء واحـــدة .

وانظر القراءة المذكورة في مختصر شواذ القراءات ص ٩ وهي منسوبة لعمرو بن فائـــد وطلحـــــة .

قال القرطبي : قال القشيرى : وقرىء " يعقوبَ " بالنصب عطفا على " بنيه " وهـــو بعيد ، لأن يعقوب لم يكن فيما بين أولاد ابراهيم لما وصاهم ، ولم ينقل أن يعقـــوب أدرك جده ابراهيم ، وانما ولد بعد موت ابراهيم ، بل ان يعقوب أوصى بنيه أيضـــا كما فعـــل ابراهيم ١٠ هـ .

تفســـير القرطـــــبي ١٣٦/٢

الآيـــة : ١٣٢، ١٣٣

وقيـــل : مفوضـــــون .[١]

روى أنـه لما نزلت هـذه الآيـة قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم : ألست تعـــــلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيـه بدين اليهودية . فأنزل الله[٢] تعالى :

(١٣٣) قوله تعالى (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ) :

أي أكنتم أيها اليهود حضورا حين حضر يعقوب الموت (إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ) الخليل (وَإِسْمَٰعِيلَ) الصادق (وَإِسْحَٰقَ) الحليم .

والمراد بحضور الموت حضور أسبابه ، لأن من حضره الموت لا يتمكن من القـــول . وقد يسمى سبب الشيء باسمه ، كما قال تعالى (وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) .[٣]

وقال الكلبي : معنى الآيـة : أن يعقوب لما دخل مصر رأى أهلها يعبدون الأوثـــان والنيران ، فجمع أولاده وخاف عليهم ذلك[٤] فقال لهم : (مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِي) .

---

(١) انظر هذه الأقـــوال في : تفسير البغـوى ١١٨/١ ، والقرطـبي ١٣٧/٢ وهـــــي متقاربـــــة المعنى .

قال القرطبي : هذا إيجاز بليغ ، والمعنى : الزموا الإسلام ودوموا عليـه ولا تفارقـــوه حتى تموتوا ، فأتى بلفظ موجز يتضمن المقصود ، ويتضمن وعظاً وتذكيراً بالموت ١٠هـ .

انظر : تفسير القرطـبي ١٣٦/٢ ـ ١٣٧

(٢) لم أقف عليـه مسـندا .

وقد ذكره الواحـدى في أسباب النزول ص ٣٧ ، والبغوى في تفسـيره ١١٨/١ وابن الجوزى في زاد المسـير ١٤٩/١ ، وعـزاه الأخير لمقاتـل .

(٣) الشـــــورى ٤٠

(٤) انظـر : تفسـير البغـوى ١١٨/١

الآيـــــة : ١٣٣

وقال عطاء : إن الله تعالى لم يقبض نبياً حتى يخيره بين الحياة والموت ، فلما خـــــير يعقوب قال : أنظرني حتى أسأل أولادي وأوصيهم ، فجمع أولاده وأولاد أولاده وقال لهـــم : قد حضر أجلي ، فما تعبدون من بعدي [١] : أي [٢] بعد موتي ؟ (قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ) الآيـــة .

قرأ يحيى بن يعمـــر " وإلـه أبيـك " على التوحيـد [٣] ، قال : لأن اسماعيل عم يعقوب لا أبـــوه . [٤]

وقرأ العامة " وإلـه آبائك " على الجمع ، وقالوا " عم الرجل صنو أبيه " [٥] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس : " هذا بقية آبائي " . [٦]

---

(١) انظـــر : تفســـير البغـوى ١١٨/١

(٢) في ط " أي من بعد " .

(٣) ونسبت هذه القراءة أيضاً لابن عباس ، والحسن ، والجحدري ، وأبي رجاء .
انظر : البحر المحيط ٤٠٢/١ ، وتفسير القرطبي ١٣٨/٢

(٤) وأنكر ذلك النحاس ، قال : لأن العرب تسمي العم أبا .
انظر : تفســـير القرطـــبي ١٣٨/٢

(٥) هذا من قول النبي صلى الله عليه و سلم ، أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
انظر : صحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب في تقديم الزكاة ومنعها .
ومعنى : صنو أبيه : أي مثله ونظيره ، يعني أنهما من أصل واحـــد .

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠٩/١٢ في كتاب الفضائل : باب فضل العبـــاس . من حديث مجاهـــد مرســلاً .
ورواه الطبراني في المعجم الكبير من حديث ابن عباس ، وفي المعجم الصغير مـــن حديث الحسن بن علي مرفوعاً بلفظ " احفظوني في العباس ، فإنه بقية آبائي " .
وحديث الحسن بن علي قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٩/٩ : رواه الطبرانـــي في الصغير والأوسط ، وفيه جماعة لم أعرفهم .
وقال عن حديث ابن عباس : رواه الطبراني ، وفيه عبد الله بن خراش وهو ضعيـف ، ووثقـه ابن حبان ١٠ اهـ .
وانظر : تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر ١٩٣/١ هامش رقـم (٢) والفتح السماوي للمناوي ١٨٤/١ ــ ١٨٥ ، وضعيف الجامع للألباني ١٠٧/١

الآيـــة : ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥

والعـرب تسمي العـم أبـا ، كمـا تسمـي الخالـة أمـا .(١)

قال الله تعالى (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) (٢) يعني يعقوب وليان وهي خـــالة يوسف عليه السلام .

(١٣٤) وقولـه تعـالى (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ) :

أي لا تتكلوا أيها اليهود على آبائكم وأسلافكـــم اعتمادا منكم على شفاعتهـــــم فانهـم جماعـة قـد مضت .

قولـه تعالى (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ) أي لها جزاء ما عملت من خـير أو شـر ، ولكـم جـزاء ما عمـلتم .

قولـه تعـالى (وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أي انما تُسألون عن أعمالكم .

(١٣٥) قولـه تعـالى (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا) :

قال ابن عباس : نزلت في رؤوس يهود المدينة : كعب بن الأشرف ، ومالك بـــن الصيف ، ووهب بن يهوذا ، وأبي ياسر (٣) ، وفي نصارى نجران : السيد ، والعاقب (٤) وأصحابهما ، خاصموا المسلمين في الدين ، فقالت اليهود : نبينا موسى أفضل الأنبياء

---

(١) انظـر : الكشاف ١٩٣/١ ، وتفسير البغوى ١١٩/١

(٢) يوســـف ١٠٠

(٣) هو أخو حيي بن أخطب من بني النضير ، كان هو وأخوه حيي من أشد الناس حسداً ، وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ، فأنزل الله تعالى فيهما قوله (ود كثـــير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم) .
انظر : سيرة ابن هشام ١٩٠/٢

(٤) السيد : هو صاحب رحلهم ومجتمعهم ، واسمه الأيهم .
والعاقب : هو أمير القوم وصاحب مشورتهم ، واسمه عبد المسيح .
انظر : سيرة ابن هشام ٢١٥/٢

الآيـــة : ١٣٥

وكتابنا التـوراة أفضـل الكتـب ، وديننـا / أفضـل الأديان ، وكفرت بعيسى والانجيـل (٤٣/ أ)
ومحمـد والقرآن .

وقالت النصارى : نبينا عيسـى أفضـل الأنبيـاء ، وكتابنا الانجيل أفضل الكتب ، و ديننا
أفضـل الأديـان ، وكفرت بمحمـد والقرآن .

وقال كل واحـد من الفريقين للمسلمين : كونوا على ديننا ، فلا دين الا ذلك[١] ، دعوهم
الى دينهم ، فقال الله تعالى (قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً) .

[أى قل لهم يا محمـد : بل نتبع ملة ابراهيم حنيفـا][٢] مسلما : أى مخلصـا
مائلا عن كل دين سـوى الاسـلام .

(وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يعني ابراهيم عليـه السـلام .

والحنف : ميل أصابع القدمين[٣] . سمي ابراهيم حنيفا لأنه حنف عما كان يعبد آباؤه :
أى عـدل .[٤]

وقيل : الحنف : الاستقامة[٥] ، وانما سمي الرجل المعوج[٦] أحنف تفاؤلا ، كما يقـال
للأعمى بصـير .

---

(١) انظر : أسباب النزول للواحدى ص ٣٨ ، وتفسير البغوى ١١٩/١
وأخرج الطبرى ، وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس قال : قال عبد الله بن صوريا الأعـور
لرسول الله صلى الله عليه و سلم : ما الهدى الاما نحن عليه فاتبعنا يا محمـد
تهتـد ، وقالت النصارى مثل ذلك ، فأنزل الله عز وجل فيهم (وقالـوا كونـوا هـوداً
أو نصارى تهتـدوا) .
تفسير الطبرى ٥٦٤/١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٩٦/١

(٢) ما بين المعقوفتـين من ط .

(٣) انظر : الكشـاف ١٩٤/١

(٤) انظر : تفسير القرطبي ١٣٩/٢ ـ ١٤٠

(٥) انظر : غريب القرآن لابن قتيبـة ص ٦٤

(٦) في م " الأعـوج " .

الآيـــة : ١٣٥ ، ١٣٦

والفائدة في ذكر ملة ابراهيم : أنه لاشك أنها [١] حق عند نا و عند اليهود والنصارى .

ولم يختلف الناس أن [٢] ملته الاسلام والتوحيد .

وقال ابن عباس : الحنيف : هو المائل عن الأديان كلها الى دين الاسلام . [٣]

وقال مقاتل : الحنيف : المخلص . [٤]

وانتصب " حنيفا " على القطع عند الكوفيين ، لأن تقديره : بل ملة ابراهيم الحنيف ، فلما سقطت الألف واللام لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منه فنصب .

وقال البصريون : انتصب على الحال . [٥]

(١٣٦) قوله تعالى (قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ) الآية .

وذلك أنه جاء أحبار اليهود الى النبي صلى الله عليه و سلم ، فقالوا له : بمن نؤمن من الأنبياء ؟ فأنزل [٦] الله تعالى (قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا) يعني القرآن (وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ) وهي عشر صحف (وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ) يعني أولاد يعقوب ، واحدهم سبط ، سموا بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة من الناس . وسبط الرجل حافده ، ومنه قيل للحسن والحسين : سبطا رسول الله صلى الله عليه و سلم .

---

(١) في أ " أنه أحق " ، وفي م " أنه حق " ، والمثبت من ط .

(٢) في م حرف " في " قبل قوله " أن ملته " .

(٣) انظر : تفسير البغوي ١١٩/١

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ١٢٨/١

وروي ذلك أيضاً عن عطاء ، والسدى .

انظر : تفسير الطبرى ٥٦٦/١ ، وزاد المسير ١٥٠/١

(٥) انظر : البحر المحيط ٤٠٦/١ ، والدر المصون ١٣٦/٢ ـ ١٣٧

(٦) انظر : تفسير القرطبي ١٤٠/٢ ـ ١٤١

الآيـــة : ١٣٦ ، ١٣٧

والأسباط من بني اسرائيل كالقبائل من العرب ، والشعوب من العجم[١] ، فكان في الأسباط أنبياء ، فلذلك قال الله تعالى (**وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ**) .

وقيل : هم بنو يعقوب من صلبه[٢] ، صاروا كلهم أنبياء .

وقوله تعالى (**وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ**) يعني التوراة (**وَعِيسَى**) يعني الإنجيل (**وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ**) أي لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى ، بل نؤمن بجميع أنبياء الله وكتبه ، فلما نزلت هذه الآية قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليهود والنصارى ، وقال : " إن الله أمرني بهذا "[٣] .

فلما سمعت اليهود بذكر عيسى أنكروا وكفروا ، وقالوا : لا[٤] نؤمن بعيسى . وقالت النصارى : ان عيسى ليس بمنزلة الأنبياء ولكنه ابن الله . فأنزل الله[٥] تعالى قوله تعالى :

(١٣٧) (فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ)

أي فإن آمنوا بجميع ما آمنتم به / كإيمانكم . (٤٣/ب)

وقيل معناه : فان آمنوا بما آمنتم به ، و " مثل " صلة ، وهكذا كان يقرأها ابن عباس ويقول : اقرأوا " فان آمنوا بما آمنتم به "[٦] ، فليس لله مثل .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١٩٣/١

(٢) وهذا قول الجمهور .
انظر : تفسير القرطبي ٥٦٨/١ ، وتفسير القرطبي ١٤١/٢ ، وزاد المسير ١٥٠/١

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ١٢٩/١ ، والبحر المحيط ٤٠٩/١
ولم أجده في كتب الحديث التي وقفت عليها .

(٤) في ط " لن نؤمن " .

(٥) انظر : المصدرين السابقين .

(٦) انظر : الكشاف ١٩٥/١ ، والبحر المحيط ١٠٩/١
وقد نسبت هذه القراءة أيضا لابن مسعود .

الآيـــة : ١٣٧

وقيـل : [الباء](١) بمعنى " على "(٢) . وقيل : الباء زائـــدة .(٣)

ومعنى الآيـــة : ان امنوا بالله ورسله وكتبه فقـد اهتـدوا .

وقولـه (**وَإِن تَوَلَّـوْاْ**) أي وان أعرضوا عن الايمان بالقرآن ومحمـــد صلى اللهعليه و سلم . (**فَإِنَّمَا هُـمْ فِي شِقَـاقٍ**) أي خلاف وعداوة ، يقال : فلان وفلان تشاقا ، أي أخذ كل واحـد في شق غير شق صاحبـه ، دليله قوله تعالى ـ حاكيا عن شعيب ـ (**وَيَـٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّـكُمْ شِقَـاقِـي**)(٤) أي خلافي .

وقيل : مأخوذ مما اذا أخـذ كل واحد فيما يشق على صاحبـه .

وقال مقاتل معناه : فانما هم في ضلال . وقال الكسائي : معناه فانما هم في خلع الطاعـة .

وقال الحسن : معناه فانما هم في بعاد وفراق الى يوم القيامـة .(٥)

وقيـل : لما انتهـى النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم الـى قولـه تعـالى (**وَمَآ أُوتِـيَ مُوسَـىٰ وَعِيسَـىٰ**) قـالـت النصـارى لـه : نؤمـن بموسـى و عيسى ولا نؤمـن بـك . فأنـزل الله تعالى(٦) (**قُـلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّـآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّـهِ وَمَآ أُنـزِلَ**

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط .

(٢) والمعنى : فإن امنوا على مثل ما آمنتم بـه .
انظر : البحر المحيط ٤٠٩/١

(٣) تقدم الكلام على أنه لا يوجد في كتاب الله حرف زائد لا معنى له ، بل كل حرف منـه له دلالته ، ويحمل من البلاغـة ما لا يوجـد مع حذفه ، فلا ينبغي ادعاء الزيادة فيـه ، بل يفسر بكامل حروفـه .

(٤) هـود ٨٩

(٥) انظر هذه الأقوال في : تفسير الثعلبي ١٢٩/١ ، والبحر المحيط ٤١٠/١ وكلهـا متقاربة المعنى . واللـه أعـلم .

(٦) لم أجده بهذا السياق ، بل روى عن ابن عباس قال : أتى نفر من اليهود الى رسول اللـه صلى الله عليه و سلم ، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل ، فقال : أومن (**بِاللَّـهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَاهِـيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ**) الى قوله (**وَنَحْنُ لَـهُ مُسْلِمُونَ**) . فلما ذكر عيسـى جحدوا نبوتـه وقالوا : والله ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكـم ، ولا دينا شرا من دينكم . فأنزل الله تعالى (**قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّـا**

الآيـــة : ١٣٧ ، ١٣٨

إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ) . (١)

وانما أضاف الله الانزال الى اسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ، وانما كان الانزال على آبائهم ، لأنهم كانوا جميعا يعلمون ذلك (٢) ، فأضاف الانزال اليهم ، كما قال (٣) (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا) أي الى نبينا .

قوله تعالى (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ) يعني اليهود والنصارى : أي فسيكفيكهم الله يا محمد وسائر المسلمين شر اليهود والنصارى .

(وَهُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْعَلِيمُ) بأحوالهم . فكفاه الله أمرهم بالقتل والسبي في بني قريظة ، والجلاء والنفي في بني النضير ، والجزية والذلة في نصارى نجران . (٤)

(١٣٨) قوله تعالى (صِبْغَةَ اللَّهِ)

أي دين الله وفطرته ، لأن دين الاسلام يؤثر في المتدين ، من الطهور والصلاة والوقار وسائر شعائر الاسلام ، كالصبغ الذي يكون في الثوب . ولا شيء في الأديان أحسن من دين الاسلام . قال الله تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً) .

وقيل : أراد بالصبغة : الختان . (٥)

إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا) . الآية .

انظر : أسباب النزول للواحدي ص ١٩٤ ، وتفسير البغوي ٤٨/٢

(١) المائدة ٥٩

(٢) في ط " يعملون بذلك " ولعله هو الأولى .

(٣) في أ " قالوا " والتصويب من ط ، م .

(٤) انظر : البحر المحيط ٤١١/١

(٥) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٦٤

الآيـــــة : ١٣٨

وروى أن صنفا من النصارى كان اذا ولـد لهم ولـد وأتى عليه سبعة أيام صبغوه : أي غمسوه في ماء لهم يقال له المعمود يـة[١] ، ليطهروه بذلك ، وقالوا : هذا طهوره مكان الختان[٢] ، فقيل لهم : صبغة الله : أي التطهر الذى أمر الله بـه أبلغ في النظافـة .

وأول من اختتن ابراهيم عليه السـلام بالقدوم[٣] ، وهو موضع بالشام[٤] ، وكان يومئـــذ ابن مائة و عشرين سـنة ، ثم عاش بعد ذلك ثمانين سـنة .[٥]

---

(١) في النسخ " العمودى " والتصويب من المصادر .

(٢) روى هذا عن ابن عباس . انظر : أسباب النزول للواحدى ص ٣٨ ، وتفســـــير البغوى ١٢١/١ ، وزاد المسير ١٥١/١

(٣) أخرج البخارى ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اختـتن ابراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة ، بالقدوم " .
صحيح البخارى : كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى (وَاتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)
وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب من فضائل ابراهيم الخليل صلى الله عليه و سلم .

(٤) قال النووى : رواة مسلم متفقـون على تخفيف القـدوم ، ووقع في روايات البخـــارى الخلاف في تشديده وتخفيفـه ، قالوا : وآلة النجار يقال لها " قدوم " بالتخفيـف لا غـير ، وأما القدوم ـ مكان بالشام ـ ففيه التخفيف ، فمن رواه بالتشديـــد أراد القريـة ، ومن رواه بالتخفيف يحتمل القرية والآلة ، والأكثرون على التخفيـف وعلى ارادة الآلـــة .

وهـذا الذى وقـع هنـا " وهو ابن ثمانـين " هو الصحيـح .
ووقـع في الموطـأ " وهـو ابن مائة و عشرين سنة " . موقوفا على أبي هريـــرة وهو متأول أو مردود . اهـ .
شرح النووى على صحيح مسـلم ١٣٢/١٥

(٥) انظر : تفسـير القرطـبي ٩٨/٢ ـ ٩٩

الآيـــة : ١٣٨

ونصب " صبغة " على الاغراء : أي الزموا صبغة الله ، أواتبعوا . / (٤٤/أ)

وقال الأخفش : هو بدل [١] من قوله تعالى (بَل مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) .

وقال ابن كيسان : (صِبْغَةَ اللَّهِ) أي وجهة الله ، يعني القبلة . [٢]

وقال الزجاج معناه : خلقة الله ، من صبغت الثوب اذا غيرت لونه وخلقته ، فيكون المعنى : ان الله تعالى ابتدأ الخلقة على الاسلام [٣] ، دليله قول مقاتل في هذه الآية : فطرة الله : أي دين الله . [٤]

ويوضحه قول رسول الله صلى الله عليه و سلم : " كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهود انه وينصرانه ، كما تنتجون البهيمة ، فهل تجدون من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها " .

قالوا : يا رسول الله أرأيت من يموت وهو صغير ؟

قال : " الله أعلم بما كانوا عاملين " . [٥]

---

(١) انظر : معاني القرآن للأخفش ٣٤٠/١ ، وانظر : التبيان ١٢٢/١

واختار الزمخشري وأبو حيان أن يكون منتصبا انتصاب المصدر المؤكد عن قوله (قولوا آمنا) أي : صبغنا الله بالايمان صبغة .

انظر : الكشاف ١٩٦/١ ، والبحر المحيط ٤١٢/١

(٢) انظر : البحر المحيط ٤١١/١

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢١٥/١

(٤) وبهذا التفسير قال عدد من السلف .

انظر : البحر ٤١١/١ ، وتفسير ابن كثير ١٩٣/١

(٥) أخرجه مسلم في كتاب القدر : باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين . من حديث أبي هريرة .

وفي نسخة م كلمة " ويمجسانه " قبل قوله " وينصرانه " .

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أيضا بلفظ : " ما من مولود الا يولد على الفطرة ، فأبواه يهود انه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء " .

صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب اذا أسلم الصبي فمات ، هل يصلى عليه .

ومسلم في كتاب القدر : باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .

ومعنى " كما تنتج البهيمة بهيمة جدعاء هل تحسون فيها من جدعاء " : أي أن ═══

الآيـــة : ١٣٨ ، ١٣٩

وقال أبو عبيـــدة : معناه سنـة اللـه .(١)

قولـه تـعالى (وَنَحْـنُ لَـهُ عَـٰبِـدُونَ) أى مطيعـــون .

(١٣٩) وقولـه تـعالى (قُـلْ أَتُحَـآجُّونَنَـا فِـي ٱللَّـهِ)

وذلك أن اليهـود كانوا يقولون : نحن أهل الكتاب الأول والـعلم القديم ، وكانـــوا يقولون هم والنصارى : نحن أبنـاء اللـه وأحبـاؤه .

فأمر الله تـعالى النبي صلى الله عليه و سلم بهذه الآيـة (٢) : أى قل لـهم يا محمـــد **(أَتُحَاجُّونَنَـا فِـي ٱللَّـهِ)** أى أتجادلوننا وتخاصموننـا .

وقرأ الأعمش والحسن : " أتحاجونّـا " بنون واحـدة مشددة .(٣)

وقوله تـعالى (فِي ٱللَّـهِ) أى في دين الله ، وذلك أنهم قالوا : ان الأنبياء كانـوا منا و على ديننا ، ولم يكونوا من العرب ، فلو كنت نبيا لكنت منا ، و على ديننا .(٤)

= البهيمـة تولـد مجتمعـة الخلق ، سويـة الأطراف ، سليمـة من الجدع ، لولا تـعـرض الناس اليها لبقيت كما ولدت سليمـة .

انظر : النهايـة في غريب الحديث ٢٤٧/١ (جـدع) .

(١) انظر : البحر المحيط ٤١١/١ .

والذى في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٥٩/١ : " صبغة الله " : أى دين الله ، وخلقته التي خلقه عليها ، وهي فطرتـه .

(٢) انظر نحو هـذا في : تفسـير الطـبرى ٥٧٢/١ ، والقرطـــــبي ١٤٥/٢ والبحـر المحيـــــط ٤١٢/١

(٣) ونسـبت هـذه القراءة أيضا لزيـد بن ثابـت ، وابن محيصـــن .

انظـر : البحـر المحيـــط ٤١٢/١

(٤) انظـر : الكشـاف ١٩٧/١ ، والبحـرالمحيـط ٤١٢/١

الآيـــــة : ١٣٩

وقولـه تعـالى (لَنَـا أَعْمَـٰلُنَـا وَلَكُـمْ أَعْمَـٰلُكُمْ) أي لنا ديننا ولكم دينكم . (١)

وهـذه الآيـة منسوخة بآيـة السيـف . (٢)

قولـه تعـالى (وَنَحْـنُ لَـهُ مُخْلِصُـونَ) أي موحـدون .

قال عبد الواحـد بن زيـد (٣) : سألت الحسن عن الاخلاص ، ما هـو ؟ قال : سألت حذيفة عن الاخلاص ، ما هو ؟ قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ، ما هـو ؟

---

(١) معنى الآيـة : لكل واحـد جزاء عمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فالرب واحـد وهو المجازي على الأعمال ، فلا تنبغي المجادلة ولا المنازعة فيـه .

انظر : تفسير البغوى ١٢١/١ ، والبحر المحيط ٤١٣/١

(٢) قال ابن الجـوزى : " قد ذهب بعض المفسرين إلى أن هـذا الكلام اقتضى نـوع مساهلة للكفار ، ثم نسخ بآية السيف ولا أرى هـذا القول صحيحًا " .

ثم علل ذلك بأوجـه ، منها :

أ ـ أن معنى الآيـة : أنه لا اختصاص لأحـد بـه سبحانه إلا من جهة الطاعة والعمل ، وإنما يجازى كل منا بعمله ، ولا تنفع الدعاوى . وعلى هـذا البيان لا وجـه للنسـخ .

ب ـ أنه خبر خارج مخرج الوعيـد والتهديـد .

جـ ـ أن المنسوخ ما لا يبقى له حكم ، وحكم هـذا الكلام لا يتغـير ، فإن كل عامـل لـه جزاء عمـله .

انظر : نواسخ القرآن لابن الجوزي ص ١٥٠ ـ ١٥١

(٣) هو عبد الواحـد بن زيـد ، أبو عبيـدة البصـرى ، الزاهـد ، شيـخ العبـاد . حـدث عن الحسـن ، وعطـاء بن أبي رباح ، وغيرهما .

قال الذهـبي : حـديثه من قبيـل الواهـي عنـدهم ، مات بعـد الخمسـين ومائـة .

انظر : سير أعـلام النبـلاء ١٧٨/٧ ـ ١٨٠

الآيـــة : ١٣٩

قال : " سألت جبريل عن الاخلاص ، ما هو ؟ قال : سألت رب العزة عن الاخلاص ، ما هو ؟ فقال : سر من سرى ، أودعته قلب من أحببت من عبادى " .(١)

وقال صلى الله عليه و سلم : " ما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب أن يحمد عـــلى شيء من عمـل(٢) اللـه " .

وقال سعيد بن جبير : الاخلاص : أن يخلص العبد دينه و عمله لله ولا يشرك به في دينـه ، ولا يرائي بعمـله أحـــدا .(٣)

وقال الفضيل : ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والاخـلاص : أن يعافيك الله منهما .(٤)

وقال يحيى بن معاذ(٥) : الاخلاص : تمييز العمل من العيوب ، كتمييز اللبن من الفـــرث والـــدم .(٦)

وقال بعضهم : هو ما لا يكتبـه الملكان ، ولا يفسده الشيطان ، ولا يطلع عليه انسان .

وقيل : هو أن لا تشوبه الآفات ، ولا تتبعه رخص التأويلات .

وقيل : هو أن تستوى أفعال العبد في الظاهر والباطن .

---

(١) انظر : تفسير الثعلبي ١٣٠/١ ، والقرطبي ١٤٦/١ ، والبحر المحيط ٤١٣/١

(٢) في النسخ " من علم الله " . وهو خطأ . والصواب هو المثبت ، كما في تفســـير الثعـــلبي ١٣١/١ ولم أجد من خرجه غير الثعلبي .

(٣) انظر : تفسير البغوى ١٢١/١ ، والبحر المحيط ٤١٣/١

(٤) انظر : المصدرين السابقين .

(٥) هو يحيى بن معاذ الرازى ، الواعظ ، من كبار المشايخ ، له كلام جيد ومواعظ مشهورة ، مات سنة ٢٥٨ هـ .
انظر : تاريخ بغداد ١٤ / ٢٠٨ ـ ٢١٢ ، وسير أعـــلام النبـــلاء ١٥/١٣

(٦) انظـر : البحـر المحيـــط ٤١٣/١

الآيـــة : ١٣٩ ، ١٤٠

وقيل : هو أن يكتم حسناته كما يكتم سيئاته . (١)

وقال أبو / سليمان (٢) : للمرائي ثلاث علامات : يكسل اذا كان وحده ، وينشط اذا كان في الناس ، ويزيد في العمل اذا أثني عليه . (٣) (٤٤/ب)

(١٤٠) قوله تعالى (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ) :

قرأ ابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ، وحفص بالتاء ، للمخاطبة التي قبلها (قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا) والتي بعدها (قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ) .

وقرأ الباقون بالياء (٤) ، اخبارا عن اليهود والنصارى : أن ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ، كانوا هودا أو نصارى .

ومعنى الآية : أتحاجوننا بقولكم (كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا) (٥)

وقولكم (لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ) (٦)

---

(١) انظر تلك الأقوال في : تفسير الثعلبي ١٣١/١ ، والبحر المحيط ٤١٣/١ ولعل قول سعيد بن جبير في ذلك يغني عن ذكر كل هذه الأقوال . حيث قال : الإخلاص : أن يخلص العبد دينه وعمله لله ، فلا يشرك به في دينه ، ولا يرائي بعمله أحدا .

(٢) هو أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد العنسي الداراني الإمام الكبير ، زاهد العصر ، روى عن سفيان الثوري ، وأبي الأشهب العطاردي . مات سنة ٢٠٥ هـ .
انظر : تاريخ بغداد ١٠ / ٢٤٨ ـ ٢٥٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ١٨٢ ـ ١٨٦

(٣) انظر : البحر المحيط ٤١٣/١

(٤) انظر : النشر ٢٢٣/٢

(٥) البقرة : ١٣٥

(٦) البقرة : ١١١

الآيـــــة : ١٤٠ ، ١٤١

أم بقولكم (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ) مع علمكم بخلاف ذلك .

وهذا استفهام بمعنى التوبيخ ، فانهم كانوا يزعمون [١] أن الدين الصحيح هو اليهودية والنصرانية ، وأن هؤلاء الأنبياء تمسكوا بها .

يقول الله تعالى (قُلْ) لهم يا محمد (أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ) فان الله تعالى قد أخبر أنهم كانوا مسلمين ، وأنهم لم يكونوا يهودا ولا نصارى .

فقالوا : ما هو كما قلت : " وأنا على دين ابراهيم " وما أنت برسول الله ولا على دينه .

فأنزل [٢] الله تعالى قوله (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ) يعني علماء اليهود والنصارى ، لأنهم علموا أن ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط كانوا حنفاء مسلمين ، وأن رسالة نبينا حق بيّنه الله في التوراة والانجيل ، فكتموه حسدا وطلبا للرئاسة .

قوله تعالى (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) يعني من كتمان نعت [٣] محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ، يجازيكم عليه في الآخرة .

(١٤١) قوله تعالى (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

قد تقدم تفسيرها . وفائدة التكرار : أن القرآن أنزل على لغة العرب ، ومن عادتهم ذكر الجواب الواحد في أوقات مختلفة ، لأغراض مختلفة ، يعدون ذلك فصاحة ، وانما يعاب تكرار الكلام في مجلس واحد ، لغرض واحد .

---

(١) في ط " يوهمون " .

(٢) لم أقف على ذلك .

(٣) في ط " بعث " .

الآيـــة : ١٤٢

(١٤٢) قولـه تعـالى (سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ) :

أي الجهـال (مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا)

أي ما صرفهم وحولهم عن قبلتهم التي كانوا عليها : يعني بيت المقدس . نزلت في اليهود ومشركي مكة ومنافقي المدينة ، طعنوا في تحويل القبلة ، وقال مشركو مكة : قد تردد على محمد أمره واشتاق الى مولده ومولد آبائه ، وقد توجه نحو قبلتكم ، وهو راجع الى دينكم عاجلا .(١)

فقال الله تعالى (قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ)

أي لله المشرق والمغرب ملكا وخلقا ، والخلق عبيد(٢) يحولهم كيف يشاء .

وكان النبي صلى الله عليه / وسلم يصلي بمكة الى الكعبة ، وربما كان (٤٥/أ)
يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس ، فلما هاجر الى المدينة أمر بأن يصلي الى بيت المقدس ، لئلا يكذبه اليهود(٣) ، لأن نعته في التوراة أن يكون صاحب القبلتين ، يصلي الى بيت المقدس نحوا من سبعة عشر شهرا أو ثمانية عشر شهرا ثم يأمره الله تعالى بالتحويل الى الكعبة(٤) ، ليمتحن أهل الاسلام ، فيظهر

---

(١) انظر : تفسير الخازن ١١٧/١ ، والقرطبي ١٤٨/٢

(٢) في ط " عبيده " .

(٣) ليست العلة في ذلك خشية تكذيب اليهود ، إنما ذلك من شرع الله وهو أعلم بما شرع .

(٤) أخرج البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه إلى الكعبة ، فأنزل الله (قد نرى تقلب وجهك في السماء) . فتوجه نحو الكعبة .
وقال السفهاء من الناس ـ وهم اليهود ـ : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها .
(قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) .
صحيح البخاري : كتاب القبلة : باب التوجه نحو القبلة حيث كان .

الآيـــة : ١٤٢ ، ١٤٣

من يتبـع الرســول من غيرهم[١] من منافقي اليهـود .

فلما حولت القبلة الى الكعبة بعد اقامة الحجة على الكفار علم أنهم يقولون في نسـخ القبلة أشياء ، يؤذ ون بها النبي صلى الله عليه و سلم ، فأخبر الله تعالى نبيه بما سيقولون في المستأنف ، ليتعجل التسلي ويعرف أن ذلك من باب الوحي والغيب ، فكان كما أخبر الله تعالى ، ومعناه : سيقول السفهاء ، وهم اليهود وكفار مكة : ما الذ ى صرف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن قبلتهم بيت المقد س .

(قُلْ) يا محمد (لِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ)[٢] الى طريق قائم وهو الاسلام وقبلة الكعبة .

وقوله تعالى (قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) أى من كان مالك المشرق والمغرب لا يعترض عليه في جميع ما يأمر .

ويجوز أن يكون معناه : ان الله خالق الأماكن كلها ، فليس بعض ما خلق أولى أن يجعل قبلة في العقل من بعض ، فوجب الانتهاء الى أمر الله باستقبال ما شاء الله .

(١٤٣) قوله تعالى (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) :

أى عدلا . وقيل : خيارا .[٣]

يقال في صفة النبي صلى الله عليه و سلم : هو أوسط قريش حسبا .

ويقال : فلان وسيط في قومه ، ووسيط في حسبه[٤] : أى كامل منته في الكمال .

ولأن المتوسط في الأمور لا يفرط فيغلو ، ولا يقصر فيتضع . فهذ ه الأمة[٥] لم تغلو في الأنبياء كغلو النصارى ، حيث قالوا : المسيح[٦] ابن الله ، ولم يقصروا كتقصير اليهود ، حيث كذ بوا الأنبياء وقتلوهم . وأصله : أن خير الأشياء أوسطها .

---

(١) في أ " من غير منافقي اليهود " والتصويب من ط ، م .
(٢) في م زاد قوله تعالى (إلى صراط) .
(٣) لا تعارض بين القولين ، بل هما بمعنى واحد .
(٤) في ط " وسط قومه في حسبه " .
(٥) في أ " الآية " . والتصويب من ط ، م .
(٦) في أ " مسيح " بغير " أل " التعريف ، والتصويب من ط ، م .

الآيـــة : ١٤٣

قوله تعالى (لِتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ) : أي شهداء للنبيين صلوات الله عليهم بالتبليغ . وقد تقام " على " مقام اللام (١) ، مثل قوله (وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) (٢) أي للنصب .

وقوله تعالى (وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) أي ويكون محمد صلى الله عليه وسلم عليكم شهيدا معدلا مزكيا لكم . وذلك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ، ثم يقول لكفار الأمم : " ألم يأتكم نذير " فينكرون ويقولون : ما جاءنا من نذير . فيسأل الأنبياء عن ذلك ، فيقولون : قد بلغناهم . فيسألهم البينة ، اقامة للحجة عليهم وهو أعلم بذلك . فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه و سلم فيشهدون لهم بالتبليغ . فتقول الأمم الماضية : من أين علموا ذلك ، وبيننا وبينهم مدة مديدة ؟ فيقولون : علمنا ذلك / باخبار الله تعالى ايانا في كتابه الناطق على لسان (٤٥/ب) رسول الله صلى الله عليه و سلم . فيؤتى بالنبي صلى الله عليه و سلم فيزكي أمته ويشهد بصدقهم . (٣)

قوله تعالى (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ) أي ما أمرتك يا محمد بالتوجه الى بيت المقدس ثم بالتحويل عنها الى الكعبة

---

(١) انظر : الدر المصون ١٥٢/٢

(٢) المائدة ٣

(٣) أخرج نحوه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يجاء بنوح يوم القيامة ، فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم يا رب ، فتُسأل أمته : هل بَلّغَكُم ؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير . فيقول : من شهودك ؟ فيقول : محمد وأمته . فَيُجاءُ بكم فتشهدون . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ـ قال : عدلا ـ لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) . " .

صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) .

الآيـــة : ١٤٣

الا لنمـيز [١] مـن يتبـع الرسـول ممن يرجـع الى د ينـه الأول .

وقيل معناه : وما جعلنا القبلة التي أنت عليها وهي الكعبة ـ كقوله تعالى (كُـنـتُمْ خَـيْرَ أُمَّـةٍ) [٢] أى أنـتم ـ الا لنرى ونمـيز من يتبع الرسـول في القبلة (مِمَّـن يَنقَـلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْـهِ) فيرتـد ويرجـع الى قبلتـه [٣] الأولـى . [٤]

---

(١) في م " ليتمـيز " .

(٢) آل عمـران : ١١٠

(٣) في أ " قبـله " . والتصـويب من ط ، م .

(٤) والتفسـير الأول أظهـر ، وهـو الذى يـدل عليـه سياق الآيـة .

قال ابـن كثـير في تفسـير الآيـة : يقـول تعـالى : إنما شرعـنا لـك يا محمـد التوجـه أولا الى بيـت المقـدس ، ثـم صرفنـاك عنـه الـى الكعبـة ، ليظهـر حـال مـن يتبعـك ويطيعـك ويستقبـل معـك حيثمـا توجهـت ممـن ينقـلب عـلى عقبيـه .

تفسـير ابـن كثـير ١٩٧/١

الآيـــة : ١٤٣

قولـه (لِنَعْـلَمَ) أي ليتقرر علمنا عندكم ٠

وقيل معناه : ليعلم محمـــد صلى الله عليه و سلم ، فأضاف علمه الى نفسه تفضيـــلا وتخصيصا ، كقولـه تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ) ٠

قولـه تعالى (وَإِن كَانَت لَكَبِيرَةً) [١] أي وان كان اتباع بيت المقدس ثم الانتقال الـــى الكعبـــة لشديدا [٢] الا على الذين حفظ الله قلوبهم على الاسلام ٠

قولـه تعالى (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ) أي لتصديقكم [٣] بالقبلتين ٠

وقيل : معناه وما كان الله ليفسد صلاتكم الى بيت المقدس ٠ [٤]

وذلك أن حيي بن أخطب [٥] وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين : أخبرونا عن صلاتكم الـــى بيت المقدس ، أكانت هدى أم ضلالـــة ؟ فان كانت هدى فقد تحولتم عنها ، وان كانـــــت ضلالـــة فقد دنتم الله بها ، وان من مات منكم عليها لقد مات على الضلالة ٠ فكان قـد مات قبل التحويـل الى الكعبـة أسعـد بن زرارة من بني النجار [٦] ، والبراء بن معرور من بني سلمة [٧] ، ورجال آخـــرون ٠

---

(١) في ط زاد قوله تعالى (إلا على الذين هدى اللـــه) ٠

(٢) في ط ، م " لشديد " بالرفـع ٠

(٣) في ط ، م " أي تصديقكم " ٠

(٤) وهـذا المعنى هو الراجـح ، كما سيأتـي ٠

(٥) هـو حيي بن أخطـب النضـري ، جاهلي من الأشـداء العتاة ، أدرك الاســـلام وآذى المســلمين ، فأسـروه يـوم قريظـة ، ثم قتـلوه ٠

انظر : الأعـــــلام ٢٩٢/٢

(٦) في أ " سعد " والتصويب من ط ٠

وهو أسعد بن زرارة بن عدس ، أبو أمامـة الأنصاري الخزرجي النجاري ٠ قديم الإسلام ، شهد العقبتين ، وكان نقيباً على قبيلته ٠ مات بالمدينة قبل غزوة بـدر ٠

انظـر : الاصابـــــة ٥٠/١

(٧) هو البراء بن معرور بن صخر الأنصاري الخزرجي السلمي ، أبو بشر ، كان من الذيـــن بايعوا البيعة الأولى بالعقبـة ، وكان أحـد النقباء ، مات قبل الهجرة بشهر ٠

انظـر : الاصابـــة ١٤٨/١ ــ ١٤٩

الآيـــة : ١٤٣

فانطلق عشائرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك ، وقالوا : ان الله تعالى قد حولك الى قبلة ابراهيم ، فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس ؟ .

فأنزل [١] الله تعالى (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ) أى صلاتكم الى بيت المقدس . [٢]

قوله تعالى (إِنَّ ٱللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) :

(لَرَءُوفٌ) : شديد الرحمة ، وهو الذى لا يضيع عنده عمل عامل .

(رَحِيمٌ) بهم حين قبل طاعتهم وتعبدهم في كل وقت بما يصلح لهم .

والجمع بين الرأفة والرحمة في الآية للتأكيد ، كما في قوله (ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) .

وفي " رءوف " ثلاث قراءات : مهموز مثقل ، وهي قراءة شيبة [٣] ، ونافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وحفص [٤] ، واختاره أبو حاتم .

قال الشاعر :

نطيع رسولنا ونطيع ربا ... هو الرحمن كان بنا رؤوفا [٥]

و " رووف " مثقلا غير مهموز ، وهي قراءة أبي جعفر . [٦]

---

(١) أخرج البخارى من حديث البراء : أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا ، فلم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله تعالى : (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ) .

صحيح البخارى : كتاب الإيمان : باب الصلاة من الإيمان .

وانظر : أسباب النزول للواحدى ص ٣٩

(٢) قال النووى : قوله تعالى (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ) : أجمعوا على أن المراد صلاتكم .

انظر : شرح النووى على صحيح مسلم ١٤٩/١

(٣) لم أجد من نسب هذه القراءة لشيبة ، ولعله شعبة كما في البدور الزاهرة ص ٤٢ والمهذب ٧٥/١

(٤) انظر : النشر ٢٢٣/٢ ، والبحر ٤٢٧/١ ، وزاد المسير ١٥٦/١

(٥) انظر البيت في اللسان ١١٢/٩ (رأف) .

وهو منسوب لكعب بن مالك الأنصاري .

(٦) انظر : البحر المحيط ٤٢٧/١ ، والإتحاف ٤٢١/١

الآيـــة : ١٤٣ ، ١٤٤

و " رؤف " مهموز مخفف ، وهي قراءة الباقين [١] ، واختاره أبو عبيد .

قال جريـــر :

ترى للمسلمين عليك حقا .. كفعل الوالد الرؤف الرحيم [٢]

والرأفة : أشد الرحمة .

(١٤٤) قوله عز وجل (قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ) / وذلك أن النبي (٤٦ / أ)
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام : " وددت
أن الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها " .
فقال جبريل : انما أنا عبد مثلك لا أملك شيئا ، فاسأل ربك أن يحولك عنها .
فارتفع جبريل ، وجعل النبي صلى الله عليه و سلم يديم النظر الى السماء رجاء أن
يأتيه جبريل [٣] بما سأل ، فأنزل الله [٤] هذه الآية : (قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ
فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ) .
وروى أن النبي صلى الله عليه و سلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة ، فلما
هاجر الى المدينة أمره الله أن يصلي الى بيت المقدس ، ليكون أقرب الى تصديق
اليهود له إذا صلى [إلى] [٥] قبلتهم ، مع مايجدون من صفته في التوراة . فروى أنه
صلى الله عليه وسلم صلى هو وأصحابه نحو بيت المقدس سبعة عشر شهرا ،
وكانت الكعبة أحب القبلتين الى رسول الله صلى الله عليه و سلم . [٦]

---

(١) انظر : النشر ٢/٢٢٣ ، والبحر المحيط ١/٤٢٧ ، والاتحاف ١/٤٢١

(٢) انظر البيت في ديوانه ص ٣٨٢

(٣) في ط " خبر " .

(٤) انظر : أسباب النزول للواحدى ص ٣٩ ، وتفسير البغوى ١/١٢٤

(٥) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٦) انظر : تفسير البغوى ١/١٢٤ ، وتفسير الخازن ١/١٢٠
وروى نحو هذا عن ابن عباس .
انظر : تفسير الطبرى ٢/٢٠ ، وتفسير ابن كثير ١/١٩٨

الآيـــة : ١٤٤

واختلفوا في السبب الذ ى كان لأجله يكره قبلة بيت المقد س ويهوى الكعبة :

فقال ابن عباس : لأنـها قبلة أبيـــه ابراهيم عليه السلام .(١)

وقال مجاهـد : من أجل أن اليهود قالوا : يخالفنا محمـــد في د يننا ويتبع قبلتنا .(٢)

وقال مقاتل : لما أمر الله النبي صلى الله عليه و سلم أن يصلي الى بيت المقد س ، قالـــــت اليهود : يزعـم محمـــد أنه نبي وما نراه أحدث في نبوتـه شيئا ، أليس يصلي الى قبلتنـا ويستن بسنتنا ، فان كانت هـذ ه نبوة ، فنحن أقـد م وأوفر نصيبا ، فشق ذ لك عـــــلى رسول الله صلى الله عليه و ســلم وازد اد شوقا الى الكعبة ، وقال : " ود د ت أن اللـــــه تعالى صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها ، فاني أبغضهم وأبغض موافقتهم " . فقال جبريـل عليه الســلام : انما أنا عبد مثلك ليس لي من الأمر شيء ، فاسأل ربك ، ثم عـــــرج جبريل عليـه السلام فجعـل النـبي صلى اللـه عليـه و سلم يـد يم النظـــــــــــر الى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة ، فأنزل(٣) الله تعالى : (قَـدْ نَـرَىٰ تَقَلُّـبَ وَجْهِـكَ فِـي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّـكَ قِبْلَةً تَرْضَـىٰـهَا) أي فلنحولنك الى قبـــــــلة تحبهـا وتهواهـــا .

(فَـوَلِّ وَجْهَـكَ شَطْـرَ ٱلْمَسْجِـدِ ٱلْحَـرَامِ) أي نحوه وقصـد ه(٤) ، فهو نصب على الظرف .

---

(١) انظر : زاد المسير ١٥٦/١ ، والبحـر المحيـط ٤٢٨/١

(٢) انظر : المصد ريـن السابقـين .

(٣) انظر : تفسـير الثعلبي ١٣٤/١

وروى نحـوه عن أبي العاليـــة .

انظر : الد ر المنثور ٣٤٣/١ ــ ٣٤٤ ، والفتح السماوى ١٩١/١

(٤) وبهـذ ا المعـنى قال عامـة المفسـرين ، بل قال ابن الجـوزى : من غير خلاف .

انظـر : زاد المســـــــير ١٥٦/١

وانظـر : الكشـــــاف ٢٠٢/١ ، والبحـــــر المحيـــــط ١ / ٤٢٩

وتفســير ابـن كثـــير ١٩٨/١

الآيـــة : ١٤٤

وقيل : شطر الشيء نصفه ، فكأن الله أمره أن يحول وجهه الى نصف المسجد الجـــــرام ، والكعبة في النصف منه من كل جهة . (١)

قولـه تعالى (وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) أى أين ما كنتم من بر أو بحـــر أو سهل أو جبل أو شرق أو غرب ، فولوا وجوهكم نحـوه .

فحولت القبلة في رجب بعد زوال الشمس ، قبل قتال بد ر بشهرين . (٢)

وقال مجاهد : نزلت الآية ورسول الله صلى الله عليه و سلم في مسجد بني سلمة ، وقـد صلى بأصحابه ركعتين من الظهر ، فتحول في الصلاة فاستقبل الميزاب ، فسمـــــي ذلك / المسجد مسجد القبلتين . (٣) (٤٦ / ب)

فلما حولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود : يا محمـــد ما أمرت بهذا ، وما هو الا شيء تبتدعه من نفسك ، فتارة تصلي الى بيت المقدس ، وتارة تصلي الى الكعبة ، فلو ثبـت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذى كنا ننتظره . فأنزل (٤) الله تعالى قوله تعالى (وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ) يعني أمر الكعبة ، وأنهـا قبلة إبراهيم : أى وأن اليهود والنصارى ليعلمون أن استقبال الكعبة حق من ربهم ، لأن نعت النبي صلى الله عليه و سلم في التوراة أن يكون صاحب القبلتين .

ثم هدد هم فقال عز وجل (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) أى لا يخفى عليه جحود هم .

---

(١) هذا القول عزاه أبو حيان للجبائي . انظر : البحر المحيط ٤٢٩/١

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه الامام مالك في الموطأ ١٩٦/١ عن سعيد بن المسيـــب قال : " صلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد أن قدم المدينة ستة عشـر شهراً نحو بيت المقدس ، ثم حولت القبلة قبل بدر بشهريـن " .
وهو حديث مرسل .

(٣) انظر : تفسير البغوى ١٢٥/١ ، والكشاف ١ /٢٠٢ ، وتفسير ابن كثير ١٩٥/١

(٤) انظر : تفسير البغوى ١٢٥/١ ، وتفسير الخازن ١٢٢/١

الآيـــة : ١٤٥

(١٤٥) قولـه تعـــالى (وَلَئِـنْ أَتَيْـتَ ٱلَّـذِيـنَ أُوتُـوا۟ ٱلْكِتَـٰـبَ بِكُـلِّ ءَايَـةٍ مَّا تَبِـعُـوا۟ قِبْلَتَـكَ) يعني يهـود [١] المدينـة ، ونصـارى نجران ، فقالوا للنبي صلى الله عليه و سلم : ائتنـا بآيـة كما أتى بها الأ نبيـاء قبلك . فأنزل [٢] الله هذه الآيـة .

وقولـه (مَا تَبِعُـوا۟ قِبْلَـتَكَ) يعني الكعبـة .

وقولـه (وَمَـا أَنـتَ بِتَابِـعٍ قِبْلَتَهُـمْ) أى وما أنت بمصل الى قبلتهم بعد التحويـل (وَمَا بَعْضُهُـمْ بِتَابِـعٍ قِبْـلَةَ بَعْـضٍ) لأن اليهود تستقبل بيت المقدس ، والنصارى تستقبـل المشـرق .

قولـه تعالـى (وَلَئِنِ ٱتَّبَعْـتَ أَهْـوَآءَهُـم) أى ان صليت الى قبلتهم واتبعت ملتهم (مِـنۢ بَعْـدِ مَا جَـآءَكَ مِـنَ ٱلْعِـلْمِ) أنها حق وأنها قبلة ابراهيم .

(إِنَّـكَ إِذًا لَّمِـنَ ٱلظَّـٰلِمِـينَ) أى الجاحدين الضارين لأنفسهم ، وهذا وعيـد على معصية علم الله أنهـا [٣] لا تقع منه ، كقولـه (لَئِـنْ أَشْرَكْـتَ لَيَحْبَطَـنَّ عَمَـلُكَ) [٤] وقد علم الله أنه لا يشرك .

(١٤٦) قولـه تعـالى (ٱلَّذِيـنَ ءَاتَيْنَـٰـهُمُ ٱلْكِتَـٰـبَ) :

يعني مؤمـني أهل الكتـاب ، عبـد الله بـن سلام وأصحابـه

(يعرفونـه) أى يعرفون محمـدا صلى الله عليه و سـلم (كَمَا يَعْرِفُـونَ أَبْنَآءَهُـمْ) من بين الصبيـان .

---

(١) في أ " اليهود المدينة " . والتصويب من ط ، م .

(٢) انظر : تفسـير البغـوى ١٢٥/١ ، وزاد المسـير ١٥٨/١

(٣) في أ " لأنها " . والتصـويب من ط ، م .

(٤) الزمـــر : ٦٥

الآيـــة : ١٤٦

وروى عن ابن عباس أنه قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة قال عمر رضي الله عنه لعبد الله بن سلام : قد أنزل الله على نبيه عليه السلام : (الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) كيف يا عبد الله هذه المعرفة ؟ قال : يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابني اذا رأيته مع الصبيان يلعب ، وأنا أشد معرفة لمحمد صلى الله عليه و سلم مني لابني . فقال عمر : وكيف ذلك ؟ قال : أشهد أنه رسول الله حق من الله تعالى ، وقد نعته الله في كتابنا . فقال له عمر : وفقك الله يا ابن سلام . فقد صدقت وأصبت .(١)

قوله تعالى (وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ) مثل كعب بن الأشرف وأصحابه ، يكتمون الحق : يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وأمر الكعبة .

(وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أن ذلك حق .

روى أن عبد الله بن سلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حين نزلت هذه الآية ـ : كنت / يا رسول الله أشد معرفة لك مني بابني . قال له : " وكيف ذلك " ؟ قال : (٤٧/أ) لأني أشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا يقينا ، ولا أشهد بذلك لابني ، لأني لا أدري ما أحدثت النساء .(٢) فقال له عمر : وفقك الله يا عبد الله .

---

(١) أخرجه الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

انظر : تفسير الثعلبي ١٣٥/١

قلت : ولا يخفى حال الكلبي ، فهو كذاب ، وأبو صالح ضعيف .

وانظر : أسباب النزول للواحدي ص ٤٠ ، والبحر المحيط ٤٣٥/١

(٢) لم أقف على أن هذه المساءلة كانت بين النبي صلى الله عليه و سلم وبين عبد الله بن سلام ، بل المروي في ذلك أنها كانت بين عبد الله بن سلام و بين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . كما تقدم قريبا .

الآيـــة : ١٤٧ ، ١٤٨

(١٤٧) قولـه تعـالى (ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ) :

أى هـذا القرآن حـق . وقيل : جاءك الحق من ربك يا محمـــد أن الكعبة قبلة ابراهـيم تعلمهـا اليهود .

وقرأ علي رضي الله عنـه " الحـق " نصبا [١] على الاغراء .

قولـه تعـالى (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ) : أى لا تكونن من الشاكين في أمـــر القرآن والقبلة . والخطاب في هذه الآية للنبي صلى الله عليه و سلم ، والمراد بـه غـيره ، وكذلك كل ما ورد عليك من هذا فهذا سبيله .

(١٤٨) قولـه تعـالى (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا) :

أى لكل ملة من اليهود والنصارى قبلة (هُوَ مُوَلِّيهَا) أى مستقبلها ومقبل اليها ، يقال : وليته ووليت اليه اذا أقبلت اليه ، ووليت عنه اذا أدبرت عنه . وقيل معناه : الله موليها [٢] ، أى يولي أهل كل ملة القبلة التي يريد ونها . [٣]

وقرأ ابن عباس ، وابن عامر ، وأبو رجاء " ولكل وجهة هو مولاها " [٤] أى مصروف اليها . وفي حرف أبيّ " ولكل قبلة هو موليها " . [٥]

وفي حرف عبد الله " ولكل جعلنا قبلة هو موليها " . [٦]

قولـه تعـالى (فَاسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَاتِ) : أى فبادروا بالطاعات أيها المسلمـــون فقد ظهر لكم الحق ، فاستبقوا الى أوامر الله وطاعته مبادرة من

---

(١) انظر : مختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص ١٠

(٢) انظر : الكشاف ٢٠٥/١ ، وتفسير القرطبي ١٦٤/٢ ـ ١٦٥

(٣) في ط " يريدها " .

(٤) انظر : النشر ٢٢٣/٢ ، والبحر المحيط ٤٣٧/١

(٥) انظر : الكشاف ٢٠٥/١ ، والبحر المحيط ٤٣٧/١

(٦) انظر : البحر المحيط ٤٣٧/١

الآيـــة : ١٤٨، ١٤٩

يطلب الاستباق [١] اليها ، وتقديره : فاستبقوا الي الخيرات ، فحذف الخافض كقول الشاعر :

ثنائي عليكم يا ابن حرب ومن يمل ٠٠ سواكم فاني مهتد غير مائل [٢]

يعني : ومن يمل الى سواكم ٠

قوله تعالى (أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً) : أى أينما تكونوا أنتم وأهل الكتاب يقبض الله أرواحكم ويجمعكم للحساب ، فيجزيكم بأعمالكم وان كانت قد تفرقت بكم البقاع والملل ٠

وقيل : هذا خطاب للمؤمنين الذين قد سبق في علم الله أنهم يصلون الى الكعبة ، ومعناه : أينما تكونوا في شرق الأرض و غربها ، في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ، يجمعكم الله تعالى على [٣] هذه القبلة . [٤]

قوله تعالى (إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) : أى من الخلق والبعث والحساب وغير ذلك ٠

(١٤٩) قوله تعالى (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ) :

هذا تأكيد لأمر التحويل الى الكعبة ، وبيان أنه لا يتغير بنسخ كما تغير بيت المقدس ٠

و " حيث " مبني على الضم ، مثل " منذ " و" قط " ٠

وقيل : رفع على الغاية ، مثل : " قبل " و " بعد " ٠

---

(١) في أ " الاستئناف " ٠ والتصويب من ط ، م ٠

(٢) انظر البيت في : البحر المحيط ٤٣٩/١ ، والدر المصون ١٧٦/٢ ، وفيهما " آل حرب " بدل " يا ابن حرب " ٠

(٣) في م " الى " ٠

(٤) هذا القول بعيد عن سياق الآية ٠ والمعنى الأول أظهر ، وهو الذى عليه عامة المفسرين ٠

الآيـــة : ١٤٩ ، ١٥٠

وقـرأ عبيـد بن عمـير [١] " ومن حيثَ " بالنصب [٢] ، قال : لانها ساكنة في الأصـــل ، واذا اجتمع ساكنان حـرك الثاني الفتـح [٣] ، لانـه أخف الحركات ، مثل " ليت " و " كيف "

قولـه تعالى (وَإِنَّـهُ لَلْحَـقُّ مِـن رَّبِّـكَ) : أى الأمـر بالتوجـه الى الكعبة لصد ق من ربك .

(١٥٠) قوله تعـالى / (وَحَيْـثُ مَا كُنـتُمْ فَـوَلُّـوا۟ وُجُوهَـكُـمْ شَطْـرَهُ) : (٤٧/ب)

بيان أن حكم النبي صلى الله عليه و سلم وأمتـه في التوجه الى الكعبة في السفـــر والحضر سواء ، لأنـه كان يجوز أن يظن ظان الفرق بين المسافر والمقيم كالتنفـــل [٤] على الراحـلة ، فبين الله تعالى أن المسافر كالمقيم في التوجـه . [٥]

قولـه تعـالى (لِئَـلَّا يَكُـونَ لِلنَّـاسِ عَلَيْكُـمْ حُجَّـةٌ) : أى لئلا يكون لليهود عليكـم حجـة ، لأن المسلمين لو لم يصلوا الى الكعبة لكان ذ لك مخالفة للبشارة السابقـــة ، فيكون ذ لك حجـة لهم ، بأن يقولوا : ليس هـو [٦] النبي المبشر بـه . [٧]

قولـه تعـالى (إِلَّا ٱلَّـذِيـنَ ظَلَمُـوا۟ مِنْهُـمْ) : أى لا يحاجكم أحـد الا من ظـــلم فيما وضـح لـه ، واحتج بغـير الحـق . وأراد بالذ ين ظلموا قريشا واليهود .

---

(١) هو عبيد بن عمير بن قتاد ة ، أبو عاصم الليثي المكي القاصّ ، روى عن عمر بن الخطاب وأبيّ بن كعب ، وروى عنه مجاهـــد و عطاء وعمرو بن دينـــار . مات سنة ٧٤ هـ .
غايـــــة النهايـــــة ٤٩٦/١

(٢) انظر : تفسير الثعـــلبي ١٣٦/١ ، والبحـر المحيـط ٤٣٩/١
وقد نسبها أبو حيان لعبد الله بن عمـــير .

(٣) في ط " الى الفتح " ، و في م " بالفتح " .

(٤) في أ " كالتنقل " والتصويب من ط .

(٥) انظر : تفسير القرطبي ١٦٨/٢

(٦) في ط " هـذا " .

(٧) انظر : تفسير ابن كثير ٢٠١/١

الآيـــة : ١٥٠

وكانت حجة قريش الباطلة أن قالوا : انما رجع الى الكعبة لأنه علم أنها قبلة ابائه وهو الحق ، وكذا [١] يرجع الى ديننا ويعلم أنه الحق .

وأما اليهود ، فانهم يقولون : ان كانت قبلتنا ضلالة فقد صليت اليها سبعة عشر شهرا ، وان كانت هدى فقد انصرفت عنها .

وقيل : لأن اليهود يقولون : ان محمدا لم ينصرف عن بيت المقدس ، مع علمه بأنه حق الا أنه انما يفعل برأيه ، ويزعم أنه أمر به .

وقيل : ان من حجة مشركي مكة أنهم قالوا ـ لما صرفت القبلة الى الكعبة ـ : ان محمدا قد تحير في دينه ، فتوجه الى قبلتنا ، وعلم أننا [٢] أهدى سبيلا منه ، وأنه لا يستغني عنا ، ويوشك أن يرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا . [٣]

فأجابهم الله تعالى بهذه الآية : (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) نفى أن [٤] يكون لأحد حجة قِبَل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لسبب تحويلهم الى الكعبة ، الا الذين ظلموا من قريش فان لهم قِبَلهم حجة ، لما ذكرنا . [٥]

ومعنى الحجة : الخصومة والجدال والدعوى الباطلة [٦] ، كقوله (لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) [٧] أي لا خصومة .

---

(١) في ط " فكذا " .

(٢) في ط ، م " أنّا " .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٣١/٢ ـ ٣٣ ، وتفسير البغوي ١٢٧/١ ، وزاد المسير ١٥٩/١-١٦٠ وتفسير ابن كثير ٢٠١/١

(٤) في أ " أن لا يكون " . والتصويب من ط .

(٥) وانظر : تفسير الطبري ٣٣/٢ ـ ٣٤

(٦) قال أبو حيان : " ومثار الخلاف هو هل الحجة هو الدليل والبرهان الصحيح أو الحجة هو الاحتجاج والخصومة ، فان كان الأول فهو استثناء منقطع ، وان كان الثاني فهو استثناء متصل " . البحر المحيط ٤٤٢/١

قلت : وأكثر المفسرين على أن الاستثناء هنا متصل .
انظر : تفسير الطبري ٣٣/٢ ، والكشاف ٢٠٦/١ ، والبحر المحيط ٤٤٢/١

(٧) الشورى ١٥

الآيـــــة : ١٥٠

وقولـه ﴿أَتُحَآجُّـونَـا فِي ٱللَّـــهِ﴾ [١] و ﴿لِيُحَآجُّوكُـمْ﴾ [٢] و ﴿حَاجَجْـتُمْ﴾ [٣] كلها بمعـــــنى المخاصمـة والمجادلـة ، لا بمعنى الدليـل والبرهـان .

وموضع " الذين " نصب بنزع الخافض ، تقديره : إلا للذين ظلمـوا .

وقال الفراء : موضعه نصب بالاستثناء [٤] ، وانما قال (منهم) ردا الى [٥] لفظ النـــاس ، لأنه عام ، وان كان كل واحـــد منهم غير الآخـر .

وقال بعضهم : هـذا استثناء منقطع من الكلام الأول [٦] ، ومعناه : لئلا يكون للناس كلهـــم عليكم حجـة ، اللهم الا الذين ظلموا فانهم يحاجونكم بالباطل ويجادلونكم بالظلم ، وهـــذا كما تقول في الكلام للرجل : الناس كلهم لك حامدون الا الظالم لك ، وكقولهم [٧] للرجـل : ما لك عندي حق الا أن تظلم ، وما لك حجة الا الباطـل . [٨]

وقال أبو روق : معنى الآيـة : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ يعني اليهود [٩] ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّـةٌ﴾ وذلك أنهم قد عرفوا أن الكعبة قبلة ابراهيم عليه الســـــــلام .

وقد كانوا / وجدوا في التوراة : أن محمـــدا صلى الله عليه وسلم يحوله الله اليها ، لئلا (٤٨/أ) يكون لهم حجة فيحتجوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم الذي نجده سيحول اليهـــــــــا ولم تحـول أنـت . فلما حول النبي صلى الله عليه وسلم ذهبت حجتهم . ثم قـــــال

---

(١) البقـــــرة ١٣٩

(٢) البقـــــرة ٧٦ ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ .

(٣) آل عمـــران ٦٦ ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ...﴾ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٨٩/١ وهـذا هو المشهور .

(٥) في ط " على " .

(٦) انظر : الدر المصـون ١٧٨/٢

(٧) في ط " وكقولك " . وهو أولـى .

(٨) انظر معاني القـرآن للفراء ٨٩/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٢٦/١ ـ ٢٢٧

(٩) انظر : تفسير البغوى ١٢٧/١

الآيـــة : ١٥٠

(إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) يعني الا أن يظلموكم فيكتموا ما عرفوا من ذلك .

وكان أبو عبيدة يقول : " الا " هنا [١] بمعنى " ولا " ، كأنه قال : لئلا يكون للناس عليكم حجة ولا الذين ظلموا ، والذين ظلموا لا تكون لهم حجة . [٢]

قال الشاعر :

وكل أخ مفارقه أخوه .. لعمر أبيك الا الفرقدان [٣]

يعني والفرقدان أيضا يفترقان .

وقال آخر :

ما بالمدينة دار غيرواحدة .. دار الخليفة الا دار مروانا [٤]

يعني ولا دار لمروان [٥] ، وانما حسن ذلك بعد قوله : غير واحدة .

قوله عز وجل (فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي) : أي لا تخشوا الكفار في انصرافكم الى الكعبة وفي تظاهرهم عليكم في المحاجة والمحاربة ، فاني وليكم أظهركم عليهم بالحجة والنصر [٦] ، واخشوني في تركها ومخالفتها .

---

(١) في ط " هنا " .

(٢) انظر : مجاز القرآن ٦٠/١

وقد خطّأ النحاة هذا الاعراب . انظر : معاني القرآن للفراء ١ / ٨٩

وتفسير الطبرى ٣٤/٢ ، والبحر المحيط ٤٤٢/١ ، والدر المصون ١٧٩/٢

(٣) البيت لعمرو بن معد يكرب .

وهو في : مغني اللبيب ص ١٠١ ، واللسان ٤٣٢/١٥ (الا) ، وخزانة الأدب ٥٢/٢ .

والفرقدان : نجمان يطوفان حول الجدى لا يغربان .

انظر : اللسان ٣٣٤/٣ (فرقد)

(٤) البيت للفرزدق . انظر : الكتاب ٣٧٣/١ ، وتفسير القرطبي ١٦٩/٢

والدر المصون ١٧٩/٢

(٥) في ط ، م " ولا دار مروان " .

(٦) في ط " والنصرة " .

الآيـــــة : ١٥٠ ، ١٥١

قولـه تعـالى (وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) عطف على قوله (لِئَلَّا يَكُـونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ) أى ولكي أتم نعمتي عليكم بهد ايتي اياكم الى [١] قبلة ابراهـــــيم عليه السلام فتتم لكم الملة الحنيفيـــة .

وقال عليّ كرّم اللـه وجهـه : " تمام النعمـة الموت على الاسلام " . [٢]

وروى عنـه أنه قال : النعم ست : الاسلام ، والقرآن ، ومحمـــــد صلى الله عليه و سلم ، والستر ، والعافيـة ، والغنى عما في أيد ى الناس . [٣]

قولـه تعـالى (وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) : أى لكي تهتـد وا من الضلالـة .

(١٥١) قولـه تعـالى (كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا) :

هذ ه الكاف للتشبيه ، ويحتاج الى شيء يرجع اليـه . واختلفوا فيـه [٤] :

فقال بعضهم : هو راجع الى ما قبله [٥] ، تقد يره : فلا تخشوهم واخشوني ولأتـــم نعمتي عليكم كما أرسلت فيكم رسولا منكم ، فيكون ارسال الرسول [٦] مؤذ نا باتمـــام النعمـة . والآيـة خطاب للعرب : أى ولأتم نعمتي عليكم كما ابتد أت النعمـــة بارسال رسول منكم اليكم ، لأن اختياره من العرب نعمة عظيمة وشرف لهم واستد عـاء الى الاسلام ، لأنـه لو اختاره من العجـم لكانت العرب مع عزتها ونخوتهـــا لا تتبعـــــه .

---

(١) في أ " أن " . والتصويب من ط ، م .

(٢) انظر : تفسير البغوى ١٢٨/١ ، والكشاف ٢٠٦/١

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ١٣٨/١ وقد حكاه عن علي بلا اسناد .

قلـت : نعم الله عز وجل على عباد ه كثيرة لا تعد ولا تحصى ، ولا شك أن ما ذكـر من أعظمهـا .

(٤)(٥) انظر تفصيل ذ لك في : الد ر المصون ١٨١/٢ ـ ١٨٣ ، والكشاف ٢٠٦/١

(٦) في م " الرسـل " .

الآيـــة : ١٥١ ، ١٥٢

قولـه تعـالى (يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا) يعني القرآن (وَيُزَكِّيكُمْ) أى يصلحكم بأخذ زكاتكم ، ويأمركم بأشياء تكونوا بها أزكياء . (١)

(وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ) أى القرآن ، والفقه ، والمواعظ ، ومعرفة التأويل (٢) ، والسنة (وَيُعَلِّمُكُمْ مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ) من الأحكام وشرائع الاسلام وأقاصيص الأنبياء وأخبارهم ، ما لم تكونوا تعلمون قبل ارساله . ويعني بهذا الرسول محمدا صلى الله عليه و سلم .

(١٥٢) قوله عز وجل (فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ) :

متصل بما قبله ، أى كما أنعمنا عليكم برسالة رجل أمي منكم اليكم فاذكروني .

ومعنى الآية (٣) : قال ابن عباس : فاذكروني بالطاعة أذكركم بمعونتي .

وقال ابن جبير : معناه اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي .

وقال الفضيل : اذكروني / بطاعتي أذكركم بثوابي . (٤٨/ب)

روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : " من أطاع الله فقد ذكر الله وان قل صيامه وصلاته ، ومن عصى الله فقد نسي الله وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن " . (٤)

---

(١) قال ابن كثير : (ويزكيهم) : أى يطهرهم من رذائل الأخلاق و دنس النفوس وأفعال الجاهلية ، ويخرجهم من الظلمات الى النور .
انظر : تفسير ابن كثير ٢٠١/١

(٢) يعني : التفسير .

(٣) ذكر المؤلف أقوالاً كثيرة في معنى قوله تعالى (فاذكروني أذكركم) .
انظر تلك الأقوال في : تفسير الثعلبي ١٣٩/١ ـ ١٤١ ، والبحر المحيط ٤٤٥/١ ـ ٤٤٦ وتفسير ابن كثير ٢٠١/١ ـ ٢٠٢

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٦١/١ ، و عزاه لسعيد بن منصور .
وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان ، من حديث خالد بن أبي عمران .
وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٢٧٨/٥
والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥٨/٢ من حديث واقد مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم . وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه الهيثم =

الآيـــــة : ١٥٢

وقيل معناه : اذكروني بالتوحيـــد والايمان أذكركم بالدرجات والجنـــان .

وقال أبو بكر رضي الله عنـــــه :كفى بالتوحيـــد عبادة ، وكفى بالجنة ثوابا .

وقال ابن كيســـان معناه : اذكروني بالشكر أذكركم بالزيـــادة .

وقيل : اذكروني على ظاهر الأرض أذكركم في بطنهـــــا .(١)

وقال الأصمعي : رأيت أعرابيا واقفا يوم عرفـــة بعرفات وهو يقول : الهـي عجّت اليك الأصـــوات بضروب اللغات ، يسألونك الحاجات ، وحاجتي اليك أن تذكرني عند البلاء اذا نســـــيني أهـل الدنيـــــا .

وقيل معناه : اذكروني في الدنيـــا أذكركم في العقـــبى .

وقيل : اذكروني بالطاعـات أذكركم بالمعافات (٢) ، دليله قوله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً) .(٣)

وقيل : معناه اذكروني في الخلأ والملأ أذكركم في الخلأ والملأ ، بيانه : ما روى في الخـــبر أن الله تعالى قال في بعض الكتب : " أنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي عبدي ما شـــاء فأنا معه اذا ذكرني ، فمن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في مـــــــلأ ذكرته في ملأ خير منـــه (٤) ، ومن تقرب اليّ شبرا تقربت اليه ذراعا ، ومن تقرب اليّ ذراعا تقربت اليه باعا ، ومن أتاني مشيا أتيته هرولة (٥) ، ومن أتاني بقراب الأرض خطيئة أتيتـــه

= ابن جماز وهو متروك ١٠ هـ .

وذكره الألباني في ضعيف الجامع ١٦٩/٥ من حديث واقد .

(١) في ط " باطنها " .

(٢) في أ " بمعافات " والتصويب من ط ، م .

(٣) النحـــــل ٩٧

(٤) في ط ، م " منهم " .

(٥) الى هنا أخرجه البخاري في كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : (ويحذركـــــم اللـــه نفســـه) .
ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب الحث على ذكر الله تعالـــى رقم ٢٦٧٥ من حديث أبي هريرة مرفوعا . وليس فيه " فليظن بي عبدي ما شاء " .

الآيـــة : ١٥٢

بمثلها مغفرة بعد أن لا يشرك بي شيئا " .

وقيل : معناه اذكروني في الرخاء أذكركم في الشدة والبلاء .

وقيل : اذكروني بالتسليم والتفويض أذكركم بأصلح الاختيار . دليله قوله تعالى : (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) .(١)

وقيل : اذكروني بالشوق والمحبة أذكركم بالوصل والقربة .

وقيل : اذكروني بالتوبة أذكركم بغفران الحوبة .

وقيل : اذكروني بالدعاء أذكركم بالعطاء ، اذكروني بالسؤال أذكركم بالنوال ، اذكروني بلا غفلة أذكركم بلا مهلة ، اذكروني بالندم أذكركم بالكرم ، اذكروني بالمعذرة أذكركم بالمغفرة ، اذكروني بالارادة أذكركم بالافادة ، اذكروني بالاخلاص أذكركم بالخلاص ، اذكروني بالقلوب أذكركم بكشف الكروب ، اذكروني بلا نسيان أذكركم بالأمان ، اذكروني ذكرا فانيا أذكركم ذكرا باقيا ، اذكروني بصفاء السر أذكركم بخالص البر ، اذكروني بالصفو أذكركم بالعفو ، اذكروني بالتعظيم أذكركم بالتكريم ، اذكروني بالمناجاة أذكركم بالنجاة ، اذكروني بترك الجفا أذكركم بحظ الوفاء ، اذكروني بالجهد في الخدمة أذكركم باتمام النعمة ، اذكروني بالاستغفار أذكركم بالاغتفار ، اذكروني بالاعتراف أذكركم بمحو الاقتراف ، ولذكر الله أكبر .

قال سفيان بن عيينة (٢) : ان الله عز / وجل قال : لقد أعطيت عبادي ما لو أعطيت (٤٩/أ) جبريل وميكائيل كنت قد أجزلت لهما ، قلت : (ٱذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) ، وقلت لموسى : قل للظلمة لا يذكروني ، فاني أذكر من ذكرني ، وان ذكرى اياهم أن ألعنهم .(٣)

---

(١) الطلاق : ٣

(٢) هو أبو محمد ، سفيان بن عيينة بن عمران الكوفي ، ثم المكي الهلالي مولاهم ، وهو من تابعي التابعين ، اتفقوا على امامته و عظم مرتبته . مات سنة ١٩٨ هـ .

انظر : تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٢٤ ــ ٢٢٥

(٣) ذكر السيوطي بعض هذا في الدر المنثور ١/٣٦١ مع اختلاف في الأسماء ، فقد عزاه لابن أبي شيبة في المصنف ، وأحمد في الزهد ، والبيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس قال : أوحى الله الى داود : قل للظلمة لا يذكروني .... الخ ..

الآيـــات : ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤

قال أبو عثمان النهدى [١] : اني لأعلم حين يذكرني ربي . قيل : كيف ذلك ؟ قـــال : ان الله تعالى قال : (فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ) فاذا ذكرت الله ذكرني . [٢]

قولـه تعـالى (وَاشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) أى اشكروا لي نعم الدنيا والدين ولا تكفـروا نعمتي واحساني اليكم .

(١٥٣) قولـه تعـالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ) :

أى استعينوا على ما ألزمتكم من عبادة و شكر بالصبر على أداء الفرائض واجتنـاب المحارم ، وبالمواظبة على الصلاة والاستكثار منها .

(إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ) : على أداء الفرائض .

(١٥٤) قولـه تعـالى (وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ) :

نزلت في قتلى بدر من المسلمين ، وكانوا أربعة عشر رجلا ، ثمانية من الأنصار ، وستة من المهاجرين [٣] ، كان الناس يقولون للرجل يقتل في سبيل الله : مات فلان . وكان الكفار يقولون للشهداء ـ على طريق الطعن ـ : ان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقتلون أنفسهم في الحرب بغير سبب ، ثم يموتون فيذهبون . [٤]

---

(١) هو عبد الرحمن بن مل ـ بلام ثقيلة والميم مثلثة ـ أبو عثمان النَّهْدى ـ بفتح النون وسكون الهاء ـ مشهور بكنيته ، مخضرم ، من كبار الثانية ، ثقة ثبت عابد ، مات سنة ١٩٥ هـ ، وقيل بعدها . وعاش مائة وثلاثين سنة ، وقيل أكثر . التقريب ص ٣٥١

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٧١/٢

(٣) انظر تفصيل أسمائهم في سيرة ابن هشام ٣٤٥/٢ ـ ٣٤٦

(٤) انظر : أسباب النزول للواحدى ص ٤٠ ، وتفسير البغوى ١٢٩/١ ، ولباب النقول على هامش تفسير الجلالين ص ٦١ ـ ٦٢ ، والفتح السماوى ١٩٨/١
وقد عزاه السيوطي والمناوى لابن منده في كتاب معرفة الصحابة ، من طريق السدى الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

الآيـــة : ١٥٤

فنهى الله المسلمين أن يقولوا مثل هذا القول ، ونبه على أن ذلك كذب بقوله (بَلْ أَحْيَاءٌ) .

*

واختلفوا في حياتهم ، والصحيح أنهم اليوم أحياء على الحقيقة .

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ان أرواح الشهداء في أجواف طير خُضر تسرح في رياض الجنة ، وتأكل وتشرب من أنهارها ، وتأوى الليل الى قناديل من نور معلقة بالعرش " . (١)

وقال الحسن : ان الشهداء أحياء عند الله ، يصل اليهم الرّوح والفرح . (٢)

وقيل : ان مساكن الشهداء سدرة المنتهى . (٣)

وقال صلى الله عليه و سلم : " يعطى الشهيد ست خصال عند أول قطرة من دمه ، يكفر عنه كل خطيئة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويزوج من الحور العين ، ويؤمن من الفزع الأكبر ، ومن عذاب القبر ، ويحلى حلية الايمان " . (٤)

قوله تعالى (وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ) أى لا تشعرون أنهم كذلك .

---

* ولكن هذه الحياة ليست كحياة الدنيا ، وإنما هي حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الامارة : باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون . رقم ١٨٨٧ من حديث عبد الله بن مسعود .
ولفظه : " أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى الى تلك القناديل ، فاطلع اليهم ربهم اطلاعة ، فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أى شيء نشتهي ؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا . ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب ، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى . فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا " .

(٢) انظر : تفسير البغوى ١٣٠/١ ، والكشاف ٢٠٦/١

(٣) قاله قتادة . انظر : تفسير الطبرى ٣٩/٢

(٤) أخرجه الامام أحمد في مسنده ٢٠٠/٤ من حديث قيس الجذامي .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٩٣/٥ وقال : رواه أحمد ، وفيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، وثّقه أبو حاتم وجماعة ، وضعّفه جماعة .

الآيـــــة : ١٥٥

(١٥٥) قولـه تعـالى (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ) :

أى ولنختبرنكم يا أمـة محمـــــد بشيء من الخوف : يعني خوف العد و والفـــزع في القتـال ، وقحـط السنين وقلّـة ذ ات اليـد .

(وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ) : أى هلاك المواشي و ذ هاب الأموال .

وقولـه تعـالى (وَالْأَنفُسِ) أراد بـه الموت والقتـل والأمراض .

وقولـه تعـالى (وَالثَّمَرَاتِ) : أى لا يخرج الثمار والزرع [1] كما كانت تخرج من قبل .

وقيل : أراد بالثمرات : الأولاد ، لأنهم ثمرة القلب . [2]

وهم اذ ا اشتغلوا بالجهاد منعهم ذ لك عن عمارة البساتين ومناكحة النساء ، فتقـل أولا د هـم و ثمـرة بساتينهـم .

وقال بعضهم : معناه / (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ) أى خوف الله تعالـــى (٤٩/ب)
(والجوع) يعني صوم رمضان (وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ) أد اء الزكوات والصد قـــات (وَالْأَنفُسِ) الأمراض (وَالثَّمَرَاتِ) موت الأولاد ، لأ ن ولد الرجل ثمرة فؤاد ه . [3]

يد ل عليه قوله عليه السلام :" اذ ا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة : أقبضتم ولد عبد ى ؟ فيقولون : نـعم . فيقول : أقبضتم ثمرة فؤاد ه ؟ فيقولون : نـعم . فيقول : ماذ ا قال عبد ى ؟ فيقولون : حمـد ك واسترجـع . فيقول الله تعالى : ابنوا لعبـــد ى بيتا في الجنـــة ، وسموه بيت الحمـد " . [4]

---

(١) في م " والزروع " .

(٢) حكـي هـــذ ا القـول عن الشافعـــي .
انظر : تفسـير البغـوى ١٣٠/١ ، والكشـــاف ٢٠٧/١ ، والقرطبي ١٧٤/٢

(٣) حكي ذ لك عن الشافعي أيضـــا . انظر المصاد ر السابقـة .
وذ كـــره ابن كثـير في تفسـيره ٢٠٣/١ وقال : وفي هذ ا نظر . والله أعلم .

(٤) أخرجه الامام أحمـــد في مسند ه ٤١٥/٤
والترمذى في كتاب الجنائز : باب فضل المصيبة اذ ا احتسب . رقم ١٠٢١ وقال : هـــذ ا حـد يث حســن غريب .

الآيـــة : ١٥٥ ، ١٥٦

قولـه تعـــالى (وَبَشِّرِ الصَّـــابِرِينَ) : أي على هـذه الشدائـد والبلايـا بالثـــواب ، لتطيـب أنفسهـم . ثم وصفهم ، فقـــال :

(١٥٦) (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) :

" الذين " نعت للصابرين ، ومعناه : الذين اذا أصابتهم مصيبة من هـــذه المصائب قالوا : انا لله عبيد وملك ، يحكم فينا بما يشاء من الشدة والرخـــاء ، ان عشنا فاليه أرزاقنا ، وان متنا فاليه مردنا ، وانا اليه راجعون في الآخرة . قال عكرمة : طفىء سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " انا لله وانا اليه راجعون " . فقيل : يا رسول الله : أمصيبة هي ؟ قال : " نعم ، كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة " .(١)

وقال ابن جبير : ما أعطي أحد في المصيبة ما أعطيت هذه الأمة : يعني الاسترجاع ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب عليه السلام(٢) ، ألا تسمع الى قوله تعالى في فقد يوسف (يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ)(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم : " من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه ، وجعل له خلفا صالحا يرضاه " .(٤)

والبغوي في شرح السنة ٤٥٦/٥ من حديث أبي موسى الأشعري .

قلت : والاستدلال بهذا الحديث هنا استدلال في غير محله ، اذ الحديث لا يدل على أن المراد بالثمرات في الآية هم الأولاد ، انما يدل على وصف الولد بأنه ثمرة فؤاد والده .

والحديث دليل على فضل الصبر والاحتساب عند المصيبة .

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٨٠/١ وعزاه لعبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا في العزاء . وقال الحافظ ابن حجر في تخريجه لأحاديث الكشاف : أخرجه أبو داود في المراسيل ، من حديث عمران القصير . انظر : الكشاف ٢٠٧/١ هامش رقم (٢) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٣/٢

(٣) سورة يوسف ٨٤

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٢/٢ ـ ٤٣ من حديث ابن عباس .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٣١/٢ وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه علي ابن أبي طلحة ، وهو ضعيف .

الآيـــة : ١٥٧

(١٥٧) قولـه تعـالى (أُوْلَـٰئِـكَ عَلَيْهِـمْ صَـلَـوَاتٌ مِّـن رَّبِهِـمْ وَرَحْمَـةٌ وَأُوْلَـٰئِـكَ هُـمُ ٱلْمُهْتَدُونَ)

قال ابن عباس : مغفرة من ربهم ونعمـــة .(١)

وقيل : الصلاة هنا الثناء والرحمـة والبركـة (٢) ، وجمع الصلوات لأنه عني بهـــا الرحمـة بعـد الرحمة .

(وَأُوْلَـٰئِـكَ هُـمُ ٱلْمُهْتَـدُونَ) الى الاسترجاع . وقيل : الى الجنـة والثواب .

وقيل : الى الحق والصواب .(٣) وقيل : الرحمـة التي لا يعلم مقاديرها الا الله ، كمـا قال تعالى في آيـة أخرى (إِنَّمَـا يُـوَفَّـى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُـم بِغَـيْرِ حِسَـابٍ) .(٤)

= وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٧٦/١ ـ ٣٧٧ وزاد في نسبته الى ابن المنـــذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الايمان .

قلـــت : ومما ورد في هذا الباب ما اتفق عليه الشيخان من حديث أبي سعيـــد الخدري وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما يصيب المسلم مـــن نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها ، الا كفّر اللّه بها من خطاياه " .

انظر : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١٩١/٣ ـ ١٩٢

والنَّصَبْ : التعب . والوَصَبْ : المرض .

(١) انظر : البحرالمحيط ٤٥٢/١

(٢) قال القرطبي : صلاة الله على عبده : عفوه ورحمته وبركته وتشريفه إياه في الدنيـــا والآخـرة . تفسير القرطبي ١٧٧/٢

(٣) قلـت : لا منافاة بين هذه المعاني ، بل كلها من لوازم التوفيق والهداية ، فمـــن هـدى الى ذلك فقـــد هـدى الى سبيل الرشـــــد والى صراط مستقـــيم ، فنال السعادة في الدنيا والآخرة .

(٤) الزمـــر ١٠

الآيـــة : ١٥٧ ، ١٥٨

وعن عمر رضي الله عنه أنه كان اذا قرأ هذه الآية قال : نعم العدلان ونعم العلاوة ، يعني بالعدلين قوله (صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) ، وبالعلاوة قوله (هُمُ الْمُهْتَدُونَ)[1] [2]

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يقول الله تعالى : اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في أهله أو ولده أو بدنه ، فاستقبل ذلك منه بصبر جميل ، استحييت منه يوم القيامة أن أنشر له ديوانا أو أنصب له ميزانا " .[3]

(١٥٨) قوله تعالى (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ) :

أي من أعلام دينه ومتعبداته ، وأراد بالشعائر ههنا مناسك الحج .

وسبب نزول هذه الآية : أن أنس بن مالك / رضي الله عنه قال : كنا نكره الطواف (٥٠/أ) بين الصفا والمروة ، لأنهما كانا من مشاعر قريش في الجاهلية ، فتركناه في الاسلام ، فأنزل الله هذه الآية .[4]

---

(١) في أ " وهم مهتدون " . والمثبت من الآية ، كما هو كذلك في ط .

(٢) أخرجه البخاري تعليقا في كتاب الجنائز : باب الصبر عند الصدمة الأولى .
ووصله الحاكم في المستدرك ٢٧٠/٢ وصححه ، ووافقه الذهبي .
والعدلان في الأصل : ما يوضع على شقي الدابة من الحمل .
والعلاوة : ما يوضع عليه بعد تمام الحمل .

(٣) ذكره المناوي في الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية ص ١٤ وقال : رواه القضاعي والديلمي والحكيم الترمذي عن أنس .
وقال الحافظ العراقي : أخرجه ابن عدي من حديث أنس بسند ضعيف اهـ .
انظر : المغني عن حمل الأسفار بهامش احياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ٧٢/٤

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير : سورة البقرة : باب قوله (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَن حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ...) .

الآيـــة : ١٥٨

وقال ابن عباس : كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له اساف ، وعلى المروة صنم على صورة امرأة يقال لها نائلة ، وانما ذكّروا الصفا لتذكير اساف ، وأنثوا المروة لتأنيث نائلة .(١)

وزعم أهل الكتاب أنهما زنيا في الكعبة ، فمسخهما الله حجرين ، فوضعا على الصفا والمروة ليعتبر بهما ، فلما طالت المدة عبدا من دون الله تعالى ، وكان أمر الجاهلية اذا طافوا بين الصفا والمروة مسحوا الصنمين (٢) ، فلما جاء الاسلام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل الصنمين .(٣)

وقالت الأنصار : ان السعي من أمر الجاهلية . فأنزل الله تعالى هذه الآية : (٤)

(إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ) .

---

(١) انظر : أسباب النزول للواحدى ص ٤٢ والمشهور أن هذا من قول الشعبي .
انظر : تفسير الطبرى ٤٦/٢ ، والقرطبي ١٧٩/٢ ، وابن كثير ٢٠٥/١ والدر المنثور ٣٨٥/١

(٢) في أ " صنمين " . والتصويب من ط ، م .

(٣) انظر : أسباب النزول للواحدى ص ٤٢، وتفسير القرطبي ١٧٩/٢ ـ ١٨٠ وابن كثير ٢٠٥/١

(٤) انظر : فتح البارى ٥٨٥/٣ وعزاه الحافظ ابن حجر لابن شبة في كتاب مكة عن مجاهد باسناد وصفه الحافظ بأنه قوى .
وقد أخرج البخارى عن عائشة رضي الله عنها قالت : " ... انما أنزلت هذه الآية في الأنصار ، كانوا يهلون لمناة ، وكانت مناة حذو قديد ، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة ، فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فأنزل الله : (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَن حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا) . " .

صحيح البخارى : كتاب التفسير : سورة البقرة : باب (إن الصفا والمروة من شعائر الله ...) .

الآيـــة : ١٥٨

قولـه تعـالى (فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا) : أي فلا اثـم عليه في الطـواف بينهما لمكان الأصنـام عليهما ، فان الطواف بينهما واجب . والجنـاح هـو الاثـم . وأصله " يتطوف " فأد غمت التاء في الطاء .

وقرأ أبو حيـوة " يطـوف بهمـا " مخففـة .(١)

واختلف العلمـاء في السـعي :

فقال أبو حنيفـة (٢) ، وأصحابه ، والثـورى (٣) : هو واجب ، وينجبر بالدم .(٤)

---

(١) انظر : تفسـير الثعلبي ١٤٤/١

ونسبها أبو حيـان لأبـي حمـزة . انظر : البحر المحيط ٤٥٧/١

(٢) هو النـعمان بن ثابت ، أحد الأئمة الأربعة المتبوعين ، أخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان . ولد سنة ٨٠هـ ، ومات سنة ١٥٠ هـ .

انظر : طبقات الفقهاء للشيرازى ص ٨٦

(٣) هو أبو عبـد اللـه سفيـان بن سعيد الثـورى الكوفـي ، من تابعي التابعين . توفي بالبصـرة سنة ١٦١ هـ .

انظر : تهذيب الأسماء واللغات ٢٢٢/١ ـ ٢٢٣

(٤) انظـر : أحكام القـرآن للجصـاص ١ / ١١٨ ، والهدايـة للمرغينـاني ١ / ١٦٧

الآيـــة : ١٥٨

وقـال مالك [١] ، والشافعي [٢] : هوفـرض ، ولا ينجـبر بالـدم ، كطواف الـزيارة . [٣]

وقال أنـس بن مالك ، وابن الزبـير [٤] ، ومجاهد : هوتطوع ، ان فعله فحسن ، وان تركـه لم يلزمـه شـي ء . [٥]

---

(١) هومالك بن أنس الأصبحي ، صاحب الموطأ ، وأحـد أئمة المذاهب الأربعـة . مات بالمدينـة سنة ١٧٩هـ .

انظر : تهذيب الأسماء واللغات ٧٥/٢ ـ ٧٩

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس القرشي الشافعي المكي ، أحد الأئمـة الأربعـة المتبوعـين . مات بمصر سنة ٢٠٤هـ .

انظر : تهذيب الأسماء واللغات ٤٤/١

(٣) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٧١/١ ، وتفسير ابن كثير ٢٠٥/١

قلـت : وبهذا قال جمهور أهل العلم ، وهو الراجح في مذهب الامام أحمـد .

قال النـووى : مذهب جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهـم أن السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج لا يصح الا بـه ولا يجبر بـدم ولا غـيره .... دليل الجمهور : أن النبي صلى الله عليه وسلم سعى ، وقـال : " خـذوا عـني مناسككم " اهـ .

انظر : شرح النـووى على صحيح مسـلم ٢٠/٩ ـ ٢١

والافصاح للوزير ابن هبيرة ٢٦٩/١ ، وتفسير القرطبي ١٨٣/٢ .

وانظر بسط هـذه المسألة ، وأدلة الجمهور مستوفـاة في : أضواء البيان ٢٢٩/٥ ـ ٢٤٩

(٤) هو عبد الله بن الزبـير بن العـوام القرشي الأسـدى ، أحد العبادلة ، وأحـد الشجعان من الصحابـة ، وأحـد من ولـي الخلافـة منهم ، قتلـه الحجاج سنة ٧٣هـ .

انظر : الاصابـة ٣٠١/٢ ـ ٣٠٣

(٥) انظر : أحـكام القرآن للجصـاص ١١٨/١ ، والمغـني لابن قدامة ٣٨٩/٣

الآيـــة : ١٥٨

واحتجـوا بقراءة ابن عباس ، وابن سيريـن [١] " فلا جناح عليه أن لا يطوف بهمـا " وكذلك هو في مصحف عبد الله . [٢]

وبقوله بعد ذلك (وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا) وهذا دليل على أنه تطوع .

والجواب عنه : أن " لا " صلة ، كقوله (مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ) [٣] ، وقوله (لَا أُقْسِمُ) [٤]

وحجة من أوجبه : أن الله سماها [٥] من شعائر الله .

وأما قوله (وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا) فمعناه : من زاد على الطواف الواجب .

وحجة من قال انه فرض : تسمية الله له من شعائره . [٦]

---

(١) هو محمد بن سيريـن الأنصاري ، أبو بكر بن أبي عمرة البصري ، ثقة ثبت عابد كبير القدر ، من الثالثة ، مات سنة ١١٠ هـ .

انظر : التقريب ص ٤٨٣

(٢) انظر : المحتسب ١١٥/١ ، والبحر المحيط ٤٥٦/١ وهي قراءة شاذة .

(٣) الأعراف ١٢

(٤) من الآية ١ من سورة القيامة (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) .

(٥) في م " سماهما " .

(٦) ليس هذا وحده هو دليل الجمهور ، بل لهم أدلة غير ذلك ، وقد تقدم ذكر شيء منها .

ومنها أيضا : حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين ، وفيه : " وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما ، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما " .

وفي رواية لها عند مسلم : " فلعمري ما أتم الله حج من لم يطف بين الصفا والمروة " .

ومن أدلتهم أيضا : ما أخرجه الامام أحمد من حديث حبيبة بنت أبي تجراه ، وفيه : " اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي " .

انظر : صحيح البخاري : كتاب الحج : باب وجوب الصفا والمروة ، وجعل من شعائر الله .

وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج الا به . ومسند الامام أحمد ٤٢١/٦ ، وانظر : فتح الباري ٥٨٢/٣ ـ ٥٨٥ ، وأضواء البيان ٢٣١/٥ ـ ٢٤٧

الآيـــة : ١٥٨

قلنـــا : هـذا لا يدل على الفرضية ، فان الله سمى المزدلفة " المشعر الحرام " ، ولا خـــلاف أن الدم يقـوم مقامـــــــه .

وسمي الصفـــا ، لأنـه جلس عليه صفي اللـــه آدم عليه الســـلام .

وسميت المـــروة ، لأنها جلست عليها امرأتـــه حـــواء .(١)

وأصل السعي : أن هاجـــر أم اسماعيل لما عطش ابنها اسماعيل وجـــاع ، صعدت على الصفـا ، فقامت عليـــه تنظر هل ترى من أحـــد ، فلم تر أحـدا ، فهبطت من الصفا حـتى جاوزت (٢) الوادى ، ورفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود ، حتى جاوزت الوادى ، ثـم أتـت المـروة وقامت عليها تنظـــر هل ترى أحـــدا ، فلم تر أحـدا ، فعلـــــــت ذلـك ســـبع مـــرات .(٣)

قولـه تعـالى (وَمَـن تَطَـــوَّعَ)(٤) قرأ حمـزة ، والكسائي " يطوع " بالياء وتشديـــــد الطاء والجزم ، وكذلك الثاني(٥) بمعنى " يتطوع " .

وقرأ عبد الله " يتطوع "(٦) . وقرأ / الباقون " تطوع " بالتاء ونصب العين .(٧) (٥٠/ب)

ومعنى الآيـــة : ومـن زاد في الطواف الواجـــب .(٨)

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ١٧٩/٢ ، والبحر المحيط ٤٥٦/١

(٢) في ط " بلغت " .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ٥٥١/١ ، وتفسير ابن كثير ١٨١/١

(٤) في ط زاد قوله تعالى " خـــيرا " .

(٥) يشير الى ما جاء في الآية ١٨٤ من سورة البقرة (فمن تطوع خيراً فهو خير له ...) وبتلك القراءة أيضا قرأ خلف . انظر : النشر ٢٢٣/٢

(٦) قال في البحر ٤٥٨/١ : قرأ ابن مسعود " يتطوع بخير " .

(٧) انظر : النشـــر ٢٢٣/٢

(٨) انظر : تفســير البغـــوى ١٣٣/١ ، وتفســـــير ابن كثـــير ٢٠٥/١ وقـد حـكاه البغـــوى عـن مقاتل والكلبي .

الآيـــة : ١٥٨، ١٥٩

وقال ابن زيـــد : ومن تطـوع خـيرا فاعتمـــر .(١)

وقيل : من تطـــوع بالحج والعمـرة بعد حجتـه الواجبة .(٢)

وقال الحسن : من فعل غير المفروض عليه من صلاة وزكاة ، ونوع من أنواع الطاعات كلها .(٣)

(فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) أي مجاز له بعمله ، عليم بنيتـه ، يشكر اليسير ، ويعطـــي الكثـير ، ويغفـر الكبـــير .

(١٥٩) قولـه تعـالى (إِنَّ ٱلَّذِيـنَ يَكْتُمُـونَ مَآ أَنزَلْنَـا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُـدَىٰ) :

هم علمـاء اليهود(٤) الذين كتمـوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة ، وكتمـوا أمر القبلة والأحكام والحـلال والحـرام .

(مِنۢ بَعْـدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّـاسِ فِي ٱلْكِتَـٰبِ) أي من بعد ما أوضحناه للنـاس فـي التـوراة والانجيـل . وأراد بالناس : بني اسرائيـــل .

قولـه تعـالى (أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُـمُ ٱللَّـهُ) أي يبعد هم اللـه من رحمتـه .

وأصل اللـعن في اللغـة : هو الطـرد .

(وَيَلْعَنُهُـمُ ٱللَّـٰعِنُـونَ) اختلف المفسرون في هـؤلاء اللاعنـين :

فقال قتادة : هـم الملائكـة . وقال عطاء : الجن والانس . وقال الحســـن : عباد الله أجمعـون . وقال ابن عباس : كل شـيء الا الجـن والانـس .

وقال مجاهـد : اللاعنـون : البهائـم ، تلعـن عصاة بـني آدم اذا اشتدت السـنة وأمسك القطـر ، يقـولون : هـذا لشـؤم بـني آدم .

وقـال عكرمـة : دواب الأرض وهوامهـا ، حـتى الخنافس والعقـارب ، فيقـولون :

---

(١) انظر : تفسير الطـبرى ٥٢/٢

(٢) هـذا هـو اختيـار الطبرى رحمـه الله في تفسيره ٥٢/٢

(٣) انظـر : تفسير البغـوى ١٣٣/١ ، وتفسـير الخـازن ١٣٢/١

(٤) قلـت : والأولى عمومهـا في كل كاتـم . واللـه أعـلم .

الآيـــة : ١٥٩ ، ١٦٠

منعنا القطر بمعاصي بني آدم .(١)

وانما قال لهذه الأشياء " اللاعنون " ولم يقل اللاعنات ، لأن من شأن العرب اذا وصفت شيئا من البهائم والجمادات بما هو صفة للناس من قول أو فعل ، أن يخرجوه على مذهب بني آدم وجمعهم ، كقوله تعالى ـ حاكيا عن يوسف عليه السلام ـ : (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)(٢) ، ولم يقل ساجدات ، وأشباه ذلك .

وفي الآية دلالة(٣) على وجوب اظهار علوم الدين ، وزجر عن كتمانها ، لأن العبرة لعموم اللفظ لا بخصوص(٤) السبب .

(١٦٠) قوله تعالى (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا) :

أي الا الذين تابوا من اليهودية ، وأصلحوا أعمالهم فيما بينهم وبين ربهم .

وقيل : أصلحوا ما كان[أ(٥)] فسدوه مما لا علم له ، وبينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم ، وشهدوا بالحق فيما عندهم من العلم .

---

(١) انظر تلك الأقوال في : تفسير الطبري ٢/٥٤ ـ ٥٦ ، وتفسير البغوى ١/١٣٤ وتفسير ابن كثير ١/٢٠٦ ، والدر المنثور ١/٣٩٠ ـ ٣٩١

وقد رجح الطبري رحمه الله تعالى أن المراد باللاعنين هنا : هم الملائكة والمؤمنون . قال : لأن الله تعالى ذكره قد وصف الكفار بأن اللعنة التي تحل بهم إنما هي من الله والملائكة والناس أجمعين ١٠ هـ .

انظر : تفسير الطبري ٢/٥٦

قلت : وتفسير المراد باللاعنين هنا بما جاء في الآية الأخرى ، وهي قوله تعالى (أولئك عليهم لعنة الله والملئكة والناس أجمعين) هذا أولى ، وهو من تفسير القرآن بالقرآن .

(٢) يوسف ٤

(٣) في ط " دليل " .

(٤) في ط ، م " لا لخصوص " .

(٥) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

الآيـــات : ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢

(فَأُوْلَـٰئِـكَ أَتُـوبُ عَلَيْهِـمْ) أي أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم .

(وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ) أي المتجاوز عن التائبين ، الرحيم بهم بعد التوبة .

(١٦١) قوله تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ) :

هذا عام في جميع الكفار .

(أُوْلَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ) .

أما المؤمنون فيلعنونهم في الدنيا والآخرة .

وأما الكفار ، فيلعن بعضهم بعضا في الآخرة ، كما قال تعالى : (وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا) .(١)

وروى / " أن الكافر يوقف يوم القيامة ، فيلعنه الله ، ثم الملائكة والناس أجمعون .(٢) (٥١/أ)

(١٦٢) وقوله تعالى (خَـٰلِدِينَ فِيهَا) :

أي في اللعنة والنار مقيمين .

وقيل : ان اللعنة هنا : النار ، لأن اللعنة هي ابعاد الله من رحمته ، وذلك عذابه .

قوله تعالى (لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ) : [أي لا يرفع عنهم العذاب](٣) .

(وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) : أي ولا هم يمهلون ويؤجلون .

وقال أبو العالية : لا ينظرون فيعتذرون .(٤)

---

(١) العنكبوت ٢٥

(٢) هذا أثر أخرجه الطبري عن أبي العالية ، وحكاه ابن كثير عن أبي العالية وقتادة .
انظر : تفسير الطبري ٥٨/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٠٦/١

(٣) ما بين المعقوفتين من ط .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٥٩/٢

الآيـــة : ١٦٣

(١٦٣) قولـه عزّ وجلّ (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ) :

قال الكلبي : نزلت هـذ ه الآيـة في كفـار مكـة ، قالوا : يا محمـد صـف لنا وانسب لنـا ربـك ، فأنزل اللـه سـورة الاخـلاص ، وهـذ ه الآيـة .(١)

وقال الضحاك عن ابن عباس : كان للمشركين في الكعبة ثلاثمائـة وستون صنمـا ، يعبد ونها من د ون الله افكـا وأشـرا (٢) ، فد عاهم الله الى توحيد ه والاخلاص فـي عباد تـه ، فقال : (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ) (٣).

ويقال : نزلـت هـذ ه الآيـة في صنـف من المجوس (٤) ، يقـال لهـم الملكانيـة (٥)

---

(١) حـكي هـذ ا عن ابن عباس .

انظر : زاد المسير ١٦٧/١ ، وتفسير القرطبي ١٩١/٢ ، والبحـر المحيط ٤٦٢/١

وقد ذكر الواحـد ى في الوسيط ٢٣٠/١ أن ذ لك من رواية الكلبي عن ابن عباس .

قلـــت : ولا يخفى أن هـذ ه الطريق هي من أوهـى الطرق عن ابن عباس .

والثابت أن سبب النزول المذكـور هو في سورة الاخلاص وحـد ها ، كما روى ذ لك عـن أبـيّ بن كعب ، وجابر ، وابن مسعود ، وأبي العاليـة ، و غيرهم .

انظر : مسند الامام أحمـد ١٣٤/٥ ، وسنن الترمذ ى : كتاب التفسير : بـاب : ومن سورة الاخلاص . والمستد رك ٥٤٠/٢ ، وتفسير الطبرى ٣٤٢/٣٠ ـ ٣٤٣ وابن كثـير ٦٠٤/٤ ـ ٦٠٥ ، والد ر المنثـور ٦٦٩/٨

(٢) في أ " وأثرا " . والتصويب من ط .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ١٤٨/١ ، والبحر المحيط ٤٦٢/١

(٤) لم أجـد ه .

(٥) الملكانيـة : هي من أعظم فرق النصارى ، وليست من المجوس .

ومذ هبهم : أن الكلمة اتحد ت بجسد المسيح وتد رعت بناسوته ، ويعنون بالكلمـة : أقنوم العـلم ، ويعنون بروح القد س : أقنوم الحياة .

ويقولون بالتثليث " الأب ، والابن ، وروح القد س " .

انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحـل لابن حزم ١١٠/١ ـ ١١١ ، والمـلل والنحـل للشهرستاني ٢٢٢/١

الآيـــة : ١٦٣ ، ١٦٤

المانيـــة [١] يقولون : هما اثنان ، خالق الخير وخالق الشر .

ومعنى الآيـة : أن الذى يستحق أن تألـه قلوبكم اليه في المنافع والمضار وفي جميـــع حوائجكم وفي التعظيم له الـه واحـــد ، لا يستحق الالهيـة أحـد غيره .

فلما نزلت هذه الآيـة عجب المشركون ، وقالوا : ان محمـــدا يقول : ان الهـــكم الـه واحـــد . فليأتنا بآية ان كان من الصادقين ، فأنزل [٢] الله تعالى :

(١٦٤) (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِى فِـي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ) :

أى [٣] في تعاقب الليل والنهار في الذهاب والمجيء .

والاختلاف مأخوذ من خلف يخلف ، بمعنى أن كل واحد منهما يخلف صاحبـــه ، اذا ذهب أحد هما جاء الآخر خلافه أى بعده ، نظيره قوله تعالى : (وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً) . [٤]

وقال عطاء : أراد اختلاف الليل والنهار في اللون والطول والقصر ، والنور والظلمة ، والزيادة والنقصان . [٥]

---

(١) ويقال : المانويـة . وهم أصحاب ماني بن فاتك الحكيم : زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قد يمين ، أحد هما نور والآخر ظلمـــة .

انظر : الملل والنحل ٢٤٤/١

(٢) أخرجه الواحدى في أسباب النزول ص ٤٣ عن أبي الضحى ، وكذا أخرجـــه عنـــه الطبرى في تفسيره ٦١/٢ ـ ٦٢

وزاد السيوطي في نسبته اليه عن وكيع ، والفريابي ، وآدم بن أبي اياس ، وسعيد بـــن منصـــور ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ في العظمة ، والبيهقي في شعب الايمان .

انظر : الدر المنثـــور ٣٩٥/١

وروى نحوه عن عطاء . انظر : المصادر السابقـــة .

(٣) في ط " أى ان في " .

(٤) الفرقـــان ٦٢

(٥) انظر : تفسير البغـــوى ١٣٥/١

الآيـــة : ١٦٤

والليـل جمع ليلة ، مثل نحـلة ونخـل . والليالي جمع الجمع . والنهار واحد ، وجمعه نهـر . وقـد م الليـل على النهار ، لأنـه هو الأصـل والأقـد م ، قال الله تعالى (**وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْـلُ نَسْـلَخُ مِنْـهُ ٱلنَّهَـارَ**) .(١)

وقوله تعالى (وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِى فِي ٱلْبَحْرِ) يعني السفن ، واحد ه وجمعه سـواء .
قال الله تعالى ـ في واحـد ه ـ (**وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّاتِهِمْ**(٢) **فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ**)(٣) .
وقال في جمعـــه (**حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم**) .(٤)
ويذكـر ويـؤنـث . قال الله تعالى ـ في التذكير ـ (٥) (**ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ**) .(٦)
وقال في التأنيث (**وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِى فِي ٱلْبَحْرِ**) .

قولـه تعالى (بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ) يعني ركوبهـا والحمل عليها في التجارات والمكاســـــب وأنواع المطالـــب .

قولـه تعـالى (وَمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ) : يعني المطـــــر .

---

(١) يـــس ٣٧

(٢) هكذا في أ ، ط " ذرياتهم " على الجمـع .
وفي م " ذريتهم " على الافراد .
وكلاهمـا قراءتان متواترتان .
فقرأ ابن كثير ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وأبوعمرو : بغير ألف ، على التوحيـد مع فتح التـاء .
وقرأ الباقون بالألف ، على الجمع ، مع كسر التاء .
انظر : النشر ٢٧٣/٢ ، والمهذب ١٦٧/٢

(٣) يـــس ٤١

(٤) يونـــس ٢٢

(٥) في أ " في التذكـر " . والتصويب من ط ، م .

(٦) الشعراء ١١٩ (فأنجينـــاه ومـن معـه في الفلك المشحون) .

الآيـــة : ١٦٤

(فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) : أي بعد يبسها وجد وبتها .

(وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ) : أي نشر وفرق فيها من كل / دابة ، من أجناس مختلفة ، (٥١/ب)

منهم من يمشي على بطنه ، ومنهم من يمشي على رجلين ، ومنهم من يمشي على أربع .

(وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ) أي تقليبها ، دبوراً وشمالاً وجنوباً وصباً .(١)

وقيل : تصريفها مرة بالرحمة ، ومرة بالعذاب .(٢)

وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف " وتصريف الريح " بغير ألف ، على الواحد .

وقرأ الباقون " الرياح " على الجمع .(٣)

قال ابن عباس : الرياح للرحمة ، والريح للعذاب .(٤)

وكان النبي صلى الله عليه و سلم إذا هاجت الريح يقول : " اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً " .(٥)

---

(١) قال في اللسان ٤/٢٧١ : الدبور : ريح تهب من نحو المغرب .
والصبا : تقابلها من ناحية المشرق .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/٢٠٧

(٣) انظر : النشر ٢/٢٢٣ ، والمهذب ١/٧٨

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ١/١٤٨ ــ ١٤٩
وأخرج ابن أبي حاتم ــ فيما حكاه السيوطي والشوكاني ــ عن أبيّ بن كعب مثله .
انظر : الدر المنثور ١/٣٩٦ ، وفتح القدير ١/١٦٤
قلت : ليس هذا مطرداً ، فقد جاءت القراءة متواترة بالجمع والإفراد في موضع واحد .
قال تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) الأعراف : ٥٧
قرأ ابن كثير ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف : بالافراد ، والباقون بالجمع .
البدور الزاهرة ص ١١٨
وقال تعالى (أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح)
الاسراء ٦٩ . قرأ أبو جعفر بالجمع .

(٥) هذا جزء من حديث ذكره البغوي في شرح السنة ٤/٣٩٣ من حديث ابن عباس .
كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٣٥ ــ ١٣٦ وقال : رواه الطبراني ، وفيه حسين ابن قيس الملقب بحنش وهو متروك ، وقد وثقه حصين بن نمير ، وبقية رجاله رجال الصحيح ١٠ هـ . وذكره الألباني في ضعيف الجامع ٤/٢٠٢

الآيـــة : ١٦٤، ١٦٥

قولـه تعـالى (وَالسَّحَـابِ الْمُسَخَّـرِ) : أى المذلـل (بَـيْنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ) : سمي سحابـا ، لأنـه ينسحب بالسـير [١] في سـرعـة .

وقولـه تعـالى (لَأَيَـٰتٍ لِّقَـوْمٍ يَعْقِلُونَ) أى لعلامات د الة على وحـد انيـة الله لقوم يعرفـون أنه لوكانت هـذ ه الأمـور الى اثنـين لاختلفـا .

وقيل : لآيات لقوم يعقلون ، فيعلمون أن لهـذ ه الأشياء خالقا وصانـعا .

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ويل لمن قرأ هـذ ه الآية ، ولم يتفكر فيهـا ويعتبر بهـا " . [٢]

قيل : ان السحاب كالمنخـل ، يخرج منه المطر قطرة قطرة ، ولا تلتقي منه قطرتان في الجـــو ، اذ لـو خـرج منهمرا سيالا لأغرق ما أتى عليه [٣] ،كما في طوفان نوح عليـه السـلام ، قـــال اللـه تعالى في طـوفـان نـوح (فَفَتَحْنَـآ أَبْـوَابَ السَّمَـآءِ بِمَـآءٍ مُّنْهَمِـرٍ) . [٤]

(١٦٥) قولـه تعـالى (وَمِنَ النَّـاسِ مَـن يَتَّخِـذُ مِـن دُونِ اللَّـهِ أَنـدَادًا) :

وهم المشركون . والأنـداد : هم الأصنام المعبود ة من د ون الله . قاله أكثر المفسرين .

وقال السد ى : يعني ساد تهم وقاد تهم الذ ين كانوا يطيعونهم في معصية الله . [٥]

---

(١) في ط " بالنشر " .

(٢) هذا جزء من حـد يث ذكره ابن كثير في تفسره ١/٤٥٠ عند تفسير الآيـة ١٩٠ مـــن سـورة آل عمـــران .

وعـزا تخريجـه لابن مرد ويـه ، و عبد بن حميـد ، وابن أبي حاتم ، وابن حبـان فـــي صحيحـــه ، وابن أبي الد نيا في كتاب التفكر والاعتبار من حد يث عائشة مرفوعا .

وزاد السيوطي في عزوه ابن المنذ ر ، والأصبهاني في الترغيب ، وابن عساكر .

انظر : الد ر المنثـــور ٢/٤٠٩

(٣) روى نحـو هـذا عن ابن عباس عن كعب الأحبـار .

انظر : تفسير القرطبي ٢/٢٠١ ، والد ر المنثور ١/٤٠٠

(٤) القمـــــر ١١

(٥) انظر : تفسـير الطـبرى ٢/٦٧

الآيـــة : ١٦٥

قولـه تعـالى (يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ) : أى كحب المؤمنين الله ، يقال : بعت غلامي كبيـع غلامك ، أى كبيعك غلامك . وأنشـد الفراء :

ولست مسلمـا مـا دمـت حيـا ... علـى زيـد كتسـليم الأمـيـر (١)

أى كتسليمي على الأمـير . وهـذا قـول أكثـر العلمـاء . (٢)

وقال الزجاج : تقدير الآيـة (يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ) يعني يسوون بين هذه الأصنام وبـيـن الله تعالى في المحبـة . (٣)

قولـه تعالـى (وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ) : أى يخلصون في محبة الله ، لا يشركـون بـه غـيره ، وهم يشركون معـه (٤) معبودا تهم .

وقيل : ان المؤمنـين يعبدون الله في كل حال ، والكفار يعبدون الأوثان في الرخاء ، فـاذا أصابتهم شدة تركوا عبادتهـا . (٥)

وقال ابن عباس : معناه أثبت وأدوم (٦) ، وذلك أن المشركين كانوا يعبدون صنمـا ، فـاذا رأوا شيئا أحسن منه تركوه وأقبلوا على عبادة الأحسـن .

وقال قتادة : ان الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ، ويقبل على الله تعالى ، كما قـال تعالى (فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ) (٧) .

---

(١) انظر البيت في : معاني القرآن للفراء ١٠٠/١ ، وتفسير الطبرى ٦٧/٢

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٦٦/٢ ، وتفسير البغوى ١٣٦/١ ، وزاد المسـير ١٧٠/١ وتفسـير القرطبي ٢٠٣/٢

(٣) انظر : معاني القرآن للزجـاج ٢٣٧/١

(٤) في ط " بـه " .

(٥) (٦) انظر : تفسير الثعلبي ١٤٩/١

(٧) العنكبـوت ٦٥

الآيـــة : ١٦٥

والمؤمـن لا يعرض عن الله في السراء والضراء ، والشـدة والرخـاء .[١]

وقيل : لأن الكفار يرون معبود هـم مصنوعـهم / ، والمؤمنون يرون الله تـعالى صانعهم . (٥٢/أ)

قولـه تعالى (وَلَوْ تَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ) :

قرأ أبو رجاء ،والحسن ، وشيبة ، ونافع ، وقتادة ، ويعقوب ، وأيوب [٢] : " ولو ترى " بالتاء ،[٣] على أنـه خطاب للنبي صلى الله عليه و سلم ، والجواب محذ وف ، تقد يره : ولو ترى يا محمـد (ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ) أى أشركوا اذ يرون العذ اب ، لرأيت أمـرا عظيمـا ، أو لعلمت ما يصـيرون اليـه ، أو لعجبت منـه .

وقرأ الباقون بالياء [٤] ، ومعناه : ولو يرى الذ ين ظلموا أنفسهم عند رؤيـة العذ اب ، لعلمـوا (أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) ، أو لآمنـوا ، أو لعلموا [٥] مضرة الكفر . نظـير هـذ ه الآيـة في المحذ وف : (وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ) [٦] أى لكـان هـذ ا القـرآن .

---

(١) انظر : تفسير البغـوى ١٣٦/١

وقال الطبرى في تفسير الآيـة : ان الذ ين اتخذ وا هـذ ه الأنـد اد من د ون الله يحبـون أنـد اد هم كحب المؤمنين اللـه ، ثم أخبرهم أن المؤمنين أشد حبـا لله من متخـذ ى هـذ ه الأنـد اد لأنـد اد هـم ١ هـ .

تفسـير الطـبرى ٦٦/٢

(٢) لـعله أيوب بن المتوكـل الأنصارى البصرى ، امام ثقـة ضابط ، قرأ علىالكسائي ويعقـوب الحضـرمي ،مات سنة ٢٠٠ هـ .

انظر : غايـة النهايـة ١٧٢/١ ـ ١٧٣

(٣) وبـها أيضا قرأ ابن عامـر ، وأبو جعفـر . انظر : النشـر ٢٢٤/٢

وانظر :البحر المحيط ٤٧١/١ ، وتفسير الثعلبي ١٥٠/١

(٤) النشـر ٢٢٤/٢

(٥) في أ " أو يعلموا " . والتصويب من م .

(٦) الرعـد ٣١

الآيـــة : ١٦٥

وقولـه تعـالى (إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَـذَابَ) : قرأ ابن عامر " اذ يرون " بضم الياء ، على التعدى ·

وقرأ الباقـون بفتحها على اللزوم · (١)

وقيل : معنى الآيـة : ولو يرى عبدة الأوثـان اليوم ما يرون حين رؤيـة شدة عذاب اللـــه

وقوتـه لتركـوا عبادة الأوثـان ومحبتها · (٢) وهـذا التأويل على قراءة الياء ·

وقولـه تعالى (أَنَّ ٱلْقُـوَّةَ لِلَّـهِ جَمِيعـاً) : أى لأن القـوة للـه جميعا ·

(وَأَنَّ ٱللَّهَ شَـدِيدُ ٱلْعَـذَابِ) : للرؤساء والأتبـاع من عبدة الأوثـان ·

وقرأ الحسن ، وقتادة ، وشيبة ، وسلاّم (٣) ، ويعقوب " ان القـوة للـه جميعـا وان اللـــه "

بالكسر فيهمـا (٤) ، على الاستئناف · والكلام تام عند قوله (يَرَوْنَ ٱلْعَـذَابَ) مع اضمـــار

الجواب كما ذكرنـا · وقرأ الباقون بفتحهـا (٥) ، على بمعنى : بأن القوة [لله جميعـــا] (٦)

معطوف على ما قبل · وقيل : على معنى : لرأوا أن القوة لله [جميعـا] (٧) أو لأيقنـــوا ·

---

(١) انظر : النشـــر ٢ / ٢٢٤

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٢٠٨/١

(٣) هو سلاّم بن سليمان الطويل ، أبو المنذر المزني ، مولاهم البصرى ، ثم الكوفي ، ثقـــة جليـل ومقرىء كبير · مات سنة ١٧١ هـ ·

غايـة النهايـــة ٣٠٩/١

(٤) وهي أيضا قراءة أبي جعفر · انظر :النشر ٢٢٤/٢

وانظر : البحر المحيط ٤٧١/١ ، وتفسير القرطبي ٢٠٥/٢

(٥) النشـــر ٢٢٤/٢

(٦) ما بين المعقوفتـــين من م ·

(٧) ما بين المعقوفتـــين من م ·

الآيـــة : ١٦٦

(١٦٦) قولـه تعـالى (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا) :

متصل بقولـه (شَدِيدُ الْعَذَابِ) أى شد يد العذ اب وقت يتبرأ المتبوعـــــون من التابعين . (وَرَأَوُا الْعَذَابَ) د خلوا جميعا في النار ، وعاينوا ما فيها .(١)

قرأ مجاهـد بتقد يم الفاعلين علىّ المفعولين .(٢) وقرأ الباقون بالضد .

والتابعون : هم الأتباع والضعفاء والسفلة ، قاله أكثر المفسرين .

وقال السد ى : هم الشياطين ، يتبرأون من الانس .(٣)

قولـه تعالـى (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتاد ة : يعني أسباب المود ة والوصلات التي كانت بينهم في الد نيا ، فصارت محبتهـــــم عـد اوة .(٤)

وقال الكلبي : يعني بالأسباب (٥) : الأرحام .(٦)

وقال أبو روق : الحلف والعهود التي كانت بينهم في الد نيا .(٧)

وتقطع الأسباب : أى لا يبقى لهم سبب الى رحمة الله تعالى بوجه من الوجوه .

---

(١) قلت : بل يرون العذ اب حتى قبل د خول النار ، قال تعالى (ورأى المجرمـــون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجد وا عنها مصرفا) . الكهف ٥٣

(٢) انظر : البحر ٤٧٣/١ ، والاتحاف ٤٢٦/١

(٣) انظر : تفسير الطبرى ٧٠/٢

(٤) انظر : تفسير الطبرى ٧١/٢

(٥) في أ " الأسباب " . والمثبت من ط ، م .

(٦) المشهور أن هذا قول ابن عباس ، كما في تفسير الطبرى ٧٢/٢ ، وزاد المسير ١٧١/١ والد ر المنثور ٤٠٢/١

(٧) انظر : تفسير الثعلبي ١٥١/١ ، والبحر المحيط ٤٧٣/١

الآيـــة : ١٦٧ ، ١٦٨

(١٦٧) قولـه تعـالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ :

أى قال السفلة والخدم ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُواْ مِنَّا﴾ أى قالوا : لو أن لنا رجعة الى الدنيا لتبرأنا منهم كما تبرأوا منا في الآخرة .

يقول الله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ التي عملوها في الدنيا لغير الله ﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ أى كما أراهم العذاب ، وكما تبرأ بعضهم من بعض ، كذلك يريهم الله / أعمالهم التي عملوها في الدنيا لغير الله . (٥٢/ب)

حسرات عليهم : أى ندامات عليهم ، كما أراهم تبرى بعضهم من بعض .

وقيل : أراد أعمالهم الصالحة التي عملوها .

وقال السدى : ترفع لهم الجنة ، فينظرون اليها والى بيوتهم فيها لو أطاعوا الله ، فيقال لهم : تلك منازلكم لو أطعتم الله تعالى ، ثم يمنعون منها ، فذلك حين يندمون .(١)

وقوله تعالى ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أى التابعون والمتبوعون .

(١٦٨) قولـه عزّ وجلّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلاً طَيِّباً﴾ :

أى من الزرع والأنعام وغير ذلك مما أحل الله لكم .

والطيب : صفة الحلال(٢) ، وهما واحد . ويجوز أن يكون الحلال : المستلذ .

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أى لا تسلكوا طريقه التي يدعوكم اليها .

وقيل : نزلت هذه الآية في ثقيف(٣) ، وخزاعة(٤) ، وبني عامر بن صعصعة(٥) ،

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٢/٧٤ ، وتفسير البغوى ١/١٣٧ ـ ١٣٨

(٢) في ط ، م " للحلال " .

(٣) بطن من هوازن من العدنانية ، كانت منازلهم بالطائف .
انظر : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندى ص ١٨٦

(٤) قبيلة من الأزد من القحطانية ، كانت مواطنهم مكة ومر الظهران وما بينهما ، وكانوا حلفاء لقريش . انظر : نهاية الأرب ص ٢٢٨

(٥) من هوازن من العدنانية . انظر : نهاية الأرب ص ٣٠١

الآيـــة : ١٦٨

كانـوا يحـرمون البحـيرة (١) ، والسائبـة (٢) ، والوصيـلة (٣) ، والحـام (٤) ، وبعـض الحـروث . (٥)

ووجـه دخـول " من " التي هـي للتبعيض ، أن كل ما في الأرض لا يمكن أكله أو لا يحل .

وقولـه تعـالى (حَـلَـٰلًا طَيِّبًـا) انتصبا على الحال ، وقيل : على المفعـول ، أى كلوا حـلالا طيبـا مما في الأرض .

وقولـه تعـالى (خُطُـوَاتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ) : قرأ شيبة ، ونافع ، وعاصم في رواية أبي بكـر ، والأعمش ، وحمـزة ، وأبو عمـرو ، وابن كثـير في رواية البزى (٦) بسكون الطاء في جميع القرآن (٧)

---

(١) هي الناقـة إذا نتجت خمسة أبطن والخامس ذكر ، بحروه فأكله الرجال والنساء . وإن كان الخامس أنثى بحروا أذنها ، أى شقوها .
وكانت حراماً على النساء لحمها ولبنها ، فإذا ماتت حلت للنساء .
انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبـة ص ١٤٧

(٢) هو البعير يسيب بنذر يكون على الرجل إن سلمـه الله من مرض أو بلغه منزله أن يفعـل ذلـك . انظر : المصدر السابق .

(٣) هي من الغنم إذا ولدت سبعة أبطن ، وكان السابع ذكراً وأنثى ، قالوا : وصلت أخاها . فلم يذبحوا أخاها لآلهتهم لمكانها .
انظر : مجـاز القـرآن ١٨٠/١

(٤) الحام : هو الفحل الذى ركب ولد ولده . ويقال : إذا انتج من صلبـه عشرة أبطن قالـوا : قـد حمى ظهره ، فلا يركب ولا يمنع من كلأ ولا مـاء .
انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٤٨

(٥) انظر : أسباب النزول للواحدى ص ٤٣ ــ ٤٤ ، وزاد المسير ١٧٢/١ ، وتفسـير القرطـبي ٢٠٧/٢
قلـت : ولا يخفى أن العبرة إنما هي بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(٦) هو أحمـد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة ، أبو الحسن المكي ، مقرىء مكـة ومؤذن المسجد الحرام . مات سنة ٢٥٠ هـ .
انظر : غايـة النهايـة ١١٩/١ ــ ١٢٠

(٧) وهي أيضـاً قراءة خـلف .

الآيـــة : ١٦٨

وقرأ ابن عباس ، والزهرى ، والكسائي ، وحفص ، وقنبل : بضم الخاء والطاء في جميـــــــع القـــرآن .(١)

وقرأ عليّ ــ رضي الله عنـــه ــ وسلّام : بضم الخاء والطاء ، وهمزة بعد الطاء .(٢)

وقرأ أبو السمـــال(٣) العدوى ، وعبيد بن عمير " خَطَوات " بفتح الخاء والطاء .(٤)

فمن أسكن الطاء بقّاه على الأصل وطلب الخفـــة ، لأنـه جمع خطوة ، باسكان الطاء .

ومن ضم الطاء فانه أتبع ضمة الخاء ضمة الطاء ، مثل ظلمة وظلمات ، وقربة وقربات .

ومن همز الواو مع الضم ذهب بها مذهب الخطيئـة .

ومن فتح الخاء والطاء فانه أراد جمع خطـوة ، مثل تمـرات .(٥)

واختلف المفسرون في قوله (خُطُـوَاتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ) :

فعن ابن عباس : أن خطوات الشيطان : عمـــله .

وقال مجاهد وقتادة والضحاك : خطايـاه .

وقال الكلبي والسدى : طـاعتـه . وقال عطاء : زلاتـه وشهواتـه .

وقال المؤرج : آثاره . وقال القتيـبي والزجاج : طرقـه .(٦)

---

(١) انظـر : النـشـــر ٢/٢١٦ ، وانظـر : تفسـير الثعـــــلبي ١ / ١٥١ والبحـــر المحيـــط ١/٤٧٩

(٢) انظـر : البحـــــر ١/٤٧٩

(٣) في النسخ " أبو سماك " . وهو خطأ . والتصويب من المصادر . وقد تقدمـــــت ترجمتـــــه .

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٢/٢٠٨ ، والبحر المحيط ١/٤٧٩

(٥) انظـر : الـدر المصـون ٢/٢٢٤

(٦) انظر تلك الأقوال في : تفسير الطبرى ٢/٧٦ ــ ٧٧ ، وتفسير القرطـــبي ٢/٢٠٨ والبحر المحيط ١/٤٧٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/٢٤١ ، وتفسير غريب القـــرآن لابن قتيبـــة ص ٦٨

قلـــت : وكل هـذه الأقوال متقاربة المعنى ، إذ اللفظ عام ، شامل للنهي عن كـــل اتباع وطاعـة للشيطان في أعماله وطرقـه ، وتمرده وعصيانـه .

الآيـــة : ١٦٨ ، ١٦٩

(إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) أي بين العداوة . وقيل : مظهرها ، قد أبان عداوته لكم بابائه السجود لأبيكم آدم ، وغروره اياه حين أخرجه من الجنة . ثم بين الله عداوته ، فقال :

(١٦٩) (إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ) :

أي بالاثم والمعاصي . وقيل : السوء : ما يجب به التعزير . والفحشاء : ما يجب به الحد .

وقيل : كل ما كان في القرآن من الفحشاء فهو زنا ، الا قوله تعالى (ويأمركم بالفحشاء)[1] فانه منع الزكاة .

وقيل : الفحشاء : ما قبح من القول والفعل .

وقال طووس : الفحشاء : ما لا / يعرف في شريعة[2] ولا سنة . (٥٣/أ)

وقال عطاء : هي البخل . وقال السدى : هي الزنا .[3]

قوله تعالى (وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) من تحريم الحرث والأنعام وغير ذلك ، ومن وصفكم الله تعالى بالأنداد والأولاد ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

---

(١) البقرة ٢٦٨ (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ) .

(٢) في ط " في كتاب " .

(٣) انظر تلك الأقوال في : تفسير البغوى ١ / ١٣٨ ، وزاد المسير ١/١٧٢ ـ ١٧٣ وتفسير القرطبي ٢/٢١٠ ، والبحر المحيط ١/٤٨٠

وقال القرطبي : والفحشاء أصله قبح المنظر ، ثم استعملت اللفظة فيما يقبح من المعاني . والشرع هو الذى يحسن ويقبح ، فكل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء . ا هـ . تفسير القرطبي ٢/٢١٠

قلت : وهذا أولى وأشمل . والله أعلم .

الآيـــات : ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١

فان قيـــل : كيـف يصح أن يأمر الشيطـــان ، وهو لا يشاهد ولا يسمع صوتـــه ؟

قيـــل معنى يأمركـم : يد عـوكم ويرغبـكم ، كما يقول الانســان : نفسي تأمرنـي بكـــذا ، أى تد عـوني اليـــه .

(١٧٠) قولـه تعـالى (وَإِذَا قِيـلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ) :

أى اذا قيل لهـؤلاء الكفار اتبعـوا في التحليل والتحريم ما أنـزل اللـه .

(قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا) أى ما وجـدنا عليه اباءنا ، من عبـادة الأوثـان وتحريم البحـيرة والسائبة ونحـو ذلك .

يقول الله تعالى (أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) أى أيتبعون آباءهم ، وان كانوا جهالا (لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا) من الد ين (وَلَا يَهْتَدُونَ) للسنة .

وقيل : ان هـذه الآيـة قصة مستأنفة ، وأنها نزلت في اليهود ، فعلى هذا تكـون الهاء والميم في قولـه " لهم " كناية عن غير مذكـور .

روى عن ابن عباس قال : د عا رسول الله صلى الله عليه و سلم اليهود والنصـارى الى الاسـلام ورغبهـم فيـه وحـذرهم عـذاب الله ، فقال له رافع بن خارجـة ومالك [1] بن عـوف : بل نتبـع ما وجـدنا عليـه آباءنا ، فهم كانوا خيرا منـا وأعـلم . فأنزل اللـه تعالى هـذه الآيـة .[2]

(١٧١) قولـه تعـالى (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً) :

هذا مثل ضربـه الله للكفار ، فوصفهم ـ بعد ما أمرهم ونهاهم فلم يأتمروا ولم ينتهوا ـ بصفة الد واب ، معناه : مثلك أو مثلنا يا محمدمع الذ ين كفروا ، أو مثل واعـظ الذ ين كفروا ـ فحذ ف اختصارا ـ كمثل الذ ى يصيح بما لا يد رى ما يقال له ، الا أنه يسمع الصوت ، وهو الابل والبقر والغنم ، تنزجربالصوت ولا تفقه ما يقال لهـا

---

(١) في أ " ماكـد " . والتصويب من ط ، م .

(٢) أخرجه الطبرى عن ابن عباس من طريق عكرمة أو سعيد بن جبير . وكذا أخرجه عنـه ابن اسحاق وابن أبي حاتم ـ فيما حكاه السيوطي ـ .

انظر : تفسير الطبرى ٢/٧٨ ، والـد ر المنثـور ١/٤٠٥

الآيـــة : ١٧١

ولا تحسن جوابا ، فكما أن البهائم لا تفهم كلام من يدعوها ، فكذا هؤلاء الكفار لا ينتفعون بوعظ النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذا قول ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، وعطاء ، والربيع ، وأكثر المفسرين [١] ، فانهم قالوا : المراد بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً : البهائم التي لا تعقل ، كالأنعام والحمير ونحوها .

وأضاف المثل الى الكفار اختصارا ، لدلالة الكلام عليه ، وتقديره : مثلك يا محمد ومثل الذين كفروا في وعظهم ودعائهم الى الله تعالى ، كمثل الراعي الذي ينعق ، أي يصوت ويصيح بها ، يقال : نعق ينعق نعقا ونعاقا اذا صاح وزجر . قال الشاعر :

فانعق بضأنك يا جرير فانما ... منتك نفسك في الخلاء ضلالا . [٢]

فكما أن هذه البهائم تسمع الصوت ولا تفهمه ولا تعقل ما يقال لها ، كذلك الكافر لا ينتفع بوعظ ان أمرته بخير أو زجرته عن شر ، غير أنه يسمع صوتك .

وقال الحسن : معناه مثلهم فيما أتيتهم به حيث يسمعونه / ولا يعقلونه كمثل راعي الغنم (٥٣/ب) الذي ينعق بها ، فاذا سمعت الصوت رفعت رؤوسها ، فاستمعت الى الصوت والدعاء ولا تعقل منه شيئا ، ثم تعود بعد ذلك الى مراعيها ، لم تفقه ما ناداها به .

وقال قوم : معنى الآية : مثل الكفار في دعائهم الأصنام وعبادتهم الأوثان كمثل الرجل يصيح في جوف الجبال ، فيجيبه فيها صوت يقال له الصدى ، يجيبه ولا ينفعه . [٣]

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢/٧٩ ـ ٨١ ، والكشاف ١/٢١٤ ، وتفسير القرطبي ٢/٢١٤ ، وتفسير ابن كثير ١/٢١٠

(٢) البيت للأخطل . وهو في ديوانه ص ١١٦ ، والكشاف ١/٢١٤ وتفسير القرطبي ٢/٢١٥

(٣) روى هذا عن ابن زيد .
انظر : تفسير الطبري ٢/٨٢ ، وتفسير القرطبي ٢/٢١٤

الآيـــة : ١٧١ ، ١٧٢

قولـه تعالى (إِلَّا دُعَـاءً وَنِـدَاءً) قيل : ان الدعاء والنداء واحد ، كما أن الحـــــلال والطيب واحـد . وقيل : الدعاء ما يكون للقريب ، والنداء انما يكون مد الصوت للبعيد .

قولـه تعـالى (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُـمْ لَا يَعْقِـلُونَ) :

أي هم صم عن الخير لا يسمعون الحق ، والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل بما يسمعه كأنه أصم .

وقولـه تعالى (بكـم) أي خرس لا يتكلمون بخير .

(عمـي) لا يبصـرون الهدى ، فهم لا يعقلون ما يؤمـرون بـــه .

(١٧٢) قولـه تعالى (يَـٰٓأَيُّهَـا ٱلَّـذِيـنَ ءَامَنُـواْ كُلُـواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَـا رَزَقْنَـٰكُمْ) :

أي من حلال ما رزقناكم من الحرث والأنعام وسائر المأكولات .

قال صلى الله عليه وسلم : " ان الله سبحانه طيب لا يقبل الا الطيب ، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال (يأيها الرسل كلوا من الطيبات)[1] ، وقال (يأيها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) " .[2]

قولـه تعالى (وَٱشْكُرُواْ لِلَّـهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) : أي واشكروا لله على ما رزقكم وأباح لكم من النعم (إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) أي إن كنتم تقرون أنه[3] إلهكـــــم ورازقكـــــم .

وهذا أمر اباحة وتخيير ، أعني قوله تعالى (كُلُـواْ) لأن تناول المشتهى لا يدخل في التعبد ، وقد يكون الأكل تعبداً في بعض الأحوال عند دفع ضرر النفـــــس وتقويتها على الطاعة ، وعند مساعدة الضيف إذا امتنع عن الأكل .

---

(١) المؤمنـــون ٥١

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة : باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها من حديث أبي هريرة رقم ١٠١٥

وتمام الحديث : " ثم ذكر الرجل يطيل السفر ، أشعث أغبر ، يمد يديه الى السماء : يا رب يا رب . ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنـــى يستجاب لذلك " .

(٣) في ط " أنـه من إلهـكم " .

الآيـــــة : ١٧٢ ، ١٧٣

فلما نزلت هذه الآيـــة قالت [١] الكفار : اذا لم تكن البحيرة والسائبة والوصيلة محرمـــــــة فما [٢] المحرمـــات . فأنزل [٣] اللـه تعالى قولـه تعالى :

(١٧٣) (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) :

قرأ السلمي " انما حرُم عليكم " براء مضمومة مخففة .

" الميتةُ والـدمُ ولحمُ الخنزيـر " رفعـا . [٤]

وروى عن أبي جعفر أنـه قرأ " حُرِم " بضم الحاء وكسر الراء وتشد يد ها ورفع ما بعد ها . [٥]

وقرأ ابراهيم بن أبي عبلة " انما حَرّم عليكم الميتة " بنصب الحاء والراء وتشديد الراء ورفع " الميتةُ " وما بعد ها ، وجعل " ما " بمعنى " الذ ى" منفصلة . [٦]

ويكون موضع " ما " نصبا باسم "ان " وما بعد ها خبرها ، كما قال (انما صنعـــــــوا كيـــد ساحـــر) .

وقرأ الباقون " حَرّم " بنصب [الحـــاء] [٧] وتشديد الراء ، ونصب " الميتـــــــةَ " وما بعد هـــا [٨] ، وجعلوا " انما " كلمة واحـــدة ، تأكيدا وتحقيقا .

والميتـــة : ما لم يـذ ك .

والـد م : يعني المسفوح الجـــارى .

---

(١) في ط " قال الكفار " .

(٢) في أ " في المحرمات " . والتصويب من ط .

(٣) لم أجـــد ه .

(٤) انظر : البحر المحيط ٤٨٦/١

(٥) انظر : المصد ر السابق ، وتفسير القرطبي ٢١٦/٢

(٦) انظر : المصد رين السابقين .

(٧) ما بين المعقوفتـــين من ط ، م .

(٨) انظر : البحـر المحيـــط ٤٨٦/١

الآيـــة : ١٧٣

وهـذه الآيـة مخصوصة بالسنة ، وهو قولـه صلى الله عليه و سلم : " أحلت لنـــــــا ميتتـان / ودمـان ، فالميتتان : السمك والجراد ، والدمان : الكبد والطحال " .[١] (٥٤ / أ)

قولـه تعـالى (وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ) أراد جميع أجزائـه وكل بدنـه ، فعبر عن ذلـــــك باللحـم ، لأنـه معظمـه وقوامـه .

قولـه تعالى (وَمَآ أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) أي ما ذكـر عليه عند الذبح اسم غير الله .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك : يعني ما ذبح للأصنام والطواغيت كلها .[٢]

وأصل الاهلال : رفع الصوت ، ومنه اهلال الحج وهو رفع الصوت بالتلبية ، ومنه اهلال الصـــبي واستهلالـه وهو صياحـه عند خروجه من بطن أمـه .

قولـه تعـالى (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ) :

قرأ عاصم ، وحمزة ، ويعقوب ، وأبو عمرو " فمنِ اضطر " بكسر النون فيه[٣] وفيما يشابهـه ، مثل (أَنِ اقْتُلُوا)[٤] وأمثالـه .

---

(١) أخرجه الامام أحمد في مسنده ٢/٩٧

وابن ماجه في كتاب الصيد : باب صيد الحيتان والجراد . رقم ٣٢١٨ من حديـــث ابن عمر رضي الله عنهما .

وقال الحافظ ابن حجر : " ورواه الدارقطني من رواية سليمان بن بلال عن زيد بن أســلم موقوفـا . قال : وهو أصح . وكذا صحح الموقوف أبو زرعة وأبو حاتم ... نعم الروايـة الموقوفـة التي صححها أبو حاتم و غيره هي في حكم المرفوع ، لأن قول الصحابي : أحل لنا وحرم علينا كذا . مثل قوله : أمرنا بكذا ، ونهينا عن كذا . فيحصل الاستـدلال بهذه الرواية ، لأنها في معنى المرفوع . والله أعلم " .

تلخيـص الحبـير ١/٢٦

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٢/٨٥ ، وتفسير القرطبي ٢/٢٢٤

(٣) وضم الطاء . وقرأ أبو جعفر بضم النون وكسر الطاء . وقرأ الباقون بضمهما معا .

انظر : النشر ٢/٢٢٥ ، والبدور الزاهرة ص ٤٤

(٤) من الآيـة ٦٦ من سورة النسـاء (ولـو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفســكم أو اخرجـوا من ديـاركم ما فعلـوه الا قليل منهم ...) .

الآيـــة : ١٧٣

وقرأ ابن محيصـن " فمن اضطر " [١] باد غام الضاد في الطاء حتى تكون طاء خالصـة .

ومعنى الآيـة : فمن أحـــوج وألجيء الى ذ لك بالمجاعـة أو الاكراه ، (غَيْرَ بَاغٍ) أى غير طالب لـذلك . وقيل : غير طالب تلذ ذا . (وَلَا عَـادٍ) أى ولا متجاوز قـدر ما يسـد بـه رمقـه . [٢]

وقولـه عز وجـل (غَـيْرَ بَـاغٍ) نصب " غيرَ " على الحال . وقيل : على الاستثناء .
وا ذا رأيت " غير " يصلح [٣] في موضعـها " لا " [٤] فهي حـال .

واذا صلح في موضعها "الا " فهي استثناء ، فقس على هـذا .

وقال بعض المفسرين : معنى (غير بـاغ) أى غير قاطع للطريق ، (ولا عـاد) أى ولا مفـارق للأئمة ولا مشاق للأمـة ، خارج عليهم بسيفه . ومن خرج يخيف السبيل أو يفسد فـي الأرض ، أو أبق من سيد ه ، أو فرّ من غريمـه ، أو خرج عاصيا بأى وجه كان ، فاضطر الى الميتـــة [٥] لم يجز له أكلها ، [أ] [٦] و اضطر الى الخمر عند العطش لم يحل له شربها .
وهـذا قول مجاهد ، وابن جبير ، والكلبي ، [و] [٧] بهـذا التأويل أخـذ الشافعي [٨] رضي اللـه عنـــــــــه .

وقال أبو حنيفة ، ومالك رضي الله عنهما : يجوز ذ لك لهم ، ولو كانوا بغاة خارجين عـــــلى المسلمين ، كما يجوز لأهل العد ل . [٩]

---

(١) في شواذ القرآن لابن خالويـــه ص ١١ " فمن اطـر " .

(٢) روى هذا المعنى عن قتاد ة ، و عكرمـة ، والربيع ، والحسن ، وابن زيـد .
انظر : زاد المسير ١٧٥/١ ، وتفسير القرطبي ٢٣١/٢

(٣) في ط " لا يصلح " ، وفي م " لا يقع " .

(٤) في ط ، م " الا " .

(٥) في ط " الى أكل الميتة " .

(٦) ما بين المعقوفتـين من ط .

(٧) ما بين المعقوفتين من ط .

(٨) انظر : تفسير الطبرى ٨٦/٢ ــ ٨٧ ، وزاد المسير ١٧٥/١ ، وتفسير القرطبي ٢٣١/٢ وتفسير البغوى ١٤٠/١

(٩) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١٥٦/١ ، وتفسير القرطبي ٢٣٣/٢

الآيـــة : ١٧٣

قال ابن عباس ، والحسن ، ومسروق [١] : تفسير قوله (غَيْرَ بَـاغٍ) أى غير باغ في الميتـــة ، (ولا عـاد) في الأكـل . [٢]

وقال مقاتل : (غَيْرَ بَـاغٍ) أى مستحل [٣] (وَلَا عَـادٍ) أى ولا متزود منها . [٤]

وقال السدى : (غَيْرَ بَاغٍ) في أكله شهوة و تلذذا ، (وَلَا عَادٍ) أى لا يأكل حتى يشبع منهـــا ، ولكن يأكل منها ما يمسك رمقـــه . [٥]

وقال بعضهم : (غَـيْرَ بَـاغٍ) أى متجاوز للقدر الذى يحل لـه (وَلَا عَـادٍ) أى لا يقصر فيما يحـل لـه منها فلا يأكلـــه . [٦]

قال مسروق : بلغني أنه من اضطر الى الميتة فلم يأكلها حتى مات دخل النار . [٧]

---

(١) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي ، أبو عائشة الكوفي ، ثقة فقيه عابد ، مات سنة ثنتين ، وقيل : ثلاث وستين .
انظر : تقريب التهذيب ص ٥٢٨ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ١٤

(٢) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١٥٦/١ ، والبحر المحيط ٤٨٩/١

(٣) في ط " أى غير مستحل " .

(٤) انظر : تفسير البغوى ١٤١/١ ، وتفسير ابن كثير ٢١١/١

(٥) انظر : تفسير الطبرى ٨٨/٢ ، وزاد المسير ١٧٥/١

(٦) حكاه أبو حيان عن شهر بن حوشب ، كما في البحر المحيط ٤٨٩/١

(٧) انظر : تفسير ابن كثير ٢١٢/١ ، والدر المنثور ٤٠٨/١
قال أبو الحسن الطبرى ـ المعروف بالكيا الهراسي ـ : وليس أكل الميتة عند الضرورة رخصة ، بل هو عزيمة واجبة ، ولو امتنع من أكل الميتة كان عاصياً . وليس تناول الميتة من رخص السفر أو متعلقاً بالسفر ، بل هو من نتائج الضرورة سفراً كان أو حضراً ، وهو كالإفطار للعاصي المقيم إذا كان مريضاً ، وكالتيمم للعاصي المسافر عند عدم الماء . وهو الصحيح عندنا ١٠ هـ .
أحكام القرآن للكيا الهراسي ٤٢/١

الآيـــة : ١٧٣

واختلف الفقهاء في حد الاضطرار [١] [و][٢] فيما يحل للمضطر أكله من الميتة :

فقال بعضهم : انه لا يجوز له الأكل الا عند خوف التلف في آخر الرمق .[٣] وهو الصحيح .

وقال بعضهم : اذا كان يضعف عن الفرائض .

وقال بعضهم : اذا كان بحيث لو دخل السوق لا ينظر الى شيء سوى المطعوم .

وأما مقدار ما يأكل عند الضرورة :

فقال أبو حنيفة : لا يأكل الا / مقدار ما يسد به رمقه . وهو أحد قولي الشافعي .[٤] (٥٤/ب)

وقال مالك : يأكل[٥] حتى يشبع ، ويتزود منها ، فان وجد شيئا مباحا طرحها .[٦]

وقال مقاتل : لا يزيد على ثلاث لقم .[٧]

قوله تعالى (فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ) أي فلا حرج عليه في أكلها .

(إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ) لما أكل من الحرام في حال الاضطرار .

(رَّحِيمٌ) به ، حيث رخص له في ذلك .

فان قيل : قوله تعالى (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) يناقض قوله (إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ، لأن الغفران يقتضي اثبات الاثم ؟

قيل : لأنه بالغفران قد يسر ما لو لا الاباحة لكانت معصية ، وبرحمته جوز ـ عند الضرورة ـ احياء النفس بتناوله .

---

(١) في م عبارة " الى الميتة " بعد قوله " الاضطرار " .

(٢) زيادة الواو من ط .

(٣) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١٥٧/١
وأحكام القرآن لابن العربي ٨٢/١ ، وزاد المسير ١٧٥/١

(٤) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١٦٠/١ ، وتفسير البغوى ١٤١/١ ، ومغني المحتاج ٣٠٧/٤ ، ونيل الأوطار ٣١/٩

(٥) في ط " يأكل منها " .

(٦) انظر : الموطأ ٤٩٩/٢ ، وتفسير القرطبي ٢٢٧/٢

(٧) انظر : تفسير القرطبي ٢٣٠/٢

الآيـــــة : ١٧٤

(١٧٤) قوله عز وجل (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ) :

نزل في علماء اليهود والنصارى ، قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : كان علمـــاء اليهود يأخذون من سفلتهم الهدايا ، وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهـــم ، فلما بعث الله محمـــدا صلى الله عليه وســـلم من غيرهم خافوا ذهاب مأكلتهم (١) وزوال رياستهم ، فعمدوا الى صفة محمـــد صلى الله عليه وسلم فغيروهـــا ثم أخرجوها اليهم ، وقالوا : هذا نعت النبي الذى يخرج في آخر الزمان ، لا يشبـــه نعت هذا النبي الذى بمكـــة . فاذا نظرت السفلة الى النعت المغير وجـــدوه مخالفا لصفة محمـــد صلى الله عليه وسلم فلا يتبعونه ، فأنزل (٢) اللـــه تعالى هذه الآية (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ) يعني صفة محمـــد صلى الله عليه وســـلم ونبوته . (٣)

(وَيَشْتَرُونَ بِهِ) أي بالمكتوم (ثَمَنًا قَلِيلًا) أى عوضا يسيرا ، يعني المآكـــل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم .

(أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ) ذكر البطون هنا للتأكيد ، يعـــني ما يأكلون الا ما يورد هم النار ، وهي الرشوة والحرام وثمن الدين والاسلام ، فلما كانـــت عاقبته النار سماه في الحال ناراً ، كقوله تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا) (٤) يعني أن عاقبته النار .

---

(١) في م " مأكلهم " .

(٢) انظر : أسباب النزول للواحدى ص ٤٤، وتفسير البغوى ١٤١/١

(٣) بل كتمانهم أعم من ذلك ، فهم يكتمون ويحرفون كلام الله وأحكامه . كما فعلوا في شأن اليهود يين اللذين زنيا ، حيث أتي بالتوراة فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فقـــرأ ما قبلها وما بعدها .

وانظر القصة في صحيح البخارى : كتاب المحاربين : باب أحكام أهل الذمة وإحصانهـــم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام .

(٤) النســـــاء : ١٠

الآيـــــة : ١٧٤ ، ١٧٥

وقال عليه السلام في الذى يشرب في آنية الذهب والفضة : " إنما يجرجر في بطنه نار جهنم " .(١) أخبر عن المآل بالحال .

قوله عزوجل (وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ) أى لا يكلمهم كلاما ينفعهم ويسرهم ، كما يكلم أولياءه من البشارة والرضا . وأما التهديد فلا بد منه ، لقوله تعالى **(فو ربك لنسئلنهم أجمعين)** .(٢)

وقيل معناه : لا يسمعهم كلام نفسه ، بل يرسل اليهم ملائكة العذاب فيكلمونهم بأمر الله . وانما أضاف السؤال الى نفسه، لأن سؤال الملائكة بأمره .

قوله تعالى (وَلَا يُزَكِّيهِمْ) أى لا يطهرهم من دنس ذنوبهم ، ولا يثني عليهم خيرا ولا يصلح أعمالهم الخبيثة . **(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** أى مؤلم .

(١٧٥) قوله تعالى (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ) :

أى الذين مالوا الى التحريف للتوراة والانجيل هم الذين استبدلوا الكفر بالايمان .

وقوله تعالى (وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ) معناه : أن الايمان بالنبي / صلى الله عليه وسلم (٥٥/أ) يوجب المغفرة ، والكفر به يوجب العذاب ، فيكون المستبدل للكفر بالايمان مشتريا للعذاب بالمغفرة .

---

(١) أخرجه البخارى في كتاب الأشربة : باب آنية الفضة .
ومسلم في كتاب اللباس والزينة : باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره على الرجال والنساء . من حديث أم سلمة رضي الله عنها .
ولفظه : " الذى يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم " .

(٢) الحجر : ٩٢

الآيـــة : ١٧٥ ، ١٧٦

قولـه تعـالى (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ) :

قال الحسن ، وقتادة ، والربيع : والله ما لهم عليها من صبر ، ولكن ما أجرأهم على العمـــل الذى يقربهم الى النـــار .(١)

وقال الكسائي ، وقطرب : ما أصبرهم على عمل أهل النار ، أى ما أدومهم عليه .(٢)

وقيل معناه : ما أبقاهم في النار .(٣)

وقال عطاء ، والسدى : معناه ما الذى أصبرهم على النار ، أو أى شيء صبرهم على النـــار حين تركوا الحق واتبعوا الباطـــل .(٤)

وقيل : هو لفظ استفهام بمعنى التوبيخ لهم والتعجب لنا ، كأنه قال : ما أجرأهم على فعـــل أهل النار مع علمهم ، قالوا : وهذه لغة يمانيـــة .(٥)

وقال الفراء : أخبرني الكسائي قال : أخبرني قاضي اليمن : أن خصمين(٦) اختصما اليه ، فوجبت اليمين على أحدهما فحلف ، فقال له خصمه : ما أصبرك على الله ، أى ما أجرأك على الله .(٧)

(١٧٦) قولـه تعـالى (ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ) :

أى ذلك العذاب لهم في الآخرة . وقيل : ذلك الضلال .

(بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ) بالعدل والصـــدق .

واختلفوا فيه ، فحينئـذ يكون " ذلك " في موضع الرفـــع .

وقال بعضهم : هو في محل النصب ، معناه : فعلنا ذلك بهم بأن الله ، أو لأن اللـــه

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٩١/٢

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٢٣٦/٢ ، والبحر المحيط ٤٩٤/١

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٤٥/١

(٤) انظر : تفسير الطبرى ٩١/٢

(٥) انظر : تفسير القرطبي ٢٣٦/٢ ، والبحر المحيط ٤٩٤/١

(٦) في النسخ " أن خصمان " . وهو خطأ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء ١٠٣/١

الآيـــة : ١٧٦ ، ١٧٧

نزل الكتاب بالحق ، واختلفوا [١] فيه وكفروا به ، فنزع الخافض . [٢]

قوله تعالى (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ) قيل : هم اليهود والنصارى .

وأراد بالكتاب : التوراة والانجيل ، وما فيهما من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة أمره و دينه .

وقيل : هم الكفار كلهم ، وأراد بالكتاب : القرآن .

واختلافهم فيه : أن بعضهم قال : هو سحر . وبعضهم قال : هو قول البشر .

وبعضهم قال : هو أساطير الأولين .

(لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) : أي خلاف طويل .

(١٧٧) قوله عز وجل (لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) :

قرأ حمزة ، وحفص " ليسَ البرَ " بالنصب [٣] ، ووجه ذلك : أنهما جعلا " أن " وصلتها في موضع الرفع على اسم ليس ، تقديره : ليس توليتكم [٤] وجوهكم البر .

كقوله تعالى (فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ) . [٥]

وقرأ الباقون بالرفع [٦] ، على أنه اسم ليس .

واختلف المفسرون في هذه الآية :

فقال قوم : أراد بها اليهود والنصارى ، وكانت اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق ، وزعم كل فريق منهم أن البر في ذلك ، فأخبر الله تعالى أن البر

---

(١) في ط ، م " فاختلفوا " .

(٢) قلت : لا وجه لنزع الخافض هنا ، وإنما يتوجه القول بالنصب على أن " ذلك " مفعول به لفعل محذوف ، كما قدره المؤلف .

وانظر : البحر المحيط ٤٩٥/١ .

(٣) انظر : النشر ٢٢٦/٢

(٤) في ط " توليكم " .

(٥) الحشر : ١٧

(٦) النشر ٢٢٦/٢

الآيـــة : ١٧٧

غير دينهم و عملهم .

وعلى هـذا القول قتـادة ، والربيـع ، ومقاتـل .(١)

وقيل : لما حولت القبلة الى الكعبة ، كثر الخوض في أمر القبلة ، فتوجهت النصارى نحـــو المشرق ، واليهود نحو المغرب ، واتخذ وهما قبـلة ، وزعموا أنـه البر ، فأكذ بهم اللـــه بهذا وبين أن البر في طاعة الله واتباع أمره ، وأن البر لا يتم الا بالايمان .

وقيل : معناه ليس البر كله / في الصلاة فقط ، ولكن البر الذى يؤدى الى الثـــواب (٥٥/ب) بـر من آمـن بالله واليوم الآخـر ، والاقرار بالملائكة أنهم عباد الله ورسله ، لا كما قـال بعض الكفار : أن الملائكة بنات الله ، والاقرار بالنبيين كلهم .(٢)

فان قيل : لِمَ جعل " مَنْ " خبر البر ، و "مَنْ " اسم ، والبر فعل ، وهم لا يجـــيزون " البر زيـد " ؟ .

قيل : معناه ــ عند بعضهم ــ : ولكن البر الايمان بالله ، والعرب تجعل الاسم خـــبرا للفعل ، كقولهم : البر الصادق الذى يصل رحمه ويخفي صدقته ، يريدون صلة الرحـــم واخفاء الصـــدقة .

فتكون " مَن " في موضع المصدر ، كأنه قال : ولكن البر الايمان بالله ، أو البر بر من آمـــن بالله ، كما يقال : الجود حاتم ، والشجاعة عنتر : أى الجود جود حاتم ، والشجاعـــة شجاعة عنتر .(٣)

ومثله قولهم تعالى (وَاسْـئَلِ الْقَرْيَـةَ)(٤) أى أهل القريـــة .

و (مَا خَلْقُـكُمْ وَلَا بَعْثُـكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِـدَةٍ)(٥) أى كخلق نفس .

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٢/٩٤ ــ ٩٥ ، وزاد المسير ١/١٧٨

(٢) قال ابن كثير رحمه الله : من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الاسلام كلهـــا ، وأخذ بمجامع الخير كله . تفسير ابن كثير ١/٢١٣

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ١/١٠٤ ، وتفسير الطبرى ٢/٩٥

(٤) يوسف ٨٢ (واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها) .

(٥) لقمـــان ٢٨

الآيـــة : ١٧٧

وقال أبو عبيدة معناه :ولكن البار من امن بالله [١] ، كقوله (وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) [٢] أي للمتقي .

وقيل : معناه ولكن ذا البر [٣] من آمن بالله ، كقوله (هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ) [٤] أي هم ذو [وا] [٥] درجات .

قوله تعالى (وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) أي من آمن بالله والملائكة كلهم **(وَالْكِتَابِ)** يعني الكتب **(وَالنَّبِيِّينَ)** أجمع .

قوله تعالى (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) اختلفوا في " الهاء " الذي في " حبه " : فقال أكثر المفسرين : الهاء في " حبه " راجعة الى المال ، يعني اعطاء المال في صحته ومحبته اياه وضنته به ، وهو صحيح يخشى الفقر ويأمل الغنى ، ولا يهمل حتى اذا بلغت الحلقوم ، فيقول : لفلان كذا ، ولفلان كذا . [٦]

وقيل : هي عائدة الى الله ، أي على حب الله تعالى .

وقيل : على حب الايتاء .

قوله تعالى (ذَوِي الْقُرْبَى) أي أهل القرابة .

---

(١) انظر : مجاز القرآن ٦٥/١

(٢) طه ١٣٢ (لا نسئلك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٤٦/١

(٤) آل عمران ١٦٣

(٥) ما بين المعقوفتين من ط .

(٦) ورد هذا اللفظ في حديث أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة مرفوعا .
انظر : صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب أي الصدقة أفضل ، وصدقة الصحيح الشحيح .
ومسلم : كتاب الزكاة : باب بيان أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح .

الآيـــة : ١٧٧

قال صلى الله عليه وسلم : " أفضل الصدقة على ذوى الرحم الكاشح " .(١)

وعن ميمونة (٢) زوج النبي صلى الله عليه و سلم قالت : أعتقت جارية لي ، فدخل عليّ رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبرته بذلك ، فقال : " آجرك الله ، أما أنك لو أعطيتها بعض أخوالك كان أعظم لأجرك " .(٣)

وقوله تعالى (وَابْنَ ٱلسَّبِيلِ) يعني المجتاز .

قال مجاهد : هو المسافر والمنقطع عن أهله ، يمر عليك .(٤)

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٠٦/١ من حديث أم كلثوم بنت عقبة .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٦/٣ وقال : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .
وانظر في تخريجه : نصب الراية ٤٠٥/٤ ـ ٤٠٦ ، وارواء الغليل ٤٠٤/٣ ـ ٤٠٦
والكاشح : هو الذى يضمر عداوته في كشحه ، وهو خصره . يعني : أن أفضل الصدقة على ذى الرحم المضمر العداوة في باطنه .

(٢) هي أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ، تزوجها النبي صلى الله عليه و سلم في عمرة القضاء سنة سبع بسرف ، وبنى بها هناك في مرجعه من عمرته ، وماتت بعده فيها سنة احدى وخمسين .
انظر : الرياض المستطابة ص ٣١٣

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣٣٢/٦ ، وأبو داود في الزكاة : باب في صلة الرحم .
وأخرجه البخارى ومسلم، وليس فيه عندهما " آجرك الله " .
انظر : صحيح البخارى : كتاب الهبة : باب هبة المرأة لغير زوجها و عتقها .
ومسلم في كتاب الزكاة : باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين .

(٤) انظر :تفسير الطبرى ٩٧/٢ ، وتفسير البغوى ١٤٣/١

الآيـــــة : ١٧٧

وقال قتادة : هو الضيف ، ينزل بالرجل [١] ، قال : لقوله صلى الله عليه و سلم : "من كـــان يؤمن باللـــه واليوم الآخر فليكرم ضيفـــــه " . [٢]

وقال صلى الله عليه و سلم : " حق الضيافة ثلاث ، فما فوق ذلك فهو صدقة " . [٣]

وانما قيل للمسافر والضيف : ابن السبيل ، لملازمته الطريق ، كما يقال للرجل الذى أتت عليه الدهـــور : ابن الليالي والأيام .

وقولـه تعـالى (وَالسَّـآئِلِـيـنَ) يعني المستطعمين الطالبين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " للسائل حق ، وان جاء على ظهر فرس " . [٤]

وقال صلى الله عليه و سلم : " هدية الله للمؤمن / السائل على بابه " . [٥] (٥٦/أ)

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٩٧/٢

(٢) أخرجه البخارى في كتاب الأدب : باب : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يـــؤذ جاره . ومسلم في كتاب الايمان : باب الحث على اكرام الجار والضيف .
من حديث أبي شريح العدوى ، وأبي هريـــرة .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥١٠/٢ من حديث أبي هريـــرة .
وأخرج البخارى نحوه ضمن حديث أبي شريح الكعبي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من كان يؤمن باللـــه واليوم الآخر فليكرم ضيفـه ، جائزته يوم وليـــــــلة ، والضيافة ثلاثـة أيام ، فما بعد ذلك فهوصـــدقـة . ولا يحل لـه أن يثوى عنـــــده حتى يحرجـــــه " .
صحيح البخارى : كتاب الأدب : باب اكرام الضيف وخدمته اياه بنفسه .

(٤) أخرجـه أحمـــد في مسنده ٢٠١/١ ، وأبو داود في كتاب الزكاة : باب حق السائـــــل .
من حـــديث الحســـين بن علي .
وذكره الألباني في ضيف الجامع ٢٨/٥

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤١٦/١ وقال : أخرجه أبو نعيم ، والثعلبي ، والديلمي والخطيب في رواة مالك بسند واه عن ابن عمـــر مرفوعا .
وذكره الألباني في ضعيف الجامع ٤٠/٦ . وحكم عليه الألباني بالوضع .

الآيـــة : ١٧٧

قولـه تعـالى (وَفِي ٱلرِّقَـابِ) يعني المكاتبين . كذا قال أكثر أهل التفسير .

وقيل : فداء الأسارى . وقيل : عتق النسمة ، وهو شراؤها للعتق وفك الرقبة .(١)

قولـه تعـالى (وَأَقَـامَ ٱلصَّـلَـوٰةَ) يعني المفروضـــة .

وقولـه تعالى (وَءَاتَـى ٱلزَّكَـوٰةَ) يعني الواجبـة .

وقولـه تعالى (وَٱلْمُوفُـونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُواْ) يعني فيما بينهم وبين الله ، وفيما بينهم وبين الناس ، اذا وعدوا أنجزوا ، واذا حلفوا بروا ، أو(٢) نذروا أوفوا ، واذا قالـــوا صدقـوا ، واذا ائتمنـوا أدوا .

وقيل معناه : الموفون بالعهود التي أمر الله بالوفاء بها من سائر المواثيق ، مدحهم عـــلى الوفاء بما عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ، من نصرته على الأعداء ومظاهرتـــه بالجهـــاد .

واختلفوا في رفع " الموفين " : فقال الفراء والأخفش : هو عطف على محل " من "(٣) في قولـه (وَلَٰكِـنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ) كأنه قال : ولكن البر المؤمنون والموفـنون .

وقيل : هو رفع على الابتداء والخبر ، تقديره : وهم الموفون .(٤)

قولـه تعـالى (وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ) في انتصابه خلاف :

قال الكسائي : عطف على " ذوى القربى " كأنه قال : وآتى الصابرين .

وقال بعضهم : معناه أعني الصابرين .

وقال الخليل والفراء : نصب على المدح .(٥) والعرب تنصب على المـــدح والـــذم ،

---

(١) قلـت : كل ذلك محتمل ، فالحمل على العموم أولى . والله أعـلم .

(٢) في م " واذا نذروا " .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ١٠٥/١ ، ومعاني القرآن للأخفش ٣٤٨/١

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٢٤٠/٢ ، والبحر المحيط ٧/٢

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ١٠٥/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٤٧/١ ، وتفسير القرطبي ٢٤٠/٢ ، والبحر المحيط ٧/٢

والأشهر النصب على المدح .

انظر : تفسير الطبرى ١٠٠/٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٤٧/١ ، والكشاف ٢٢٠/١

الآيـــة : ١٧٧ ، ١٧٨

فالمدح مثل قوله تعالى (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ)[١] والذم مثل قوله تعالى (مَلْعُونِينَ)[٢] .

وقوله تعالى (فِي الْبَأْسَاءِ) يعني الشدة والفقر (وَالضَّرَّاءِ) هي المرض والزمانة .

وفي هاتين الحالتين يعظم موقع الصبر على العبادة .

قوله تعالى (وَحِينَ الْبَأْسِ) أي وقت القتال والحرب ، يقال : لا بأس عليك ، أي لا شدة .

وقوله تعالى (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) أي في ايمانهم وفي جهادهم .

(وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) محارم الله تعالى .

قيل : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فسأله عن الايمان ، فقرأ هذه الآية .[٣]

(١٧٨) قوله تعالى عز وجل (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى) :

نزلت هذه الآية في الأوس والخزرج ، وكان بينهما قتلى وجراحات في الجاهلية ، وكان لأحدهما طول على الآخر في الكثرة والشرف ، فأقسموا ليقتلن بالعبد منا الحر منهم ، وبالمرأة منا الرجل منهم ، وبالرجل منا الرجلين منهم . وجعلوا جراحتهم ضعفي جراحات أولئك ، فلم يأخذها بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام ، فرفعوا أمرهم الى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأنزل[٤] الله تعالى هذه الآية ، وأمرهم بالمساواة ، فرضوا وسلموا .

---

(١) النساء : ١٦٢

(٢) الأحزاب : ٦١ (مَلْعُونِينَ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ــ فيما حكاه ابن كثير في تفسيره ١/٢١٣ ــ عن مجاهد عن أبي ذر : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الايمان ؟ فتلا عليه (ليس البر أن تولوا وجوهكم) الى آخر الآية .

قال ابن كثير : وهذا منقطع ، فإن مجاهداً لم يدرك أبا ذر ، فإنه مات قديما ١٠٠ هـ .

وقال السيوطي : أخرج ابن أبي حاتم وصححه عن أبي ذر ، فذكره .

انظر : الدر المنثور ١/٤١٠

(٤) انظر : تفسير البغوى ١/١٤٤ ، والبحر المحيط ٢ / ٩

وتفسير ابن كثير ١/٢١٥

الآيـــة : ١٧٨

قولـه تـعـالى (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ) :

قيل : ان " من " اسم القاتل ، [أي](١) من ترك لـه(٢) القود وصفح عنه من القصاص في قتـــل العمـد فرضي(٣) بالديـــة .

وقولـه (مِنْ أَخِيهِ) أي(٤) من أخي المقتول [ورضـي](٥) منه [بالديـة](٦) فليتبع العافـــي بالمعـروف ، أي يترفق في طلب الديـة من القاتل ، ولا يعســـر .

وليـؤد القاتل اليه باحسان ، أي لا يبخس ولا يماطل /٠ هـذا قول أكثر المفسرين ، قالوا العفو :(٥٦ / ب) أن يقبل الديـــة في قتل العمـــد .(٧)

وقيل في تأويله : ان العفو في اللغة : ما سهل وتيسر ، قال الله تعالى : (خُذِ الْعَفْوَ)(٨) أي ما سهل من الأخلاق ، فعلى هـذا يكون قوله تعالى (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ) أي ولي القتيـــل ، اذا بذل له من بذل أخيـه شيء من المال من جانب القاتل ، فله اتباع بالمعروف ، أي(٩) فليقبله أو ليؤد اليـه القاتل بالاحسان .

قولـه تعـالى (ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ) أي أن الصلح عن القصاص على شيء من الدية أو غير ذلك تسهيل من ربكم عليكم ورحمة رحمكم الله بها ٠ و ذلك أن الله كتب عـــلى

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط .

(٢) في ط " لله " .

(٣) في م " فرضي منه بالديـة " .

(٤) في أ " أن " . والتصويب من ط ، م .

(٥) ما بين المعقوفتين من ط .

(٦) ما بين المعقوفتين من ط .

(٧) انظر : تفسير الطبري ١٠٧/٢ ـ ١٠٩ ، وتفسير البغوي ١٤٥/١ ، وتفسير القرطبي ٢٥٣/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢١٦/١

(٨) الأعراف : ١٩٩ (خذ العفو وأمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين) .

(٩) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١٨٦/١ ، وتفسير القرطبي ٢٥٤/٢

الآيـــة : ١٧٨ ، ١٧٩

أهل التوراة في النفس والجراح : أن يقيدوا ، ولا يأخذوا الدية ولا يعفوا . وعلى أهل الانجيل : أن يعفوا ، ولا يقيدوا ولا يأخذوا الدية . فخير الله هذه الأمة بين القصاص والدية والعفو .(١)

قوله تعالى (فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) :

أي اذا قتل الولي قاتل وليه بعد أخذ الدية منه (فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) القتل في الدنيا والنار في الآخرة(٢) ، ومن قتل بعد أخذ الدية يقتل ولا يعفى عنه .

قال صلى الله عليه و سلم : " لا أعافي رجلا قتل بعد أخذ الدية " .(٣)

وفي هذه الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافرا ، ولا يخلد في النار ، لأن الله تعالى خاطبهم فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ) .

وقال في آخر الآية (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ) فسمى القاتل أخا للمقتول .

وقال تعالى (ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ) وهما يلحقان المؤمنين ، دون الكفار .

ويروى أن مسروقا سُئِلَ : هل للقاتل توبة ؟ فقال : لا أغلق بابا فتحه الله .(٤)

(١٧٩) قوله عز وجل (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) :

يعني أن الذى يريد قتل غيره اذا علم أنه اذا قتل قُتِلَ أمسك عن القتل وارتدع ، فيكون في ذلك حياة له وحياة للذى هم بقتله .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ٢٥٥/٢ ، والبحر المحيط ١٤/٢

(٢) قال أبو حيان : ظاهر هذا العذاب أنه في الآخرة ، لأن معظم ما ورد من هذه التوعدات انما هي في الآخرة . البحر المحيط ١٥/١

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الديات : باب من قتل بعد أخذ الدية .
وأحمد في مسنده ٣٦٣/٣ . من حديث الحسن عن جابر بن عبد الله .
قال المنذرى : الحسن هذا هو البصرى ، ولم يسمع من جابر بن عبد الله ، فهو منقطع .
انظر : مختصر سنن أبي داود للمنذرى ٣٠٦/٦
وذكره ابن كثير في تفسيره ٢١٦/١ قال : قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم . فذكره .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ١٦/٢ مخطوط بمكتبة المخطوطات بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

الآيـــة : ١٧٩ ، ١٨٠

وفي بقائهما [١] بقاء لمن يتعصب لهما ، لأن الفتنـة تثبت بالقتل ، فتؤدى الى المحاربـــة التي لا منتهى لهـــا .

وقيل : أراد بذلك في الآخرة ، لأن من اقتص منه في الدنيا حي في الآخرة ، واذا لم يقتـص منـه في الدنيا اقتص منـه في الآخرة ، فمعنى الحياة : سلامتـه في الآخرة . [٢]

قولـه تعالى (يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ) أي يا ذوى العقـول .

(لَعَـلَّكُمْ تَتَّقُـونَ) أي لكي تتقوا القتل مخافـة القصـاص .

(١٨٠) قولـه عز وجـل (كُتِـبَ عَلَيْـكُمْ إِذَا حَضَـرَ أَحَـدَكُمُ ٱلْمَـوْتُ)

أي فرض عليكم اذا حضر أحدكم أسباب الموت ، من العلل والأمراض **(إِن تَرَكَ خَـيْرًا)** أي مـالا **(ٱلْوَصِيَّـةُ لِلْوَالِـدَيْـنِ وَٱلْأَقْرَبِـينَ بِـالْمَعْـرُوفِ)** .

وفي ارتفاع " الوصيـةُ " وجهان :

أحـدهما : اسم ما لم يسـم فاعله ، أي كتب عليكم الوصيـة .

والثانـي : بخبر الجار والمجـرور في قولـه **(لِلْوَالِـدَيْـنِ)** . [٣]

وقولـه تعـالى (بِـالْمَعْـرُوفِ) أي لا يزيـد على الثلث ، ولا يوصي للغني ويـــترك الفقـير ، كما قيل : الوصيـة للأحوج فالأحـوج . [٤]

وقولـه تعـالى (حَقًّـا) أي حقـا / واجبا ، وهونصـب [٥] على المصـدر . (٥٧/أ)

معناه : حق ذلك حقا . وقيل : على المفعول ، أي جعل الوصية حـقا .

---

(١) في أ " هابهما " . والتصويب من ط ، م .

(٢) انظر : تفسير البغوى ١٤٦/١ ، والبحر المحيط ١٥/٢

قلـت : والمعنى الأول أظهر ، وهو الذى عليه أكثر المفسرين .

(٣) انظر الوجهين المذكورين في معاني القرآن للزجاج ٢٥٠/١ ، ومعاني القرآن للفـراء ١١٠/١ ، والبحر المحيـط ١٩/٢

(٤) حكاه البغوى وأبو حيان عن ابن مسعود .

انظر : تفسير البغوى ١٤٧/١ ، والبحر المحيط ٢١/٢

(٥) في أ " نعت " . والتصويب من ط .

الآيـــة : ١٨٠

وقولـه تـعـالى (عَـلَـى الْمُتَّقِـيـنَ) أى على المؤمنـين ٠

وسبب نزول هـذ ه الآيـة : أنـهم كانوا في ابتد اء الاسلام يوصون للأباعـد ، طلبا للريـــاء ، فأمـر الله من ترك خـيرا أى مـالا ، نظيره قوله تـعالى : **(وَمَا تُنفِقُواْ مِـنْ خَـيْرٍ)** [١] أى من مـال ، وقولـه **(إِنِّـي لِمَآ أَنـزَلْـتَ إِلَـيَّ مِـنْ خَـيْرٍ فَقِـيرٌ)** [٢] أى من مال [٣] ، **(وَإِنَّـهُ لِحُـــبِّ الْخَـيْرِ لَشَـدِيـدٌ)** ٠

وقولـه تـعـالى (إِذَا حَضَـرَ أَحَـدَكُـمُ الْمَـوْتُ) أى اذ ا مرض أحـد كم ، لأنـه اذ ا عاين الموت فقـد شغل عـن الوصيـــة ٠

وهـذ ه الآيـة منسوخـة عند أكثر العلمـاء ، واختلفوا بأى د ليل نسخت ؟ فقال بـعضهم : بآيـــة المواريـث ٠ [٤] وهـذ ا لا يصـح ، لأن الله تـعالى قال فيها : **(مِـنْ بَـعْـدِ وَصِيَّـةٍ يُوصِى بِـهَا)** [٥] ٠ والصحيح أنـها نسخت بقوله عليه السلام : " لا وصيـة لوارث " ٠ [٦] وهـذ ا الخبر وان كان خـــبر واحـــد ، فقـد تلقتـه الأمـة بالقبـول فجرى مجـرى التواتـــر ، ويجـوز نســخ القـــــرآن

---

(١) البقـــــرة ٢٧٢ (وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) ٠

(٢) القصـص ٢٤

(٣) قال القرطبي : روى جميع المفسرين أنه طلب في هذ ا الكلام ما يأكله ، فالخير هنـــا بمعنى الطعام ٠ تفسير القرطبي ١٣/٢٧٠

(٤) روى هـذ ا عن جمع من السلف ، منهم ابن عباس ، وابن عمر ، وأبو موسى ، وسعيد بـن المسيب ، والحسن ، ومجاهد ، و عطاء ، وسعيد بن جبير ، و عكرمـة ٠
انظر : الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ٢٣٠ ــ ٢٣١ ، ونواسـخ القرآن لابن الجوزى ص ١٥٩ ــ ١٦٢ ، وتفسير ابن كثير ١/٢١٧

(٥) النســـــاء ١١

(٦) أخرجه أحمـد في مسند ه ٤/٢٣٨
وأبو د اود في الوصايا : باب ما جاء في الوصية للوارث ٠
والترمذ ى في كتاب الوصايا : باب ما جاء لا وصية لوارث ٠
وابن ماجه في كتاب الوصايا : باب لا وصية لوارث ٠
من حد يث أبي أمامة الباهلي ٠ وتمام الحد يث " ان الله قد أعطى كل ذ ى حق حقـــه فلا وصية لوارث " ٠ قال الترمذ ى : حد يث حسن صحيح ٠

الآيـــة : ١٨٠

بمثـل هـذه السـنة .(١)

ولا تجب الوصيـة الا على من عليـه شيء من الواجبات لله تعالى أو لعباده .(٢)

ويستحب لمن لا شيء عليه الوصية بالثلث لأقاربـه الذين لا يورثونـه (٣) بالرحم ، وفـي جهات الخير اذا لم يخف ضررا على ورثتـه .(٤)

قال الضحاك : من مات ولم يوص لذى قرابتـه فقد ختم عمله (٥) بمعصية .

وقيل : لا يجب على أحد وصية لأحد ، فان أوصى فحسن ، وان لم يوص فلا شيء عليـه .

وهذا قول عـليّ ، وابن عمر ، وعائشة ، وعكرمة ، ومجاهد ، والسدى .(٦)

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ٢٦٣/٢

وقال ابن كثير : آية الميراث حكم مستقل ، ووجوب من عند الله لأهل الفروض والعصبات يرفع بها حكم هذه بالكلية ، بقي الأقارب الذين لا ميراث لهم يستحب له أن يوصي لهم من الثلث استئناسا بآية الوصية وشمولها .

تفسير ابن كثير ٢١٧/١ ـ ٢١٨

قلت : ولعل الأولى القول بأن آية الوصية منسوخة بالحديث المذكور ، وآية الميراث فيكون النسخ بهما معا . والله أعلم .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٢٥٩/٢

(٣) في ط ، م " لا يرثونه " .

(٤) قال ابن الجوزى : والعلماء متفقون على نسخ الوصية للوالدين والأقربين الذين يرثون ، وهم مختلفون في الأقربين الذين لا يرثون هل تجب الوصية لهم ؟ على قولين : أصحهما أنها لا تجب لأحد .

زاد المسير ١٨٢/١ ، وانظر : تفسير ابن كثير ٢١٨/١

(٥) في أ " عليه " . والتصويب من ط ، م .

وانظر : تفسير الطبرى ١١٦/٢

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ١٧/٢ ، وتفسير القرطبي ٢٦٠/٢

الآيـــــة : ١٨٠

قـال عـروة بـن الزبير [١] : د خل عليّ رضي الله عنـه على مريض يعوده ، فقال : اني أريـــــد أن أوصي ، فقال عليّ رضي الله عنـــه : ان الله عـزّ وجـلّ قال : (إِن تَـرَكَ خَـيْراً) ، وانمـــــا تترك شيئا يســيرا ، فد عـه لـعيالك فانـه أفضـــل . [٢]

وروى عن نافـع [٣] عن ابن عمـر : أنـه لم يوص ، فقال : أما رباعي فـلا [٤] أحب أن يشـــــارك ولـد ى فيهـا أحـــــد . [٥]

وروى أن رجـلا قـال لـعائشـة رضي الله عنهـا : اني أريـد أن أوصـي . قالت : كم مـالـك ؟ قال : ثلاثـة آلاف . قالت : كم عيالك ؟ قال : أربعـة . قالت : انما قال الله (إِن تَـــــرَكَ خَـــيْراً) وهـذا شـيء يسير ، فاتركـه لـعيـالك . [٦]

وروى أن عروة بن ثابت قال للربيع بن خيثم : أوص لي بمصحفـك . فنظر الى ابنه وقـــــال : (وَأُوْلُـوا ٱلْأَرْحَـامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْـضٍ فِي كِتَـٰبِ ٱللَّـهِ) . [٧]

---

(١) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسد ى ، أبو عبد الله المد ني ، ثقة فقيه مشهـــــور ، وهو أحـــد الفقهاء السبعـة . مات سنة ٩٤ هـ .

انظر : التقريب ص ٣٨٩ ، وطبقات الحفاظ ص ٢٣

(٢) انظر : تفسير الطبرى ١٢١/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢١٨/١

(٣) هو مولى ابن عمر ، أبو عبد الله المد ني ، ثقة ثبت فقيه مشهور ، مات سنة ١١٧ هـ أو بعد ذلك . قال البخارى : أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر .

انظر : التقريب ص ٥٥٩ ، وطبقات الحفاظ ص ٤٠

(٤) في ط " فما أحب " .

(٥) انظر : تفسير الطبرى ١١٩/٢

(٦) انظر : الد ر المنثور ٤٢٣/١

وقد عـزا السيوطي تخريجه لسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وابن المنـــــذ ر ، والبيهـــــقي .

(٧) الأنفـــــال ٧٥

وانظر : تفســـــيرا الطبرى ١١٩/٢

الآيـــــة : ١٨١ ، ١٨٢

(١٨١) قولـه تـعـالى (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ) :

أى فمن غيّر الوصية من الأوصياء أو الأولياء أو الشهود بعد ما سمعه عن الميـــــت وعلم صحتـــه ، فانمـا اثمـه [١] على المبد ل د ون الموصى .

(إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ) لما قاله الموصي (عَلِيمٌ) بما فعله الوصـي .

وانما ذكر الوصية وهي مؤنثـة لأنها في معنى الايصـاء ، كقوله (فَمَنْ جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ) [٢] رد ه الى الو عـــظ .

وقيل : لأن الوصيـة قول ، فذ هـب الى المعنى وترك اللفظ .

(١٨٢) قولـه تـعـالى (فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا) :

لما توعـد الله المبد ل خاف الأوصياء من التبد يل ، فكانوا ينفذ ون / وصيـة الميـــت (٥٧/ب) وان جار في وصيته واستغرقت كل المال ، فأنزل الله هـذ ه الآية ، وبيّن أن الاثم فـــي تبد يل الحق بالباطـــل .

واذ ا [٣] غيّر الوصي من باطل الى حق ، على طريق الإصلاح فهو محسن (فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ) .

ومعنى الآيـة : فمن علم من موص جنفـا ، مثل قوله تـعالى (إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا) [٤] أى الا أن يعلمـا .

وقولـه تـعـالى (جَنَفًا) أى ميـلا عن الحق على جهـة الخطـأ .

وقولـه تـعـالى (أَوْ إِثْمًا) أى ميلا على جهة العمد ، بأن زاد في الوصية على الثـــلث أو أقر بغير الواجب أو جحد حقا عليه (فَأَصْلَحَ) الوصي بين ورثة الموصي و غرمائـه ، بأن ردّ الوصيـة الى المعروف الذ ى أمر الله بـه (فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ) في التبد يل .

---

(١) في م زاد " على الذ ين يبد لونه ، أى " بعد " فانما اثمه " .

(٢) البقـــــرة ٢٧٥

(٣) في ط ، م " وأما اذ ا غير " .

(٤) البقـــــرة ٢٢٩

الآيـــــة : ١٨٢

والهاء والميم في قوله تعالى (بَيْنَهُمْ) كناية عن الورثة [١] ، والكناية تصح عن المعـــــلوم وان لم يكن مذكـــورا .

قولـه تعـالى (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) يعني غفور رحيم اذ رخص للوصي في خـــــــلاف الوصيـــة ، على جهـة الاصـــلاح .

قرأ مجاهد ، وعطاء ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وشيبة ، ونافع ، وحفـــــص : " مـوص " بالتخفيف . وقرأ الباقـون " مـوصّ " بالتشديـد . [٢]

وقولـه تعـالى (جَنَفـاً) أي جورا وعـد ولا عن الحـــق .

والجنف : الميل في الكلام وفي الأمور كلها .

وقرأ عليّ كرّم اللّه وجهـه " حيفـا " بالحاء والياء [٣] ، أي ظلمـا .

قال الفراء : الفرق بين الجنف والحيف : أن الجنـف عدول عن الشيء ، والحيف حمل [٤] على الشيء حتى ينتقصـه ، وعلى الرجل حتى ينتقص حقـه . [٥]

قال المفسّـرون : الجنـف : الخطأ ، والاثـم : العمـــد . [٦]

ومعنى الآيـة : من حضر مريضا وهو يوصي ، فخاف أن يخطيء في وصيته ليفعل ما ليس له فعله ، أو يتعمـد جورا فيها فيأمر بما ليس له ، فلا حرج على من حضره أن يصلح بينه وبين ورثتـه ، بأن يأمره بالعدل في وصيته وينهاه عن الجنف [٧] ، فينظر للموصى وللورثـة .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ٢٧١/٢

وقال أبو حيان : الظاهرأنه كناية عن الموصى لهم ، اذ يدل على ذلك لفظ الموصي ، لما ذكر الموصي أفاد مفهوم الخطاب أن هناك موصى له . انظر : البحر المحيط ٢٤/٢

قلـت : ولا مانع أيضا أن يكون كناية عن الجميع ، أعني الموصي والموصى لهـــــم والورثـة . وانظر : تفسير الطبرى ١٢٦/٢

(٢) انظر : النشر ٢٢٦/٢ ، وزاد المسير ١٨٣/١ ، وتفسير الثعلبي ١٨/٢

(٣) انظر : البحر المحيط ٢٤/٢

(٤) في ط " حمل الشيء على الشيء " .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ١٩/٢

(٦) انظر : تفسير الطبرى ١٢٧/٢ ، والكشاف ٢٢٤/١

(٧) في ط " عن الحيف " .

الآيـــة : ١٨٢

وهـذا قول مجاهـد ، قال : هـذا حين يحضره الموت ، فاذا أسرف [١] أمره بالعـدل ، واذا قصـر قال : افعل كـذا ، أعـط فلانـا كـذا . [٢]

وقال آخرون : هـو اذا أخطأ الميت في وصيتـه أو حاف فيها متعمدا ، فلا حرج على وليـه أو وصيـه أو والي أمر المسلمين أن يصلح ـ بعد موتـه ـ بين الورثـة وبين الموصى لهـم ، ويرد الوصية الى العـدل والحق . وهـذا قـول ابن عباس ، وقتادة ، والربيع . [٣]

وروى عن عطاء أنه قال : هو أن يعطي ـ عند حضور أجله ـ بعض ورثته دون بعض مما سيرثونه بعد موتـه ، فلا اثم على من أصلح بين الورثـة . [٤]

وقال طاووس : هـو أن يوصي لبني ابنـه يريـد ابنه [أو] [٥] لبني بنتـه ويريـد بنته ، أو لزوج [٦] ابنتـه يريـد ابنتـه ، فلا حرج على من أصلح بين الورثـة . [٧]

وقال السـدي : هو في الوصيـة للآباء والأقربين ، يميل الى بعضهم ، ويجنف [٨] عـلى بعـض ، فالأصلح أن لا ينفذها ، ولكن / يصلح بينهم على ما يرى أنـه الحق ، ينقص بعضـا ويزيـد بعضـا . [٩] (٥٨/أ)

وقال ابن زيـد : فعجز الموصي أن يوصي للوالدين كما أمره الله ، وعجز الوصي [١٠] أن يصلح فانتزع الله ذلك منهم وفرض الفرائـض . [١١]

---

(١) في أ " أشرف " . والتصويب من ط ، م .

(٢) انظر : تفسـير الطبرى ١٢٣/٢

(٣) انظر : تفسـير الطـبرى ١٢٤/٢

(٤) انظر : تفسـير الطـبرى ١٢٤/٢ ـ ١٢٥

(٥) ما بين المعقوفتين من م .

(٦) في أ " الزوج " . والتصويب من ط ، م .

(٧) انظر : تفسير الطبرى ١٢٥/٢ ، وتفسير البغوى ١٤٨/١

(٨) في ط ، م " ويحيف " .

(٩) انظر : تفسير الطـبرى ١٢٥/٢

(١٠) في ط " الموصى " .

(١١) انظر : تفسير الطـبرى ١٢٥/٢

الآيـــة : ١٨٢

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ان الله لم يرض بملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، حتى تولى قسمة مواريثكم " .(١)

وقوله تعالى (**فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ**) ولم يجر للورثة ولا للمختلفين في الوصية ذكر ، لأن سياق الآية وما تقدم من ذكر الوصية يدل عليه .

روى أن سعد بن أبي وقاص قال : مرضت مرضا أشرفت منه على الموت ، فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ان لي مالا كثيرا وليس يرثني الا بنت واحدة لي ، أفأوصي بثلثي مالي ؟ قال : لا . قال : قلت : فبشطر مالي ؟ . قال : لا . قلت : فبثلث مالي ؟ قال : " نعم ، والثلث كثير ، انك يا سعد ان تترك ولدك أغنياء(٢) خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس " .(٣)

وروى أن جارا لمسروق أوصى ، فدعا مسروقا ليشهده ، فوجده قد بذّر وأكثر ، فقال : لا أشهد ، ان الله تعالى قد قسم بينكم فأحسن القسمة ، فمن يرغب برأيه عن أمر الله فقد ضل ، أوص لذي قرابتك الذين لا يرثون ، ودع المال على قسم الله .(٤)

وقال صلى الله عليه وسلم : " من حاف في وصيته ألقي في اللواء " .(٥)

واللواء : واد في جهنم .

---

(١) لم أقف على تخريجه .
والمشهور أنه من كلام العلماء وليس حديثا .

(٢) في أ " غنيا " . والتصويب من ط ، كما هو كذلك في المصادر .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز : باب رثى النبي صلى الله عليه و سلم سعد بن خولة . ومسلم في كتاب الوصية : باب الوصية بالثلث . وفيه : " أفأتصدق " بدل " أفأوصي " .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٢٠/٢ ، والناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣

(٥) لم أقف على تخريجه .

الآيـــة : ١٨٢ ، ١٨٣

وقال صلى الله عليه وسلم : " ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة ، فاذا أوصى وحاف في وصيته فيختم له بسوء عمله ، فيد خل النار " .(١)

(١٨٣) قوله تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ) :

قال الحسن : اذا سمعت الله تعالى يقول : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) فارع لها سمعك ، فانها لأمر تؤمر به أو لنهي تنهى عنه .(٢)

وقال جعفر الصادق (٣) : لذة ما في النداء ازالة تعب العبادة والعناء .(٤)

قوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ) أي فرض عليكم الصيام كما فرض (عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) من الأنبياء والأمم ، أولهم آدم عليه السلام .

وهو ما روى عن عليّ كرّم اللّه وجهه أنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم عند انتصاف النهار فسلمت عليه ، فرد عليّ السلام ثم قال : " يا عليّ هذا جبريل يقرئك السلام " قلت : وعليه السلام يا رسول الله ، ثم قال : يا عليّ " يقول لك جبريل : صُم من كل شهر ثلاثة أيام ، يكتب لك بأول يوم

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الوصايا : باب ما جاء في كراهية الاضرار في الوصية .
والترمذي في كتاب الوصية : باب ما جاء في الاضرار في الوصية . وقال : حديث حسن صحيح غريب .
وابن ماجه في كتاب الوصايا : باب الحيف في الوصية .
وأحمد في المسند ٢٧٨/٢ .
من حديث أبي هريرة . واللفظ لابن ماجه وأحمد .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٢٠/٢ .
وانظر نحوه في تفسير ابن كثير ١٥٣/١ عن ابن مسعود .

(٣) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، المعروف بالصادق ، صدوق فقيه امام ، من السادسة ، مات سنة ١٤٨ هـ .
التقريب ص ١٤١

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٢٠/٢

الآيـــة : ١٨٣

عشرة الاف ســـنة [١] ، وباليوم الثاني ثلاثون ألف سنة ، وباليوم الثالث مائة ألـــف سنة " فقلت يا رسول الله : ثواب لي خاصة ، أم للناس عامة ؟ فقال : " يا علي يعطيك الله هذا الثواب ، ولمن يعمل مثل عملك بعدك " . قلت : يا رسول الله : وما هـــي ؟ قال : " هي أيام البيض ، ثلاثة عشر ، وأربعة [عشر] [٢] ، وخمسة عشر " [٣]

قال عبيدة : قلت لعلي رضي الله عنه : لأى شيء سميت هذه أيام البيض ؟ قال : لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة أحرقته الشمس فاسود جسده ، فأتاه جبريـــــل عليه السلام ، فقال : يا آدم أتحب / أن يبيض جسدك ؟ . قال : نعم . قال : صُم من (٥٨/ب) الشهر ثلاثة عشر ، وأربعة عشر ، وخمسة عشر . فصام آدم عليه السلام أول يوم فابيض ثلث جسده ، وصام اليوم الثاني فابيض ثلثا جسده ، وصام اليوم الثالث فابيض كل جسده ، فسميت أيام البيـــض . [٤]

قال المفسرون : فرض الله تعالى على رسوله محمـــد صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين صيام عاشوراء [٥] ، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر حين قدم المدينة ، فكانوا يصومونها الى أن نزل صوم شهر رمضان قبل قتال بدر بشهر وأيام . [٦]

وقال الحسن : أراد بالذين من قبلنا : النصارى ، فشبه صيامنا بصيامهم لاتفاقهما في الوقت والقدر ، لأن الله تعالى فرض على النصارى صوم شهر رمضان فاشتد ذلك عليهم ، لأنه ربما كان يأتي في الحر الشديد وكان يضرهم في أسفارهم ، فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم على

---

(١) في م " حسنة " . وكذا ما بعدها .

(٢) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٢١/٢ وهذا من قبيل الأخبار التي لا يستند لها صحيح . والله أعلم . وقد ذكر ابن الجوزى بعضه في الموضوعات ١٩٧/٢ مع اختلاف في اللفظ .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٢١/٢

(٥) في ط ، م " صيام يوم عاشوراء " .

(٦) انظر : تفسير الطبرى ١٣١/٢ ، وتفسير البغوى ١٤٩/١ ، وتفسير ابن كثير ٢٢٠/١ والبحر المحيـــط ٣٠/٢

الآيـــــة : ١٨٣

أن يجعلوا صيامهم في فصل من الســنة بين الشتاء والصيف ، فجعلوه في الربيع وزاد وا فيــه عشرة أيام كفارة لما صنعوا ، فصار أربعين يومـا .(١)

قال مجاهد : أصابهم موتـان (٢) عظيم، فقالوا : زيـد وا في صيامكم ، فزاد وا عشرا قبل و عشــرا بعــد ، فصار خمســين يومـا .(٣)

قولـه تعـالى (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُــوَنَ) أى لكي تتقوا الأكل والشرب والجماع في زمان الصــوم .

وقيل معناه : لتكونـوا أتقيــاء .

وأصل الصيام والصوم في اللـغـة : الامساك ، يقال : صامت الريح اذا سكنت ، وصامت الخيــــل اذا وقفت وأمسكت عن السـير .

قال النابغــة :(٤)

خيــل صيــام وخيــل غـير صائمــــة .·. تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما (٥)

ويقال : صام النهار اذا اعتد ل وقام قائم الظهـيرة ، لأن الشمس اذا بلغت كبـد السماء وقفــــت وأمسكت عن السير سويعــــــة .

---

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٢١/٢ ـ ٢٢ ، وتفسير البغوى ١٤٩/١

(٢) الموتـان ، بوزن البطلان : الموت الكثير الوقوع .
اللســــــان : مادة (موت) .

(٣) انظر : تفسير البغوى ١٤٩/١

(٤) هو زياد بن معاوية ، وينتهي نسبه الى سعد بن ذ بيان بن بغيض ، وكنيته أبو أمامة ، وهو أحد شعراء الجاهلية ، وأحد فحولهم ، قيل سمي النابغة لأنه نبغ بالشعــــــر بعد ما كبر . مات في الجاهلية في زمن النبي صلى الله عليه و سلم قبل أن يبعث .
انظر : خزانــــــة الأ د ب ٢٨٧/١

(٥) انظر البيت في د يوانــه ص ١١٢ ، واللسان : مادة (صوم) .

الآيـــة : ١٨٣ ، ١٨٤

قال امرؤ القيس : (١)

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة ... دمول اذا صام النهار وهجرا (٢)

وقال آخـــر :

حتى اذا صام النهار واعتدل ... وسال للشمس لعاب ونزل (٣)

ويقال للرجل اذا أمسك عن الكلام : صام ، قال الله تعالى (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا) (٤)

أي صمتـــا .

فالصوم : هو الامساك عن المفطرات [المعروفة] (٥) .

(١٨٤) قوله عز وجل (أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ) يعني شهر رمضان ثلاثين يوما ، أو تسعة وعشرين (٦) يومـــا .

---

(١) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، من بني آكل المرار ، وهو شاعر جاهلي ، من أشهر شعراء العرب ، يماني الأصل ، ومولده بنجد ، وقيل باليمن ، اشتهر بلقبه ، واسمه حندج ، وقيل مليكة ، وقيل عدي ، وكان أبوه ملك أسد و غطفان .

انظر أخباره في : خزانة الأدب ١/١٦٠ ـ ١٦٢ ، والأعلام ٢/١١ ـ ١٢

(٢) انظر البيت في ديوانه ص ٦٣ ، واللسان : مادة (هجر) .

(٣) في أ " ونزلا " . والتصويب من ط ، م .

وانظر البيت في : تفسير القرطبي ٢/٢٧٣ ، والدر المصون ٢/٢٦٧

ولم أهتد الى قائله .

(٤) مريم ٢٦

(٥) ما بين المعقوفتين من ط .

والمفطرات هي الأكل والشرب والجماع ، وذلك من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس ، مع النية الخالصة لله عز وجل .

(٦) في ط " وعشرون " .

الآيـــة : ١٨٤

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نحن أمة أمية لا نحسب ولا نكتب ، الشهر هكذا وهكذا وهكذا ـ وعقد الابهام في الثالثة ـ والشهر هكذا وهكذا وهكذا اتمام الثلاثين " .(١)

ونصب " أياما " على الظرف ، أى في أيام .

وقيل : على خبر ما لم يسم فاعله ، أى كتب عليكم الصيام أياما .

وقيل : باضمار فعل ، أى صوموا أياما .

قوله تعالى / (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) : أى فأفطر (٥٩/أ) فعدة ، كقوله (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ)(٢) تقديره : فحلق أو قصر ففدية . فاختصر ، وتقديره : فعليه عدة ، ولذلك ارتفع " عدةٌ " .

وقرأ ابن أبي عبلة " فعدة " بالنصب(٣) ، أى فليصم عدة .

و " أخر " في موضع خفض الا أنها لا تنصرف ، لأنها معدولة عن جهتها فكان حقها " أخريات " فلما(٤) عدل الى " فُعَل " لم يجر(٥) ، مثل عُمَر ، وزُفَر .

ومعنى الآية : فليصم عدة من أيام أخر غير أيام مرضه أو سفره .

قوله عز وجل (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) :

قرأ ابن عباس ، وعائشة ، وعطاء ، وابن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد :

---

(١) أخرجه البخارى في كتاب الصوم : باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا نكتب ولا نحسب " .
ومسلم في كتاب الصيام : باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال ، وأنه اذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يوما .
واللفظ لمسلم . وفيه : " انّا " بدل " نحن " .

(٢) البقرة ١٩٦

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٢٣/٢ ، والبحر المحيط ٣٢/٢

(٤) في ط " فلما فعل عدل الى فُعَل " .

(٥) في ط ، م " لم يجز " .

الآيـــة : ١٨٤

" يُطَوّقونـــه " بضم الياء وفتح الطاء والواو والتشد يد [١] ، أى يكلفونـه [٢] .

وروى عن مجاهـد ، و عكرمـة أيضا " يَطّوّقونـه " بفتح الياء وتشد يد الطاء والواو [٣] ، أى يتطوقونـــه : بمعنى يتكلفونـــه .

وروى عن ابن عباس أيضا أنه قرأ " يَطّيّقونـه " بفتح الياء وتشديـد الطاء والياء الثانيـــــة وفتحها [٤] بمعنى يطيقونـــه ، يقال : طاق وأطاق ، بمعنى واحـــد .

قولـه تعـالى (فِـدْيَـةٌ طَعَـامُ مِسْـكِينٍ) قرأ أهل المد ينـة والشام " فد يـة طعام " مضافـا ، (مساكين) جمعا [٥] ، أضاف الطعام الى الفد يـة وان كانا واحد ا ، لاختلاف اللفظتـين [٦] كقولـه تعالى (وَحَبَّ الْحَصِيـــدِ) [٧] ، وقولهم : مسجد الجامع ، وربيـــــع الأول .

وقرأ ابن عباس " طعام مسكين " على الواحـد ، وهي قراءة الباقـين [٨] غير نافـــــع ، فمن وحـد فمعناه : لكل يوم طعام مسكين واحـــد . ومن جمـع رد ه الى الجمع ، أى عليـــه اطعام مساكين فـد يـة أيام يفطـر فيها .

ومعـنى الآيـة : و على الذ يـن يطيقـون الصـوم فلم يصوموا فـد يـة طعـام مسكين ، وذ لك أنـه كـان يرخـص في الصـوم الأول لمـن يطيـق الصوم أن يفطـر ويتصـد ق مكـان كل يـــوم

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ١٣٧/٢ ــ ١٣٨ ، والمحتسب ١١٨/١

(٢) في أ ، م " يحكونـه " . والتصويب من المصاد ر .

(٣) انظر : المحتســب ١١٨/١

(٤) انظر : المحتسب ١١٨/١ ، وتفسير القرطـبي ٢٨٧/٢

(٥) انظر : النشـــر ٢٢٦/٢

(٦) في ط ، م " اللفظين " .

(٧) قَ ٩ (ونزلنـا من السمـاء مـاء مبـٰركـاً فأنبتنا بـه جنـٰت وحب الحصيد) .

(٨) و غير ابن عامـــر وأبي جعفـــر أيضا .

انظر : النشـــــر ٢٢٦/٢ ، وتفسير القرطبي ٢٨٧/٢

الآيـــة : ١٨٤

على مسكـين ، ثم نســخ بقولـه (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهرَ فَلْيَصُمْهُ) .(١)

قولـه عـز وجـل (فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ)

قرأ يحيى بن وثـاب ، وحمـزة ، والكسائي " يطّوّع " بالياء وتشد يد الطاء وجزم العين (٢) ، على معـني يتطـوع . وقرأ الآخـرون بالتاء وفتح العين وتخفيف الطاء ، على الفعـــل الماضـــي .(٣)

ومعـنى الآيـة : (فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا) أي زاد على طعام مسكين واحـد (فَهُوَ خَيْرٌ لَّـهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ) من أن تطعموا وتفطـروا (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) ثواب اللـه في الصـوم .

واختلف العلمـاء في تأويـل هـذه الآيـة وحكمهـا :

فقال قوم : كان ذلك في أول ما فرض الله الصوم ، وذلك أن الله عز وجل لما نزل (٤) فرض صيام شهر رمضان على رسول الله صلى الله عليه و سلم وأمر أصحابه بذلك شق عليهم الصـوم ، وكانوا قوما لم يتعـود [وا] (٥) الصوم ، فخيرهم الله بين الصيام والاطعام ، فكان من شاء صـام ومن شاء أفطـر وافتدى بالطعام ، ثم نسخ ذلك بقولـه تعالى (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) / ونزلت العزيمة في ايجاب الصوم . (٥٩/ب)

وعلى هـذا القـول : معـاذ بن جبـل ،، وأنـس بـن مالـك ،

---

(١) انظر : الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ٤٢ ـ ٤٤ ، والناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس ص ٢٣ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص ١٧٢ ـ ١٧٤ ، وتفسير ابن كثير ١/٢٢١

(٢) وهي أيضا قراءة خلف .
انظر : البدور الزاهرة ص ٤٥ ، وتفسير القرطبي ٢/٢٩٠

(٣) المصدران السابقان .

(٤) في ط " أنزل " .

(٥) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

الآيـــة : ١٨٤

وسلمة بن الأكـوع [١] ، وابن عمـر ، وعلقمة ، وعكرمة ، والشعبي ، والزهري ، وابراهيم والضحاك . وهي احدى الروايات عن ابن عباس . [٢]

وقال الآخرون : [٣] بل هذا خاص للشيخ [٤] الكبير ، والعجوز الكبيرة ، اللذين [٥] يطيقان الصوم ولكن يشق عليهما ، رخص لهما ان شاءا أفطرا مع القدرة ويطعمان [٦] لكل يوم مسكينا ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) وثبتت الرخصة للذين لا يطيقونه . وهذا قول الربيع بن أنس ، ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس . [٧]

وقال الحسن : هذا في المريض ، كان اذا وقع عليه اسم المرض وكان يستطيع الصيام فهو بالخيار ، ان شاء صام وان شاء أفطر وأطعم ، حتى نسخ ذلك . [٨]

---

(١) هو سلمة بن عمرو بن الأكوع ، أبو مسلم ، كان راميا شجاعا ، غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ، وشهد بيعة الرضوان . مات بالمدينة سنة ٧٤ هـ.
انظر : الرياض المستطابة ص ١٠١ ـ ١٠٢

(٢) انظر : تفسير الطبرى ١٣٣/٢ ـ ١٣٥ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزى ص ١٧٢ ـ ١٧٥
وأخرجه البخارى ومسلم عن سلمة بن الأكوع .
صحيح البخارى : كتاب التفسير : باب (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) .
ومسلم في كتاب الصيام : باب بيان نسخ قوله تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية) .

(٣) في ط ، م " آخرون " .

(٤) في ط " بالشيخ " .

(٥) في ط " اللذأن " .

(٦) في أ " ويطعما " . والتصويب من ط .

(٧) انظر : تفسير الطبرى ١٣٥/٢ ـ ١٣٦

(٨) انظر : البغوى ١٥٠/١

الآيـــة : ١٨٤

فعلى هـذه الأقاويل الآيـة منسوخة ، وهـذا قول أكثر الفقهاء والمفسرين .(١)

وقال قـوم : لم تنسـخ هـذه الآيـة ولا شيء منها ، وانما تأويلها : وعلى الذين يطيقونـه في حال شبابهم وفي حال صحتهم وقوتهم ، ثم عجزوا عن الصوم فـدية طعـام مسكين . وجعلـوا هـذه الآيـة محكمـة .

وهـذا [قـول](٢) سعيد بن المسيب والسدى ، واحدى الروايات عن ابن عباس (٣) .

فجملة ما ذكرنا من الأقاويل على قراءة من قرأ " يطيقونه " من الاطاقة ، وهي القـراءة الصحيحة التي (٤) عليها عامة أهل القرآن ومصاحف أهل البلدان .

وأما على قراءة " يطوقونـه " فيأولونه : أنه الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريـض الـذى لا يرجى بـرؤه ، فهم مكلفون ولا يطيقونـه ، فلهم أن يفطروا ويطعموا مكان كل يوم مسكينـا ، وقالوا : الآيـة محكمـة .

قولـه تعـالى (وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ) أى خير لكم من أن تفطروا وتطعموا .

قولـه تعـالى (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) أى ان كنتم تعلمون ثواب الله تعالى في الصوم .

ثم بين الله تعالى أيام الصيـام بقولـه عـز وجـل :

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٣٥٠/٣١ ، وتفسير ابن كثير ٢٢١/١ قال ابن كثير رحمه الله : حاصل الأمر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بايجـاب الصيام عليه لقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمـه) . وأما الشيخ الفاني الهـرم الذى لا يستطيع الصيام فله أن يفطر ولا قضاء عليه ، لأنه ليست له حال يصير اليهـا يتمكن فيها من القضاء .

(٢) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٣) انظـر : تفسـير الطـبرى ٢ / ١٣٦ ـ ١٣٧ ، وتفسـير ابن كثـير ١ / ٢٢١

(٤) في أ " الذى " والتصويب من ط .

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة التفسير

تفسير الحداد

المسمى "كشف التنزيل وتحقيق التأويل"

لأبي بكر بن علي بن محمد الحداد الزبيدي اليمني المتوفى سنة ٨٠٠ هـ

دراسة وتحقيق

من أول سورة الفاتحة حتى نهاية سورة البقرة

إعداد الطالب
عايد بن عبد الله العيد الحربي

لنيل درجة العالمية العالية "الدكتوراه"

إشراف
فضيلة الدكتور/ عبد العزيز محمد عثمان

الجزء الثاني

١٤١٢هـ ١٩٩٢م

الآيـــــة : ١٨٥

(١٨٥) (شَهْرُ رَمَضَـــانَ ٱلَّـذِى أُنـزِلَ فِيـــهِ ٱلْقُـــرْءَانُ) :

قراءة العامـة : " شهرُ " بالرفع ، على معنى : أتاكم شهر رمضان .

وقال الفراء : ذلكم شهر رمضان .(١) وقال الأخفش : هي(٢) شهر رمضان .

وقال الكسائي : كتب عليكم شهر رمضان .(٣)

وقيل : ابتـــداء وبعده(٤) خـــبره.

وقرأ الحسن ومجاهـــد : " شهرَ رمضان " نصبا(٥) ،على معنى : صوموا شهر رمضان .

وقال الأخفش : نصب على الظرف : أى كتب عليكم الصيام في شهر رمضان .(٦)

وقال بعضهم : نصب على الاغـراء : أى التزمـوا شهر رمضان .

وقيل : نصب على البدل من قوله تعالى (أَيَّـاماً مَعْـدُودَاتٍ) .(٧)

وسمي الشهـــر شهرا ، لشهرتـــه .

واختلفوا في رمضان : فقال بعضهم : هو اسم من أسماء الله تعالى(٨) ، فيقال : شهر رمضان كما يقال : شهر الله ، ويدل على ذلك ما روى عن أنس قال : قال رسول اللـــه

---

(١) انظر : معاني القران للفراء ١١٢/١ قال الفراء : رفع مستأنف ،أى : ولكم شهر رمضان .

(٢) في أ " هو " . والتصويب من ط ، كما هوكذلك في معاني القرآن للأخفش ٣٥٢/١

(٣) انظر : تفسير البغوى ١٥١/١

(٤) في ط ، م " وما بعده " .

(٥) انظر : زاد المسير ١٨٧/١

(٦) انظر : معاني القرآن للأخفش ٣٥٢/١

(٧) انظر : الكشـــاف ٢٢٧/١

قال الزمخشرى : وارتفاعه على أنه مبتدأ ،خبره : (الذى أنزل فيه القرءآن) . أو علـــى أنه بدل من الصيام في قوله (كتب عليكم الصيـام) ، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف .

وقرىء بالنصب على : صوموا شهر رمضان .

أو على الابدال من (أياما معـــدودات) .

أو على أنـه مفعـــول (وأن تصـــوموا) .

(٨) روى هـذا عـن مجاهـــد ، ومحمـد بن كعب القرظـــي .

انظر : تفسير الطبرى ١٤٤/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٢٢/١

الآيـــــة : ١٨٥

صلى الله عليـه وســلم : " لا تقولوا رمضان ، انسبوه كما نسبه الله عز وجل في القرآن / فقال (٦٠/أ)
(شَهْرُ رَمَضَـانَ) " .(١)

قال أبو عمرو : انما سمي رمضـان ، لأنه رمضت فيه الفصال من الحـر .(٢)

وقيل : سمي بذلك لأنـه يرمض الذنوب ، أي يحرقها .

وقيل : لأن القلوب تأخـذ فيـه من حرارة الموعظـة كما تأخـذ الرمل والحجارة من حر الشمس .

وقال الخليل : هو مأخـوذ من الرمض ، وهـو مطر يأتي في الخريف ، سمي بـــه هـذا الشهـــر لأنـــه يغسل الأبدان من الآثـام غسلا ، ويطهر قلوبهم تطهيرا .(٣)

قولـه تعـالى (ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ) :

روى أن عطيـة بن الأسـود قال لابن عباس : انـه قـد وقع الشك في قوله تعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ) وقوله تعالى (إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ) و (إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ)(٤)، وقـد نزل في سائر الشهور ، قال الله تعالى (وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ)(٥)
الآيـــــــــــة .

فقال : أنزل القـرآن جملـة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر ، في شهر رمضـــــان ، فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ، ثم نزل به جبريـل عليه السلام على النـــــــــبي

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ٢٦/٢ ـ ٢٧ ، والقرطبي ٢٩١/٢ ـ ٢٩٢
وذكر نحوه الحافظ في الفتح ١٣٥/٤ من حديث أبي هريرة مرفوعا ، وقال : أخرجـــه ابن عدي في الكامل ، وضعفه بأبي معشر .
وقد احتج البخاري لجواز ذلك بعدة أحاديث ، منها : حديث أبي هريرة أن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم قال : " إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة " .
أخرجه البخاري في كتاب الصوم : باب : هل يقال رمضان أو شهر رمضان .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٢٧/٢

(٣) المصـــدر السابـــق .

(٤) الدخـــــان ٣

(٥) الاســـــراء ١٠٦

الآيـــــة : ١٨٥

عليه السلام نجوما عشرين سنة ، وذلك قوله عز وجل (فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ) . (١)

وقيل : كان ينزل في كل شهر من شهر رمضان الى السماء الدنيا ما كان ينزل في تلك السنة ، فنزل من اللوح المحفوظ في عشرين شهرا ، ونزل به جبريل في عشرين سنة . (٢)

وقال بعضهم : كان ابتداء انزاله على النبي صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان (٣) ، فأضيف انزال الكل (٤) الى ذلك .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنزلت صحف ابراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان ، وأنزلت التوراة في ست ليال مضين من رمضان ، وأنزل (٥) الانجيل في ثلاث عشرة (٦) مضت من رمضان ، وأنزلت الزبور في ثماني عشرة ليلة مضت من رمضان ، وأنزل (٧) الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين من رمضان " . (٨)

---

(١) الواقعة ٧٥

وانظر : المستدرك للحاكم ٢/٢٢٢ ، وتفسير ابن كثير ١/٢٢٢

وقد اختلف المفسرون في معنى قوله (بمواقع النجوم) :

فقال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، والسدى : يعني نجوم القرآن .

وقال مجاهد أيضا : مواقع النجوم في السماء .

وكذا قال الحسن ، وقتادة ، واختاره الطبرى .

وعن الحسن أيضا : أن المراد بذلك انتثارها يوم القيامة . وقيل : غير ذلك .

انظر : تفسير القرطبي ١٧/٢٢٣ - ٢٢٤ ، وتفسير ابن كثير ٤/٣١٩

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٢/٢٩٧ . وقد حكاه القرطبي عن مقاتل .

(٣) انظر : زاد المسير ١/١٨٧

(٤) في ط " الكتاب " .

(٥) في أ " وأنزلت " . والتصويب من المصادر .

(٦) في ط كلمة " ليلة " بعد قوله " ثلاث عشرة " .

(٧) في أ " وأنزلت " . والتصويب من ط ، م .

(٨) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٢/٢٨ وذكره البغوى في تفسيره ١/١٥١
وأخرج نحوه أحمد في مسنده ٤/١٠٧ ، والطبرى في تفسيره ٢/١٤٥ من حديث واثلة ابن الأسقع ، وفيه : " أنزلت صحف ابراهيم في أول ليلة من رمضان " بدل " في ثلاث ليال مضين " . وليس فيه ذكر الزبور .

الآيـــة : ١٨٥

وروى أن التوراة أنزلت في اثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان ، والانجيل في ثماني عشـــرة من رمضـــان .(١)

قولـه تعـالى (هُـدًى لِّلنَّـاسِ) أى أنزل القرآن هاد يا للناس من الضلالـة .

وانتصب " هـد ى " على القطع ، لأن القرآن معرفـة ، و " هـد ى " نكـرة .

قولـه تعـالى (وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُـدَىٰ وَٱلْفُرْقَـانِ) أى ود لالات واضحات من الهـد ى والفـــرق بين الحـق والباطـل .

وقيل معناه : وبينات من الحـلال والحـرام والحـد ود والأحكام .

و عن سعيد بن المسيب عن سلمان رضي الله عنه قال : خطبنا رسول اللـه صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان ، فقال : " يا أيهـا النـاس قـد أظلكم شهـر عظيم ، شهـر مبـــارك ، شهـر فيـه ليـلة القـد ر خير من ألـف شهـــر ، جعل الله صيامه فريضـة وقيام ليله تطوعـا ، فمن تقرب فيـه بخصلة من خصال الخير كان كمن أد ى فيـه فريضـة ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أد ى سبعين فريضـة فيمـــا ســواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابـه الجنـة ، وشهـــــر المواسـاة (٢) ، وشهر يزاد فيه رزق (٣) المؤمـن ، وشهر أولـه رحمـة وأوسطه مغفـــــــرة وآخره / عتـق من النـار ، من فطّـر فيه صائمـا كان مغفرة لذ نوبـه وعتق رقبته من النـــار ، (٦٠/ب) وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجـــره شيء " .

قالوا : يا رسول الله : ليس كلنا نجـــد ما يفطـر الصائم .

فقال صلى الله عليه وسلم : " يعطي الله هـذا الثواب من فطّر صائما على مـذ قـة لـــــبن أو تمـــر (٤) أو شربـة مـاء ، ومن أشبع فيـه صائمـا سقاه الله من حوضي شربـة لا يظمأ بعد هـــا

---

(١) ذكره السيوطي في الد ر المنثـور ٤٥٦/١
و عزا تخريجـه لأبي يعلى وابن مرد ويه ، من حد يث جابر بن عبد الله موقوفا . لكـــن فيه " أنزل الزبور " بد ل " التوراة " .

(٢) في أ " المواثاه " . والتصويب من ط .

(٣) في م " في رزق " .

(٤) في ط " أو تمرة " .

الآيـــــة : ١٨٥

أبـد ا حتى يـد خـل الجنـــة ، وكان كمـن أعتـق رقبـة، ومن خفف عن مملوكـه فيه غفر اللـــه له وأعتقـه من النار ، فاستكثروا فيه من أربع خصال : خصلتان ترضون بهما ربكم ، وخصلتـــــــان لا غنى لكم عنهما ، فأما اللتان ترضون بهما ربكم فشهاد ة أن لا الـه الا اللـه وتستغفرونـــــه ، وأما اللتان لا غنى لكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذ ون بـه من النـار " .(١)

و عن أبي سعيد الخد ري قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ان أبـــــواب السماء وأبواب الجنة لتفتح أول(٢) ليلة من شهر رمضان ، فلاتغلق الى آخر ليلة منه ، وليـــس من عبـــد يصلي في ليلة منها(٣) الا كتب الله له بكل سجد ة ألف حسنة وسبعمائة حســـنة ، وبنى له بيتا في الجنـــة من ياقوتـة حمراء لـه سبعون ألف باب لكل باب منها مصراعـــان مـــن ذ هـــب ، فـاذ ا صام أول يوم من شهر رمضان غفر الله له كل ذ نب الى آخر يوم من رمضـــــان وكان كفـارة الى مثـــله ، وله بكل يوم يصومـه قصر في الجنـة لـه ألف باب من ذ هـــــب ، واستغفر لـه سبعون ألف ملك من غـــدوة الى أن تواري بالحجاب ، وله بكل سجد ة يسجد هـــا من ليـل أو نهـار شجـرة يسـير الركـب فـي ظلهـا مائـة عـام لا يقطعها " .(٤)

و عـن أنـس رضي اللـه عنـه قال : قال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم : " اذ ا كـان أول ليلة من شهر رمضان نـاد ى الجليل جلت قد رتـه و عظمتـه : يا رضوان نجّـد(٥) جنـــــتي

---

(١) قال الحافظ المنذ ري : زواه ابن خزيمـة في صحيحه ، ثم قال : صح الخـبر . ورواه مـــن طريقـــــه البيهـقي .

انظر : الترغيب والترهيـب ٢/٢٢١ ـ ٢٢٢

وقال السيوطي :أخرجه العقيلي وضعفه ، وابن خزيمـة في صحيحه ، والبيهقـــــي ، والخطيب ، والأصبهاني في الترغيب . انظر : الدر المنثور ١/٤٤٦ـ ٤٤٧

وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢/٢٦٢ـ٢٦٣

(٢) في ط " لأول " .

(٣) في ط " منـه " .

(٤) رواه لبيهقي ـ فيما ذكره الحافظ المنذ ري ـ مع اختلاف في بعض الألفاظ .

قال البيهقي : قد روينا في الأحاد يث المشهورة ما يد ل على هذ ا أو لبعض معناه .

انظر : الترغيب والترهيب ٢/٢٢١

(٥) في النسخ " نحل " . والمثبت هو الصواب ،كما في المصاد ر .

الآيـــة : ١٨٥

وزينهـا للصائمين من أمـة محمـــد صلى الله عليه وسلم ، ولا تغلقها[١] حتى ينقضي شهرهم ، ثم ينادى : يا مالك أغلق أبواب جهنم عن الصائمين من أمة محمـــد ، ثم لا تفتحها حتى ينقضي شهرهم ، ثم ينادى : يا جبريل انزل الى الأرض فغل من[٢] مردة الشياطين عن أمة محمـــد حتى لا يفسدوا عليهم صيامهم . ولله عز وجل في كل يوم عند طلوع الشمس[٣] وعند وقت الافطار عتقاء يعتقهم من النار ، عبيد وإماء ، وله في كل سماء ملك له غرف تحت العرش وقوائمه في تخوم الأرض السابعة ، له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ، ينادى : هل من تائب يتاب عليه ، هل من داع يستجاب له ، هل من مستغفر يغفر له ، هل من سائل يعطى سؤله ، ولو أذن الله للسموات والأرض أن تتكلما لبشرتا من صام رمضان بالجنة " .[٤]

وقال صلى الله عليه وسلم : " نوم الصائم عبادة ، وصمته تسبيح ، وعمله / مضاعف " .[٥] (٦١/أ)

قوله عز وجل (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) :

قراءة العامة بجزم اللام . وقرأ الحسن والأعرج " فليصمه " بكسر اللام[٦] ، وهي لام الأمر ،

---

(١) في ط كلمة " عنهم " بعد قوله " ولا تغلقها " .

(٢) في ط ، م " فعل مردة " .

(٣) في ط " الفجر " .

(٤) ذكره ابن الجوزى في الموضوعات ١٨٧/٢ ـ ١٨٨ وقال : هذا حديث لا يصح .

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٣٧/١

وعزا تخريجه للبيهقي من حديث عبد الله بن أبي أوفى .

وتمامه : " ودعاؤه مستجاب ، وذنبه مغفور " .

وذكره الألباني في ضعيف الجامع ١٧/٦

(٦) انظر : تفسير القرطبي ٢٩٩/٢

الآيـــــة : ١٨٥

وحقها الكسر اذا انفردت كقوله تعالى (لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ) [١]، فاذا وصلت بشيء ففيه وجهان : الجزم والكسر . وانما توصل بثلاثة أحرف : بالفاء ، كقوله تعالى (فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـٰذَا الْبَيْتِ) [٢]. وبالواو ، كقوله تعالى (وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ) [٣]. وبثم ، كقوله (ثُمَّ لِيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ) . [٤]

واختلف العلماء في معنى هذه الآية :

فقال بعضهم : معناها فمن شهد بالغا عاقلا مقيما صحيحا مكلفا فليصمه . وبه قال أبو حنيفة وأصحابه . [٥]

وقال قوم : معناه فمن دخل عليه شهر رمضان وهو مقيم في داره ، فليصم الشهركله ، غاب بعده فسافر أو أقام فلم يبرح . قاله السدى والنخعي . [٦]

قال قتادة : ان عليا كان يقول : اذا أدركه رمضان وهو مقيم ثم سافر فعليه الصوم . [٧]

قالوا : والمستحب له أن لا يسافر اذا أدركه رمضان مقيما ان أمكنه حتى ينقضي الشهر .

وروى في ذلك عن ابراهيم بن طلحة : أنه جاء الى عائشة رضي الله عنها يسلم عليها ، فقالت له : فأين تريد ؟ قال : أريد العمرة . قالت : جلست [حتى] [٨] إذا دخل عليك شهر

---

(١) الطلاق ٧

(٢) قريش ٣

(٣) الحج ٢٩

(٤) من الآية السابقة .

(٥) انظر : تفسير الطبرى ١٤٨/٢ ، وأحكام القرآن للجصاص ٢٢٨/١

(٦) وهو مروى أيضا عن ابن عباس و علي و عائشة وعبيدة السلماني .
انظر : تفسير الطبرى ١٤٦/٢ - ١٤٧ ، وتفسير القرطبي ٢٩٩/٢

(٧) انظر : تفسير الطبرى ١٤٧/٢

(٨) ما بين المعقوفتين من م .

الآيـــــة : ١٨٥

رمضان خرجت فيـــه ؟ قال : قـد خرج رحـلي . قالت : اجلس حتى اذا أفطرت فاخـــرج ، فلو أد ركـــني رمضان وأنا ببعض الطريق لأقمت لـه .(١)

وقال آخرون : معناه فمن شهد منكم الشهر فليصم ما شهد منه وكان حاضرا ، فان سافـــر فلـه الافطار ان شاء . قاله ابن عباس وعامة أهل التفســـير .(٢)

وهـو أصح الأقاويل ، و يد ل عليه ما روى ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وســلم عام الفتح صائما في رمضان ، حتى اذ ا كان بالكد يـــد (٣) أفطـــر .(٤)

و عن الشعبي أنـه سافر في رمضان ، فأفطر عند باب الجسر .(٥)

وعن أبي ميسرة (٦) أنه خرج في رمضان ، حتى اذ ا بلغ القنطرة د عا بماء فشرب .(٧)

قولـه عـز وجـــل (وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) :

أى مـن كـان مريضـا أو مسافـرا فأفطـر فعليـه قضـاء ما أفطر فيـــه .

واختلفوا في المرض الذ ى أباح اللـه فيه الافطـار :

فقال قوم : هو كل مرض يسمى مرضا .

قال طريف بن تمام : دخلت على ابن سيرين في رمضان وهو يأكل . فلما فرغ قال : انه وجعـــت أصبعي هـــذ ه .(٨)

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ١٤٧/٢ .

(٢) انظر : تفســـير الطـــبرى ١٤٧/٢ - ١٤٨ ، وتفســـــير البغـــوى ١٥٢/١ ، وتفسير القرطـــــــبي ٢٩٩/٢

(٣) الكد يـــد : موضع قرب مكـــة من جهة المد ينـــة .

(٤) أخرجه البخارى في كتاب الصوم : باب : اذ ا صام أياما من رمضان ثم سافر . ومسلم في كتاب الصيام : باب : جواز الصوم والفطر للمسافر .

(٥) انظر : تفسير الطبرى ١٤٨/٢

(٦) هو عمـــــرو بن شرحبيل الهمد انـــي ، أبو ميســـرة الكوفـــي ، ثقـــة عابـــد ، مخضرم . مـات سـنة ٦٣ هـ . التقريب ص ٤٢٢

(٧) انظر : تفسير الطبرى ١٤٧/٢

(٨) انظر : تفسير الطبرى ١٥٠/٢ ، والقرطبي ٢٧٦/٢

الآيـــة : ١٨٥

وقال آخرون :هوكل مرض كان الأغلب من أمر صاحبه بالصـــوم ٠ الزيادة في علته زيادة غـــــير متحمـــلة ٠ (١)

وقال الحسن وابراهيم : اذا لم يستطـع المريض أن يصلي الفرائض فله أن يفطر ٠ (٢)

والأصل فيـــه : أنه اذا لم يمكنه الصوم وأجهده أفطر ، واذا لم يجهده فهو بمعنى الصحيـــــح الذى يطيـــق الصـــوم ٠

وقولـه تعـالى (أَوْ عَـلَىٰ سَـفَرٍ) واختلفوا في صيام المسافر :

فقال قوم : الافطار في السفر عزيمـة واجبة ، وليس / برخصـة ، فمن صام في السفر فعليـــــه (٦١/ب) القضاء اذا أقـــام ٠

وهو قول أبي هريـــرة ، وابن عباس ، وعروة بن الزبير ، والضحاك ٠ (٣)

وتمسكوا بقوله صلى الله عليه وســـلم : " ليس من البر الصيام في السفر " ٠ (٤)

وعن عبد الرحمن بن عـــوف (٥) أنـه قال : الصائم (٦) في السفر كالمفطر في الحضر ٠ (٧)

---

(١) في ط ، م " محتملة " ٠ والقول المذكور مروى عن الشافعي ٠
انظر : تفسير الطبرى ١٥٠/٢ ، وكتاب الأم للشافعي ١٠٤/٢

(٢) انظر : تفسير الطبرى ١٤٩/٢ ــ ١٥٠ ، والقرطبي ٢٧٦/٢

(٣) انظر : تفسير الطبرى ١٥١/٢ ، وتفسير البغوى ١٥٢/١

(٤) أخرجه البخارى في كتاب الصوم : باب قول النبي صلى الله عليه و سلم لمن ظلل عليـــه واشتد عليه الحر : " ليس من البر الصوم في السفر " ٠
ومسلم في كتاب الصيام : باب جواز الصوم والفطر للمسافر ٠ من حديث جابر بن عبد الله ٠

(٥) هو عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهرى المكي ثم المدني ، أسلم وهاجر قديما ، شهـد بدرا والمشاهد كلها ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنـة ، وأحد الستة أهـــــل الشورى ٠ مات سنة احدى أو ثلاث وثلاثين ودفن بالبقيع ، وصلى عليه عثمان بوصيـــة منـه ٠ انظر : الرياض المستطابة ص ١٧٦ ــ ١٨٠

(٦) في أ " الصوم " ٠ والتصويب من ط ، م ٠

(٧) أخرجه النسائي في كتاب الصيام : باب ذكر قوله : الصائم في السفر كالمفطر في الحضر ٠ موقوفا على عبد الرحمن بن عوف ٠
وأخرجه ابن ماجه في كتاب الصيام : باب ما جاء في الافطار في السفر ٠ من حديـــث

الآيـــــة : ١٨٥

وقال آخرون : الافطار في السفر رخصة من الله عز وجل ، والفرض الصوم ، فمن صام ففرضه أدى ، ومن أفطر فبرخصة الله أخذ ، ولا قضاء على من صام اذا أقام . وهذا هو الصحيح وعليه عامة الفقهاء .

يدل عليه ما روى جابر (١) قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، فلم يكن بعضنا يعيب على بعض . (٢)

وعن حمزة بن عمرو (٣) أنه قال : يا رسول الله اني أجد فيّ قوة على الصوم في السفر ، فهل عليّ جناح ؟ قال : " هي رخصة من الله تعالى ، فمن أخذ ها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه " . (٤)

= عبد الرحمن بن عوف مرفوعا .

قال الحافظ في التلخيص ٢٠٥/٢ : " وصوب وقفه على عبد الرحمن ، وكذا صحح كونه موقوفا ابن أبي حاتم عن أبيه ، والدارقطني في العلل ، والبيهقي " .

(١) هو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي ، قال جابر : غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة ، ولم أشهد بدرا ولا أحدا ، منعني أبي ، فلما قتل أبي لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة قط . وقد استشهد أبوه في غزوة أحد .

وكان جابر من سادات الصحابة وفضلائهم المتحفين بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات بالمدينة بعد أن كف بصره سنة ٧٣ هـ . وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة .

انظر : الرياض المستطابة ص ٤٤ ـ ٤٥

(٢) أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله ، وأبي سعيد الخدري .

وأخرج نحوه البخاري عن أنس بن مالك .

انظر : صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب لم يعب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعضهم بعضا في الصوم والافطار .

وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر .

(٣) هو حمزة بن عمرو بن عويمر الأسلمي ، أبو صالح أو أبو محمد المدني ، صحابي جليل ، مات سنة ٦١ هـ . التقريب ص ١٨٠

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصوم : باب التخيير في الصوم والفطر في السفر .

الآيـــــة : ١٨٥

فأمـا قولـه صلى الله عليـه و سلم " ليس من البر الصيام في السفر " فان أصله ما روى جابـــر : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم مـرّ برجل في ظل شجرة يرش عليه الماء ، فقال : " ما بـــال صاحبكم هـذا ؟ " . قالوا : يا رسول الله هو صائم . فقال : " ليس من البر أن تصوموا فـــــي السفر ، فعليكم برخصة الله تعالى التي رخص لكم فاقبلوها " .(١)

وكذلك تأويل قوله عليه السلام : " الصائم في السفر كالمفطر في الحضر " ، يدل عليه حديث مجاهد عن ابن عمر أنـه مـرّ برجل ينضح عليه الماء في وجهه وهو صائم ، فقال له : أفطـر ويحـك ، فانـي أراك ان مـت عـلى هـذا دخـلت النـار .(٢)

والذي يؤيـــد ما قلناه : ما روى عن عروة وسالم أنهما كانا عنـد عمر بن عبد العزيز(٣) اذ هـــو أمير على المدينـــة ، فتذاكـروا الصوم في السفر ، فقال سالم : كان ابن عمر لا يصوم في السفـر . وقال عروة : كانت عائشة تصوم في السفـــر . فقال سالم : انما أحدثك عن ابن عمـــــــر . فقال عروة : انما أحدثك عن عائشة . فارتفعت أصواتهما . فقال عمر بن عبد العزيز : اللهـــم عفـــوا ، ان كان يســـرا فصومـوا ، وان كان عســـرا فأفطـروا .(٤)

ثم اختلف(٥) في المستحب : فقال قوم : الصوم أفضل . وهو قول معاذ بن جبل ، وأنـــــس ، وابراهيم ، ومجاهـــد .(٦)

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيام : باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافـــــــر في غـير معصيـــة ...

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ٣٢/٢

(٣) هو أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي المدني ثم الدمشـقي ، روى عن أنس بن مالك .
قال ابن سعد : كان ثقة مأمونا ، له فقه وعلم وورع ، وكان امام عدل . يعد من الخلفـــاء الراشـــدين . مات في رجب سنة إحدى ومائة . وله أربعون سنة ، ومدة خلافتـــــه سنتـــان ونصـــف .
انظر : التقريـــب ص ٤١٥ ، وطبقات الحفاظ ص ٤٦

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١٥٢/٢

(٥) في ط " اختلفوا " .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٥٣/٢ ، وتفسير البغوي ١٥٢/١ ، والدر المنثور ٤٦١/١

الآيـــــة : ١٨٥

وروى أن أنس بن مالك أمر غلامـه، أو غلاما لـه بالصوم في السفر . فقيل له في هـذه الآيـــــة . فقال : نزلت ونحن نرتحل يومئـذ جياعا ، وننزل على غير شبع ، فمن أفطر فرخصته ، ومـن صام فالصوم أفضـــل .(١)

وقال آخرون :(٢) المستحب الافطار ، لما روى عن جابر قال : خرج رسول الله صلى الله عليـــه وسـلم الى مكـة عام الفتح في رمضان فصام ، حتى اذا بلغ كـراع الغميم(٣) فصام النـــــاس ، فبلغه أن الناس قـد شق عليهم الصيام ، فدعـا بقـدح مـاء بعد العصر / فشرب والنـــــاس (٦٢/أ) ينظرون ، فأفطر بعضهم وصام بعضهم ، فبلغـه أن ناسا صامـوا ، فقال : " أولئـك العصاة "(٤) .

وعـن يعلى عن(٥) يوســف(٦) قال : سألت ابن عمـر عن الصوم في السفر ؟ فقال : أرأيـــت لو تصدقت على رجل بصدقـة فردها عليك ، ألم تغضب ؟ قلت : بلى . قال : فانهـا صدقـــة من الله تعالى تصـدق بهـا عليكم .(٧)

قولـه تعالى (يُرِيـدُ ٱللَّـهُ بِكُمُ ٱلْيُسْـرَ) أي حين رخص الافطار للمريض والمسافـــــر **(وَلَا يُرِيـدُ بِكُمُ ٱلْعُسْـرَ)** أي تكليف الصوم في المرض والسـفر .

قرأ يزيـد بن القعقاع(٨) " اليسر " و " العسر " مثقلين(٩) في جميع القرآن .

---

(١) انظر : تفسير الطـــبرى ١٥٢/٢ ــ ١٥٣

(٢) منهم : ابن عمر ، و سعيد بن المسيب ، والشعبي ، والأوزاعي ، وأحمـد .
انظر : تفسير البغـوى ١٥٢/١ ، وتفسـير القرطـبي ٢٨٠/٢

(٣) كـراع الغميم : واد بـين مكـة والمدينـة ، أمام عسفان بثمانية أميال .
انظر : معجم البـــلدان ٤٤٣/٤

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصيام :باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر .

(٥) في النسخ " بن " . والتصويب من تفسير الطبرى ١٥١/٢

(٦) هو يوسف بن الحكم بن أبي عقيل ، عمـــــــرو بن مسعود بن عامر الثقفي ، والـد الحجاج الأمـير ، وقد ينسب لجده ، مقبول ، من الثالثة .
انظـر : التقريـــب ص ٦١٠

(٧) انظر : تفسير الطبرى ١٥١/٢ ، والدر المنثور ٤٦١/١

(٨) هـو : أبو جعفـــر .

(٩) أي بضم السـين فيهمـا .

الآيـــة : ١٨٥

وقرأ الباقون بتخفيفهما [١] . وهما لغتان جيد تان .

قوله تعـالى (وَلِتُكْمِلُواْ الْعِـدَّةَ) قرأ أبو بكر : بتشد يد الميم . [٢]

وقرأ الباقون بالتخفيف [٣] . وهو الاختيار ، لقوله تعالى **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)** [٤]،

والواو في قوله **(وَلِتُكْمِلُواْ الْعِـدَّةَ)** واو العطف ، واللام لام كي ، تقد يره : **(يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْـرَ)** أى يريد لأن [٥] يسهل عليكم ولتكملوا العد ة .

قال الزجاج : معناه فعل الله ذ لك ليسهل عليكم ما أفطرتم في مرضكم وسفركم اذ ا برأتم وأقمتم فقضيتموهـا . [٦]

وقيل : ومعنى **(وَلِتُكَمِّلُواْ الْعِـدَّةَ)** أى ولتتموا عد ة ما أفطرتم للمرض والسفر . [٧]

وقيل : معناه عد ة ثلاثين يوما اذ ا غم عليكم هلال شوال . [٨]

قولـه تعـالى (وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ) أى ولتعظموا الله بقلوبكم وأفواهكم وأعمالكم على ما هد اكم لد ينه و شرائعه ، ووفقكم ورزقكم شهر رمضان وخصكم به د ون سائر أهل الملل .

ويقال : أراد بذ لك التكبير في صلاة عيد الفطر . [٩]

وقال بعضهم : أراد به التكبير ليلة الفطر .

---

(١) انظر : النشر ٢/٢٢٦ ، والبد ور الزاهرة ص ٤٦

(٢) وهي أيضا قراءة يعقوب .

(٣) انظر : النشر ٢/٢٢٦

(٤) المائدة ٣

(٥) في ط " ليسهل " .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/٢٥٣ ـ ٢٥٤

(٧) انظر :تفسير القرطبي ٢/٣٠٢

(٨) انظر : المصد ر السابق .

(٩) روى نحو هذ ا عن زيد بن أسلم ، وسفيان ، و عبد الرحمن بن زيد .

انظر : تفسيرالطبرى ٢/١٥٧ ، وتفسير القرطبي ٢/٣٠٦

الآيـــة : ١٨٥، ١٨٦

قال ابن عباس : حق على المسلمين اذا رأوا هلال شوال أن يكبروا .(١)

وروى عن سعيد بن المسيب ، وأبي سلمة(٢) ، وغيرهما : أنهم كانوا يكبرون ليلة الفطر ، يجهرون بالتكبير .(٣)

قوله تعالى (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أى لكي تشكروا الله على الرخصة ونعمة الهدى .

(١٨٦) وقوله عز وجل (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ) الآية .

اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية :

فقال ابن عباس : نزلت في عمر رضي الله عنه وأصحابه ، حين أصابوا من أهليهم في ليالي رمضان .(٤) وستأتي قصتهم ان شاء الله .

وروى الكلبي عن أبي صالح عنه قال : قال يهود المدينة : يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا ، وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام ، وأن غلظ كل سماء مثل ذلك ؟ فأنزل الله هذه الآية .(٥)

وقال عطاء وقتادة : لما نزل قوله تعالى (اُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) قال رجل : يا رسول الله كيف ندعوا ربنا ومتى ندعوه ؟ فأنزل الله هذه الآية .(٦)

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ١٥٧/٢ ، وتفسير القرطبي ٣٠٦/٢

(٢) هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدني ، قيل : اسمه عبد الله ، وقيل : اسماعيل . ثقة مكثر ، من الثالثة . مات سنة أربع وتسعين ، أو أربع ومائة .
انظر : التقريب ص ٦٤٥

(٣) انظر : تفسير البغوى ١٥٣/١ ، وتفسير القرطبي ٣٠٦/٢

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٣٤/٢
وذكر القرطبي ، وابن الجوزى نحوه عن مقاتل .
انظر : تفسير القرطبي ٣٠٨/٢ ، وزاد المسير ١٨٩/١

(٥) انظر : تفسير البغوى ١٥٥/١ ، وزاد المسير ١٨٩/١ ، وتفسير القرطبي ٣٠٨/٢

(٦) انظر : تفسير الطبرى ١٥٨/٢ ــ ١٥٩ ، وتفسير القرطبي ٣٠٨/٢

الآيـــة : ١٨٦

وقال الضحاك : سأل بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم : أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله هذه الآية .(١) (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ) / . قال أهل المعاني : فيه اضمار ، كأنه قال : فقل لهم يا محمد وأعلمهم (٦٢/ب) أني قريب منهم بالعلم .

قوله تعالى (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) :

فان قيل : ما وجه هذه الآية ، وقوله (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) وقد يدعوه كثير من خلقه فلا يجيب دعاءه ؟ قلنا : اختلف العلماء في تأويل ذلك :

فقال بعضهم : معنى الدعاء هنا الطاعة ، ومعنى الاجابة الثواب ، كأنه قال : أجيب دعوة الداعي بالثواب اذا أطاعني .(٢)

وقيل : معناه الخصوص وان كان اللفظ عاما ، أي أجيب دعوة الداعي اذا شئت ، وأجيب دعوة الداعي اذا وافق القضاء ، وأجيب دعوة الداعي اذا كانت الاجابة له خيرا .(٣)

ويدل عليه ما روى عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ما من مسلم دعا الله بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا اثم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث خصال : اما أن تعجل دعوته ، واما أن تدخر له في الآخرة ، واما أن تدفع عنه من السوء مثلها " . قالوا : يا رسول الله . اذا نكثر . قال : " الله أكثر " .(٤)

---

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٣٤/٢

وأخرج نحوه الطبري ، وابن أبي حاتم ، وغيرهما من طريق الصلت بن حكيم عن أبيه عن جده .

وأخرج نحوه أيضا سفيان بن عيينة في تفسيره ـ فيما حكاه السيوطي ـ عن أبيّ .

وكذا أخرج نحوه ابن المنذر ـ فيما حكاه السيوطي أيضا ـ عن ابن جريج .

انظر : تفسير الطبري ١٥٨/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٢٤/١ ، والدر المنثور ٤٦٩/١ ـ ٤٧٠

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٥٩/٢ ـ ١٦٠ ، وتفسير البغوي ١٥٦/١

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٦١/٢ ، وتفسير البغوي ١٥٦/١

(٤) أخرجه الامام أحمد في المسند ١٨/٣

الآيـــــة : ١٨٦

وقال بعضهم : هو عـام ، وليس فيه أكثـر من اجابـة الدعـوة .

فأما اعطاء الأمنيـة وقضاء الحاجة فليس بمذكـور في الآيـة .

وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ، ولا يعطيه سؤله ، فالاجابة كائنة لا محالة عنـد حضـور[1] الدعـوة ، لأن قوله (أجيب) و (أستجب)[2] هو خبر ، والخبر لا يعـترض عليه النسخ ، لأنه اذا نسخ صار المخبر كذابا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .[3]

ودليل هـذا التأويل ما روى ابن عمـر : أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـال : " من فتح له أبـواب في الدعـاء فتح لـه أبواب الاجابـة " .[4]

وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام : " قل للظلمة لا يدعـوني ، فاني أوجبت على نفسـي أن أجيب من دعاني ، واني اذا أجبت الظالمين لعنتهم " .[5]

= والحاكم في المستدرك ٤٩٣/١ وقال : هذا صحيح الاسناد ، الا أن الشيخين لم يخرجاه . ووافقـه الذهـبي .

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٤٧٨/٢ وقال : رواه أحمد والبزار وأبو يعـلى بأسانيـد جيـدة .

(١) في ط ، م " حصول " .

(٢) من الآية ٦٠ من سورة غافر (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ٣١٠/٢

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ـ فيما حكاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧٤/١ وأخرجه الترمذي بلفظ " فتحت له أبواب الرحمة " . وقال : هذا حديث غريـب ، لا نعرفه الا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي ، وهو ضعيف في الحديث ، ضعفه بعض أهل العلم من قبل حفظه .

انظر : سنن الترمذي : كتاب الدعوات : باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم . وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤٩٨/١ بلفظ " فتحت له أبواب الجنة " . وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي في التلخيص فقال : المليكي ضعيف . يعني عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي المليكي ، وقد ضعفه الترمذي كما سبق . وقال عنه المنذري : هو ذاهب الحديث .

انظر : الترغيب والترهيب ٤٨٠/٢

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره ٣١٠/٢

وذكر نحوه الغزالي في احياء علوم الدين ١٦٣/١ ولم أجده في شيء من كتب الحديث .

الآيـــــة : ١٨٦

وقيل : ان الله تعالى يجيب دعاء المؤمن في الوقت ، الا أنه يؤخر اعطاء مراده ليدعوه فيسمع صوته ·

يدل عليه ما روى جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان العبد ليدعو الله تعالى وهو يحبه ، فيقول : يا جبريل اقض لعبدي هذا حاجته وأخرها ، فاني أحب أن لا أزال أسمع صوته · وان العبد ليدعو الله وهو يبغضه ، فيقول : يا جبريل اقض لعبدي هذا حاجته وأعجلها ، فاني أكره أن أسمع صوته " ·(١)

(٢)
وبلغنا عن يحيى بن سعيد قال : رأيت رب العزة في المنام ، فقلت : يا رب كم أدعوك فلا تستجيب لي · فقال : يا يحيى اني أحب أن أسمع صوتك ·

وقال بعضهم : ان للدعاء آدابا وشرائط هي أسباب الاجابة ونيل الأمنية ، فمن راعاها (٣) واستكملها كان من أهل الاجابة ، ومن أغفلها وأخل بها / فهو من أهل الاعتداء في الدعاء · (٦٣/أ)

وقيل : ما من أحد يدعو الله تعالى على ما توجبه الحكمة الا وهو يجيب دعاءه ، والدعاء على شرط الحكمة أن يقول : اللهم افعل لي كذا وكذا ، ان لم يكن مفسدة في ديني وفيما يرضيك عني ·

ويحكى أن ابراهيم بن أدهم رحمه الله قيل له : ما بالنا ندعو الله عز وجل فلا يستجيب لنا ؟ فقال : لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه ، وعرفتم رسول الله فلم تتبعوه ، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به ، وأكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها ، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها ، وعرفتم النار فلم تهربوا منها ، وعرفتم الشيطان فوافقتموه ، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم ، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس ·(٤)

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٣٦/٢ ولم أجده عند غيره ·

(٢) هذا من كلام الثعلبي كما في تفسيره ٣٦/٢ · وقد نقله المؤلف بنصه إلى قوله « إني أحب أن أسمع صوتك » وهي رؤيا منام لا يبنى عليها شيء ·

(٣) في أ ، م " راعها " · والتصويب من ط ·

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٣١٢/٢

الآيـــــة : ١٨٦

قوله عز وجل (فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي) أي فليجيبوا لي بالطاعة ، يقال : أجاب واستجـــاب بمعنى واحـــد . قال الشاعـــر :

وداع دعا يا من يجيب الى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب (١)

وقال [أبـــو] (٢) رجاء الخراساني : معناه : فليدعوني . (٣)

والاجابة من الله تعالى الاعطاء ، ومن العبد الطاعـة .

وفي بعض التفاسير : الاستجابة : أن تقول ـ بعد صلاتك ـ لبيك اللهم لبيك ، الى آخـــر التلبيـــة .

وقوله تعـالى (وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) .

الايمان : أن تقول آمنت بالله ، وكفرت بالجبت والطاغـوت ، وعدك حق ، ولقاؤك حـق ، وأشهد أنك واحد فرد لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفوا أحـد ، وأشهد أن الساعة آتيـة لا ريب فيها ، وأنك تبعث من في القبـور . (٤)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما تركت هذه الكلمات بعد صلاة ، بعد ما نزلت هذه الآية .

وقال الكلبي : ما تركتها منـذ أربعين سنة .

---

(١) البيت تقدم ذكره عند تفسير الآية ١٧ .

(٢) ما بين المعقوفتين من المصادر .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٦٠/٢ ، والقرطبي ٣١٣/٢

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٧٤/١ بأطول من هذا ، من حديث جابر بن عبد الله مرفوعـــا . وعزا تخريجه لابن أبي الدنيا في الدعاء ، وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات ، والأصبهاني في الترغيب ، والديلمي من طريق الكلبي عـــن أبي صالح عن ابن عباس قال : حدثني جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم .... فذكره .

قلت : ولا تخفى حال الكلبي وأبي صالح ، فالكلبي كذاب ، وأبو صالح ضعيف .

الآيـــة : ١٨٦ ، ١٨٧

فعلى هـــذا معنى الاستجابـــة : الاجابـة بالطاعـة ، والانقياد في كل ما ألزمـــه ٠

وقولـــه (لَعَلَّهُـــمْ يَرْشُـــدُونَ) أى ليكونوا على رجاء الرشـــد في مصالح الدنيا والآخرة ٠

(١٨٧) قولـه عـز وجـل (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْـلَةَ الصِّيَـامِ الرَّفَـثُ إِلَى نِسَـائِكُمْ) :

قال المفسرون : كان الرجل في ابتداء الأمر اذا أفطر حل له الطعام والشراب والجمـاع الى أن يصـلي العشاء الآخـرة أو يرقـد قبلها ، فاذا صلى العشاء [أ](١) و رقـــــد قبل الصلاة ولم يفطر حرم عليـــه الطعام والشراب والجماع الى مثلها من القابلة ، ثـــم ان عمـر رضي الله عنـه واقـع أهله بعد مـا صلى العشاء ، فلمـا اغتسل أخذ يبكـــــي ويلوم نفسـه ، ثم أتى الى النبي صلى الله عليه و سلم فقال : يا رسول الله اني أعتـــذر اليك والى الله من نفسي هـذه الخاطئة ، اني راجعت أهلي بعد ما صليت العشـــاء الآخـرة ، فوجدت رائحـة طيبـة فسولت لي نفسي فجامعت أهلي ، فهل لي مـــــن رخصـــــــة ؟ ٠

فقال النبي صلى الله عليه و سلم : " ما كنت جـديرا بذلك يا عمـــر " ٠

فقام رجال فاعترفوا بالذى كانوا صنعوا بعد العشاء ، فنزل(٢) في عمر وأصحابـــه (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْـلَةَ الصِّيَـامِ الرَّفَـثُ إِلَى نِسَـائِكُمْ) ٠

أى / أبيـح لكم في ليلة الصيـام الرفـث ٠ (٦٣/ب)

قرأ ابن مسعود والأعمش " الرفوث " برفع الراء والفاء وبواو ٠(٣)

والرفوث والرفـث كنايـة عن الجمـــاع ٠

وقال ابن عباس : ان الله حيي كـريم ، فكلما ذكر الله تعالى في القرآن من المباشـــرة والملامسـة والافضاء والدخـول ، فانما يريـد بـه الجماع ٠(٤)

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط ٠

(٢) أخرجه الامام أحمد في مسنده ٤٦٠/٣ ، والطبرى في تفسيره ١٦٥/٢

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٣٧/٢ ، والبحر المحيط ٤٨/٢

(٤) انظر : تفسير الطبرى ١٦١/٢ ، وتفسير البغوى ١٥٦/١ ـ ١٥٧

الآيـــــة : ١٨٧

قال الشاعـــر :

فظلنا هنالك في نعمـــــــــة ... وكل اللـــذاذة غـــير الرفـــث (١)

وقال القتيبي : الرفث هو الافصاح بما يجب أن يكنى بـه عن ذكر النكاح . (٢)

وأصله الفحـــش والقـول القبيـــح .

وقال الزجاج : الرفث كل كلمـة جامعـة لكل ما يريد ه الرجال من النساء . (٣)

قولـه عـز وجـل : (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) أي هن سكن لكم وأنتم سكن لهن .

قالـه أكثر المفسرين (٤) ، ونظيره قوله تعالى (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا) (٥) أي سكنـــا .

ود ليله قوله تعالى (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) . (٦)

وقال أهل المعاني : اللباس : الشعار الذ ى يلي الجلد من الثياب ، فسمي كل واحد مـــن الزوجـين لباسـا لتجرد هما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحـد وانضمام جسد كل واحد منهما الى جسـد صاحبـه ، حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذ ى يلبسه . (٧)

وقال بعضهم :يقال لماستر الشيء لباسا ، فجاز أن يكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل ، (٨)

---

(١) انظر البيت في البحرالمحيط ٢٨/٢ ، والد ر المصون ٢٩٣/٢

ولم أهتـــد الى قائله .

(٢) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبـة ص ٧٤

(٣) انظر : معاني القرآن للزجـاج ٢٥٥/١

(٤) انظر : تفسير الطبرى ١٦٣/٢ ، وتفسير البغوى ١٥٧/١ ، وزاد المســـير ١٩١/١

وتفسير ابن كثـير ٢٢٦/١

(٥) النبـــأ ١٠

(٦) الأعـــراف ١٨٩

(٧) انظر : تفســير الطبرى ١٦٢/١ ، وتفسير البغوى ١٥٧/١

(٨) انظر : تفسير البغوى ١٥٧/١ ، وتفسير القرطبي ٣١٦/٢

الآيـــــة : ١٨٧

كما روى في الخبر " من تزوج فقـد أحـرز نصـف د ينـه " .(١)

قولـه عـز وجـل (عَـلِمَ ٱللَّـهُ أَنَّكُـمْ كُنـتُمْ تَخْتَـانُـونَ أَنفُسَـكُمْ فَتَـابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَـا عَنـكُمْ) :

أى علم الله أنكـم كنـتم تظلمون أنفسـكم بمعصيتكم وجماعـكم بعد العشاء الآخـرة في ليالـي الصـوم ، فتجـاوز عنكم ولم يعاقبكم على ذ لك ، و عفـا (٢) عنكم ذ نوبكم .

[قولـه تعالـى (٣)] **(فَـٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِـرُوهُـنَّ)** أى جامعوهن في ليالي الصوم فهو حلال لكم ، سميت المجامعة المباشرة (٤) لتلاصق بشرة كل واحد منهما بصاحبه .

وقولـه تعـالى (وَٱبْتَغُـوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّـهُ لَـكُـمْ) أى واطلبوا ما قضى الله لكم من الولـــد .

قال مجاهد : ان لم تـلد هـذ ه فهـذ ه .(٥)

وقال ابن زيـد : **(وَٱبْتَغُـوا۟ مَـا كَتَبَ ٱللَّـهُ لَـكُـمْ)** أى ما أحل الله لكم من الجماع .(٦)

وقرأ معاذ بن جبل " واتبعـوا ما كتب الله لكم " من الاتباع ، يعني ليلة القد ر ، وكذ لـك روى أبو الجوزاء (٧) عن ابن عباس .(٨)

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفاء ٣١٣/٢ وقال : رواه ابن الجوزى في العلل عن أنـس رفعه ، وقال : لا يصح ؛
وأخرجه الحاكم في المستدرك ١٦١/٢ بلفظ : " من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانـه على شطر د ينه ،فليتق الله في الشطر الثاني " .
وقال الحاكم : صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ووافقـه الذ هبي .

(٢) في ط " ومحا " .

(٣) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٤) في ط ، م " مباشرة " .

(٥) انظر : تفسير الطبرى ١٦٩/٢ . وقد روى تفسير ذ لك بالولد عن جمهور المفسرين من السلف . انظر : تفسير الطبرى ١٦٩/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٢٧/١

(٦) انظر : المصد رين السابقين .

(٧) هو أوس بن عبد الله الربعي ـ بفتح الموحـد ة ـ أبو الجوزاء ـ بالجيم والزاى ـ بصرى يرسل كثيرا ، ثقـة ، من الثالثة ، مات سنة ١٨٣ هـ .
انظـر : التقريـب ص ١١٦

(٨) انظر : تفسير الثعلبي ٣٨/٢ ، والكشـاف ٢٣١/١

الآيـــــة : ١٨٧

وقرأ الأعمش " وأتوا ما كتب الله لكم " أي افعلوا . (١)

وأشبه الأقاويل بظاهر الآية في تأويل قوله (وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) قول من تأوله على الولد ، لأنه عقيب قوله (بَاشِرُوهُنَّ) .

وهو أمر اباحة وندب ، كقوله صلى الله عليه و سلم : " تناكحوا تكثروا ، فاني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ، حتى بالسقط " . (٢)

وقال أهل الظاهر :هو أمر ايجاب وحتم . يدل عليه ما روى أنس بن مالك : أن امرأة كان يقال لها الحولاء ، عطارة من أهل المدينة دخلت على عائشة رضي الله عنها ، فقالت : يا أم المؤمنين زوجي فلان أتزين له كل ليلة وأتطيب كأني عروس زفت اليه ، فاذا أوى الى فراشه دخلت في لحافه ألتمس بذلك رضى الله تعالى / ، فحول وجهه عني ، (٦٤/أ)
أراه قد أبغضني . فقالت : اجلسي حتى يدخل رسول الله صلى الله عليه و سلم .
قالت : فبينما أنا (٣) كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " ما هذه الروائح التي أجدها ، هل أتتكم الحولاء ابتعتم منها شيئا " ؟ قالت عائشة : لا والله يا رسول الله . فقمت عليه الحولاء قصتها ، فقال لها : " اذهبي واسمعي له وأطيعي " . فقالت : أفعل يا رسول الله ، فما لي من الأجر ؟ قال : " ما من امرأة رفعت من بيت

---

(١) انظر : الكشاف ٢٣١/١ ، والبحر المحيط ٥٠/١

(٢) قال الحافظ في التلخيص ١١٦/٣ : ذكر البيهقي عن الشافعي أنه ذكره بلاغا .
وذكره **الألباني** في ضعيف الجامع ٤١/٣ وليس فيه " حتى بالسقط " .
وكذا العجلوني في كشف الخفاء ٣٨٠/١ و عزاه لعبد الرزاق والبيهقي عن سعيد ابن أبي هلال مرسلا .
ثم قال : قال في المقاصد : جاء معناه عن جماعة من الصحابة ، فأخرج أبو داود والنسائي والبيهقي و غيرهم عن معقل بن يسار مرفوعا : " تزوجوا الود و د الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة " .

(٣) في ط " نحن " .

الآيـــة : ١٨٧

زوجها شيئا ووضعته تريد الاحسان الا كتب الله لها حسنة ومحا عنها سيئة ورفع لها د رجة ، وما من امرأة حملت من زوجها حين تحمل الا كتب الله لها من الأجر مثل القائم ليله الصائم نهاره والغازى في سبيل الله ، وما من امرأة يأتيها طلق الا كتب الله لها بكل طلقة عتق نسمة وبكل رضعة عتق رقبة ، فاذا فطمت ولد ها نادى مناد من السماء : أيتها المرأة قد كفيت بالعمل فيما مضى ، فاستأنفي العمل فيما بقي " . قالت عائشة : قد أعطي النساء خيرا كثيرا ، فما بالكم يا معشر الرجال ؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال : " ما من رجل أخذ بيد امرأته يراود ها الا كتب الله له حسنة ، وان عانقها فعشر حسنات ، وان قبلها فعشرون حسنة وان أتاها كان خيرا من الد نيا وما فيها ، فاذا قام ليغتسل لم يمر الماء على شعرة من جسد ه الا تمحا عنه سيئة ويعطى له د رجة ، ويعطى بغسله خيرا من الد نيا وما فيها ، وان الله عز وجل يباهي الملائكة ، يقول : انظروا الى عبد ى قام في ليلة باردة يغتسل من الجنابة ، يتيقن بأتي ربه ، اشهد وا أني قد غفرت له " . (١)

قوله عز وجل (**وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ**) هذا أمر اباحة ، مثل (**وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟**) (٢) وشبهه . نزلت في رجل من الأنصار يسمى صرمة بن أنس . هكذا قال الكلبي .

وقال معاذ بن جبل : اسمه أبو صرمة .

وقال عكرمة والسد ى : اسمه أبوقيس بن صرمة .

وقال مقاتل : صرمة بن اياس . (٣)

---

(١) ذكره ابن الجوزى في الموضوعات ٢٧٠/٢ وقال : قال الد ارقطني : هذا حد يث باطل . وكذا ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة ص ١٢٧

(٢) المائدة ٢

(٣) ذكر الحافظ في الفتح ١٥٥/٤ الاختلاف في اسم هذا الأنصارى ، فذكر أن بعضهم أخطأ وسماه بكنيته ، وبعضهم نسبه لجد ه ، وبعضهم قلب نسبه ، وبعضهم صحفه فقال " ضمرة " . ورجح أن صوابه : أبو قيس صرمة بن أبي أنس قيس بن مالك بن عد ى بن عامر بن غنم بن عد ى بن النجار .

الآيـــة : ١٨٧

وكانت قصتـه : أنه ظل نهاره يعمل في أرض له وهو صائم ، فلما أمسى قال لأهله : قد مـي الطعام . فأرادت المرأة أن تطعمه شيئا سخنا ، فأخذت تعمل له سخينة ـ وكان فـي ذلك الوقت من صلى العشاء أو نام حرم عليه الطعام والشراب والجماع ـ فلما فرغـت من طبخ طعامه اذ بـه قـد نـام ، فأيقظته فكره أن يعصي الله تعالى ورسوله فأبـى أن يأكـل ، فأصبح صائما مجهـودا ، فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه ، فلما أفاق أتـى رسول الله صلى الله عليه و سلم وقد أجهده الصوم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال له : " يا أبا قيس ما لك طليحا " ؟ (١)

قال : ظللت أمس في النخل نهاري كله أجر بالجريد (٢) حتى أمسيت / . وفي بعض النسخ (٦٤/ب) " أجر الجريد " حتى أمسيت فأتيت أهلي ، فأرادت امرأتي أن تطعمني شيئا سخنـا فأبطأت عليّ فنمت ، فأيقظوني وقد حرم الطعام والشراب ، فطويت وأصبحت قـد أجهدني الصـوم .

فاغتم رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأنزل (٣) الله تعالى (وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ) .

أي كلوا في ليالي الصوم واشربوا فيها حتى يتبين لكم بياض النهار وضوؤه من سواد الليـل وظلمته ، كذا قال المفسـرون . (٤)

---

(١) الطليح : المعيى . القاموس المحيط : مادة (طلح) .

(٢) في أ " بالجرير " . والتصويب من ط .

(٣) رواه الطبري عن السدي ، ومعه قصة عمر ، وروى نحوه عن عكرمة .
انظر : تفسير الطبري ١٦٦/٢ ـ ١٦٨
وانظر : تفسير البغوي ١٥٧/١ ـ ١٥٨ ، وتفسير القرطبي ٣١٤/٢ ـ ٣١٥
وأصل القصة في صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب قول الله جل ذكره (أحل لكـم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) ، لكنها بلفظ آخر ، من حديث البراء بن عـازب رضي الله عنـه .

(٤) قلت : بـل ورد هذا التفسير في حديث عدي بن حاتم مرفوعـا . وسيأتي قريبـا .

الآيـــــة : ١٨٧

وقيل معناه : حتى يتبين لكم الفجر الأول من الثانـــي ٠

قال الشاعـر :

الخيط الأول قبل الصبـح منصـد ع ٠٠٠ والخيط الأسود حين الليـل مركـوم (١)

و عن عد ى بن حاتم (٢) قال : علمـني رسول الله صلى الله عليه و سلم الصلاة والصيـــام فقال : " صـل كـذا وكـذا ، وصـم كـذا وكـذا ، فاذا غابت الشمس فكل واشرب حـــتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، وصم ثلاثين يوما الا أن ترى الهـــــلال قبل ذ لك " ٠ قال : فأخذ ت خيطين من خـز أبيض وأسود ، وكنت أنظر فيهما فلا يتبـين لي ، فذكرت ذ لك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بـد ت نواجذ ه ، وقـال : " يا عد ى انما ذ لك بياض النهار من سواد الليل " (٣) .

وقولـه تعـالى (مِنَ ٱلْفَجْـرِ) يعني المستطير الذ ى ينتشر ويأخذ الأفق ، وهو الثانـي ، وهو الفجر الصاد ق الذ ى تحل فيه الصلاة ويحرم فيه الطعام على الصائـم ٠

وأما الفجر الأول وهو الذ ى يسطع في السماء مستطيلا كذ نب السرحان ولا ينتشر فذ لـك من الليل ، لا تحل فيه صلاة الفجر ولا يحرم فيه الطعام على الصائم ، وهو الفجر الكاذ ب ٠

---

(١) انظر البيت في تفسير القرطبي ٢/٣٢٠ ولم أهتـد الى قائله ٠

وروايتـــه فيـــه :

الخيط الأبيض ضوء الصبح منفلق ٠٠٠ والخيط الأسود جنح الليل مكتوم

(٢) هو عد ى بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي ، أبو طريف ، صحابـــي شهير ، وكان ممن ثبت في الرد ة وحضر فتوح العراق وحروب علي ، مات سنة ٦٨ هـ ٠ التقريب ص ٣٨٨

(٣) أخرجـه الامام أحمـــد في مسند ه ٤/٣٧٧

وأخرج نحـوه البخارى في كتاب الصوم : باب قول الله تعالى (وكلوا واشربـوا حـــتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيـــط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيـــــــام الى الليـــــل) ٠

ومســلم في كتاب الصيام : باب بيان أن الد خـول في الصوم يحصل بطلوع الفجر ٠

الآيـــة : ١٨٧

وعـن سمـرة بن جنـدب [١] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يمنعكم مـن السحور آذان بـلال ولا الصبح المستطيل ، ولكن الصبح المستطير في الأفـق " . [٢]

قولـه عـزوجـل (ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْـلِ) :

قال عبد الله بن أبي أوفى [٣] : كنا مع رسول اللهصلى الله عليه و سلم في مسير وهـــو صائم، فلما غربت الشمس قال لرجل : " انزل فاجد ح [٤] لي ماءً " فقال : يا رسول اللـه لو أمسيت . قال : " انزل فاجـد ح مـاءً " . فقال : يا رسول الله إن علينا نهـــاراً . فقال له الثالثة ، فنزل فجد ح له . ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " إذا أقبـل الليل من ههنا وأد بر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم " . [٥] وفي بعض الألفـــاظ " أكل أو لم يأكـــل " .

---

(١) هو سمرة بن جنـدب بن هلال الفزاري ، حليف الأنصار ، صحابي مشهور، له أحاديث مات بالبصرة سنة ٥٨ هـ . التقريـب ص ٢٥٦

(٢) رواه أحمـد في مسـنده ٥/١٣ - ١٤
والترمذي في كتاب الصوم : باب ما جاء في بيان الفجر . وقال : حديث حسن ، وفيه " الفجر " بدل " الصبح " .
ومعنى " المستطير في الأفق " : أي الذي انتشر ضوؤه واعترض في الأفق ، وهـو الفجر الثاني ، ويسمى الفجر الصادق .

(٣) هو عبد الله بن أبي أوفى ، علقمة بن خالد الحارث الأسلمي ، صحابي شهد الحديبية و عمّر بعد النبي صلى الله عليه و سلم دهراً ، مات سنة ٨٧ هـ ، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة . التقريـب ص ٢٩٦

(٤) الجـد ح : أن يحرك السويق بالماء ،ويخوّض حتى يستوى .
وكذلك اللبن ونحوه . والمجدح : عود مجنح الرأس تساط به الأشربة .
انظر : النهاية في غريب الحديث ١/٢٤٣

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الصوم : باب الصوم في السفر والافطار .
ومسلم في كتاب الصيام : باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار .

الآيـــة : ١٨٧

قولـه عـز وجـــل (وَلَا تُبَـٰشِرُوهُـنَّ وَأَنـتُمْ عَـٰكِفُـونَ فِـي ٱلْمَسَـٰجِدِ) :

أصل العكوف والاعتكاف : الثبات والاقامة ، يقال : عكف بالمكان اذا أقام بـه ، قـال اللـه تعالى (فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَـوْمٍ يَعْكُفُـونَ عَلَىٰٓ أَصْنَـامٍ لَّهُـمْ) (١) (٢). أي يقيمـــون .

قال الفرزدق يصف القدور :

تـرى حـولهـن المعتفين كأنهـم .. على صنم في الجاهلية عكف (٣)

/ والاعتكاف : هو حبس النفس في المسجـد على عبادة الله تعالى . (٦٥/أ)

واختلف العلماء في معنى المباشرة التي نهي المعتكف عنها :

فقال قوم : هي المجامعة خاصة ، معناه : ولا تجامعوهن ما دمتم معتكفين في المساجـد . قاله ابن عباس ، وعطاء ، والضحاك ، والربيع . (٤)

وقال قتادة ، ومقاتل ، والكلبي : نزلت هذه الآية في نفر من الصحابة ، كانوا يعتكفون فـي المسجد ، فاذا عرضت بالرجل منهم حاجة الى أهله خرج اليها فجامعها ثم يغتسل ويرجـع الى المسجد ، فنهوا أن يجامعوا نساءهم ليلا أو نهارا حتى يفرغوا من اعتكافهم . (٥)

---

(١) في أ " البيات " . والتصويب من ط .

(٢) الأعـــــراف ١٣٨

(٣) انظر ديوانـــه ص ٣٨٩ ، وجمهرة أشعار العرب ٨٨٧/٢

والمعتفـون : الأضياف وطلاب الفضل .

قال في اللسان : العفو :الفضل . وعفوت الرجل : إذا طلبت فضله .

انظر : اللســـان : مادة (عفـا) .

(٤) انظر : تفسير الطبرى ١٨٠/٢

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ٤١/٣ ، وتفسير البغوى ١٥٩/١

وذكر ابن كثير نحوه عن جمع من السلف ، ثم قال : وهو الأمر المتفق عليه عنـــد العلماء : أن المعتكف يحرم عليه النساء ما دام معتكفاً في مسجده ولو ذهب إلـــى منزله لحاجة لابد له منها فلا يحل له أن يلبث فيه إلا بمقدار ما يفرغ من حاجته .

تفسير ابن كثير ٢٣٠/١ ـ ٢٣١

الآيـــة : ١٨٧

وقال ابن زيـــد : المباشـرة : الجماع واللمس والقبلة وأنواع التلذذ .(١)

والجماع مفســـد للاعتكاف بالاجمـاع .(٢)

وأما المباشرة غير الجماع ، فعلى ضربـين :

ضرب يقصـد به التلذذ بالمرأة ، فهو مكروه ولا يفسد الاعتكاف عند أكثر الفقهاء .

وقال مالك : يفســـده .(٣)

والضرب الثاني : ما لا يقصـد بـه التلذذ بالمرأة فهو مباح ، كما جاء في خبر عائشـــة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يد خل(٤) رأسه اليها فترجـله وهو معتكـــف .(٥)

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " من اعتكف عشرا في رمضان كان كحجتـــين و عمرتـــين " .(٦)

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ١٨١/٢ ، وزاد المسير ١٩٣/١

(٢) انظر : تفسير القرطـبي ٣٣٢/٢

(٣) انظر : تفسير البغوى ١٥٩/١ ، وتفسير القرطبي ٣٣٢/٢

(٤) في ط ، م " كان يدني اليها رأســه " .

(٥) أخرجه البخارى في كتاب الاعتكاف : باب : لايد خل البيت الا لحاجة .
ومسلم في كتاب الحيض : باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله .
ولفظه : عن عائشة قالت : " وان كان رسول الله صلى الله عليه و سلم ليد خـل عليّ رأسه ، وهو في المسجد ، فأرجله ، وكان لا يد خل البيت الا لحاجـة اذا كان معتكفا " .

(٦) قال السيوطي : أخرجه البيهقي و ضعفه عن علي بن حسين عن أبيه مرفوعـا .
انظر : الـد ر المنثـور ٤٨٦/١
وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفـة ١٠/٢ وقال : موضوع .
و عزاه للبيهقي في شعب الايمـان .

الآيـــة : ١٨٧

قولـه تـعـالى (تِـلْكَ حُـدُودُ اللَّـهِ) أى المجامعـة في الاعتكاف معصيـة .

وقيل : جميع ما في هـذ ه الآيـة الى آخرها أحكام اللـــه .

(فَـلَا تَقْـرَبُوهَـــا) يعني المباشـرة في الاعتـكاف .

وقيـل : أ حـكام اللـه لا تقربـوها بالخـلاف .

كـذ لك يبـين اللـه لكـم هـذ ه الأحكام ، أى فهكـذ ا يتبـين [1] للناس سائر أد لته علـى د ينـه وشرائعـــه .

وقيل : سائر أوامـره ونواهيـــه ، لكـي تتقـوا معاصيـــه .

وحـد و د اللـه : قال السـد ى : شروط اللـه . [2]

وقال شهر بن حوشب : فرائض اللـه . [3] وقال الضحاك : معصية اللـــه . [4]

وأصل الحـد في اللـغة : المنع ، ومنه قيل للبواب حـد ا د . [5]

وقال الخليل بن أحمـد : الحـد : الجامع المانع ، ومنه حـد و د الد ار والأرض ، وهـــي ما تمنع غيرهـا أن يد خـل فيهـا .

وسمـي الحـد يـد حـد يـد ا : لأنـه يمتنع بـه من الأعـد اء .

ويقال : حـد ت المرأة وأحـد ت اذ ا منـعت نفسها من الزينـــة .

فحـد و د اللـه : هي ما منـع الله منها أو منـع من مخالفتها والتـعد ى الى غيرهـــا .

قولـه تـعـالى (فَـلَا تَقْـرَبُوهَـا) أى فـلا تأتوها ، يقال : قربت من الشيء أقربه ، وقربته، **وقَـربْتُ** منـه بضم الراء ، اذ ا د نـوت منـــه .

---

(١) في ط " يبين " .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ١٨٢/٢

(٣) انظر : تفسير البغوى ١٥٩/١ ، والبحر المحيط ٥٤/٢

(٤) انظر : تفســير الطبرى ١٨٢/٢

(٥) انظر : الصحـــاح : مادة (حـد د) .

الآيـــة : ١٨٧ ، ١٨٨

وقوله تعـالى (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ) أي هكذا يبين الله (ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ) لكي يتقوهـــا [١] وينجوا من سخط [٢] الله والعذاب .

(١٨٨) قوله تعـالى (وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ) :

أكل المال بالباطل على وجهـين : أحدهما : أخذه على وجه الظلم / بالغصـــب (٦٥/ب)
والخيانـة وشهادة الزور واليمين الفاجرة .

والثاني : أخذه من جهات محظورة ، مع رضا صاحبه ، مثل القمار * وأجرة الغنـــا
والملاهي والنائحة * وثمن الخمر والخنزير والربا وأشباه ذلك .

ومعنى الآيـة : ولا يأكل بعضكم أموال بعض بالباطل ، أي من غير الوجه الـــذي
أباحه الله تعالى .

وأصل الباطل : الشيء الذاهب الزائل [٣] ، يقال : بطل يبطل بطولا وبطـــلانا
اذا ذهـــب .

قوله تعالى (وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ) أي ولا تظهروا حجتكم للحكام بالباطل
فيحكم الحاكم في الظاهر مع علم المحكوم له أنه غير مستحق في الباطن .

وأصل الادلاء : هو ارسال الدلو في البئر ، يقال : أدلى دلوه اذا أرسلها ، قـال
تعالى (فأدلى دلوه) [٤] . ودلاها يدلوها اذا أخرجها . [٥]

ثم جعل كل القاء قول أو فعل ادلاء ، ومنه قيل للمحتج بدعواه أدلى بحجته ، لأن
الحجة سبب وصوله الى دعواه ، كالدلو سبب وصوله الى المـــاء .

---

(١) في النسخ " لكي يتقونها " . والمثبت هو الصـــواب .

(٢) في ط " من السخط " .

(٣) انظر : اللســـان : مادة (بطل) .

(٤) يوســـف ١٩

(٥) انظر : معاني القرآن للزجـاج ٢٥٨/١

* القمار : هو الميسر ، وهو من أكل المال بالباطل .
* النائحة : هي التي ترفع صوتها بالبكاء فتبكي معها غيرها .
* الربا : لغة النما والزيادة .
وشرعاً : هو بيع جنس بجنسه متفاضلاً وينقسم إلى ربا فضل ، وربا نسيئة

وعبارة الزجاج : ودلوتها إذا أخرجتها
ومعنى أدلى فلان بحجته أرسلها وأتى بها على صحتها .

الآيـــــة : ١٨٨

واختلف النحاة في محل قوله **(وَتُدْلُوا بِهَا)** قال بعضهم : الجزم ، لتكرر حرف النهـــي ، أي لا تأكلوا ولا تدلوا ، وكذلك هو في حرف أبيّ باثبات " لا " .(١)

وقيل : هو نصب على الظرف (٢) ، كقول الشاعر :

لا تنـــه عـــن خـــلق وتـــأتـي مثـــلـه (٣) ..

وقيل : نصـــب باضمار " أن " الخفيفـــة .(٤)

وقال الأخفـــش : نصـب عـلى الجـــواب بالـــواو .(٥)

قولـه عـز وجـــل (لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) :

أي لتأكلوا طائفة من أموال الناس بالظلم والجور ، وأنتم تعلمون أنكم مبطلون في دعواكم .

قال ابن عباس : هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بينة ، فيجحد المـــــال ويخاصمهم فيه الى الحكام ، وهو يعرف أن الحق عليه ويعلم أنه آثم ، آكل حرام .(٦)

وقال مجاهـــد : معنى الآية : لا تخاصم وأنت ظالم .(٧)

وقال الحسن : هو أن يكون للرجل على صاحبه حق ، فاذا طالبه به دعاه الى الحاكم ، فيحلف له ويذهب بحقـــه .(٨)

وقال الكلبي : هو أن يقيم شهادة الزور .(٩)

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ١٨٤/٢ ، وتفسير القرطبي ٣٤٠/٢ ، والبحر المحيط ٥٦/٢

(٢) انظر : المصادر السابقـــة .

(٣) هذا صدر بيت لأبي الأســود الدؤلي .

وعجـــزه : ... عار عليك اذا فعلت عظيم . وقد تقدم تخريجه .

(٤) انظر : الكشاف ٢٣٣/١ ، وتفسير القرطبي ٣٤٠/٢

(٥) انظر : معاني القرآن للأخفش ٣٥٣/١

(٦) انظر : تفسير الطبرى ١٨٣/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٣١/١

(٧) انظر : المصدرين السابقين . وقد عزاه ابن كثير الى جماعة من السلف .

(٨) انظر : تفســـير الثعلبي ٤٤/٢

(٩) انظر : تفســـير البغوى ١٦٠/١

الآيـــة : ١٨٨ ، ١٨٩

وقال شريـــح [١] لبعض الخصوم : اني أقضي لك وأنا أظنك ظالما ، ولا يسعني الا أن أقضي بما يحضرني من البينـة ، وان قضائي لا يحل لك حراما . [٢]

و عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليـه و سلم : " انما أنا بشر مثلكـــم ، ولعل بعضكم يكـون ألحـن بحجتـه من بعض ، فأقضي لـه ، فمن قضيت له بشيء من مـــال أخيـه فانمـا أقطع لـه قطعـة من نـار " . [٣]

(١٨٩) قولـه عـز وجـل (يَسْـــئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) :

نزلت هـذ ه الآيـة في معاذ بن جبل ، وثعلبة بن عَنمـه [٤] الأنصاريين ، ســـألا رسول اللهصلى الله عليه و ســلم فقالا : يا رسول الله ما بال الهلال يبد و د قيقـا مثل الخيط ثم يـزد اد حـتى يمـتلىء ويستوى ، ثم لا يزال ينقص حتى يعـــود كما بـد أ ، ولا يكون عـلى حـالة واحـــد ة ؟

---

(١) في أ " سريح " . والتصويب من ط .
وهو شريح بن الحارث بن قيس الكوفي النخعي ، القاضي ، أبو أمية ، مخضـــرم ، ثقـة ، وقيل : له صحبة . مات قبل الثمانين أو بعدها . يقال : حكم سبعين سنة .
انظر : التقريـــب ص ٢٦٥

(٢) انظر : تفسير البغوى ١٦٠/١

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣٣٢/٢
وابن ماجه في كتاب الأحكام : باب : قضية الحاكم لا تحل حراما ولا تحـــرم حلالا رقم ٢٣١٨ .
قـال فـي الزوائـــد : اسناده صحيح ، ورجاله رجال الصحيح .
وأخرج نحوه البخارى ومسلم من حديث أم سلمة .
انظر : صحيح البخارى : كتاب الأحكام : باب : موعظة الامام للخصوم .
ومسلم في كتاب الأقضية : باب : الحكم بالظاهر واللحن بالحجة .

(٤) في أ ، م زيادة " عثمان " قبل " عنمه " . ولم أجدها في المصادر .
وهو ثعلبة بن عَنمه ـ بفتح العين المهملة والنون ـ ابن عدى الأنصارى السلمي الخزرجي . ذكره موسى بن عقبة و عروة و غيرهما فيمن شهد بدرا والعقبة . وكـان ممن يكسر أصنام بني سلمة . وقال ابن اسحاق : قتل يوم الخندق . وقال ابن لهيعـة عن أبي الأسود عن عروة : قتل بخيبر . انظر : الاصابـة ٢٠٢/١

الآيـــة : ١٨٩

فأنـزل [١] اللـه تعالى / (يَسْـَٔلُونَكَ) يا محمـــد (عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ) وعن الحكمـــة (٦٦/أ)

في معناها . وهي جمع هـلال ، مثل رداء وأرديـــة .

وسمي هـلالا ، لأنـه حين يرى يهـل النـاس بذكـر الله ، أى يرفعون أصواتهم ، كما يقال :

أهـل القوم بالحج اذا رفعوا أصواتهم بالتلبيـــة .

وقولـه تعـالى (قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ) أى هي بيان المواقيت التي يحتاج النـــاس

اليها في صومهم وفطرهـم و عـد ة نسائهم وآجال د يونهم ومـد ة أجارتهم وحيـض الحائـض

و عـد ة الحامـل و غيرذ لك .

أخبرهم الله تعالى عن الحكمة في زيـاد ة القمر ونقصانـه واختلاف أحوالـه ، فلهـذ ا

خالف بينـه وبـين الشمس التي هـي د ائمـة عـلى حـال واحـد .

وقولـه (وَالْحَجِّ) أى و بيـان وقت حجهـم .

ولو جعـل القمرمـد ورا كالشمس أبـد ا لم تعرف المواقيت ولا السنون ولا الشهـور .

وقولـه عـز وجـل (وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا) الآيـة .

قال المفسرون : كان الناس في الجاهلية وهي في أول الاسلام اذا أحرم الرجل منهم بالحـج

والعمرة لم يد خل حائطا ولا د ارا ولا بيتا من بابـه ، فان كان من أهل المـد ر أى البيـوت

نقب نقبا في ظهر بيتـه ويتخـذ سلّماً إليه يد خـل منـه ويخرج ولا يد خـل من البـاب ،

وان كان من أهـل الوبـر أى الخيام والفساطيط خرج ود خل من خلف الخيمة والفسطـاط ،

ولا يد خـل فـي البـاب ولا يخرج منـه حـتى يحـل مـن احرامـه ، ويرون ذ لك بـرا .

الا أن يكون الرجـل من الحمش ، وهم قريش ، وكنانـة ، وخزاعـة ، وثقيف ، وجشـــم ،

وبنـو عامـر بن صعصعة ، وبنـو نضر بن معاويـة [٢] ، سموا حمسا لتشد ذ هم في د ينهـــم

---

(١) انظر : أسباب النزول للواحد ى ص ٤٧ ، وتفسير البغوى ١٦٠/١ ، وزاد المســـير ١٩٥/١ ، وتفسير القرطبي ٣٤١/٢ ، والد ر المنثور ٤٩٠/١

(٢) انظر التعريف بهذ ه القبائل في نهاية الأرب ص ١٨٦ ، ١٩٨ ، ٢٢٨ ، ٣٠١ ، ٣٦٦ ، ٣٨٤ .

الآيـــة : ١٨٩

وعلى أنفسهم ، فانهم كانوا لا يستظلون أيام منى ولا يسلون [١] السمن ولا يأقطون الاقـــــط .

والحماسة : الشدة والصلابة . الا أنهم كانوا مع هذا يدخلون البيوت من أبوابهـــا ، بخلاف الفريق الأول . فلما كان في زمن الحديبية أهلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة ، فدخل بستانا من بابه قد خرب ، وهو مُحرِم ، فاتبعه قطبة [٢] بن عامـــر السلمي من غير الحمس ، فدخل معه من الباب وهو مُحرِم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لِمَ دخلت من الباب وأنت مُحرِم من غير الحمس " ؟ فقال : رأيتـــك يا رسول الله دخلت الباب وأنت محرم فدخلت على أثرك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا من الحمـــس " .

فقال الرجل : ان كنت أحمسيا يا رسول الله فأنا أحمسي أيضا ، لأن ديننا واحد ، رضيت بهديك وسنتك يا رسول الله .

فأنزل [الله] [٣] هذه الآيـــة . [٤]

---

(١) السل : انتزاع الشيء واخراجه في رفق . انظر : اللسان : مادة (سلل) . وفي ط ، م كتبت " سأل " .

(٢) في النسخ " عطية " . والتصويب من المصادر .
انظر : أسباب النزول للواحدي ص ٤٨ ، وتفسير الثعلبي ٤٥/٢ ، وتفســـير ابن كثير ٢٣٢/١ ، والاصابـــة ٢٢٨/٣
وهو قطبة بن عامر بن حديدة الأنصاري الخزرجي ، يكنى أبا زيد . قال ابن أبي حاتم عن أبيه : توفي قطبة في خلافة عمر . وقال ابن حبان : بدري مات في خلافـــة عثمـــان . الاصابـــة ٢٢٨/٣

(٣) ما بين المعقوفتـــين من ط ، م .

(٤) انظر : المصادر السابقة .
وقد عزاه الحافظ في الاصابة الى أبي الشيخ في تفسيره ، ثم قال : وكذا أخرجـــه ابن خزيمة في صحيحه والحاكم .

الآيـــــة : ١٨٩

وقال الزهـري : كان ناس من الأنصـــار اذا أهلوا بالعمرة لا يستظلون بشـــــــي ء ولا يدخلون البيت ، كيلا يحول بينهم وبين السماء شيء ما داموا محرمين ، حتى كـــان زمن الحديبيـــة أهـلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة فدخل حجرة ، فدخـــل رجل منهم على أثـره من الأنصـار ، فقال له / رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لِمَ فعـلت (٦٦/ب) ذلـك " ؟ قال : لاني رأيتك يا رسول الله دخلت .

فقال صلى الله عليـه وسـلم : " أنا أحمسـي ، والحمس لا يبالون بذلك " .

فقال الأنصاري : وأنا أحمســي ، يعني أنا على دينـك و سـنتك .

فأنزل [١] الله هذه الآيـة (**وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا**) أي من خلفها إذا أحرمـتم .

قرأ حمزة ، والكسائي ، وعاصم ، ونافـع ، وابن عامـر ، وابن كثير ، بكسر الباء مـن البيـوت في جميع القرآن . وقرأ الباقون بضمها . [٢]

قولـه تعـالى (**وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ**) أي ليس البر بأن تأتوا البيوت من خلفهـا إذا أحرمتم ، ولكن البر من اتقى الشـرك والمعاصي .

قولـه تعـالى (**وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا**) أي ائتوا البيوت محرمين ومحلين من أبوابها .

قـولـه تعـالى (**وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) أي اتقوا الله في جميع ما أمركم بـــه ونهاكم عنه ، لكي تنجوا من العقوبة وتفوزوا بالبقاء في الجنـة .

وقد روى عن بعضهم أنه كان يقول في هذه الآية : ليس البر أن تطلبوا المعروف من غـير أهله ، ولكن اطلبوه من أهلـه . [٣]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٨٧/٢ . وانظر : تفسير البغوي ١٦١/١

(٢) انظر : النشر ٢٢٦/٢ ، والمهذب ٨٥/١

(٣) هذا قول أبي عبيدة في مجازه ٦٨/١

الآيـــــة : ١٩٠

(١٩٠) قـولـه عـز وجـل (وَقَـٰتِـلُوا۟ فِـى سَـبِـيـلِ ٱللَّـهِ ٱلَّـذِيـنَ يُـقَـٰتِـلُـونَـكُـمْ) :

أى وقاتلوا في دين اللـه وطاعتـه الذيـن يقاتلونكـــم ٠

قال الربيع ، و عبد الرحمن بن زيـد : هـذ ه أول آيـة نزلت في القتال [١] ، و ذ لك أن رسـول الله صلى الله عليه و سلم وأصحابه خرجوا في العام الذ ى أراد وا فيـــــه العمـرة ، فنزلوا بالحد يبيـة قريبا من مكـة ٠

والحد يبيـة : اسم البئر ، فسمي ذ لك الموضع باسم البئر ٠

فصد ه المشركون عن البيت ، فأقام بالحد يبية شهرا ، ثم صالحه المشركون علـى أن يرجع عامـه ذ لك ، على أن يخلوا لـه مكـة من العام القابل ثلاثـة أيام فيطـــــوف وينحر الهـد ى ويفعل ما يشاء ، وصالحـوه على أن لا يكون بينـه وبينهم قتال الـــى عشريـــن [٢] سنة ، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينـــة ٠

فلمـا كان العام المقبل تجهز لعمرة القضاء ، وكانوا يخافون ألا تفي قريـش بذ لك ، وكانوا يكرهون قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم ، فأنزل الله هـــــذ ه الآيـــة ٠ [٣]

ومعناها : وقاتلـوا في طاعـة اللـــه الذ ين يبد أونكم بالقتـــــال ٠

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ١٨٩/٢ ، وتفسير القرطبي ٣٤٧/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٣٣/١ وزاد المسير ١٩٨/١

قلـــت : المشهور أن أول آية نزلت في القتال هي قوله تعالى : (أُذِنَ لِلَّذِيـــــنَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّـهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) الحج ٣٩

ورجحه أبو بكر ابن العربي ، قال : لأن آية الإذ ن في القتال مكيـة ، و هـذ ه الآيـــة مد نيـة متأخرة ٠ أحكام القـرآن لابن العربي ١٤٤/١

(٢) في المصـاد ر " عشر سنين " ٠

(٣) انظر : أسباب النزول للواحد ى ص ٤٩ ، وتفسير البغوى ١٦١/١ ، وزاد المســـير ١٩٧/١ ، وتفسير القرطبي ٣٤٧/٢

وقد جاءت هذ ه الرواية عن ابن عباس من طريق الكلبي عن أبي صالح ٠ وهي أوهـــى الطرق عن ابن عباس ٠ و على هذ ا فالرواية واهية ٠ ثم إن الحد يبية كانت في السنـة السادسة من الهجرة ، وقد قامت قبلها معارك كبد ر وأحـد و غيرهمـــا ٠

الآيـــــة : ١٩٠

(وَلَا تَعْتَـدُوا) أي ولا تنقضوا العهد بالبداية بقتالهم قبل تقديم الدعوة .

(إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) أي المتجاوزين عن الحدود ، أي لا يرضى عنهم عملهم .

فلما نزلت هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقاتل من قاتله ، ويكف عن من كف عنه ، حتى نزل قوله تعالى (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) (١) فنسخت هذه الآية (٢)، وأمر بالقتال مع المشركين كافة .

وقال بعضهم : هذه الآية محكمة ؛ أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بالقتال ، ولم ينسخ شيء من حكم هذه الآية .

فعلى هذا القول معنى قوله (وَلَا تَعْتَدُوا) أي لا تقتلوا / النساء والصبيان والشيخ الكبير (٦٧/أ) ولا من ألقى اليكم السلم وكف يده عن قتالكم ، فان فعلتم ذلك فقد اعتديتم . وهذا قول ابن عباس ومجاهد . (٣)

---

(١) التوبة ٥

(٢) قال ابن كثير : وفي هذا نظر ، لأن قوله (الذين يقاتلونكم) إنما هو تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله ، أي كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم .

تفسير ابن كثير ٢٣٣/١

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٨٩/٢ ــ ١٩٠ ، والناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس ص ٢٧ ــ ٢٨ ، وتفسير القرطبي ٣٤٨/٢

قال أبو جعفر النحاس : وهذا أصح القولين من السنة والنظر ، فأما السنة فما روى عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في بعض مغازيه امرأة مقتولة ، فكره ذلك ونهى عن قتل النساء والصبيان .

والدليل على هذا من اللغة : أن " فاعلاً " يكون من اثنين ، فإنما هو من أنك تقاتله ويقاتلك ، وهذا لا يكون في النساء ولا الصبيان . اهـ

وانظر حديث ابن عمر في الصحيحين :

البخاري : كتاب الجهاد : باب قتل النساء في الحرب .

ومسلم : كتاب الجهاد : باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب .

الآيـــة : ١٩٠

فمعنى الآيـة : (وَقَـٰتِـلُـوا۟ فِي سَبِيـلِ ٱللَّـهِ ٱلَّـذِيـنَ يُقَـٰتِـلُونَـكُمْ) أي الذين هم من أهـل القتـال د ون النسـاء والـولدان الذيـن لا يقاتـلون ٠

فعلى هـذا القـول الآيـة غير منسوخـــة ٠

وقال يحيى بن عامـر : كتبت الى عمـر بن عبد العزيز أسألـه عن قوله تعالى : (وَقَـٰتِـلُـوا۟ فِي سَبِيـلِ ٱللَّـهِ ٱلَّـذِيـنَ يُقَـٰتِـلُونَـكُمْ وَلَا تَعْتَـدُوٓا۟) ٠

فكتـب اليّ : أن ذلك في النسـاء والذريـة والرهبان ومن لم ينتصب للحرب منـهم ٠ (١)

وقال الحسن : (وَلَا تَعْتَـدُوٓا۟) أى لا تأتوا من نـهيتم عنـه ٠ (٢)

وقال بـعضهم : الاعتـداء : تـرك قتالهـم ٠ (٣)

وقال بـعضهم : نـزلت هـذه الآيـة والقتال كان محظورا قبل الـهجرة ، كما قال تعالـــــى (وَجَـٰدِلْـهُـم بِٱلَّـتِي هِيَ أَحْسَـنُ) (٤) ، ثم أمر الله بالقتال بـعد الـهجرة لمن قاتلهـم بـهـذه الآيـة (٥) ، ثم نـزلت آيـة أخرى في الاذ ن بالقتال عامـة لمن قاتلهـــــــم ولمن لم يقاتلهم ، وهو قولـه تعالى (أُذِنَ لِلَّـذِيـنَ يُقَـٰتَـلُونَ بِأَنَّـهُـمْ ظُلِمُـوا۟) ٠ (٦)

و عن سليمان بن بريـدة (٧) عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعـث أميراعلى سريـة أو جيش أوصاه في نفسه خاصة بتقوى الله عز وجل ، وبمن تبعـه مـن المسلمين خـيرا ، وقال : " اغزوا بسـم الله وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر باللـه ، اغـزوا لا تغلوا ولا تغد روا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليـدا " ٠ (٨)

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ١٩٠/٢ ، والد ر المنثور ٤٩٣/١

(٢) انظر : زاد المسير ١٩٧/١ ، وتفسير ابن كثير ٢٣٣/١

(٣) انظر : البحر المحيـط ٦٥/٢

(٤) النحـل ١٢٥

(٥) انظر : تفسير القرطبي ٣٤٧/٢

(٦) الحـج ٣٩

(٧) هو سليمان بن بريـدة بن الحصيـب الأسلمي ، المروزى ، قاضيها ، ثقة ، مـن الثالثـة ٠ مات سـنة ١٠٥ هـ ٠
انظر : التقريـب ص ٢٥٠

(٨) أخرجـه مسـلم في كتاب الجهاد والسير : باب : تأمير الامام الأمراء على البعـوث ووصيتـه إياهم بآداب الغزو و غيرها ٠

الآيـــــــة : ١٩١

(١٩١) وقـولـه عـز وجـــل (وَاقْتُـلُوهُـمْ حَـيْثُ ثَقِفْتُمُوهُـمْ) :

أى اقتلوا الذ ين يبد أونكم بالقتال من أهـل مكـة حيث وجد تموهم (وَأَخْرِجُوهُـمْ) كما أخرجوكم من مكـــــة ٠

وقولـه تـعالى (وَالْفِتْنَـةُ أَشَـدُّ مِـنَ الْقَتْـلِ) أى والشرك الذ ى هم فيه أعظم ذ نبـا من قتلكم اياهم في الحرم والأشهر الحرم والاحرام ٠ هكذ ا قال عامة المفسرين ٠ (١)

وقال الكسائي : الفتنـة هـهنـا الـعذ اب ، وكانوا يعذ بـون من أسلم ٠ (٢)

قولـه تـعـالى (وَلَا تُقَـٰتِـلُوهُـمْ عِنـدَ الْمَسْجِـدِ الْحَـرَامِ حَـتَّىٰ يُقَـٰتِـلُوكُمْ فِيـهِ)

أى اذ ا بد أوكم بالقتال في غير الحرم ثم لجأوا الى الحرم فكفوا عن قتالهـــــــــم ، ولا تقاتلوهم في الحرم حتى يقاتلوكم فيه ، فان بد أوكم بالقتال في الحرم فاقتلوهـم فيـــــــــه ٠

قرأ عيسى بن عمر ، وطلحة بن مصرف ، ويحيى بن وثاب ، والأعمش ، وحمـــــزة ، والكسائي : " ولا تقتـلوهم " بـغير ألف (٣) ، من القتل ، على معنى : ولا تقتـلوا بـعضهم ٠ تقول العرب : قتلنا بني تميم ، وانما قتلوا بـعضهم ٠

وقرأ الباقون كلـها بالألف (٤) ، من القتـال ٠

واختلفوا في حكم هـذ ه الآيـة :

فقال بـعضهم : هي منسوخـة ، نـهوا عن الابتد اء بالقتال ، ثم نسخ ذ لك بقولـــه تـعالى (وَقَـٰتِـلُـوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَـةٌ) (٥) ٠ وهذ ا قول قتاد ة والربيع ٠ (٦)

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ١٩١/٢ ــ ١٩٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٣٣/١

(٢) انظر : البحـر المحيـــــط ٦٦/٢

(٣) وهـي أيضا قـراءة خـلف ٠

(٤) انظر : النشر ٢٢٧/٢ ، وانظر : تفسير الثعلبي ٤٧/٢

(٥) البقـــــرة ١٩٣

(٦) انظـر : تفسـير الطـبرى ١٩٢/٢ ، والناسـخ والمنسـوخ لأبـي جعفـــــــر النحـاس ص ٢٩

الآيـــة : ١٩١ ، ١٩٢

وقال مقاتل : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) [١] أي حيث أدركتموهم في الحل والحرم .

لما نزلت هذه الآية /نسخها قوله تعالى (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) ، ثم (٦٧/ب)
نسختها آية السيف التي في البراءة [٢] ، فهي ناسخة منسوخة . [٣]

وقال آخرون : هذه الآية محكمة ، ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم . وهو قول مجاهد [٤] وأكثر المفسرين .

وسمي الكفر فتنة ، لأنه يؤدي الى الهلاك كما أن الفتنة تؤدي الى الهلاك .

(١٩٢) قوله تعالى (فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أي فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور لما مضى من جهلهم ولما سلف من كفرهم ، رحيم بهم بعد توبتهم واسلامهم .

---

(١) انظر : تفسير البغوى ١٦٢/١ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزى ص ١٨٢ وتفسير القرطبي ٣٥١/٢

(٢) في ط ، م " في براءة " . والآية هي قوله تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) . الآية ٥

(٣) انظر : تفسير البغوى ١٦٢/١

(٤) أخرجه الطبرى في تفسيره ١٩٢/٢

وانظر :الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس ص ٢٨ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزى ص ١٨٢ ، وتفسير القرطبي ٣٥١/٢

وحكاه النحاس والقرطبي عن طاووس أيضا .

وقال عنه ابن الجوزى في نواسخ القرآن : هو قول مجاهد والمحققين .

وقال القرطبي : وهو الذى يقتضيه نص الآية ، وهو الصحيح من القولين .

الآيـــــة : ١٩٣

(١٩٣) قـولـه عـز وجـل (وَقَـٰتِلُـوهُـمْ حَـتَّىٰ لَا تَكُـونَ فِتْنَـــةٌ) :

أى قاتلوا المشركين حتى لا يكون شرك ، أى قاتلوهم حتى يسلموا ، فليس يقبل من المشرك الوثني جزية ولا يرضى منه الا الاسلام ، وليسوا كأهل الكتاب الذ يـــــن يؤخـــذ منهم الجزيـــــة .

والحكمة في ذ لك : أن مـع أهـل الكتاب كتبا منزلـة فيها الحق ، وان كانوا قـــــد أهملوها ، فأمهلهم الله ـ بحرمة تلك الكتب ـ من القتل ، وأمر باذ لالهـــــم بالجزيـــة ، ولينظروا في كتبهم وليد بروها فيقفوا على الحق منها فيتبعوه .

وأما أهل الأوثان فليس لهم كتب ترشد [1] الى الحق ، وكان امهالهم زائدا فـــي شركهم ، فأبى الله تعالى أن يرضى منهم الا بالاسلام أو القتل .

قولـه تعـالى (وَيَكُـونَ ٱلـدِّيـنُ لِلَّـهِ) أى وتكون الطاعة والعبادة لله وحـــده وأن لا يعبد دونه شيء .

وقولـه (فَـإِنِ انتَهَـوْا۟ فَـلَا عُـدْوَانَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ) أى فان انتهوا عن القتـال والكفر (فلا عـدوان) أى فلا سبيل ولا حجة في القتل في الحرم والشهر الحـــرام الا على الظالمـــين .

قال قتادة وعكرمة في هذه الآية : الظالم : الذى أبى أن يقول : لا اله الا الله [2] .

وانما سمي الكافر ظالما ، لوضعه العبادة في غير موضعها .

وقيل معناه : فلا عـدوان الا على الذ ين يبد أون بالقتال . [3]

ومن الدليل على أن هذه الآيـة غيرناسخة للأولى : أنها معها في خطاب واحـد ، ولا يصح النسخ الا بعد التمكن من الفعـل .

---

(١) في ط " ترشدهم " .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ١٩٥/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٣٤/١

(٣) روى هـــذا عن مجاهـــد .

انظر : تفسير الطبرى ١٩٦/٢ ، وتفسير ابن كثـير ٢٣٤/١

الآيـــة : ١٩٣ ، ١٩٤

قال ابن عباس : فسار النبي صلى الله عليه و سلم ، فأخلى له أهل مكة الحرم ثلاثة أيـام ، فد خـل هو وأصحابه وطـافوا ونحـروا الهـد ى ، وأقاموا بمكـة حتى قضوا حاجتهم من البيـت ثم رجعوا . فأنزل الله [1] قولـه تـعالى :

(١٩٤) (ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِالشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَالْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ) :

أى الشـهر الذ ى د خلت فيه مكـة وهو ذ و القعد ة ، واعتمرت فيه أنت وأصحابـك ، وقضيتم من مكـة فيـه وطركم في سنة سبع بالشهر الحرام ، وهو ذ و القعد ة أيضـا الذ ى صد وك فيـه عن البيت أنت وأصحابك ، ومنـعوكم من مرادكم في سنة ست .

وقولـه تـعـالى (وَالْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ) أى اقتصصت لكم منهم في الشهر الحـرام ، في ذ ى القعد ة كما / صد وكم في شهر ذ ى القعد ة مراغمة . (٦٨/أ)

والحرمات قصاص : جمع الحرمـة ، كالظلمات جمع ظلمة ، والحجرات جمع حجرة .

والحرمـة : ما يجب حفظـه وترك انتهاكـه ، وانما جمـع الحرمات لأنه أراد الشهـر **الحـرام** والبـلـد الحـرام وحرمـة الإحـرام .

والقصـاص : المساواة ، وهـو أن يفعل بالفاعـل كمـا فعـل .

قولـه عـز وجـل (فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ) :

أى فمن اعتد ى عليكم بالقتال في الحرم فكافئـوه وقاتلوه كمثل ما فعل .

وسمي الجزاء اعتـد اء على مقابلة اللفظ .

قولـه تـعالى (وَاتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ) أى اتقوا الله في كـل ما أمرتم به و نهيتم عنه ، واعلموا أن الله مع المتقين بالنصر والمعونة .

---

(١) انظر : زاد المسير ٢٠١/١ ، وتفسير القرطبي ٣٥٤/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٣٥/١ . وقد روى ذ لك أيضا عن الضحاك والسد ى و قتاد ة ومقسـم والربيـع بـن أنـس وعطـاء .

الآيـــــــة : ١٩٥

(١٩٥) قولـه عـز وجـل ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ :

وفي هذه الآيـة نـهي عَن البخل ، معناه : تصدقوا يا أهل الميسرة [١] ، ولا تمسكوا عن الانفاق في سبيل الله ، فان البخل والامساك عن ذلك هو الهلاك .

وهـذا قول حذيفـة ، والحسن ، وعكرمـة ، وعطاء ، والضحاك . [٢]

قال ابن عباس في هذه الآيـة : انفق في سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم واحـد ، ولا يقولن أحدكم اني لا أجد شيئا . [٣]

وقال السدى : أنفق في سبيل الله ولو عقالا . [٤]

وقولـه تعالى ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ معناه : ولا تلقوا أنفسكم ، فعبر بالبعض عن الكل ، كقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [٥] و ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [٦] ، وانما حذف ذكر النفس هنا لأن في الباء دليلا عليه . والباء زائـدة [٧] ، كقولـه تعالى ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ . [٨]

والعرب لا تقول : ألقى بيده ، الا في الشر .

والالقاء في التهلكة معناه : لا تمسكوا بأيديكم عن الصدقة في الجهاد ، فتهلكوا .

وقيل : هو الاسراف في الانفاق حتى لا يبقى له شيء يأكله ، فيتلف . [٩]

---

(١) في أ " المسيرة " . والتصويب من ط ، م .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٢/٢٠٠ ـ ٢٠٢ ، وتفسير ابن كثير ١/٢٣٥

(٣) انظر : تفسيرالطبرى ٢/٢٠١ ـ ٢٠٢ ، وتفسير البغوى ١/١٦٤

(٤) انظر : المصدرين السابقين .

(٥) آل عمـــران ١٨٢

(٦) الشـــورى ٣٠ (وما أصابكم من مصيبـــة فبما كسبت أيدكم) .

(٧) تقدم التنبيه على مثل هذا ، وأنه ليس في القرآن حرف زائد لا معنى له .

(٨) المؤمنـــون ٢٠

(٩) انظر : الكشاف ١/٢٣٧ ، والبحر المحيط ٢/٧٠

الآيـــة : ١٩٥

وقيـل : هوأن يخرج بين الصفين ، فيستقبل من غير قصد نكاية العدو .[١]

وقيل : معنى قوله (**وَلَا تُلْقُوْا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**) : أي لا تقل ليس عندى شيء .

وقـــال الحسن : انهم كانوا ينفرون[٢] للغزو ولا ينفقون من أموالهم ، فأنزل[٣] الله هذه الآيـــة .

وقال مقاتل : لما أمر الله بالانفاق ، قال رجل : أمرنا بالنفقة في سبيل الله ، فان أنفقنا أموالنا بقينا فقرة ذوى مسكنة ، فقال[٤] الله تعالى : (**وَلَا تُلْقُوْا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**) يعني أنفقوا ولا تخشوا الفقر ، فاني رازقكم ومخلف عليكم .

وعن أبي الدرداء[٥] ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وجابر ، وأبي أمامة[٦] ، والحسن بن علي بن أبي طالب[٧] ، وعمران بن الحصين[٨]

---

(١) انظر : الكشاف ٢٣٧/١ ، والبحر المحيط ٧٠/٢

(٢) في ط " يسافرون " .

(٣) انظر :الدر المنثور ٤٩٩/١

(٤) في ط " فأنزل " .

وانظر : تفسير االبغوى ١٦٤/١ وحكاه البغوى أيضا عن سعيد بن المسيب .

وأخرج الطبرى نحوه عن عكرمة . انظر : تفسير الطبرى ٢٠١/٢ ـ ٢٠٢

(٥) هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصارى ، أبو الدرداء ، مختلف في اسم أبيه ، وأما هو فمشهور بكنيته ، وقيل اسمه عامر ، وعويمر لقب له ، صحابي جليل ، أول مشاهده أحد ، وكان عابدا ، مات في أواخر خلافة عثمان .

التقريب ص ٤٣٤

(٦) هو صُدى ـ بالتصغير ـ ابن عجلان ، أبو أمامة الباهلي ، صحابي مشهور ، سكن الشام ومات بها سنة ٨٦ هـ . انظر: التقريب ص ٢٧٦

(٧) هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد صحبه وحفظ عنه ، مات شهيدا بالسم سنة تسع وأربعين ، وقيل : بعدها .

انظر : التقريب ص ١٦٢

(٨) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي ، أبو نجيد ـ مصغرا ـ أسلم عام خيبر ، وصحب ، وكان فاضلا ، وقضى بالكوفة ، مات سنة ٥٢ بالبصرة .

التقريب ص ٤٢٩

الآيـــة : ١٩٥

كلهم حدثوا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : " من أرسل نفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ، ومن غزا بنفسه فأنفق فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم " ثم تلا هذه / الآية ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ .(١)

وعن عكرمة أنه قال : معنى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أي ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ .(٢)

وقال زيد بن أسلم(٣) : ان رجالا كانوا يخرجون في بعوث يبعثها رسول الله صلى الله عليه و سلم بغير نفقة ، فاما أن يعطوهم ، واما كانوا عيالا ووبالا ، فأمرهم الله تعالى بالانفاق(٤) على أنفسهم في سبيل [الله](٥) ، فاذا لم يكن عندك ما تنفق فلا تخرج نفسك بغير نفقة ولا قوة ، فتلقي بيدك الى التهلكة فتهلك من الجوع والعطش أو من المشي .(٦)

والتهلكة : مصدر ، بمعنى الاهلاك ، وهو تفعلة من الهلاك . ولم يجيء في كلام العرب مصدرا على " تفعُلة " بضم العين الا هذا .

وقال بعضهم : التهلكة : كل شيء تصير عاقبته الى الهلاك .

---

(١) البقرة ٢٦١

والحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد : باب فضل النفقة في سبيل الله تعالى وذكره ابن كثير في تفسيره ٣٢٥/١ وعزا تخريجه لابن أبي حاتم ، ثم قال : وهذا حديث غريب .

(٢) البقرة ٢٦٧

وانظر : تفسير القرطبي ٣٦٣/٢

(٣) هو زيد بن أسلم العدوي ، مولى عمر ، أبو عبد الله وأبو أسامة ، المدني ، ثقة عالم ، وكان يرسل ، من الثالثة ، مات سنة ١٣٦ هـ . انظر : التقريب ص ٢٢٢

(٤) في أ "بانفاق" . والتصويب من ط ، م .

(٥) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٦) انظر :تفسير البغوي ١٦٤/١ ، وتفسير ابن كثير ٢٣٦/١

الآيـــــة : ١٩٥

قولـه عـز وجـل (وَأَحْسِـنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِـنِينَ)

أي أحسنوا في النفقـــة والافضـــال على المحتاج .

وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : التهلكة : عذاب الله .(١)

فمعنى قوله (وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ) أي لا تتركوا الجهاد فتعذبوا ، دليله قوله تعالى (إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) .(٢)

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من مات ولم يغـــــــز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق " .(٣)

وقال ابن سيرين : الالقاء في التهلكة : هو القنوط من رحمة الله .(٤)

وقال أبو قلابـــة(٥) : هو الرجل يصيب الذنب فيقول : قد هلكت ، ليس لي توبة ، فييأس من رحمة الله تعالى وينهمك في المعاصي ، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك .(٦)

وسئل بعضهم عن الالقاء باليد في(٧) التهلكة : أهو الرجل يحمل على الكتيبة وهـــــم ألف بالسيف ؟ قال : لا . ولكنه الرجل يصيب الذنب ، فيقول : قد هلكت ، لا توبة لي .(٨)

---

(١) أخرجه الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس . تفسير الطبري ٢٠٥/٢ وانظـــــر : تفسير ابن كثـــير ٢٣٦/١

(٢) التوبـــــــة ٣٩

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الامارة : باب : ذم من مـــات ولم يغـز ولم يحـــــدث نفســـه بالغزو .

(٤) انظر : تفسير البغوي ١٦٥/١ وحكاه أيضـــــــا عن عبيدة السلماني . وانظر : تفســـــــير الطبري ٢٠٣/٢

(٥) هو عبد الله بن زيد بن عمرو، أو عامر، الجرمي ، أبو قلابة البصري ، ثقة فاضـــل كثير الارسال ، قال العجلي : فيه نصب يسير . من الثالثة ، مات بالشام هاربا مـــن القضاء سنة أربع و مائة . وقيل بعدها . انظر : التقريب ص ٣٠٤

(٦) انظر : تفسير البغوي ١٦٥/١ وروى نحوه أيضا عن النعمان بن بشير ، وعبيـــدة السلماني ، والحسن ، وابن سيرين . انظر : تفسير ابن كثير ٢٣٦/١

(٧) في ط " الى التهلكة " .

(٨) أخرجه الطبري عن البراء بن عازب . تفسير الطبري ٢٠٣/٢

الآيـــــة : ١٩٥ ، ١٩٦

وقال الفضيل بن عياض في هذه الآيـة : (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) باساءة الظـــن بالله ، فأحسنوا الظن بالله [١] (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) الظن بالله عز وجل .

(١٩٦) قولـه عـز وجـل (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ)

اتمامها : أن تحرم بهما من دويـرة أهـــلك . [٢]

وقيل : اتمام العمرة الى البيت ، واتمام الحج الى آخر الحج كله . [٣]

وقيل : اتمامها : أن تكون النفقة حلالا ، وينتهي عن جميع ما نهى الله عنـــه [٤] ويأتي بجميع ما شرع الله من المشاعر والمواقـف .

وقيل : أتموا الحج والعمرة من المواقيـت . [٥]

قولـه عـز وجـل (فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ)

أي ان منعتم من البيت بعد ما أحرمتم بحج أو عمرة فأردتم الاحلال فعليكم ما تيسـر من الهـــــدى .

---

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٥٢/٢

(٢) روى هذا المعنى عن علي ، وسعيد بن جبير ، وطاوس .
انظر : تفســـــير الطـبرى ٢٠٧/٢

(٣) روى هذا عن ابن عباس ، والربيع ، وعلقمة ، وابراهيم النخعي .
انظـــر : المصدر السابـــق .

(٤) حكاه البغوى عن الضحاك . تفسير البغوى ١٦٥/١

(٥) حكاه ابن كثير عن مكحـول . تفسير ابن كثير ٢٣٧/١
قال أبو بكر ابن العربي : حقيقة الاتمام للشيء استيفاؤه بجميع أجزائه وشروطـه ، وحفظه من مفسداته ومنقصاتـه ، وكل الأقوال محتمل فـي معنى الآيـة .
أحكام القرآن ١٦٨/١
وقال ابن كثير : ظاهر السياق اكمال أفعالهما بعد الشروع فيهما .
تفسير ابن كثير ٢٣٧/١

الآيـــة : ١٩٦

وقال ابن عباس : أعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة .(١)

يبعث المحصر بها الى مكة ، ويواعد هم اليوم الذى يذ بحونه(٢) عنه ، فاذا ذبح عنه حل(٣) ورجع الى أهله ، ثم يقضي ما كان أحرم به .(٤)

قوله عز وجل (وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ) : أى لا يحلق أحدكم رأسه ولا يحل من / الاحرام حتى يبلغ الهدى الحرم ، أى حتى يعلم (٦٩/أ) أن هديه قد ذبح عنه في الحرم .(٥)

---

(١) المشهور أن هذا قول قتادة والحسن .

انظر : تفسير البغوى ١٦٩/١ ، وزاد المسير ٢٠٥/١

أما ابن عباس وجمهور السلف فقد قالوا في تفسير قوله تعالى (فما استيسر من الهدى) أن المراد به شاة .

قال ابن كثير : وهو مذهب الأئمة الأربعة .

انظر : تفسير الطبرى ٢١٥/٢ - ٢١٧ ، وتفسير ابن كثير ٢٣٨/١

(٢) في أ " يذ بحوه " . والتصويب من ط .

(٣) روى هذا عن ابن مسعود ، وعطاء ، وطاووس ، ومجاهد ، والحسن ، وابن سيرين ، والثورى ، وهو مذهب أبي حنيفة .

انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٣٩/١ ، وزاد المسير ٢٠٥/١

(٤) وذلك إن كان إحرامه لفرض ، أما ان كان الحج تطوعا فلا قضاء عليه عند الجمهور . وذهب الأحناف الى أن عليه القضاء .

انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٤٧/١ - ٣٤٨ ، والافصاح ٣٠١/١ ، وتفسير البغوى ١٦٩/١ ، وتفسير القرطبي ٣٧٦/٢

(٥) هذا على مذهب أبي حنيفة ، أما الجمهور فلا يشترطون بلوغ هدى المحصر للحرم ، بل محله حيث أحصر ، فيذ بحه في الموضع الذى أحصر فيه ، ثم يتحلل .

انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٣٩/١ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١٧٥/١ وأحكام القرآن للكيا الهراسي ٩٢/١ - ٩٣ ، وزاد المسير ٢٠٥/١

قال القرطبي : وانما ينحر حيث حل ، اقتداء بفعله عليه السلام بالحد يبية ، وهو الصحيح الذى رواه الأئمة ، ولأن الهدي تابع للمهدي ، والمهدي حل بموضعه ، فالمهدى أيضاً يحل معه .

تفسير القرطبي ٣٧٩/٢

الآيـــة : ١٩٦

قـولـه عـز وجـل (فَمَـن كَـانَ مِنكُـم مَّرِيضـاً) أى من كان مريضا من المحرمـين ، محصريـــن أو غير محصرين ، فلم يستطع الاقامـة علـى شروط الاحرام ، فعجل وفعل شيئا مما يفعـــــله الحـلال قبل أن ينحر عنـه الـهدى .

(أَوْ بِـهِ أَذًى مِّـن رَّأْسِـهِ) أى أوكان في رأسه قمـل يؤذيـه لا يستطيع أن يصبر عليه ، فحـلق رأسه ، فعليه ــ فداء ما صنع ــ صيام ثلاثـة أيام ، أو صدقة على ستة مساكين لكل مسكـــين نصف صاع من بر أو صاع من تمر أو صاع من شعير ، أو شاة يذبحها في الحرم .

روى عن كعب بن عجرة [١] أنه قال : نزلت هـذه الآية فيّ ، مرّ بي رسول الله صـــلى الله عليه و سلم والقمل يتناثر على وجهي ، فقال لي : " أتؤذيك هوام رأسك " ؟ قلت : نعم. قال : " احلق رأسك وأطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من حنطة ، أو صم ثلاثة أيـام ، أو انسك بنسيكة " .[٢]

قولـه تعـالى (فَإِذَآ أَمِنـتُمْ فَمَـن تَمَتَّـعَ بِالْعُمْـرَةِ إِلَى الْحَـجِّ فَمَـا اسْتَيْسَـرَ مِـنَ الْهَـدْيِ)

أى فاذا أمنتم الموانـــع ، من المرض والعدو وكل مانـــع .

يقال : في الآيـة اضمار تقديره : فاذا أمنتم من العدو وبرأتم من المرض فاقضوا ما كنـــتم أحرمتم بـه قبل الاحصار من حج أو عمـــرة .

---

(١) هو كعب بن عجرة الأنصارى المدني ، أبو محمد ، صحابي مشهور ، مات بعـــــد الخمسين . التقريب ص ٤٦١

(٢) أخرجه البخارى في كتاب الاحصار وجزاء الصيد : باب قول الله تعالى : (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) .
ومسلم في كتاب الحج : باب جواز حلق الرأس للمحرم اذا كان به أذى .
وقوله " من حنطة " لم أجده من لفظ الحديث فيما وقفت عليه من كتـــــب الحديث ، فلعلـه تفسير من المؤلف للاطعام المذكور . والله أعلم .
وقد ورد في رواية عند مسلم : " أو أطعم ثلاثة آصع من تمر على ستة مساكين " .
وفي أخـــرى : " أو اطعام ستة مساكين نصف صاع طعاما لكل مسكين " .
و عند أبي داود : " أو أطعم ستة مساكين فرقا من زبيب " .
انظر : سنن أبي داود : كتاب المناسك : باب في الفدية . حديث ١٨٦٠

الآيـــة : ١٩٦

قولـه تعـالى (فَمَـن تَمَتَّـعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ) أى من بدأ بالعمرة في أشهر الحج وأقام بمكـة في عامـه للحج فحج من غير أن يرجع الى أهلـه ، فعليه ما تيسر من الهدى ·

وقولـه تعـالى (فَمَـن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَـةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْـتُمْ) : أى فمـن لم يجد الهدى ولا ثمنـه (١) فعليه صيام ثلاثـة أيام في الحج ، يصومها قبل يوم النحـر متتابعا ومتفرقا ، وصام (٢) سبعة أيام اذا رجع الى أهله ·

ويقال : اذا رجع من منى · ويقال : اذا رجع الى ما كان عليه ، أى فرغ من أمر الحج · (٣)

قولـه تعـالى (تِلْـكَ عَشَـرَةٌ كَامِلَةٌ) أى كاملة للثواب · وقيل : كاملة للهدى ·

قولـه تعـالى (ذَٰلِـكَ لِمَـن لَّمْ يَكُـنْ أَهْلُـهُ حَـاضِرِي الْمَسْجِـدِ الْحَرَامِ) : أى ذلك التمتـع والهدى لمن لم يكن أهلـه حاضرى مكـة ·

قـولـه تعـالى (وَاتَّقُـوا اللَّـهَ وَاعْلَمُـوا أَنَّ اللَّـهَ شَـدِيـدُ الْعِقَابِ) : أى اتقوا الله في جميـع ما أمرتـم بـه ونهيتم عنـه ·

وقد اختلف السلف في وجوب العمرة :

فروى عن ابن مسعود ، والشعبي ، وابراهيم النخعي : أنها تطوع · وبه قال أبو حنيفـة وأصحابـه ، ومالك · (٤)

---

(١) ليشترى به طعاما فيتصدق بـه · وفي م " ولا عنـه " ·

(٢) في ط ، م " وصيام " ·

(٣) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٧٢/١ ، وتفسير القرطبي ٤٠١/٢ ـ ٤٠٢ ، وتفسـير ابن كثير ٢٤١/١ ، وزاد المسير ٢٠٧/١

قلـت : الذى عليه جمهور السلف أن المراد بقوله تعالى (وسبعة إذا رجعتم) : أي إذا رجعتم إلى أهليكم وأوطانكم ·

انظر : المصادر السابقة ، وتفسير الطبرى ٢٥٣/٢ ـ ٢٥٤ ، وتفسـير البغـوى ١٧٠/١

(٤) انظر : تفسير الطبرى ٢١٠/٢ ، وأحكام القرآن للجصاص ٣٢٨/١ ـ ٣٢٩ وأحكام القرآن لابن العربي ١٦٩/١ ، وزاد المسير ٢٠٤/١

الآيـــة : ١٩٦

وعن عائشة وابن عباس وابن عمر ومجاهد : أنها واجبة . وبه قال الشافعي .[١]

ولا دلالة في هذه الآية على الوجوب ، لأن لفظ الاتمام يقتضي نفي النقصان عنها اذا فعلت ، لأن ضد التمام هو النقصان .[٢]

وقرىء " والعمرةُ لله " بالرفع[٣] ، على معنى الابتداء .

ومن نصب العمرة احتمل أن يكون للابتداء ، لكن نصبها اتباعا للحج . كذا قال الزجاج .[٤]

وقوله تعالى (لِلَّهِ) فان أهل الجاهلية كانوا يشركون في احرامهم ، كانوا يقولون : لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك .[٥] تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

فأمر الله تعالى / باخلاص القول والعمل لله تعالى . (٦٩/ب)

---

(١) انظر : تفسير االبغوي ١٦٦/١ ، وزاد المسير ٢٠٤/١ ، وتفسير القرطبي ٣٦٨/٢ وأحكام القرآن للجصاص ٣٢٨/١ ـ ٣٢٩

(٢) انظر أحكام القرآن للجصاص ٣٢٩/١ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١٦٩/١ وانظر الخلاف في وجوب العمرة مع ذكر الأدلة في : المحلى لابن حزم ٣٦/٧ ـ ٤٢ والمغني لابن قدامة ٢٢٣/٣ ـ ٢٢٤ ، وبداية المجتهد ٣٧٥/١ ـ ٣٧٦ ، ونيل الأوطار ٢/٥ ـ ٧

(٣) وهي قراءة شاذة ، وقد رويت عن علي وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر والشعبي وأبي حيوة .

انظر : البحر المحيط ٧٢/٢ ، ومختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص ١٢

(٤) انظر بمعناه : معاني القرآن للزجاج ٢٦٦/١

(٥) انظر : تفسير القرطبي ٣٦٦/٢

الآيـــة : ١٩٦

وأما لفظ الاحصار فقد ذكر الكسائي وأكثر أهل اللغة : أن الاحصار هو أن يكون بمـــرض أو عـد و . والحصر : أن يكون بحبس عد و ، يقال : أحصره المرض أو العد و فهو محصـــر ، وحصره العد و فهو محصـــور . (١) وهـذا على مذهبنا مستمر . (٢)

وقال الفراء : لا فرق بين الحصر والاحصار ، وهما شريكان في المعنى . (٣)

وهـذا قريب من مذهب الشافعي ، فان عنده لا يكون المريض محصرا ، ولا يكون الاحصـــار الابالعد و ، فأما المريض فلا يتحلل بالهد ى وان لم يقدر على الذهاب . (٤)

وأنكر المبرد (٥) والزجاج على الفراء ، وقالا : ان الحصر والاحصار مختلفان في المعـــنى ، ألا ترى أنك تقول : حبست الرجل اذا جعلته في الحبس ، وأحبسته (٦) اذا عرضته للحبس . (٧)

---

(١) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٩/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٦٧/١ ، والكشاف ٢٣٩/١ ـ ٢٤٠ ، وتفسير القرطبي ٣٧١/٢

(٢) يعني مذهـــب الأحناف .

انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٣٤/١ ، والكشاف ٢٤٠/١ .

(٣) انظر : معاني القرآن ١١٧/١ ـ ١١٨

(٤) وروى هـذا أيضا عن ابن عمر وابن عباس وأنس . وهو مذهب مالك وأحمـــد .

انظر : تفسير البغوى ١٦٨/١ ، وزاد المسير ٢٠٤/١ ، وتفسير القرطبي ٣٧١/٢ ـ ٣٧٤ وقد بسط الشيخ الشنقيطي رحمه الله الخلاف في هـذه المسألة .

انظـر : أضـواء البيـــــان ١٢٢/١ ـ ١٢٨

(٥) هو محمد بن يزيـــد بن عبد الأكبر الأزدى البصرى ، أبو العباس المبرد ، امـــام العربيـــة ببغداد في زمانه ، كان ثقة اخباريا علامـــة ، صاحب نوادر وظرافـــة ، مات سنة ٢٨٥ هـ ببغـــداد .

انظـر : بغيـــة الوعـاة ٢٦٩/١ ـ ٢٧١

(٦) في ط ، م " واحتبسته " .

(٧) انظـــر : معـاني القـــرآن للزجـــاج ٢٦٧/١ ، وأحـكام القـــــرآن للجصـــاص ٣٣٤/١

الآيـــة : ١٩٦

والهد ى في اللغـــة : اسم لما يهـــد ى الى البيت ، وهو جمع هـد يـة ، كمـا يقـال : جـد ى وجد يـــــة .

و عن عائشة وابن عمر أنهما قالا : ان الهـد ى انما يكون بقـرة أو بد نـــة .(١)

وفائد ة قوله (فَمَا اسْتَيْسَرَ) (٢) على هـذ ا القول التخيير بين أعيـــان الابل والبقر .

ولا يجوز من كل شيء الا الثـني فماعدا ، الا الجذ ع من الضأن فانه يجزىء على ما ورد فـــي الأضحيـــة ، وهو ما مضى لـه ستة أشهـر .

والثني : البالغ من كل شيء ، وهو عند الفقهاء في الغنم ما له سنة ، وفي البقر ما له سنتان، وفي الابل ماله خمس سنين .(٣)

واختلفوا في المحل المذكـور في قوله (حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ) :

قال (٤) ابن مسعود وابن عباس و عطاء وطاووس ومجاهد : محله : منحره ، وهو الحرم .(٥)

وقال مالك والشافعي : محله : الموضع الذ ى أحصر فيـــه .(٦)

فيكون معنى (حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ) أى ينحر الهـد ى فيحل أكـله .

---

(١) انظـر : زاد المســير ٢٠٥/١ ، وتفسير ابن كثـــير ٢٣٨/١

(٢) في ط زاد قوله تعالى " من الهـد ى " .

(٣) انظر : المغني لابن قد امـة ٥٥٢/٣ ـ ٥٥٣

(٤) في ط " فقال " .

(٥) وهـذ ا أيضا مذ هـب أبي حنيفـــة .
انظـر : أحكام القرآن للجصاص ٣٣٩/١ ، وزاد المسير ٢٠٥/١

(٦) انظـــر : المصـــد ريـن السابقـــين .
وقـــد تقـــد م الخـــلاف في ذ لك .

الآيـــة : ١٩٦

وظاهر الآية يقتضي أن يبلغ الهدى بعد الاحصار مبلغا لم يكن بالغا [١] قبل ذلك ٠ ولو كان موضع الاحصار محلا للهدى لكان بالغا محله لوقوع [٢] الاحصار ، وأدى ذلك الى بطلان [٣] الغاية المذكورة في الآيـة ٠ [٤]

وأما قوله في شأن الحديبية (وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ) [٥] فهو حجة في أن المحل هوالحـــرم ٠ [٦] وليس في تلك الآية ببيان موضع الذبح أنه كان في الحل أو الحـــرم ،

---

(١) في ط " بالغا اياه قبل ذلك " ٠

(٢) في ط " قبل وقوع الاحصار " ٠

(٣) في أ " بطلان " ٠ والتصويب من ط ، م ٠

(٤) هذا التعليل من المؤلف انتصار لمذهب أبي حنيفـــة ٠

وانظر الخلاف في هذه المسألة في : المغني ٣/٣٥٦ ـ ٣٥٨ ، وبداية المجتهد ١/٤١١ ـ ٤١٢ ، وفتح الباري ٤/١٥ ، وأضواء البيان ١/١٣٣ ـ ١٣٤

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله : والتحقيق في هذه المسألة هو التفصيل الـــذي ذهب اليه ابن عباس ، وهو أنه ان استطاع ارسال الهدى الى الحرم أرسله ، ولا يحل حتى يبلغ الهدى محله ، اذ لا وجه لنحر الهدى في الحل مع تيسر الحرم ٠ وان كان لا يستطيـع ارساله الى الحرم نحره في المكان الذي أحصر فيـــه من الحـــل ١٠ هـ ٠

(٥) الفـــتح ٢٥

(٦) قلـــت : بل احتج الجمهـور بذلك على أن المحل هو موضع الحصـــر ٠ قال القرطبي : " المحل : الموضع الذي يحل فيه ذبحه ، فالمحل في حصر العـدو عند مالك والشافعي موضع الحصـــر ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية ، قال الله تعالى (والهدى معكوفا أن يبلغ محله) قيـــل : محبوسا اذا كان محصـــرا ممنوعـا من الوصـول الى البيت العتيـق " ٠

تفسـير القرطـــبي ٢/٣٧٩ ، وانظـــر : تفســـير ابن كثـــير ١/٢٣٨ ـ ٢٣٩

الآيـــــة : ١٩٦

فيحتمل أن الهدى كان ممنوعا عن الحرم ، ولما [١] وقع الصلح أطلقوا الهدى حتى ذبح في الحـــــرم . [٢]

وذهب أبو يوسف [٣] ومحمد [٤] الى أن هدى المحصر بالحج مؤقت بيوم النحر [٥] ، وليس في هذه الآية أن المراد بالمحل الزمان ، لأن قوله (فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ) عائد الى الحج والعمرة المذكورين في أول هذه الآيـــة .

ولا خلاف أن هدى المحصر بالعمرة غير مؤقت بيوم النحـــر .

وفي ظاهر قوله تعالى (وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ) دليل أن المحصر اذا لم يجد الهدى لا يحل حتى يجد الهدى فيذبح عنه . [٦]

---

(١) في ط " ثم لما وقع " .

(٢) قلت : قد صح عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه ذبح هديه عام الحد يبية بالحد يبية ، وهي خارج الحرم ، وذلك حين حصره كفار قريش عن الدخـــول الى الحـــرم .

انظر : صحيح البخارى : كتاب المغازى : باب عمرة القضاء .

ومسلم : كتاب الجهاد والسير : باب صلح الحد يبية .

(٣) هو يعقوب بن ابراهيم ، الأنصارى الكوفي ، أبو يوسف ، القاضي الامام العلامة ، فقيه العراقيين ، صاحب أبي حنيفة . قال ابن معين : ليس في أصحاب الرأى أحد أكثر حد يثا ولا أثبت منه . مات سنة ١٨٢ هـ .

انظر : طبقات الحفاظ ص ١٢١ ــ ١٢٢

(٤) هومحمد بن الحسن الشيباني ، مولى لبني شيبان ، حضر مجلس أبي حنيفة سنتين ، ثم تفقه على أبي يوسف ، وصنف الكتب الكثيرة ، ونشر علم أبي حنيفة . مات بالرى سنة ١٨٧ هـ .

انظر : طبقات الفقهاء للشيرازى ص ١٣٥

(٥) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٤٢/١

(٦) وهذا مذهب أبي حنيفة .

انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٤٩/١

الآيـــة : ١٩٦

وقال عطـاء : يصوم عشرة أيام و يحـل ، كالمتمتع اذا لم يجـد .(١)

فصـــل : واذا لم يصم الثلاثـة الأيام قبل يوم النحر ، أعني المتمتع والقارن . فقد اختلفوا في / ذلك : فقال عمر ، وابن عباس ، وابن جبير : لا يجزئـه الا الهدى ولا يحـــل الا بـه . وهـو قول أبي حنيفـة وأصحابـه .(٢) (٧٠/أ)

وقال ابن عمر و عائشة : يصوم أيام منى . وهو قول مالك .(٣)

وقال عليّ كرم الله وجهه : يصوم بعد أيام التشريق . وهو قول الشافعي .(٤)

والفائدة في قوله (تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) أنه كان يجوز أن يتوهم متوهم أن البدل لا يلحق بالمبدل في الثواب ، فبين الله تعالى أنـه في الكمال بمنزلة المبدل أن لو فعله . ويقال : ان الـواو قد جاءت في القرآن بمعنى " أو " التي هي للتخيير ، كما في قوله تعالى (فَانكِحُوا مَاطَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ) .(٥) فربما يتوهم أن هـذا مثل ذلك ، فأكـد الله تعالى صوم العشـر كلها بقولـه : (تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) لازالة هذا الاشكال .(٦)

---

(١) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٤٩/١

وانظر الخلاف في هذه المسألة في : المغني لابن قدامة ٣٦١/٣ ، وأضواء البيـــان ١٣٥/١ ـ ١٣٦ .

(٢) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٦٨/١ ، وزاد المسير ٢٠٧/١

(٣) انظر : المصدرين السابقين . وتفسير البغوى ١٧٠/١ ، وتفسير القرطـبي ٣٩٩/٢ ـ ٤٠٠ ، وتفسير ابن كثـير ٢٤١/١

(٤) انظر : المصادر السابقـة .

(٥) النسـاء ٣

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٦٨/١ ـ ٢٦٩ ، وزاد المسـير ١ / ٢٠٧ وتفسـير القرطبي ٤٠٢/٢ ـ ٤٠٣

وذكر الزمخشري أن هذا من باب التأكيـد ، وذلك ليعلم العدد جملة كما عـلم تفصيـلاً ليحاط بـه ، وكذلك كاملة تأكيد آخر ، وفيه زيادة توصية بصيامهـا وأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عـددهـا .

انظر : الكشاف ٢٤١/١ ـ ٢٤٢

الآيـــــة : ١٩٦

فصـــــل : واختلفـــوا في حاضـــــر [١] المسجـــد الحـــرام :

فقـــال عطـــاء ومكحـــول [٢] : هم كل من د ون المواقيـت الى مكـــــة . [٣]

وهـو قول أبي حنيفـــة وأصحابـــــه . الا أن أبا حنيفـة وأصحابـه يقولون : أهل المواقيـت بمنزلـة من د ونهـــا [٤] ، لأنـهم كلـهم في حكم أهل مكـة يجوز لـهم د خولها بـغير احرام .

وقال ابن عباس ومجاهـــد : هم أهـل الحـــرم . [٥]

وقال الحســن وطاووس ونافع : هـم أهـل مكـــــة . [٦]

وقال الشافعي : هم من كان د اره د ون ليلتين من مكـــة . [٧] وذ لك مقـد ار أقـــــــــرب المواقيـــت الى مكـــــــة .

وظاهر قوله تـعالى ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يقتضي الاشـــارة الى الهـد ى والمتعـة جميعـا . ولا تباح المتـعة والقران لأهل المواقيت ومن د ونـها الى مكة . [٨]

---

(١) في ط ، م " حاضرى " .

(٢) هو مكحول بن عبد الله الشامي ، أبو عبد الله ، ثقة فقيه كثير الارسال ، مشهـــور ، من الخامسة . مات سنة بضع عشرة ومائـــة .

انظر : التقريب ص ٥٤٥ ، وطبقات الفقهاء للشيرازى ص ٧٥

(٣) انظر : تفسير الطبرى ٢٥٥/٢ ـ ٢٥٦ ، وأحكام القرآن للجصاص ٣٦٠/١

(٤) أحكام القرآن للجصاص ٣٦٠/١

(٥) انظر : المصد رين السابقين .

(٦) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٦٠/١ . وهو قول مالك .

انظر : تفســير القرطـــبي ٤٠٤/٢

(٧) انظر : تفسير البغوى ١٧١/١ ، وتفسير ابن كثير ٢٤٢/١ ، والمنهاج للنـــووى مع شرحه مغني المحتاج للخطيب الشربيني ٥١٥/١

(٨) وهذا على مذ هب أبي حنيفـــــة .

انظر : أحـكام القرآن للجصـــاص ٣٦٠/١ ، والكشاف ٢٤٢/١

الآيـــة : ١٩٦، ١٩٧

وذهب الشافعـــي الى أن قولـه (ذلـك) اشارة الى الهدى دون المتعة والقران ، فيجـــوز عنـد ه المتعـة والقـران لأهل مكـة ، لكن لا هـد ى عليهم . (١)

(١٩٧) قولـه عـزوجـــل (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ) :

فيهـذ ه الآيـة تقد يـر حـذ ف مبتـد أ تقد يـره : مـد ة الحج أشهر معلومات .

ويقال : الحج في أشهر معلومات . ومثله (غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ) . (٢)

أى مـد ة غـد وهـا ومـد ة رواحها . (٣)

واختلفوا في هـذ ه الأشهر : فقال ابن عباس و أكثر المفسرين : انها شـــــوال وذ و القعد ة وعشـــر من ذ ى الحجة . (٤)

وأما من قال : انها شوال و ذ و القعد ة و ذ و الحجة (٥) ، فليس باختـــــلا ف ،

---

(١) انظر : تفسير البغوى ١٧١/١ ، وتفسير القرطبي ٤٠٤/٢

قلـــت : الذ ى عليه المحققون من العلماء : أن المراد ب (حاضرى المسجـــد الحرام) هم أهل الحرم ، ومن بينه و بينه مسافة لا تقصر فيها الصلاة ، فهـــــو قريب في حكم الحاضر ، بد ليل أنه اذ ا قصد ه لا يترخص رخص السفر .

انظر : تفسير الطبرى ٢٥٦/٢ ، والمغني لابن قد امة ٤٧٣/٣ ، والمجمـوع شرح المهذ ب ١٥٢/٧ ، وأضواء البيان ٥٠٧/٥ ـ ٥٠٨

(٢) ســـبأ ١٢

(٣) في ط كلمة " شهر " بعد قوله " ومد ة رواحها " .

(٤) حكاه ابن كثير عن عد د كبير من السلف ، وقال : وهو مذ هب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وأبي يوسف وأبي ثور رحمهم الله ، واختار هذ ا القول ابن جريـــر قال : وصح اطلاق الجمع على شهرين وبعض الثالث للتغليب ، كما تقول العرب : رأيتـه العام ، ورأيتـه اليوم ، وانما وقع ذ لك في بعض العام واليوم ١ هـ .

تفسير ابن كثـير ٢٤٣/١

(٥) روى هـذ ا عن جماعة من السلف ، منهم ابن عمر ومجاهد و عطاء والربيع بن أنـــس وقتاد ة وطاو س وابن شهاب و عروة بن الزبير .

وحكاه ابن كثير عن الامام مالك والشافعي في القد يم .

انظر : تفسير الطبرى ٢٥٨/٢ ـ ٢٥٩ ، وتفسير ابن كثير ٢٤٣/١

قال الطبرى : معلوم أن عمل الحج لا يعمل بعد تقضي أيام منى ، وانما عنـوا

الآيـــة : ١٩٧

لأن المراد بعض ذ ى الحجـة ،لأن الحج كله لا محالة في بـعض هذ ه الأشهـــــــــر [لا][1]

في جميعهـــــا .

ويجـوز اضافتـه الى جميع هذ ه الأشهر ، وان كان هو في بـعضها ، ألا ترى أنك تقـــول :

لقيت فلانا سنة كـذ ا ، وقمت يوم كـذ ا ، يـعني بـعض المـد ة .

قولـه تـعـالى (فَمَـن فَـرَضَ فِيـهِـنَّ ٱلْحَـجَّ فَـلَا رَفَـثَ وَلَا فُسُـوقَ وَلَا جِـدَ الَ فِـي ٱلْحَـجِّ) :

أى من أوجب فيهـن الحج بالتلبيـــة أو مايقوم مقامها من ذكـر أو سـوق الهـد ى فلا يرفـــث

ولا يفســق ، وهـذ ا لفظ خبر بمعنى النهـي .

كما أن قولـه (يَتَرَبَّصْـــنَ)[2] و (يُرْضِعْـنَ)[3] خبران لفظا وأمران معنى .

والرفـــث : قال ابن عباس : هو مراجعـة النسـاء بذكـر الجماع .[4]

والفســوق : قال ابن عمـر : هو ما نهى اللـه عنـه في الاحـــرام .[5]

واختار بـعضهم / هـذ ا القـول ، وقالوا : لوكان المراد بـه جميع المعاصي لكان لا يخـــص (٧٠/ب)

بالنهـي عنـها حالة الاحـــــرام .[6]

= بقيلهم : الحج ثلاثـة أشهر . أى أنهـن أشهر الحج ، لا أشهر الـعمرة ، وأن شهـور العمرة سواهن من شهور السنة ١٠ هـ .

وقال ابن كثير : وفائد ة مذ هب مالك : أنه الى آخر ذ ى الحجة ، بمعنى أنه مختـص بالحج ، فيكره الاعتمار في بقية ذ ى الحجـة ، لا أنه يصح الحج بعـــد ليـــلة النحـــــــر ١٠ هـ .

وانظر قول مالك في أحكام القرآن لابن العربي ١٨٦/١

(١) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٢) اللفظ من الآية ٢٢٨ من سورة البقرة (وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْـنَ بِأَنفُسِهِـــــــنَّ ثلـٰـثـة قـروء) .

(٣) اللفظ من الآيـة ٢٣٣ من سورة البقرة (وَٱلْوَٰلِدَ اتُ يُرْضِعْـنَ أَوْلَـٰـدَ هُـنَّ حَوْلَـــيْنِ كَامِلَـــيْنِ) .

(٤) انظر : تفسير الطبرى ٢٦٣/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٤٤/١

(٥) انظر : تفسير الطـبرى ٢٦٩/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٤٤/١

(٦) هذ ا اختيار ابن جرير الطبرى في تفسيره ٢٧١/٢

الآيـــة : ١٩٧

قال ابن عباس وجماعة من المفسرين : المراد بها جميع المعاصي .(١)

وفائدة تخصيص حالته هذه بالنهي تعظيم حرمة هذه العبادة ، كما يقال : لا تغتسب في صومك ، وكما قال صلى الله عليه وسلم : " اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل ، وان جهل عليه فليقل اني صائم " .(٢)

قوله تعالى (وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) : قال بعضهم : الجدال : أن تجادل صاحبك(٣) حتى تغضبه أو يغضبك .(٤) وقيل : كانت قريش تقف بالمزدلفة ، وكانت اليمن

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٦٨/٢ ـ ٢٦٩ ، وتفسير ابن كثير ٢٤٤/١ والدر المنثور ٥٢٨/١ ـ ٥٢٩ . وهو اختيار جمهور المفسرين .
قال ابن كثير : وهو الصواب ، كما نهى تعالى عن الظلم في الأشهر الحرم ، وان كان في جميع السنة منهيا عنه ، الا أنه في الأشهر الحرم آكد .
انظر : تفسير ابن كثير ٢٤٤/١ ـ ٢٤٥ ، وانظر : زاد المسير ٢١١/١ وتفسير القرطبي ٤٠٧/٢ ـ ٤٠٨

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الصيام : باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم .
وأحمد في مسنده ٣٥٦/٢ من حديث أبي هريرة .
وأخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أيضا ، مع اختلاف يسير في اللفظ .
انظر : صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب هل يقول اني صائم ان شتم .
وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب : حفظ اللسان للصائم . وباب : فضل الصيام .

(٣) في ط " أخاك " .

(٤) روى هذا المعنى عن جماعة من السلف ، منهم : ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، والضحاك .
انظر : تفسير الطبري ٢٧٢/٢ ـ ٢٧٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٤٥/١

الآيـــــة : ١٩٧

وربيعـــة تقف بعرفـــة خارج الحـــرم ، وكان كـل فريـق منهـــم يجادل صاحبـه في الموقـف ، فنزلـــت هـــذه الآيـــة . (١)

قولـه تـعـالى (وَمَـا تَفْعَـلُواْ مِـنْ خَـيْرٍ يَـعْلَمْـهُ ٱللَّـــهُ) : أى ما تفعلوا من أسباب الحـــج وترك الرفث والفسـو ق والجـد ال (يَـعْلَمْـــهُ ٱللَّهُ) أى يقبله منكم فيجزيكم عليـــه . والله تعالى عالم من د ون أن يفعلوا ، ولكن المراد بـه يعلمه الله مفعولا وكان من قبـــل يعلمـه غير مفعـــول .

وأراد الله تعالى بهذ ا الحث على فعل الخير و د ل بـه على العد ل ، اذ بين أنـــــــه لا يجازى العبد على ما يعلمنه وانما يجازيـــه على ما يقـع منـــه .

قولـه عـز وجـل (وَتَـزَوَّدُ واْ فَـإِنَّ خَـيْرَ ٱلـزَّادِ ٱلتَّقْـوَىٰ) : أى تزود وا في سفر الحج والعمرة ما تكفـون بـه وجوهكم عن المسألة . نزلت في قـوم كانـوا يخرجون بأهاليهم بغـــير زا د ومتكلون (٢) على الناس ، ويسمـــون أنفسهم المتوكلـة ، يقـولون : نحـج بيـــت ربنـــــا واللـــه رازقنـــــا . (٣)

وقيل : نزل في قـوم يتركـــون أزواد هم ويصيبون في حجهم من أهل الطريق ظلما ، فبين اللـه تعالى أن الزاد : هو أن تتقـوا ما لا يحـل ، لا أن تلقوا أزوادكم وتصيرون كلا عـــــــلى النـــــــاس .

ويقال : في الآيـة تقد يم وتأخـير تقد يـره : وتـزود وا من الطاعات ، واتقون يا أولي الألبـــاب فان خير الزاد التقـــوى .

ولا يمتنع أن يكون المراد بـه زاد الدنيـا وزاد الآخـرة ، كأن الله حثّ على الزادين جميعـا ،

---

(١) انظر بمعناه في الكشاف ٢٤٤/١ ، وتفسير ابن كثير ٢٤٥/١
وقد اختار ابن جرير مضمون تلك الأقوال ، وهو قطع التنازع في مناسك الحج .
انظر : تفسير الطبرى ٢٧٥/٢

(٢) في ط ، م " ويتكلون " .

(٣) أخرج نحوه البخارى في كتاب الحج : باب قول الله تعالى (وتزود وا فان خير الزاد التقوى) . ولفظه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان أهل اليمن يحجـــون ولا يتزود ون ، ويقولون : نحن المتوكلون . فاذ ا قد موا مكة سألوا الناس ، فأنـــزل الله تعالى (وتـزود وا فـان خـير الـزاد التقـوى) .

الآيـــــة : ١٩٧

وأمر بالتزود لسفر الدنيا بالطعام ، ولسفر الآخرة بالتقوى ، فان النجاة من هلكـــــات سفر الدنيا بالزاد [١] ، ومن سفر الآخرة بالعمل الصالح .

قال الشاعـــــر :

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى .. ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثـــله .. وأنك لم ترصد كما كان أرصـــدا [٢]

واختلف العلماء في جواز الاحرام بالحج قبل أشهر الحج :

فروى عن ابن عباس ، وجابر ، وعطـاء ، ومجاهـد ، وعكرمـة أنهم قالوا : لا يحـــرم الرجل بالحـج قبل أشهر الحج . [٣]

وقال عطاء : من فعل ذلك فليجعلها [٤] عمـــرة . [٥]

وقال الشافعـي : يكـون عمـــرة . [٦]

وعن ابراهيم النخعي جواز الاحرام بالحج قبل أشهر الحج . وهو قول أبي حنيفة وأصحابـــه ومالك ، والليث ، والثـــورى . [٧]

---

(١) في أ " بالزواد " . والتصويب من ط ، م .

(٢) البيت للأعشى ميمون بن قيس . وهو في ديوانـه ص ٥١

(٣) وممن روى عنه ذلك أيضا ابن مسعود ، وابن عمر ، وطاوس ، والضحاك ، وقتادة ، والزهرى . وبه قال الشافعي .

انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٧٤/١ ، وتفسير البغوى ١٧٢/١ ، وزاد المسير ٢١٠/١ ، وتفسير القرطبي ٤٠٦/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٤٢/١ ــ ٢٤٣

(٤) في أ " فيجعلها " . والتصويب من ط .

(٥) انظر : أحكام الجصاص ٣٧٤/١

(٦) انظر : فتح البارى ٤٩١/٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٤٢/١

(٧) وبـــه قـــال أحمـــــــد .

انظـر : أحـكام القرآن للجصـاص ٣٧٤/١ ، والافصـــاح ٢٦٧/١ وزاد المســير ٢١٠/١ ، وتفســير ابن كثــير ٢٤٢/١

الآيـــــة : ١٩٧

وحجتهم : قولـه / عـز وجـل ﴿يَسْـئَلُونَـكَ عَـنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُـلْ هِـيَ مَوَاقِيـتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَـجِّ﴾ [١] (٧١/أ)

وهـذا عمـــوم في كون الأهـــلة كلها وقتا للحج ، ومعلوم أن الأهلة ليست بميقات لأفعـال الحج ، فوجـب أن يكون حكم ذلك اللفظ مستعمـــلا في احرام الحج .

وأما قولـه تعالى ﴿ٱلْحَـجُّ أَشْهُـرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ﴾ فيحتمل أنه توقيت لأفعال الحج ، فان [٢] من قـدم مكـــة قبل أشهر الحج محرما وطاف وسعى ، لم يكـــن ذلك السعـي معتـــدا بـه في الحـــــــج .

وذهب بعض أصحابنـا الى أن قولـه تعالى ﴿ٱلْحَـجُّ أَشْهُـرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ﴾ توقيت لاستحباب الاحرام ، لأنـه اذا قدم الاحرام على شوال امتد مكثـه في الاحرام واضطر الى شيء مـــــن محرمات الاحـــرام .

فصـــــل : والنصب في قولـه تعالى ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُـوقَ وَلَا جِـدَالَ فِـي ٱلْحَـجِّ﴾ على التنزيـــه . ويقرأ بالرفع والتنوين [٣] ، وكلا الوجهين جائـــز فـي كـلام العـــــرب .

وأما قولـه تعالى ﴿وَلَا جِـدَالَ فِي ٱلْحَـجِّ﴾ فأكثر القـراء على نصبه ، ولم ينقل فيـــــه الرفع والتنويـــــن الا في روايـــــــة شـــاذة . [٤] ومن رفـع الرفـث والفســـوق جعـل ما بعـده كلاما مبتـدا . [٥]

---

(١) البقـــرة ١٨٩

(٢) في أ " قال " . والتصويب من م .

(٣) قرأ (فلا رفث ولا فسوق) بالرفع منوناً فيهما ابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ويعقـــوب .
وانفرد أبو جعفر برفع (ولا جدال) منوناً .
وقرأ الباقون بالفتح من غير تنوين في الثلاث .
انظر : النشر ٢١١/٢ ، والبدور الزاهرة ص ٤٧

(٤) بل هي متواترة ، انفرد بها أبو جعفر كما تقـدم .

(٥) قال القرطبي : ووجه قراءة الرفع : أن " لا " بمعنى " ليس " فارتفع الاسم بعدها لأنه اسمها ، والخبر محذوف ، تقديره : فليس رفث ولا فسوق في الحج ، دل عليه " في الحج " الثاني الظاهر ، وهو خبر " لا جدال " .

الآيـــــة : ١٩٨

(١٩٨) قولـه تعـالى (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ) :

روى عن عبد الله بن عمـــر أن رجلا سألـه فقال : اني لأكـري ابلي الى مكـــة ، أفتجـزى من حجي ؟ فقال : أو لست تلبي و تقف بعرفات وترمي الجمـــــار ؟ قال : بلى . قال : سأل رجل رسول اللـهصلى اللبه عليـه و سلم عـن مثـــل ما سألتني عنـــه ، فلم يجبـه حتى أنزل اللـه هذه الآيـة (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ) فقال صلى الله عليه و سلم : " أنتم حجاج " .(١)

ومعنى الآيـــة : ليس عليكم جناح أن تطلبوا رزقا في التجارة في أيام الحج .

وكان ابن عباس يقرأها " ليس عليـكم جناح أن تبتغـوا فضلا من ربكم في مواســم الحـــــج " .(٢)

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " اذا كان يوم عرفـة غفر الله للحاج الخالص ، واذا كان ليلة المزدلفة غفر اللـــــه للتجار ، واذا كان يوم منى غفر الله للجمالين ، واذا كان عنـد (٣) جمرة العقبـة غفر الله للسوّال (٤) ، ولا يشهد ذلك الموقف خلق ممن قال لا اله الا اللـــــه الا غفـــر لـه " .(٥)

= وقال أبو عمرو بن العلاء : الرفث بمعنى : فلا يكونن رفث ولا فسوق .
أى شيء يخرج من الحج ، ثم ابتدأ النفي فقال : ولا جدال .
تفسير القرطـــبي ٤٠٨/٢

(١) أخرجه أحمد في المسند ١٥٥/٢ ، وأبو داود في كتاب المناسك : باب الكرى .

(٢) انظر : المختصر في شواذ القراءات لابن خالويه ص ١٢ ، والبحر المحيط ٩٤/٢ قال أبو حيان : والأولى جعل هذا تفسيرا ، لأنه مخالف لسواد المصحف الـــذى أجمعت عليه الأمـــة .

(٣) في ط " يوم " .

(٤) في ط " للسؤال " .

(٥) ذكره ابن الجوزى في الموضوعات ٢١٥/٢
والذهبي في ميزان الاعتدال ٥٠٥/١
وفي سنده الحسن بن علي بن عيسى أبو عبد الغني الأزدى المعاني .
قال ابن حبان : يضع على الثقات ، لا تحل الرواية عنه بحال .
انظر : الموضع السابق من ميزان الاعتـــدال .

الآيـــة : ١٩٨

قولـه عـز وجـل (فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) :

معناه : اذا د فعتم من عرفات فاذكروا الله باللسان عند المشعر الحرام ، وهو الجبـل الذ ى يقف عليه الناس بالمزد لفـة .

وقولـه تعالى (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ) أى اذكروه بالثناء والتوحيد والشكر ذكـرا مثـل هد ايتـه اياكم ، أى ذكـرا يكون جـزاء لهـد ايتـه .

قولـه تعـالى (وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ) أى وان كنتم من قبل هد ايتـه اياكم لمن الضالين عن الهـد ى .

وقيل : ان المراد بالذكر الأول في هذ ه الآية صلاة المغرب والعشاء اللتين [١] / يجمـع (٧١/ب) بينهما في وقت العشاء بالمزد لفـة ، والمراد بالذكر الثاني هو الذكر المفعول بالمزد لفة غد اة جمـع في موقـف المزد لفـة . [٢] فعلى هذا يكون الذكر الأول غـير الثانـي .

وقـد تسمى الصلاة ذكـرا ، على معنى أن الذكـر ركـن من أركانها .

والافاضـة : هي الد فـع بالكثـرة ، يقال : أفاض القوم في الحد يث اذا تد افعوا فيـه وأكثروا التصرف ، وأفاض الرجل اناه اذا صبه ، وفاض الإناء إذا نصب منه المـاء للامتـلاء ، وأفاض البعير بجرتـه [٣] اذا رمى بها متفرقة كثيرة . [٤]

و عرفات جمع عرفـة ، وهي مكان واحـد ، ذكرها بلفظ الجمع وأراد به جميـع أجزائهـا . [٥]

---

(١) في أ " التي تجمع " . والتصويب من ط .

(٢) انظر : زاد المسير ١/٢١٣ ، وتفسير الخازن ١/١٨٥
وقال الخازن : والذ ى عليه جمهور العلماء : أن المراد بالذكر هو الد عاء والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير .

(٣) الجرة ـ بالكسر ـ هي ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه .
انظر : اللسـان : مادة (جـرر) .

(٤) انظر هذ ه المعاني في الصحاح : مادة (فيـض) .

(٥) في أ ، م " واراد تـه جمع أجرابها " . والتصويب من ط .

الآيـــــة : ١٩٨

وسميت عرفات لارتفاعها من نشز[١] الأرض .

وقيل : سميت بذلك لأن آدم وحواء تعارفا بها بعد التفاقد .

ويقال : لأن جبريل عرفها ابراهيم عليه السلام ، ليقف عليها حين كان يعلمه أمر المناسك ، فقال ابراهيم : عرفت .

وقال بعضهم : سميت بذلك لأن الناس يعترفون في هذا اليوم على ذلك الموقف[٢] بذنوبهم .

وقيل : هي مأخوذة من العرف وهو الطيب ، قال الله تعالى (عَرَّفَهَا لَهُمْ)[٣] أي طيبها .

---

(١) في أ " نشر " بالراء . والتصويب من ط .

(٢) في أ " الوقف " . والتصويب من ط ، م .

(٣) سورة محمد ٦ (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) .

وانظر تلك الأقوال في تعليل تسمية " عرفات " :

في تفسير الطبرى ٢٨٦/٢ ـ ٢٨٧ ، وتفسير البغوى ١٧٤/١

وزاد المسير ٢١٣/١ ، وتفسير القرطبي ٤١٥/٢ ، والبحر المحيط ٨٣/٢ ، وتفسيرابن كثير ٢٤٨/١

قلت : تلك التعليلات الله أعلم بصحتها ، كما لا يتوقف عليها معنى ، ولا يتعلق بها كبير فائدة .

قال القرطبي : قال ابن عطية : والظاهر أنه اسم مرتجل كسائر أسماء البقاع .

انظر : تفسير القرطبي ٤١٥/٢ ، وانظر : الكشاف ٢٤٦/١

الآيـــة : ١٩٩

(١٩٩) قولـه تـعـالى (ثُـمَّ أَفِيضُـوا مِـنْ حَيْـثُ أَفَـاضَ ٱلنَّـاسُ وَاسْتَغْفِـرُوا ٱللَّـهَ إِنَّ ٱللَّـــهَ غَفُـورٌ رَّحِـــيمٌ) :

قال عامة المفسرين : كانت قريش وحلفاؤها ومن د ان بد ينها وهم الحمـــــــس لا يخرجون من الحرم الى عرفات ، وكانوا يقفون بالمزد لفة ويقولون : نحن أهل اللـــــــه وسكان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ، فلسنا كسائر الناس ، كانوا يتعظمـــون أن يقفوا مع سائر العرب بعرفـات ، ويقول بعضهم لبعض : لا تعظموا الا الحرم ، فانكـم ان عظمتم غير الحرم تهاون الناس بحرمكم ، فقفوا بجمع ، فاذ ا أفاض الناس مـن عرفـــــات أفاضوا من المشعر ، وهو المزد لفـة ، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها الـــــى المزد لفـــة مع سائر الناس .

فيكون المراد بالافاضة في هـذ ه الآيـة ـ على هذ ا القول ـ الافاضة من عرفـــات ، وكان سائر الناس ـ غير الحمـس ـ يقفون بعرفات ، فأنزل [1] الله هذ ه الآية وأمر قريشا و غيرهممن الحمس أن يقفوا بعرفـــة حيث يقف الناس ، ويد فعوا منها معهم .

وانما ذ كر الناس وأمـر قريشا بالافاضة من حيث أفاض الناس ، لأ ن قريشا ومـــن د ان بد ينها كانوا قليـــلا بالاضافـة [2] الى سائر الناس .

---

(١) انظر : تفسير البغوى ١٧٥/١ ، وتفسير الخازن ١٨٥/١ ـ ١٨٦

وأخرج نحوه البخارى ومسلم من حد يث عائشة رضي الله عنها قالت : " كانت قريـش ومن د ان د ينها يقفون بالمزد لفة ، وكانوا يسمون الحمس ، وكان سائر العـــــرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الاسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه و سلم أن يأتـــــي عرفات ، ثم يقف بها ، ثم يفيض منها ، فذ لك قوله تعالى (ثم أفيضوا من حيـــث أفاض الناس) .

صحيح البخارى : كتاب التفسير : تفسير سورة البقرة : باب (ثم أفيضوا من حيـــث أفاض الناس) .

ومسلم في كتاب الحج : باب الوقوف وقوله تعالى (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) .

(٢) في أ " لاضافة " . والتصويب من ط .

الآيـــة : ١٩٩

قولـه تـعـالى (ثُـمَّ أَفِيضُـوا مِـنْ حَيْـثُ أَفَـاضَ النَّـاسُ) :

على هـذا التأويل راجع الى أول الكلام ، كأنـه قال : فمن فرض فيهن الحج فلا رفـــث ولا فسـوق ولا جـدال في الحج ثم أفيضـوا من حيث أفاض الناس ، فاذا أفضتم مـــن عرفـات فاذكـروا اللـه عند المشعر الحرام .

فيكون في الآيـة تقديم وتأخـير ، ويكون الأمر بالافاضـة [١] عطفا على الاحـــرام ، دون الافاضـة [٢] من عرفات / فكأنـه قال : أحرمـوا كما أمركم اللـه ، ثم أفيضوا من حيـث (٧٢/أ) أفاض الناس . وعلى هـذا التأويـل جمهور المفسرين . [٣]

وقال الضحاك : معنى الآيـة : ثم أفيضـوا من المزدلفـة التي يفيض منها قريش . [٤]

وانما ذهب الضحاك الى أن المراد بالافاضـة [٥] في هـذه الآيـة الافاضة من المزدلفـة ، لأن الله تعالى عطف هـذه الآيـة على الافاضة من عرفات ، فعلم أن المراد بهذه الافاضة الافاضة من المزدلفـة . الا أن عامـة المفسرين على الوجه الأول .

والمراد بقوله (مِـنْ حَـيْـثُ أَفَـاضَ النَّـاسُ) هم العرب كلهم غير الحمـس .

وقـال الكلـبي : هم أهـل اليمـن . [٦]

وقال الضحاك : الناس هنـا ابراهيم عليه السلام وحده [٧] ، لأنـه كان الامام المقتدى بـه ،

---

(١) في أ " بالاضافـة " وهو تصحيف ، والتصويب من ط ، م .

(٢) في أ " بالاضافة " وهو تصحيف ، والتصويب من م .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ٢٩٣/٢ ، وزاد المسير ٢١٤/١ ، وتفسير القرطبي ٤٢٨/٢ وتفسير ابن كثير ٢٥٠/١

(٤) انظر : تفسير الطبرى ٢٩٣/٢ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١٩٦/١

(٥) في أ " بالاضافة " . وهو تصحيف ، وقد تكرر بعده بهذا اللفظ ، والتصويب من ط ، م .

(٦) انظر : تفسير البغوى ١٧٦/١

(٧) انظر : تفسير الطبرى ٢٩٣/٢

الآيـــة : ١٩٩

فسماه الله ناسا كما قال الله تعالى في آية أخرى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً)[١] . وقد يسمى الرجل الواحد باسم الناس ، كما قال الله تعالى (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ)[٢] يعني محمدا صلى الله عليه وسلم .[٣]

وكذلك قوله (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ)[٤] يعني نعيم بن مسعود الأشجعي .[٥] (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) يعني أبا سفيان .[٦]

وانما يقال هذا لمن هو ندب يقتدى به ، أو يكون لسان قومه وامامهم .

وقال الزهري : الناس ههنا آدم عليه السلام[٧] ، ودليله قراءة ابن مسعود

---

(١) النحل ١٢٠ وتمامها (قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين) .

(٢) النساء ٥٤ (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٥٢٦/١

(٤) آل عمران ١٧٣

(٥) هو نعيم بن مسعود بن عامر ، أبو سلمة ، الأشجعي ، صحابي مشهور ، أسلم ليالي الخندق ، وهو الذي أوقع الخلف بين الحيين قريظة و غطفان في وقعة الخندق ، فخالف بعضهم بعضا ، ورحلوا عن المدينة . قتل نعيم في أول خلافة عليّ ، قبل قدومه البصرة ، في وقعة الجمل ، وقيل : مات في خلافة عثمان .

انظر : الاصابة ٢٣٩/٣

(٦) انظر : زاد المسير ٥٠٤/١ ـ ٥٠٥ ، وتفسير القرطبي ٢٧٩/٤

وأبو سفيان هو صخر بن حرب بن أمية ، أبو سفيان القرشي الأموي ، وهو والد معاوية ، أسلم عام الفتح ، وشهد حنينا والطائف ، كان من المؤلفة ، وكان قبل ذلك رأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب . مات في خلافة عثمان .

انظر : الاصابة ١٧٢/٢ ـ ١٧٣

(٧) انظر : تفسير البغوى ١٧٦/١ ، وزاد المسير ٢١٤/١

الآيـــة : ١٩٩

" ثم أفيضـوا من حيث أفاض الناس " [١] يعني آدم ، وقال : لأنـه نسي ما عهد اليه قال الله تعالى (وَلَقَـدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ) . [٢]

وقولـه تعـالى (وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّـهَ إِنَّ ٱللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أى استغفروا الله هناك مـــن ذ نوبكم ، أى في مواطن الحج فان الدعاء في تلك المواطن جدير بالاجابة .

وقال بعضهم : هذا خطاب للحمس [٣] ، أمرهم الله بالاستغفار مما كان منهم فـــي الجاهليـة من مخالفة أمره بترك الوقوف بعرفات .

(إِنَّ ٱللَّـهَ غَفُورٌ) لذ نوب عباده اذا تابوا (رَّحِيمٌ) بهم بعد التوبـة .

ويقال : معناه ان الله غفور رحـيم للحاج .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الحجاج [٤] والعمار وفـد اللـه تعالى ، ان دعوا أجابهم وان استغفروا غفر لهم " . [٥]

---

(١) نسبت هذه القراءة لسعيد بن جبير ، وليست لابن مسعود .
انظر : المختصر لابن خالويه ص ١٢ ، والمحتسب ١١٩/١ ، وتفسـير القرطـبي ٤٢٨/٢ ، والبحر المحيط ١٠٠/٢

(٢) طـه : ١١٥

(٣) حكاه ابن الجوزى وأبو حيان عن الجمهور .
انظر : زاد المسير ٢١٤/١ ، والبحر المحيط ٩٩/٢

(٤) في أ " الحاج " . والتصويب من ط ، وكذلك هو في المصادر .

(٥) أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك : باب فضل دعاء الحاج .
قال في الزوائد : في اسناده صالح بن عبد الله ، قال البخارى فيه : منكر الحديث . وذكره الألباني استشهادا ، وقال : رواه ابن ماجه وابن بشران في الأمالي عن صالح ابن عبد الله مولى ابن عامر بن لؤى ... عن أبي هريرة مرفوعا .
ورواه الخطيب في التلخيص من هذا الوجه . وصالح هذا منكر الحديث كما قـال البخارى .
انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٣٤/٤ ـ ٤٣٥

الآيـــــة : ١٩٩

وقال صلى الله عليـه وسلم : " اللهم اغفر للحاج ولمـن استغفر لـه الحاج " . (١)

وقد اختلف العلماء في الوقوف بالمزد لفـــة :

فذ هب أكثرهم الى أنـه ليس بركـــن ، على ما يروى عـن النـبي صلى الله عليـه و ســـلم أنـه قـد م ضعفـة أهـله بليـــل . (٢)

وفي بعض الأخبـار أنـه قـد م أغيلمـة بني عبد المطلب بليـــل ، وجعل يلطحهم (٣) بيـد ه ويقول (٤) : " أى بني لا ترمـوا جمـرة العقبـة إلا مصبحـــين " . (٥)

فلو كان الوقـوف بهـا فرضا لما رخص في تركـه للضعف (٦) ، كالوقوف بـعرفـة . (٧)

---

(١) أخرجه الحاكم في المستد رك ٤٤١/١ من حد يث أبي هريرة .
وقال : هذ ا حد يث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقـه الذ هبي .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١١/٣ وقال : رواه البزار والطبراني في الصغـــير ، وفيه شريك بن عبد الله النخعي ، وهو ثقة وفيه كلام ، وبقية رجاله رجال الصحيح .
وذ كره الألباني في ضعيف الجامع ٣٥٧/١

(٢) أخرجه البخارى في كتاب الحج : باب : من قد م ضعفة أهله بليل .
ومسلم في كتاب الحج : باب استحباب تقد يم د فع الضعفة من النساء و غيرهـــن من حد يث ابن عمر ، وابن عباس ، و عائشة رضي الله عنهم .

(٣) اللطـــح :الضرب بالكـف ، وليس بالشـد يـد .
النهايـــة ٢٥٠/٤

(٤) في أ " ويقولوا " . والتصويب من ط .

(٥) أخرجه أبو د اود في المناسك : باب : التعجيل من جمع .
والنسائي في كتاب الحج : باب النهي عن رمي جمرة العقبة قبل طلوع الشمس .
وابن ماجه في كتاب المناسك : باب : من تقد م من جمع الى منى لرمي الجمار .
من حد يث ابـن عبـــاس .
وفيـــه : " حتى تطلع الشمس " بد ل " إلا مصبحين " .

(٦) في ط " للضعيف " .

(٧) قلـــت : الرخصـة للضعفـة بالتقـد م لا يلـزم منهـا عـد م المكث بالمزد لفة جزءاً من الليـــل .

الآيـــة : ٢٠٠

(٢٠٠) قولـه عـز وجـل (فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) :

أى اذا فرغتم من متعبداتكم فاذكروا الله عز وجل بالخير كذكركم آباءكم بل أشد ذكرا ، وذلك أنهم كانوا يقفون بعد قضاء المناسك يوم النحر بين المسجد الذى بمنى / وبين الجبل ، يتناشدون الأشعار ويتفاخرون بذكر فضائل آبائهم ، يقول (٧٢/ب) أحدهم : يا رب ان عبدك فلانا ، يعني أباه كان يفعل كذا وكذا من الخير ، فأمرهم الله تعالى ان يذكروه ، فهو الذى فعل ذلك الخير الى آبائهم ، وأن أياديه عندهم أكثر وأعظم من أيادى آبائهم عليهم .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم ـ بعد نزول هذه الآية ـ : " ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، ان الناس من آدم ، وان آدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى " . ثم تلى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى) الآيـة .(١)

---

(١) الحجـرات ١٣
والحديث لم أجده بهذا اللفظ ، لكن أخرج نحوه الترمذى من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم فتح مكة ، فقال : " أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وتعاظمها بآبائها ، فالناس رجلان : بر تقي كريم على الله ، وفاجر شقي هين على الله ، والناس بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب ، قال الله (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) .
وأخرج نحوه أيضا أحمد ، وأبو داود ، والترمذى من حديث أبي هريرة مرفوعا .
والعُبِّيَّة : الكبر والنخوة .
وأخرج أحمد من حديث أبي نضرة قال : حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط أيام التشريق ، فقال : " يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى ... " . الحديث .
انظر : سنن الترمذى : كتاب التفسير : باب ومن سورة الحجرات . رقم الحديث ٣٢٧٠ وكتاب المناقب : باب في فضل الشام واليمن . رقم الحديث ٣٩٥٥ ، ٣٩٥٦

الآيـــة : ٢٠٠

وقال بعضهم معناه : اذكروا الله بالتوحيد كما تذكرون آباءكم بذلك ، فانكم لا ترضون أن ينسبوا الى أبوين ، وكذلك لا ترضون من أنفسكم باتخاذ الهين . (١)

وعن عطاء ، والربيع ، والضحاك في قوله ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ : هو كقول الصغير ـ أول ما يفقه الكلام ـ أبه أبه ، أي استغيثوا بالله وافزعوا اليه في جميع أموركم ، كما يفزع الصغير الى أبيه في جميع أموره ويلهج (٢) بذكره . (٣)

وعن أبي الجوزاء قال : قلت لابن عباس رضي الله عنه : أخبرني عن قول الله تعالى ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ وقد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر أباه ؟ فقال ابن عباس : ليس كذلك ، ولكن أن تغضب لله اذا عصي أشد من غضبك لوالديك اذا شتما . (٤)

وأما وجه نصب " أشد " فقال الأخفش : اذكروه ذكرا أشد ذكرا . (٥)

وقال الزجاج : هو في محل الخفض ، ولكنه لا ينصرف ، لأنه صفة على وزن " أفعل " ونصب " ذكرا " على التمييز . (٦)

= وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في التفاخر بالأحساب

والمسند ٣٦١/٢ ، ٤١١/٥

(١) المشهور أن المراد / بذكرهم آباءهم هو ما كان منهم في جاهليتهم من التفاخر بذكر أفعال آبائهم وأيامهم وأنسابهم . فأمروا أن يجعلوا مكان ذلك ذكر الله ، يذكرونه كذكرهم آباءهم أو أشد ذكرا .

انظر : زاد المسير ٢١٥/١ ، وتفسير القرطبي ٤٣١/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٥٠/١

(٢) في أ " ويلح " . والتصويب من ط ، كما هو كذلك أيضا في المصادر .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ٢٩٧/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٥٠/١

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٤٣١/٢ ـ ٤٣٢ ، والبغوى ١٧٦/١

والدر المنثور ٥٥٨/١

(٥) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره ٧٢/٢

ولم أجده في معاني القرآن .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٧٤/١

الآيـــة : ٢٠٠، ٢٠١

قوله عز وجل (فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِـــرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ) :

نزلت في مشركي قريش ، كانوا يقولون في دعائهم في الحج : اللهم ارزقنا ابلا وبقرا و غنما و عبيدا واماء وأموالا ، ولم يكونوا يسألون لأنفسهم التوبة والمغفرة ، كانوا لا يرجون الا نعيم الدنيا ، ولا يخافون البعث والنشور [١] ، فبين الله تعالى بقوله (وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ) أي من نصيب ولا ثواب .

والمعنى : من يطلب بحجه أمور الدنيا لا يريد بذلك ثواب الله تعالى ، فلا نصيب في [٢] ثواب له في الآخرة .

وقال أنس بن مالك : كانوا يطوفون بالبيت عراة ، فيدعون ويقولون : اللهم أسقنا المطر وأعطنا على عدونا الظفر . [٣]

وقال قتادة : هذا عبد نوى الدنيا ، لها أنفق ولها عمل ولها نصب [٤] ، فهي همه وسؤله وطلبه . ثم بين الله تعالى دعاء المؤمنين بقوله عز وجل :

(٢٠١) (وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ) :

واختلفوا في معنى الحسنتين :

فقال عليّ كرّم الله وجهه / : (ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً) أي امرأة صالحة (٧٣/أ)
(وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً) الحور العين (وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ) المرأة السوء . [٥]

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٩٨/٢ ـ ٢٩٩ ، وتفسير البغوي ١٧٦/١ وتفسير القرطبي ٤٣٢/٢

(٢) في ط " فلا نصيب له ، أي لا ثواب له في الآخرة " .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٩٩/٢

(٤) انظر : المصدر السابق ، وتفسير البغوي ١٧٧/١

(٥) انظر : تفسير البغوي ١٧٧/١ ، وزاد المسير ٢١٦/١ ، والكشاف ٢٤٨/١ وتفسير القرطبي ٤٣٢/٢
قال القرطبي : وهذا فيه بعد ، ولا يصح عن عليّ ، لأن النار حقيقة في النار المحرقة ، وعبارة المرأة عن النار تجوّز .

الآيـــة : ٢٠١

وقـال الحســـن معنـــاه : آتنـــا فـي الدنيـــا العـــلم والعبـــادة ، وفـــي الآخـــــرة الجنـــــة . (١)

وقـــال الســـدى معنـــاه : آتنـــا فـي الدنيـــا رزقـــا حـــلالا واسعـــا ، وعمـــلا صالحـــا ، وفـــي الآخـــرة مغفـــرة وثوابـــا . (٢)

وقال عطيـــــة (٣) معنـــاه : آتنـــا في الدنيـــا العـــلم والعمـــل بـــه ، وفي الآخـــرة تيســـير الحســـاب ودخـــول الجنـــــة . (٤)

وقال مجاهـــــد : معـــنى الحســـنة : النعمـــة ، فكأنهـــم ســـألوا اللـــه نعمة الدنيـــا والآخـــرة وأن يقيهـــــم عـــذاب النـــــار .

---

(١) انظـــر : تفســـير الطـــبرى ٢/٣٠٠ ، والـــدر المنثـــور ١/٥٦٠

(٢) انظـــر : تفســـير البغـــوى ١/١٧٧

(٣) في أ " العطيـــة " .

والتصـــويب مـــن ط ، م .

وهـــو عطيـــة بـــن سعـــد بـــن جنـــادة العـــــوفي ، الكوفـــي ، أبـــو الحســـــن ، صـــدوق يخـــطيء كثـــيرا ، وكـــان شيعيـــــا مدلســـا ، مـــن الثالثـــــة . مـــات ســـــنة ١١١ هـ .

التقريـــــب ص ٣٩٣

(٤) انظـــر : تفســـير الثعـــلبي ٢/٧٣

الآيـــة : ٢٠١

وقيل معناه : اتنا في الدنيا التوفيق والعصمة ، وفي الآخرة النجاة والرحمـــة .

وقيل معناه : آتنا في الدنيا أولادا أبرارا ، وفي الآخرة مرافقة الأنبياء .

وقيل [معناه](١) : اتنا في الدنيا المال والنعمة ، وفي الآخرة تمام النعمة ، وهو الفوز مـــن النار ودخول الجنـــة .

وقيل معناه : آتنا في الدنيا الدين واليقين ، وفي الآخرة اللقاء والرضا .

وقيل معناه : آتنا في الدنيا الثبات على الايمان ، وفي الآخرة السلامة والرضوان .

وقيل معناه : آتنا في الدنيا الاخلاص ، وفي الآخرة الخلاص .

وقيل معناه : آتنا في الدنيا حلاوة الطاعة ، وفي الآخرة لذة الرؤية .

وقال قتادة معناه : آتنا في الدنيا عافية ، وفي الآخرة عافية .(٢)

ودليل ذلك ما روى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد مريضا قد أضنى ونحـــل جسمه حتى صار كالفرخ المنتوف ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " هل كنت تدعو الله بشـــيء(٣) أو تسأله شيئا " ؟ قال : كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيـــا . فقال : " سبحان الله ، اذا لا تستطيعه ولا تطيقه ، انـــك ضعيف لا تستطيع أن تقوم لعذاب الله ، هلا قلت : ربنا آتنا في الدنيا حســـنة

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٢) انظر تلك الأقوال في : تفسير الثعلبي ٢/٧٣ ، وتفسير البغـــوى ١/١٧٧ وزاد المسير ١/٢١٦ ، والبحر المحيط ٢/١٠٥ ، والدر المنثور ١/٥٦٠ ـ ٥٦١ قال القرطبي : والذى عليه أكثر أهل العلم : أن المراد بالحسنتين نعم الدنيا والآخرة . وهذا هو الصحيح ، فان اللفظ يقتضي هذا كله .
وحسنة الآخرة : الجنة باجماع .
وقوله (وقنا عذاب النار) : المراد الدعاء في ألا يكون المرء ممن يدخلها .
انظر : تفسير القرطبي ٢ / ٤٣٢ ـ ٤٣٣ ، وانظر : تفسير ابن كثير ١/٢٥١

(٣) في أ " بسر " ، وفي ط ، م " بشر " .
والتصويب من المصادر .

الآيـــة : ٢٠١

وفي الآخرة حسـنة وقنا عـذاب النار " .[١] فدعـا الرجـل بذلك ، فشفاه الله عز وجـل وأبرأه من مرضـــــــه .

وقال سهل بن عبد الله[٢] : معنى الآيـة : ربنا آتنا في الدنيا السنة ، وفي الآخـــرة الجنـــــــة .[٣]

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : عند الركن اليماني ملك قائم منذ خلق اللـــه السموات والأرض ، يقول : آمين ، فاذا مررتم بـه فقولوا : ربنا آتنا في الدنيا حسنـــــــة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عـذاب النار .[٤]

وقال عوف في هـذه الآيـة : من أتاه الله الاسلام والقرآن ومالا وولدا فقد أوتي في الدنيا حسـنة وفي الآخـــرة حســـنة .[٥]

وروى أن قومـا قالوا لأنس بن مالك : ادع لنـا . فقال : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفـــي الآخرة حسـنة وقنا عـذاب النـار .

فقالوا : زدنـا . فأعادهـا . فقالوا : زدنـا . فأعادها . فقالوا : زدنـا . فقـــــال : ما تريدون ؟ قد سألت الله لكم خير الدنيا والآخرة . / قال أنس : وكان النـــــــــبي (٧٣/ب)

---

(١) أخرجـه مسلم في كتاب الذكـر والدعـاء : باب : كراهـة الدعـاء بتعجيل العقوبـة في الدنيـا . رقم الحديث ٢٦٨٨

(٢) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستـرى الصوفي الزاهـد ، له كلمات نافعـــة ومواعـــظ حســنة . مات سنة ٢٨٣ هـ .

سير أعـلام النبـلاء ١٣/٣٣٠

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٢/٧٣

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٢/٤٣٤

وذكره ابن كثير في تفسيره ١/٢٥١ ــ ٢٥٢ من طريق مجاهد عن ابن عباس مرفوعا . وعـزا تخريجـه لابن مرد ويـــه .

(٥) انظر : تفسير البغوى ١/١٧٧

الآيـــة : ٢٠١ ، ٢٠٢

صلى الله عليه وسلم يكثر أن يدعو بها ، يقول : " اللهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار " .(١)

(٢٠٢) قوله عز وجل : (أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) :

معناه : ان الذين يسألون الله تعالى الدنيا والآخرة لهم حظ ونصيب وافر من الثواب والخير والجزاء اكتسبوه في حجهم ، وفي هذا بيان استجابة دعائهم على القطع .(٢)

و عن ابن عباس في هذه الآية : أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ان أبي مات ولم يحج ، أفأحج عنه ؟ قال : " أرأيت لوكان على أبيك دين فقضيته ، أما كان ذلك يجزىء ؟ " . قال : نعم . قال : " فدين الله أحق أن يقضى " . قال : فهل لي من أجر ؟ فأنزل(٣) الله عز وجل (أُوْلَـٰئِكَ لَهُم نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ) يعني من حج عن ميت كان الأجر بينه و بين الميت .

---

(١) أخرجه البخارى في كتاب الدعوات : باب قول النبي صلى الله عليه و سلم : " ربنا آتنا في الدنيا حسنة " .
ومسلم في كتاب الذكر والدعاء : باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

(٢) قال الشيخ السعدى في تفسيره ١٦٠/١ : في هذه الآية دليل على أن الله يجيب دعوة كل داع ، مسلمًا أوكافرًا أوفاسقًا ، ولكن ليست إجابته دعاء من دعاه دليلاً على محبته له وقربه منه ، إلا في مطالب الآخرة ومهمات الدين .

(٣) انظر : زاد المسير ٢١٦/١ ، وتفسير القرطبي ٤٣٥/٢
ولم أقف عليه في شيء من كتب الحديث على أنه سبب لنزول الآية .
والحديث أخرجه النسائي في كتاب الحج : باب تشبيه قضاء الحج بقضاء الدين .
وأخرج نحوه البخارى في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين . من حديث ابن عباس ، ولفظه : أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقالت : إن أمي نذرت أن تحج ، فماتت قبل أن تحج ، أفأحج عنها ؟ قال : " نعم ، حجي عنها ، أرأيت لوكان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ " قالت : نعم . فقال : " فاقضوا الله الذي له ، فإن الله أحق بالوفاء " .

الآيـــــة : ٢٠٢

وقال سعيد بن جبير : جاء رجل الى ابن عباس ، فقال : اني أكريت دابتي واشترطت عليهم أن أحج ، فهل يجزيني ذلك ؟ قال : أنت من الذين قال الله فيهم (**أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا**) .(١)

قوله تعالى (**وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**) يعني اذا حاسب فحسابه سريع ، لا يحتاج الى عقد يد ولا وعي صدر ولا رؤية ولا فكر .

وقال الحسن : أسرع من لمح البصر .(٢)

وفي الخبر : أن الله تعالى يحاسب العباد في قدر حلب شاة .(٣)

وأن محاسبة الله تعالى ليست كمحاسبة الناس بعضهم لبعض ، يحاسبهم جميعا في لحظة واحدة ، يظن كل واحد (٤) أنه يحاسبه خاصة ، لا يشغله شيء عن شيء .

ومعنى الحساب : تعريف الله تعالى عباده مقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره اياهم بما قد نسوه .

يدل عليه قوله تعالى (**يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ**) .(٥)

وقيل معناه : (**سَرِيعُ الْحِسَابِ**) أي سريع المجازاة .

وفيه اخبار عن سرعة فناء الدنيا وقيام الساعة .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢٧٧ ـ ٢٧٨ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٢) انظر : تفسير البغوي ١/١٧٨ ، وتفسير القرطبي ٢/٤٣٥

(٣) انظر : الكشاف ١/٢٤٩ ، وتفسير القرطبي ٢/٤٣٥ ، وتفسير الخازن ١/١٨٩ ولم أجده في شيء من كتب الحديث التي وقفت عليها .

(٤) في ط كلمة " منهم " بعد قوله " كل واحد " .

(٥) المجادلة ٦

الآيـــة : ٢٠٣

(٢٠٣) قولـه عـز وجـل (وَاذْكُرُوا اللَّـهَ فِـي أَيَّـامٍ مَّعْـدُودَاتٍ) :

يعني اذكروا الله تعالى بالتكبير أدبار الصلوات وعند الجمرات ، يكبر مع كـل حصاة ، وغيرها من الأوقـات .

واختلفوا في الأيام المعـدودات :

فروى عن ابن عباس ، والحسن ، ومجاهـد ، وعطاء ، والضحاك ، والنخعي : أن الأيام المعدودات أيام التشريق ، والأيام المعلومات أيام العشر من ذى الحجة . وهكـذا روى عن أبي حنيفـة ، وأبي يوسف ، ومحمـد .(١)

وروى أيضا عن ابن عباس : أن الأيام المعدودات أيام العشر ، والأيام المعلومات أيـام النحـر .(٢)

ولا شك أن في هذه الرواية غلطا .(٣) وهي خلاف الكتاب ، لأن الله تعالى عقـب الأيام المعدودات بقوله (فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) وليس في العشـر حكم يتعلق بيومين دون الثالث .

و عن أبي يوسف : أن المعلومات أيام النحر ، والمعدودات أيام / التشريـق .(٤) (٧٤/أ)

قال هذا القول استدلالا من الآيتين ، لأن الله تعالى قال في ذكر الأيام المعلومـات : (عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) .(٥) وقال في هذه الآية : (فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) . فيوم النحر على هذه الرواية من المعلومـات دون المعـدودات . وآخر أيام التشريق من المعدودات دون المعلومات . واليـوم الثاني والثالث من أيام النحر من المعلومات والمعدودات جميعـا .

---

(١) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٩٤/١
وهو قول الجمهور . انظر : تفسير البغوى ١٧٨/١ ، وتفسير القرطبي ٣/٣
وتفسير ابن كثير ٢٥٢/١

(٢) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٩٤/١ ، والبحر المحيط ١٠٩/١

(٣) انظر : المصدرين السابقين ، وتفسير القرطبي ١/٣

(٤) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٩٤/١ ، وتفسير القرطبي ٢/٣

(٥) الحـج ٢٨

الآيـــة : ٢٠٣

والجواب عن استدلال أبي يوسف من الآيتين : أن لفظ المعلومات يقتضي الشهـــــرة ، ولفظ المعدودات يقتضي تقليل العدد ، كما في قوله (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) [١] فاقتضى الظاهر أن المعدودات أقل من المعلومات .

ويحتمل أن يكون معنى (عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) : لما رزقهم كما قال الله تعالى (وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ) [٢] أي لما هداكم ، فكأن الله تعالى أراد بالمعلومات أيام العشر ، لأن فيها يوم النحر وفيه الذبح ، ويكون ذلك اليوم بتكرار سنين عليه أياما .

وأما الذكر المذكور في هذه الآية فهو الذكر عند رمي الجمار في أيام التشريق [٣] . وقال بعضهم : هو التكبير في أدبار الصلوات في هذه الأيام ، يكبر من صلاة الغداة من يوم عرفة الى صلاة العصر من آخر أيام التشريق عند جماعة من الفقهاء . [٤]

والتأويل الأول أصح وأقرب الى ظاهر القرآن ، لأن الله تعالى عقب الذكر في هذه الآية بقوله (فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) أي من تعجل الرجوع الى أهله

---

(١) يوسف ٢٠

(٢) البقرة ١٨٥

(٣) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ١٩٩/١ ، وزاد المسير ٢١٧/١

(٤) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٢٠٠/١ ، وزاد المسير ٢١٧/١ ، وتفسير القرطبي ٤/٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٥٢/١

قال ابن كثير : وهو أشهر أقوال العلماء ، وعليه العمل .

وقال أبو بكر بن العربي : أجمع فقهاء الأمصار والمشاهير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم على أن المراد به التكبير لكل أحد ، وخصوصا في أوقات الصلوات ، فيكبر عند انقضاء كل صلاة ، كان المصلي في جماعة أو وحده ، يكبر تكبيراً ظاهراً في هذه الأيام .

انظر : أحكام القرآن لابن العربي ١٩٩/١

الآيـــة : ٢٠٣

فـلا اثم عليـه في ترك الرمي في اليوم الثالث (وَمَن تَأَخَّرَ) الى آخر النفر وأقـــام هنالك في اليوم الثالث فـلا اثم عليـــه ٠

قولـه تعالى (لِمَنِ اتَّقَى) أى لمن اتقى الاثم والفسوق والتفريط في حقوق الحج كلها ٠ وأما من لم يتق فغير موعـود له الثواب ٠

وقال ابن عمر ، وابن عباس ، وعطاء ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والنخعي والسدى : معنى الآية : فمن تعجل في يومين من أيام التشريق ، فنفر في اليوم الثاني من أيام التشريق فلا اثم عليه في تعجيله ، ومن تأخر عن النفر في اليوم الثاني من أيام التشريق الى اليوم الثالث حتى ينفر في اليوم الثالث فلا اثم عليه في التأخير (١) ؛ فان لم ينفر في اليوم الثاني ، وأقام حتى تغرب الشمس فليقم الى الغد من اليوم الثالث فيرمي الجمار ثم ينفر مع النـــاس ٠

وقال بعضهم : معنى الآيـة : فمن تعجل في يومين فهو مغفور له ، لا اثم عليه ولا ذنب ، ومن تأخر فكذلك ٠ وهو قول علي بن أبي طالب ، وأبي الدرداء ، وابن مسعود ، والشعبي ٠ (٢)

وقال معاوية بن قرة (٣) : خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ٠ (٤)

وقال اسحاق بن يحيى : (٥) سألت مجاهداً عن ذلك ٠ فقال : معناه : فمن تعجل / في يومين فلا اثم عليه الى قابل ، ومن تأخر فلا اثم عليه أيضا الى قابل ٠ (٦) (٧٤/ب)

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢/٣٠٥ ــ ٣٠٧ ، وتفسير القرطبي ٣/١٣

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢/٣٠٧ ــ ٣٠٨ ، وتفسير القرطبي ٣/١٣

(٣) هو معاوية بن قرة بن اياس بن هلال المزني ، أبو اياس البصري ، ثقة ، من الثالثة ، مات سنة ١١٣ هـ ٠ التقريب ص ٥٣٨

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢/٣٠٨ ، والدر المنثور ١/٥٦٨

(٥) هو اسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي ، ضعيف ، من الخامسة ٠ انظر : التقريب ص ١٠٣

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢/٣٠٨

الآيـــــة : ٢٠٣

وقولـه تـعالى (لِمَـنِ اتَّقَـى) قال الكلبي : لمن اتقى قتل الصيد ، فانه لا يحل لـــــه أن يقتل صيدا حتى تخلـو [١] أيام التشريق .

وقال قتادة معناه : لمن اتقى أن يصيب في حجته شيئا مما نهى الله عنه .

وقال أبو العالية معناه : فلا اثم عليه لمن اتقى الله فيما بقي من عمـــره .

وكان ابن مسعود يقول : انما جعل مغفرة الذنوب [٢] لمن اتقى الله في حجـــه .

قال ابن جريج : وهي في مصحف عبد الله " فلا اثم عليه لمن اتقى الله " . [٣]

وعن ابن عباس معناه : لمن إتقى عبادة الأوثان ومعاصي اللـــه . [٤]

فان قيل : كيف قال الله تعالى **(وَمَن تَأَخَّـرَ فَـلَآ إِثْمَ عَلَيْـهِ)** ، ومعلوم أن من تأخـــر فانما تأخر لاقامة واجب ، فلا يليق بحاله أن يقال : فلا اثم عليه ، بل يليق أن يقـــال : ومن تأخر كان أعظم لأجره ؟

قيـــل : هـذا على مزاوجـــة [٥] الكلام .

وقيل : ان رمي الجمار لا يجوز أن يكون تطوعا ، اذ المتنفل به يكون عابثا ، فلما قال الله تعالى **(فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَـلَا إِثْمَ عَلَيْـهِ)** أوهم ذلك كون الرمي في ذلك اليـــوم الثالث تطوعا ، لأن هـذا تخيير بين فعله وتركـــه ، فقال تعالى **(وَمَـن تَأَخَّـرَ فَـلَآ إِثْمَ عَلَيْـهِ)**

---

(١) في النسخ رسمت هكذا " خلف " . والتصويب من المصادر .

(٢) في م " للذنوب " .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ٣٠٨/٢ ، والبحر المحيط ١١٣/٢

(٤) انظر تلك الأقوال حول معنى قوله " لمن اتقى " في : تفسير الطبرى ٣٠٨/٢ ـ ٣٠٩ وتفسير الثعلبي ٧٦/٢ ـ ٧٧ ، وتفسير البغوى ١٧٩/١ ، وتفسير القرطبي ١٣/٣ وزاد المسير ٢١٨/١

قلـــت : وكلها معان متقاربـــة ، لا منافاة بينها ، وجماعها : تقوى الله بامتثال أمره واجتناب نهيـــه .

(٥) في أ ، م " مزواجة " . والتصويب من ط .

الآيـــة : ٢٠٣

ليبين أن هـذا واجب خير بين فعله وتركـــه .(١)

فصـــل : والأيام المسمـات في الحج سـتة أيام :

يوم التروية ، ويوم عرفة ، ويوم النحر ، ويوم القر ، ويوم النفـــر ، ويوم الصـــدر .

وسمي يوم التروية : لأن جبريل عليه السلام قال لابراهيم عليه السلام : [فيـــه](٢) احمل ريـك من المـاء .

وأما عرفـــة ، فقد ذكرنا لِمَ سمي بـه . ويوم النحر معلوم . ويوم القر : لاستقـــرار الناس بمـــنى . ويوم النفـــر : لأنهم ينفرون من مـنى الى مكـــة .

ويـوم الصـــدر : يصـدرون(٣) الى أهاليهم .

ورمي الجمار مشروع في يوم القـر والنفـر والصـدر ، وهي أيام التشريـــق .

قولـه عـز وجـل : (وَاتَّقُـوا اللَّـهَ وَاعْلَمُـوا أَنَّكُـمْ إِلَيْـهِ تُحْشَـرُونَ) .

هـذا أمر لهم بالتقوى في مستقبل أعمارهم ، أي لا تتكلوا فيما أسلفتم من أعمال الـــبر ، ولكن زيـدوا في الطاعـة في باقي العمـــر .

---

(١) قال الزمخشري : نفي الاثم عن المتعجل والمتأخر ـ لأجل الحاج المتقي ـ لئـــلا يتخالج في قلبه شيء منهما ، فيحسب أن أحدهما يلحق صاحبه آثام في الاقـــدام عليـــه ، لأن ذي التقوى حذر متحرز من كل ما يريبـه ، ولأنه هو الحاج على الحقيقـة عند اللـــه . انظر : الكشاف ١/٢٥٠

(٢) ما بين المعقوفتـين من ط .

(٣) في م عبارة " لأنهم " قبل قوله " يصدرون " .

الآيـــة : ٢٠٣ ، ٢٠٤

وقولـه تعـالى (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) أى في الآخرة يجازيكم بأعمالكم ، اذ الحشر انما يكون للمجازاة ، ومن تصور أنه لابـد من حشر ومحاسبة ومساءلة ، ولابـد من أحـــد أمريـن : امـا الجنـة أو النـار ، يدعـوه ذلك الى التقوى والتشدد ٠

والحشر في اللـغـة : هو الجمع للناس من كل ناحيـة ٠ والمحشر : هو المجمـع ٠

فيكون معنى الآيـة : (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) أى تجمعون ٠

(٢٠٤) قولـه عـز وجـل (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) ٠

قال ابن عباس : نزلت هذه الآيـة في الأخنس بن شريق [1] ، كان حسن المنظر / حلـو (٧٥/أ) الكلام ، فاجر السريرة ، حلّافا ، شديد الخصومة في الباطل ٠ وكان يجالس النـــبي صلى الله عليه وسـلم ، فيظهر له الحسن ، ويحلف بالله أنـه يحبـه ويتبعـــه على دينـــه ٠

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامـه فيعجبـه ، وكان يدنيـه من مجلسه ، فأظهره اللـه على نفاقـــه ٠ [2]

---

(١) هو الأخنس بن شريق بن عمرو الثقفي ، أبو ثعلبة ، حليف بني زهرة ٠ اسمـه أبي ، وانما لقب الأخنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخـبر أن أبا سفيان نجا بالعير ، فقيل : خنس الأخنس ببني زهـرة ، فسمي بذلك ، ثـم أسلم الأخنس ، فكان من المؤلفـة ، وشهد حنيناً ، ومات في أول خلافة عمـر ٠

ذكره أبو موسى عن أبي شاهين ، وكذا ذكره ابن فتحون عن الطبرى ٠

وقال ابن عطية : ما ثبت قط أن الأخنس أسـلم ٠

قال الحافظ ابن حجر : قلت : قد أثبته في الصحابة من تقدم ذكره ، ولا مانـع أن يسلم ، ثم يرتد ، ثم يرجع إلى الإسلام ٠ والله أعـلم ٠

انظـر : الاصابـة ١/٣٩ ــ ٤٠

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٢/٣١٢ ، وأسباب النزول للواحـدى ص ٥٨ والدر المنثور ١/٥٧٢ ٠

قلـت : هـذا أحد الأقوال فيمن نزلت فيه الآيـة ٠

والقول الثاني : أنها نزلت في نفر من المنافقين ، تكلموا في خبيب وأصحابه ==

الآيـــة : ٢٠٤ ، ٢٠٥

ومعنى الآيـة : ومن الناس من يعجبك كلامه وحديثه ، أي تفرح باظهاره الايمـــان وتسر بقولـه .

(وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ) أي يقول : الله شهيد على ما في قلبي ، كما هـو على لساني من الايمـان .

وقوله تعالى **(وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ)** أي شديد الخصومة ، جدل بالباطـل .

والألـد : مأخوذ من لدتي العنق ، وهما صفحتاه .

وتأويلـه : أن خصمه [1] في أي وجه أخذ من أبواب الخصومة ، من يمين أو شمـال غلبه في ذلـك .

(٢٠٥) قوله تعالى (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ) :

أي اذا أعرض عنك الأخنس يا محمـد وفارقك ، أسرع مشيا في الأرض ليعصي فيهـا ويضر المؤمنين ، وليهلك ما قدر عليه من زرع ونسل .

(وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ) أي لا يرضى المعاصـي .

روى أن الأخنس خرج من عند النبي صلى الله عليه و سلم ، فمر بزرع فأحرقه ، وبحمـار فعقره ، فنزلت [2] هذه الآية بما فيها من الوعيد فحسبه جهنم . وصارت عامة فـي جميع المفسـدين .

= الذين قتلوا في غزوة الرجيع وعابوهم . روى هذا عن ابن عباس .
والقول الثالث : أنها عامة في كل مبطن كفرا أو نفاقا أو كذبا أو اضرارا وهو يظهـر بلسانه خلاف ذلك . وهذا قول قتادة ومجاهد والربيع بن أنس و غير واحـد .
قال ابن كثير : وهو الصحيح .
انظر : تفسير الطبري ٢/٣١٣ ـ ٣١٤ ، وزاد المسير ١/٢١٩ ـ ٢٢٠ ، وتفسير القرطبي ٣/١٥ ، وتفسير ابن كثير ١/٢٥٣

(١) في أ " خصومته " . والتصويب من ط، م .

(٢) انظر : أسباب النزول للواحدي ص ٥٨ ، وتفسير البغوي ١/١٨٠ وتفسير القرطبي ٣/١٧ ، والاصابة ١/٣٩ ـ ٤٠

الآيـــة : ٢٠٥ ، ٢٠٦

وقيل معنى الآية : (لِيُفْسِدَ فِيهَا) أى يوقع الفتنة بين الناس فيشتغلوا عن الزراعة و عن أعمالهم ، فيكون في ذ لك هلاك الحرث والنسل ٠

وقيل : يخيف الناس حتى يهربوا من شره ، فتخرب الضياع وينقطع نسل الناس والد واب ٠

وفي هذ ه الآية تحذ ير من الاغترار بظاهر القول وما يبد يه الرجل من حلاوة المنطق ، وأمر بالاحتياط في أمر الد ين والد نيا حتى لا يقتصر على ظاهر أمر الانسان ، خصوصا فيمن هو ألد الخصام ومن ظهرت منه د لائل الريبة ٠

ولهذ ا قالوا : ان علينا استبراء حال من نراه في الظاهر أهلا للقضاء والشهاد ة والفتيا والإمامة (١) ، وأن لا يقبل منهم ظاهرهم حتى يسأل عنهم ويبحث عن أمرهم ، اذ قد حذّ ر الله تعالى أمثالهم في توليتهم على أمور المسلمين ، ألا ترى أنه عقبه بقوله (وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا) فيحتمل أن يكون المراد بالتولي : أن يتولى أمرا من أمور المسلمين ، فأعلم الله بهذ ه الآية أنه لا يجوز الاقتصار على الظاهر د ون الاحتياط والاستبراء ٠ (٢)

(٢٠٦) قوله عز وجل (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ) :

أى اذ ا قيل لهذ ا المنافق : احذ ر عقوبة الله ولا تفسد ، أخذ ته المنعة والحمية والأنفة بسبب الاثم الذ ى فيه والكفر الذ ى في قلبه ، يعني أنه تكبر وقال : أمثلي يقال له : اتق الله ؟

---

(١) في أ " والأمانة " ٠ والتصويب من ط ٠

(٢) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٩٦/١ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٢٠١/١ وتفسير القرطبي ١٥/٣

قال القرطبي : والصحيح أن الظاهر يعمل عليه حتى يتبين خلافه ، لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صحيح البخارى : أيها الناس ، إن الوحي قد انقطع وانما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه ، وليس لنا من سريرته شيء ، الله يحاسبه في سريرته ، ومن أظهر لنا سوءاً لم نؤمنه ولم نصد قه وإن قال إن سريرته حسنة ٠ تفسير القرطبي ١٦/٣

وانظر : صحيح البخارى : كتاب الشهادات : باب : الشهداء العدول ٠

الآيـــة : ٢٠٦

ويقال : حملته العزة على فعل ما يوجب الاثـــم .

وقوله تعالى (فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ) أي كفاه النار في الآخرة عقوبة ونكالا .

قوله تعالى (وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) أي لبئس القرار النار .

والمهاد : الفرش الموطى [١] للنوم ، كما / يمهد للطفل . (٧٥/ب)

فلما كان المعذب يلقى في نار جهنم جعل ذلك مهادا له ، على معنى : أن جهـــنم للكافرين [٢] مكان المهاد للمؤمن في الجنـــة . [٣]

ويحكى أن يهوديا كانت له حاجة الى هارون الرشيد [٤] ، فاختلف الى بابـــه زمانا ، فلم يقض حاجته ، فوقف يوما على الباب ، فلما خرج هارون سعى [٥] بين يديـــه فقال له : اتق الله يا أمير المؤمنين . فنزل هارون عن دابته وخرّ ساجدا ، فلما رفع رأسه أمر بحاجتـه فقضيت ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، نزلت عن دابتك لقول يهـــودي ؟ قال : لا ، ولكن ذكرت قول الله (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْـــمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ) . [٦]

---

(١) في ط " الوطي " .

(٢) في ط ، م " للكافر " .

(٣) قال القرطبي : وسمى جهنم مهادا ، لأنها مستقر الكفار .
وقيل : لأنها بدل لهم من المهاد . تفسير القرطبي ٢٠/٣

(٤) هو هارون (الرشيد) ابن محمد (المهدي) ابن المنصور العباسي ، أبو جعفر ، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق ، وأشهرهم ، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠ هـ فقام بأعبائها وازدهرت الدولة في أيامه ، وكان عالما بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه . كثير الحج والغزوات ، مات غازيا بخراسان سنة ١٩٣ هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٩ ـ ٢٩٥ ، والأعلام ٦٢/٨

(٥) في م " وهو يسعى " .

(٦) انظر : تفسير القرطبي ١٩/٣

الآيـــــة : ٢٠٧

(٢٠٧) قوله عز وجل (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ) :

قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في صهيب بن سنان [١] ، وعمار بن ياسر ، وأمه سمية [٢] ، وأبوه ياسر ، وبلال [٣] ، وخباب بن الأرت [٤] ، وغيرهم ٠

---

(١) هو صهيب بن سنان بن مالك الرومي ، قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيرا ، ثم اشتراه رجل فباعه بمكة ، فاشتراه عبد الله بن جدعان التميمي فأعتقه ، ويقال : بل هرب من الروم فقدم مكة ، فحالف ابن جدعان ٠

وكان من السابقين الى الاسلام ، ومن المستضعفين ممن عذب في الله ، شهد بدرا والمشاهد بعدها ، مات سنة ٣٨ هـ ٠

انظر : الاصابة ١٨٨/٢ ــ ١٨٩

(٢) هي سمية بنت خُبّاط ــ بمعجمة مضمومة وموحدة ثقيلة ــ مولاة أبي حذيفة بن المغيرة ، والدة عمار بن ياسر ، كانت سابعة سبعة في الاسلام ، عذبها أبو جهل وطعنها في قلبها فماتت ، فكانت أول شهيدة في الاسلام ٠

انظر : الاصابة ٣٢٧/٤

(٣) هو بلال بن رباح الحبشي القرشي التيمي ، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كان قديم الاسلام والهجرة ، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ممن يعذب في الله تعالى فيصبر على العذاب ، وكان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته سفراً وحضراً ، وهو أول من أذن في الاسلام ٠ مات بدمشق سنة عشرين ٠

انظر : تهذيب الأسماء واللغات ١٣٦/١

(٤) هو خباب بن الأرت ــ بُتشديد المثناة ــ ابن جندلة التميمي ، ويقال الخزاعي ، أبو عبد الله ، سبي في الجاهلية فبيع بمكة ، فكان مولى أم أنمار الخزاعية ، وكان من السابقين الأولين ، وكان من المستضعفين ، وهو أول من أظهر إسلامه ، وعذب عذاباً شديداً لأجل ذلك ، شهد المشاهد كلها ٠ مات بالكوفة سنة ٣٧ هـ ٠

انظر : الاصابة ٤١٦/١

الآيـــــة : ٢٠٧

أخذ هم المشركون في طريـق مكـة فعذ بوهم ، فأما صهيب فقال لهم : أنا شيخ كبـــــير ، لا يضركم أمنكم كنت أم من عد وكم ، أعطيكم جميع مالي ومتاعي وذ روني ود يني أشتريـــــه منكم بمالي ، ففعلوا ، فأعطاهم ماله وتوجه الى المد ينـة ، فلما د خل المد ينـة لقيـــــه أبو بكر رضي الله عنه فقال : ربح البيع يا صهيـب . قال : وبيعك ولا يخسر [1] ، ومـا ذ اك يا أبا بكـــر ؟ فأخبره بما نزل فيـه [2] ، وهو قوله (**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّـهِ**) .

وأما سميـة وياسر فقتـلا ، وكانا أول قتيلين قتـلا من المسلمين .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما بمكـة : " اصبروا يا آل ياسر فان موعـدكـم الجنـــــــة " . [3]

وأما الآخرون فانهم أعطوا على العذ اب ببعض ما أراد المشركون من كلمة الكفـــر وسب الاسلام ، وكانت قلوبهم مطمئنة بالايمان ، فتركوا وقد موا المد ينـة ، وفيهـم نـزل قوله تعالى (**مَنْ كَفَرَ بِاللَّـهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ**) [4] ومعنى قولـه تعالى (**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ**) على هذا التأويل الذى ذكرنـــاه : ومن النـاس من يشرى نفسه ود ينـه بمالـه .

---

(١) في ط " فلا يخسر " ، وفي م " لا يخسر " بغير واو .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٣٢١/٢ ، وأسباب النزول للواحد ى ص ٥٨ ، وتفسير البغوى ١٨٢/١ ، وزاد المسير ٢٢٣/١ ، وتفسير القرطبي ٢٠/٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٥٤/١ و عند الطبرى وابن كثير : القائل : ربح البيع . هو عمر ، وليس أبا بكر رضي الله عنهمـــا .

(٣) انظر : الاصابـــة ٣٢٧/٤ وقد عـزا الحافظ تخريجه لابن اسحاق في المغازى .

(٤) النحـــل ١٠٦

وانظر : أسباب النزول للواحد ى ص ٢٨٨ ، وتفســـــير البغـــوى ٣ / ٨٦ وتفسـير القرطـبي ١٨٠/١٠ ، وتفســـــير ابـن كثـــــير ٢ / ٦٠٩ وهـو مروى عن ابن عبـــاس .

الآيـــة : ٢٠٧

وعـن عمـر و علي رضي الله عنهمـا أنهمـا قالا في هـذ ه الآيـة : هـو الرجـل يأمـر بالمعـروف ، وينهـى عـن المنكـــر ، فيقتـل عليـه [١] . فعلى هـذا معنى قوله تعالـــى **(يَشْـــرِى نَفْسَـــهُ)** : أي يبيع نفسه ، أي يبذلها في الجهاد في سبيل الله .

وهـذا من أسماء الأضداد ، قال الشاعر في " شريت " بمعنى " بعت " :

وشريـت بـــردا ليتـــــــني ... من بعـد بـــرد كنـت هامـــة [٢]

أي : هلكـــــت .

وقولـه تعـالى (ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّـهِ) نصب على أنه مفعول له ، كأنه قال : لابتغـــاء مـرضـات اللـــه .

وقولـه تعـالى (وَٱللَّـهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَـادِ) أي رحيم بهم ، يرغبهم في الخير ويثيبهم عليـه رأفـــة بهـــم .

ويقال : انـه لرأفتـه ورحمتـه أمرهم [٣] ببيـع أنفسهـم ، لكـي ينالـوا مـن كريـم ثوابـــــه ما هـو خـــير لهـم .

(٢٠٨) قولـه عـز وجـل / (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً) : (٧٦/أ)

قال ابن عباس : نزلت هذ ه الآية فيمن أسلم من أهل الكتاب ، عبد الله بن ســلام وأصحابه ، وذ لك أنهم عظموا السبت ، وكرهوا لحوم الابل وألبانها ، واتقوا أشيـاء

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٣٢٢/٢ ، وزاد المسير ٢٢٣/١ ، وتفسير القرطبي ٢١/٣
وقال ابن كثير : الأكثرون على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله .
انظر : تفســـير ابن كثـــير ٢٥٤/١ ــ ٢٥٥

(٢) البيت ليزيـــد بن مفرغ الحمـيرى . وهو في اللسان : مادة (شرى) .
والبحر المحيط ١١٩/٢ ، والدر المصون ٣٥٧/٢
وانظر : الأضـــداد للأنبارى ص ٧٢ ــ ٧٣

(٣) بل مدحهـــم .

الآيـــــة : ٢٠٨

كانوا يثقونها قبل أن يسلموا ، وقالوا : يا رسول الله ان التوراة كتاب الله ، فد عنـــــا فلنقم بها في صلاتنا بالليـــــل ٠

فأنزل [١] الله تعالى هذ ه الآية ، وأمرهم أن يد خلوا في جميع شرائع محمـــد صلى الله عليه وسلم ٠

ومعناها : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً) أى في الإسلام ٠

وقال مجاهد : في أحكام الد ين وأعماله ٠ [٢]

وأصله من الاستسلام والانقياد ، ولذ لك قيل للصلح سلم ٠

وقال حذ يفة في هذ ه الآيـة : الاسلام ثمانية أسهم : الصلاة سهم ، والزكاة سهم ، والصـــوم سهم ، والحج سهم ، والعمرة سهم ، والجهاد سهم ، والأمر بالمعروف سهم ، والنهي عن المنكر سهم ٠ وقد خاب من لا سهم لـه ٠ [٣]

وقال الحسن رضي الله عنه : معنى الآية : يا أيها الذ ين آمنوا تكلموا بكلمة الايمـــان ، أى أقيموا على الايمان ٠ حث الله تعالى بهذ ه [٤] الآية جميع المؤمنين على الاسلام والطاعة ،

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٣٢٤/٢ ، وأسباب النزول للواحد ى ص ٥٩ ، وتفسير البغوى ١٨٣/١ ، وزاد المسير ٢٢٤/١ ، وتفسير ابن كثير ٢٥٥/١

وأخرجه الطبرى عن عكرمة ، وكذ ا حكاه ابن كثير ٠

وقد سموا فيه أصحاب عبد الله بن سلام ، وهم : ثعلبة ، وابن يامين ، وأســـد وأسيد ابني كعب ، وشعبة بن عمرو ، وقيس بن زيد ٠

وفي كلام ابن كثير ما يفيد توهين هذ ا الخبر ، حيث بد أه بقوله : زعم عكرمة ٠٠٠٠ فذكره ٠ ثم قال : وفي ذكر عبد الله بن سلام مع هؤلاء نظر ، اذ يبعد أن يستأذ ن في اقامة السبت وهو مع تمام ايمانه يتحقق نسخه ورفعه وبطلانه والتعويض عنـــه بأعياد الاسلام ١٠ هـ ٠

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٣٢٥/٢ ، وتفسير البغوى ١٨٣/١

(٣) انظر : تفسير البغوى ١٨٣/١ ، وتفسير القرطبي ٢٣/٣

(٤) في أ " هذ ه الآية " ٠ والتصويب من ط ، م ٠

الآيـــة : ٢٠٨

كمـن يشرى [١] نفسه ، ألا تراه قال بعد ذلك :

(وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) أى لا تفعلوا فعل ألـد الخصام .

وقيل : **(وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ)** أى لا تقتفوا آثاره ، لأن تركككم شيئا من شرائـع الاسـلام اتباع للشيطـان .

قولـه تعـالى (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) أى انـه عدو لكم ظاهر العداوة .

فان قيل : كيف قال الله تعالى **(إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)** وهو لم يبد لنا شخصه ؟

قيل : قد كان أبدى العداوة لأبينا آدم عليه السلام ، حين امتنع من السجود له ، وقال **(أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ)** فكان ابداؤه واظهاره العداوة لأبينا آدم ابداء واظهارا لنا .

قولـه تعـالى (كَافَّةً) أى جميعا ، مأخوذ من كففت الثوب ، أى جمعته وضممت بعضـه الى بعـض .

ومعنى " كافة " في اللغة : مشتق من كف الشيء يكفه ، أى منعه .

وسميت الراحة مع الأصابع كفا : لأنها يكف بها عن سائر البدن .

ورجل مكفوف : أى كف بصره عن النظر .

ومنه قيل لحاشية القميص " كفّه " ، لأنها تمنع من أن ينتشر .

وكل مستطيل فحرفه " كُفّه " بالضم ، وكل مستدير فحرفه " كِفّة " بالكسر ، نحو : " كِفة الميزان"[٢].

---

(١) في ط " كفعل من يشرى " .

(٢) في أ " كف " . والتصويب من ط ، م ، كما هو كذلك في المصادر .

وانظر ما ذكره من اشتقاق حول كلمة " كافة " في : معاني القرآن للزجاج ٢٧٩/١

الآيـــة : ٢٠٨ ، ٢٠٩

واختلف القـراء في " السلم " :

فقرأ ابن عباس والأعمش " السّلم " : بكسر السين [١] هنا وفي الأنفال [٢] وسورة محمـــد [٣] .

وقرأ أهل الحجاز [٤] والكسائي بالفتـــح .

وقرأ حمزة وخلف في الأنفال بالفتح ، وسائرها بالكسر .

وقرأ الباقون هنا بالكسر ، والباقي بالفتح [٥] . وهما لغتـــان .

(٢٠٩) قولـه عـز وجـل (فَإِنْ زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـــهَ عَزِيـــزٌ حَكِـــيمٌ) :

أي ان زللتم [٦] عدلتم عن الطريق المستقيم بالخروج عن طاعة الله الى المعصية .

وقال ابن عباس : معناه : فان مِلتم الى أول شريعتكم / من تحريم لحوم الابل والســـبت (٧٦/ب)

(مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ) أي الدلالات والحجج ، يعني محمـــدا صلى اللـه عليه وسلم وشرائعه . (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيـــزٌ حَكِيمٌ) أي غالب بالنقمة لا يعجـــزه شيء من ذلك .

وقولـه (حَكِيمٌ) أي محكم في الفعل ، حكيم في أمره .

ويقال : عالم ، ذو حكمـــة فيما شرع لكم من دينـــــه .

---

(١) وهي قراءة العشرة سوى نافع وأبي جعفر وابن كثير والكسائي .

(٢) في قوله تعالى (وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) الآية : ٦١

(٣) في قوله تعالى (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ) الآية : ٣٥

(٤) وهم نافع ، وأبو جعفر ، المدنيان ، وابن كثير المكي .

(٥) انظر : النشر ٢٢٧/٢ ، والبدور الزاهرة ص ٤٨ ، وتفسير البغـــوى ١٨٣/١ وزاد المسير ٢٢٤/١

(٦) في أ ، م " زلتم " . وهو خطأ . والمثبت هو الصواب .
وفي م زيادة عبارة " أي ان " قبل قوله " عدلتم " .

الآيـــة : ٢٠٩ ، ٢١٠

وقال ابن حبان [١] : معنى ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ أي [٢] أخطأتم .

وقال السدى : فان ضللتم .

وقال ابن عباس : يعني الشرك . [٣]

وقرأ أبو السمال [٤] العدوى " فان زلِلتم " بكسر اللام . [٥]

وفي هذه الآية تشبيه العصيان بزلة القدم .

(٢١٠) قوله عز وجل ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ :

افترق الناس في تفسير هذه الآية على أربعة أقوال :

فرقة منهم يتأولونها على ظاهرها ، ويصفون الله بالاتي الذى هو زوال من مكان الى مكان .

وهذا القول غير مرضي ، تعالى الله عنه .

وفرقة يفسرون الاتيان تفسيرا مجملا ، لا يعدون ظاهر اللفظ ، يقولون : يأتي كيف شاء بلا كيف . وهذا غير [٦] مرضي أيضا .

---

(١) هو محمد بن يحيى بن حَبّان - بفتح المهملة وتشديد الموحدة - ابن منقذ الأنصارى المدني ، ثقة فقيه ، من الرابعة ، مات سنة ١٢١ هـ .
التقريب ص ٥١٢

(٢) في ط " أى فان أخطأتم " .

(٣) انظر تلك الأقوال في : تفسير الطبرى ٣٢٦/٢ ، وتفسير الثعلبي ٨٥/٢

(٤) في النسخ " أبو السماك " . والتصويب من المصادر .

(٥) انظر : مختصر الشواذ لابن خالويه ص ١٣ ، والمحتسب ١٢٢/١ ، والكشاف ٢٥٣/١

(٦) قلت : بل هذا هو المرضي ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة ، فيثبتون صفات البارى جل وعلا كما جاءت بلا كيف .
قال العلامة القاسمي رحمه الله : " وصفه تعالى نفسه بالإتيان في ظلل من الغمام كوصفه بالمجيء في آيات أخر ونحوهما مما وصف به نفسه في كتابه أو صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، والقول في جميع ذلك من جنس واحد . وهو مذهب سلف الأمة وأئمتها : أنهم يصفونه سبحانه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . والقول في صفاته كالقول في ذاته . والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله " اهـ . تفسير القاسمي ١٧٨/٣ . وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٥ - ٧٦ ، وتفسير ابن كثير ٢٥٥/١ - ٢٥٦

الآيـــة : ٢١٠

وأما الفرقتان الأخريان [١] من أهل السنة والجماعة :

فاحد اهما : لا يفسرون هذه الآية ، ويقولون : نؤمن بظاهرها ، ونسكت عن الخوض فـــي معناها ، لما فيه من الاشتباه والتشبيه . [٢]

وقال الكلبي : هذا من المكتوم الذى لا يفسر . [٣]

وقال ابن عباس : نؤمن بها ولا نفسرها [٤] ، كما قال الله تعالى في المتشابهات ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [٥] .

وأما الفرقة الرابعة : فيفسرونها ، ويردون مثل هذه المتشابهات الى الآيات المحكمـــات . ويقولون معناها : ما ينظر الكفار بعد قيام الحجة عليهم الا أن يأتيهم أمر الله وهو الحساب ، أو أن يأتيهم عذاب الله .

لأن الاتيان لفظ مشتبـه ، يحتمل حقيقة الاتيان ويحتمل اتيان الأمر ، وقد قامت الدلالة على أن الله تعالى لا يجوز عليه الاتيان والمجيء والانتقال والزوال ، لأن ذلك مـــن

---

(١) في ط " الآخرتان " .

(٢) هذا القول راجع لمذهب السلف الذى سبق بيانـه .
وانظر أقاويل الثقات في الأسماء والصفات لمرعي بن يوسف الحنبلي ص ٦١ ـ ٦٢ ، ص ١٩٧ ، وشرح لمعة الاعتقاد ص ٢٠ ، وتفسير الشيخ السعدى ١٦٥/١ ـ ١٦٦ قال في شرح لمعة الاعتقاد : ولا نثبت لها معنى يخالف ظاهرها كما فعله أهل التأويل ، وليس المراد نفي المعنى الصحيح الموافق لظاهرها ، الـــذى فسرها به السلف ، فان هذا اثابت ...

(٣) حكاه عنه البغوى في تفسيره ١٨٤/١

(٤) حكاه عنه القرطبي ، وأبو حيان بلفظ القول المحكي عن الكلبي آنفا .
انظر : تفسير القرطبي ٢٦/٣ ، والبحر المحيط ١٢٤/٢

(٥) آل عمـــران ٧

الآيـــة : ٢١٠

صفات الأجسام والمحدثين ، والله تعالى منزه عن ذلك .(١)

قال علي رضي الله عنه : من زعم أن الله في شيء ، أو من شيء ، أو على شيء ، فقد ألحد ، لأنه لوكان من شيء لكان محدثا ، ولوكان في شيء لكان محصورا ، ولوكان على شيء لكان محمولا .(٢)

واذا كان لفظ الاتيان مشتبها وجب رده الى المحكم ، نحو قوله تعالى في سورة النحل (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ) .(٣)

وقال بعضهم : معناه : هل ينظرون الا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام وبالملائكة أو مع الملائكة ، فتكون " في " بمعنى الباء ، فعلى هذا التأويل زال الاشكال وسهل الأمر .(٤)

---

(١) انظر : الكشاف ٢٥٣/١ ، وتفسير القرطبي ٢٥/٣ ـ ٢٦
وهذا هو مذهب أهل التأويل والتعطيل ، الذين عطلوا ظواهر النصوص ، وتأولوا دلالتها ومعانيها حسب أهوائهم وعقولهم .
قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية : يقول تعالى مهددًا للكافرين بمحمد صلوات الله وسلامه عليه (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) يعني يوم القيامة لفصل القضاء بين الأولين والآخرين ، فيجزى كل عامل بعمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ١٠ هـ .
تفسير ابن كثير ٢٥٥/١

(٢) حكاه الثعلبي عن علي ، ولم يجزم بنسبته إليه ، حيث قال : أظنه علي بن أبي طالب . تفسير الثعلبي ٨٦/٢

(٣) النحل ٣٣

(٤) قلت : ليس هنا إشكال أصلاً لمن وفقه الله طريق الحق وسبيل الرشاد ، فسلك مسلك أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة وأئمتها ، فسار على هدى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، بعيداً عن تخرصات الجاهلين وتأويلات المنحرفين .
وليت شعري أن مفسرنا اقتصر على ذكر قول أهل الحق في ذلك وارتضاه وأعرض عما سواه ، فسلم مما وقع فيه من تخبط ، وتأويل يرده ظاهر الآية ودلالتها .

الآيـــة : ٢١٠

وأما ذكر الظلة في الآية : فان [١] الهول اذا بدأ من الظلة المظلمة من السحاب كان أعظم وأشد ، يدل عليه قوله تعالى في قصة شعيب : (**فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**) [٢] .

/ وأما قوله (**وَالْمَلَائِكَةُ**) : قرأ أبو جعفر بخفض [٣] الملائكة عطفا على الغمام ، أى (٧٧/أ)
وفي ظلل [٤] من الملائكة ، أى جماعة من الملائكة .

قوله (**وَالْمَلَائِكَةُ**) وسماهم الله ظللا ، لأن الملائكة لا تسير بالأقدام ، ولكنها تطير بالأجنحة كما يطير الطير .

ومن قرأ " الملائكة " بالرفع ، وهي قراءة الجمهور [٥] والاجماع ، فتقديره : وتأتيهم الملائكة في ظلل . يدل عليه قراءة أبيّ ، وعبد الله " هل ينظرون الا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام " . [٦]

والغمام : هو السحاب الرقيق الأبيض ، سمي بذلك لأنه يغم ، أى يستر . [٧]

قوله تعالى (**وَقُضِيَ الْأَمْرُ**) أى أمضي الحكم بإنزال الفريقين منازلهم من الجنة والنار .

قوله تعالى (**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**) أى عواقب الأمور ومصير الخلائق الى الله تعالى .

ومن قرأ " تُرجع " برفع التاء [٨] ، فعلى ما لم يسم فاعله .

---

(١) في ط " فلأن " .

(٢) الشعراء ١٨٩

(٣) انظر : النشر ٢٢٧/٢

(٤) في أ " أى والظلل " . والتصويب من ط .

(٥) انظر : النشر ٢٢٧/٢

(٦) انظر : تفسير القرطبي ٢٥/٣ ، والبحر المحيط ١٢٥/٢

(٧) انظر : تفسير الطبرى ٢٩٣/١ ، ومفردات الراغب : مادة (غم) .

(٨) وهي قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وعاصم ، وأبي جعفر .
انظر : النشر ٢٠٨/٢ ـ ٢٠٩ ، والبدور الزاهرة ص ٤٨

الآيـــة : ٢١٠ ، ٢١١

ومن قرأ بنصب التاء [١] ، فمعناه : والى الله تصير الأمور .

ومن قرأ بالياء [٢] ، فلأن تأنيث الأمور غير حقيـــقي .

(٢١١) قـوله عـز وجـل (سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ) :

أي سل يا محمـــد يهود أهل المد ينـة كم أعطيناهم ، أي كم أعطينا أسلافهـــم وآبائهـم من علامـة واضحـة ، مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وتظليـــل الغمام وانزال المن والسلوى ، و غير ذ لك مما كان في وقت موسى عليه الســـلام من المعجزات ، كما آتيتك من المعجزات ، فلم يؤمن أولئـك كما لم يؤمن هـــؤلاء الكفـــار . وهـذا السؤال سؤال تقريـــع وانكار للكفار ، وتقرير لقلب النـــــبي صلى الله عليه وسلم ، لا سؤال استفهام ، لأنـه صلى الله عليه و ســـــلم كـان لا يحتاج الى الســـؤال .

والمعنى : كما أن هؤلاء لم يؤمنوا بالآيات البينات التي أعطيتها ، فلا تغتمن ، وســـل بني اسرائيل ، أي انظر في آيات بني اسرائيل كم أعطيناهم من علامة واضحة [٣] في زمـــن موسى عليه السلام .

قولـه عـز وجـل (وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) أي من يغير حجة الله الدالة على أمر نبيه صلى الله عليه وسلم .

(مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ) أي يغير حجة الله ، بأن يجحدها أو يصرفها عن وجهـــا

(فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) أي شديد التعذيب [٤] لمـن استحقـه .

وسمى الله تعالى الحجج نعمة ، لأنها من أعظم النعم على الناس في أمر الدين . [٥]

---

(١) وهي قراءة بقية العشرة .

انظر : النشر ٢٠٨/٢ ــ ٢٠٩ ، والبدور الزاهرة ص ٤٨

(٢) بفتح الياء وكسر الجيم قرأ عيسى بن عمر .

وبضمها وفتح الجيم قرأ خارجة عن نافع .

انظر : المختصر في شواذ القراءات لابن خالويه ص ١٣ ، والبحر المحيط ١٢٥/٢

(٣) في م " من علامات واضحات " .

(٤) في ط " العذاب " .

(٥) قال الطبرى : يعني بالنعم جل ثناؤه الإسلام وما فرض من شرائع دينه .

انظر : تفسير الطبرى ٣٣٢/٢

الآيـــة : ٢١٢

(٢١٢) قوله عز وجل (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) :

نزلت [١] هذه الآية في مشركي العرب ، أبي [٢] جهل وأصحابه ، كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال ، ويكذبون بالمعاد ، ويسخرون من المؤمنين الذين يرفضون الدنيا ويقبلون على الطاعة والعبادة ، ويقولون : لو كان محمد نبيا لاتبعه أشرافنا ، والله ما يتبعه الا الفقراء ، مثل ابن مسعود ، وعمار ، وصهيب ، وسالم ، وأبي عبيدة ابن الجراح ، وبلال ، وخباب ، وعامر بن فهيرة [٣] ، وغيرهم . هكذا قال الكلبي [٤] . / وقال مقاتل : نزلت في المنافقين ، عبد الله بن أبيّ وأصحابه [٥] ، (٧٧/ب) كانوا يتنعمون في الدنيا بما بسط الله لهم فيها من الخير ، ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين ، ويقولون : انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد صلى الله عليه وسلم أنه يغلب بهم ، وكانوا يعيرونهم بقلة ذات أيديهم . [٦]

وقال عطاء : نزلت في علماء اليهود ورؤسائهم من بني قريظة والنضير [٧] ، سخروا من فقراء المهاجرين ، فوعدهم الله تعالى أن يعطيهم أموال بني قريظة والنضير بغير قتال ، أسهل شيء وأيسره .

---

(١) في أ " نزل " . والتصويب من ط ، م .

(٢) في أ " أبو جهل " . والتصويب من ط.

(٣) هو عامر بن فهيرة التميمي ، مولى أبي بكر الصديق ، أحد السابقين وكان ممن يعذب في الله ، وهو مذكور فيمن استشهد ببئر معونة قبل غزوة تبوك بست سنين .
انظر : الاصابة ٢٤٧/٢

(٤) ذكره أبو حيان من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .
وعزاه غيره لابن عباس دون بيان طريقه .
انظر : البحر المحيط ١٢٩/٢ ، وتفسير البغوي ١٨٥/١ ، وزاد المسير ٢٢٨/١

(٥) انظر : المصادر السابقة .

(٦) في ط " ذات اليد " .

(٧) انظر : المصادر السابقة .

الآيـــة : ٢١٢

وعن عليّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من استذل مؤمنا أو مؤمنة أو حقره لفقره وقلة ذا ت يد ه ، شهره الله تعالى يوم القيامة ثم يفضحه ، ومن بهت مؤمنا أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه أقامه الله تعالى على تل من نار حتى يخرج مما قاله فيه . وان المؤمن عند الله أعظم من ملك مقرب ، وليس شيء أحب الى الله تعالى من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة ، وان المؤمن يعرف في السماء كما يعرف الرجل أهله وولده " .(١)

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لا تحقرن أحدا من المسلمين ، فان صغير المسلمين عند الله كبير .(٢)

وقال يحيى بن معاذ : بئس القوم قوم اذا (٣) استغنى المؤمن بينهم حسدوه ، وان افتقر بينهم استذلوه .(٤)

قوله عز وجل (وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أى فوقهم في الدرجة ، يعني الذين اتقوا الشرك والفواحش والكبائر ، فوق الكفار يوم القيامة في الجنة ، بكون المؤمنين في عليين ، والكفار في الجحيم .

قوله تعالى (وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) :

قال ابن عباس : يعني كثيرا بغير مقدار (٥) ، أى يرزق رزقا كثيرا لا يعرف حسابه .

وقال الضحاك : يعني بغير تبعة ، يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة .(٦)

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٨٨/٢
وذكره القرطبي في تفسيره ٢٩/٣ ولم أجده في شيء من كتب الحديث التي وقفت عليها .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٨٨/٢

(٣) في ط " ان استغنى " .

(٤) انظر : المصدر السابق .

(٥) انظر : تفسير الخازن ٢٠٠/١

(٦) انظر : تفسير البغوى ١٨٥/١ ، وتفسير القرطبي ٣٠/٣

الآيـــة : ٢١٢

وقيل معناه : ان الله تعالى لا يحاسب على ما يرزق ، لأنه لا شريك له فيمانعـــــــه ، ولا قسيم فينازعـه ، ولا يقال له : لم أعطيت هذا وحرمت هذا ، ولا لم أعطيت هذا أكـــثر من هذا ، لأنه عز وجل لا يُسأل عما يفعـل .

وقيل معناه : يعطي من غير أن يخاف نفاد خزائنه فيحتاج الى حساب ما يخرج منهـــا ، اذ كان الحساب من المعطي انما يكون ليعلم قدر العطاء ، لئلا يتجاوز في عطائه الـــى ما يجحف بـه ، فهو لا يحتاج الى الحساب ، لأنه عالم غني لا يخاف نفاد خزائنه ، لأنهـا بين الكاف والنـــون .

وقيل معناه : (وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ) أي من الكفار و غيرهم (بِغَيْرِ حِسَابٍ) أي بغـــير مقدار ، لا يعرف حسابـه .(١)

و عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " يقول الله عز وجل : لـولا أن يجزع عبد ى المؤمن لعصبت / الكافر بعصابة من حرير ، ولصببت (٢) الد نيا عليـــــه (٧٨/أ) صـــبا " .(٣)

ومصد اق ذ لك قوله تعالى (وَلَوْلَا أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) (٤) الى آخـــر الآيـــــــة .

وقال صلى الله عليه و سلم : " لو أن الد نيا عند الله تزن جناح بعوضة ما سقى كافراً منهـا شربـة مـاء " .(٥)

---

(١) انظر تلك الأقوال في : تفسير البغوى ١٨٥/١ ـ ١٨٦ ، وتفسير الخـازن ٢٠٠/١ وتفسير القرطبي ٣٠/٣

(٢) في أ " ولصبب " . والتصويب من ط .

(٣) لم أجـــد ه .

(٤) الزخـرف ٣٣ وتمامها (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا مـن فضـــــة ومعارج عليها يظهرون) .

(٥) أخرجه الترمذ ى في كتاب الزهد : باب : ما جاء في هوان الد نيا على الله عز وجل . وابن ماجه في كتاب الزهد : باب : مثل الد نيا . من حد يث سهل بن سعد . قال الترمذ ى : هـذا حديث صحيح غريب من هذا الوجـه .

الآيـــة : ٢١٢

و عن قطرب في قوله تعالى (**وَاللَّـهُ يَـرْزُقُ مَـن يَشَـآءُ بِغَـيْرِ حِسَـابٍ**) أى أن الله يعطـي العدد المتناهي ، لا من عدد أكثر منه كما يفعله العباد ، لكن يعطي المتناهـي من غير المتناهـي . (١)

فان قيل : أليس الله تعالى قال في آية أخرى : " **جَـزَآءً مِن رَّبِّكَ عَطَـآءً حِسَـابًا** " (٢)، فكيف قال في هذه الآيـة (**بِغَـيْرِ حِسَـابٍ**) ؟

قيل : العطاء من جهة الله عز وجل على ضربين :

أحدهما ثوابا ، والآخـر تفضـلا .

فما كان ثوابا كان له حساب ، لأنه يكون على قدر الاستحقاق بالعمل . (٣)

وأما الفضل (٤) فلا يكون له حساب ، كما قال تعالى (**لِيُوَفِّيَهُـمْ أُجُورَهُـمْ وَيَزِيدَهُـم مِّـن فَضْـلِهِ**) (٥)، والمراد بقوله (**عَطَاءً حِسَابًا**) الثواب ، دون التفضـل .

والمراد بقوله (**وَاللَّـهُ يَـرْزُقُ مَـن يَشَـآءُ بِغَـيْرِ حِسَـابٍ**) التفضـل .

فان قيل : كيف قال (**بِغَـيْرِ حِسَابٍ**) وقد روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قـال : " حلالها حساب ، وحرامها عذاب " (٦) ؟

قيل : روى عن عائشة رضي الله عنها في معنى الحساب في المؤمنين : العرض ، " ومـن نوقش الحساب عـذب " . (٧)

---

(١) لم أجـده . ولا يخفى ما فيه من تكلف العبارة .

(٢) النبـأ ٣٦

(٣) في ط " على العمل " .

(٤) في ط ، م " وأما التفضل " .

(٥) فاطـر ٣٠ ولا تعارض بين الآيات ، فمحل كل واحدة يختلف عن الأخرى .

(٦) لم أجـده .

(٧) هذا حديث مرفوع ، أخرجه البخارى ومسلم من رواية عائشة رضي الله عنها عـن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " من نوقش الحساب عذب " قالت : قلـت : أليس يقول الله تعالى (فسوف يحاسب حساباً يسيراً) قال : " ذلك العرض " .
صحيح البخارى : كتاب الرقاق : باب : من نوقش الحساب عذب .
ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها : باب : إثبات الحساب .

الآيـــة : ٢١٢

فان قيل : من الذى زين للذين كفروا الحياة الدنيا ؟

قيل : ذهب بعض المفسرين الى أن الذى زينها لهم هو ابليس ، كما قال الله في آيـــة أخرى (**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ**) . (١)

وعن الحسن أنه قال : زينها لهم ـ والله ـ الشيطان (٢) ، فلا أحد أذم للدنيا ممـــن خلقها ، قال الله تعالى (**قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ**) (٣) ، وقال تعالى (**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**) . (٤)

وذهب بعضهم : الى أن الله تعالى هو الذى زينها لهم ، اذ خلق فيها الاشيـــاء المعجبة ، وركب الشهوات في قلوب العباد ، فنظر الذين كفروا الى الدنيا بأكثر مـــن مقدارها فاغتروا بذلك (٥) ، كما قال الله تعالى (**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**) . (٦)

قالوا : وانما فعل الله ذلك ، لأن التكليف لا يتم (٧) إلا مع الشهوة ، فـــإن الإنسان لا يجوز أن يكلف إلا بأن يدعى إلى ما تنفر عنه نفسه ، أو بأن يزجر عما تتـــوق إليه نفسه . وهو معـــنى قولـــه عليـــه الســـلام :

---

(١) الأنفـــال ٤٨

(٢) انظر : زاد المســير ٢٢٨/١

(٣) النســـاء ٧٧

(٤) آل عمـــران ١٨٥

(٥) انظر : تفسير البغوى ١٨٥/١ ، وتفسير الخازن ١٩٩/١ ، وتفسير القرطبي ٢٨/٣ وتفسير ابن كثير ٢٥٦/١ ـ ٢٥٧

(٦) الكهـــف ٧ وقال القرطبي في تفسيره ٣٨/٣ : والمزين هو خالقها ومخترعها .. ويزينها أيضا الشيطان بوسوسته وإغوائه ١٠ هـ .

وقال ابن الجوزى : قال شيخنا علي بن عبيد الله : التزيين من الله تعالى : هـــو التركيب الطبيعي ، فإنه وضع في الطبائع محبة المحبوب ، لصورة فيه تزينـــت للنفس ، وذلك من صنعه .

وتزيين الشيطان : بإذكار ما وقع من إغفاله مما مثله يدعو إلى نفسه لزينتة . فالله تعالى يزين بالوضع ، والشيطان يزين بالإذكار . انظر : زاد المسير ٢٢٨/١

(٧) في أ " لا يا يتم " . والتصويب من ط ، م .

الآيـــــة : ٢١٢ ، ٢١٣

" حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات " .(١)

وقرأ مجاهد ، وحميد(٢) : " زَيّن للذين كفروا " بفتح الزاى(٣)، على معـــــنى : زينها الله عز وجل لهم .

(٢١٣) قوله عز وجل : (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) :

قال ابن عباس : معناه كان الناس أهل ملة واحدة ، كفارا كلهم(٤) ، في ابتـــداء

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها . رقم ٢٨٢٢ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه . ومثله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
وأخرجه البخارى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : " حجبت النـــــار بالشهوات ، وحجبت الجنة بالمكاره " .
صحيح البخارى : كتاب الرقاق : باب : حجبت النار بالشهوات .

(٢) هو حميد بن قيس الأعرج . وقد تقدمت ترجمته .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ٢٨/٣ ، والبحر المحيط ١٢٩/٢ ، ومختصر الشـــــواذ لابن خالويـــه ص ١٣

(٤) انظر : تفسير القرطـــبي ٣١/٣ ، وتفســـير ابن كثـــــير ٢٥٧/١ والـــد ر المنثـــور ٥٨٣/١
وهو مروى من طريق العوفي عن ابن عباس .
وقد أخرج الطبرى بسنده من طريق عكرمة عن ابن عباس : أنهـــم كانوا عـــلى شريعـــــة من الحـــق .
انظر : تفســـير الطبرى ٣٣٤/٢
قال ابن كثـير : وهذا أصح سنداً ومعـنى ، لأن الناس كانوا على ملة آدم حـتى عبدوا الأصنام ، فبعث الله اليهم نوحاً عليـه الســـلام ، فكان أول رســـول بعثه الله الى أهـل الأرض .
تفســـير ابن كثـــير ٢٥٧/١
قلـــت : ويؤيده قوله تعـالى (وما كان النـاس إلا أمـة واحـدة فاختلفوا ...)

الآيـــــة : ٢١٣

عهـــد نوح عليه السلام ، وكذلك في عهد ابراهيم / ٠ يعني أن أمم الأنبياء عليهم السلام (٧٨/ب)
الذين بعثت [١] اليهم الأنبياء كانت كفارا ، كما كانت هذه الأمـــة ٠

وجائز أن يقال : كانت [٢] أمة واحدة على الكفر وان كان فيهم مسلمون ، إذا كان المسلمون قليلين مقهوريـــن في بقيـــة [٣] ، لانصراف اسم الأمة الى الأعم الأكثر ٠

وقال قتادة والضحاك : كان الناس أمة واحدة على الحق ، أى كانوا مؤمنين في زمـــــن آدم عليه السلام وبعد وفاته ، الى مبعث نوح عليه السلام ، وكان بين آدم و نوح عشرة قـــرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ، ثم اختلفوا في زمن نوح عليه السلام ، فبعث الله اليهم نوحـــا وكان أول نبي بعث ، ثم بعث بعده النبيون ٠ [٤]

وقال الكلبي : هم أهل سفينة نوح ، كانوا كلهم مؤمنـــين [٥] ، ثم اختلفوا بعد وفـــاة نـــوح ، فبعث اللـــه اليهم نبيـــه هـــود عليه السلام ٠ [٦]

قولـه عـز وجـل : (فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) :

أى مبشرين بالجنة لمن أطاع الله تعالى ، ومنذرين بالنار والسخط لمن عصاه ٠

---

(١) في ط ، م " بعث " ٠

(٢) في ط " كانـوا " ٠

(٣) في أ " في بغته " ٠ والتصويب من م ٠

(٤) وهو أيضا قول ابن عباس ٠ ولم أجده عن الضحاك ٠
انظر : تفسير الطبرى ٣٣٤/٢ ، وتفسير البغوى ١٨٦/١ ، وتفسير القرطبي ٣٠/٣
وتفسير ابن كثير ٢٥٧/١
وأخرجه الحاكم في المستدرك ٥٤٦/٢ ـ ٥٤٧ عن ابن عباس رضي الله عنهما ٠
وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه ٠ ووافقـه الذهبي ٠

(٥) في أ " مؤمنون " ٠ وهو خطأ ٠ والتصويب من ط ، م ٠

(٦) انظر : تفســير البغـــوى ١٨٦/١ ، وتفسير القرطـــبي ٣١/٣

الآيـــــة : ٢١٣

قولـه تـعـالى (وَأَنْـزَلَ مَعَهُـمُ الْكِتَـٰبَ بِالْحَـقِّ) أي وأنزل عليهم الكتاب ، اذ الأنبيـــاء صلوات الله عليهم لم يكونوا منذ رين حتى ينزل الكتاب معهم .

وقولـه (بِالْحَـقِّ) أي بالعدل .

وقولـه (لِيَحْكُمَ بَـيْنَ النَّـاسِ فِيمَـا اخْتَلَفُـوا فِيـهِ) أي ليقضي الكتاب بينهم بالحكمـــة وأضاف الحكم الى الكتاب وان كان الله تعالى هو الذى يحكم ، على جهة التفخـــــيم لأمر الكتـــاب . (١)

وقولـه (فِيمَـا اخْتَلَفُـوا فِيـهِ) أي من أمر الدين .

قولـه تعالى (وَمَـا اخْتَـلَفَ فِيـهِ إِلَّا الَّـذِيـنَ أُوتُـوهُ مِـنۢ بَـعْـدِ مَـا جَـاءَتْـهُـمُ الْبَيِّنَـٰتُ بَـغْـيَـۢا بَيْنَهُـــم) أي ولم يختلف في أمر الدين وبعث النبيـين الا الذين أعطوا الكتـــاب من بعد ما جاءتهم الدلالات الواضحات (٢) من اللـــه .

وقولـه (بَـغْـيَـۢا بَيْنَـهُـم) نصب على أنه مفعول له ، أي لم يختلفوا الا للبغي والحســـــد والتفرق ، وذلك أن أهل الكتاب كانوا علموا حقيقة أمر النبي صلى الله عليه و سلم في كتبهم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله كفروا به الا قليلا منهم . (٣)

قولـه عز وجل (فَـهَـدَى اللَّـهُ الَّـذِيـنَ ءَامَـنُـوا لِمَـا اخْتَلَفُـوا فِيـهِ مِـنَ الْحَـقِّ بِإِذْنِـهِۦ) :

أي فأرشد الله المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق الذى اختلف فيه أهل الزيغ **(بِإِذْنِـهِ)** أي بتوفيقـــه وقضائـــه و علمـــه .

قوله تعـــالى (وَاللَّـهُ يَـهْـدِى مَـنْ يَـشَـاءُ إِلَىٰ صِـرَاطٍ مُّسْتَقِـيمٍ) :

أي والله يوفق لمعرفته من يشاء ممن كان أهلا لذلك الى طريق واضح يرضـــــاه اللـــه تعـــالى .

---

(١) ولأن ما في الكتاب هو حكم اللـــه .

(٢) في م " الواضحة " .

(٣) والعموم أولى ، فيشمل كل ما اختلف فيه أهل الكتاب من أمر الدين ، وأخطأوا فيـــه الحق والصـــواب ، الذي هدى الله هذه الأمة إليه بفضله ورحمته .

وانظر : زاد المسير ٢٣١/١ ، وتفسير السعدى ١٦٩/١

الآيـــة : ٢١٣

والأمـــة في اللغـــة على وجـــوه :

منها : الجماعـة ، كقوله تعالى (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) . (١)

وقولـه (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ) (٢) أي جماعات وقـرون .

ومنها : أتباع الأنبياء / عليهم السلام ، كما تقول : نحن من أمة محمـــد صلى اللـــه (٧٩/أ)

عليـــه وســـلم .

ومنها : الديـــن والملة ، كقولـه تعالى (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) . (٣)

ومنها : الحين والزمـان ، كقوله تعالى (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) . (٤)

ومنها : الرجل القدوة للناس في الخير ، قال الله تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً) . (٥)

ويسمى الامام أمـة أيضا ، لأنـه يجمع خصال الخير .

ومنها : الرجل المنفرد بدين على حدة ، لا يشركـه فيه غيره ، قال صلى الله عليه وسلم :

" يبعث زيـد بن عمرو بن نفيـل أمـة وحده " . (٦) وكان قد أسلم قبل خروج النـــبي

صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن بمكـة يومئـذ مؤمن غيره ، ثم تابعه بعد ذلك ورقة بـن

نوفـــل ، وعاش ورقـة الى وقت خروج النبي صلى الله عليه وسلم . (٧)

ومنها : القامـة ، يقال : فلان حسن الأمـة ، أي القامـــة . (٨)

والامـة بالكسر : النعمـــة . (٩) ، يقال : فلان ذو إمـة (١٠) ، أي ذو نعمـــة .

---

(١) القصـــص ٢٣

(٢) الرعـــد ٣٠

(٣) الزخـــرف ٢٢

(٤) يوســـف ٤٥

(٥) النحـــل ١٢٠

(٦) انظر : تفسير القرطبي ٣١/٣ ، والاصابـة ٥٥٣/١

وقد عزا الحافظ ابن حجر تخريجه الى مسند الطيالسي من حديث سعيد بن زيد .

(٧) انظر : الاصابة ٥٥٢/١ ، ٥٩٧/٣ ـ ٥٩٨

(٨) انظر : اللسـان ٢٧/١٢ مادة (أمم) .

(٩) المصـدر السابـق .

(١٠) في أ ، م " ذي نعمة " . والتصويب من ط .

الآيـــة : ٢١٣ ، ٢١٤

وأما الكتب المنزلة قبل القرآن ، فقد روى أن الله أنزل على شيث خمسين صحيفة ، وكان يعمل بها هو ومن معه ومن بعده الى زمن ادريس ، ثم أنزل الله على ادريس عليه السلام ثلاثين صحيفة ، فكان يعمل بها الى زمن ابراهيم ، ثم أنزل الله على ابراهيم عشر صحائف ، فكان يعمل بها الى زمن موسى ، ثم أنزل الله على موسى عليه السلام عشر صحائف قبل التوراة ، فكان يعمل بها موسى ومن معه الى غرق فرعون ، ثم أنزل الله التوراة ، فكان يعمل بها الى زمن داود ، ثم أنزل الله تعالى الزبور على داود ، فكان يعمل بها الى زمن عيسى عليه السلام ، ثم أنزل الله الانجيل ، فكان يعمل بها الى بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم أنزل الله الفرقان ناسخا لما قبله من الكتب .(١)

(٢١٤) قوله عز وجل (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ) :

أى أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة ولم تصبكم صفة الذين مضوا من قبلكم ، أى ولم تبتلوا كما ابتلي الذين من قبلكم (**مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءِ**) أى الشدة ، وهي القتل ، (**والضراء**) وهو(٢) البلاء والفقر والمرض .

وقيل : البأساء : نقيض النعماء ، والضراء : نقيض السراء .

قوله تعالى (وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ) :

أى حركوا وخوفوا (**حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**) أى جهدوا حتى قال كل رسول بعث الى أمته : متى فتح الله .

---

(١) انظر نحوه في تفسير الخازن ٢٠١/١

قلت : ما ذكره من أسماء تلك الصحف وعددها ومددها مما لم يرد له ذكر في القرآن الكريم ، فالله أعلم بصحته ، ومثل هذا يتوقف على الدليل .

(٢) في ط " وهي " .

الآيـــة : ٢١٤

يقول الله تعالى (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) يعني ألا ان نصر الله لك ولأمتك يا محمد قريب عاجل ، كما نصرت الرسل قبلك .

والمثل قد يذكر بمعنى الصفة ، كما قال الله تعالى (مَثَلُ الْجَنَّةِ) (١) أي صفة الجنة .

وذهب السدى الى أن هذه الآية نزلت بالمدينة يوم الخندق ، حين اشتدت مخافة / المؤمنين من العدو . (٢) (٧٩/ب)

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها : أن الله تعالى قال ـ فيما تقدم ـ : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ) (٣) ثم قال : (فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) .

وكأن (٤) المسلمين اتكلوا على مجرد اهتدائهم ، فبين الله في هذه الآية أنه لا يجوز الاتكال على مجرد الايمان من غير مكابدة ما قاساه السلف من المؤمنين ، كما قال تعالى (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) . (٥)

وأما القراءة في قوله (حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) : من نصب [يقول] (٦) فعلى الأصل ، لأن " حتى " تنصب الفعل . ومن قرأ بالرفع (٧) ، أدخل " حتى " على جملة

---

(١) من الآية ٣٥ من سورة الرعد ، وهي قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار) .

(٢) وروى هذا أيضا عن قتادة .
انظر : تفسير الطبري ٣٤١/٢ ، وأسباب النزول للواحدي ص ٦٠

(٣) في ط زاد قوله تعالى " كافة " .

(٤) في أ " وكان المسلمون " . والتصويب من ط .

(٥) العنكبوت ٢
قلت : الواقع أن المسلمين لم يتكلوا على مجرد اهتدائهم منذ أيام الإسلام الأولى بمكة ، بل كانت حياتهم تسير وفق هدى الإسلام ، والسمع والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، مهما عرض لهم في سبيل ذلك من محنة وأذى .

(٦) ما بين المعقوفتين من ط .

(٧) وهي قراءة نافع . وقرأ الباقون بالنصب .
انظر : النشر ٢٢٧/٢

الآيـــة : ٢١٤ ، ٢١٥

ما بعده ، لا على الفعل خاصة ، كأنـه قال : حتى الرسول يقول . (١)

فلا يظهر عمل " حتى " . قال الشاعر :

فيا عجبا حتى كليب تسبـــني ... كأن أباها نهشل أو مجاشـــــع (٢)

(٢١٥) قولـه عـز وجـل (يَسْـَٔلُونَـكَ مَاذَا يُنفِقُـونَ) . الآيـة . (٣)

قال ابن عباس : نزلت هذه الآية جوابا عن سؤال عمرو بن الجموح الأنصـاري (٤) ، لما حث رسول الله صلى الله عليه و سلم على الصدقة ورغب فيها الناس وذلـك قبل نزول الفرائض ، قال عمـرو : يا رسول الله بماذا نتصدق و على من نتصدق ؟ فأنـزل (٥) الله هذه الآيـــة .

ومعناها : يسألونك أي شيء يتصدقون بـه ، فقل لهم : ما تصدقتم بـه من مال ، فعـــلى **الوالـدين والأقربـين واليتـامى والمسـاكين** (٦) والضيف نازل (٧) بكـم .

---

(١) حكى القرطبي هـذا عن النحاس . انظر : تفسير القرطبي ٣٥/٣
وقال الشيخ البنا في الاتحاف ٤٣٦/١ : " قرأ نافع بالرفع ، لأنه ماض بالنسبـة الى زمن الأخبار ، أو حال باعتبار حكاية الحال الماضية . والناصب يخلص للاستقبال فتنافيـا " .

(٢) البيت للفرزدق . وهو في ديوانـه ص ٣٦١

(٣) في ط زاد قوله تعالى " قل ما أنفقتم من خير " .

(٤) هو عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري السلمي ، من سادات الأنصـار ، استشهد بأحـد .
انظر : الاصابـة ٥٢٢/٢

(٥) انظـر : أسباب النزول للواحدي ص ٦٠ ، وزاد المسـير ٢٣٣/١ وتفسير البغـوي ١٨٨/١ ، والدر المنثـور ٥٨٥/١

(٦) في ط ، م زاد " وابن السبيـل " .

(٧) في ط ، م " النازل " .

الآيـــة : ٢١٥

قولـه تعـالى (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) : أى وما تفعلوا من خير من وجوه البر فان الله به عليم ، يحصيه ويجازيكم عليه ، لا يضيع عنده عمل عامل .

فان قيل : كيف يطابق في هذه الآيـة الجواب هـذا السؤال ، لأن السؤال انما وقع على المنفـق ، والجواب انما وقع على المنفـق عليه ؟

قيل : ان الجواب مطابق لهذا السؤال ، لأن قوله (قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ) يتنـاول القليل والكثير ، لشمول اسم الخير ، فكأن الجواب صدر عن القليل والكثير ، مع بيـان من تصرف اليه النفقـة ، لأن المسئول اذا كان حكيما يعلم ما يحتاج اليه السائل ، أجـاب عن كل ما يحتاج اليـه .

كما روى عن رسـول الله صلى الله عليه و سلم أنـه سُئِلَ عن ماء البحر ؟ فقال : " هـو الطهـور ماؤه ، الحِلُ ميتتـه " .(١)

وانما قال ذلك ، لأنـه علم أنهم لما جهلوا حكم ماء البحر ، فانهم أشد جهـلا (٢) لحكم ما فيه من المأكـول ، كذلك هؤلاء لما جهلوا المنفق كان جهلهم بالمنفَقِ عليهـم أكثـر ، فلهذا ذكـر اللـه المُنفَـق عليهم مع ذكـر المنفـق .

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ : كتاب الطهارة : باب : الطهور للوضوء .
وأبو داود في كتاب الطهارة : باب الوضوء بماء البحر .
والترمذى في كتاب الطهارة : باب ما جاء في ماء البحر أنـه طهور .
والنسائي في كتاب الطهارة : باب ماء البحر .
وابن ماجه في كتاب الطهارة : باب الوضوء بماء البحر .
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .
وقال الألباني في ارواء الغليـل ١/٤٣ :
" وقد صححه غير الترمذى جماعة ، منهم : البخارى ، والحاكم ، وابن حبـان ، وابن المنذر ، والطحاوى ، والبغوى ، والخطابي ، وغيرهم كثيرون ... " .

(٢) في ط " جهالة " .

الآيـــة : ٢١٥

واختلفوا في هذه النفقـــة المذكـورة ، هل هـي واجبـة أم لا ؟

قال الحســـن : المراد بها التطوع على من لا يجوز وضع الزكاة فيـه ، كالوالد يـــــن والمولود يـن ، ووضع الزكاة فيمـن يجوز وضعها فيهم . (١)

وقال السدى : هذه الآيـة منسوخـة بآيـة الزكـاة . (٢)

والصحيح أنها ثابتة الحكم ، عامة في الفرض / والتطوع ، لأن الآية متى أمكن استعمالهـا (٨٠/أ) لم يجـز الحكم بنسخها . (٣)

ويحتمل أن يكون المراد بها النفقة على الوالدين والأقربين اذا كانوا محتاجين .

---

(١) انظر : نواسخ القرآن لابن الجوزى ص ١٩٢ ، والكشاف ٢٥٧/١ ، وزاد المسير ٢٣٤/١ وأحكام القرآن للجصاص ٣٩٩/١

(٢) انظر : المصادر السابقة . وتفسير الطبرى ٣٤٣/٢ ، وابن كثـــير ٢٥٩/١ وقد عزاه ابن الجوزى أيضا لابن عباس .

(٣) وممن اختار القول بأن الآيـة محكمـة : أبوبكر الجصاص ، وأبوبكر بن العربـــي والكيا الهراسي ، وابن الجوزى .

قال ابن الجوزى : والتحقيق أن الآيـة عامة في الفرض والتطوع ، فحكمها ثابت غـير منسوخ ، لأن ما يجب من النفقة على الوالدين والأقربين اذا كانوا فقراء لم ينسـخ بالزكاة ، وما يتطوع بـه لم ينسخ بالزكاة ... فهذه الآية بالتطوع أشـبه ، لأن ظاهرها أنهم طلبوا الفضل في اخراج الفضل فبينت لهم وجوه الفضل . اهـ .

نواسخ القرآن ص ١٩٢ ــ ١٩٣

وانظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٩٩/١ ، وأحكام القرآن لابن العربـي ٢٠٤/١ وأحكام القرآن للكيا الهراسـي ١٢٢/١

وانظر : تفسير ابن كثـير ٢٥٩/١ فان في كلامـه رحمـه الله ما يفهم منـه اختيـار القـول باحكام الآيـة .

حيث قال : " قال مقاتـل بـن حيـان : هـذه الآيـة في نفقـة التطـوع .

وقال السدى : نسختها الزكاة . وفيه نظـر " . اهـ .

الآيـــــة : ٢١٦

(٢١٦) قولـه تعـالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ :

قال ابن عباس : لما كتب الله الجهاد على المسلمين شق ذلك عليهم وكرهته نفوسهم ، وقبلته قلوبهم ، وأحب الله تعالى أن يطيب نفوسهم بهـــذه الآيـــة .(١)

وقيل في وجه اتصالها بما قبلها : أن ما (٢) قبلها ذكر التعبد بالنفقة التي تشق على البدن (٣) ، وفي هذه الآية ذكر ما لا شيء في التعبد أشق منه ، وهو القتال .

ومعنى الآية : فرض عليكم القتال ، وهو شاق عليكم . وأراد بالكراهة كراهة الطبع لا عدم الرضا بالأمر ، وهذا كما يكره الانسان الصوم في الصيف من جهة الطبع ، وهو مع ذلك يحبه ويرضاه من حيث أن الله أمر به .

قوله تعالى ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ أي لعلكم تكرهون الجهاد وهو خير لكم ، لما فيه من النصر لدين الله تعالى وقمع أعداء الله والفوز بالغنيمة ، مع عظم المثوبة وادراك محل الشهداء .

﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ أي لعلكم تحبون القعود عن الجهاد وهو شر لكم ، تحرمون الفتح والغنيمة والشهادة ، ويتسلط عليكم العدو .

قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي يعلم ما فيه مصلحتكم وما هو خير لكم في عاقبة أموركم ، وأنتم لا تعلمون ذلك ، فبادروا الى ما أمرتم به ، اذ ليس كل ما تشتهون خيرا ، ولا كل ما تحذرون شرا .

وفي هذه الآية دلالة على فرض القتال ، كما قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ (٤) ،

---

(١) انظر : زاد المسير ٢٣٤/١ ، والبحر المحيط ١٤٣/٢

(٢) في ط " أن فيما قبلها " .

(٣) لعلها " النفس " .

(٤) البقـــرة ١٨٣

الآيـــة : ٢١٦، ٢١٧

وأراد بـه فرض الصيام ، ثم لا يخلو القتال المذكور في هذه الآية من أن يرجع الى معهـــود قد عرفـه المخاطبون ، وهو قوله تعالى (وَقَـٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّـهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُم) (١) وقولـه (وَلَا تُقَـٰتِلُوهُم عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُم فِيهِ) (٢)، وتكون هـذه الآيـة تأكيـدا لذلك القتل (٣) المعهود الذى علم حكمه ، فيكون (٤) القتـــــــال في هذه الآيـة راجعا الى جنس القتال ، فتكون هذه الآية مجملة مفتقرة الى البيـــان ، لأن من المعلوم أن الله تعالى لم يأمر بالقتال الناس كلهم (٥) ، فلا يصح اعتقاد (٦) العمـــوم فيه ، فكان بيان هذا المجمل بقوله تعالى (قَـٰتِلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّـهِ وَلَا بِٱلْيَـــوْمِ ٱلْآخِـرِ) (٧)، وقوله (فَٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) . (٨)

(٢١٧) قولـه عـز وجـل (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّـهِ وَكُفْرٌ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّـــهِ) :

قال ابن عباس في سبب نزول هذه الآيـة : ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابن عمتـه (٩)

---

(١) البقـــــرة ١٩٠

(٢) البقـــــرة ١٩١

(٣) في ط " القتال " .

(٤) في ط " أو يكون " .

(٥) **قلـــت** : لعل صحة العبارة " لم يأمر بقتال الناس كلهم " ، فيكون المراد بالناس هنا الكفـــار . أى لم يأمر المسلمين بقتال كل الكفار .

(٦) في ط " اعتماد " .

(٧) التوبـــة ٢٩

(٨) التوبـــة ٥

(٩) في أ ، م " ابن عمه " . والتصويب من ط .

الآيـــة : ٢١٧

عبد الله بن جحـش [١] قبل قتال بدر ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين وهـــو أميرهم / كتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ، وقال له : " اذا نزلت منزلتين (٨٠/ب) فافتح الكتاب واقرأه على أصحابك ، ثم امض لما أمرتك به ، ولا تستكره أحدا من أصحابك على السير معك " . فسار عبد الله حتى بلغ منزلتين ، ثم فتح الكتاب ، فاذا فيـــه : " بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فسر على بركة الله بمن اتبعك من أصحابـــك حتى تنزل بطن [٢] نخلة فترصد بها عير قريش ، لعلك تأتينا منهم بخبر ، والسلام " . فقال عبد الله : سمعا وطاعة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق القوم معـــه حتى وصلوا بطن نخلة بين مكة والطائف ، فنزلوا هنالك ، فبينا هم [٣] كذلك اذ مرّ بهم عمرو بن الحضرمي في عير لقريش ، في أول يوم من رجب ، والمؤمنون يظنون أنـــه آخر يوم من جمادى الأخرى ، فأمر عبد الله أن يحلقوا رأس عكاشة [٤] ، ليشرف على المشركـــين ، فيظنوا أنهم عمار فيأمنـــوا ، ففعل ذلك وأمنـــه المشركون وقالوا : قوم عمار ، لا بأس عليكم منهـــــم . ورمى واقد بن عبد الله [٥] عمرو بن الحضرمي فقتله ، واستأسر بعض المشركين

---

(١) هو عبد الله بن جحش بن رياب الأسدي ، حليف عبد شمس ، أحد السابقـــين ، قال ابن اسحاق : هاجر الى الحبشة وشهد بدراً . واستشهد في أحـــد ، ودفـــن مع حمزة في قبر واحـــد ، رضي الله عنهمـــا .

انظر : الاصابة ٢٧٨/٢ ــ ٢٧٩

(٢) في ط " ببطن نخلة " .

(٣) في ط " فبينما هم " .

(٤) هو عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي ، حليف بني عبد شمس ، من السابقـــين الأولين ، وشهد بدراً ، وقع ذكره في الصحيحين في حديث ابن عباس في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، فقال عكاشة : ادع الله أن يجعلني منهم . قال : أنت منهم . فقام آخر ، فقال : سبقك بها عكاشة . وقد ضرب بها المثل . قيل : استشهد عكاشة في قتال أهل الردة .

انظر : الاصابـــة ٤٨٧/٢ ــ ٤٨٨

(٥) هو واقد بن عبد الله بن عبد مناف التميمي الحنظلي اليربوعي ، حليف بني عدي ابن كعب ، شهد بدراً ، ومات في أول خلافة عمـــر .

الاصابـــــة ٥٩١/٣

الآيـــة : ٢١٧

وهرب بعضهم الى مكـة ، واستاق المسلمون العير ، فعيرهم المشركون بذلك ، وقالـوا : استحل محمـــــد الشهر الحرام ، شهرا يأمن فيه الخائف ، وتنصل فيه الأسنة .

ووقف النبي صلى الله عليه و سلم في أمر [١] الغنيمة ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .[٢]

ويقال : لما أمر الله المسلمين [٣] بالقتال ، ظنوا عموم الأمر في جميع الشهور ، فسألـــوا رسول الله صلى الله عليه و سلم ليعرفوا ، فنزلت [٤] هذه الآية .[٥]

والقول الأول أقرب الى ظاهـــــر القرآن .

ومعنى الآية : يسألونك عن قتال في شهر الحرام [٦] ، لأن قوله (قِتَالٍ فِيهِ) بـــــدل الاشتمال عن الشهر الحرام .

وقوله تعالى (قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) أى القتال في الشهر الحرام عظـــيم الذنـــب عنـــد اللـــه تعالى .

ثم استأنف الكلام فقال (وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) أى منع الناس عن الكعبة أن يأتوها ويطوفوا بها .

(وَكُفْرٌ بِهِ) أى وكفر بالله تعالى . ويقال : بالحج . وكفر بالمسجد الحرام .

---

(١) في أ " في آخر " . والتصويب من ط ، م .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٣٤٧/٢ ــ ٣٥٢ ، وأسباب النزول للواحـدى ص ٦١ ــ ٦٤ وتفسير ابن كثير ٢٦٠/١

قال الطبرى : " ولا خلاف بين أهل التأويل جميعا أن هذه الآية نزلت عـــــلى رسول الله صلى الله عليه و سلم في سبب قتل ابن الحضرمي وقاتله " . ثم ســـاق الروايات الواردة في تفصيل تلك القصـــة .

(٣) في أ " المسلمون " . وهو خطأ . والتصويب من ط ، م .

(٤) في أ " فنزل " . والتصويب من ط ، م .

(٥) انظر : تفسير الخازن ٢٠٦/١

(٦) في ط ، م " الشهر الحرام " .

الآيـــة : ٢١٧

وقيل : فيه تقديم وتأخير ، وتقديره : وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحـــرام وكفر بالله واخراج أهل المسجد الحرام منه [١] أعظم عقوبة عند الله من القتـــال في الشهر الحـــرام . [٢]

أي الكفار مع هـذا الاجرام أولى بالعيب [٣] ممن قتل مشركا في الشهر الحرام ، كما قال الله تعالى (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) أي الشرك بالله أعظم عقوبة واثما [٤] من القتـــال .

ومعنى كفرهم بالمسجد الحرام : أن الله جعل المسجد الحرام للمؤمنين ولعباد تهم اياه فيـــه ، فلما جعله الكفار لأوثانهم ومنعوا المسلمين منه ، كان ذلك كفرا منهـــم بالمسجـــد الحـــرام .

قوله عز وجل (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) : معناه : لا يزال أهل مكة يقاتلونكم أيها / المسلمون ، حتى يصرفوكم [٥] عن دينـــكم (٨١/أ) الاسلام الى دينهم الكفـــر ان قدروا على ذلك .

ثم حذر الله المؤمنين ليثبتوا على الاسلام ، فقال عز وجل : (وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) : أي من يرجع منكم عن دين الاسلام فيمت على كفره فأولئك حبطت أعمالهم التي عملوها في الدنيا والتي عملوها في الآخرة ، أي لا يبـــقى

---

(١) في أ " فمنه " . والتصويب من ط ، م .

(٢) قال القرطبي : ومعنى الآية على قول الجمهور : أنكم يا كفار قريش تستعظمون علينا القتال في الشهر الحرام . وما تفعلون أنتم من الصد عن سبيل الله لمـــن أراد الاسلام ، ومن كفركم بالله وإخراجكم أهل المسجد منه ، كما فعلتم برسول اللـــه صلى الله عليه و سلم وأصحابه أكبر جرماً عند الله . اهـ .
تفسير القرطبي ٤٦/٣

(٣) في أ " بالعنت " . والتصويب من ط .

(٤) في أ " واثم " . وهو خطأ ، والتصويب من ط ، م .

(٥) في أ " يصرفونكم " . وهو خطأ ، والتصويب من ط .

الآيـــة : ٢١٧

لـعمل من أعمالـهم ثـواب يجازون بـه في الـداريـن ، وأولئك أصحاب النار هـم فيها مقيمـــــون د ائمـــون .

و " الصـد " و " الصرف " و " المنع " نظائـــر :(١)

يقال : صـد يصـد صدا اذا صرف غيره عن الشيء ، وصـد يصد صد ودا اذا أعرض بنفسه .

ومن قرأ " يرتد د " بد الين فهـو لغة أهل الحجاز ، أظهـروا التضعيف حذ ارا(٢) مـــن التقاء الساكنـــين .(٣)

ومن قرأ " يرتـدّ " بالتشد يـد (٤) فهـو لغة بني تميم ، اذ أد غموا الحرفين من جنـــس واحـد وحركـوه الى الفتحـة .

وقولـه (فَيَمُتْ) جزم بالـعطف على " يرتـد " ، ولـوكان جوابا لكان رفعا .

وأكثر الأمـة على أن النـهي عن القتال في الشـهر الحرام منـسوخ ، نسخه (٥) سورة بـرآءة ، وهو قوله تعالى (قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ) الآية .(٦) لأنهـا

---

(١) ذكر ابن الجوزى في هذا الباب وجهين هما :

أ ــ الإعـراض ب ــ المنـــع .

انظر : الوجوه والنظائر لابن الجوزى ص ٣٨٣ ــ ٣٨٤ . ولـعل الصرف د اخل في معـنى المنـــــع .

(٢) في م " حذ را " .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ٣٥٥/٢ ، والبحر المحيط ١٥٠/٢

(٤) لم يقرأ بها هنا أحد من القراء ، وإنما قرأوا بها في سورة المائد ة ، في قوله تعالى (يأيهـا الذ يـن ءَآمنـوا من يرتـــد منكم عن د ينـه فسوف يأتي الله بقوم يحبهـــم ويحبونـه ...) الآيـة ٥٤

فقرأ الجمهور " يرتـد " بد ال واحد ة مشد د ة مفتوحـــة .

وقرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر " يرتد د " بد الين الأولى مكسورة والثانية مجزومة .

النشـــــــر ٢٥٥/١

(٥) في ط " نسخته " .

(٦) الآيـــة ٢٩

الآيـــة ٢١٧، ٢١٨

نزلت بعد حظـــر القتال بالشهـــر .[١]

فان قيل : اذا كان نفس الارتداد يحبط العمل حتى يبطل حجة الذى أداه ، فأيـــــن فائدة قولـه (فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ) ؟

قيل : انما ذكر الله تعالى في هذه الآية أمر الآخرة لا أمرا يرجع الى احبـــاط عمـــله في الماضي ، اذ المعلوم من حال المرتد أنه اذا عاد الى الاسلام والتوبـة والعمل الصالـح ومات على ذلك لا[٢] يعاقب في الآخرة .

فلما جمع الله في هذه الآية بين احباط عمله فيما يتصل بالدنيا والآخرة ، حتى يـــزول ثوابـه الى العقاب الدائم ، كذلك شرط موتـه على الكفر .

روى في التفسير أنه لما نزلت هذه الآية قام عبد الله بن جحش وأصحابه ، فقالوا : يا رسول الله أنطمع من ربنا أن تكون لنا هذه غزوة في الجهاد ، فنزل[٣]

(٢١٨) قولـه تعـالـي (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) :

معناه : ان الذين صدقوا وهاجروا من مكة الى المدينـــة ، وجاهدوا في محاربة المشركـين في طاعـة اللـه تعالى ، أهل هذه الصفة يعطون مغفرة الله تعالى وجنتـــه .

---

(١) والقول بنسخ النهي عن القتال في الأشهر الحرم هو قول الجمهور ، بل حـــكـى أبو جعفر النحاس الإجماع على ذلك .

انظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٣٢ ــ ٣٣ ، والناسخ والمنســـــوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزى ص ١٩٧ وتفسير الطبرى ٢/٣٥٣ ــ ٣٥٤

(٢) في ط كلمة " أنـه " قبل قوله " لا يعاقب " .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ٢/٣٥٦ ، وتفســير البغـــــــــوى ١/١٩٠ وزاد المسير ١/٢٣٩ ، وتفسير ابن كثـــير ١/٢٦٢

الآيـــــة : ٢١٨ ، ٢١٩

والله غفـور لما كان منهم من القتل [١] والأسـر وأخـذ الغنيمـة في الشهر الحـرام ، رحيم بهم حين رفع اثم ذلك عنهم . [٢]

والمهاجـرة : مفاعلة من الهجر [٣] ، وهي في هذا الموضع هجران الموطن والعشـيرة في رضى الله تعالى . والهجر نقيض الوصـل .

وأطلق اللفظ في هذه الآية على المفاعلة / ويراد ما ذكرناه ، ونظيره المساعدة : وهـي (٨١/ب) ضم الرجل ساعده الى ساعد أخيه بالتقوية والمعونـة . وأما المجاهدة : فهي بذل الرجـل الجهد من نفسه مع اخوانه .

ويجوز أن يراد بذلك أن يبذل الجهد في قتال عدوه ، وقد فعل العدو مثل فعـلـه ، فيصـير مفاعـلة .

وانما قال الله تعالى (أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) لأن أحدا لا يعلم أنه صائر الىٰ أن يبلغ في الطاعة كل مبلغ الا بخبر الله تعالى أو بخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنـه لا يدري لعله قصر في شيء من الواجبات ، وما يدري ما الذي يكون منه ، وما بينـه وبين موته ، ولا يعلم أحد من المسلمين بما يختم له . ختم الله لنا بالسعـادة والشهـادة . [آمـين] [٤] .

(٢١٩) قوله تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) .

قال ابن عباس : كان المسلمون يشربون الخمر في بدو [٥] الاسلام ، وهي لهم حـلال ،

---

(١) في ط ، م " من القتال " .

(٢) هذا التخصيص لا دليل عليه ، بل العموم أولى ، فإنه تعالى غفور ذنوب عباده إذا تابوا وأنابوا إليه ، متفضل عليهم برحمته التي وسعت كل شيء .

(٣) في ط " من الهجرة " .

(٤) ما بين المعقوفتين من ط .

(٥) في ط " في بدء " .

الآيـــة : ٢١٩

وكان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى في اليوم والليلة وقت الصلاة : ألا من كان سكرانا فلا يحضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجماعة (١) ، تعظيما للجماعة وتوقيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وان عمر جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : بيّن لنا أمر الخمر ، فانها مهلكة للمال مذهبة للعقل ، فنزلت (٢) هذه الآية : (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) .

وأما الميسر : فقد كان جماعة من العرب يجتمعون فيشترون جزورا ، ثم يجعلون لكل واحد منهم سهما ثم يقترعون عليها ، فمن خرج سهمه بريء من ثمنها وأخذ نصيبه من الجزور ، وبقي آخرهم عليه ثمن الجزور كله ولا يذوق من لحمها شيئا ، فيقتسم أصحابه نصيبه ، وربما كانوا يتصدقون بذلك على الفقراء ، فسُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك . فأنزل الله هذه الآية . (٣)

---

(١) لم أجد هذا عن ابن عباس ، وإنما ورد نحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من طريق أبي ميسرة . ولفظه : " كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقيمت الصلاة ينادي : ألا لا يقربن الصلاة سكران " .
أخرجه أحمد في المسند ٥٣/١
وأبو داود في كتاب الأشربة : باب في تحريم الخمر .
والنسائي في كتاب الأشربة : باب تحريم الخمر .
والحاكم في المستدرك ١٤٣/٤ وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٢) انظر : أسباب النزول للواحدى ص ٦٤ ــ ٦٥ ، وتفسير البغوى ١٩١/١ وزاد المسير ٢٣٩/١ ، والبحر المحيط ١٥٦/٢

(٣) لم أجده بهذا اللفظ . لكن روي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله ، فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .
انظر : تفسير البغوى ١٩٣/١ ، وتفسير الخازن ٢١٢/١ ، وتفسير القرطبي ٥٢/٣ وهذا القول عن ابن عباس أخرجه الطبرى في تفسيره ٣٥٨/٢ وليس فيه " فأنزل الله تعالى هذه الآية " . أى لم يذكره سببًا في نزول الآية . وانظر : الدر المنثور ٦٠٦/١

الآيـــة : ٢١٩

والميسر : هوالقمار ، يقال للقمار ميسر ، والمقامر : الياسر .[١]

وقال مقاتل : يسمى ميسرا ، لأنهم كانوا يقولون : يسروا[٢] لنا ثمن الجزور[٣] ، وذلك أن أهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزؤنها أجزاء . قال ابن عمـــر : عشرة أجزاء .[٤] وقال الأصمعي : ثمانية وعشرين[٥] جزءا .[٦] ثم يستهمون عليهـــا بعشرة أقداح ، ويقال لها الأزلام والأقلام ، سبعة منها لها أنصباء : وهي الفذ وله نصيب واحـــد ، والتوأم[٧] وله نصيبان ، والرقيب وله ثلاثة ، والحلس وله أربعة ، والنافس وله خمسة ، والمسبل وله ستة ، والمعلى وله سبعة .

وثلاثة منها لا أنصباء لها ، وهي : المنيح ، والسفيح ، والوغـــد .

ثم يجعلون القداح في خريطة تسمى / الربابة . قال أبو ذؤيب :[٨] (٨٢/أ)

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٢/٣٥٧ ، والكشاف ١/٢٦١ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ص ٨٢ ، ١٤٥ ، وتفسير القرطبي ٣/٥٢

(٢) في ط " يسر لنا " .

(٣) انظر : تفسير الرازى ٦/٤٨ وروى الطبرى نحوه عن مجاهد . انظر : تفسير الطبرى ٢/٣٥٧

(٤) لم أجده عن ابن عمر ، وقد حكاه أبوحيان عن أبي عمرو .
انظر : البحر المحيط ٢/١٥٥

(٥) في ط " وعشرون " .

(٦) انظر : البحر المحيط ٢/١٥٥ قال أبو حيان : وخطأ ابن عطية الأصمعي في ذلك .

(٧) في أ " والتوم " . والتصويب من ط ، م .

(٨) هو خويلد بن خالد بن محرث ، من بني هذيل بن مدركة من مضر ، شاعر فحل مخضرم ، أدرك الجاهلية والاسلام ، وهو أشعر هذيل ، خرج مع عبد الله بن الزبير في مغزى نحو المغرب فمات ، ودفنه ابن الزبير .
انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٣٥ ، وخزانة الأدب ١/٢٠٣

الآيـــة : ٢١٩

وكـأنهـــن ربـابـــة وكـأنـــه ٠٠ يسر يفيض على القداح و يصدع [١]

ويضعون [٢] الربابة على يد واحد عدل منهم عندهم ، ويسمى المجيل والمفيض ، ثـــم يجيلها ويخرج منها قدحا باسم واحد منهم ، فأيهم خرج سهمه أخذ نصيبه على قـــدر ما يخرج ، فان كان خرج له سهم من هذه الثلاثة التي لا أنصباء لها ، اختلفوا فيـــه : قال بعضهم : كان لا يأخذ شيئا ويغرم ثمن الجزور كله ٠

وقال بعضهم : لا يأخذ شيئا ولا يغرم ، ويكون ذلك القدح لغوا ، فيعاد سهمه ثانيـــا ، فهؤلاء الياسرون ٠ ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ، ولا يأكلون منه شيئا ٠

وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لم يفعله منهم ، ويسمونه البرم ٠

فهذا أصل القمار الذى كانت العرب تفعله ٠ [٣]

وانما عنى الله تعالى بالميسر في هذه الآية أنواع القمار كلها ٠

وقال طاووس ومجاهد و عطاء : كل شيء فيه قمار فهو من الميسر ، حتى لعب الصغار [٤] بالجوز والكعـــاب ٠ [٥]

و عن علي رضي اللـــه عنه قال : النرد والشطرنج من الميســـر ٠ [٦]

---

(١) انظر البيت في : المفضليات ص ٤٢٤ ، وجمهرة أشعار العرب ٦٨٨/٢

(٢) في ط " ويجعلون " ٠

(٣) انظر ما ذكره حول الميسر وسهامه في : الكشاف ٢٦١/١ ــ ٢٦٢ ، وتفســـــير البغوى ١٩٣/١ ، وتفسير الفخر الرازى ٤٨/٦ ــ ٤٩ ، وتفسير القرطبي ٥٢/٣ ــ ٥٩ والبحر المحيط ١٥٤/٢ ــ ١٥٥

(٤) في ط " الصبيان " ٠

(٥) أخرجه عنهم الطبرى في تفسيره ٣٥٧/٢ ــ ٣٥٨

وانظر : تفسير البغوى ١٩٣/١ ، وتفسير القرطبي ٥٢/٣

والكعاب : هي فصوص النرد ، واحدها كعب وكعبة ٠ النهايـة : مادة (كعـب) ٠

(٦) انظر : تفسير البغوى ١٩٣/١ ، وتفسير الرازى ٤٩/٦ ، وتفسير ابن كثـــير ٩٤/٢ وقد عزا ابن كثير تخريجه لابن أبي حاتم ٠

الآيـــــة : ٢١٩

قال القاسم بن محمد [١] : كل شيء ألهاك عن ذكر الله وعن الصلاة فهو ميسر . [٢]

قال ابن عباس : فلما نزلت هذه الآية ترك بعض الناس الخمر ، وقالوا : لا حاجة لنـــا فيما فيه اثم كبير . ولم يتركها بعضهم ، وقالوا : نأخذ منفعها ونترك اثمها ، وكانـــوا على ذلك ، حتى أصاب رجل من الصحابة خمرا فانتشا منها فحضرت الصلاة فقام يصـــلي المغرب ، فقرأ قل يـأيها الكافرون على غير وجهها ، قال : أعبد ما تعبـــد ون [٣] وأنـتم عابد ون ما أعبـــد .

فنزل قوله تعالى (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَـــتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ) . [٤]

---

(١) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي ، ثقـة ، أحد الفقهاء بالمدينة ، من كبار الثالثة ، مات سنة ١٠٦ هـ .

انظر : التقريـــــب ص ٤٥١

(٢) في م " فهو من الميسر " . وانظر : تفسير ابن كثير ٢/٩٤ ـ ٩٥

قلـت : وليس كذلك ، بل العلة في النهي أكل أموال الناس بالباطل .

(٣) في أ " ما تعبد " . والتصويب من ط و المصادر .

(٤) النســـاء ٤٣

والحديث لم أقف عليه من رواية ابن عباس ، بل أخرجه الترمذي ، وأبو داود ، والحاكم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : صنع لنا عبد الرحمن بن عـوف طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر ، فأخذت الخمر منا ، وحضرت الصـــلاة ، فقدموني ، فقرأت : قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ونحن نعبـــد ما تعبدون . قال : فأنزل الله تعالى : (يأيهـا الذين ءَامنوا لا تقربوا الصلوٰة وأنتم سكـٰرى حتى تعلموا ما تقولون) .

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

وعند أبي داود أن الداعي رجل من الأنصار ، وليس عبد الرحمن بن عـوف .

وعند الحاكم أن الذي أمهـم هو عبد الرحمن بن عوف . وقال : صحيح الإســـناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : على شرط مسلم .

انظر : سنن الترمذي : كتاب التفسير : باب : ومن سورة النساء . حديث ٣٠٢٦ ، وسنن أبي داود : كتاب الأشربة : باب في تحريم الخمر . حديث ٣٦٧١ والمســتدرك للحاكم ٤/١٤٢

الآيـــــة : ٢١٩

وكانوا يشربونها قبل الصلاة ، وكانوا يتناشدون الأشعار في شربها ، ويفتخرون ، فقـــــال عمر : اللهم بيّن لنا في الخمر بيانا شافيـــا .

فنزل قوله تعالى (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ) . الى قوله (فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ) [1] فقال عمـــر : انتهينا يا رب . [2] فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم باراقة الخمر حتى أمر بكســـــر الدنان تغليظا و تشديـــدا . [3]

---

(١) المائـــــدة ٩٠

(٢) هذا جزء من حديث عمر رضي الله عنه ، وقد أخرجه الامام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي من حديث أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب رضي اللـــه عنـــه قال : " لما نزل تحريم الخمـــر قال : اللهم بين لنا في الخمـــــر بيانـــاً شافيـــاً ، فنزلت هذه الآية التي في سورة البقـــرة (يسـئلونك عن الخمـــر والميســـر قل فيهما إثم كبـير) قال : فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليـــه ، فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً . فنزلت الآية التي في ســـــــورة النســـاء (يـأيهـا الذيـن ءآمنـوا لا تقربـوا الصـلوة وأنـتم سـكارى) ، فكـــان منادي رسول الله صلى الله عليـه و ســلم إذا أقام الصلاة نادى أن لا يقربـــن الصلاة سكران ، فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليـه ، فقال : اللهـــم بين لنا في الخمر بياناً شافيـــــاً . فنزلت الآية التي في المائدة ، فدعـــي عمر رضي الله عنه فقرئت عليـــه ، فلما بلـغ (فهل أنـتم منتهـون) قـــال عمر رضي الـه عنـه : انتهينـا انتهينـــا " .

انظر : المسـند ٥٣/١ ، وسـنن أبي داود والنسائي : في كتاب الأشربة : باب تحريم الخمـــــر . وسنن الترمـذي : في كتاب التفسير : ســـــورة المائـــــدة . حديث ٣٠٤٩

(٣) لم أقف على هذه الزيـــادة .

الآيـــة : ٢١٩

ومعنى الآيـة : يسألونك يا محمـــد عن الخمر والميسر ، قل فيهما اثم عظـيم [١] ، لأن الخمر يوقع [٢] العداوة والبغضاء ، ويحول [٣] بين الانسان وبين عقله الذى يعرف بـه ما يجب عليـه لخالقـه .

والقمار يورث العداوة أيضا ، فان المقمـور اذا رأى غيره قـد فاز بماله من غير منفعـة رجعت اليه بغضه وعاداه .

وقيل : معنى قوله تعالى (قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ) أى وزر عظيم ، من المشاتمة والمخاصمة وقول الفحش والزور ، وزوال العقل ، والمنع من الصلاة ، واستحلال مال / الغـير (٨٢/ب) بغير حـق .

وقرأ أهل الكوفة [٤] الا عاصما " قل فيهما اثم كثير " [٥] بالثاء .

وقرأ الباقون بالباء [٦] ، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم [٧] ، لقوله تعالى (وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) ولقوله تعالى (إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا) . [٨]

قولـه عـز وجـل (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) فالمنفعة في الخمر اللذة في شربها والتجارة فيهـا قبـل التحريـم .

والمنفعة في الميسر مصير الشيء الذى يصيبه من المال في القمار بلا كد ولا تعب . [٩]

---

(١) في ط " كبير " .

(٢) في ط " توقع " . بالتاء .

(٣) في ط " تحول " . بالتاء .

(٤) وهم حمزة ، والكسائي .

(٥) في أ " كبير " . وهو خطأ ، لمخالفته ما بعده من تفصيل ، والتصويب من ط ، م وكذلك هو في المصادر .

(٦) انظر : النشر ٢/٢٢٧ ، والبدور الزاهرة ص ٤٩

(٧) انظر : تفسير الثعلبي ٢/١١٠

(٨) النسـاء ٢ (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا) .

(٩) قال ابن كثير رحمه الله : ولكن هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحـة ، لتعلقها بالعقل والدين ، ولهذا قال الله تعالى (وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) .

الآيـــــة : ٢١٩

قولـه تعـالى (وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) :

قال المفسرون : اثم الخمـر هو أنه يشرب ويسكر ويؤذ ى الناس ٠

واثم الميسر : هو أن يقامر فيمنع الحق و يظلم ٠

وقال الربيع : المنافع قبل التحريم ، والاثم بعد التحريم ٠ (١)

قولـه تعـالى (وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ)

معناه : يسألونك أى شيء يتصد قون به ، قل الفضل وما يسهل عليك انفاقـه ٠ وهـذ ا نـزل جوابا عن قول عمرو بن الجموح (٢) : بماذ ا ننفق ؟ ٠

وفي الآيـة المتقد مـة جواب عن قوله : على من نتصد ق ؟ (٣)

واختلفوا في معنى قوله تعالى (قُلِ الْعَفْوَ) :

فقال ابن عمر وقتاد ة و عطاء والسد ى : هو ما فضل من المال عن العيال ٠

وهو روايـة عن ابن عباس ٠

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٣٦١/٢

وأخرجـه الطبرى أيضا عن ابن عباس والضحاك ٠ واختار أن المعنى : اثمهما قبـل التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم أيضا ٠ قال : وانما اخترنا ما قلنا في ذلك مـن التأويل ، لتواتر الأخبار وتظاهرها بأن هذ ه نزلت قبل تحريم الخمر والميسـر ، فكان معلوما بذ لك أن الاثم الذ ى ذ كر الله في هذ ه الآية فأضافه اليهما انما عنى بـه الاثـم الذ ى يحد ث عن أسبابهمـا ، لا الاثم بعد التحريم ٠ اهـ ٠

تفسير الطبرى ٣٦١/٢

وهذ ا الذ ى اختاره الطبرى قـد عزاه ابن الجـوزى لسعيـد بـن جبـير ٠

انظر : زاد المسير ٢٤١/١

(٢) انظر : زاد المسير ٢٤٢/١ ، وتفسير القرطبي ٦١/٣ ، والبحر المحيط ١٥٨/٢

وأخرج ابن أبي حاتم ـ فيما حكاه ابن كثير ـ أن معاذ بن جبل ، وثعلبة بن غنمـة أتيا رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فقالا : يا رسول الله ان لنا أرقاء وأهلين مـن أموالنا ٠ فأنزل الله : (ويسئلونـك ماذ ا ينفقون) ٠ تفسير ابن كثير ٢٦٣/١

وانظر : الفتح السماوى للمناوى ٢٥٧/١ ، وقد حكم بالارسال على سند ابن أبي حاتم الى معاذ بن جبل و ثعلبة بن غنمـة ٠

(٣) تقد م هذ ا عند الآيـة ١٨٩ من هذ ه السورة ٠

الآيـــــة : ٢١٩

وقال الحسـن : هو أن لا تفني مالك في النفقـة ثم تقعد تسأل النـاس .

وقال مجاهـد : هو ما كان عن ظهر غـنى .

وقال الضحاك : هو قـد ر الطاقـــة .

وقال الربيع : العفو هـــو الطيب ، كأنـه قال : أفضل مالك وأطيبـه .(١)

وأصل العفو في اللـغة : الزيادة والكثرة .

قال الله تـعالى (حَتَّى عَفَـوا)(٢) أى كـثروا .(٣)

وقال صلى الله عليه و سلم : " اعفـوا اللحـى " .(٤)

والعفو أيضا ما تأخذ ه وتـعطيه سهلا بلا تكلف ، من قولهم : خذ ما أعفاك(٥) ، أى ما أتاك سهلا من غير اكـراه .

---

(١) انظر تلك الأقوال في : تفسير الطبرى ٣٦٤/٢ ــ ٣٦٥ ، وتفسير القرطبي ٦١/٣ وتفسير ابن كثير ٢٦٣/١ ، والد ر المنثور ٦٠٧/١ ، وأ حكام القرآن لابن العربي ٢١٤/١ قال ابن كثير : قال الحكم عن مقسم عن ابن عباس : (ويسئلو نـك مـاذ ا ينفقـــون قـل العـفـو) قال : ما يفضل عن أهلك .
و حكاه أيضا عن عد دكبير من مفسرى السلف .
كما اختاره ابن جرير الطبرى . حيث قال : وأولى هذ ه الأقوال بالصواب قول مـــن قال : معنى العفو : الفضل من مال الرجل عن نفسه وأهله في مؤنتهم وما لابـد لهـم منـه ، وذ لك هو الفضل الذ ى تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه و سلم بالإذ ن في الصد قة ، وصد قة في وجوه البر ١٠ هـ .
تفسير الطبرى ٣٦٥/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٦٣/١

(٢) من الآية ٩٥ من سورة الأعراف (ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ) .

(٣) قال ابن كثير : (حتى عفـوا) : أى كثروا وكثرت أموالهم وأولا د هم ، يقال : عفـــا الشـيء : اذ ا كـثـر . تفسير ابن كثير ٢٤٣/٢

(٤) تمام لفظـه : " خالفـوا المشركـين ، أحفـوا الشـوارب ، وأعفـوا اللحـى " . وقـــد تقـد م تخريجـــــه .

(٥) في ط " ما عفا " .

الآيـــة : ٢١٩

ونظير هذه الآيـة من الأخبار ما روى أن رجـلا قال : يا رسول الله ، عندي دينـــار . قال : " أنفقـه على نفسك " . قال : عندي آخر . قال : " أنفقـه على أهلك " . قـال : عندي آخر . قال : " أنفقـه على ولدك " . قال : عندي آخر . قال : " أنفقـــه عـلى والديك " . قال : عندي آخر . قال : " أنفقه على فرسك " . قال : عندي آخر . قـال : " أنفقه على قرابتـك " . قال : عندي آخر . [قـال](١) : " أنت أبصر بـه " .(٢)

وعن جابر قال : أتى رجل(٣) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهـــب أصابها في بعض المعادن ، فقال : يا رسول الله خذ هذه صدقة ، فوالله ما أصبحـت أملك غيرها . فأعرض عنه . فأتى من ركنـه الأيمن ، فقال له مثل ذلك . فأعرض عنـــه . ثم أتاه من ركنه الأيسر ، فقال له مثل ذلك . فأعرض عنه . ثم قال له مثـــل ذلك . فقال ـ مغضبا ـ : " هاتها " . فأخذها منه فحذف بها حذفة لو أصابه لشجه أو عقره ،

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٥١/٢ ، ٤٧١
وأبو داود في كتاب الزكاة : باب في صلة الرحم .
والنسائي في كتاب الزكاة : باب الصدقة عن ظهر غنى .
والبغوي في شرح السنة ١٩٣/٦ ، والحاكم في المستدرك ٤١٥/١
من حديث أبي هريرة .
قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .
ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تصدقوا " . قال رجل : عنـــدي دينار . قال : " تصدق به على نفسك " . قال : عندي دينار آخر . قال : " تصدق به على زوجك " . قال : عندي دينار آخر . قال : " تصدق به على ولدك " . قال : عندي دينار آخر . قال : " تصدق به على خادمك " . قال : عندي دينار آخـــر . قال : " أنت أبصر به " .

(٣) في أ " رجلا " . وهو خطأ ، والتصويب من ط ، م .

الآيـــــة : ٢١٩

ثم قال : " ويجيء أحدكم بماله كله ليتصدق بـه ، ويجلس يتكفف الناس . أفضل الصدقـة ما كان عن ظهر غنى ، وليبدأ أحدكم بمن يعـول " .(١)

قال الكلبي : كان الرجل بعد نزول هذه الآية ان كان من أهل الزرع و/ النخيل(٢) نظـر (٨٣/أ) الى ما يكفيه و عياله سنة ، ويتصدق بما فضـــل . وان كان من أهل التجارة أمســـك

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة : باب : الرجل يخرج من ماله .

والحاكم في المستدرك ٤١٣/١ من حديث جابر بن عبد الله . وقال : صحيح علـى شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقـه الذهبي .

وليس فيه " وليبدأ أحدكم بمن يعول " .

لكن عزاه السيوطي لابن سعد والحاكم بالزيادة المذكورة .

انظر : الدر المنثـور ٦٠٨/١ ـ ٦٠٩

والحديث ضعفه الألباني في الارواء ٤١٥/٣ ـ ٤١٦

وزاد في عـزوه للدارمي وابن خزيمة والبيهقـي .

قلـت : معنى الحديث صحيح ، ويشهد لهذا المعنى ما رواه البخاري ومسلم مـن حديث سعد بن أبي وقاص قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعودني عـام حجة الوداع من وجع اشتد بي ، فقلت : اني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مـال ، ولا يرثني الا ابنـة ، أفأتصدق بثلثي مالي ؟ قال : " لا " . فقلت : بالشطـــر ؟ فقال : " لا " . ثم قال : " الثلث ، والثلث كثير ، انك ان تذر ورثتك أغنيـاء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ... " . الحديث .

أخرجه البخاري في كتاب الجنائز : باب رثاء النبي صلى الله عليه و سلم سعد بن خولة .

ومسلم في كتاب الوصية : باب الوصية بالثلث . رقم ١٦٢٨

والزيادة المذكورة في حديث جابر المتقدم قد جاءت في حديث حكيم بن حـــزام رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " اليد العليا خير من اليـــد السفلى ، وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة عن ظهر غنى ، ومن يستعفف يعفـــه الله ، ومن يستغن يغنه الله " .

أخرجه البخاري في كتاب الزكاة : باب : لا صدقة الا عن ظهر غنى .

ومسلم في كتاب الزكاة : باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى .

(٢) في ط " والنخـل " .

الآيـــة : ٢١٩ ، ٢٢٠

رأس مالـه ومن الربح ما يتقوت بـه ويحتاج اليـه ، ويتصد ق بما فضل . وان كان ممـن يعمـل بيـد ه أمسك ما يكفيـه و عياله يومـه ذ لك ، ويتصد ق بسائره .

وكانوا على ذ لك الى أن فرضت الزكاة مقـد رة معلومـة .(١)

واختلفوا في قراءة قوله (قـل العفـو) :

فقرأ الحسن ، وقتاد ة ، وأبو عمرو : " قل العفوُ " رفعا على معنى : الذ ى ينفقونه هـو العفـو ، أو على (٢)[معنى] : قل هو العفو . ودليله قوله تعالى (وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) .(٣)

وقرأ الباقون " العفوَ " بالنصب على معنى : قل أنفقـوا العفو .

ود ليلـه قوله تعالى (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا) .(٤)

(٢٢٠) قولـه عز وجل : (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) :

أى مثل هـذ ا البيان يبين الله لكم أوامره ونواهيه ود لائله في الد ين ، لعلكم تتفكرون فـي الد نيا أنهـا د ار فناء وبلاء ، لا يبقى منهـا (٥) الا العمل الصالح .

وفي أمر الآخرة فانهـا د ار جزاء وبقاء ، لا ينفع فيهـا الا سابق تقوى الله عز وجـل .

وقال المفضـل (٦) [معنـاه](٧) : كذلك يبين الله لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكـرون

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ٦٢/٣

(٢) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٣) النحـــل ٢٤

(٤) النحـــل ٣٠

وانظر القراءتين في : النشر ٢٢٧/٢ ، وتفسير البغوى ١٩٣/١ ، وتفسير القرطبي ٦١/٣

(٥) في أ " فيها " . والتصويب من ط .

(٦) هو المفضل بن سلمة بن عاصم ، أبو طالب النحوى اللغوى الكوفي . صنف معانـي القرآن ، والبارع في اللغة ، والاشتقاق ، والاستد راك على العين ، وغير ذ لك . انظر : بغيـة الوعـاة ٢٩٦/٢ ـ ٢٩٧

(٧) ما بين المعقوفتين من ط .

الآيـــــة : ٢٢٠

في الد نيا والآخرة ، فتحبسون [١] من أموالكم ما يصلحكم في معايش الد نيا وتنفقـــــون الباقي فيما ينفعكم في العقبى . [٢]

وقال بعضهم : معناه : يبين لكم الآيات في أمر الد نيا والآخرة لعلكم تتفكرون فـــي زوال الد نيا وفنائها فتزهد وا فيها ، وفي اقبال الآخرة وبقائها فترغبون فيها . [٣]

وهـذ ا القول قريب من الأول . [٤]

قال الزجاج : انما قال (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ) وهو يخاطب الجماعة ، فكان ينبغي أن يقول " كذ لكم " لأن الجماعة معناها : القبيل ، كأنه قال : كذ لك أيها القبيل .

ويجوز أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم ، لأن خطابه مشتمل على خطاب أمته ، كما قال تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ) . [٥]

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : " تفكر ساعة خير من عبـــــاد ة ســـــنة " . [٦]

قوله عز وجل (وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ) :

قال ابن عباس : لما نزل في أمر اليتامي (وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) [٧]

---

(١) في ظ " فتحتسبون " .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٦٢/٣ ، والبحر المحيط ١٦٠/٢

(٣) هكذ ا في النسخ . ولعل الصواب " فترغبوا " .

(٤) وانظر : تفسير الطبرى ٣٦٨/٢ ـ ٣٦٩ ، وتفسير البغوى ١٩٤/١ ، وتفســـــير القرطبي ٦٢/٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٦٤/١

(٥) انظر : معاني القرآن للزجـــاج ٢٩٣/١ ـ ٢٩٤
وقد ذكر المؤلف كلامه بالمعنى . وليس فيه " فكان ينبغي أن يقول " .

(٦) ذكره ابن الجوزى في الموضوعات ١٤٤/٣ وقال : هذ ا حد يث لا يصح ، وفي الإسناد كذ ابان : إسحاق بن نجيح الملطي ، و عثمان بن عبد الله القرشي .

(٧) الأنعـــــام ١٥٢

الآيـــــة : ٢٢٠

وقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا) . (١)

أشفق المسلمون من مخالطتهم ، وكان كل من في حجره يتيم يجعل لليتيم بيتا وطعامـــا وخادما على حده ، وكانوا لا يخالطون اليتامى في شيء ، فشق ذلك عليهم ، فجـــاء عبد الله بن رواحـــة (٢) الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : ان الله تعالى أنـــزل في أمر اليتامى ما أنزل من الشدة ، أفيصلح لنا يا رسول الله أن نخالطهم ، نستعـــــير منهم الخادم / والدابـــة ، ونشرب من لبن شاتهم . (٨٣/ب)

فأنزل (٣) الله هذه الآيـــة (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ) أى (٤) مخالطة اليتامى ، قـــل اصلاح لأموالهم (٥) خير الأشياء ، اذ هو خير من الانفاق [عليهـــم] (٦) .

قولـه تعـالى (وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ) أى وان تشاركوهم وتخلطوا أموالهم بأموالكـــم في نفقاتكم ومطاعمكم (٧) ومساكنكم وخدمكم ودوابكم ، فتصيبوا من أموالهم عوضا من قيامكم

---

(١) النســـــاء ١٠

(٢) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصارى الخزرجي ، الشاعر المشهور ، مـــن السابقين الأولين من الأنصار ، كان أحد النقباء ليلة العقبة ، وشهد بـــدراً وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتـــة . انظر : الاصابة ٢٩٨/٢

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الوصايا : باب مخالطة اليتيم في الطعام .
والنسائي في كتاب الوصايا : باب ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه .
والحاكم في المستدرك ٢٧٨/٢ وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .
وليس فيه التصريح بأن السائل هو عبد الله بن رواحة .
لكن حكى ذلك الفخر الرازى في تفسيره ٥٤/٣ ، وابن الجـــوزى فـــي زاد المسير ٢٤٤/١

(٤) في ط ، م " أى عن مخالطة اليتامى " .

(٥) في ط " لهم " .

(٦) ما بين المعقوفتين من ط .

(٧) في ط زيادة كلمة " ومشاربكم " بعد قوله " ومطاعمكم " .

الآيـــــة : ٢٢٠

بأمورهم ، وتكافئوهم على ما يصيبون من أموالكم ، فهم اخوانكم في الدين ·

وقرأ طاووس " قل اصلاح اليهم خير " [١] بمعنى الاصلاح لأموالهم من غير أجرة ولا أخـــذ عوض منهم خير وأعظم أجرا ·

وقرأ أبو مجلز [٢] " فاخوانكم " بالنصب [٣] ، أى تخالطوا اخوانكم ·

قوله تعالى (وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) أى يعلم من كان غرضه بالمخالطـــة اصلاح أمر اليتامى ، ومن يكون غرضه افساد أمرهم ·

قوله عز وجل (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ) أى لآثمكم في مخالطتهم وضيق عليكم ·

والعنت : الاثم ، ويسمى الفجور عنتا لما فيه من الاثم ·

وأصل العنت : الشدة والمشقة ، يقال : عقبة عنوت ، أى شاقة كؤود ·[٤]

وقال أبو عبيدة : معناه : ولو شاء الله لأهلككم ·[٥]

قوله عز وجل (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) أى منيع غالب لا يمانع فيما فعل من المساهـــل والمشاق ، ذو حكمة فيما أمركم بـه في أمر اليتامى وغير ذلك ·

واسم اليتيم اذا أطلق انصرف الى الصغير الذى لا أب له ·

---

(١) انظر : المحتسب ١٢٢/١ ، والبحر المحيط ١٦١/٢

(٢) هو لاحق بن حميد السدوسي ، نزيل خراسان ، سمع من ابن عمر وابن عبـــــاس وأنـــس وغيرهـــم · مات سنة ١٠٠ هـ ·

انظر : غاية النهايـــة ٣٦٢/٢ ــ ٣٦٣

(٣) انظر : البحر المحيط ١٦٢/٢

(٤) في أ " كيؤد " · والتصويب من ط ، م ·

وانظر : غريب القرآن لابن قتيبة ص ٨٣ ، واللسان : مادة (عنت) ·

(٥) انظر : مجاز القرآن ٧٣/١

الآيـــة : ٢٢٠

والعرب تسمي المنفرد يتيما ، يقولون : الدرة اليتيمة ، يريدون بذلك أنها منفـــردة لا نظير لهـا .

وفي الآية ضروب من الأحكام ، منها : قوله تعالى (قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ) يدل على جواز خلط الوصي ماله بمال اليتيم في مقدار ما يغلب على ظنه أن اليتيم يأكل قدر طعـــام نفسه بغالب الظـــن .

ويدل على جواز التصرف في ماله بالبيع والشراء .

وجواز دفعه مضاربـــة اذا كان ذلك صـلاحا .

ويدل على أن لولي اليتيم أن يعاقد نفسه في ماله اذا كان فيه خير ظاهر لليتيم ، عـــلى ما قالـه أبو حنيفـــة رحمـــه الله .

ويدل على أن للوصي أيضا أن يؤجر اليتيم ممن يعلمه الصناعات والتجارات ، أو يستأجـــر من يعلمه ما له فيه صلاح من أمر الدين والأدب ، لأن كل ذلك من الصلاح .(١)

وقولـه تعالى (وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ) : فيه دليل على أن للولي أن يزوج اليتـــيم ابنته ، أو يزوج اليتيمة ابنه ، أو يتزوج اليتيمة لنفسه ، فيكون قد خلط اليتيم بنفســه وعياله ، واختلط أيضا بـه . يقال : فلان خليط فلان اذا كان شريكا له في المـــال .

ويقال : قد اختلط فلان بفلان اذا صاهـــره .

---

(١) انظر بسط تلك المسائل ، مع ذكر الخلاف في بعضها في : أحكام القرآن للجصاص ١٣/٢ ، وأحكام القرآن للكيا الهراسي ١٢٨/١ ــ ١٢٩ ، وأحكام القرآن لابن العربـي ٢١٥/١ ــ ٢١٦ ، وتفسير القرطبي ٦٣/٣ ــ ٦٤

قال أبو بكر بن العربي : لما أذن الله تعالى للناس في مخالطة الأيتام مع قصـــد الاصلاح بالنظر لهم وفيهم ، كان ذلك دليلا على جواز التصرف للأيتام كما يتصرف للأبنـــــــاء .

الآيـــــة : ٢٢٠، ٢٢١

ولا يكون التزويج الا للولي الذ ى يكون ذ ا نسب من اليتيم ، لأن الوصاية لا تستحـــــــق بهـا الولايـة في النكاح .(١)

(٢٢١) قولـه تعـالى (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ) :

قال عبد الله بن عباس : نزلت / هـذ ه الآيـة في مرثد بن أبي مرثد الغنـــوى(٢)، (٨٤/أ)
شجاعا قويا . بعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم الى مكـة ليخرج منهـا نـاســـا من المسلمين سرا ، فلما قد مها سمعت بـه امرأة مشركـة يقال لهـا عناق ، وكانـــت خليلتـه في الجاهليـــة ، فأتتـه وقالت له : يا مرثـــد : ألا تخلو ؟(٣) فقـال : ويحك يا عنـاق ، ان الاسلام قـد حـال بيننا و بين ذ لك . فقالت : هل لك أن تـزوج بـــي ؟ فقال : نعـــم ، لكن أرجـع الى رسـول اللـــه صلى الله عليه و ســـــــلم ، فأستأمره ثم أتزوجك . فقالت : أبي تتـبرم(٤) ، ثم استغاثت(٥) عليـــــــه ،

---

(١) انظر : المصاد ر السابقة ، مع المغني لابن قد امـة ٤٦٩/٦ ـ ٤٧٠
ولم يشترط أكثرهم كون الولي ذ ا نسب من اليتيم .
بل إن مالكاً جعل ولاية النكاح بالكفالة والحضانة أقوى منهـا بالقرابـــة .
انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٢١٦/١ ، وتفسير القرطبي ٦٤/٣
ومنع ذ لك الشافعي ، وقال : يزوجهما السلطان أو ولي آخر مثله أو أقعد منـــــه .
ووافقـــه زفـــر ، و د اود .
وحجتهم : أن الولاية شرط في العقد ، فلا يكون الناكح منكحاً ، كما لا يبيـــــــع من نفسه . انظر : فتح البارى ٩٥/٩
وقد قال الكيا الهراسي من الشافعية في أحكام القرآن ١٢٩/١ : " إن ثبت كـــــون التزويج إصلاحاً ، فظاهر الآيـة يقتضي جوازه " .

(٢) صحابي بد رى ، استشهد في عهد النبي صلى الله عليه و سلم سنة أربع .
التقريـــــب ص ٥٢٤

(٣) في م " ألا تخلو بي " .

(٤) في أ ، ط " أنى تتبرر " ، وفي م " أبي تتبرر " . والتصويب من المصاد ر .

(٥) في م " ثم استعانت " .

الآيـــة : ٢٢١

فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله . فلما رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بما كان من أمره وأمر عناق ، وما لقي بسببها ، فقال : يا رسول الله أيحل لي أن [أ](١) تزوجها ؟ . فأنزل الله هذه الآية .(٢)

ومعناها : ولا تزوجوا(٣) المشركات حتى يصدقن بتوحيد الله تعالى .

وقال المفضل : أصل النكاح الوطء ، ثم كثر ذلك حتى قيل لعقد التزويج النكاح .(٤)

---

(١) زيادة الهمزة من ط ، م .

(٢) انظر : أسباب النزول للواحدي ص ٦٧ ، وتفسير البغوى ١٩٥/١ ، والكشاف ٢٦٤/١ وزاد المسير ٢٤٥/١ ، وتفسير الرازى ٥٨/٣ ، وتفسير القرطبي ٦٧/٣

وهو من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

قال الحافظ ابن حجر في تخريجه أحاديث الكشاف ٢٦٤/١ :

" ... ونزولها في هذه القصة ليس بصحيح ، فقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوى ، وكان رجلاً شديداً يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة ـ الحديث بطوله . وفيه : حتى نزلت (الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) قال : فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليّ ، وقال : " لا تنكحها " .

وأخرجه أحمد واسحاق والبزار . وقال : لا نعلم أسند مرثد بن أبي مرثد إلا هذا الحديث .

(٣) في م " ولا تتزوجوا " ..

(٤) انظر : زاد المسير ٢٤٦/١

وقال ابن قدامة رحمه الله : " النكاح في الشرع هو عقد التزويج ، فعند إطلاق لفظه ينصرف إليه ما لم يصرفه عنه دليل " .

وقد اختلف الفقهاء في حقيقة لفظ النكاح .

فقيل : هو حقيقة في العقد . وقيل : حقيقة في الوطء . وقيل : هو حقيقة فيهما معا .

أما المراد به في هذه الآية فهو عقد النكاح . حكى الفخر الرازى الاجماع على ذلك .

انظر : المغني لابن قدامة ٤٤٥/٦ ، وشرح النووى على صحيح مسلم ١٧٢/١٠ وفتح البارى ٥/٩ ، وتفسير الرازى ٥٩/٣

الآيـــــة : ٢٢١

فحرم الله نكاح المشركات عقـــدا ووط ءا ، ثم استثنى الحرائر الكتابيات ، فقال تعالـى (وَالْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ الَّذِيـنَ أُوتُـوا الْكِتَـٰبَ مِـن قَبْلِكُمْ) . (١)

قولـه عـز وجـل (وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ) :

أي نكاح أمـة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة ولو أعجبتكم الحرة المشركة لحسنها وجمالهـــا ومالهـــــا .

نـزلت في أمـة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان ، يقال لها خنساء ، فقال لها حذيفـــة : يا خنساء قد ذكرت في الملأ الأعلى مع سوادك ودمامتك ، وأنزل الله ذلك في كتابـــه . فأعتقها حذيفـــة وتزوجهـا . (٢)

وقال السدى : نـزلت في أمـة سوداء لعبد الله بن رواحة ، كان قد غضب عليها عبد اللـــه فلطمها ، ثم فزع وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال صلى الله عليه وسلم : " وما هي يا عبد الله ؟ " فقال : هي تشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ، وتصـــوم رمضان ، وتحسن الوضوء فتصلي . فقال : " هذه مؤمنة " . وقال عبد الله بن رواحـــة : والذي بعثك بالحق نبيا لأعتقنها ولأتزوجنها . ففعل ، فطعن عليه ناس من المسلمـين ، وقالوا : أتنكح أمـة ، وقد عرضوا عليه حرة مشركة ، وكانوا يرغبون في نكاح المشركات رجاء اسلامهن ، فأنزل الله تعالى هذه الآيـــة . (٣)

قولـه تعـالى (وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا) أي لا تزوجوا المشركين مسلمـــة حتى يصدقـوا بالله .

---

(١) المائـــــدة ٥

(٢) انظر : تفسير البغوي ٩٥/١ ، وتفسير القرطبي ٦٩/٣

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦١٦/١ وعزاه لابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٧٨/٢ وكذا ابن المنذر وابن أبي حاتم ـ فيما حكـــاه السيوطي في الدر المنثور ٦١٥/١ ـ .

ورواه الواحدي عن ابن عباس من طريق السدي .

انظر : أسباب النزول ص ٦٦

الآيـــة : ٢٢١

(وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) أى ولو أعجبكم الحر المشرك بماله وحسن حالـــه .

قوله تعالى (أُولَـٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) يعني المشركين والمشركات يدعون الى عمل أهـل النـــار .

قولـه تعالى (وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ) أى والله يدعو الى أسبـــاب الوصول الى الجنة والمغفرة ومخالطة / المؤمنين و غير ذلك . (٨٤/ب)

(بِإِذْنِـــهِ) أى بأمره و علمه الذى علم أنـه وصلة لكم اليهمـا .

قولـه تعالى (وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) أى يبين أمره ونهيه في التزويج و غيره للناس لعلهم يتعظون ويرغبون في أهل الديانة والأمانـة .

واعلم أن الظاهر أن اسم المشركات يتناول الوثنيات . وقال الله تعالى (مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ) (١) ، وقال تعالى (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ) (٢) ففرق بينهما في اللفظ ، وظاهر العطف يقتضـــي أن المعطوف غير المعطوف عليـه . فعلى هذا لا يكون تزويج المسلمين بالكتابيات داخـــلا في هذه الآيـة ، لكن أستفيد جوازه لهم بقوله تعالى في سورة المائدة : (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ) . (٣)

---

(١) البقرة ١٠٥ وتمامها (أن ينزل عليكم خير من ربكم والله يختص برحمته من يشـاء والله ذو الفضل العظيم) .

(٢) البينـة ١ وتمامها (منفكين حتى تأتيهم البينة) .

(٣) المائـــدة ٥

قلت : وهذا التوجيه الذى ذكره المؤلف توجيه حسن ، وهو يدفع دعوى النسخ في الآية الذي حكاه المؤلف عن بعضهم بعد ذلك .

و على هذا تكون آيـة المائدة مخصصة لعموم هذه الآية .

واختار هذا ابن الجوزى في نواسخه ص ٢٠٤ وقال : و على هذا الفقهاء وهو الصحيح اهـ.

قلـت : ويؤيده ما أخرجه الطبرى من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (ولا تنكحوا المشركـات حتى يؤمن) قال : ثم استثنى نساء أهل الكتاب فقـال (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب) . وأخرج الطبرى مثله عن الربيع . وحكاه ابن كثير عن جماعة من السلف . تفسير الطبرى ٣٧٦/٢ ، وابن كثير ٢٦٤/١

الآيـــــة : ٢٢١

وعن ابن عباس والحسن ومجاهـــد : أن هذه الآيـة عامـة في جميع الكافرات والكتابيات منهم[١] وغير الكتابيات ، ثم نسخت منها الكتابيات بآيـة المائـدة .[٢]

وعن ابن عمر أنه كان اذا سُئِلَ عن نكاح اليهودية والنصرانية قال : ان الله حرّم المشركـات على المؤمنين ، ولا أعلم شيئا من الشرك أكبر من أن تقول : ربها عيسى عليه الســـــلام أو عبد من عباد الله .[٣] والتكذيب بمحمـــــد صلى الله عليه وسلم عدل ـ في الاثـم والجرم ـ الاشراك باللـــه .

فان قيل : في هذه الآيـة نهي عن نكاح المشركات بسبب وهو دعاء أهل الشرك الى النـار ، وهذه العلة تعم الكتابيات وغيرهن ، فكيف أبيح للمسلمين نكاح الكتابيات والعـــــلة قائمـــــة ؟

قيل : يحتمل أن يكون قوله (**أُولَـٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ**) راجعا الى قوله (**وَلَا تُنكِحُـوا الْمُشْرِكِينَ**) لا الى قولـه (**وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَـٰتِ**) . لأن " أولئك " كناية عن الرجال دون النساء . ولا يجوز تزويج المسلمة من مشرك ولا كتابي .

---

(١) في ط " منهن " .

(٢) أخرجه الطبرى عن عكرمة والحسن ومجاهد . انظر : تفسير الطبرى ٣٧٦/٢ وحكاه القرطبي عن ابن عباس ، ومالك بن أنس ، والثورى ، والأوزاعي . انظر : تفسير القرطبي ٦٧/٣

(٣) أخرجه البخارى في كتاب الطلاق : باب قول الله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ...) . وفي روايته " ربها عيسى وهو عبد من عباد الله " .
قال الحافظ في الفتح ٣٢٧/٩ : " ذهب الجمهور إلى أن عموم آيـة البقرة خـــص بآيـة المائـدة ، فبقي سائر المشركات على أصل التحريم " .
ثم أجاب عن قول ابن عمـــر : بأنه يقتضي تخصيص المنع بمن يشـــرك من أهل الكتاب لا من يوحـــد ، وله أن يحمل آية الحل على من لم يبدل دينـــه منهم .

الآيـــــة : ٢٢٢

(٢٢٢) قولـه عـز وجـل ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ :

قال ابن عباس : نزلت هذه الآيـة في رجل من الأنصار ، يقال له أبو الد حداحـــة (١) ، أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال له : كيف نصنع بالنساء اذا حضن ، هـل نقربهن أو لا ؟ فنزلت هذه الآيـة .(٢) فلما نزلت الآية عمد المسلمين الى النســـاء الحيض فأخرجوهن من البيوت ، كما كانت الأعاجم تفعل بنسائهم اذا حضن ، واذا فرغـن واغتسلن رد وهن الى البيـــوت .

فقد م ناس من الأعراب المد ينة ، فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه و سلم عـزل النساء عنهم ، وقالوا : يا رسول الله ان البرد شد يد والثياب قليلة و قد عزلنا النســـاء ، فان آثرناهـن بالثياب هلك أهل البيت بـردا ، وان آثرنا أهل البيت هلك النساء الحيض ، وليس كلنا نجد سعة فنوسع عليهم جميعا .

فقال صلى الله عليه و سلم : " انما أمرتم / أن تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ، ولم تؤمـروا (٨٥/أ) أن تخرجوهن من البيوت " . وقرأ عليهم الآيـة .(٣)

وقال بعضهم : كانت العرب في الجاهلية اذا حاضت المرأة لم يواكلوها ولم يشاربوهـــا ولم يساكنوها في بيت ولم يجالسوها على فراش ، كفعل اليهود والمجوس ، فســـأل أبو الد حداح رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ذلك ، وقال : يا رسول الله كيف نصنـع بالحيـض ؟ فأنزل الله هذه الآيـة .(٤)

---

(١) هو ثابت بن الد حداح بن نعيم ، حليف الأنصار ، وكان بلويا حالف بني عمرو بـن عوف . ويقال ثابت بن الد حداحة ، ويكنى أبا الد حداح وأبا الد حداحة . جـرح بأحـد ، ثم مات بعد ذلك بمدة . انظر : الاصابة ١٩٣/١ ، ٦٠/٤

(٢) عزاه الحافظ للباورد ى عن ابن عباس . انظر : الاصابـة ١٩٣/١
وانظر : زاد المسير ٢٤٧/١ ـ ٢٤٨ ، ورواه الطبرى عن السد ى . تفسير الطبرى ٣٨١/٢

(٣) انظر : الكشاف ٢٦٥/١ ، وتفسير الرازى ٦٧/٣
وقال الحافظ ابن حجر في تخريجه لأحاد يث الكشاف : لم أجد ه .
انظر الموضع السابق من الكشاف . هامش (١)

(٤) ذكره الواحد ى في أسباب النزول ص ٦٨ ولم يعزه الى أحد ، وانما قال : قـــال المفسرون : ... فذكره .

الآيـــــة : ٢٢٢

ووجـه اتصال هذه الآيـة بما قبلها أنـه أجرى فيما تقدم حديث نكاح من يحرم ومن يحـل [١] ، فبين الله تعالى بعده حال التحليل والتحريم بهذه الآية .

وقال ابن عباس : ما رأيت قوما كانوا خيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلـــم ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة [٢] مسألة حتى قبض ، كلهن في القرآن [٣] : (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ) [٤] ، (يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ) [٥] ، (يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ) [٦] ، (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ) [٧] ، (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) [٨]

= قلـــت : هذا قريب مما ذكره عن أبي الدحداح من قبل ، وان اختلف اللفظ .

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : أن اليهـــود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت . فسأل أصحـاب النبي صلى الله عليه و سلم النبي صلى الله عليه وســـلم ، فأنزل الله تعـالى : (ويسـئلونـك عـن المحيـض قل هـو أذى فاعتزلـوا النســاء فـي المحيـض) الى آخـر الآيـة . فقال رسـول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم : " اصنعـــوا كل شيء الا النكـــــاح .

صحيح مسـلم : كتـاب الحيـض : بـاب حـواز غسـل الحائـــض رأس زوجهـا وترجيـله . رقم ٣٠٢

(١) في م " من تحرم ومن تحـل " . بالتاء .

(٢) في النســـخ " ثلاثـة عشـر مسـألة " . وهـو خطـأ .
والمثبت هـو الصـــواب .

(٣) ذكـره الهيثمي في مجمع الزوائـــــد ١٥٨/١ ــ ١٥٩
وقال : رواه الطبراني في الكبـــير ، وفيـه عطـاء بن السائب وهو ثقـة ، ولكنه اختلط ، وبقيـة رجاله ثقـات .

(٤) البقـــــرة ٢١٧

(٥) البقـــرة ٢١٥

(٦) البقـــرة ٢١٩

(٧) البقـــرة ١٨٩

(٨) البقـــرة ٢١٩

الآيـــة : ٢٢٢

(وَيَسْـئَلُونَكَ عَـنِ اليَتَـامىٰ) (١) ، (وَيَسْـئَلُونَكَ عَـنِ الْمَحِيْـضِ) (٢) ، (يَسْئَلُونَـكَ عَـنِ السَّاعَـةِ أَيَّانَ مُرْسَـاهَـا) (٣) ، (وَإِذَا سَـأَلَكَ عِبَادِي عَـنِّي) (٤) ، (يَسْئَلُونَـكَ عَـنِ الأَنْفَـالِ) (٥) ، (وَيَسْـئَلُونَـكَ عَـنِ الرُّوحِ) (٦) ، (وَيَسْـئَلُونَكَ عَـنِ ذِي الْقَرْنَـيْنِ) (٧) (وَيَسْئَلُونَـكَ عَـنِ الْجِبَـالِ) . (٨)

ومعنى الآيـة : (وَيَسْئَلُونَـكَ عَـنِ الْمَحِيضِ قُـلْ هُـوَ أَذًى) أى الدم مستقذر نجـس .

وقال الكلبي : الأذى : ما يغم ويكـره من كل شيء . (٩)

قولـه تعالى (فَاعْتَزِلُـوا النِّسَـاءَ فِي الْمَحِيـضِ) أى اعتزلوا مجامعتهن وهن حيض .

(وَلَا تَقْرَبُوهُـنَّ حَـتَّىٰ يَطْهُـرْنَ) أى ولا تجامعوهـن حتى ينقطع عنهـن الدم . (١٠)

---

(١) البقـــرة ٢٢٠

(٢) البقـــرة ٢٢٢

(٣) الأعـراف ١٨٧ ، والنازعـات ٤٢

(٤) البقـــرة ١٨٦

(٥) الأنفـــال ١

(٦) الاســـراء ٨٥

(٧) الكهـــف ٨٣

(٨) طـــه ١٠٥

(٩) لم أجـده عن الكلبي . وهو بيان لمعنى الأذى في اللغـة .

قال ابن جرير الطبرى : والأذى : ما يؤذى بـه من مكروه فيه ، وهو في هذا الموضع يسمى أذى لنتن ريحـه وقذره ونجاستـه ...

تفسير الطـبرى ٣٨١/٢

(١٠) وهـذا على مذهب أبي حنيفة ، إلا أن المشهور في مذهبه أن ذلك إنما يكـون بانقطاع الدم لأكثر الحيض ، وهو عنده عشرة أيام . فإذا انقطع دمها لأكثر الحيض جاز للزوج وطؤها قبل الغسل .

انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٥/٢ ، والافصاح ٩٥/١ ، ورحمة الأمـة في اختلاف الأئمـة ص ٢٣

والذى عليه الجمهور : أن الحائض إذا انقطع دمها لا يحل لزوجها وطؤها حتى تغتسل .

انظر : الافصاح ٩٦/١ ، ورحمة الأمة ص ٢٣ ، والمغني لابن قدامة ٣٣٨/١ وتفسير القرطبي ٨٨/٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٦٧/١

قلت : وسبب الخلاف بين العلماء في هذه المسألة هي قراءة التشديد في قوله (حتى يطهرن)

وسيأتي بيان تلك القراءات مع توجيهها في صفحة ٦١٩

الآيـــة : ٢٢٢

وعن أبي هريـرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من وطـــيء امرأتـه وهـي حائض ، فقضي بينهما ولـــد فأصابـه جـذام فلا يلومـن الا نفسه ، ومـــن احتجم يوم السبت أو الأربعاء ، فأصابـه وضـح فلا يلومـن الا نفســه " .(١)

فوطيء النساء الحيض حرام بنص القرآن ، فان وطئها زوجها أثم [و](٢) لزمتـه الكفارة .

روى(٣) ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ في رجل جامع امرأته وهي حائـض ـ قال : " ان كان دما عبيطا فليتصدق بدينار ، فان كان صفرة فبنصف دينار " .(٤)

---

(١) ورد هذا في حديثين منفصلين ، وليس حديثاً واحـــداً .

فالأول حديث أبي هريرة مرفوعا : " من وطيء امرأتـه وهي حائض ، فقضي بينهمـــا ولـد فأصابـه جذام ، فلا يلومـن إلا نفســه " .

وقـد ذكره الهيثمي في مجمع الزوائـــد ٢٩٩/٤

وقال : رواه الطبراني في الأوسط عن بكر بن سهل . وقد ضعفه النسائـــي .

وقال الذهبي : قد حمل الناس عنه ، وهو مقارب الحديث ١٠ هـ .

وذكره الألباني في ضعيف الجامع ٢٥٦/٥

وكذا في سلسلة الضعيفة ١٨٠/٢

أما الحديث الثاني : فقوله " من احتجم يوم السبت أو الأربعاء ، فأصابه وضـــح فلا يلومن إلا نفسه " . والوضح : البرص

وقد أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٠٩/٤ ـ ٤١٠ من حديث أبي هريرة مرفوعـــا ، وسكت عنـه . وفيه سليمان بن أرقم . قال عنه الذهبي في التلخيص : سليمان متروك .

ولفظه : " من احتجم يوم الأربعاء ويوم السبت ، فرأى وضحاً ، فلا يلومن إلا نفسه " .

وذكره الألباني في ضعيف الجامع ١٥٠/٥

كما أورده ابن الجوزي في الموضوعات ٢١٢/٣

(٢) زيادة الواو من ط .

(٣) في ط " روى عن ابن عباس " .

(٤) أخرجه الدارقطني ٢٨٧/٣ ، والبيهقي في السنن ٣١٧/١ ، والبغوى في شـــرح السنة ١٢٧/٢ بهذا اللفظ .

كما رواه أصحاب السنن وغيرهم بطرق وألفاظ متعددة .

وقد جمع الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للترمذي تلك الطرق والروايات ، المرفوع منها والموقوف ، ثم رجح أن الحديث في أصله صحيح ، وأن أصح رواياتـــه =

الآيـــة : ٢٢٢

. . . . . .

= ما جاء عن ابن عباس مرفوعا في الذ ى يأتي امرأته وهي حائض قال : " يتصـــد ق بد ينـار أو نصف د ينار " .

وقد أخرجها أبو د اود وقال : هكذ ا الرواية الصحيحة قال : " بد ينار أو نصف د ينار " . ثم ذكر الشيخ أحمد شاكر عد دًا ممن صححوا هذ ا الحد يث ، منهم الإمام أحمـــد ، وابن القطان ، والحاكـم ، وابـن د قيق العيـــد ، والذ هبي ، وابن حجر .

انظر : سنن الترمذ ى مع تحقيق أحمد شاكـر ١/٢٤٥ ـ ٢٥٤ ، وســـنن أبي د اود : كتاب الطهارة : باب في اتيان الحائض .

والنسائي في كتاب الطهارة : باب ما يجب على من أتى حليلته في حال حيضتها .

وابن ماجه في كتاب الطهارة : باب في كفـارة من أتى حائضـا .

والمسند ١/٢٣٧ ، ٢٨٦ ، ٣١٢ ، والمستـــد رك ١/١٧١ ـ ١٧٢ ، وتلخيـــص الحبـــير ١/١٦٥ ـ ١٦٦ ، وارواء الغليـــل ١/٢١٧ ـ ٢١٨

قلـــــت : والذ ى عليه الجمهور أنـه لا كفارة في ذ لك ، بل يستغفر الله عز وجل لأنـه لم يصح عند هم رفع الحد يث المذكـور .

فقد حكى القرطبي عن ابن عبد البر قولـــه : " حجة من لم يوجب عليه كفـارة إلا الإستغفـار والتوبـة اضطراب هـذ ا الحـد يث عـن ابن عباس ، وأن مثـــله لا تقـوم بـه حجـة ، وأن الذ مـة على البراءة ، ولا يجب أن يثبـــت فيها شيء لمسكين ولا غـيره إلا بد ليـل لا مـد فع فيـه ، ولا مطعـــن عليه ، وذ لك معد وم في هـذ ه المسألة " .

انظر : تفســـير القرطـــبي ٣/٨٧ ـ ٨٨ ، وتفســـير ابن كثـير ١/٢٦٧ ، وشـــرح الســـنة للبغـــوى ٢/١٢٦ ـ ١٢٧ ، والمغـــني لابـن قد امـــة ١/٣٣٥

الآيـــــة : ٢٢٢

ولا بأس باستخدام الحائض ، وبمباشرة بدنها اذا كانت متزرة ، والاستمتاع بما فوق الازار .

قال مسروق : قلت لعائشة رضي الله عنها ما يحل للرجل من امرأته اذا كانت حائضـــا ؟

قالت : كل شـــيء الا الجمـــاع .(١)

وروى أن عائشة رضي الله عنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم مضطجعـــــة فـي

ثـوب واحد ، وأنها وثبت وثبة شديدة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم/ : " مالك (٨٥/ب)

لعلك نفست " . يعني حضت . قالت : نعم . قال : " شدي عليك ازارك و عـــــــودي

الى مضجعـــــك " .(٢)

و عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : بينما أنا مضطجعة مع رسول الله صلى الله عليـه

وسلم في الخميلة اذ حضت ، فانسللت(٣) منها وأخذت ثياب حيضي . فقال رسول اللـــه

صلى الله عليه و سلم : " أنفست " . قلت : نعم . فدعاني ، فاضطجعت معه في الخميلة.(٤)

و عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه و سلم

من اناء واحد و نحن جنبان ، وكنت أغسل رأس رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو معتكف

---

(١) أخرجه الطبرى في تفسيره ٣٨٣/٢

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ٥٨/١

قال ابن عبد البر : لم يختلف رواة الموطأ في ارسال هذا الحديث ، ولا أعلم أنه روى بهذا اللفظ من حديث عائشة البتة ، ويتصل معناه من حديث أم سلمة . اهـ .

قلـــت : حديث أم سلمة أخرجه الشيخان ، وقد أورده المؤلف بعد هـــــــذا الحديـــــث .

(٣) في أ " فاستللت " . والتصويب من المصادر .

(٤) أخرجه البخارى في كتاب الحيض : باب من سمى النفاس حيضا .

ومسلم في كتاب الحيض : باب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحـــد .

الخميلة : هي القطيفة ، وهي كل ثوب له خمل من أى شيء كان .

انظر : النهايـــــة : مادة (خمـــل) .

الآيـــة : ٢٢٢

في المسجد وأنا حائض ، وكان يأمرني اذا كنت حائضا أن أتزر ، ثم يباشرني .(١)

وَ سُئِلَت عائشة رضي الله عنها : هل تأكل المرأة مع زوجها وهي طامث ؟ قالت : نعم ، كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يد عوني ، فآكل معه وأنا عارك ، وكان يأخذ العرق فيضعه على فيه ، وأعترق به ثم أضعه ، فيأخذه ويشرب منه ويضع فمه حيث وضعت [فمي](٢) من العرق ، ويدعو بالشراب فيشرب ، ثم اخذ القدح فأشرب منه ثم أضعه ، فيأخذه فيشرب منه ويضع فمه حيث وضعت فمي من القدح .(٣)

فدلت هذه الآية(٤) على أن المراد الاعتزال من الحيض جماعهن ، وذلك أن اليهود والمجوس كانوا يجتنبون الحيض في كل شيء ، وكانت النصارى يجامعونهن ولا يبالون بالحيض .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحيض : باب : مباشرة الحائض .
ومسلم في كتاب الحيض : باب مباشرة الحائض فوق الازار .
مع اختلاف يسير في اللفظ ، وتقديم وتأخير .

(٢) ما بين المعقوفتين من ط .

(٣) أخرجه النسائي في كتاب الطهارة : باب مؤاكلة الحائض والشرب من سؤرها .
وأخرج نحوه مسلم في كتاب الحيض : باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها . ولفظه : عن عائشة قالت : " كنت أشرب وأنا حائض ، ثم أناوله النبي صلى الله عليه و سلم ، فيضع فاه على موضع فيّ فيشرب ، وأتعرق العرق وأنا حائض ، ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم ، فيضع فاه على موضع فيّ " .
ومعنى : " طامث " و " عارك " : حائض .
والعَرْق : العظم عليه بقية اللحم . وتعرقه إذا أكل ذلك اللحم الباقي عليه .
انظر : النهاية : مادة (طمث) و (عرك) . وجامع الأصول ٣٥٥/٧

(٤) في ط " الأخبار " .

الآيـــة : ٢٢٢

فأمر اللـــه تعالى بالاقتصاد بين هذين الأمرين ، وخير الأمور أوسطها .

قال أنس رضي الله عنه : لما أنزل الله تعالى (وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى) الآيـة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " افعلوا كل شيء الا الجمـــاع " ، فبلغ ذلك اليهود ، فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا الا خالفنـــا فيـــه .(١)

قوله تعالى (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ) :

قرأ الأعمش وعاصم وحمزة والكسائي " يطّهّرن " (٢) بالتشديد ، أي يغتسلن .

يدل عليه قراءة عبد الله " حتى يتطهرن " بالتاء على الأصل .

وقرأ الباقون " يطْهرن " مخففا (٣) ، أي حتى يطهرن من حيضهن وينقطع الدم .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحيض : باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرهـا . حديث رقم ٣٠٢

ولفظه : عن أنس : أن اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت ، فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى (ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض) . الى آخر الآيـة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اصنعوا كل شيء الا النكاح " .

فبلغ ذلك اليهود ، فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا الا خالفنا فيه . فجاء أسيد بن حضير ، وعباد بن بشر ، فقالا : يا رسول الله ان اليهود تقول : كذا ، وكذا . فلا نجامعهن ؟

فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى ظننا أن قد وجد عليهما . فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن الى النبي صلى الله عليه وسلم . فأرسل في آثارهما ، فسقاهما . فعرفا أن لم يجد عليهما .

ومعنى : ولم يجامعوهن في البيوت : أي لم يخالطوهن ولم يساكنوهن في بيت واحد .

(٢) في أ " تطهرن " . والتصويب من ط ، م .

وممن قرأ بالتشديد أيضا خلف العاشر .

(٣) انظر تلك القراءات في : النشر ٢٢٧/٢ ، والبدور الزاهرة ص ٤٩ ، والاتحاف ٤٣٨/١ والبحر المحيط ١٦٨/٢

الآيـــة : ٢٢٢

واختلف الفقهاء في الحائـض متى يحل وطـؤهـا ؟ :

فقال أبو حنيفـة و صاحباه : اذا طهرت لعشرة أيام جاز وطؤهـا د ون الغسل ·

وان طهرت لأقل من عشرة أيام لم يجز وطؤها حتى تغتسل ، أو يمضي عليها وقت صلاة كامل ·(١)

وقال مجاهد ، وطاووس ، و عطاء : اذا انقطـع د مهـا و غسلت فرجهـا وتوضـأت جاز وطـؤهـا ·(٢)

وقال الشافعي : لا يحل وطؤها الا لشرطيـن(٣) : انقطاع الد م ، والاغتسال ·(٤)

فمـن قرأ " يطّهرن " بالتشد يـد كان حجة للشافعي ومن تابعـه ·

ومن خففه كان حجة للمبيحين وطأها قبل الغسل ·(٥)

---

(١) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣٥/٢ ، والكشاف ٢٦٦/١

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٣٨٦/٢ ، وتفسير البغوى ١٩٨/١ ، وأحكام القـرآن لابن العربي ٢٢٨/١

(٣) في ط ، م " الا بشرطين " ·

(٤) وبهذا قال عامة أهل العلم ·

انظر : شرح السنة ١٣٥/٢ ، وبد اية المجتهد ٧٧/١ ، والمغـني لابن قد امـة ٣٣٨/١ ، وتفسير ابن كثير ٢٦٧/١

(٥) قلـت : والقول الأول هو الأوفق ، لأن الله تعالى قرن بين الطهر والتطهـر ، ورتب اباحة الجماع عليهما معا ، فقال تعالى (ولا تقربوهـن حتى يطهـرن فاذا تطهرن فأتوهـن من حيث أمركم الله) · والتطهر : الاغتسال ·

وانظر : تفسير الطبرى ٣٨٧/٢ ، والكشاف ٢٦٥/١ ـ ٢٦٦ ، وأحكام القـرآن لابن العربي ٢٢٩/١ ـ ٢٣١ ، وتفسير الفخـر الرازى ٧٣/٣ ، ومفـردات الراغـب : مادة (طهـر) ·

قال الراغـب : قوله (ولا تقربوهـن حتى يطهرن فاذا تطهرن) : فد ل باللفظتين على أنه لا يجوز وطؤهـن الا بعد الطهارة والتطهير ·

الآيـــة : ٢٢٢

/ قولـه تعـالى (فَأْتُوهُنَّ مِـن حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّـهُ) (٨٦/أ)

أى فاذا اغتسلن فجامعوهن من حيث أمركم الله بتجنبـه في الحيض ، وهو الفرج . قالـــه ابن عباس ، وقتادة ، والربيـــع .(١)

وقيل معناه : فأتوهن من قبل النكاح والجهات التي يحل فيها أن تقرب (٢) المرأة فـــي الشريعـــــة .(٣)

وقال مجاهـد : كانوا على استخارة (٤) اتيانهن في الأدبار في أيام الحيض ، فأنزل (٥) الله هذه الآيـة وحرم بها ما كانوا يفعلونـه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اتيان النساء في أعجازهـن حـرام " .(٦)

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٣٨٧/٢ ـ ٣٨٩ ، وتفسير ابن كثـير ٢٦٧/١
كما رواه الطبرى أيضا عن مجاهـد وعكرمـة .

(٢) في أ " يقرب " . والتصويب من ط .

(٣) أى في حال الطهر دون الحيض . وهذا القول مروى عن ابن عباس ، وأبي رزيـن ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدى ، والضحاك .
انظر : تفسير الطبرى ٣٨٨/٢ ـ ٣٨٩ ، وتفسير ابن كثير ٢٦٧/١

(٤) هكذا في النسخ . ولعل الصواب " استباحة " .

(٥) لم أجـــده .

(٦) أخرجه النسائي في كتاب عشرة النساء ص ١٢٥ من حديث خزيمة بن ثابت .
وصححـه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحـة ٥٥٦/٢
قلـــت : ومـن هذا الباب ما رواه أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ملعـون مـن أتـــى امرأتـه في دبرهـــا " . المسنـــد ٤٤٤/٢
وأبـو داود في كتاب النكاح : باب في جامع النكاح .
وابن ماجـه في كتـاب النكـاح : بـاب النهـي عـن اتيـان النســـــاء فـي أدبارهـــن .

الآيـــــــة : ٢٢٢

وقال ابن كيسان معناه : فلا تأتونهن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات ، وأتوهن وغشياهن لكم حلال .(١)

قوله عز وجل (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) :

قال عطاء ، ومقاتل ، والكلبي : معناه ان الله يرضى عمل التوابين من الذنوب ومن اتيان النساء في وقت الحيض .

ويحب المتطهرين بالماء عن الأحداث والحيض والنجاسات والخباثات .(٢)

وقال مجاهد : معناه : ان الله يحب التوابين من الذنوب ، والمتطهرين عن أدبار النساء أن يأتوها ، وقال : من أتى امرأة في دبرها فليس من المتطهرين .(٣)

وقال بعضهم : معناه : التوابين من الذنوب ، والمتطهرين من الشرك .(٤)

وقال سعيد بن جبير : التوابين من الشرك ، والمتطهرين من الذنوب .(٥)

وعن عبد الرحيم معناه : ان الله يحب التوابين من الكبائر ، والمتطهرين من الصغائر .(٦)

وقيل : التوابين من الأفعال ، والمتطهرين من الأقوال .

وقيل : التوابين من الأقوال والأفعال ، والمتطهرين من العقود والاضمار .

وقيل : التوابين من الآثام ، والمتطهرين من الاجرام .

وقيل : التوابين من الذنوب ، والمتطهرين من العيوب .(٧)

---

(١) انظر : زاد المسير ٢٤٩/١

(٢) في م " والجنابات " ، وغير منقوطة في ط .
وانظر : تفسير البغوى ١٩٨/١

(٣) أخرجه بمعناه عبد الرزاق وابن أبي حاتم ـ فيما حكاه السيوطي في الدر المنثور ٦٢٥/١ ـ .

(٤) حكاه البغوى عن مقاتل بن حيان . تفسير البغوى ١٩٨/١

(٥) انظر : المصدر السابق ، والبحر المحيط ١٦٩/٢

(٦) هو في تفسير الثعلبي عن علي بن عبد الرحيم القتاد . ولم أقف على ترجمته .
انظر : تفسير الثعلبي ١٢٠/٢ ، وانظر البحر المحيط ١٦٩/٢ .

(٧) انظر تلك الأقوال في تفسير الثعلبي ١٢٠/٢

الآيـــــة : ٢٢٢ ، ٢٢٣

والتـــواب : هو الذى كلما أذنب تـاب .

والمحيض : مصـــدر ، يقال : حاضت المرأة حيضا ومحيضا ومحاضا ، كل ذلك مصدر .(١)

(٢٢٣) قـولـه عـز وجـل (نِسَـاؤُكُمْ حَـرْثٌ لَـكُـمْ فَأْتُـوا حَـرْثَـكُـمْ أَنَّـىٰ شِـئْتُمْ) :

قال ابن عباس : كانت اليهود يقولون : انا لنجد في التوراة : أن كل اتيان يؤتى (٢) النساء غير مستلقيات فانه دنس عند الله ، ومنه يكون الحول والخبل في الولـــد ، فأكـذ بهم الله تعـالى بهـذه الآيـــــة .(٣)

وعن جابر بن عبد الله قال : كانت اليهود يقولون : من جامع امرأتـه مجبية من قفاها في قبلـها كان ولد ها أحول . فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : " كذبت اليهود " . فأنزل(٤) الله تعالى (نِسَـاؤُكُـمْ حَـرْثٌ لَكُـمْ فَأْتُـوا حَرْثَكُمْ أَنَّـىٰ شِئْتُمْ) .

وقال الحسن ، وقتادة ، ومقاتل ، والكلبي : تذاكر المهاجرون والأنصار واليهود اتيـــان النساء . فقال المهاجرون : انا نأتيهن باركات وقائمات ومستلقيات ومن بين أيد يهن ومـــن خلفهن ، بعد أن يكون / المأتى واحـدا وهـو الفـرج . (٨٦/ب)

---

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٩٦/١ ، وتفسير القرطبي ٨١/٣

(٢) في ط " تؤتى " بالتاء .

(٣) ذكره الواحدى في أسباب النزول ص ٧١ ــ ٧٢ عن ابن عباس من رواية الكلبي .

(٤) أخرجه البخارى في كتاب التفسير : سورة البقرة : باب (نساؤكم حرث لكم فأتـــوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم) .

ومسلم في كتاب النكاح : باب جواز جماعه امرأتـه في قبلها من قدامها ومن ورائهـــا من غير تعرض للدبـــر .

ولفظه : عن جابر رضي الله عنه قال : كانت اليهود تقول : اذا أتى الرجل امرأتـــه من دبرها في قبلها كان الولد أحول . فنزلت (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنـــى شئتم) . هذا لفظ مسلم .

ولفظ البخارى : كانت اليهود تقول : اذا جامعها من ورائها جاء الولد أحـــول . فنزلـت (نســاؤكـم حـرث لكـم فأتـوا حـرثكـم أنـى شـئتم) .

الآيـــة : ٢٢٣

فقال اليهود : ما أنتم الا كالبهائم ، لكنا نأتيهن [١] على هيئة واحدة ، وانا لنجد فـــي التـــوراة : أن كل اتيان يؤتى النساء غير مستلقيات فانه دنس عند الله ، ومنه يكـــون الحول والخبـــل .

فذكر ذلك المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : يا رسول الله انا كنا فـــي جاهليتنا وبعد ما أسلمنا نأتي النساء كيف شئنا ، وان اليهود عابت ذلك علينا وزعمـــت أنا كذا وكـذا .

فأكذب الله اليهود ، ورخص للمسلمين في ذلك ، فقال ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [٢] .

وعن ابن عباس قال : كان هذا الحي من الأنصار مع أهل هذا الحي من اليهود وهم أهـــل الكتاب ، فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم ، وكانوا يقتدون بكثير من فعلهم ، وكان من شأن اليهود أن لا يأتوا النساء الا على حرف واحد وذلك أشد ما يكون على المـــرأة ، وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا ذلك [٣] من فعلهم ، وكان هذا الحي من قريـــش يشرحون النساء شرحا منكرا ، ويتلذذون بهن [٤] مقبلات ومدبرات ومستلقيات .

فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار ، فذهب يصنع بها كذلـك فأنكرت عليه ، وقالت : انما كنا نؤتى على حرف ، فان شئت فاصنع ذلك والا فاجتنبـني ، حتى سرى أمرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجـــل : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ مقبلات ومدبرات ومستلقيات . [٥]

والمعنى : نساؤكم محرث لكم ، أي مزدرع لكم للولـــد .

---

(١) في أ " نأتيهم " . والتصويب من ط .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ١٢١/٢ ، وأسباب النزول للواحـــدي ص ٧١ ــ ٧٢ والدر المنثور ٦٢٨/١

(٣) في ط " بذلك " .

(٤) في النسخ " بهم " . والمثبت هو الصواب .

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح : باب في جامع النكاح .
والحاكم في المستدرك ١٩٥/٢ وقال : هذا حديث صحيح الاسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقـــه الذهـــبي .

الآيـــة : ٢٢٣

وقال الزجاج : معناه : نساؤكم ذ وات حرث لكم ، فبين كيف تحرثون للولد واللذ ة ، أى فأتوا حرثكم كيف شئتم وحيث شئتم ومتى شئتم ، بعد أن يكون في موضع واحد وهـــــــو الفـــــرج .(١)

قال أبو عبيد : سميت المرأة حرثا على وجه الكناية(٢) ، فإنها للولد كالأرض للزرع .

وفي الآية د ليل على تحريم(٣) الوطء في الد بر ، لأنه موضع الفرث لا موضع الحرث .

وانما قال الله تعالى (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ) و هذ ا من لطف كنايات القرآن .

وقال أهل المعاني : معنى الآية : نساؤكم كحرث لكم(٤) ، كقوله (حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا)(٥) أى كنـــار . والعرب تسمي النساء حرثا ، قال الشاعر :

اذ ا أكـل الجراد حروث قـوم .. فحرثـي همـه أكـل الجـــراد(٦)

يريد : امرأتي . وأنشد أحمد بن يحيى ثعلب(٧) :

حبذ ا من هبة الله البنات الصالحات .. وهن النسل والزرع وهن الشجرات

يجعل الله لنا فيما يشاء البركـــات .. انما الأرحام أرضـون لنـا محترثـات

فعلينـا الـزرع فيها وعلى الله النبـــات (٨)

= كما أخرجه أيضا الطبرى في تفسيره ٣٩٥/٢ ـ ٣٩٦

وزاد السيوطي في نسبته لابن راهويه والد ارمي وابن المنذ ر والطبراني والبيهقي .

انظـر : الـد ر المنثـــــور ٦٢٩/١

(١) انظر : معاني القرآن ٢٩٨/١

(٢) انظر : مجاز القرآن ٧٣/١

(٣) في أ " على أن تحريم " بزياد ة " أن " . والتصويب من ط ، م .

(٤) انظر بمعناه : غريب القرآن لابن قتيبة ص ٨٤ ، ومفرد ات الراغب : ماد ة (حرث) .

(٥) الكهـــف ٩٦

(٦) ذكره في اللسان عن المبرد . اللسان : ماد ة (حرث) .

(٧) هو أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولاهم البغد اد ى ، الامام ، أبو العبـــاس ، ثعلب . امام الكوفيين في النحو واللغـة ، مات سنة ٢٩١ هـ .

بغيـــة الو عـــــاة ٣٩٦/١

(٨) انظر : تفسير الثعلبي ١٢٢/٢ ، وتفسير القرطبي ٩٣/٣

الآيـــة : ٢٢٣

وقـولـه تعـالى (أَنَّىٰ شِئْتُمْ) أي كيف شئتم .

وقال سعيد بن المسيب : / هذا في العزل ، أي ان شئتم فاعزلوا ، وان شـــئتم (٨٧/أ) فلا تعزلـــوا .(١)

و دليل هـذا ما روى عن عبد الله أنه قال : تُستأمر الحرة في العزل ، ولا تُستأمر الأمة .(٢)

وقد وهم بعض الناس في تأويل هذه الآيـة وتعلق بظاهرها ، وجوز اتيان المرأة فـــي د برهـــا .(٣)

وهذا لا يصح ، لأن قوله تعالى (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ) يقتضـي اباحـة اتيان المرأة في موضع الحرث وهو القبل ، فان الولد انما يكون من اتيـــان المرأة في قبلهـــا .

والقول بجواز اتيان المرأة في د برها باطـــل .

والصحيح أنـه حـــرام ، لمـا روى أبو هريـــرة رضي الله عنـــه قـال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ملعون من أتى المرأة في د برها " .(٤)

---

(١) أخرجه الطبرى في تفسيره ٣٩٥/٢

وانظر : تفسير البغوى ١٩٩/١ ، وزاد المسير ٢٥١/١

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٤٣/٧

والبيهقي في السنن الكبرى ٢٣١/٧ عن عبد الله بن عبـاس .

(٣) ذكر ابن كثير : رواية ذلك عن ابن عمر ، ثم قال : ولا يصح ... وقد روينا عن ابـن عمر خلاف ذلك صريحا ، وأنه لا يباح ولا يحل ... وان كان قد نسب هذا القول الـى طائفـة من فقهاء المدينة و غيرهم ، و عزاه بعضهم الى الامام مالك . و أكثر النـاس ينكر أن يصح ذلك عن الامام مالك رحمه الله . وقد وردت الأحاديث المروية مـن طرق متعددة بالزجر عن فعله و تعاطيه ١٠ هـ . تفسير ابن كثير ٢٦٩/١

وانظر : تفسير القرطبي ٩٣/٣ ــ ٩٤

قال القرطبي : وما نسب الى مالك وأصحابه من هذا باطل ، وهم مبرءون من ذلك .

(٤) تقدم تخريجـــه .

الآيـــة : ٢٢٣

و عــن عبد الله بن الحسين [١] عن أبيه أنه لقي سالم بن عبد الله [٢] فقال لـــــه : ما حد يث يحد ث به نافع عن ابن عمر ؟ قال : وما هو ؟ قال : زعم أن عبد الله بن عمـــر لم ير بأسا باتيان النساء في أد بارهن . قال : كذ ب العبد وأخطأ ، انما قال عبد اللـه : يؤتون في فروجهن من أد بارهن . [٣]

والد ليل على تحريم الوط ء في الد بر قوله صلى الله عليه و سلم : " ان اللـــــه لا يستحيي من الحق ، لا تأتوا النساء في أد بارهن " . [٤]

و عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " لا ينظر الله تعالى الى رجل أتى رجلا أو امرأة في د برهـــا " . [٥]

---

(١) انظر : تفسير البغوى ١٩٩/١ وفيه : " عبد الله بن الحسن " .
وفي تفسير الثعلبي ١٢٣/٢ : " عن موسى بن عبد الله بن الحسن عن أبيه " .
قال الذ هبي : موسى بن عبد الله بن حسن العلوى . عن أبيه .
قال الخطيب : روى عن أبيه شيئا كثيرا .
قال جماعة ، عن ابن معين : ثقـة . وقال البخارى : فيه نظر . وله حد يث في تحريم الد بـــر . انظر : ميزان الاعتد ال ٢١١/٤

(٢) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، المد ني ، أحد الفقهاء السبعـــة . مات سنة ١٠٦ هـ . التقريـــب ص ٢٢٦

(٣) انظر الموضعين السابقين من تفسيرى البغوى والثعلبي .

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب النكاح : باب النهي عن اتيان النساء في أد بارهن .
وأحمد في المسند ٢١٣/٥ من حد يث خزيمة بن ثابت .
وأخرجه الترمذ ى في كتاب الرضاع : باب ما جاء في كراهة اتيان النساء في أد بارهن من حد يث علي بن طلق .
قال الترمذ ى : حد يث علي بن طلق حد يث حسن .
و حد يث علي بن طلق أخرجه أيضا الامام أحمد في المسند ٨٦/١

(٥) أخرجه الترمذ ى في كتاب الرضاع : باب ما جاء في كراهة اتيان النســـاء في أد بارهـــن . وقال : هـذا حد يث حســـن غريب .

الآيـــة : ٢٢٣

و عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ملعون من أتى المرأة فـــي د برهـــــــا " .(١)

وقال صلى الله عليه و سلم : " من أتى حائضا أو امرأة في د برها ، أو أتى كاهنا فصد قـــه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمـــــد صلى الله عليه و سلم " .(٢)

قوله عز وجل (وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ) : أى قد موا من العمل الصالح لآخرتكم .

وقيل : معناه سموا الله تعالى عند الجماع ، كما روى عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " اذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليقل : بسم الله ، اللهم جنبـني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فان قد ر بينهما ولد لم يضره الشيطان " .(٣)

وقيل : معنى (وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ) : النية الصالحة عند ذ لك ، وهو أن ينوى ربما قضى اللـــه لـه(٤) ولـد ا يعبد ه .

---

(١) تقـــد م تخريجـــه .

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة : باب النهي عن اتيان الحائض .
والترمذ ى في كتاب الطهارة : باب ما جاء في كراهة اتيان الحائض . وقال : لا نعـرف هذ ا الحد يث الا من حد يث حكيم الأثـــرم عن أبي تميمـــة الجهيمي عن أبي هريرة .
وانما معنى هذ ا عند أهل العلم على التغليظ .
وأخرجه أبو د اود في كتاب الطب : باب في الكاهن .
وأحمد في المســـــــند ٤٧٦/٢
كلهم من طريق حكيم الأثرم عن أبي تميمـــة عن أبي هريرة .
قال الحافظ في التلخيص ١٨٠/٣ : قال البخارى : لا يعرف لأبي تميمة سماع مـــن أبي هـريرة . وقال البزار : هذ ا حد يث منكر ، وحكيم لا يحتج بـه ، وما انفرد بـه فليس بشيء .

(٣) أخرجه البخارى في كتاب الد عوات : باب ما يقول اذ ا أتى أهله .
ومسلم في كتاب النكاح : باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع .
ولفظه : " لو أن أحدكم اذ ا أراد أن يأتي أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا . فانه ان يقد ر بينهما ولد في ذ لك لم يضره الشيطـــان أبـــد ا " .

(٤) في ط " لي " .

الآيـــــة : ٢٢٣

وقيل معناه : (وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ) : هو التزويج بالعفائف ، ليكون الولد صالحا طاهرا .

وقيل : هو تقديم الافراط . قال صلى الله عليه وسلم : " من مات له ثلاثة من الولـــــد لم يبلغوا الحنث ، لم تمسه النار الا تحلة القسم " .(١)

فقالوا : يا رسول الله واثنان ؟ قال : " واثنان " .

قال : فظننا أنه لو قيل له : وواحدا ، قال(٢) : وواحدا .(٣)

وقال السدى و الكلبي : يعني العمل الصالح .(٤)

دليله سياق الآيـــة (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ) .

قوله تعالى (وَاتَّقُوا اللَّهَ) أي اخشوه ، ولا تقربوهن في / حال الحيض ، ولا على وجـــه (٨٧/ب) لا يحـــل . (وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ) يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم .

---

(١) أخرجه أحمد في المســـند ٢٧٦/٢

وأخرجه نحوه البخاري في كتاب الأيمان والنذور : باب قول الله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) . الأنعام ١٠٩

ومسلم في كتاب البر والصلة : باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه .

من حديث أبي هريـــرة رضي اللـــه عنه .

(٢) في ط " لقال " .

(٣) وردت هذه الزيادة عند الامام أحمد في المسنـــد ٣٠٦/٣

من حديث جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من مات له ثلاثة من الولد ، فاحتسبهم دخل الجنة " . قال : قلنا : يا رسول الله واثنـــان ؟ قال : " واثنان " . قال محمود : فقلت لجابر : أراكم لو قلتم وواحد لقال وواحـــد . قال : وأنا والله أظـــن ذاك .

(٤) انظر الأقوال في معنى قوله تعالى (وقدموا لأنفســكم) في :

تفسير الطبري ٣٩٩/٢ ، وتفسير البغوي ٢٠٠/١ ، وزاد المســـير ٢٥٣/١

وتفسير القرطبي ٩٦/٣

وقد اختار الطبري القول المروي عن السدي في ذلك .

وبهذا المعنى أيضا قال ابن كثـير في تفسيره ٢٧٢/١

الآيـــة : ٢٢٣ ، ٢٢٤

قوله تعالى (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) أي المصدقين بالبعث والثواب بالجنة ٠

(٢٢٤) قوله عز وجل (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ) :

نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه ، حلف لا يدخل على ختنه [١] بشير بن النعمان الأنصاري [٢] ، ولا يكلمه ، ولا يصلح بينه وبين خصمه وجعل يقول : حلفت بالله أن لا أفعل ، ولا يحل لي الا أن أبر في يميني ٠

فنزلت هذه الآية [٣] ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليه الآية وقال : " من حلف على يمين ، فرأى أن غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه ، افعلوا الخير ودعوا الشر " ٠ [٤] فكفر ابن رواحة عن يمينه ، ورجع الى الذي هو خير ٠

---

(١) الختن : الصهر ٠ وختن الرجل : المتزوج بابنته أو بأخته ٠
انظر : اللسان : مادة (ختن) ٠

(٢) هو بشير بن النعمان بن عبيد ، ويقال له مقرن بن أوس بن مالك الأنصاري الأوسي ، قال ابن القداح : قتل يوم الحرة ١٠ هـ ٠
وكانت وقعة الحرة في أيام يزيد بن معاوية ، سنة ٦٣ هـ ٠
انظر : الاصابة ١٦٤/١ ، ومعجم البلدان ٢٤٩/٢

(٣) حكاه الواحدي عن الكلبي ، وحكاه ابن الجوزي عن ابن عباس ٠
انظر : أسباب النزول ص ٧٢ ، وزاد المسير ٢٥٣/١

(٤) لم أجد من جعل قصة عبد الله بن رواحة مع ختنه سببا في ورود هذا الحديث ٠
والحديث أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور ٠ حديث ٦٦٢٢ عن عبد الرحمن بن سمرة ٠
ومسلم في كتاب الأيمان ٠ حديث ١٦٥٠ عن أبي هريرة ٠
ولفظ مسلم هو الموافق لما أورده المؤلف ٠
وليس فيه " افعلوا الخير ودعوا الشر " ٠

الآيـــة : ٢٢٤

ومعنى الآية : لا تجعلوا الله علّةً لأيمانكم ، أي لا تجعلوا اليمين بالله مانعة لكم من البر والتقوى . وهو أن يجعل الرجل اليمين معترضا بينه و بين ما هو مندوب اليه أو ما هو مأمور به من البر والتقوى والاصلاح ، يفعل ذلك للامتناع من الخير ، لأن المعترض بين الشيئين يمنع وصول أحدهما الى الآخر .

ومعنى (أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا) أي لا تبروا ولا تتقوا القطيعة [١] ولا تصلحوا بين المتشاجرين . كما قال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي [٢]

أراد بذلك : لا أبرح .

وكان أبو العباس [٣] ينكر اضمار حرف النفي في هذه الآية ، ويقول : هذا انما يكون في تصريح اليمين ، كقولك : والله أقوم : بمعنى والله لا أقوم ، فأما في مثل هذا الموضع فلا يجوز حذف حرف النفي .

قال : والصواب أن معناه : لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم كراهة أن تبروا . [٤] فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه .

---

(١) في أ " القطعة " . والتصويب من ط ، م .

(٢) انظر البيت في ديوانه ص ١٢٥

(٣) هو أحمد بن عمار الامام ، أبو العباس المهدوي ، نسبة إلى المهدية بالمغرب ، أستاذ مشهور ، من مؤلفاته : التفسير ، والهداية في القراءات السبع ، توفي بعد الثلاثين وأربعمائة .

انظر : طبقات المفسرين للداودي ١/٥٦ ـ ٥٧ ، والأعلام ١/١٨٤

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٣/٩٨ ، والبحر المحيط ٢/١٧٧

وقد ذكر القرطبي وأبو حيان قوله مختصراً .

قال أبو حيان : وذهب الجمهور إلى أن قوله (أن تبروا) مفعول من أجله ، ثم اختلفوا في التقدير ، فقيل : كراهة أن تبروا . قاله المهدوي .

الآيـــة : ٢٢٤

ونظير هذا قوله تعالى (وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ) .(١)

وذهب بعض المفسرين الى أن معنى الآية : (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ) : أى لا تعترضوا باليمين بالله تعالى في كل حق وباطل ، وهو نهي عن كثرة الحلف ، لما في ذلك من الجرأة على الله عز وجل والابتذال لاسمه في كل حق وباطل (٢) ، يقال : هذه عرضة لك ، أى عدة لك تبتذلها (٣) فيما تشاء .(٤)

ومعنى " أن تبروا " على هذا الاثبات ، أى لا تحلفوا في كل شيء لأن تبروا اذا حلفتم وتتقوا المآثم فيها .

ويجوز أن يكون قوله تعالى (أَن تَبَرُّوا) مبتدأ وخبره محذوف ، تقديره : (أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ) أى أولى .

فعلى هذا يكون موضع " أن تبروا " رفعا . وعلى التأويل الأول يكون نصبا ، لأن معناه : لأن تبروا ، موضعه (٥) نصب بنزع الخافض .(٦)

وقال مقاتل : نزلت في أبي بكر الصديق ، حين حلف لا يصل ابنه عبد الرحمن (٧) حتى يسلم .(٨)

---

(١) النور ٢٢

(٢) ذكر هذا بمعناه الزمخشري في الكشاف ٢٦٨/١

(٣) في ط " تبذلها " .

(٤) انظر : اللسان : مادة (عرض) .

(٥) في ط " فموضعه " .

(٦) انظر الأوجه في إعراب تلك اللفظة في التبيان ١٧٩/١ ، والدر المصون ٤٢٥/٢ ـ ٤٢٦

(٧) هو شقيق عائشة ، تأخر إسلامه إلى قبيل الفتح ، وشهد اليمامة والفتوح . ومات سنة ٥٣ هـ .

انظر : التقريب ص ٣٣٧

(٨) حكاه ابن الجوزي وأبو حيان عن مقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان .

انظر : زاد المسير ٢٥٣/١ ، والبحر المحيط ١٧٦/٢

الآيـــــــة : ٢٢٤

وقال / ابن جريج : نزلت في أبي بكر الصد يق رضي الله عنه ، حين حلف لا ينفق عـــلى (٨٨/أ) مسطح [١] حين خاض في حد يث الافك . [٢]

---

(١) هو مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب ، كان اسمه عوفاً ، وأما مسطح فهـــو لقبـــه ، وكان أبو بكر يمونـه لقرابتـه منـه ، فلما خاض مع أهل الافك في أمر عائشـة حلف أبو بكر أن لا ينفعه ، فنزلت : (ولا يأتـل أولـوا الفضـل منـكم والسعـــة أن يؤتـوا أولي القربى ....) الآيـة . فعاد أبو بكر إلى الانفاق عليه ، مات مسطـح سنة أربع وثلاثـين في خلافـة عثمـــان .

انظر : الاصابـــة ٣٨٨/٣

(٢) أخرجه الطبرى عن ابن جريج . تفسير الطبرى ٤٠٢/٢

وانظر : تفسير البغوى ٢٠٠/١ ، وزاد المسير ٢٥٣/١

والصحيح أن الآيـة التي نزلت في شأن أبي بكر الصد يق مع مسطح هي قوله تعالـــى (ولا يأتـل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتـوا أولي القربى والمسـٰكين والمهـٰـجرين في سبيل اللـــه وليعفـوا وليصفحـوا ألا تحبـون أن يغفـر اللـه لكـم واللـــه غفـــور رحـــــيم) . النـور : ٢٢

انظر : صحيح البخـــارى : كتـاب المغـازى : بـاب : حد يث الافـك .

ومسلم في كتـاب التوبـة : بـاب فـي حـد يث الافـك وقبـول توبـة القاذ ف .

وتفســـير ابن كثـــير ٢٨٦/٣

والافـك : هو الكذ ب والافـتراء .

والمراد به هنا هو الإفتراء على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها للطعن فـــــي عرضها من قبل عصبة كان في مقد متهـم عبد الله بن أبيّ بن سـلول رأس المنافقين ؛ كما خاض فيها أيضاً بعض المسلمين . ثم نزل القرآن ببراءتها ، كما في ســـــورة النور من الآيـــة ١١ الى نهايـة الآيـة ٢٦ .

وانظر تفصيـــل القصـــة في المصـــاد ر السابقـــة و غيرهـــا مـــن كتـــب التفســـير والســـير .

الآيـــة : ٢٢٤ ، ٢٢٥

قال المفسرون : هذا في الرجل يحلف بالله أن لا يصل رحمه ولا يكلم قرابته ولا يتصدق ولا يصنع خيرا ولا يصلح بين الاثنين [١] ، فأمره الله تعالى أن يحنث [٢] في يمينه ، ويفعل ذلك الخير ويكفر عن يمينه . [٣]

قوله تعالى (وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) أى سميع لأيمانكم ، عليم بما تقصدون باليمين عند الحلف .

(٢٢٥) قوله تعالى (لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) :

اختلف العلماء في لغو اليمين المذكور في هذه الآية :

فقال قوم : هو ما يسبق به اللسان على سرعة و عجلة ليصل به كلامه من غير عقد ولا قصد ، مثل قول الانسان : لا والله ، وبلى والله ، ونحو ذلك .

فهذا لا كفارة فيه ولا اثم عليه . و على هذا القول عائشة رضي الله عنها ، و الشعبي ، و عكرمة ، و مجاهد . [٤]

وقال آخرون : لغو اليمين : هو أن يحلف الانسان على شيء يرى أنه صادق فيه ثم تبين له [٥] خلاف ذلك ، فهو خطأ منه غير عمد ، فلا اثم عليه ولا كفارة .

---

(١) في ط ، م " بين اثنين " .

(٢) في أ " أن لا يحنث " . والتصويب من ط ، م .

(٣) روى هذا عن جمع من مفسري السلف .
انظر : تفسير الطبرى ٢/٤٠٠ ـ ٤٠٢ ، وتفسير ابن كثير ١/٢٧٣

(٤) أما عن عائشة فأخرجه البخارى في كتاب التفسير . سورة المائدة : باب (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) . الآية ٨٩
وفي كتاب الأيمان والنذور : باب (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) . البقرة ٢٢٥
وأخرجه عن المذكورين ابن جرير الطبرى . وزاد في إخراجه عن ابن عباس و عطاء وأبي قلابة و أبي صالح . انظر : تفسير الطبرى ٢/٤٠٤

(٥) في ط ، م " يتبين " .

الآيـــة : ٢٢٥

وعلى هـذا القول ابن عباس ، والزهري ، والحسن ، وابراهيم النخعي ، وقتـــادة ، والربيـع ، وزرارة بن أوفى [١] ، ومكحـــول ، والسدي . [٢]

وقال علي رضي الله عنه ، وطاووس : اللغو : اليمين في حالة الغضب والضجر من غـــير عقـد . [٣] ومثله مروى عن ابن عباس . [٤]

يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : " لا يمين في غضب " . [٥]

وقال بعضهم : هو اليمين في المعصية ، لا يؤاخذه الله بالحنث في [٦] يمينه ، ويكفّـــر . وبـه قال سعيد بن جبير [٧] . وقال غيره : ليس عليه [٨] في ذلك كفارة .

---

(١) هو الامام الكبير ، قاضي البصرة ، أبو حاجب العامري البصري ، أحـد الأعـــلام ، سمع عمران بن حصين وأبا هريرة وابن عباس .

وثقـه النسائي وغيره . صـحّ أنه قرأ في صلاة الفجر ، فلما قرأ : (فاذا نقر فـــي الناقـــور) ـ المدثـر ٨ ـ خرّ ميتا ، وكان ذلك في سنة ٩٣ هـ .

انظر : سير أعـــلام النبـــلاء ٥١٥/٤ ـ ٥١٦

(٢) انظر تفسير الطبري ٤٠٦/٢ ـ ٤٠٩ ، وتفسير ابن كثير ٢٧٤/١

(٣) في ط " من غير عقد ولا عزم " ، وفي م " من غير عقد ولا عرض " .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٤٠٩/٢ ، وتفسير البغوي ٢٠١/١

(٥) أخرجه الطبري من طريق طاوس عن ابن عباس مرفوعا .

انظر : تفسير الطـــبري ٤٣٩/٤ تحقيق أحمد شاكر . وقد صحح الشيخ أحمـــد شاكر اسناده .

وذكره القرطبي في تفســـيره ١٠٠/٣ وعزا تخريجـه لمسـلم .

ولم أجـد ه في مظانـه من صحيحـه .

(٦) في ط " بالحنث فيها بل يحنث في يمينـه " .

(٧) أخـرجـه الطـبري في تفسيره ٤١٠/٢

(٨) في أ " فيـه " . والتصويب من ط ، م .

الآيـــــة : ٢٢٥

وقال مسروق ــ في الرجل يحلف على المعصية ــ : [ليس عليه فيها كفارة ، أتكفـــــر خطوات الشيطان . ومثله روى عكرمة عن ابن عباس .

وقال الشعبي[(١)] ــ في الرجل يحلف على المعصية ــ : كفارته أن يتوب منها ، فكـــل يمين لا يحل له أن يفي بها فليس فيها كفارة ، ولو أمرته[(٢)] بالكفارة لأمرته أن يتم على قولـــه .[(٣)] يد ل عليه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : " من نـــذ ر فيما لا يملك فلا نذ ر له ، ومن حلف على معصية فلا يمين له " .[(٤)]

و عن ابراهيم النخعي قال : لغو اليمين : أن يصل الرجل كلامه بالحلف ، كقوله : والله ليأكلن ، والله ليشربن ، ونحوها ، لا يقصد بذلك اليمين ولا يريد به حلفـــا ، فليس عليه فيه كفارة .[(٥)]

---

(١) ما بين المعقوفتـــين زيادة من ط .

(٢) في النسخ " أمره " . والتصويب من المصادر .

(٣) انظر تلك الأقـــــول في :

تفسير الطـــــبرى ٤١١/٢ ، وتفســـــير البغـوى ٢٠١/١

(٤) أخرجـه الحاكم في المســـتدرك ٣٠٠/٤ من حديث عبد الله بن عمرو رضي اللـــه عنهما . ولفظـه : " من طلق ما لايملك فلا طلاق له ، ومن أعتق ما لا يملك فلا عتاق لـه ، ومن نذ ر فيما لا يملك فلا نـذ ر لـه ، ومن حلف على معصيـة فلا يمين لـــه ، ومن حلف على قطيعة رحم فلا يمين له " .

قال الحاكم : هـذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

وتعقبه الذهبي فقال : فيه عبد الرحمن بن الحارث . قال أحمـــد : متروك .

وقال أبو حـاتم : شيـــخ .

كمـا أخرجـه أيضـا البيهقي في السنن الكبرى ٣٣/١٠

والطـــــبرى في تفســـيره ٤١١/٢ .

(٥) أخرجـه الطـــــبرى في تفســـيره ٤١١/٢

الآيـــة : ٢٢٥

يدل عليه ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بقوم ينتضلون [١] ومعه [٢] رجـل من أصحابه ، فرمى رجل من القوم ، فقال : والله أصبت والله أخطأت . فقال الرجل الـذى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : حنث الرجل يا رسول الله . فقال صلى الله عليـــه وسلم : " كل أيمـان الرماة لـغو لا كفارة فيها ولا عقوبـــة " . [٣]

وقالت عائشة : أيمان اللـغو ما كان في الهـزل والمراء والخصومـة والحديث الـــذى لا يعقد عليه القلب . [٤]

وقال زيد بن أسلم : هو دعاء الحالف على نفسه /كقوله : أعمى الله بصرى ان لم أفعل كذا ، (٨٨/ب) أخرجنى الله من مالي ان لم آتك غدا . [٥]

قولـه تعـالى (وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) أى بما تعمدتم الكـذب ، [٦] وهو أن يحلف على شيء يعلم أنه ليس كذلك . [٧]

والمعنى : ولكن يؤاخذكم بما عزمتم وقصدتم وتعمدتم ، لأن كسب القلب العقد والنية .

---

(١) أى يرتمون بالسهام ، يقال : انتضل القوم وتناضلوا : أى رموا للسبق .
النهايـــــة : مادة (نضل) .

(٢) في أ ، م " ومعهم " . والتصويب من ط . وكذلك هو في المصادر .

(٣) أخرجـــه الطبرى في تفسيره ٤١٢/٢ من حديث الحسن بن أبي الحســـــــن .
وفيه : " كـلا " بدل " كل " .
وذكره ابن كثير في تفسيره ٢٧٤/١ نقلا عن ابن جرير . ثم قال : هذا مرسل حســن عن الحســـــــن .

(٤) أخرجه الطبرى في تفسيره ٤١١/٢ ـ ٤١٢

(٥) أخرجـه الطبرى في تفســـيره ٤١٢/٢

(٦) في ط " من الكذب " .

(٧) في ط " أن يحلف الانسان على شيء " .

الآيـــة : ٢٢٥ ، ٢٢٦

وقولـه تعـالى (وَاللَّـهُ غَفُـورٌ حَلِيمٌ) أي غفور لمن تاب من اليمين إلـغموس [١] ، حليم عـن الحالف اذ لم يعجل عليه بالعقوبـة .

وقيل معناه : والله غفور لمن حنث وكـفّر عن يمينه ، حليم حين رخص لكم في الحنـــث ولم يعاقبكم على اليمين على ترك البر .

واللـغو في اللـغة : الكلام الساقط الذ ى لا فائد ة فيه ولا حكم له ، يقال : ألـغيت الشـــيء اذ ا طرحتـــه . وقد يذكر اللـغو ويراد به الكلام الفاحش القبيح ، قال الله تعالي : (وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُـوا عَنْـهُ) [٢] ، وقال تعالى (وَإِذَا مَرُّوا بِٱللَّغْـوِ مَرُّواْ كِرَاماً) . [٣]

(٢٢٦) قولـه عـز وجـل (لِّلَّذِيـنَ يُـؤْلُـونَ مِـن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَـةِ أَشْهُـرٍ فَإِنْ فَـآءُو فَإِنَّ ٱللَّـهَ غَفُـورٌ رَّحِـيمٌ) :

قال ابن عباس : أن العرب في الجاهلية كان الرجل منهم يكره امرأتـه ، ويكره أن يتزوجهـا غيره ، فيحلف أن لا يطأها أبد ا ولا يخلي سبيلها إضرارًا [بها] [٤] فتبقى معلقـة لا ذ ات زوج ولا مطلقـة حتى يموت أحد هما .

فأبطل الله ذ لك من فعلهم وجعل الأجل في هـذ ا بعد هذ ا القول أربعة أشهـر ، [٥] اذ ا تمت هذ ه المد ة ولم يفيء اليها بانت بتطليقـــة . [٦]

---

(١) اليمين الغموس : هي اليمين الكاذ بة الفاجرة ، كالتي يقتطع بها الحالف مال غيره . سميت غموسا ، لأنها تغمس صاحبها في الاثم ، ثم في النار . و " فعـــــول " للمبالغـــة . انظر : النهايـــــة ٣٨٦/٣ (غمـــس) .

(٢) القصـــــص ٥٥

(٣) الفرقـــــان ٧٢

(٤) الزيـــادة من ط .

(٥) أخرجه الواحد ى بمعناه في أسباب النزول ص ٧٢ ، وانظر : زاد المسير ٢٥٦/١ وروى نحوه عن سعيد بن المسيب .
انظر : المصد رين السابقين ، وتفسير البغوى ٢٠٢/١

(٦) سيأتي التفصيل في هذ ه المسألة عند الآيـة ٢٢٧

الآيـــة : ٢٢٦

وفي قراءة عبد الله " للذين آلوا من نسائهم " على لفظ الماضي .[١]

والايلاء الحلف ، يقال : آلى يولي ايلاء . والاسم : الألية ، قال الشاعر :

علـيّ أليّـة وصيـام شهـــــر .. أمسّـك طائعـــا الا بكـــفي[٢]

وجمع الأليّة : الألايا ، قال الشاعـــــر :

قليـل الألايـا حافـظ ليمينـــه .. اذا بـدرت[٣] منـه الأليّة برت

والايـــلاء في الشرع : هو الحلف على ترك الجماع الذى يكسب الطلاق بمضي المدة .[٤]

ومعنى الآيـة : للذين يحلفون من نسائهم لا يقربوهن انتظار أربعة أشهر .

والتربص : التوقف . وقال بعضهم : التربص : التصبر .

قولـه تعالى (فَإِن فَآءُو) فان[٥] رجعوا عما حلفوا عليه ، فقرب الرجل امرأته أوكـــان عاجزا عن الوطء ففاء بلسانه **(فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ)** لذنب الاضرار بالامتناع عن الجمـــاع **(رَّحِيمٌ)** بهم اذ رخص لهم القربان بالكفارة .[٦]

---

(١) انظر : الكشاف ٢٦٨/١ ، والبحر المحيط ١٨٠/٢

(٢) لم أجـــده .

(٣) في أ ، م " نذرت " . والتصويب من المصادر ، كما هي رواية البيـــــــــت في زاد المسير ٢٥٦/١
والبيت لكثير عـزة ، وهو أيضا في الدر المصون ٤٣٤/٢ ، وتفسير القرطبي ١٠٢/٣ واللســـان : مادة (ألا) .
وروايته في المصادر " صدرت " بدل " بدرت " . وفي بعضها " سبقت " .

(٤) قوله " يكسب الطلاق بمضي المدة " . هذه مسألة خلافية ، وسيأتي بحثها عنـــد الآيـــة ٢٢٧
فلو اقتصر على قوله : هو الحلف على ترك الجماع . لكان أسلم .
قال ابن قدامة : فأما الإيلاء في الشرع : فهو الحلف على ترك وطء المـــرأة .
انظر : المغـــــــني ٢٩٨/٧

(٥) في ط كلمة " أى " قبل قوله " فان رجعوا " .

(٦) وإيجاب الكفارة على المولي إذا فاء بجماع امرأته هو قول جمهور العلماء ، وهي كفارة يمين . وقال الحسن البصرى وإبراهيم النخعي : لا كفارة عليه .
وانظر بسط هذه المسألة في : المغني ٣٢٤/٧ ــ ٣٢٥ ، وتفسير القرطبي ١٠٩/٣ وتفســـــير ابن كثير ٢٧٥/١

الآيـــــة : ٢٢٦

وفي قراءة ابن مسعود " فان فاءوا فيهن " (١).

واختلف العلماء فيما يكون موليا به على وجوه :

أحدها : ما روى عن علي ، وابن عباس ، والحسن رضي الله عنهم : أن الايلاء هو الامتناع عن الجماع على جهة الغضب والاضرار بتأكيد اليمين . حتى لوكان له ولد رضيع يخشى ان قرب أمه أن تحبل ، فيضر ذلك بالولد ، فحلف / أن لا يقربها لم يكن مولـيا . (٢) (٨٩/أ)

وقال النخعي ، وابن سيرين ، والشعبي (٣) : هو اليمين على أن لا يجامعها ، سواء كان في الغضب أو في الرضا . وبهذا القول قال علماؤنا رحمهم الله تعالى (٤)، حتى قال أبو حنيفة ، وأبو يوسف ، ومحمد : كل يمين في زوجة منعت جماع أربعة أشهر من غير حنث يلزمه أو تعيين ايلاء (٥) وفي أخرى فهو إيلاء . (٦)

---

(١) انظر : البحر المحيط ١٨٢/٢

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٤١٧/٢ ـ ٤١٩ ، والمغني ٣١٥/٧ ، وأحكام القرآن للجصاص ٤٤/٢، وتفسير القرطبي ١٠٦/٣

(٣) وهو القول الثاني في المسألة .

(٤) انظر : تفسير الطبرى ٤١٩/٢ ـ ٤٢٠ ، وأحكام القرآن للجصاص ٤٤/٢
وهو مروى أيضا عن ابن مسعود ، والثورى ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد ، الا أن مالكا قال : ما لم يرد اصلاح ولد .
قال ابن المنذر : وهذا أصح ، لأنهم لما أجمعوا أن الظهار والطلاق وسائر الأيمان سواء في حال الغضب والرضا كان الايلاء كذلك .
انظر : الاشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر ٢٢٧/٤
قال القرطبي : ويدل عليه عموم القرآن ، وتخصيص حالة الغضب يحتاج الى دليل .
تفسير القرطبي ١٠٦/٣
وانظر : أحكام القرآن للجصاص ٤٥/٢ ، والمغني ٣١٤/٧ ـ ٣١٥

(٥) الواو غير موجودة في ط . ولعل حذفها أولى .

(٦) انظر نحو هذا المعنى في أحكام القرآن للجصاص ٤٦/٢

الآيـــــة : ٢٢٦ ، ٢٢٧

والقول الثالث : ما روى عن سعيد بن المسيب : أن الايلاء هو اليمين في الجمـــــــاع وغير ذلك من الضرر ، حتى لو حلف لا يكلمها كان موليـــا .(١)

والقول الرابع : قول عبد الله بن عمر : أنه اذا هجرها فهو ايلاء ، ولم يذكر الحلف .(٢)

والتربص : انتظار الشيء خيراً [كان] (٣) أو شراً يحل بك أو به ، ولذلك سمي المحتكـــر متربصا (٤) لانتظاره غلاء السعر . قال الشاعـــر :

تربـص بهـا ريـب المنـون لعلهـــا .. تطـلق يوما أو يموت حليلهـا (٥)

(٢٢٧) قولـه عـز وجـل (وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) :

أي وان حققوا الطلاق بالاقامة على حكم اليمين ، أي الى تمام أربعة أشهر ، فـان الله سميع لايلائهم ، عليم بهم وبنياتهم .

والعزم في اللغة : هو العقد على فعل في المستقبل ، يقال : عزم على كذا اذا عقـــــد قلبـــه عليـــه .

والعزم الشرعي المذكور في هذه الآيـة على ثلاثـة أوجـه :

قال ابن عباس : عزيمة الطلاق انقضاء الأربعـة أشهـر (٦) قبل أن يفي من غير عذر .

وهو قول ابن مسعود ، وزيـد بن ثابـت ، وعثمـان بن عفان رضي الله عنهم ، قالـــوا :

---

(١) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٤٤/٢ ، والبحر المحيط ١٨١/٢

(٢) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٤٥/٢

(٣) ما بين المعقوفتين من ط .

(٤) انظر : اللسان : مادة (ربـص) .

(٥) انظر البيـت في اللســـان : (ربـــص) .
وتفســـير القرطـــبي ١٠٨/٣
ولم أهتـــد الى قائـله .

(٦) في ط ، م " الأشهر " .

الآيـــة : ٢٢٧

انها تبـين بعد هذه المدة بتطليقـة . وبـه أخـذ أبو حنيفـة وأصحابـه .(١)

و عن علي ، وابن عمر ، و أبي الد رد اء رضي الله عنهم مثل القول الأول .

وروى عنهم أيضا : أنـه يوقف بعد مضي المد ة ، فاما أن يفيء واما أن يطلق .

وهـذ ا قول عائشـة ، وبـه قـال مـالك ، و الشافعـي .(٢)

فان امتنـع عنهـما فللشافعـي قـولا ن : أحـد هما : يحبسه الحاكم ولا يجبره على أحـد الأمريـن . والثاني : يطلق عليـه الحاكم .(٣)

وقال ابن جبير (٤) ، و سالم ، والزهرى ، و عطاء ، و طاووس : اذ ا مضت أربعة أشهـر فهي تطليقـة رجعية .

---

(١) وهو مروى أيضا عن علي بن أبي طالب وابن عمر و عطاء وجابر بن زيد و مسـروق و عكرمـة و الحسن و قتاد ة وابراهيم النخعي والثورى و غيرهم .

انظر : تفسير الطبرى ٢/٤٢٨ ـ ٤٣١ ، والمغني ٧/٣١٩ ، وأحكام القـرآن للجصاص ٢/٤٩ ، وتفسير ابن كثير ١/٢٧٥

(٢) وبه قال أحمد وجمع غفير من السلف رحمهم الله تعالى .

وقد أخرج الطبرى عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه قال : سألت اثني عشر رجلا مـن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الرجل يؤلي من امرأته ، فكلهم يقـول : ليس عليه شيء حتى تمضي الأربعة الأشهر ، فيوقف ، فان فاء والا طلق .

تفسير الطبرى ٢/٤٣٣ ـ ٤٣٧ ، والمغني ٧/٣١٨ ـ ٣١٩ ، وتفسير القرطبي ٣/١١١ ، وتفسير ابن كثير ١/٢٧٥ ـ ٢٧٦ ، وفتح البارى ٩/٣٣٨ ـ ٣٣٩

(٣) انظر : الافصاح ٢/١٦٠ ، ورحمة الأمـة ص ٢٣٥

وقال مالك ، و أحمـد : يطلق عليه الحاكم .

و عن أحمـد في رواية أخرى : يضيق عليه حتى يطلق .

(٤) هكذا في النسخ " ابن جبير " . ولم أجد من نسب له ذ لك القول .

بل ثبت ذ لك عن سعيد بن المسيب . فلعله التبس على المؤلف .

وانظر : تفسير الطبرى ٢/٤٣٢ ، وأحكام القرآن للجصـاص ٢/٤٩ والمغني ٧/٣١٩ ، وتفسير ابن كثير ١/٢٧٥

وهو مروى أيضا عن أبي بكر بن عبد الرحمن ، و مكحول ، والزهرى ، وربيعـة ، و مروان بن الحكم .

الآيـــــة : ٢٢٧

فان قيل : قوله تعالى (فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يقتضي أن عزيمة الطلاق مسموعة ولا يكون ذلك الا بقول من الزوج بعد الايلاء .

قلنـــا : هذا القول لا يصح ، لأن الله تعالى لم يزل سميعا ولا مسموع ،(١) وقد قال اللـــه تعالى (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (٢) .

وليس هناك قـــــول .(٣)

---

(١) قوله " ولا مسموع " : أي أن الله لم يزل سميعا قبل أن يكون هناك قول مسمـــوع ، أي قبل أن يخلق المخلوقات ، فسمعه أزلي باق بقاء ذاته العليا ، وهو من صفات الكمال الثابتة له عز وجل ، فهو الأول ليس قبله شيء ، والآخر وليس بعده شيء ، والظاهر وليس فوقه شيء ، والباطن وليس دونه شيء . تقدس ربنا وتعالـــى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) . الشورى ١١

(٢) البقـــــرة ٢٤٤

(٣) قلـــت : هذا الاعتراض على قول الجمهور غير مستقيم ، لأن الكلام هنا انمـــا هو لبيان دلالة ذلك اللفظ من الآية على ما يتعلق بها من أحكام ومناسبته لذلك .

قال ابن جريـر الطبري : " وأشبه هذه الأقوال بما دل عليه ظاهر كتاب اللـــه تعالى ذكره قول عمر بن الخطاب ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم ومن قـــال بقولهم في الطلاق : أن قوله (فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم * وإن عزمـــوا الطلاق فإن الله سميع عليم) . إنما معناه : فإن فاءوا بعد وقف الإمام إياهـم من بعد انقضاء الأشهر الأربعة ، فرجعوا إلى أداء حق الله عليهم لنسائهم اللاتي آلوا منهن ، فإن الله لهم غفور رحيم . وإن عزموا الطلاق فطلقوهـــــن فإن الله سميع لطلاقهم إذا طلقوا ، عليم بما أتوا إليهـــن .

وإنما قلنا ذلك أشبه بتأويل الآية ، لأن الله تعالى ذكره ذكـر حـــين قال (وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم) . ومعـــلوم أن انقضاء الأشهـــر الأربعـــة غير مسمـــوع ، وإنما هو معلوم ... " .

تفسير الطـــبري ٤٣٨/٢

الآيـــــة : ٢٢٨

(٢٢٨) قولـه عـز وجـل (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) :

قال ابن عباس : كان أهل الجاهلية يطلق الرجل امرأته ، فان كانت حبلى كان أحـــق برجعتها ، والا كانت أحق بنفسها ، فكانت المرأة اذا أحبت الرجل قالت : أنا حبـــلى ، وليست حبلى ، ليراجعها ، واذا اكرهته وهي حبلى قالت / : لست بحبلى ، لكيلا يقـدر (٨٩/ب) على مراجعتها ، فجعل الله عدة المطلقات ثلاثة قروء ، ونهى النساء عن كتمان ما فـي أرحامهن من الحيض والحبـل .(١)

ومعنى الآيـة : والمطلقات ينتظرن (٢) بأنفسهن ماذا يصنع بهن أزواجهن من المراجعـة وترك المراجعـة .

وقد اختلف السلف في القرء المذكـور :

قال أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وأبو موسى الأشعرى (٣) : هـو الحيـض ، وقالـوا : ان الـزوج أحق بها ما لم تغتسل من الحيضـة الثالثـة .

---

(١) حكاه ابن الجوزى عن ابن عباس من رواية أبي صالح . انظر : زاد المسير ٢٥٨/١ وقال السيوطي : أخرج أبو داود ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في سننه عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية قالت : طلقت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن للمطلقة عدة ، فأنزل الله حين طلقت العدة للطلاق (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) . فكانت أول من أنزلت فيها العدة للطلاق .
انظر : الدر المنثـور ٦٥٦/١

(٢) في ط " والمطلقات يتربصن : أى ينتظرن ... " .

(٣) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضّار ـ بتشديد الضاد المعجمة ـ صحابـي مشهور ، أمّره عمـر ثم عثمـان ، وهو أحـد الحكمين بصفـين . مـات سـنة ست وخمسـين . وقيل : بعدهـا .
التقريـب ص ٣١٨

الآيـــــة ٢٢٨

وبــه أخــذ أبو حنيفــة ، وأصحابــه .(١)

وقال ابن عمر ، وزيد بن ثابت ، وعائشة : الأقراء هي الأطهار ، واذا دخلت فـــي الحيضة الثالثة فلا سبيل له عليها . وبه قال مالك ، والشافعي .(٢)

وانما اختلف السلف في هذه المسألة لأن القرء في اللغة عبارة عن الحيض وعن الطهر ، وهو من أسماء الأضداد .(٣)

وقال أبو عبيدة : هو خروج من شيء الى شيء ، يقال : قرأ النجم اذا طلع ، وقرأ النجـــم اذا غاب ، والمرأة تخرج من الحيض الى الطهر ، ومن الطهر الى الحيض .(٤)

قال الشاعر :

يا رُبَّ ذي ضغنٍ وضبٍ قابـضٍ (٥) .·. لـه قُـرءٌ كقُـرءِ(٦) الحائضِ (٧)

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٢/٤٣٨ ـ ٤٤٢ ، وأحكام القرآن للجصـــــاص ٢/٥٥ وتفسير القرطبي ٣/١١٣

وهو الرواية الصحيحة عن الامام أحمـــد .

وحكاه ابن كثير عن عدد كبـــير من السلف .

انظر : المغـــني ٧/٤٥٢ ـ ٤٥٣ ، وتفســـير ابن كثـــــير ١/٢٧٧

وانظر : زاد المســـير ١/٢٥٩ ، وزاد المعـــاد ٥/٦٠١

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٢/٤٤٢ ـ ٤٤٤ ، والمغـــني ٧/٤٥٣ ، وتفســـير البغـوى ١/٢٠٣ ، وتفسير القرطبي ٣/١١٣ ، والرسالة للامام الشافعـــي ص ٥٦٩ وتفسير ابن كثير ١/٢٧٧

(٣) انظر :كتاب الأضداد للأنبارى ص ٢٧

وانظر بسط الخلاف في هذه المسألة في : زاد المعاد ٥/٦٠٠ وما بعدهـــا .

وأضواء البيان ١/١٤٩ وما بعدها .

وقد رجح ابن القيم القول بأن المراد بالأقراء : الحيض .

(٤) انظر : مجاز القـــــرآن ١/٧٤

(٥) في ط " فارض " .

(٦) في ط ، م " كقِرؤِ " .

(٧) انظر البيت في : غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٣ ، ٨٦ ، واللسان : مادة (فرض) . وتفسير القرطبي ٣/١١٤ ، والدر المصون ٢/٤٤٠ ولم ينسبوه .

الآيـــة : ٢٢٨

وأراد بذلك الحيض . يعني أن عدواته [١] تهيج في أوقات معلومة ، كما أن المـــرأة تحيض في أوقات معلومـــة .

وقال آخـــر :

أفي كل عام أنت جاشم [٢] غـزوة .. تشد لأقصاها عزيم عزائكـــا

مورّثة مالاً وفي الحـــي رفعـــة .. لما ضاع فيها من قروء نسائكـا [٣]

وأراد بالقروء في هذا البيت الطهر ، لأنه خرج الى الغزو ولم يغش نساءه فأضاع أقراءهن ، أى أطهارهـــن . [٤]

فلما اختلف السلف واختلفت اللغة في هذا الاسم ، ولم يجز حمله على الأمرين جميعا وجب حمله على حقيقته دون مجـازه .

واسم القرء حقيقة في الحيض ، مجاز في الطهر ، لأن كل طهر لا يسمى قرؤا [٥] ، وانمـا الطهر الذى يكون بين الحيضتين ، فسمي بهذا الاسم لمجاورته الحيض . فلوكان هـــذا الاسم حقيقة في الطهر لكان لا ينتفي عنه بحال ، لأن الأسماء الحقائق لا تنتفـــي عـــن مسمياتها بحـــــال .

= قال في اللسان : عنى بضب فارض : عداوة عظيمة كبيرة ، من الفارض التي هي المسنة ١٠هـ
وقد جاءت رواية البيت في أكثر المصادر هكـــذا :

يا رب ذى ضغن عليّ فـــارض .. لـه قـروء كقـروء الحائـــض

(١) في ط ، م " عداوته " . وما في أ هو الموافق لتفسير ابن قتيبة في غريبه .

(٢) في أ ، م " حاسم " . والتصويب من ط . كما هوكذلك في المصادر .

(٣) البيتان للأعشى . وهما في ديوانه ص ١٢٩ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ص ٨٦ وكتاب الأضداد للأنبارى ص ٣٠

(٤) انظر الموضع السابق من غريب القرآن لابن قتيبـــة .
وقال الأنبارى : معناه : من أطهار نسائك ، أى ضيعت أطهار النساء فلم تغشهـــن مؤثـــرًا للغـــزو ، فأورثك ذاك المال والرفعـــة .

(٥) في ط " قرءا " . ولعله الأقرب لقواعد الاملاء الحديـــث .

الآيـــــة : ٢٢٨

ووجـد نا هذ ا الاسم ينتفي عن طهر الآيسة والصغيرة ، فكان حمله على الحيض أولى مـــن حمله على غيره .[١] فاذ ا اختلفت الأمـة في ذ لك كان المرجع الى لغة النبي صلى اللـــه عليه و سلم ، وقد قال صلى الله عليه و سلم : " المستحاضة تد ع الصلاة أيام أقرائها " .[٢]

وأراد بالأقراء الحيـــض .

واتفقت الصحابة أن[٣] عد ة أم الولد بالحيـــض .[٤]

وكذلك الاســـتبراء بالحيـــض بالاجمـــاع .

وذ هب الزجاج الى أن " القرء " الجمع ، من قولهم : قرأت القرآن : أى لفظت به مجموعا ، ويقال : قريـت[٥] الماء في الحوض ، ويسمى الحوض[٦] / مقراة ، قال : انما يجتمـــــع (٩٠/أ) الـــدم فـــي البـــدن فـــي الطهـــــــــر ، فهـــو القـــــــــرء .[٧]

---

(١) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٢/٥٧ ــ ٥٨ ، وزاد المعاد ٥/٦٠٩ ــ ٦١٠

(٢) أخرجه أبو د اود في كتاب الطهارة : باب في المرأة تستحاض .
والترمذ ى في كتاب الطهارة : باب ما جاء أن المستحاضة تتوضأ لكل صلاة .
وابن ماجه في كتاب الطهارة : باب ما جاء في المستحاضة التي قد عدت أيام أقرائها قبل أن يستمر بها الد م .
من حد يث شريك عن أبي اليقظان عن عد ى بن ثابت عن أبيه عن جد ه .
قلـــت : أبو اليقظان ضعفه الحافظ في التقريب ص ٣٨٦ فقال : عثمان بـــــن عمـــير .... أبو اليقظان ، الكوفي الأعمى ، ضعيف ، واختلط وكان يد لس ويغلو في التشيع ، من السادسة ، مات في حد ود الخمسين ومائة .

(٣) في ط " على أن عد ة " .

(٤) انظر : المغـــــني ٧/٤٥٧ ــ ٤٥٨

(٥) في ط " قرأت " ، وفي م " قرئت " .

(٦) في أ " الحيض " . والتصويب من ط ، م .

(٧) انظر : معاني القرآن ١/٣٠٥

الآيـــــة : ٢٢٨

غـير أن [هـذا] (١) الأمـر لا يظهـر (٢) في الحقيقة ، لأن هذا من علم ما في الأرحـام ، وقد خـص الله تـعالى نفســه بـعلم ما في الأرحـام .

ولا يمتنع أن يجتمع الد م في حالة الحيض قطرة أو قطرتين ، كالـعبرة و نحوها ، اذ لـــو اجتمع جملة لد رّ د رورا لا ينقطع كالبول و سائر المائعات (٣) المجتمعة .

والمطلقة قبل الد خول مخصوصة من هذ ه الآيـة بآية أخرى ، وهو (٤) قوله تـعالـــى (إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا) . (٥) وكذ لك الحامل مخصوصة بآية أخرى . (٦)

وروى أن رجلا من أشجع (٧) قال : يا رسول الله طلقت امرأتي وهي حامل ، وقـــد ذ هبت وأنا أخاف أن تنطلق فتتزوج من بعد ى ، فيكون ولد ى له . فأنزل (٨) الله تـعالـى (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) الى آخر ايـة . فَرُدّت امرأة الأشجعي الى الأشجعي ، فقام معاذ بن جبل فقال : يا رسول الله : أرأيت الكبيرة التي يئســـت من المحيض ، ما عد تهـــا ؟ . فنزل (وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ) . (٩)

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط .

(٢) في أ " لا بظاهر " . والتصويب من ط ، م .

(٣) في أ " المانعات " . والتصويب من ط ، م .

(٤) في ط " وهي " .

(٥) الأحزاب ٤٩

(٦) وهي قوله تعالى (وأولات الأحمال أجلهـن أن يضعن حملهن) الطلاق ٤

(٧) قال القلقشند ي : بنو أشجع : حي من غلفان من العد نانية ، غلب عليهم اســـم أبيهم ، فقيل لهم أشجع ... قال في العبر : كانوا هم عرب المد ينة النبويـــة ، وكان سيد هم معقل بن سنان الصحابي .

انظر : نهايـة الأرب ص ٥٠

(٨) ذكره القرطبي في تفسيره ١١٨/٣ ـ ١١٩

(٩) الطـــــلاق ٤

الآيـــة : ٢٢٨

فقام آخر ، فقال : يا رسول الله أرأيت الصغيرة التي لم تبلغ الحلم ما عدتها ؟

فأنزل (وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ) .

فقام آخر ، فقال : يا رسول الله والحوامل ما عدتهن ؟

فنزل (وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) .(١)

قوله تعالى (وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ) :

تخويفا(٢) من الله تعالى للمعتدات ، كيلا يكتمن ما خلق الله في أرحامهن من الحبل فيخبرن(٣) بانقضاء العدة ثم يتزوجن ، فيلزمن الولد غير أبيه .

ولا يكتمن الحيض فيمتنعن عن الاخبار بانقضاء العدة ، ليستوجبن النفقة على أزواجهن .

وفي هذه الآية دليل على أن قول المرأة يقبل على أمر رحمها ، حتى لو قالت : حضت . حرم على الزوج وطؤها .

واذا قالت :(٤) طهرت . حل له وطؤها [إذ](٥) لو لم يجب قبول قولها لم يكن لنهيها عن الكتمان معنى ولا فائدة .(٦)

---

(١) قال السيوطي : أخرج ابن جرير وإسحاق بن راهويه والحاكم وغيرهم عن أبي بن كعب قال : لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد من عدد النساء قالوا : قد بقي عدد من عدد النساء لم يذكرن ، الصغار والكبار وأولات الأحمال ، فأنزلت (واللائي يئسن من المحيض ...) الآية .

قال السيوطي : صحيح الإسناد .

انظر : لباب النقول في أسباب النزول بهامش تفسير الجلالين ص ٧٨٢

(٢) هكذا في النسخ بالنصب ، ولعل الأولى " تخويف " بالرفع " إلا أن يكون أراد " فنزل قوله تعالى " فيكون بالنصب .

(٣) في أ " فيجبرن " ، وفي ط " فيخبرون " . والتصويب من م .

(٤) في أ ، م " قال " . والتصويب من ط .

(٥) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٦) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٦٤/٢ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٢٥٣/١ وتفسير القرطبي ١١٨/٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٧٨/١

الآيـــــة : ٢٢٨

ولهذا اذا قال لامرأته اذا حضت فأنت طالق • فقالت : حضت • طلقت ، وكان قولهـــا كالبينة في حق نفسها ، لأنا قبلنا قولها فيما يخصها من انقضاء عدتها واباحة وطئهـــا وحظـــره .(١)

وفرقوا بين هذا وبين سائر الشروط ، نحو قوله : اذا دخلت الدار [أ](٢) و كلمت زيـدا فقالوا : لا يقبل قولها فيه الا ببينـــة •

فأما إذا [علق](٣) عتق عبده بحيض زوجته ، فقالت : حضت • لم تصدق ، لأن ذلـك حكم في غيرها ، لا يخصها ولا يتعلق بها(٤) ، فهو كغيره من الشروط ولا يصدق •

قوله عز وجل (وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا) •

أي أزواجهن / أحق بمراجعتهن في الأجل الذي أمرن أن يتربصن فيه ان أرادوا بمراجعتهن (٩٠/ب) حسن الصحبة والمعاشرة ، دون الاضرار والعدوان •

قوله عز وجل (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) أي لهن على أزواجهن من الحق والحرمة وحسن المعاشرة مثل ما للزوج عليهن من الحقوق بالمعروف •

واسم المعروف عام في كل ما يعرف من اقامة الحق ، يسمى بذلك لأن كل واحد(٥) يعرف أنه حـــــق •

---

(١) وهذا مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمـــد •
ولمالك في ذلك روايتان : إحداهما : وقوع الطلاق ناجزاً •
والثانية : وقوعه على وجود شرطه •
وضعف ابن رشد الرواية الأولى •
انظر : أحكام القرآن للجصاص ٦٤/٢ ، والمغني ١٩٩/٧ ، وبداية المجتهد ٩٣/٢ ، وانظر : الاشراف لابن المنذر ١٩٦/٤

(٢) زيادة الألف من ط ، م •

(٣) الزيادة من ط ، م •

(٤) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٦٤/٢ ــ ٦٥ ، والمغني ٢٠٠/٧

(٥) في ط " أحـــد " •

الآيـــــــة : ٢٢٨ ، ٢٢٩

قـولـه تـعـالى (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) أى لهم زيادة فيما للنساء عليهم وهو الفضل بنفقتهن وقيامهم بما يصلحهن ، والفضل في العقل والميراث أن يكون الرجل مسلطا عـلى تأديب المرأة اذا نشزت .(١)

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا يصح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صح ذلك لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها . والذى نفسي بيده لو كـان من قدمه الى مفرق رأسه قروح تشخب بالقيح والصديد ثم لحسته ما أدت حقه " .(٢)

قـولـه تـعـالى (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) أى ملك غالب يحكم بما أراد ، ويمتحن بما أحب ، فينتقم ممن عصاه ، وهو ذو حكمة فيما يأمر من أمر الدين والدنيا ، لا يأمر شيئا الا بالحكمة .

(٢٢٩) قـولـه عـز وجـل (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) :

قال عروة بن الزبير ، وقتادة في معنى هذه الآية : ان الطلاق الذى تملك فيـه الرجعة مرتان ، فانه بعد الطلقة الثالثة لا يملك الرجعة .(٣)

وفي الآية ما يدل على هذا ، لأن الله تعالى عقبه بقوله : (فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ

---

(١) قال الشيخ السعدى في تفسيره ١٨٣/١ ــ ١٨٤ : " وللرجال عليهن درجة " : أى رفعة ورياسة ، وزيادة حق عليها ، كما قال تعالى (الرجال قوامون على النسـاء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) . ومنصب النبوة والقضـاء والإمامة الصغرى والكبرى وسائر الولايات بالرجال . وله ضعف ما لها في كثير مـن الأمور ، كالميراث ونحوه ١٠ هـ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٥٩/٣ من حديث أنس بن مالك .
وذكره المنذرى في الترغيب والترهيب ٥٥/٣ وقال : رواه أحمد والنسائي بإسنـاد جيد ، رواته ثقات مشهورون .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٩ وقال : رواه أحمد والبزار ، ورجاله رجـال الصحيح ، غير حفص ابن أخي أنس ، وهـو ثقـة .

(٣) انظر : تفسـير الطـبرى ٤٥٦/٢ ، وأحكام القـرآن للجصـاص ٧٣/٢ وزاد المسـير ٢٦٣/١ ، وتفسـير القرطـبي ١٢٦/٣

الآيـــــة : ٢٢٩

بإحســـــان) .

وعن ابن عباس ومجاهد : أن المراد بالآية بيان طلاق السنة .(١)

وقوله (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ) لفظه لفظ الخبر ، ومعناه : الأمر والندب .

وفي لفظ المرتين دليل على أن التفريق سنة ، لأن من طلق اثنتين معا لا يقال طلقها مرتـــــــين .

وليس في هذه الآية كيفية سنة التفريق . وقد فسره الله تعالى بقوله : (إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) وأراد بذلك تفريق الطلاق على أطهار العدة ، ألا ترى أنه تعالى خاطب الرجال باحصاء العدة ، وذكر الرجعة في سياق الآية بقوله : (لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) .(٢)

وعلى هذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عمر حين طلق امرأته في حال الحيض : " ما هكذا أمرك ربك ، انما أمرك أن تستقبل الطهر استقبالا ، فطلقها لكل قـــــــرء تطليقة ، فانها العدة التي أمر الله تعالى أن يطلق فيها النساء " .(٣)

---

(١) انظر : المصادر السابقة .

(٢) الطـــــــلاق ١ .

(٣) أخرجه بنحو هذا اللفظ الدارقطني ، والطبراني ، والبيهقي ، من طريق شعيب ابن زريق أن عطاء الخراساني حدثهم عن الحسن قال : حدثنا عبد الله بن عمر : أنه طلق امرأته تطليقة وهي حائض ، ثم أراد أن يتبعها بتطليقتين أخراوين عنـــد القرئين ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يا ابن عمر ما هكذا أمرك الله ، إنك قد أخطأت السنة ، والسنة أن تستقبل الطهر ، فتطلق لكل قرء .." الحديث .

انظر : سنن الدارقطني ٣١/٤ ، والسنن الكبرى للبيهقي ٣٣٠/٧ ، وانظر : نصـــب الراية ٢٢٠/٣ ، ومجمع الزوائد ٣٣٦/٤ ، وإرواء الغليل ١١٩/٧ ــ ١٢٠

وقال الزيلعي : أعله البيهقي في " المعرفة " بعطاء الخراساني ، وقال : إنه أتـــى في هذا الحديث بزيادات لم يتابع عليها ، وهو ضعيف في الحديث ، لا يقبـــل ما تفرد بـه ١٠ هـ .

قلـــــت : وورد حديث ابن عمر في الصحاح بغير هذا السيـــــــــاق .

الآيـــــة : ٢٢٩

وقـولـه تـعـالى (فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ) أى عليكم امساكهن بحسن الصحبة والمعاشـــــــرة اذا أردتم الرجعـــــة .

(أَوْتَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) / أى تتركوهـن حتى ينقضي تمام الطهر ويكن أملك لانفسهن . (٩١/أ)

والاحسان : أن يوفى الزوج حقها في المهر ونفقـة العدة ، وأن لا يطول العدة عليها .

وروى أن النبي صلى الله عليه و سلم سُئِلَ عن هذه الآيـة ، فقيل له : أين التطليقـــــة الثالثـــــة ؟ فقال : في قوله (أَوْتَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) .(١)

= فقد أخرجه البخارى في أول كتاب الطلاق .

ومسلم في كتاب الطلاق : باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها .

ولفظه : عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه طلق امرأته وهي حائض ، على عهـــد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم عن ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " مُره فليراجعها ، ثـم ليمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض ، ثم تطهر ، ثم إن شاء أمسك بعد ، وإن شـاء طلق قبل أن يمس ، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء " .

وأخرجه البخارى في عدة مواضع من صحيحه .

كما أخرجه مالك في الموطأ ، وأصحاب السنن بروايات متعددة .

انظر : جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثـير ٦٠٠/٧ ـ ٦٠٥

وفتح البارى ٢٥٩/٩ ـ ٢٦٣ ، وإرواء الغليل ١٢٤/٧ وما بعدها .

(١) أخرجه الطبرى من حديث أبي رزين قال : قال رجل : يا رسول الله ، يقول الله : (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ ...) فأين الثالثة ؟ قال : " التســـــــريح بإحســـــان " . تفسير الطبرى ٤٥٨/٢

وقد حسن الحافظ ابن حجر إسناده ، وقال : مرسل حسن ، يعتضد بما أخرجـه الطبرى من حديث ابن عباس بسند صحيـح قال : " إذا طلق الرجـــــــل امرأتـه تطليقتـين فليتـق الله في الثالثـــة ، فإما أن يمسكهـا فيحسـن صحبتهـــا ، أو يسرحهـــا فلا يظلمهـا من حقهـا شيئاً " .

فتح البـارى ٢٧٨/٩ ـ ٢٧٩

الآيـــــة : ٢٢٩

قولـه عز وجل (وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) :

قال ابن عباس : نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول [١] وفي زوجها ثابت بن قيس [٢] ، كانت تبغضه بغضا شديدا ، لا تقدر على النظر اليه ، وكان يحبها حبا شديدا ، لا يقدر على أن يصبر عنها ، وكان بينهما كلام ، فأتت أباها فشكت عليه وقالت : انه يضربني ويسيء الي . فقال لها : ارجعي الى زوجك . فأتته الثانية وبها أثر الضرب ، فشكت اليه ، فقال لها : ارجعي الى زوجك . فلما رأت أنه لا يشكيها ولا ينظر في أمرها أتت الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فشكت عليه وأرته أثر الضرب بها ، فقالت : يا رسول الله لا أنا ولا هو . فأرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم الى ثابت وقال : " يا ثابت مالك وأهلك ؟ " قال : والذي بعثك بالحق نبيا ما على الأرض شيء أحب الي منها غيرك ، لكنها لا تطيعني .

فقال لها النبي صلى الله عليه و سلم : " ما تقولين ؟ " . فكرهت أن تكذب رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قالت : ما كنت أحدثك اليوم حديثا ينزل عليك خلافه غدا ، هو من [٣] أكرم الناس لزوجته ، لا أعيب عليه في دين ولا خلق ، ولكني أبغضه ، لا أنا ولا هو . فقال ثابت : قد أعطيتها حديقة لي ، قل لها فترد ها [٤] علي ، وأنا أخلي سبيلها . فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم : " أترد ين عليه حديقته وتملكين أمرك ؟ " . قالت : نعم وزيادة .

---

(١) أسلمت جميلة وبايعت ، وكانت قد تزوجت حنظلة الراهب فقتل عنها يوم أحد ، فولدت له عبد الله بن حنظلة ، ثم تزوجها ثابت بن قيس بن شماس فولدت له محمدا ، ثم خلف عليها مالك بن الدخشم ، ثم خلف عليها حبيب بن أساف . وهي أخت عبد الله بن عبد الله لأبويه ، وقتل ابناها عبد الله و محمد يوم الحرة . انظر : الاصابة ٢٥٥/٤

(٢) هو ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي ، خطيب الأنصار ، شهد أحدا وما بعدها ، وبشره النبي صلى الله عليه و سلم بالجنة ، قتل يوم اليمامة . انظر : الاصابة ١٩٧/١

(٣) في ط " هو أكرم الناس " .

(٤) في ط ، م " فلترد ها " .

الآيـــــــة ٢٢٩

فأنزل [١] قوله تعالى (وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) الآيـة . فقال صلى الله عليه و سلم : " أما الزيادة فلا " .

ثم قال لثابت : " خذ منها ما أعطيتها و خل سبيلها " . ففعل . وكان ذلك أول خلـــع في الاســـــــلام . [٢]

ومعنى الآيـة : ولا يحل لكم أن تأخذ وا شيئا مما أعطيتموهن من مهر و غيره [٣] (إِلَّا أَن يَخَافَا) قال أبو عبيد معناه : يعلما ويوقنا حقيقته [٤] ، أي الا أن يكون الأغلب [٥] عليهما عـــلى

---

(١) في ط ، م " فأنزل الله قوله " .

(٢) انظر القصة مع اختلاف في بعض ألفاظها في : تفسير الطبرى ٢/٤٦١ــ ٤٦٢ ، وتفسير البغـــوى ١/٢٠٧

وأصل هذه القصة في صحيح البخارى : كتاب الطلاق : باب الخلع وكيف الطلاق فيه . من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ولفظه : " أن امرأة ثابت بن قيس أتـــت النبي صلى الله عليه و سلم فقالت : يا رسول اللـــه ، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خـلق ولا دين ، ولكني أكره الكفر في الاسلام . فقال رسول الله صلى اللـــه عليه و سلم : " أترد ين عليه حديقتـه " ؟ قالت : نعم . قال رسول اللـــــــه صلى الله عليه و سلم : " اقبل الحديقـة ، وطلقها تطليقـة " .

وقد أورد البخارى لهذه القصة طرقاً وألفاظاً أخـــرى .

وللوقوف على طرق روايات تلك القصة عند من خرجها راجع : جامع الأصول ٤/١٣٣ ــ ١٣٥ ، وفتح البارى ٩/٣١٠ ــ ٣١٣ ، وتفسير ابن كثير ١/٢٨١ ــ ٢٨٢

(٣) في ط ، م " ولا غيره " .

(٤) هذا قول أبي عبيدة معمر بن المثـــــنى ، كما في مجـاز القرآن ١/٧٤ قال : (إلا أن يخافـــا ألا يقيمـــا حـــدود اللـــه) : معناها : إلا أن يوقنـــا . ولعل نسبتـه لأبي عبيـــد وهـــم . والله أعـــلم .

(٥) في ط " غلب " .

الآيـــــة : ٢٢٩

ما ظهر منهما من أسباب التباعد الخوف من أن لا يقيما حد ود الله ٠

[وهو ما فرض الله تعالى للزوج] ٠ (١)

ومن قرأ " يخافا " على فعل ما لم يسم فاعله (٢)، كان المعنى : الا أن يخافا عليهما (٣) أن لا يقيما حد ود الله ، وهو ما فرض الله تعالى للزوج على المرأة ، والمـــــــرأة على الـــــزوج ٠

/ وقد يذكر الخوف في معنى العلم ، كما قال أبو محجن الثقفي : (٤)

---

(١) ما بين المعقوفتين من م ٠

(٢) قرأ بضم الياء أبو جعفر ويعقوب و حمزة ٠ وقرأ الباقون بفتحها ٠ النشر ٢/٢٢٧

(٣) قال أبو حيان : وتوجيه قراءة الضم ظاهر ، لأنه لما قال (ولا يحل لكم) وجب عـــلى الحكام منع من أراد أن يأخذ شيئاً من ذلك ، ثم قال : (إلا أن يخافا) فالضمـــير للزوجين ، والخائف محذوف وهم الولاة والحكام ، والتقدير : إلا أن يخـــــاف الأولياء الزوجين أن لا يقيما حدود الله ، فيجوز الإفتداء ١٠ هـ ٠

البحر المحيـــــط ١/١٩٨

(٤) هو الشاعر المشهور ، اختلف في اسمه ، فقيل : هو عمرو بن حبيب ، وقيل اسمه كنيته ، وكنيته أبو عبيد ، وقيل اسمه مالك ، و قيل عبد الله ٠ وكان مولعـــــاً بالشراب مشتهراً به ، وكان سعد بن أبي وقاص حبسه فيه ، فلما كان يوم القادسية وبلغه ما يفعل المشركون بالمسلمين قال :

كفى حزناً أن تطعن الخيل بالقنا ٠٠ وأترك مشدوداً علي وثاقيا

ثم قال لامرأة سعد : ويلك خليني فلك لله عليّ إن سلمت أن أجيء حتى أضع رجلي في القيد ، وإن مت استرحتم مني ، فخلته ووثب على فرس لسعد يقال لهـــــا البلقاء ، ثم أخذ الرمح وانطلق ، حتى أتى الناس ، فجعل لا يحمل في ناحيـــة إلا هزمهم الله ، فجعل الناس يقولون : هذا ملك ، وسعد ينظر ويقول : الصـــبر صبر البلقاء ، والظفر ظفر أبي محجن وأبو محجن في القيد ٠ فلما هزم العدو رجـــع أبو محجن حتى وضع رجله في القيد ٠ فلما علم سعد بذلك أطلقه وقال : واللـــــه لا حبستك فيها أبداً ٠ فقال أبو محجن : وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبداً ٠

انظر : الاصابة ٤/١٧٣ ، وخزانة الأدب ٣/٥٥٣

الآيـــــة : ٢٢٩

إذا مِتُّ فادْفِنِي إلى أَصْلِ كَرْمَةٍ .·. تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقُهَا

ولا تَدْفِنَنِّي بِالفَــلاةِ فَإِنَّنِـــي .·. أَخَافُ إذا [ما](١) مِتُّ أَلَّا أَذُوقُهَا (٢)

وأما قولـه (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُـدُودَ اللَّـهِ) أي علمتم بغالب ظنكم أن لا يكون بينهمـــا صلاح ولا مقام على النكاح ·

(فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِـــهِ) أي لا حرج عليهما في الأخذ والاعطاء ·

ويقال : معناه لا حرج على الزوج أن يأخـذ ما افتدت بـه المرأة نفسها مما أعطاها الزوج ·

وقال الفراء : هذا كقولـه (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) (٣) وانما يخرج ذلك مـــن أحدهمـــا ·

كذلك في هذه الآيـة أراد بقولـه تعالى (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) نفي الحرج عن الزوج فـــي الأخـــــذ (٤) ، فأما المرأة فهي مفتدية باختيارها ورضاها ، وإنما يباح للـــــزوج أن يُخْلَعَهَا (٥) إذا كان النشوز من قبل المرأة ·

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط ، م ·

(٢) انظر البيتين في الاصابـة ١٧٤/٤ ـ ١٧٥ ، والشعر والشعراء ص ٢٧٢

(٣) الرحمـــــن ٢٢

(٤) انظر : معـــاني القـــرآن ١٤٧/١

وخطّأ الطبرى قول الفرّاء المذكـور · قال : لأنـه خلاف المفهوم من كلام النـاس ، والمعروف من استعمالهم في مخاطبتهم ·

و غير جائز حمل كتاب الله تعالى ووحيه جل ذكره على الشواذ من الكلام وله فـــي المفهوم الجارى بين الناس وجه صحيح موجود ·

قال : والمعنى : لا جناح عليهما فيما افتدت به المرأة نفسها من زوجها ، ولا حـرج عليهما فيما أعطت هذه على فراق زوجها إياه ، ولا على هذا فيما أخذ منها مـــن الجعل والعوض عليـــــه · انظر : تفسير الطبرى ٤٦٧/٢ ـ ٤٦٨

وانظر : غريب القرآن لابن قتيبة ص ٨٨ ، والكشاف ٢٧٥/١ ، وزاد المسير ٢٦٥/١ وتفســـير الخـازن ٢٢٩/١

(٥) الْخُلْعُ : هو أن تبذل المرأة عوضاً لزوجها ليفارقهـــا ·

الآيـــــة : ٢٢٩

وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : لو اختلعت بكل شيء لها لأخذته . (١)

وروى أن امرأة نشزت ، فرفعت الى عمر رضي الله عنه فأباتها في بيت الزبل ثلاث ليـــال ثم دعا بها ، فقال رضي الله عنه : كيف وجدت مبيتك :

فقالت : ما بت ليالي منذ كنت عنده أقر لعيني منهـــن .

فقال عمر رضي الله عنه لزوجها : اخلعها ولو بقرطهـــا . (٢)

قوله تعالى (تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا) الآيـة .

أي هذه الآيات المنزلة من الأوامر والنواهي فرائض اللـه وأحكامـــه (فَلَا تَعْتَدُوهَا) أي فلا تجاوزوهـــــــا .

---

(١) في أ ، م " لأجرتـه " . والتصويب من ط .
وقول ابن عباس أخرجه الطبرى من رواية الضحاك عن ابن عباس بلفظ : لا بأس بمـــا خلعها به من قليل أوكثير ، ولو عقصها .
ومن رواية عكرمة عنه بلفظ : ليأخذ منها حتى قرطها .
انظر : تفســير الطبرى ٤٧١/٢

(٢) أخرجه الطبرى في تفســيره ٤٧٠/٢
وممن قال بجواز الأخـــذ بأكثر مما أعطاهـا : عثمـان ، وعلي ، وابن عمـــر ، ومجاهـــد ، وعكرمـــة ، والنخعـــي ، وهو مذهـب مالـك ، والليـــث ، والشافعـــي ، وأبـي ثـــور ، واختـاره ابن جريـــر .
وذهـب الإمـــام أحمـــد إلى عـدم جواز الأخـــذ بأكثـر مما أعطاها .
وهو قـول سعيد بن المسيـــب ، وعطـــاء ، والشعـــبي ، وطاوس ، وابـــن جبـــير ، والزهـــرى ، وأبـي عبيـــد ، وإسحاق بـن راهويـــه ، وحمـاد ابـن أبي سليمـــان ، والربيـع بـن أنـس .
انظر : تفســير الطـــبرى ٤٧٠/٢ ــ ٤٧٢ ، وزاد المســـير ٢٦٥/١
وتفســير القرطـــبي ١٤٠/٣ ــ ١٤١ ، وتفســـير ابن كثـير ٢٨٢/١

الآيـــــة : ٢٢٩

(وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ) أي من يتجاوز أحكام الله ويترك ما أمر الله به أو عمـــل [١] بما نهاه [٢] (فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) الضارون [٣] لأنفسهم بمعصيتهم .

واذا كان النشوز من قبل الزوج فلا يحل له أخذ شيء منها ديانة ، [٤] لقوله تعالى (وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا) . [٥]

واختلف السلف رضي الله عنهم في الخلع ، هل هو طـلاق أو فسـخ :

فذهب بعضهم الى أنه فسـخ ، وهي روايـة عن ابن عباس . [٦]

---

(١) في ط ، م " أو يعمل " .

(٢) في ط " بما نهاه عنه " .

(٣) في ط كلمة " أي " قبل قوله " الضارون " .

(٤) أما حكماً و قضاءً فهو نافذ . وهذا مذهب أبي حنيفـة .

انظر : أحكام القرآن للجصاص ٩١/٢ ، والمغـني ٥٥/٧

أما عند الجمهور : فإن الرجل إذا ضار زوجته بالضرب والتضييق عليها ، أو منعها حقوقها من النفقـة والقسم ونحو ذلك لتفتدي نفسها منه ، ففعلـت ، فالخلع باطل والعوض مرد و د .

انظر : المغـني ٥٤/٧ ـ ٥٥

(٥) النسـاء ٢٠

(٦) وهو مروي أيضـاً عن عثمـان ، وابن عمـر ، وطاوس ، و عكرمـة ، وإسحـاق ، وأبي ثـور .

وهو أحد قولي الشافعـي ، وروايـة عن أحمـد .

واختاره شيخ الاسلام ابن تيميـة و تلميذه ابن القيم .

انظر : المغـني ٥٦/٧ ، وتفسـير القرطـبي ١٤٣/٣ وفتـح البـاري ٣٠٧/٩ ، وتفسـير ابن كثير ٢٨٢/١ ـ ٢٨٣ ، ومجموع فتاوى شيخ الاسـلام ٩/٣٣ ـ ١٠ ، وزاد المعاد ١٩٧/٥ ـ ٢٠٠

الآيـــــة : ٢٢٩

واستدلوا بظاهر هذه الآيـة ، فقالوا : ان الله ذكر الطلاق الثلاث بعد هذا بقوله (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) (١)

فلو كان الخلع طلاقا لجعل الطلاق أكثر من ثلاث .

و أكثر فقهاء الأمصار قالوا : الخلع طلاق . وهو قول عمر ، و عثمان ، وابن مسعود ، والحسن ، و ابراهيم النخعي ، و غيرهم . (٢)

وليس في ظاهر هذه الآيـة دليل [على] (٣) أن الخلع فسخ ، لأن قوله تعالى : (وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا) حكم مبتدأ ، اذ الواو للاستئناف ، الا أن يقوم دليل الجمع . فكأن اللـه تعالى ذكر في أول هذه الآية حكم الطلاق (٤) بغير بدل ، وخيّر الزوج / بين أن (٩٢/أ) يراجعها في العدة أو يتركها حتى تنقضي عدتها . ثم استأنف بيان حكم الطلاقين اذا كانا على وجه الخلع ، وأبان عن موضع الحظر والاباحة فيها ، ثم ذكر حكم الطلقة الثالثة بالآيـة التي بعد هذه الآيـة .

وهذا مما يستدل به على أن المختلعة يلحقها الطلاق ، لأن عامة الفقهاء اتفقوا على تقدير الآيـة وترتيب أحكامها على ما وضعناه .

---

(١) البقـرة ٢٣٠

(٢) وممن روى عنه ذلك أيضا سعيد بن المسيب ، والحسن ، و عطاء ، ومجاهد والنخعي ، والشعبي .
وهو مذهب أبي حنيفة ، ومالك ، و الشافعي في الجديد ، والرواية الثانية عن أحمد .
انظر : أحكام القرآن للجصاص ٩٥/٢ ، وتفسير القرطبي ١٤٣/٣ ، والمغني ٥٦/٧ وفتح الباري ٣٠٧/٩ ، وتفسير ابن كثير ٢٨٣/١

(٣) الزيادة من ط .

(٤) في ط " الطلاقين " .

الآيـــة : ٢٢٩ ، ٢٣٠

فحصلت التطليقة الثالثة بعد الخلع .(١)

(٢٣٠) قوله عز وجل (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) :

أي فان طلقها الطلقة الثالثة فلا تحل له من بعد الثالثة حتى تتزوج زوجا غير الزوج الأول ويدخل بها ويطلقها ، اذ لا خلاف بين أهل العلم أن دخول الزوج الثاني بها شرط في اباحتها للأول .

الا ما روى عن سعيد بن المسيب رواية شاذة : أنه لم يجعله شرطا .(٢) ولم يتابعه أحد على ذلك .

وانما جعل دخول الزوج الثاني بها شرطا لمفهوم الآية وورود السنة .

أما مفهوم الآية : فلأن الله تعالى قال (حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) ، والنكاح هو الوطء في الحقيقة . وذكر الزوج يفيد العقد ، لاستحالة(٣) أن يكون زوجا من غير عقد . فكأن قوله (حَتَّىٰ تَنْكِحَ) كناية مفهمة ، مغنية عن التصريح .

---

(١) قلت : تقدمت الإشارة إلى اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم : أن الخلع فسخ وليس طلاقاً . وهما من العلماء المحققين .
وإليه مال الحافظ ابن كثير ، وقال : وهو ظاهر الآية الكريمة .
قال شيخ الاسلام ابن تيمية : مذهب فقهاء الحديث كالإمام أحمد في ظاهر مذهبه ، والشافعي في أحد قوليه ، وإسحاق بن راهويه ، وأبي ثور ، وابن المنذر ، وداود ، وابن خزيمة وغيرهم : أن الخُلْعَ فَسْخٌ للنكاح وفرقة بائنة بين الزوجين ، لا يحسب من الثلاث ، وهذا هو الثابت عن الصحابة ، كابن عباس ١٠ هـ
وقال ابن القيم : لا يصح عن صحابي أنه طلاق البتة .

(٢) انظر : فتح البارى ٣٧٧/٩

(٣) في أ ، م " استحاله " .
والتصويب من ط .

الآيـــــة : ٢٣٠

وأما السنة : فما روى أن رفاعة القرظي [١] طلق امرأته ثلاثا ، فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير [٢] ، فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه و سلم تريد أن ترجع إلى زوجها الأول . قال صلى الله عليه و سلم : " هل جامعك عبد الرحمن " . فقالت : ما الذى معه إلاَّ كهُدْبَة ثوبي هـذا .

فقال صلى الله عليه و سلم : " أفتريدين أن ترجعي إلى زوجك الأول ؟ " . قالت : نعم . قال صلى الله عليه و سلم : " لا ، حتى تذوقي من [٣] عسيلته ويذوق من عسيلتك " . [٤]

---

(١) هو رفاعة بن سموأل القرظي المدني ، من بني قريظة ، له ذكر في الصحيح ، وهو خال صفية أم المؤمنين رضي الله عنها .

انظر : تهذيب الأسماء واللغات ١٩١/١ ، والاصابة ٥٠٤/١

(٢) هو عبد الرحمن بن الزبير – بفتح الزاى – ابن باطيا القرظي المدني ، صحابي صغير ، ثبت ذكره في الصحيحين ، روى عنه ولده الزبير بن عبد الرحمن ، وهو من شيوخ مالك ، وهو بضم الزاى ، بخلاف جده فإنه بفتحها .

انظر : الاصابة ٣٩١/٢ ، والتقريب ص ٣٤٠

(٣) في ط ، م " حتى تذوقي عسيلته و يذوق عسيلتك " بغير " من " .
وهو الموافق لرواية الصحيحين و غيرهما .

(٤) الحديث أخرجه الشيخان وأصحاب السنن و غيرهم بروايات وألفاظ متعددة . نكتفي منها بذكر لفظ الصحيحين :
فقد أخرج الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها : أن امرأة رفاعة القرظي جاءت الى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فقالت : يا رسول الله إن رفاعة طلقني فبت طلاقي ، وإني نكحت بعده عبد الرحمن بن الزبير القرظي ، وإنما معه مثل الهدبة .
قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا حتى يذوق عسيلتك و تذوقي عسيلته " .

انظر : صحيح البخارى : كتاب الطلاق : باب من أجاز طلاق الثلاث .
ومسلم في كتاب النكاح : باب لا تحل المطلقة ثلاثا لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره . وللوقوف على روايات الحديث وألفاظه المختلفة انظر : جامع الأصول ٤٩٧/١١ – ٥٠١ ، وفتح البارى ٣٧٨/٩ – ٣٧٩ ، وتفسير ابن كثير ٢٨٥/١ – ٢٨٦ والعسيلة : كناية عن لذة الجماع .

الآيـــــــة : ٢٣٠

فند مت على مقالتها ، فقالت : يا رسول اللهُ قد طاف بي . فقال صلى الله عليه و سلم : " لا أصد قك الآن " . (١)

---

(١) هذ ه الزياد ة التي ساقها المؤلف ، من قوله " فند مت على مقالتها " الى آخـــر القصة لم أجد ها في قصة امرأة رفاعة المذكورة في الصحيحين و غيرهما ، لكـــن ورد نحوها ــ فيما ذكره الحافظ في تخريجه لأحاد يث الكشاف ــ قال : قـــال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريج عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة ... فذكـــر الحد يث . وفيه : " فقعد ت ما شاء الله ، ثم جاءت فأخبرتـه أنـه قد مسهـــا . فمنعها أن ترجع الى زوجها الأول ، وقال : " اللهم إن كان إنما بها أن يحلهـــا لرفاعة فلا يتم لها نكاحه مرة أخرى " . ثم أتت أبا بكر و عمر في خلافتهمـــا فمنعاها . انظر : الكشاف ٢٧٥/١ هامش (٣)

وأخرج ابن المنذ ر ــ فيما ذكره السيوطي في الد ر المنثور ٦٧٧/١ ــ عن مقاتـل ابن حيان قال : نزلت هذ ه الآية في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك النضـرى ، كانت عند رفاعة بن وهب بن عتيك ، وهو ابن عمها فطلقها طلاقاً بائناً ، فتزوجت بعد ه عبد الرحمن بن الزبير القرظي فطلقها ، فأتت النبي صلى الله عليه و سلم ، فقالت : انه طلقني قبل أن يمسني ، أفأرجع الى الأول ؟ قال : " لا حتى يمس " . فلبثت ما شاء الله ، ثم أتت النبي صلى الله عليه و سلم فقالت له : إنه قـــد مسني . فقال : " كذ بت بقولك الأول فلم أصد قك في الآخر ... " . الحد يث .

وقال الحافظ ابن حجر : أخرجه مقاتل بن حيان في تفسيره ، ومن طريقه ابن شاهين في الصحابة ، ثم أبو موسى في قوله تعالى (فلا تحل له من بعد حتى تنكـــح زوجاً غـــيره) .

ثم قال الحافظ : " وهذ ا الحد يث إن كان محفوظاً فالواضح من سياقه أنها قصة أخرى ، وأن كلاً من رفاعة القرظي و رفاعة النضرى وقع له مع زوجة الطلاق ، فتزوج كلاً منهما عبد الرحمن بن الزبير فطلقها قبل أن يمسها ، فالحكم في قصتهما متحـــد مـــع تغاير الأشخاص ، وبهذ ا يتبين خطأ من وحد بينهما ، ظناً منه أن رفاعـــة بن سموأل هو رفاعة بن وهب ... " . فتح البارى ٣٧٥/٩

وقال في موضع آخر : " ويحتمل أن تكون القصة واحد ة ، ووقع الوهم من بعض الـرواة في التسمية أو في النسبة ، وتكون المرأة شكت مرتين من قبل المفارقة ومن بعد ها . والله أعلم " . فتح البارى ٣٧٩/٩

الآيـــــة : ٢٣٠

قوله عز وجل (فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) :

أي فان طلقها الزوج الثاني بعد ما د خل بها ، فلا حرج على المرأة والزوج الأول أن يتراجعا بأن يتزوجا [1] مرة أخرى بعد انقضاء العدة .

قوله تعالى (إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) أي ان علما بغالب ظنهما أنهما يقيمان حد و د الله فيما بينهما ، لأنهما قد افترقا ، ورأى الزوج وحد ته ، ورأت المرأة غربتها ووحشتها .

والحكمة في شرط د خول الزوج الثاني بها : أن الطلاق لما كان من أبغض المباحات الى الله تعالى ـ على ما ورد به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم " إن من أبغض المباحات الى الله الطلاق " [2] ـ شرط الله في حرمة الطلقة الثالثة ما يكبر على / الأزواج (٩٢/ب) من غشيان الغير تلك المرأة ، حتى لا يعجلوا بالطلاق عند الغضب ، ولا يطلقوا الا على وجه السنة .

قوله عز وجل (وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) :

أي هذه التي ذكرت أحكام الله وفرائضه يبينها في القرآن لقوم يعلمون أوامر الله تعالى ، وأن ما يأتي به رسول الله صلى الله عليه و سلم صدق .

وتخصيص العلماء في هذه الآية ، لأنهم هم الذين يحفظون أوامر الله تعالى وأحكامه وينتفعون بالآيات .

---

(١) في ط ، م " بأن يتزوجها " .

(٢) أخرجه أبو د اود في كتاب الطلاق : باب في كراهية الطلاق .
وابن ماجه في كتاب الطلاق . رقم الحد يث ٢٠١٨
من حد يث ابن عمر رضي الله عنهما . ولفظه : " أبغض الحلال الى الله تعالى الطلاق " . قال الخطابي : المشهور في هذا عن محارب بن د ثار مرسل عن النبي صلى الله عليه و سلم ، ليس فيه ابن عمر ١٠ هـ .
معالم السنن مع سنن أبي د اود ٦٣١/٢

الآيـــــة : ٢٣٠ ، ٢٣١

وقيل : خصهم الله بالذكر على جهة النباهة لهم ، كما خص جبريل وميكائيل من بين الملائكة على جهة النباهة لهما .

(٢٣١) قوله عز وجل (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا) .

نزلت في ثابت بن يسار الأنصاري [١] طلق امرأته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة وكادت تبين منه راجعها ، ثم طلقها ، ففعل بها مثل ذلك ، حتى مضت لها سبعة أشهر مضارا لها بذلك . [٢] وكان الرجل إذا أراد أن يضار امرأته طلقها ثم تركها حتى تحيض الحيضة الثالثة ثم راجعها ثم طلقها فتطول عليها العدة ، فهذا هو الضرار .

فأنزل [٣] الله هذه الآية .

ومعنى الآية : واذا طلقتم النساء تطليقة أو تطليقتين فبلغن أجلهن ، أي قاربن وقت انقضاء العدة (فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) أي احبسوهن بالرجعة على أحسن الصحبة ، لا على تطويل العدة [٤] .

(أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) أي اتركوهن بمعروف حتى ينقضي تمام أجلهن .

(وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا) أي لا تحبسوهن في العدة اضرارا لتعتدوا عليهن ، أي تظلموهن .

قوله تعالى (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) أي من يفعل ذلك الاعتداء فقد عرض نفسه لعذاب الله باتيان ما نهى الله عنه .

---

(١) ذكره الحافظ في الاصابة ١٩٨/١

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٨١/٢ عن السدي .

وانظر : البحر المحيط ٢٠٧/٢ ، والدر المنثور ٦٨٢/١

(٣) أخرجه الطبري عن جماعة من السلف .

انظر : تفسير الطبري ٤٨٠/٢ ـ ٤٨٢ ، وانظر : تفسير ابن كثير ٢٨٨/١ والدر المنثور ٦٨٢/١

(٤) في ط " لا لتطويل " .

الآيـــــة : ٢٣١

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ملعون من ضار مسلماً أو ما كـره " .(١)

قولـه تعالى (وَلَا تَتَّخِـذُوٓاْ ءَايَـٰتِ ٱللَّـهِ هُزُوًا) أى لا تتركوا ما حد الله لكم من أمـر الطلاق و غيره ، فتكونوا مقصرين لا عبـين .

و عن أبي الد رد اء رضي الله عنه قال : كان الرجل يطلق امرأتـه أو يعتق عبد ه ثم يقـول : إنما كنت لاعبـاً ، فيرجع في العتق والنكاح . فأنزل الله هذ ه الآية . فقال صلى الله عليه وسلم : " من طلق لا عباً أو أعتق لاعباً فقد جاز عليه " .(٢) أى نفذ عليه .

---

(١) أخرجه الترمذ ى في كتاب البر والصلة : باب ما جاء في الخيانة والغش . من حد يث أبي بكر الصد يق رضي الله عنه . ولفظه : " ملعون من ضار مؤمناً أو مكر به " .
قال الترمذ ى : هذا حد يث غريب .
وذكره الألباني في سلسلة الأحاد يث الضعيفة ٣٧٥/٤ ـ ٣٧٦ باللفظ الذ ى ساقـه المؤلـف . ثم قال : ضعيف ، رواه ابن عد ى عن عنبسة بن سعيد : حد ثنا فرقـد السبخي عن مرة الطيب عن أبي بكر الصد يق مرفوعا .
وأعله الألباني بفرقـد ، فإنـه ضعيف .

(٢) أورد نحوه السيوطي في الد ر المنثور ٦٨٣/١ و عزاه لابن أبي عمر في مسنـده وابن مرد ويـه عن أبي الد رد اء مرفوعـا .
وأخرجه الطبرى في تفسيره ٤٨٢/٢ باللفظ المذكور عن الحسن مرفوعا .
وكذ ا أخرجه ابن أبي حاتم ـ فيما حكاه ابن كثير ـ عن الحسن البصرى مرفوعـا ، بلفظ : " من طلق أو أعتق أو نكح أو أنكح جاداً أو لا عباً فقد جاز عليه " .
قال ابن كثير : وهـذا مرسل ، وقد رواه ابن مرد ويـه من طريق عمرو بن عبيـد عن الحسـن عن أبي الد رد اء موقوفا عليـه ١٠ هـ .
تفسير ابن كثير ٢٨٨/١
وقال السيوطـي : أخـرج الطبرانـي من طريـق الحسـن عن أبي الـد رد اء ... فذكـر نحـوه مرفوعـا .
انظر : الـد ر المنثـور ٦٨٣/١

الآيـــــــة : ٢٣١

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ثلاث جدهن جد وهزلهن جد : الطلاق والعتاق ، والنكاح " .

وفي بعض الروايات : " الطلاق ، والنكاح ، والرجعة " .(١)

وروى في الخبر : " خمس جد هن جد ، وهزلهن جد / : الطلاق ، والعتاق ، (٩٣/أ) والرجعة ، والنكاح ، والنذر " .(٢)

وعن أبي موسى الأشعرى قال : غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأشعريين ، فأتيته فقلت : يا رسول الله غضبت على الأشعريين ؟

قال : " يقول أحدكم لامرأته : قد طلقتك . ثم يقول : قد راجعتك .

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق : باب في الطلاق على الهزل .

والترمذى في كتاب الطلاق : باب ما جاء في الجد والهزل في الطلاق . وقال : حديث حسن غريب . والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم . اهـ .

كما أخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق : باب من طلق أو نكح أو راجع لاعبا .

والحاكم في المستدرك ١٩٨/٢

والبغوى في شرح السنة ٢١٩/٩

كلهم من طريق عبد الرحمن بن حبيب عن عطاء بن أبي رباح عن ابن ماهك عن أبي هريرة مرفوعا .

وقال الحاكم : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وعبد الرحمن بن حبيب هذا هو ابن أردك من ثقات المدنيين . وتعقبه الذهبي فقال : فيه لين .

وقال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ٢٠٩/٣ ـ ٢١٠ : " عبد الرحمن بن حبيب بن أردك مختلف فيه ، قال النسائي : منكر الحديث . ووثقه غيره ، فهو على هذا حسن " .

وقال في تخريجه لأحاديث الكشاف : " وفي اسناده ضعف " .

انظر : الكشاف ٢٧٧/١ هامش (٣) . وكذا ضعفه الألباني في إرواء الغليل : ٢٢٥/٦

(٢) لم أجد هذه الرواية .

الآيـــــة : ٢٣١

ليس هـذا طـلاق المسلمـين ، طلقـوا المرأة في قبـل طهرهـا " .(١)

وقال الكلبي : معنى (وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا) : أى أمسكوا(٢) بمعـــــــروف أو سرحوا(٣) بإحسان .

قولـه عـز وجـل (وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَـــــــةِ يَعِظُكُم بِـــهِ) : أى احفظوا منـة الله عليكم في أمر الديـــن .

وقيل : اذكروا نـعمة الله عليكم بالايمان (وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ) يعني القـــرآن (وَٱلْحِكْمَـــةِ) يعني مواعظ القرآن والحد و د والأحكام .

وقيل : الحكمة هي فقـه الحلال والحرام .(٤)

وقوله (يَعِظُكُم بِـهِ) أى ينهاكم عن الاضـرار و سائر المعاصي .

قولـه تعالى (وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) : أى اخشوه فيما أمركم بـــه ونهاكم عنه ، واعلموا أن الله بكل شيء من أعمالكم من العد ل والجور عليم ، أى عالـــم يجزيكم على الخير والشـــر .

ومن الناس من يحتج بقوله (فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ) في ايجاب الفرقـة بين المعسر العاجز عن النفقة وبين امرأتـه ، لأن الله خيرهم بين أحد شيئين ، فـاذا

---

(١) أخرجه الطبرى في تفسيره ١٤/٥ ــ ١٥ تحقيق أحمـد شاكر .
وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣٢٣/٧
وقد صحح أحمـد شاكر اسناده .

(٢) في ط " أى أمسكوهن " .

(٣) في ط " أو سرحوهن " .

(٤) الذى عليه جمهـــور المفســرين أن الحكمـــة هنـا هـي السـنة التي جـاء بهـا النـبي صل الله عليـه و سـلم و علمهـا أمتـــه .
انظـر : تفســـير الطـــبرى ٤٨٣/٢ ، وتفـــسيرالقرطـــبي ١٥٧/٣ ، وتفســـير ابـن كثـــير ٢٨٩/١ ، والبحر المحيط ٢٠٩/٢

الآيـــــة : ٢٣١ ، ٢٣٢

عجــز عن أحد هما تعين عليه الثاني .

قلنا : هذ الاحتجاج بعيد من الآيـة ، لأن العاجز عن نفقة المرأة ممسك بالمعـــروف ، اذ لم يكلف الانفاق في هذ ه الحالة ، قال الله تعالى : (وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا ءَاتَـٰهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَـٰهَا) .(١)

و غير جائز أن يقال : المعسر (٢) غير ممسك بالمعروف . اذ ترك الامساك بالمعـــروف ذ م والعاجز غير مذ مـــوم .

(٢٣٢) قولـه عـز وجـل (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ) :

قال الحسن و قتاد ة : نزلت هذ ه الآيـة في معقل بن يسار (٣) ، كانت أختـه جُمَيْـل (٤) تحت أبي البـــداح (٥) ، طلقها تطليقـة واحدة ثم تركها حتى انقضت عدتها ثم نـــدم على طلاقـه اياها ، فخطبها ، فرضيت المرأة بذ لك وأحبت أن تراجعـه . وأبى أخوهـــا معقل ، وقال لها : اني اخترتـه على أشراف قومي فطلقك ، ثم تريد ين أن تراجعيـه ،(٦)

---

(١) الطـــــلاق ٧

(٢) في أ " للعسر " . والتصويب من ط ، م .

(٣) هو معقل بن يسار بن عبد الله المزني ، أسلم قبل الحد يبية ، وشهد بيعـــــة الرضـــوان ، روى لـه الشيخـــان وأصحاب السـنن ، ومات في آخر خلافـــــة معاويـــة . انظر : الاصابـــــة ٤٢٧/٣

(٤) بالتصغـير ـ هكذ ا ضبطها ابن ماكـولا ـ ويقال : جُمْـل ـ بضم أوله وسكون الميم : بنت يسار المزنيـة ، أخت معقل بن يسار .

انظر : الاصابـــــة ٢٥٣/٤

(٥) هو عاصم بن عدى بن الجـــد بن العجـــلان البلوى العجلاني ، حليف الأنصـار كان سيد بني عجـــلان ، شهد أحداً وما بعد ها ، مات سنة خمس وأربعين .

انظـر : الاصابـــة ٢٣٧/٢

(٦) في أ " يراجعـه " . والتصويب من ط ، م .

الآيـــة : ٢٣٢

وجهي من وجهك حرام أبـــدا ان تزوجتيـــه . فأنزل [١] الله هذه الآية ينهى معقـــلا عما صـنـع .

وروى أن أبا البداح لما طلقها وتركها حتى انقضت عدتها جاء يخطبها وأراد مراجعتهـا ، وكانت المرأة تحب مراجعتـه ، قال له أخوها : أفرشتك كريمتي وآثرتك [٢] على قومـــي ، فطلقتها ولم تراجعها ، حتى اذا انقضت عدتها جئت تخطبها ، والله لا أنكحها أبـــدا . فأنزل [٣] اللـه هذه الآيـــة .

ومعناها : / واذا طلقتم النساء واحـدة أو اثنتين (فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) يعني انقضت عدتهن . (٩٣/ب)
وأراد ببلوغ الأجل في هذه الآيـة حقيقة البلوغ بانقضاء العـــدة .

(فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) أي لا تمنعوهن أن ينكحن أزواجهن ، يعني الذين كانوا أزواجا لهـــن من قبـــــل .

وقوله تعالى (إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ) أي اذا تراضوا بنكاح جديد ومهـــــر وشهود ، وما لا يكون مستنكرا في عقل ولا عادة ولا خلق .

قوله عز وجل (ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) : أي ذلك الذي ذكر من النهي عن العضل يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله ويؤمن بالبعث .

قوله تعالى (ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ) : أي أن لا تمنعوها خير لكم وأفضل وأدخل في التزكية من المنع لهن ، وأطهر من الذنب وأبعد من الريبة ، لأنه اذا كان في نفس كـــل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن أن يتجاوزا ذلك الى غير ما أحل الله لهما .

وقوله تعالى (وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) : أي والله يعلم حب كل واحد منهمـــــا لصاحبه وأنتم لا تعلمون ذلك .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ١٥٨/٣

(٢) في ط " وآثرتك بها " .

(٣) أخرجه البخاري ـ مع اختلاف في اللفظ ـ عن معقل بن يسار .
انظر : صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب من قال : لا نكاح الا بولي .

الآيـــــة : ٢٣٢

وقيل معناه : والله يعلم ما لكم فيه الصلاح [١] في العاجل والآجل ، ويعلم ما يزكيكم مما يرد يكم ، وأنتم لا تعلمون ذ لك .

فلما نزلت هذه الآية د عا النبي صلى الله عليه و سلم معقلا ، فقرأ الآية عليه ، وقـــــال : " ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فلا تمنع أختك من أبي البد اح " . فقال : اني أؤمن بالله واليوم الآخر ، وأشهد ك أني قد أنكحته . وكفّر عن يمينـه . [٢]

والعضل في اللغة له معنيان [٣] : أحد هما [٤] المنع ، يقال : عضل الرجل المرأة يعضُلها ويعضِلها ، اذ ا منعها عن الأزواج ظلمـــا .

وأعضل الد اء الأطباء ، اذ ا أعياهم عن معالجتـــه .

ويقال : د اء عُضال ، و مسألة معضِلة .

والآخر : التضييق ، يقال : عَضَلَ الفضاء بالجيش ، اذ ا ضاق بهم .

و عَضَلَتِ المرأة بولد ها ، اذ ا عَسُرَ خروجـــه . [٥]

وفي الآيـة د ليل على جواز نكاح المرأة على نفسها اذ ا عقد ت بغير ولي ، لأن الله تعالى أضاف العقد اليها ، ونهى الولي عن عضلها اذ ا تراضا الزوجان بالمعروف . ويد ل عـــلى ذ لك قولـه : (فَـلَا جُنَـاحَ عَلَيْهِمَـا أَن يَتَرَاجَعَـــآ) . [٦]

---

(١) في ط " الاصلاح " .

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ١٥٨/٣ و عزاه لمقاتل .
وجاء في رواية عند البخارى : " فد عاه رسول الله صلى الله عليه و سلم فقرأ عليـه فترك الحمية واستقاد لأمر الله " .
صحيح البخارى : كتاب الطلاق : باب (وبعولتهن أحق برد هن) .

(٣) في ط " معان " .

(٤) في ط " أحد هـا " .

(٥) انظر : القاموس المحيـــط : ماد ة (عضل) ، ومفرد ات الراغب : (عضل) .

(٦) البقـــــرة ٢٣٠

الآيـــة : ٢٣٢ ، ٢٣٣

وقولـه (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) . (١)

(٢٣٣) قولـه عـز وجـل (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) :

أى والمطلقات اللاتـي لهن أولاد من أزواجهن المطلقين ولدنهم قبل الطلاق أو بعده . (٢)

---

(١) البقـــــرة ٢٣٤

قلـــت : ما ذكره المؤلـف هنا من الاستدلال بالآيـة على جواز النكاح إذا عقدت المرأة على نفسها بغير ولي ، هذا هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله .

أما جمهور الفقهاء والمفسرين فعلى خلاف ذلك ، فإنهم يستدلون بالآية المذكـورة على عدم جواز النكاح بغير ولي . إذ لو كانت المرأة تملك ذلك لم يكن هنا عضل ، ولا لنهي الولي عن العضل معنى ، فالخطاب هنا للأولياء ، والأمر إليهم فـــي الترزويج .

وانظر بسط هذه المسألة في : أحكام القرآن للجصاص ١٠٠/٢ ـ ١٠٣ ، وتفســـير الطبرى ٤٨٨/٢ ، وتفسير القرطبي ١٥٨/٣ ، وتفســير ابن كثـــير ٢٨٩/١ ، والمغـــني ٤٤٩/٦ ـ ٤٥٠ ، وفتـــح الباري ٩٤/٩ ، والافصـــاح لابن هبـــيرة ١١١/٢

(٢) وممـن ذهب إلى أن المراد بالوالدات هنا المطلقات المرضعات : ابن جرير الطـبرى والبغـــوى .

وحكاه ابن الجوزى عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ، والضحاك ، والسدى .

وذهب أبو حيان ، وابن كثير إلى أن لفظ الوالدات هنا عام ، فيدخل فيـــه الزوجات والمطلقـات .

وقال القرطـبي : والأظهر أنها في الزوجـــات في حال بقاء النكـاح ، لأنهـــن المستحقات للنفقـة والكســوة اهـ .

قلـــت : والقـول بالعموم أولى ، إذ هـو المفهـوم من ظاهر الآيـة . أما التخصيص فلا دليل عليه ظاهـــر . والله أعـــلم .

انظر : تفسير الطـبرى ٤٩٠/٢ ، وتفســير البغـــوى ٢١١/١ وزاد المســـير ٢٧٠/١ ، وتفســير القرطـبي ١٦٠/٣ ، والبحـــر المحيـــط ٢١١/٢ ، وتفســـير ابن كثـــير ٢٩٠/١

الآيـــــة : ٢٣٣

وقولـه (يُرْضِعْـنَ أَوْلَـادَهُـنَّ) لفظه لفظ الخبر ، ومعناه الأمـر .

كأنـه قال : لترضع الوالدات / أولادهن ، كما قال تعالى (وَالْمُطَلَّقَـاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ) (٩٤/أ)

يدل على ذلك أنه لو كان قوله (يُرْضِعْـنَ) خبرا لما وجد مخبره على خلاف ما أخـــبر اللـه بـه . فلما كان من الوالدات من لا ترضع علم أنـه لم يرد بـه الخبر ، فكان هـــذا محمـولا في حال قيام النكاح على الأوامر الواجبـة من طريق الدين لا من جهة الحكم .

فإنها إذا امتنعت من الإرضاع لم يكن للزوج أن يجبرها على ذلك من حيث الحكـــم ، وإن أرضعت لم تستحق نفقة الرضاع [١] مع بقاء الزوجيـة ، ولا يجتمع لها نفقتان .

وفي الآيـة اثبات حق الرضاع للأم ، وبيان مدة الرضاع المستحق على الوالد ، فإن الوالـد لو امتنع من الإرضاع في الحولين أجبر عليه ، كما قال تعالى في آية المطلقات (فَإِنْ أَرْضَعْـنَ لَكُـمْ فَـآتُوهُـنَّ أُجُورَهُـنَّ) [٢] وقال (وَإِن تَعَاسَـرْتُمْ فَسَـتُرْضِعُ لَـهُ أُخْـرَىٰ) . [٣]

فإن قيل : [٤] كيف قال الله تعالى (حَـوْلَـيْنِ كَامِلَـيْنِ) والحولان لا يكونان إلاّ كاملين ؟

قيل : لإزالة الإيهام ، فإن الإنسان قد يقول : أقمت عند فلان سنتين إذا كان قريبا مـــن سنتين ، وسرت شهرًا إذا كان قريبًا من شهر .

فبين الله تعالى أنهما حولان كاملان ، أربعة وعشرون شهرًا من يوم يولد إلى أن يفطم . [٥]

وقولـه تعـالى (لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) أي لمن أراد من الآباء أن يتم الرضاعـــــة المفروضـة عليـه ، أي هـذا منتهـى الرضاعـة ، وليـس فيما دون ذلك وقت محدود

---

(١) في ط " الارضـاع " .

(٢)و(٣) من الآيـة ٦ من سورة الطلاق .

وانظر : أحكام القرآن للجصـاص ١٠٤/٢ ـ ١٠٥ ، وزاد المســـير ٢٧١/١ وتفسـير القرطـبي ١٦١/٣ ـ ١٦٢

(٤) في ط " فان قلت " .

(٥) في النســخ " يعظـم " . والمثبت هو الصـواب .

وانظر : تفســير الطـبرى ٤٩٠/٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣١٢/١

الآيـــــة : ٢٣٣

وإنما هـو على مقـدار إصلاح الصبي وما يعيش بـــه . (١)

قـرأ أبو رجـاء " الرّضاعـة " بكسر الراء . (٢)

قال الخليل : وهما لغتان ، مثل : الوَكالة ، والوِكالة ، والدَّلالـة ، والدِلالـة .

وقرأ مجاهد " لمن أراد أن يتم الرضعـة " (٣) ، وهي فعلة كالمرة (٤) الواحدة .

وقرأ عكرمة " لمن أراد أن تَتِمَّ(٥) الرضَاعةُ " [بتاء مفتوحة ورفع الرضاعة] (٦) علـــى الفاعـــــــل .

وقرأ ابن عباس " لمن أراد أن يكمل الرضاعـة " . (٧)

---

(١) قال القرطبي : قوله تعالى (لمـن أراد أن يـتم الرضاعـة) دليل على أن إرضـــاع الحولين ليس حتماً ، فإنـه يجوز الفطام قبل الحولين ، ولكنه تحد يـد لقطـــع التنازع بين الزوجين في مدة الرضاع ، فلا يجب على الزوج إعطاء الأجرة لأكثـــر من حولين . وإن أراد الأب الفطم قبل هذه المدة ولم ترض الأم لم يكن له ذلك . والزيادة على الحولين أو النقصان إنما يكون عند عدم الإضرار بالمولود ، وعنـــد رضا الوالديـــن . اهـ .

تفسير القرطـــــبي ١٦٢/٣

(٢) انظر : مختصر الشواذ لابن خالويـــه ص ١٤ ، وزاد المسير ٢٧١/١

(٣) انظر : مختصر الشواذ لابن خالويـه ص ١٤ ، والبحر المحيط ٢١٣/٢

(٤) في أ " كالمراة " . والتصويب من ط ، م .

(٥) في أ ، م " يتم " بالياء . والتصويب من ط ، كما هو الموافق لما ذكـــره مـن التفصيل بعده ، إلا أن يكون المؤلـف أراد كتابـــة اللفظ كما هو في الآيـــة ، ثم اكتـفى بالتفصـيل بعـده .

(٦) ما بين المعقوفتـين من ط .

ولم أجـد هـذه القـــراءة منسـوبة إلى عكرمـــــة . وقـد عزاهـــا أبو حيـــان إلـى مجاهـــد ، والحســـن ، وحميـد ، وابن محيصن ، وأبـي رجـــاء . انظر : البحر المحيط ٢١٣/٢

(٧) انظر : مختصـر الشـواذ لابـن خالويـه ص ١٤ ، والبحـر المحيط ٢١٣/٢

الآيـــــة : ٢٣٣

قولـه عـز وجـل (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا) معناه : وعلى الأب نفقتهن وكسوتهن كما يعرف أنه العدل ، يكون ذلك أجرة لهن على الرضاع اذا كان ارضاع الولد بعد الفراق .

وقولـه تعـالى (لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا) أى لا يجبر الأب على النفقة والكسوة إلا مقدار طاقتـه . والتكليف هو الالزام .

قال الضحاك : هذا في المطلقات ، دون المزوجات [١] ، لأن الله تعالى قابل هذه النفقة بالارضاع ، ونفقة الزوجة لا تجب بالارضاع ، وانما تجب بسبب الزوجية .

قولـه عـز وجـل (لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ) :

قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب ، وسلام : برفع الراء مشددة [٢] على الخبر ، منسوقا على قولـه (لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ) . وأصله : لا تضارر ، فأدغمت الراء في الراء .

وقرأ / نافع ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي : " لا تضارّ " مشددة (٩٤/ب) منصوبة [٣] على النهي ، وأصله : لا تضارر ، فأدغمت الراء في الراء ، وحركت الى أخف الحركات وهو النصب . وتدل عليه قراءة عمر " لا تضارر " على اظهار التضعيف . [٤]

ومعنى الآية : لا تضار والدة بولدها ، فينزع الولد منها الى غيرها بعد أن رضيت بارضاعه وألفها الطفل . ولا مولود له بولده ، أى لا تلقيه هي

---

(١) أخرج الطبرى من طريق جويبر ، عن الضحاك ، قال : اذا طلق الرجل امرأته وهي ترضع له ولدا ، فتراضيا على أن ترضع حولين كاملين ، فعلى الوالد رزق المرضع والكسوة بالمعروف على قدر الميسرة ، لا نكلف نفسا الا وسعها .
تفسير الطبرى ٢/٤٩٥ ـ ٤٩٦

(٢) انظر : النشر ٢/٢٢٧ ، والبدور الزاهرة ص ٥٠

(٣) وهي أيضا قراءة أبي جعفر المدني وخلف العاشر .
انظر : المصدر زين السابقين .

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٣/١٦٧ ، والبحر المحيط ٢/٢١٥

الآيـــــة : ٢٣٣

إلى أبيه بعد أن عرفها الولد ، لتضارر الأب بذلك .(١)

وقيل معناه : لا تضار والدة بولدها فتكره على ارضاعه اذا قبل من غيرها وكرهت هـــــي رضاعه(٢) ، لأن ذلك ليس بواجب عليها .

ولا مولود له بولده ، فيحمل على أن يعطي الأم اذا لم يرضع الولد الا منها أكثر ممـــا يجب لهـا عليـــه .

وهذان القولان على مذهب الفعل المجهول ، على معنى أنه يفعل ذلك بهما ، والوالدة والمولود لـه مفعـــولان .

وأصل الكلمة " تضارر " بفتح الراء الأولى .

ويحتمل أن يكون الفعل لهما ، ويكون على مذهب من قد سمي فاعله .

والمعنى : لا تضارر والدة بولدها ، فتأبى أن ترضع ولدها ، لتشقق على أبيـــــه .

ولا مولود له بولده ، أي ولا يضار الأب أم الصبي ، فيمنعها من إرضاعه وينزعه منها .(٣)

وهـذا المذهـب أصـله : لا تضـارِر ، بكسـر الراء الأولى .

وجعل الزجاج قوله (لَا تُضَارَّ) بالنصب نهيا للوالدة عن الاضرار بالولد .

وقولـه (وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ) نهيا للوالد عن الاضرار بولـــده .

ومعنى ذلك : لا تترك الوالدة إرضاع ولدها [غيظاً](٤) على أبيه فتضـر بالولـــد ، لأن الوالدة أشفق بولدها من الأجنبية .(٥) ولا يأخذ الأب الولد من أمه قصدا الى الاضـــرار بها فيضر بولده ، ولا يمنعها الأجرة فيضر بولده .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٢٩١/١

(٢) في ط " ارضاعـه " .

(٣) قال القرطبي : هذا قول جمهور المفسرين .
انظر : تفسير القرطبي ١٦٧/٣

(٤) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجـاج ٣١٣/١

الآيـــــة : ٢٣٣

قولـه عـز وجـل (وَعَـلَىٰ الْـوَارِثِ مِثْـلُ ذَٰلِـكَ) يعني على وارث الولد اذا لم يكن لـه أب مثل ما على الأب من النفقة والكسوة و ترك الاضرار .(١)

وقال عمـر و الحسن : إنه على العصبات ، د ون أصحاب الفرائـض .(٢)

وقال قتاد ة : إنه على الوارث من العصبات و أصحاب الفرائض جميعا ،(٣) على كل واحـــد منهم بمقد ار نصيبه من الميراث ، إلا أنه لم يشترط أن يكون الوارث ذ ا رحم محـــــــرم من الولـــد . وقد شرط أصحابنا ذ لك .(٤)

قولـه عـز وجـل (فَإِنْ أَرَادَا فِصَـالًا عَن تَـرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَـاوُرٍ فَلَا جُنَـاحَ عَلَيْهِمَـا) : أى ان أراد الأبوان فطام الولد من اللبن د ون الحولين بتراضيهما وبتشاورهما فلا اثم عليهمـا فـي ذ لـك .

و عن ابن عباس : فطام الولد من اللبن د ون حولين بتراضيهما و بمشاورتهما فلا اثـــــم عليهما في ذ لـك .(٥)

---

(١) قال ابن كثير : وهو قول الجمهور . تفسير ابن كثير ٢٩١/١

وانظر : زاد المســـير ٢٧٢/١

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٥٠٠/٢ ـ ٥٠١ ، كما أخرجه الطبرى أيضا عن ابراهيم النخعي ، ومجاهـد ، وعطـاء ، وقتادة ، والضحا ك .

وانظـر : زاد المســـــير ٢٧٢/١

(٣) انظر : المصد رين السابقين .

و عزاه ابن الجوزى أيضا لابن أبي ليلى ، و الحسن بن صالح ، وإسحاق ، وأحمـــد ابن حنبـــل .

(٤) أى أن الأحناف يشترطون أن يكون ذ ا رحم محرم من ورثة المولود .

انظر : تفسير الطبرى ٥٠١/٢ ، وأحكام القرآن للجصاص ١٠٩/٢ ـ ١١٠

وحكى القرطبي عن قبيصة بن ذ ؤيب والضحالك و بشير بن نصر قاضي عمر بـــن عبد العزيز : أنهم قالوا : الوارث هو الصبي نفسه ، وتأولوا قوله (و على الـوا ر ث) : المولود ، مثل ما على المولود له ، أى عليه في ماله إذ ا و رث أباه إرضاع نفسه .

وقال سفيان : الوارث هنا هو الباقي من والد ي المولود بعد وفاة الآخر منهما ١٠ هـ .

تفســـير القرطـــبي ١٦٨/٣

(٥) هكذ ا في أ ، م منسوباً لابن عباس ، وليس كذ لك ، بل هو تكرار للكلام قبله . فنسبته لابن عباس وهم من النساخ ، وهو غير موجود في ط . وقول ابن عباس هـــو ما سيأتي بعد ه .

الآيـــــة : ٢٣٣

و عن ابن عباس معناه : ان أراد ا فصالا قبل الحولين أو بعد هما [١] بتراضيهما ، فلا جناح عليهما ، فان تشاقا رجعا الى الحولين ٠

/ وإنما سمي الفطام فصالاً ، لانفصال المولود من الاغتذاء بثدي أمه إلى غير ذلك مـــن (٩٥/أ)
الأقـــوات ٠ وأصل الفصل : القطع والتفريق ٠

قوله عز وجل (وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ) أي وان أردتم ، يعني الآباء والأمهات ، أن تسترضعوا أولادكـــم غير الوالدة ، فلا اثم عليكم اذا سلمتم من الأجرة ما تراضيتم بـــه ٠ ولهذا قالوا : ان الأم اذا لم تختر أن ترضع الولد بعد الطلاق واختارت أن يكون الولد عندها أمر الزوج أن يستأجـر ظئرا [٢] لترضعه في بيت أم الرضيـــع ٠ [٣]

قولـه تعالى (وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) :

أي اتقوا الله في الضرار و مخالفة أمر الله ، واعلموا أن الله بما تعملون من العدل والجـور في أولادكم و نسائكم بصـير عالم يجزيكم بـــه ٠

وأما تأويل ذكر الحولين في مدة الرضاع ، فأما [٤] أكثر مدته على قول أبي حنيفـــة

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٥٠٧/٢
وقال الطبرى : وأولى التأويلين بالصواب تأويل من قال : فان أراد ا فصالا في الحولين عن تراض منهما وتشاور ، لأن تمام الحولين غاية لتمام الرضاع وانقضائه ، ولا تشاور بعد انقضائه ، وانما التشاور والتراضي قبل انقضاء نهايته ١٠ هـ ٠
تفسير الطبرى ٥٠٧/٢
وانظر هذا المعنى في تفسير القرطبي ١٧١/٣ ــ ١٧٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٩١/١

(٢) الظئر : المرضعة غير ولدهـــا ٠

(٣) انظر : أحكام القرآن للجصـــاص ١٠٦/٢ ــ ١٠٧

(٤) في ط ترتيب الكلام كالتالي : " وأما تأويل ذكر الحولين في مدة الرضاع يجوز علـى قول أبي حنيفة على بيان مقدار استحقاق نفقة الرضاع ، فأما أكثر مدة الرضـــاع وثبوت حكم الحرمة ثلاثون شهرا على مذهبـــه " ٠

الآيـــــة : ٢٣٣

فعلى بيان مقدار استحقاق نفقة الرضاع • وثبوت حكم الحرمة فثلاثون شهـــــــرا على مذهبـــــه .(١)

وعن ابن عباس أنه كان يقول في قوله (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا)(٢) : بيان أقل مدة الحمل وأكثـــر مدة الرضاع ، لأن الله تعالى قال في آية أخرى : (وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ) • وكان يقول : اذا كان الحمل لستة أشهر كان مدة الرضاع سنتين ، وان(٣) كان الحمل تسعة أشهر كان الرضاع سنة وتسعة أشهر(٤) ، وعلى هذا مهما زاد في الحمـــل شهرا نقص بازائه من الرضاع • وهذا يقتضي أن الحمل اذا بلغ سنتين أن المـــــرأة لا ترضع ولدها الا ستة أشهر •

---

(١) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١١٤/٢

قلـت : الذى عليه أكثر أهل العلم أن الرضاع الذى تثبت به الحرمـة هو ما كـان دون الحولين ، لا فوقهما •

واستدلوا بما أخرجه الترمذى من حديث أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى اللـه عليه وسلم : " لا يحرم من الرضاعة الا ما فتق الأمعاء في الثدى ، وكان قبـــل الفطام • قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أكثر أهـــل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم : أن الرضاعة لا تحرم إلا مـــا كان دون الحولين • وما كان بعد الحولين الكاملـــين فإنه لا يحرم شيئاً •

انظر : سنن الترمذى : كتاب الرضاع : باب ما جاء أن الرضاعة لا تحـــرم إلا في الصغر ، دون الحولين • رقم الحديث ١١٥٢

وانظر : المغني لابن قدامة ٥٤٢/٧ ، وتفسير القرطبي ١٦٢/٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٩٠/١

(٢) الأحقـــاف ١٥

(٣) في م " واذا " •

(٤) أخرجه الطبرى في تفسيره ٤٩١/٢ من طريق عكرمة عن ابن عباس • ولفظـــــه : عن ابن عباس في التي تضع لستة أشهر أنها ترضع حولين كاملين ، وإذا وضعـــت لسبعة أشهر أرضعت ثلاثة وعشرين لتمام ثلاثين شهرا ، واذا وضعت لتسعة أشهر أرضعت واحداً وعشرين شهرا •

الآيـــــة : ٢٣٣ ، ٢٣٤

وكان أبـو حنيفـة يحمـل قولـه (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) علـى ذكـر الحمـل على الأيـدى ، مع بيـان مدة أكثـر الرضـاع .(١)

(٢٣٤) قولـه عـز وجـل (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) :

معناه : إن الذين يموتون منكم و يتركون نسـاء من بعدهم ، ينتظرن (٢) في عدتهـن مضي أربعة أشهر و عشراً لا يتزوجن ولا يتزيّـن في هـذه المـدة .

وقـولـه تعـالى (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) أي إذا انقضت عدتهن (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)(٣) أي لا حرج عليكم في تركهن بعد انقضـاء المـدة ليتزيّن زينـة لا ينكر مثلها و يتزوجن من الأكفاء و يفعلن كل معروف .

قـولـه تعـالى (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) أي بما تعملون من الخير والشر عالم يجزيكم بـــــه .

فان قيل : " الذين " اسم موصول ، و " يتوفون " و " يذرون " من صلته وجملته مبتدأ ، و " يتربصن " فعل الأزواج لا فعل " الذين " ولا فيه ضمير عائد الى " الذين " ، فيبقى المبتدأ بلا خبر ، والمبتدأ لا يخلو من خبر اسما كان أو فعلا ، وليس من ذلك ههنا شيء ؟

قيل : قال أبو العباس السراج (٤) : في الآية ضمير تقديره : أزواجهم يتربصن / لأن الفعـل (٩٥/ب) يدل على الفاعـــــل .

---

(١) انظر نحو هذا المعنى في أحكام القرآن للجصاص ١١٦/٢

(٢) في أ ، م " ينتظرون " . والتصويب من ط .

(٣) قوله تعالى (بالمعروف) ساقط من أ ، م . ومثبت في ط .

(٤) هو محمـــد بن اسحاق بن ابراهيم بن مهران ، الامام الحافظ الثقة ، محـــدث خراسان ، أبو العباس الثقفي مولاهم الخراساني النيسابوري ، حدث عنه البخاري ومسلم في غير الصحيحين . مات سنة ٣١٣ .

انظر : سـير اعـلام النبـلاء ٣٨٨/١٤ ـ ٣٩٧

ولم أجد ما حكاه عنه المؤلف في الآيـة منسوبا اليـه ، بل نسبوه لأبي العباس المبرد .

انظر : اعـراب القرآن لأبي جعفـر النحاس ٣١٨/١ ، والبحر المحيط ٢٢٢/٢ والـدر المصـــــون ٤٧٧/٢

الآيـــــة : ٢٣٤

وقال الأخفش : تقد يره : يتربصن من بعد [هم][1] أربعة أشهر ، حتى يكـــون الضمير عائداً إلى " الذ ين " .

وذكر الزجاج أن النون في قوله (يَتَرَبَّصْـنَ) قائم مقام الأزواج ، كناية عنها لا محالـــة ، فصار كالتصريح . وهذ ا كما يقال : الذ ى يموت ويخلف ابنتين يرثان الثلثين ، معنـــاه : يرث ابنتاه الثلثين .[2]

قوله تعالى (وَعَشْـرًا) : ظاهر لفظ العشر يتناول الليالي ، ألا ترى أنه يقال للأيـام " عشرة أيام " وإنما غلب لفظ التأنيث في الآية ، فقيل " عشرا " لأن العرب تقـــد م الليل على النهار ، ويعد ون أول كل شهر من الليلة .

ألا تراهم يصلون التراويح إذ ا رأوا الهلال ، ويد عونها إذ ا رأوا هلال شوال .

ومن عاد تهم أنهم إذ ا ذكروا أحد العد د ين على سبيل الجمع أراد وا مثله من العد د الآخر ، كما قال تعالى في قصة زكريا عليه السلام (قَـالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّـــامٍ إِلَّا رَمْـزًا)[3] ، وقال في موضع آخر (ثَلَـٰثَ لَيَـالٍ سَوِيًّا)[4] والقصة واحـــد ة .

فعبر تارة بالأيام عن الليالي ، وتارة[5] بالليالي عن الأيام .

ويقال : الحكمة في تقد ير عد ة الوفاة بأربعة أشهر و عشـــر :[6] ما روى عن عبد الله بـــن مسعود أنه قال : يجمع خلق أحد كم في بطن أمه أربعين يوما نطفة وأربعـــين[7] يومـــا علقـــة ثم أربعين يوما مضغـــة ، ثم ينفخ فيه الروح في عشرة أيام ، فيكتب أجله ورزقه ،

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط ، م .
وفي معاني القرآن ٣٧٢/١ " يتربصن بعد موتهم " .

(٢) انظر : معاني القرآن ٣١٥/١ ــ ٣١٦

(٣) آل عمـــــران : ٤١

(٤) مريـــــــم : ١٠

(٥) في ط " و عبر تارة " .

(٦) في ط " و عشـــرا " .

(٧) في ط " ثم أربعين يوما " .

الآيـــــة : ٢٣٤

وأنــه شقي أو سعيــد .(١) فيجوز أن الله قَدَّرَ هـذه [المـدة](٢) في عدة الوفاة ، ليظهـر أنها حامـل أو حـائل .

واختلفوا في عدة الحامل : فقال عمـر ، وابن مسعود ، و عبد الله بن عمر ، وأبو هريـــرة رضي الله عنهم :إن الحامل تخرج من هذه العدة إذا وضعت (٣) وان كان زوجها عـــلى السرير ، حتى قال ابن مسعود : من شاء باهلته (٤) أن قوله تعالى (وَأُولَاتُ(٥) الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) (٦) نزل بعد قوله (أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) .

---

(١) في أ " أو سعيدا " بالنصب . والتصويب من ط ، م .
وحد يث ابن مسعود أخرجه الشيخان و غيرهما مرفوعا ، وليس موقوفا على ابـــن مسعود كما ذكر المؤلـف .
ولفظه : قال عبد الله بن مسعود : حد ثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وهـو الصاد ق المصد وق ، قال : " إن أحدكم يجمع خلقـه في بطن أمه أربعـــين يومـــاً ، ثم يكون علقـة مثل ذ لك ، ثم يكون مضغـة مثل ذ لك ، ثم يبعـث الله ملكاً فيؤمر بأربـع كلمـات ، ويقال له : اكتب عملـه ، ورزقـه ، وأجـله وشقي أو سعيـد ، ثم ينفخ فيه الروح ... " . الحد يث .
انظر : صحيح البخـارى : كتاب بد ء الخلق : باب ذكر الملائكـة .
و مسلم في كتاب القد ر : باب كيفية خلق الآد مي في بطن أمـه .
وليس فيه : " ثم ينفخ فيه الروح في عشرة أيام " .
وقد أخرج الطبرى عن سعيد بن المسيب ، وأبي العالية أنهما قالا : ينفخ فيـــه الروح في العشـــر . انظر : تفسير الطبرى ٥١٦/٢

(٢) ما بين المعقوفتين من ط .

(٣) في ط " اذا وضعت حملها " .

(٤) المباهلة : الملاعنة ، وهو أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء ، فيقولوا : لعنـة الله على الظالم منا . انظر : النهاية ١٦٧/١ (بهـل) .

(٥) قوله تعالى (وأولـات) ساقط من أ .

(٦) الطـلاق ٤ والقول بأن عد ة الحامل للوفاة هي وضع الحمل هو قول جمهـــور العلماء . انظر : شرح السنة للبغوى ٣٠٥/٩ ، وأحكام القـــرآن للجصاص ١١٩/٢ ، وتفسير القرطبي ١٧٤/٣ ــ ١٧٥ ، وفتح البارى ٣٨٤/٩ ــ ٣٨٥ والمغني ٤٧٣/٧ ــ ٤٧٤
قال ابن قد امـة : " أجمعوا على أن المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملاً أجلها =

الآيـــــة : ٣٣٤

وقال علي : عدة الحامل المتوفى عنها زوجها تنقضي [١] بأبعد الأجلين . [٢]

وعن عمرو بن شعيب [٣] ، عن أبيه ، عن جده قال : قلت : يا رسول الله (وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) في المطلقة أو المتوفى عنها زوجها ؟

قال صلى الله عليه و سلم : " فيهما جميعا " . [٤] كذا في تفسير عبد الصمد . [٥]

= وضع حملها .... وقالوا : لو وضعت بعد ساعة من وفاة زوجها حل لها أن تتزوج ، ولكن لا يطؤها زوجها حتى تطهر من نفاسها وتغتسل ... " .

(١) في أ " يقتضي " . والتصويب من ط .

(٢) انظر المصادر السابقة .

(٣) هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، صدوق ، مات سنة ثماني عشرة ومائة . التقريب ص ٤٢٣

(٤) أخرجه عبد الله بن الامام أحمد في زوائد المسند ١١٦/٥

وهو من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن أبيّ بن كعب قال : قلت للنبي صلى الله عليه و سلم (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) للمطلقة ثلاثا وللمتوفى عنها ؟ قال : " هي للمطلقة ثلاثا وللمتوفى عنها " .

وأخرجه أيضا الدارقطني في سننه ٣٩/٤ بالسند المذكور .

قال الحافظ ابن كثير : هذا حديث غريب جدا ، بل منكر ، لأن في اسناده المثنى ابن الصباح ، وهو متروك الحديث بمرة . تفسير ابن كثير ٤٠٨/٤

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٥ وقال : فيه المثنى بن الصباح ، وثقه ابن معين ، وضعفه الجمهور .

(٥) لم أقف على تفسير لأحد بهذا الاسم . ولم يتبين لي من هو عبد الصمد المذكور .

الآيـــــة : ٢٣٤

وروى أن سبيعـــة بنت الحارث (١) وضعت حملها بعد [وفاة] (٢) زوجها بأيام ، فأرادت أن تتزوج ، فمرّ بها أبو السنابل (٣) فقال : أتريدين أن تتزوجي ؟ قالت : نعم . قـــال : كلا ، إنـه آخر الأجلين . فأتت النبي صلى الله عليه و سلم فذكرت له ، فقال صلى الله عليه و سلم : " كذب أبو السنابـل ، اذا أتاك من يريد ذلك فأعلميني " . (٤)

---

(١) هي سبيعة بنت الحارث الأسلمية ، زوج سعد بن خولة ، لها صحبة و حديث في عدة المتوفى عنها زوجها ، حديثها في الصحيحين و غيرهمـــا .

انظر : الاصابة ٣١٧/٤ ، والتقريب ص ٧٤٨

(٢) ما بين المعقوفتـــين من ط .

(٣) هو أبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عبد الدار القرشي ، اختلف في اسمه فقيل : عمرو ، وقيل : لبيد ربـه ، وقيل : حبـة ، وقيـل : حنـة ، وقيـل : عامـــر ، وقيل : أصـــرم .

وهو صحابي مشهور من مسلمة الفتح ، أقام بمكة حتى مات . أخرج له الترمـــذي و النسائي ، و ابن ماجـه . وثبت ذكره في الصحيحين في قصة سبيعة الأسلمية .

انظر : الاصابـة ٩٦/٤ ، وفتح الباري ٣٨٢/٩ ، والتقريب ص ٦٤٦

(٤) أخرجه الامام أحمد في المسند ٤٤٧/١

والبغوي في شرح السنة ٣٠٤/٩

وأخرج نحوه البخاري ومسلم ، وفيه : " أن سبيعة بنت الحارث كانت تحت سعد بن خولة ، وهو من بني عامر بن لؤي ، وكان ممن شهد بدرا ، فتوفي عنها في حجـــة الوداع ، وهي حامل ، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته ، فلما تعلت مـــن نفاسها تجملت للخطاب ، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك ، رجل مـــــن بني عبد الدار ، فقال لها : ما لي أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح ، فانـــك ـ والله ـ ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر و عشر . قالت سبيعة : فلمـا قال لي ذلك جمعت عليّ ثيابي حين أمسيت ، وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك ، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالـــــتزوج ان بدا لي " .

انظر : اللـــؤلـؤ والمرجـــان ١٢١/٢ ـ ١٢٢

الآيـــــة : ٢٣٤

و جميع أهل التفسير على أن هـذ ه الآية ناسخة لقوله ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ (١) / وان كانت هذ ه الآيـــة (٩٦/أ) متقد مة على تلك الآيـة في التـلاوة . (٢)

وأجمع الفقهاء الا أبا بكـر الأصـم (٣) : أن أربعة أشهر و عشرا عد ة الحرة د ون الأمـة ، وأن عـد ة الأمة تنقضي بشهرين و خمسـة أيام . (٤)

---

(١) البقـــرة ٢٤٠

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٥٨٢/٢ ، وتفسير البغوى ٢١٣/١ ، والناسخ والمنســوخ لأبي جعفر النحاس ص ٦٩ ـ ٧٠ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزى ص ٢١٤ ، وتفسـير القرطـبي ١٧٤/٣

وذكر الحافظ ابن كثير عن بعض السلف أن هذ ه الآيـة ـ وهي قوله تعالى ﴿ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ ـ لم تد ل على وجوب الاعتد اد سنة كما زعمـه الجمهور حتى يكون ذ لك منسوخاً بالأربعة الأشهر و عشر ، وإنما د لت عـلى أن ذ لك كان من باب الوصـاة بالزوجات أن يمكن من السكنى في بيوت أزواجهـن بعد وفاتهـم حولاً كاملاً إن اخترن ذ لك ... فأما إذ ا انقضت عد تهن بالأربعـة أشهر و العشر أو بوضع الحمل ، واخترن الخروج والإنتقال من ذ لك المنزل فإنهـن لا يمنعن من ذ لك ، لقوله تعالى (فإن خرجـن فلا جناح عليـكم فيما فعلـن في أنفسهن من معروف) .

ثم قال ابن كثير : وهذ ا القول له اتجاه ، وفي اللفظ مساعد ة له ، وقـد اختـاره جماعـة منهم الامام أبو العباس ابن تيميـة .

تفسـير ابن كثـير ٣٠٤/١

(٣) هو عبد الرحمن بن كيسان ، أبو بكر الأصم ، فقيه معتزلي مفسر ، كان فصيحـاً ورعـاً ، له تفسير ، ومقالات في الأصول ، توفي نحو سنة ٢٢٥ هـ .

انظر : الأعـــلام ٣٢٣/٣

(٤) انظـــر : الاجمـاع لابـن المنـذ ر ص ١١٠

وأحـكام القـرآن للجصـاص ١٢٠/٢ ، وأحـكام القـرآن لابـن العربـي ٢٨٣/١

الآيـــــــة : ٢٣٤، ٢٣٥

وكان أبو بكر الأصـــم يقول : ان عدتهما جميعا تنقضي بأربعة أشهر وعشرا ، فان ولـــد الأمـــة انما ينفخ فيه الروح في الوقت الذى ينفخ فيه الروح في ولد الحرة .

والجواب عن هـذا أن يقال : ان خبر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من أخبـــار الآحاد لا يوجـب حقيقـــة العـــلم .(١)

ولما أجمعوا على أن الرق ينصف عدد الأقراء ، وعدة الشهور في الآيسة والصغيرة ، كذلك وجـب أن تنتصف عدة الوفـــاة .

(٢٣٥) قوله عز وجل ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ الآيـــة .

قال ابن عباس : التعريض هو أن يقول الرجل للمعتدة : اني أريد النكاح ، وأحب المـــرأة من صفتها كذا وكذا ، فيصفها بالصفة التي هي عليها حتى تعلم رغبته فيها .(٢)

وقيل : هو أن يقول لها : انك لتعجبيني ، وأرجو أن يجمع الله بيني وبينك .

أو يقول : يا ليت لي مثلك وان قضى الله أمرًا كـــان .

ومعنى الآيـة : ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء اللواتي هن في عدة موت (٣) أو طـلاق بائن أو ثـلاث .

قولـه عز وجـل ﴿ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ معناه : أو أضمرتم في قلوبكم العزم على النكاح .

قولـه تعالى ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ : أى علم الله أنكم ستذكرونهن في العدة لرغبتكم فيهن ، وخوفكم لسبق غيركم اليهـــــن .

---

(١) قلـــت : الذى عليه المحققون من العلماء أن أخبار الآحاد الصحيحة توجب العـــلم والعمل معًا في الفروع والأصول .

انظر : الكفاية للخطيب البغدادى ص ٦٦ ، ٧٢ ، وفتح البارى ٢٤٧/١٣ واحكام الأحكام لابن حزم ١١٩/١ ، ومختصر الصواعق المرسلة ص ٤٥٦ وما بعدها .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٥١٧/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٩٣/١

(٣) في أ " موات " . والتصويب من ط .

الآيـــــة : ٢٣٥

(وَلَٰكِـن لَّا تُوَاعِـدُوهُـنَّ سِـرًّا) [١] أي لا تواعدها [٢] أي الخاطب في السر ، ولا توثقها ألا [٣] تتزوج غيرهـــــا . [٤]

وقيل : لا تواعدها في السر تصريحـــا .

وقيل : المراد بالسر : الجماع ، لأنـه لا يكون الا في السر .

كأنـه يقول [٥] : لا يبعث الخاطب نفسه لها ليرغبها في نفســه . [٦]

قولـه عـز وجـل (إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا) أي الا أن تعرضوا بالخطبة كنايـــة من غير افصـــاح .

قولـه عـز وجـل (وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) : أي لا تعزموا على عقدة النكاح ، حذف " على " للتخفيف ، كما يقال : ضربت [٧] فلانا ظهره وبطنه ، أي على ظهره و على بطنه .

ومعنى (حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) أي حتى يبلغ فرض المطلقات أجله ، أي حتى تنقضي العدة ، فان العدة فرض القرآن .

---

(١) لفظة " سرا " في الآيـة ساقطة من أ .

(٢) في ط " لا تواعدوها " ، وفي م " لا يواعدوها " .

(٣) في أ " أي لا يتزوج " ، وفي م " أي أن لا يتزوج " .
والمثبت من ط .

(٤) في ط " غيرك " .

(٥) في ط " قال " .

(٦) وقال ابن كثير ـ بعد أن ذكر الأقوال في ذلك ـ : وقد يحتمل أن تكون الآيـــة عامة في جميع ذلك .
وانظر : تفسـير الطـبرى ٥٢٢/٢ ـ ٥٢٤ ، وتفسير القرطـــبي ١٩٠/٣ وتفســـير ابن كثـــير ٢٩٤/١

(٧) في ط " ضرب فلان بطنـه و ظهره " .

الآيـــــة : ٢٣٥ ، ٢٣٦

قولـه تعـالى (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ)

أي يعلم ما في قلوبكم من الوفاء و غير ذلك ، فاحذروه أن تخالفوه فيما أمركم [به] (١) و نهاكم عنه .

قولـه تعـالى (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) أي غفور لمخالفتكم ان تبتم ، حليم حين لم يعجل عليكم بالعقوبة .

والتعريض في اللغة : هو الايماء و/ التلويح والدلالة على الشيء من غير كشف (٩٦ / ب) ولا تبيين ، نحو أن يقول الرجل لغيره : ما أقبح البخل ، يعرضه لذلك .

والخِطبة : بكسر الخاء : هي الكلام الذى يستدعى به الى النكاح .

والخُطبة : بالضم : هو الكلام المؤلف ، اما لموعظة (٢) أو دعاء الى شيء .

والكناية : هي الدلالة على الشيء ، مع العدول عن الاسم الأخص الى لفظ آخر يدل عليه ، نحو أن يكني عن زيد فيقول لغيره : ما أبخل صديقك ، وما أبخل الذى كنا عنده .

والاكنان : هو الستر ، تقول في كل شيء سترته : أكننته ، وفيما تصونه : كننته .

قال الله تعالى (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) (٣) أي مصون .

(٢٣٦) قولـه عز وجل (لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ) :

أي لا حرج عليكم إن طلقتم النساء ما لم تجامعوهن أو تسموا لهن مهرا .

(وَمَتِّعُوهُنَّ) أي متعوا اللاتي طلقتموهن قبل المسيس والفرض ، على الغني بمقداره غناه ، و على الفقير (٤) بمقدار طاقته .

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط .

(٢) في م " بموعظة " .

(٣) الصافات ٤٩

وانظر : معاني القرآن للزجاج ٣١٧/١ ، وتفسير الطبرى ٥٢٠/٢

(٤) في ط " المقتر " .

الآيـــــــة : ٢٣٦

قـولـه تعـالى (مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ) أي ما يعرفون أنـه القصـد وقـد ر الامكان (حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ) أي واجبا على المؤمنين .

انتصب " متاعا " على المصد ر من قوله تعالى (وَمَتِّعُوهُنَّ) .

ونصب " حقا " على الحال من قوله (بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا) تقد يره : عرف حقا .

ويجوز أن يكون نصبا على معنى : حق ذ لك عليهم حقا .

وفي الآيـة د لالـة (١) جواز النكاح بغير تسمية المهر ، لأن الله تعالى حكم بصحة الطـــلاق مع عد م التسمية ، والطلاق لا يصح الا في نكاح صحيح . (٢)

ومعنى (أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً) أي ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضـة .

وقد تكون " أو " بمعنى الواو ، كقوله (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا) . (٣)

وكذ لك قوله (وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ) (٤) .

المعنى : وجاء أحد منكم من الغائط .

وأعلى المتعة خادم وثياب وورق ، وأدناها خمار ودرع وملحفـة . (٥)

ولا يجاوز بالمتعة نصف مهر المثل بغير رضا الزوج . (٦)

---

(١) في ط " د لالـة على جواز " .

(٢) انظر : زاد المسير ٢٧٩/١ ، وتفسير القرطبي ١٩٧/٣

(٣) الانســـان ٢٤

(٤) النســـاء ٤٣

(٥) روى نحو هـذ ا عن ابن عباس ، والشعبي ، وابن سيريـن .
انظر : تفسير الطبرى ٥٣٠/٢ ــ ٥٣١ ، وتفسير ابن كثير ٢٩٥/١

(٦) قال أبو بكر الجصاص الحنفي في أحكام القرآن ١٤٤/٢ :
" وقال أصحابنا : إنه إذ ا طلقها قبل الد خول ولم يسم لها ، وكانت متعتها أكثـر من نصف مهـر مثلها أنها لا تجاوز بها نصف مهر مثلها ، فيكون لها الأقـل مـن نصف مهر مثلها ومن المتعـة " .
وذ هب مالك ، والشافعي ، وأحمـد : أن ذ لك يكون على قد ر يسار الزوج وإعساره ، من غير تحد يد في قليلها أوكثيرها .
قلـــت : وهذ ا هو الموافق لظاهر قوله تعالى (على الموسع قد ره و على المقـتر قد ره) . انظر : تفسير القرطبي ٢٠١/٣ ، وزاد المسير ٢٨٠/١ ، وتفســـير ابن كثـــير ٢٩٥/١

الآيـــــة : ٢٣٦

وقـــد اختلف السلف في أن هذه المتعة هل يجبر الزوج عليها أم لا : [1]

قال شريح [2] : إن القاضي يأمر الزوج بها من غير أن يجبره عليها ، وكان شريح يقـــول للزوج : ان كنت من المتقين أو من المحسنين فمتعها . [3]

وأما عندنا [4] : فإن القاضي يجبر الزوج على المتعة للمرأة التي طلقها قبل المسيـــس والفرض ، لأن الله تعالى قال (حَقًّا) . وليس في ألفاظ الايجاب آكد من قولهـــم : حقا عليـــه . [5]

وفي قوله (عَلَى الْمُحْسِنِينَ) بيان أنها من شروط الاسلام ، وعلى كل أحد أن يكـــون محسنا ، كما قال تعالى (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) وهو هدى للناس كلهم .

وقيل : انما خص المحسنين / بالذكر تشريفا لهم ، لا أنه [6] لا يجب على غيرهـــم ، (٩٧/أ)

فوصف المؤمنين بالاحسان لأن الاحسان أكثـــر [7] أخلاقهـــم .

---

(١) في ط " في هذه المتعة " بغير " أن " . وهو أولى .

(٢) هو شريح بن الحارث بن قيس الكوفي النخعي ، القاضي ، أبو أمية ، مخضـــرم ثقـــة ، وقيل : له صحبة ، مات قبل الثمانين أو بعدها .

انظر : التقريب ص ٢٦٥ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ٨٠

(٣) انظر : تفسير البغوي ٢١٨/١

(٤) أي الأحنـــاف .

(٥) انظر : أحكام القرآن للجصـــا ص ١٣٧/٢

(٦) في النســـخ " لأنـــه " . والمثبـــت هـــو الصـــواب ، لموافقتـــه الســـيـــاق .

(٧) في ط " أكـــبر " .

الآيـــــة : ٢٣٧

(٢٣٧) قـولـه تعـالى (وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ) :

معناه : وان طلقتموهن من قبل أن تجامعـوهـن وقد سميتم لهـن مهرا ، فعليكم نصـــف ما سميتم من المهر ، الا أن يتركن ما وجب لهـن من الصداق ، بأن تقول احداهـــن : ما مسني ولا قربني فأدع لـه المهـــر .

قـولـــه (أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) : ذهب أكثر المفسرين الى أن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج (١) ، وعفوه : أن يترك لها جميع الصداق ولا يرجع عليهـــا بشيء منه اذا كان قد أعطاها مهرها ، وان لم يكن أعطاها فعفوه : أن يتفضل عليها ، بأن يتم لها جميع مهرها .

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله : وهذا هو الجديد من قولي الشافعي ، ومذهب أبي حنيفة وأصحابه والثوري وابن شبرمة والأوزاعي ، واختاره ابن جرير . ومأخذ هذا القول : أن الذي بيده عقدة النكاح حقيقة الزوج ، فإن بيده عقدها وإبرامها ونقضهـــا وانهدامها . ا هـ . تفسير ابن كثير ٢٩٦/١

وانظر : تفسير الطبري ٥٤٩/٢

قلـــت : وروي هذا المعنى مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم من طريـــق ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ولي عقدة النكاح هو الزوج " .

أخرجه الدارقطني في سننه ٢٧٩/٣

وأخرجه أيضا ابن أبي حاتم ـ فيما ذكره ابن كثير ـ من الطريق المذكور .

وقال ابن كثير : " وهكذا أسنده ابن مردويه من حديث عبد الله بن لهيعة بـه ، وقد أسنده ابن جرير عن ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب أن رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ... فذكره . ولم يقل عن أبيه عن جده . فالله أعلم " . ا هـ .

تفسـير ابن كثـــير ٢٩٦/١

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد مرفوعاً بلفظ " الذي بيده عقدة النكاح الزوج " .

قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف .

مجمع الزوائد ٣٢٠/٦

قلـــت : قد عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٩٩/١ لابن جرير وابن أبي حاتـــم

الآيـــــة : ٢٣٧

وقد يكون الصداق عبدا بعينه أو عرضا بعينه لا يمكن تمليكه بالاسقاط والابراء من واحـــد من الجانبين ، فيكون معنى العفو في ذلك : الفضل ٠

وفي الآيـة ما يدل على ذلك وهو قوله (وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) ٠

وانما ندب الزوج الى تتميم الصداق لأنه اذا تزوجها ثم طلقها فقد فعل ما يشينها ، فكان أفضل [١] أن يعطيها مهرهـــا ٠

وذهب بعضهم : الى أن الذى بيده عقدة النكاح هو ولي المرأة [٢] ، حتى قال مالـــك : لأبي البكر أن يسقط نصف الصداق عن الزوج بعد الطلاق قبل الدخول ٠ [٣]

والصحيح : هو [٤] الأول ، لأن قوله (عُقْدَةُ النِّكَاحِ) يقتضي عقدة موجودة ، والزوج هـو الذى يملك استدامة النكاح وحله ، وهو الذى يملك العقد على نفسه من غير ولي يحتـاج اليـه ، وتكون عقدة النكاح على الحقيقة بيد الزوج ٠

وأما ولي المرأة فلا يملك العقد عليها الا برضاها ، ولا يملك اسقاط سائر حقوقهـــا ٠

قولـه عز وجل (وَأَن تَعْفُوَا أَقْرَبُ لِلتَّقْـوَى) : ندب الله كل فريق من الزوج والمرأة الى العفو ، كأنه قال : أيهما عفا عن صاحبه فقد أخذ بالفضل ٠

وقولـه تعـالى (أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) : أى أقرب الى أن يتقي أحدهما ظلم صاحبه ، فان مـن ترك حقه كان أقرب الى أن لا يظلم غيره بطلب ما ليس له ٠

ومن بذل [٥] النفل كان أقرب الى بذل الفرض ٠

= والطبراني في الأوسط والبيهقي مرفوعا ٠
و حسـن السيوطي اسناده ٠
و عبد الله بن لهيعة قال عنه الحافظ في التقريب ص ٣١٩ : " صدوق ، من السابعة خلط بعد احتراق كتبـه " ٠

(١) في ط ، م " الأفضل " ٠
(٢) روي هذا عن جماعة من السلف ، وهو مذهب مالك ٠
قال ابن كثير : ومأخذه : أن الولي هو الذي أكسبها إياه ، فله التصرف فيه بخـلاف سائر مالها ٠ تفسير ابن كثير ٢٩٦/١
واختاره ابن العربي والقرطبي ٠ انظر : أحكام القرآن ٢٩٥/١ ، وتفسير القرطبي ٢٠٧/٣
(٣) انظر : تفسير القرطبي ٢٠٧/٣
(٤) في ط " هو القول الأول " ٠
(٥) في أ " يدل " ٠ والتصويب من ط ، م ٠

الآيـــــة : ٢٣٧

قولـه تعـالى (وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) أي لا تتركوا الإحسان والإنسانية فيما بينكم (إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) أي بما تعملون من الفضل والاحسان بصير عالم يجزيكم به .

ونسيان الفضل : هو الاستقصاء في استيفاء الحق على الكمال ، حتى لا يترك شيئا من حقه على صاحبـــــــه

وظاهر هذه الآية يقتضي أن الزوج اذا كان سمى لها مهراً بعد عقد النكاح ثم طلقها أن المسمى يتنصف . واليه ذهب مالك والشافعي .(١)

وهو قول أبي يوسف الأول ، ثم رجع الى قول أبي حنيفة / ومحمد فكان المراد بهذه (٩٧/ب) الآية على قولهم : أن يكون الفرض في نفس العقد ، لأن التسمية بعد تمام عقد النكاح تقدير لمهر المثل أو بدل عنه ، فيسقط بالطلاق قبل الدخول ، فتجب المتعة .(٢)

وقد ذهب أبو حنيفة وأصحابه الى أن المراد بقوله تعالى (مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ) نفس المسيس أو ما يقوم مقامه ، فإنه إذا [خلا] (٣) بها خلوة صحيحة ، نحو أن لا يكون أحدهما محرماً ولا مريضاً ولا صائماً صوم فرض ، ولا تكون المرأة حائضاً ولا رتقاء (٤) ، ثم طلقها وجب لها المهر كله وان لم يدخل بها .(٥)

---

(١) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٢٩٢/١ ـ ٢٩٣ ، وأحكام القرآن للكيا الهراسي ٢٠٦/١

(٢) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١٤٥/٢

(٣) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٤) في أ " رتقا " بالتنوين . والتصويب من ط ، م .
والرتق : ضد الفتق . يقال : امرأة رتقاء : أي لا يستطاع جماعها ، أو لا خرق لها إلا المبال خاصة . القاموس المحيط : مادة (رتق) .

(٥) وهو مذهب مالك ، وأحمد ، والشافعي في القديم .
وذهب الشافعي في الجديد إلى أنه إذا خلا بها ولم يمسها ثم طلقها فليس لها إلا نصف المهر .
انظر : تفسير القرطبي ٢٠٥/٣ ، والمغني ٧٢٤/٦ وتفسير ابن كثير ٢٩٦/١

الآيـــــة : ٢٣٧ ، ٢٣٨

كما روى عن زرارة بن أبي أوفى أنه قال : أجمع الخلفاء الراشدون المهديون أن من أغـــلق على امرأتـه بابا وأرخى سترا ثم طلقها ، وجب لها الصداق كاملا و عليها العدة .(١)

وفرق عمر رضي الله عنه بين العنين وامرأتـه ، وأوجب عليه المهر ، وقال : ما ذنبهـن إذا جاء العجـز من قبلكـم .(٢)

(٢٣٨) قولـه عز وجـل (حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ) :

أي واظبوا و داوموا على الصلوات المفروضة في مواقيتها و شروطها .

قولـه تعالى (وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ) اختلفوا فيها :

فعن ابن عباس ، وأبي هريرة ، و عبد الله ، والحسن ، والنخعي ، وقتادة ، وأبي أيوب ، والضحاك ، والكلبي ، و مقاتل : أنها صلاة العصـــر .(٣)

يدل عليـــه ما روى سمرة بـن جنـدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنـه قـــال :

---

(١) ذكره الحافظ في التلخيص ١٩٣/٣ و عزاه لأبي عبيد في كتاب النكـــــاح .
وفيه " قضى الخلفاء " بدل " أجمع الخلفاء " .
كما عزاه السيوطي لسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، والبيهـــقي .
انظر : الدر المنثـــور ٧٠٢/١

(٢) انظـــر : أحـكام القـــرآن للجصـــاص ١٤٩/٢
وانظر معنـــاه عن عمـــر في المغـــني ٧٢٦/٦

(٣) ونقل القرطبي وابن كثير عن عدد من الأئمـة الحفاظ : أن هـذا هو قول أكثر علمـاء الصحابـة و غيرهم ، وهو قول جمهور التابعين و أكثر أهل الأثـــر .
وهو مذهب الإمام أحمـــد ، والشافعي ، والصحيح عند أبي حنيفـة وأبي يوســف ومحمـــــد . واختاره ابن حبيب ، وابن العربي ، وابن عطية من المالكية .
تفســـــير القرطـــــبي ٢١٠/٣ ، وتفســـير ابن كثير ٢٩٨/١
وانظر : شرح السـنة للبغوى ٢٣٦/٢ ، وزاد المسير ٢٨٢/١ ، وشرح النووى عـــلى مســـــلم ١٢٨/٥ ، وفتح البارى ٤٤/٨

الآيـــــة : ٢٣٨

" الصـلاة الوسـطى هي العصـــر " .(١)

وفي بعض الأخبار : هي التي فرط فيها سليمـان .(٢)

و عن هشام بن عروة (٣) عن أبيه قال : كان في مصحف عائشة رضي اللـــه عنهـــا :

---

(١) أخرجه أحمـد في مسنـده ٧/٥

والترمذ ى في سننه : كتاب التفسير : باب : ومن سورة البقرة ٠ حد يث ٢٩٨٣

وقال : حـد يث حسن صحيـــح ٠

(٢) قال الحافظ ابن حجر في تخريجه لآحاد يث الكشاف : " أخرجه ابن عد ى في الكامل عن علي مرفوعـــا ٠٠٠٠٠ وفي اسناد ه مقاتل بن سليمان ، وهو ساقط ٠

ورواه ابن أبي شيبـة من روايـة أبي إسحـاق عن الحـارث بن علي مرفوعـــا ٠

الكشـــــاف ٢٨٧/١ (هامش)

وقال ابن كثير : وقولـه تعالى (فقال إني أحببـت حب الخـير عـن ذكـر ربـي حتى توارت بالحجـاب) الآيـة ٣٢ من سـورة صٓ : ذكر غير واحـد مـن السـلف والمفسريـن أنـه اشتغل بعرضهـا حتى فات وقت صلاة العصر ، والـذي يقطـع بـه أنه لم يتركهـا عمـداً ، بل نسياناً ، كما شغل النبي صلى الله عليـه وسـلم يوم الخنـد ق عن صـلاة العصـر حتى صلاهـا بعد الغـروب ، وذ لك ثابت في الصحيحـين من غير وجـه ١ هـ ٠

تفسير ابن كثـــــير ٣٧/٤

(٣) هـو هشـام بـن عـروة بـن الزبـير بـن العـوام ، الأسـد ى ، ثقـة فقيـه ربما دلـس ، مـات سـنة خمـس أو سـت وأربعـين ومائـة ٠

انظر : التقريـب ص ٥٧٣

الآيـــــة : ٢٣٨

" حافظـوا عـلى الصـلـوات والصـلاة الوسـطى صـلاة العصـر ، وقـوموا للـه قانتـين " . (١)

وهكـذا كان يقرأهـا أبي بن كعـب . (٢)

وعن أبي يونـس (٣) رضي الله عنه مولى عائشة رضي الله عنها قال : أمرتني عائشة رضي اللـه عنهـا أن أكتـب لها مصحفا ، فقالت : اذا بلغت (حافظوا على الصلوات) فآذنـي ، فلما بلغت أعلمتها ، فأملت عليّ " حافظـوا على الصلوات والصلاة الوسـطى صـلاة العصـر " . (٤)

وروى نافـع عن حفصـة (٥) زوج النبي صلى الله عليه و سلم أنها قالت لكاتب مصحفها : اذا بلغت (حافظـوا على الصلوات) فأخبرني حتى أخبرك بما سمعت من رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ، فلما بلغ الى ذلك أخبرها ، فقالت له : أكتب ، فإني سمعت رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم يقول : " حافظـوا على الصـلوات والصـلاة

---

(١) أخرجه الطبرى في تفسـيره ٥٥٥/٢
وأبو داود في كتاب المصاحـف ص ٩٤

(٢) انظر : البحر المحيـط ٢٤٠/٢ وهي قراءة شاذة .

(٣) في أ " وعن يونس " والتصويب من المصادر .
قال الحافظ : أبو يونس مولى عائشة ، ثقة من الثالثة . ورمز لمن أخرج له برمـز : بـخ م د ت س . انظر : التقريـب ص ٦٨٥

(٤) أخرجه مسلم في كتاب المساجـد ومواضع الصلاة : باب الدليل لمن قـال : الصلاة الوسطى هي صلاة العصر . حديث ٦٢٩
ولفظـه : فأملت عـليّ : " حافظـوا عـلى الصـلاة الوسطـى و صـلاة العصـر وقومـوا للـه قانتـين " . قالت عائشـة : سمعتهـا من رسول اللـه صلى اللـه عليـه و سلم .

(٥) هي أم المؤمنين حفصـة بنت عمـر بن الخطـاب ، تزوجهـا النـبي صـلى الله عليـه و سـلم سنة ثلاث من الهجـرة ، وكانـت قبل ذلك عنـد حصـن بن حـذافـة وكان ممـن شهد بـدراً واستشهـد بأحـد . ماتت حفصـة سـنة ٤٥ هـ .
الاصابـة ٢٦٤/٤ ، والتقريـب ص ٧٤٥

الآيـــــــة : ٢٣٨

الوسطـى صـلاة العصـــر " .(١)

و عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال ـ يوم الخند ق ـ " شغلونا عن الصـــلاة الوسطى صلاة العصر ، ملأ الله قلوبهم وبطونهم ناراً " .(٢)

و قال علي رضي الله عنه / : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " شغلونا عن الصـــلاة (٩٨ / أ) الوسطى صلاة العصر ، ملأ الله بيوتهم وقبورهـم نارا " . ثم صلاها بين العشائين .(٣)

وروى أن رجـلا قال في مجلس عمر بن عبد العزيز بن مـروان : أرسلني أبو بكر و عمـــــر رضي الله عنهما ـ وأنا غـلام صغير ـ الى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، أسأله عـن الصـلاة الوسطى ، فأخـذ بأصبعي الصغيرة ، وقال : " هذه الفجـر ـ وقبض التي تليهـا وقال : هذه الظهر ـ ثم قبض الابهام و قال : هـذه المغرب ـ ثم قبض التي تليهـــــا وقال : هـذه العشاء ـ ثم قـال : أي أصابعك بقيت ؟ " قلت : الوسطى . فقـــــال : "وأي الصلوات (٤) بقيـت ؟ " قلت : العصـــــر . قال : " هي العصر " .(٥)

---

(١) أخرجه الطبرى في تفسيره ٥٥٦/٢ ، وأبو د اود في كتاب المصاحف ص ٩٦

(٢) أخرجه الطبرى في تفسيره ٥٥٨/٢ من حد يث علي رضي الله عنه . بروايات وألفاظ مختلفـــــة .

وأخرجه مسلم من حد يث عبد الله بن مسعود ، ولفظه : " شغلونا عن الصـــلاة الوسطى صلاة العصر ، ملأ الله أجوافهم و قبورهم ناراً " .

كما أخرج نحوه البخارى و مسلم من حد يث علي رضي الله عنه ، بلفظ : " شغلونا عن الصلاة الوسطى ، حتى غربت الشمس ، ملأ الله قبورهم وبيوتهم ـ أو قـال : قبورهم و بطونهم ـ ناراً " .

صحيح البخارى : كتاب التفسير : سورة البقرة : باب (حافظوا على الصـــلوات والصلاة الوسطى) .

وصحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب الد ليل لمن قال : الصـــلاة الوسطى هي صلاة العصر .

(٣) أخرجه مسلم . انظر الموضع السابق من صحيحـــه .

(٤) في م " أى صلاة " .

(٥) أخرجه الطبرى في تفسيره ٥٦٠/٢ من حد يث ابراهيم بن يزيد الد مشقي .

ونقله ابن كثير في تفسيره ٢٩٩/١ عن الطبرى . ثم قال : غريب جد ا .

الآيـــة : ٢٣٨

قالوا : وانما كانت العصـــر هي الوسطى ، لانها بين صلاتي ليل وصلاتي نهـــار ٠

وانما خصها بالذكـــر لأنها تقع في وقت اشتغال [١] الناس بأمور البيت ، فخصهـــا بالذكـــر للحث عليها ٠

روى بريـــدة [٢] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بكروا بالعصر يوم الغيم ، فانـــه من ترك صلاة العصر فقد حبط عمـــله " ٠ [٣]

وروى نافع عن ابن عمـــر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " من فاتتـــه صـــلاة العصر فكأنما و تـر أهـــله ومالـــه " ٠ [٤]

---

(١) في أ " أشغال " ٠ والتصويب من ط ، م ٠

(٢) في أ " أبو هريرة " ، وفي ط ، م " أبو بردة " ٠ وهو خطأ ٠ والتصويب مـــن المصـــادر ٠

وهو بريدة بن الحصيب بن عبد الله ، أبو سهل الأسلمي ، صحابي ، أسلم قبـــل بـــدر ، و غـزا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم ست عشرة غزوة ، أخبـــاره كثيرة ومناقبه مشهورة ، مات سنة ثلاث و ســـتين ٠

الاصابة ١٥٠/١ ، والتقريب ص ١٢١

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الصلاة : باب ميقات الصلاة في الغيم ٠ وفيه : " بالصلاة " بدل " بالعصـــــر " ٠

وأخرجه البخارى في كتاب مواقيت الصلاة : باب اثم من ترك العصر ٠

ولفظه : عن أبي المليح قال : كنا مع بريدة في غزوة ، في يوم ذى غيم ، فقال : بكروا بصلاة العصر ، فان النبي صلى الله عليه و سلم قال : " من ترك صـــلاة العصر فقـــد حبط عملـــه " ٠

(٤) أخرجه البخـــارى في كتـــاب مواقيـــت الصـــلاة : بـاب اثـم مـن فاتتـــه العصـــر ٠

الآيـــــة : ٢٣٨

وقال قبيصـــة بن ذ ؤيـــب [١] : هي صلاة المغرب [٢] ، لأنـها أوسط صلاة وجبـــــت عـلى النـــــاس .

وقيـــل : لأنـها وسط في عـد د الركعات ، لأنـها بين الثنتين والأربع ، ولا تقصـــــر فـي السفر ، وهي وتـر النهار ، وانما خصها بالذكـر لأنـها أول صلاة الليل الذ ى يرغـــــب الناس [٣] عـن الصلاة فيـــه .

روى هشام بن عروة عن أبيـــه عن عائشـة رضي الله عنـها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه و ســـلم : " ان أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب ، لم يحطها عن مسافـــــر ولا مقـــيم ، فتح الله بـها صلاة الليل ، وختم بـها صلاة النـهار ، فمن صلاها و صـــــلى بعد ها ركعتـين بنى الله له قصرا في الجنـة ، ومن صلى [بعد هـا] [٤] أربع ركعـات غفر الله له ذ نب عشرين سنة ـ أو قال ـ أربعين سنة " . [٥]

و حكى الشيخ الامام أبو الطيب السهل بن محمد بن سليمان [٦] : أنـها صلاة العشاء ، لأنـها بين صلاتـين لا تقصـران .

---

(١) هو قبيصة بن ذ ؤيب بن حلحلة الخزاعي ، أبو سعيد ، أو أبو إسحاق ، المد نـــي نزيل د مشق ، من أولاد الصحابة ، وله رؤيـة ، مات سنة بضع و ثمانين .
التقريـــــب ص ٤٥٣

(٢) أخرجه الطبرى في تفسيره ٥٦٤/٢

(٣) أي الكسالى والمنافقون ، أما أهل طاعة الله فإنـهم يأنسون ويستريحون بهـــا ، ويتلذ ذ ون بأد ائها في كل وقت ، لما يعلمون من حرمتها و عظمتها عند اللـــه ، وأنـها العـهد الذ ى بين الكفر والاسلام .

(٤) ما بين المعقوفتـين من ط .

(٥) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٥٩/٢ ـ ١٦٠ ، وذكره القرطبي في تفسيره ٢١٠/٣ كما ذكره السيوطي في الد ر المنثور ٧١٦/١ ، و عزاه للطبراني في الأوسط .

(٦) الحنفي من بني حنيفة ، العجلي ثم الصعلوكي النيسابورى ، الفقيه الشافعي ، كان فقيهاً أد يباً ، أخذ عنه فقهاء نيسابور ، حد ث عنه الحاكم والبيهقي ، مات سنـة أربع وأربعمائـــة . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠٧/١٧ ـ ٢٠٩ ، وتهذ يـــب الأسماء واللغات ٢٣٨/١ ، وانظر القول المحكي عنه في تفسير الثعلبي ١٦٠/٢ وذكر ابن كثير أنه اختيار علي بن أحمد الواحد ى النيسابورى في تفســـيره .
انظر : تفسير ابن كثـــير ٣٠١/١

الآيـــة : ٢٣٨

روى ابن أبي عمرة (١) ، عن (٢) عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ، ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة " . (٣)

وقال جابر بن عبد الله : هي صلاة الفجر (٤) ، لأنها تقع بين الظلام والضياء .

وقال زيد بن ثابت ، وأبو سعيد الخدري (٥) ، وأسامة (٦) ، وعائشة رضي الله عنهم :

---

(١) في أ ، م "أبو عمر" ، وفي ط " ابن عمر " . والتصويب من المصادر .
وهو عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري النجاري ، يقال ولد في عهد النبي صلى الله عليه و سلم .
وقال ابن أبي حاتم : ليست له صحبة . روى له الستة .
انظر : التقريب ص ٣٤٧

(٢) في أ " بن " . والتصويب من ط ، م .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٦٥/٢
وهو مروى أيضا عن جماعة من السلف .
انظر : تفسير ابن كثير ٢٩٧/١ ـ ٢٩٨ ، وفتح الباري ٤٣/٨

(٥) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري ، أبو سعيد الخدري ، له ولأبيه صحبة ، واستصغر بأحد ، ثم شهد ما بعدها ، وروى الكثير ، مات بالمدينة سنة ثلاث ـ أو أربع أو خمس ـ و ستين ، وقيل : سنة أربع و سبعين .
انظر : التقريب ص ٢٣٢

(٦) هو أسامة بن زيد بن حارثة القضاعي ، الكلبي نسبًا ، الهاشمي ولاءً ، مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم وابن مولاه ، وأمه أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه و سلم ، كان النبي صلى الله عليه و سلم يتلطف به ويراعيه ، و عقد له الألوية وهو ابن ثمان عشرة سنة ، وأمره على جيش عظيم ، فمات النبي صلى الله عليه و سلم قبل أن يتوجه ، فأنفذه أبو بكر ، واعتزل أسامة الفتن بعد قتل عثمان ، الى أن مات في أواخر خلافة معاوية سنة ٥٤ .
انظر : الاصابة ٤٦/١ ، والرياض المستطابة ص ٣٠ ـ ٣٢

الآيـــة : ٢٣٨

انها صلاة الظهـــر [١] ، لأنها تقع في وسط النهار ، وانما خصها بالذكر لأنها أول صلاة فرضت على الناس . [٢]

روى زيد بن ثابت قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلي الظهر ، وكانت أثقل الصلوات على أصحابه / ، فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان من الناس ، يكونون في (٩٨/ب) قائلتهم وتجارتهم . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " لقد هممت أن أحرق على قوم لا يشهدون الصلاة بيوتهم " ، فنزل قوله تعالى (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) . [٣]

وقال علي رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " اذا زالت الشمس سبح كل شيء لربنا ، فأمر الله بالصلاة في تلك الساعة ، وهي الساعة التي تفتح فيها أبواب السماء فلا تغلق حتى يصلى الظهر ، ويستجاب فيها الدعاء " . [٤]

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٥٦١/٢ ـ ٥٦٢ ، وتفسير القرطبي ٢٠٩/٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٩٨/١ ، وفتح البارى ٤٤/٨

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٢٠٩/٣ ، وفتح البارى ٧/٢

(٣) أخرجه الطبرى في تفسيره ٥٦٢/٢ ـ ٥٦٣ من طريق الزبرقان .
و عزاه ابن كثير للإمام أحمد . ثم قال : والزبرقان هو ابن عمرو بن أمية الضمرى ، لم يدرك أحداً من الصحابة . تفسير ابن كثير ٢٩٨/١
وأخرجه أيضاً أحمد وأبو داود من طريق الزبرقان ، يحدث عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت . ولفظه : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلي الظهر بالهاجرة ، ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم منها ، فنزلت (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) . وقال : " إن قبلها صلاتين و بعدها صلاتين " .
انظر : المسند ١٨٣/٥ ، و سنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب في وقت صلاة العصر . حديث ٤١١

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٥٨/٢
ولم أجده عند غيره .

الآيـــــــة : ٢٣٨

ولأنها أول صلاة توجـــه فيها النـــبي صلى الله عليـه و سلم وأصحابه الى الكعبـة .

وهي التي ترفع جميـــع الصلوات والجماعـــات لأجلها يوم الجمعـــة . (١)

وقال بعضهم : هي احد ى الصلوات الخمس ، ولا نعرفها بعينها . (٢)

وسُئِلَ الربيع بن خُثَيم (٣) عن الصلاة الوسطى ، فقال للسائل : إذا أنت علمتها أكنـــت محافظا عليها و مضيعا سائرهن ؟ قال : لا . قال : فإنك إذا (٤) حافظت عليهن فقـــد حافظت عليهـــا . (٥)

وبه يقول أبو بكر الوراق (٦) ، قال : لو شاء الله تعالى لعينها ، ولكنه سبحانه أراد تنبيه الخلق على أد اء جميع الصلوات ، فأخفاها الله في جملة الصلوات ليحافظوا على جميعهـــا رجاء الوسطى ، كما أخفى ليلة القد ر في ليالي شهر رمضان ، وأخفى اسمه الأعظم في جميـــع الأسماء ، وأخفى ساعة الاجابة في ساعات الجمعة ، حكمة منه في فعله ورحمة لخلقه . (٧)

---

(١) تفسير الثعلبي ١٥٨/٢ ، و شرح السنة للبغوى ٢٣٦/٢

(٢) روى هذا عن سعيد بن المسيب ، و شريح القاضي ، و نافع مولى ابن عمـــــر ، والربيع بن خيـــثم .

وهو اختيار امام الحرمين الجويـــني .

انظر : تفسير ابن كثـير ٣٠١/١ ، و فتح البارى ٤٥/٨

(٣) في أ " خيثم " . والتصويب من ط ، وهو كذ لك في التقريب .

وقد تقد مت ترجمتـــه .

(٤) في ط " ان " .

(٥) أخرجه الطبرى في تفسيره ٥٦٦/٢

(٦) هو الإمام المحدث ، أبو بكر محمد بن اسماعيل بن العباس البغد اد ى المستمـــلي الـوراق ، سمع أباه والحسن بن الطيب ، و عنه الد ارقطـني وأبو محمـــــد الخـــلال . مات سنة ٣٧٨ هـ .

انظر : سير أعـلام النبـلاء ٣٨٨/١٦ ـ ٣٨٩

(٧) انظر : تفسير الطبرى ١٦٠/٢ ، والبحر المحيط ٢٤١/٢

الآيـــــة : ٢٣٨

قـولـه تعـالى (وَقُومُوا لِلَّـهِ قَـٰنِتِينَ) أي طائعين . وبه قال الشعبي ، وعطـاء ، والحسـن ، وابن جبـير ، وقتـادة ، وطـاووس ، وعطيـة ، وهو رواية عكرمـة عـن ابن عبـاس .(١)

وقال الضحاك ، ومقاتل ، والكلبي : لكل أهـل دين صلاة يقومون فيها عاصين ، وقومـوا أنتم في صلاتكم مطيعـين .(٢)

ودليل هـذا التأويـل ما روى أبو سعيد الخدري : أن النبي صلى الله عليه وسـلم قـال : " كـل قنـوت في القـرآن فهـو الطاعـة " .(٣)

وقال عبد الله بن مسعـود معناه : وقـومـوا للـه ساكتـين .(٤)

كما روى عن زيـد بن أرقـم(٥) قال : كنا نتكلم في الصلاة على عهد رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ، ويكلم أحدنا من حوالي جانبيـه(٦) ، ويدخل الرجل فيسلم ويردون عليـه

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢/٥٦٨ ـ ٥٦٩ ، وزاد المسير ١/٢٨٤ ، وتفسـير القرطبي ٣/٢١٣

وقد أخرجه الطبري عن ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة . ولم أجده عنه من رواية عكرمـة .

(٢) وأخرجه الطبري عن ابن عباس .

انظر : تفسير الطبري ٢/٥٦٨ ـ ٥٦٩ ، وتفسير البغوي ١/٢٢١

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٢/٥٦٩ بلفظ " كل حرف في القرآن فيه القنوت فإنما هو الطاعـة " .

وكذا أخرجه أحمد في مسنده ٣/٧٥

كلهم من طريق ابن لهيعة عن دراج أبـي السمـح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري . قال ابن كثير : في هذا الإسناد ضعف لا يعتمد عليه ، ورفع هـذا الحديث منكر ، وقد يكون من كلام الصحابي أو من دونه . والله أعـلم .

تفسير ابن كثير ١/١٦٦

(٤) وأخرجه الطبري أيضا عن السدي ، وزيد بن أرقم ، وعكرمة ، وابن زيـد .
انظـر : تفسـير الطـبري ٢/٥٧٠ ـ ٥٧١

(٥) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي ، صحابي مشهور ، أول مشاهده الخندق ، مات سنة ست ـ أو ثمان ـ وستين . انظر : التقريب ص ٢٢٢

(٦) في ط ، م " من هو جانبـه " .

الآيـــــة : ٢٣٨

الســـلام ، ويسألهم : كم صليتم ؟ فيردون عليهم كم صلوا ، ويجيء خادم الرجل وهو في الصلاة فيكلمه بحاجته كفعل أهل الكتاب ، وكنا كذلك إلى أن نزل قوله تعالى (وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام . (١)

قال مجاهد : معناه : وقوموا لله خاشعين (٢) ، فنهوا عن العبث والالتفات في الصلاة .

وقيل : معناه : مطيلين (٣) القيام (٤) ، كما في قوله تعالى / (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ) . (٥) (٩٩ / أ)

ويدل عليه أيضا حديث جابر : أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئِلَ : أي الصلوات أفضل ؟ قال : " طول القنوت " . (٦)

---

(١) ذكره بهذا السياق الثعلبي في تفسيره ١٦٢/٢

وأخرجه البخاري ومسلم عن زيد بن أرقم مختصراً . ولفظه : " كنا نتكلم في الصلاة ، يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت (وقوموا لله قانتين) ، فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام " . أخرجه البخاري في كتاب التفسير : بـاب (وقوموا لله قانتين) .

ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب تحريم الكلام في الصلاة .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٧١/٢

(٣) في أ " مصلين " . والتصويب من ط ، م .

(٤) أي في الصلاة . حكاه ابن الجوزي والقرطبي عن ابن عمر والربيع بن أنس .

انظر : زاد المسير ٢٨٤/١ ، وتفسير القرطبي ٢١٤/٣

(٥) آل عمران ٤٣ قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : أما القنوت : فهو الطاعة في خشوع . وقال مجاهد : كانت مريم عليها السلام تقوم حتى تتورم كعباها ، والقنوت هو طول الركوع في الصلاة .

تفسير ابن كثير ٣٧١/١

(٦) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب : أفضل الصلاة طول القنوت .

الآيـــــة : ٢٣٨ ، ٢٣٩

و قيل معناه : وقوموا للـه مصـلين ، د ليـله قوله تعالى (أَمَّـن هُـوَ قَـٰنِتٌ ءَانَـاءَ الَّـيـلِ)[١] أي مصـل .

وقال صلى الله عليه و سـلم : " مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم " .[٢] أي المصلي الصائم .[٣]

وقال ابن عباس : وقوموا لله د اعـين ، والقنوت هو الد عـاء في الصلاة .[٤]

(٢٣٩) قـولـه عـز وجـل (فَإِن خِفْـتُمْ فَرِجَـالاً أَوْرُكْبَـاناً) :

أي اذ ا خفتم من العد و ولم يمكنكم أن تقوموا قانتين موفين حق الصلاة ، فصلـوا قياما على أرجلكم وحيثما توجهتم ، بالايماء اذ ا لم يمكنكم استقبال القبلة واقامـة الركـوع والسجود ، وركبانا على د وابكم اذ ا لم تستطيعوا النزول فصلوا ركبانا حيثما توجهت بكم ، لا عـذ ر لكم في ترك الصلاة حالة الخوف .

وانتصب " رجالا " على الحال .

وكان الحسن يقول : فرجالا ، أي قائمين ماشـين .[٥]

---

(١) الزمـر ٩ و تمامها (ساجـداً و قائماً يحـذ ر الأخـرة و يرجـوا رحمة ربـه قـل هـل يستـوى الذ يـن يعلمـون والذ يـن لا يعلمـون إنما يتـذكـر أولـوا الألبـاب) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الامارة : باب فضل الشهاد ة في سبيل الله . من حد يـث أبي هريرة رضي الله عنـه . ولفظه : " مثل المجاهـد في سبيل الله كمثل الصائـم القائـم القانـت بآيات الله ، لا يفتر من صيـام ولا صلاة ، حتى يرجـع المجاهـد في سبيل الله تـعالى " .

(٣) انظر : شرح السنـة للبغوى ٣٤٩/١٠

(٤) أخرجه الطبرى في تفسيره ٥٧١/٢

قلـت : ولا مانع من حمل ذ لك على العموم . والله أعـلم .

قال ابن كثير : وقولـه (**وقوموا للـه قـانتـين**) : أي خاشعين ذ ليلين مستكينـين بين يد يـه ، و هـذ ا الأمر مستلزم ترك الكلام في الصلاة لمنافاتـه إياها .

تفسير ابن كثير ٣٠٢/١ ، وانظر : تفسير الطبرى ٥٧١/٢ ، وتفسير القرطبي ٢١٤/٣

(٥) انظر : تفسير الطـبرى ٥٧٤/٢

الآيـــــة : ٢٣٩

وذ هب أبو حنيفـة وأصحابـه إلى أنهم لا يصلون وهم يقاتلون أو يمشون . [١] لما روي عـــن النبي صلى الله عليه و سلم أنه فاتـه يوم الخند ق ثلاث [٢] صلوات ، فقضاهن على الترتيب ، فلولا أن الاشتغال [٣] بالقتال يفسد ها لما ترك الايماء بها حال القيام . [٤]

قولـه عـز وجـــل (فَإِذَا أَمِـنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّـهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) :

أى اذ ا أمنتم من الخوف فصلوا لله تعالى كما أمركم ، قانتين مؤد ين حقوق الصلاة وشرائطها .

قوله (كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُـونَ) معناه : ما لم تكونوا تعلمونـــــه قبل التعـــليم .

---

(١) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١٦٣/٢

(٢) في ط " أربـع " .

وفي تفسير ابن كثير ٥٦٠/١ : أن النبي صلى الله عليه و سلم أخّر يوم الأحـــزاب الظهر و العصر فصلاهما بعد الغروب ، ثم صلى بعد هما المغرب ثم العشاء ١٠ هـ .

وقال السيوطي في الد ر المنثور ٧٣٧/١ : أخرج الطيالسي ، و عبد الرزّاق ، وابـن أبي شيبة ، وأحمد ، و عبد بن حميد ، والنسائي ، وأبو يعلى ، والبيهقي فـي سننه ، عن أبي سعيد الخد ري قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم يـوم الخند ق ، فشغلنا عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء حتى كفينـــا ذ لك ، وذ لك قولى (وكفى الله المؤمنـين القتـال) فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بلالاً فأقام لكل صلاة اقامـة ، وذ لك قبل أن ينزل عليه (فإن خفـتم فرجـــــالاً أو ركبانـــاً) .

(٣) في أ " الاستقبال " . والتصويب من ط ، م .

(٤) ومذ هب جمهور أهل العلم : أنه إذ ا اشتد الخوف والتحـم القتـال ، فلهم أن يصلوا كيفما أمكنهم ، رجـالاً و ركباناً ، إلى القبـــلة إن أمكنهم وإلى غيرهـــــــا إن لم يمكنهم ، يومئـون بالركوع والسجود على قد ر الطاقـة ، ولا يؤخـــرون الصلاة عن وقتها .

انظر : المغني لابن قد امة ٤١٦/٢ ، وتفسير القرطـــبي ٣٦٩/٥

وتفسير الفخر الرازى ١٦٦/٦

الآيـــــة : ٢٤٠

(٢٤٠) قـولـه عـز وجـل (وَالَّذِيـنَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِـــم مَّتَـٰعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْـرَاجٍ) :

قال ابن عباس : نزلت هذه الآية قبل نزول آية المواريث [١] ، وقبل استقرار العدة ، وكانت المرأة في ابتداء الاسلام اذا احتضر زوجها أوصى لها في ماله بنفقة سنة من طعامهـا وشرابها وكسوتها وسكناها ، وكان ذلك حظها من الميراث من مال زوجها ، فان كانت مـن أهل المدر سكنت بيت زوجها حتى تبني بيتا ، وان كانت من أهل الوبر سكنت بيـت زوجها حتى تغزل [٢] بيتا فتحول اليـه ، فان خرجت من بيـت زوجها أو تزوجت فلا نفقـة لها ولا سكنى ، ثم [٣] نسخت الوصية بآية المواريث ، وبقوله صلى الله عليه وسلم : " لا وصية لوارث " . [٤] ونسخ حكم الحول باعتبار أربعة أشهـر وعشـرا [٥] ، عدة الوفاة بقوله (وَالَّذِيـنَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْـنَ بِأَنفُسِهِـنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْـرًا) . [٦]

ومعنى الآية : والذين يتوفون منكم ويذرون نساء ، أي ويتركون نسـاء من بعدهـم ، فعليهم / وصية لأزواجهم . ويقال : كتب عليهم وصية ، وكانت هذه الوصية واجبة مـن (٩٩/ب) الله تعالى لنسائهم ، أوصى الميت أو لم يوص . كما قال الله تعالى ـ في آية المواريث ـ (وَصِيَّـةً مِّنَ اللَّـهِ) .

قرأ الحسن ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والأصم ، والأعمش ، وحمزة ، وحفص : " وصيـةَ " بالنصب ، على معنى : فليوصوا وصيـة .

---

(١) وهي قوله تعالى (... ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ....) . النساء ١٢

(٢) في أ " يعزل " . والتصويب من ط ، م .

(٣) في أ " لم " . والتصويب من ط ، م .

(٤) تقدم تخريجه عند الآية ١٨٠ من هذه السورة .

(٥) في ط " وعشر " .

(٦) البقرة ٢٣٤

وقد تقدم بحث مسألة النسخ عند هذه الآية .

الايـــــة : ٢٤٠

وقرأ الباقـون بالرفـع [١] ، على معـــنى : لأزواجهم وصيـة ، أو كتب عليهـــم وصيـــــة .

وقولـه (مَّتَـٰعًا) نصـب على المصـدر ، أى متعوهـن متاعـا .

وقيـل : جعـل اللـه ذلـك لهـم متاعـا .

وقيـل : نصـب على الحـــال . [٢]

وقـولـه (إِلَى ٱلْحَـوْلِ) أى متعوهـن بالنفقـة والسـكنى والكسـوة وما تحتـاج اليـه حـولا كامـلا .

قولـه تعـالى (غَيْرَ إِخْـرَاجٍ) أى لا تخرجوهـن من بيـوت أزواجهـن .

وإنمـا انتصب " غيرَ " لأنـه صفـة للمتـاع .

وقيـل : على الحـــال .

وقيـل : بنزع الخافض ، أى من غـير اخـراج .

وقيل : على معنى [لا] [٣] اخراجـا ، كمـا يقـال : أتيتك غير رغبـة اليـك . [٤]

قولـه عـز وجـل (فَإِن خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ) :

أى فان خرجن من قبل أنفسهن قبل مضي الحول من غير اخراج الورثة ، فلا جناح عليكـم يا أوليـاء الميت فيما فعلن في أنفسهن من التشوف والتزين والتزوج بالمعروف اذا لم تكـن المرأة حبلى من الميـت .

---

(١) انظر : النشـر ٢٢٨/٢ ، والاتحاف ٤٤٢/١

(٢) انظـر : التبيـان ١٩٢/١

(٣) زيادة اللام من ط ، م .

(٤) انظر : التبيان ١٩٢/١ ، والدر المصون ٥٠٤/٢

الآيـــــة : ٢٤٠

وقيل معناه : فان خرجن بعد انقضاء عدتهن فلا جناح عليكم فيما فعلن .

وفي معنى رفع الجناح عن الرجال بفعل النساء وجهان :

أحد همـا : لا جناح عليكم في قطع النفقة اذا خرجن قبل تمام الحول .

والثانـي : لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج . لأن مقامها حولا في بيت زوجهـا غير واجب عليها [١] ، خيّرها الله تعالى في ذلك الى أن نسخت بأربعة أشهر و عشر [٢] ، لأن ذلك لوكان واجبا عليها لكان واجبا على أولياء الزوج منعها من ذلك .

وقوله تعالى (غَيْرَ إِخْرَاجٍ) يضمن [٣] معنيين :

أحد همـا : وجوب السكنى في مال الزوج ، وقد نسخ ذلك .

والثانـي : حظر الخروج والاخراج ، وهولزوم اللبث في البيت الى انقضاء عدتها أربعـة أشهر وعشـرا ، وذلك باق لم ينسخ .

ولا يجوز لها أن تبيت بالليالي في غير منزلها ، ولا يجوز لها أن تتزين ، لأن امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت : ان ابنتي توفي عنها زوجها ، وقد اشتكـت عينها ، أتكحلها ؟ [٤] فرخص لها ، ثم قال صلى الله عليه و سلم : " كانت احد اكـن تجلس في أحلاس بيتها حولا لا تخرج ، حتى اذا مرّ بها كلب خرجت ورمته ببعرة ، فهـلاّ الآن أربعة أشهر و عشـرا " . [٥]

---

(١) انظر : تفسير البغوى ٢٢٢/١ ، وزاد المسير ٢٨٦/١

(٢) في ط " و عشرا " .

(٣) في ط " تضمن " ، وفي م " تتضمن " .

(٤) في ط ، م " أفتكحلها " .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٢٩١/٦ ـ ٢٩٢ من حديث أم سلمة رضي الله عنها .
وأخرجه أيضا البخارى ومسلم ، من حديث أم سلمة . مع اختلاف في اللفظ .
انظر : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١٢٣/٢

الآيـــــة : ٢٤٠

وعـن زينـب بنت أبي سلمة [١] قالت : دخلت على زينب بنت جحش [٢] حين توفـــي أخوها ، فدعت بطيب فمسته ، ثم قالت : والله ما لي بالطيب من حاجة / غير أني سمعت (١٠٠/أ) رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحـــد على ميت فوق ثلاث ليال ، الا على زوجها أربعة أشهر و عشرا " . [٣]

و عن ابن مسعود رضي الله عنه : أن نسوة قتلى أحد شكون الى رسول الله صلى الله عليه و سلم الوحشة ، فأمرهن [٤] أن يتزاورن بالنهار ، ولا يبيتن بالليل الا في منازلهن . [٥]

---

(١) هي زينب بنت أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومية ، ربيبة رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم ، وأمها أم سلمة بنت أبي أمية ، تزوج النبي صلى الله عليـــه وسلم أمها وهي ترضعها ، وقد حفظت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروت عنه وعن أزواجـــــه . ماتت سنة ثلاث و سبعين .

انظر : الاصابـــة ٣١٠/٤ ـ ٣١١ ، والتقريـب ص ٧٤٧ .

(٢) هي زينب بنت جحش الأسـديـة ، أم المؤمنين ، زوج النبي صلى الله عليه وسـلم ، تزوجها النبي صلى الله عليـه وسلم سنة ثلاث ، وقيل سنة خمس ، ونزل بسببهـــا آيـة الحجـاب ، وكانت قبـله عند مولاه زيـد بن حارثـة . وفيها نزلـــت (فلما قضى زيـد منها وطـرا زوجناكهـا) . ماتت سنة عشرين .

انظـــر : الاصابـــة ٣٠٧/٤ ـ ٣٠٨

(٣) متفـق عليـه .

انظر : اللـؤلـؤ والمرجـان ١٢٣/٢

(٤) في أ " فأمرهـم " . والتصويب من ط .

(٥) ذكره الشوكاني في نيـل الأوطـار ١٠٢/٧ موقوفا على ابن مسعود .

و عـزاه للشافعي ، و عبد الرزّاق عن مجاهـــد مرسـلا .

الآيـــــة : ٢٤٠ ، ٢٤١

قولـه تعـالى (وَاللَّهُ عَـزِيـزٌ حَكِـيمٌ) أي قادر على النقمة ممن خالف أمره ، ذو حكمة[1] فيما حكم على الأزواج .

(٢٤١) قـولـه عـز وجـل (وَلِلْمُطَلَّقَـاتِ مَتَـاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِـينَ) :

قال سعيد بن جبير ، وأبو العالية ، والزهري : المراد بالمتاع في هذه الآيـة المتعـة ، وهي واجبـة لكل مطلقـة .[2]

وذهب أصحاب أبي حنيفـة الى أن المتعة تجب للمطلقات كلهن من طريق الديانـة بحكم هذه الآيـة ، ولكن لا يجبر الزوج على المتعـة الا لمطلقة[3] لم يدخل بها ولم يفـرض لها مهـرا للأيـة المتقدمـة .[4]

وقال بعضهم : أراد بالمتاع في هذه الآية نفقة عدة الطلاق ، لأن الله تعالى عطفـه على قولـه (مَتَـاعًا إِلَى الْحَوْلِ) والمراد هناك النفقة والسكنى .[5]

---

(١) في أ " وحكمـه " . والتصويب من ط .

(٢) انظر تفسير الطبري ٥٨٤/٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٩٥/١

قال ابن كثير : وقد استدل بهذه الآيـة من ذهب من العلماء الى وجوب المتعـة لكل مطلقـة ، سواء كانت مفوضـة أو مفروضاً لها أو مطلقـة قبل المسيس ، أو مد خولاً بهـا . وهو قول الشافعي رحمه الله ، واليه ذهب سعيد بن جبـير وغيره من السلف ، واختاره ابن جريـر .

ومن لم يوجبها مطلقاً يخصص من هذا العموم مفهوم قوله تعالى : (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهـن أو تفرضوا لهن فريضـة ومتعوهـن على الموسـع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين) .

وأجاب الأولون : بأن هذا من باب ذكر بعض أفراد العموم ، فلا تخصيص على المشهور المنصوص . والله أعلم . اهـ .

تفسير ابن كثير ٣٠٥/١

(٣) في أ " الا المطلقة " . والتصويب من ط ، م .

(٤) والآيـة هي قوله تعالى (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضـوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين) البقرة ٢٣٦ وانظر : أحكام القرآن للجصاص ١٣٧/٢

(٥) انظر : الكشاف ٢٨٩/١ ، وتفسير الفخر الرازي ١٧٣/٦

الآيـــــة : ٢٤٢، ٢٤٣

(٢٤٢) قـولـه عـز وجـل (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) :

أى مثل هذا البيان يبين الله لكم دلائله في المستقبل كما يبين في الماضي مـــن أمـور دينكم ودنياكم ، لكي تفهموا ما أمرتم بـــه .

ويقال : لكي تكمل عقولكم ، فان العقل الغريزى انما يكمل بالعقل المكتسب ، وحقيقة العاقل : أن يعمل ما افترض عليـه . وحقيقة العمل : استعمال الأشياء المستقيمـة .

(٢٤٣) قـولـه عـز وجـل (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ) :

قال ابن عباس : وذلك أن ملكا من ملوك بني اسرائيل أمر بالخروج الى قتال عدو هـــم فخرجوا للقتال ، ثم جبنوا وكرهوا القتال ، فقالوا لملكهم : ان الأرض التي تريدها فيهـا الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع عنها الوباء ، فقال لهم الله : موتوا ، [فماتـوا] .(١)

واختلفوا في مبلغ عددهم : فقال مقاتل ، والكلبي : كانوا ثمانية آلاف .

وقال أبو روق : عشرة آلاف . وقال أبو مالك :(٢) ثلاثون ألفـا .

وقال السدى : بضعة وثلاثون ألفا . وقال ابن جريـج : أربعـون ألفـاً .

وقال عطاء بن أبي ربـاح : تسعون ألفا . وقال الضحاك : كانوا عددا كثيرا .(٣)

فقوله تعالى (ألـوف) دليل على كثرتهم ، اذ لو كانوا كما قال مقاتل والكلبي لقال : وهم آلاف ، لأن من عشرة آلاف الى ما دونها يقال فيها : آلاف ولا يقال فيها : ألـوف ، لأن " ألوف "(٤) جمع الكثـــــــير . و " آلاف "(٥) جمـــــــع

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط .

(٢) لعله سعد بن طارق الكوفي ، أبو مالك الأشجعي الكوفي ، ثقة ، مات في حـد ود ١٤٠ . التقريـب ص ٢٣١

(٣) انظر تلك الأقوال في ذكر عدد هم في : تفسير الطـــبرى ٢/٥٨٦ والبغوي : ١/٢٢٤ وزاد المسـير ١/٢٨٨ ، وتفسير القرطبي ٣/٢٣١ ، وتفسير ابن كثير ١/٣٠٥

(٤) في ط ، م " الألـوف " .

(٥) في ط ، م " الآلاف " .

الآيـــــة : ٢٤٣

القليـــل .[١] فمكثوا موتى ثمانيـة أيـام حتى انتفخـــوا ، وبلغ بني اسرائيل مـــــوت أصحابهم ، فخرجوا اليهم ليد فنوهـم ، فعجزوا عنهم من كثرتهم ، فحظروا عليهـــــم الحظائر ، ثم أحياهم الله / تعالى بعد ثمانية أيام ، فبقي فيهم من ريح النتن الـــــتي (١٠٠/ب) كانت فيهم بعد الموت حتى بقي في أولا د هم الى اليوم .[٢]

وقال السد ى : وقع الطاعون في بني اسرائيل ، فخرج قوم منهم من د يارهم هاربـين حتى انتهوا الى مكان [٣] فماتوا وتفرقت عظامهم وتقطعت أوصالهم ، فأتى عليهم مـــد ة وقد بليت أجساد هم ، فمر بهم نبي يقال له حزقيـــل ، ثالث خلفاء بني اسرائيل بعـــد موسى عليه السلام ، لأنه كان بعد موسى يوشع بن نون ، ثم كالب بن يوفنا ، ثم حزقيل ، وكان يقال له ابن العجوز ، وذ لك أن أمـــه كانت عجوزا فسألت الله تعالى الولد وقد كبرت و عقمت ، فوهبـه الله لها ، فلذ لك سمي ابن العجـوز .

وقال الحسن و مقاتل : هو ذ و الكفل ، وانما سمي حزقيل ذ ا الكفل لأنـه تكفل بسبعين نبيا وأنجاهم من القتل ، فقال لهم : اذ هبوا فاني ان قتلت كان خيرا من أن تقتلوا جميعا . فلما جاء اليهود وسألوا حزقيل عن الأنبياء السبعين ، فقال لهم : ذ هبوا ولم أد ر أين هم . وحفظ الله ذ ا الكفل من اليهود . فلما مرّ حزقيـل على أولئك الموتى وقف عليهم و جعـل يفكر فيهم متعجبا ، فقال : الحمد لله القاد ر على أن يحيي هذ ه الأجساد ، فأوحى اللـــه اليـه : يا حزقيل أتريـد أن أريك كيف أحيي الموتى ؟ قال : نـعم . فقال له : نـاد هـــــم . فناد ى : أيتها العظام البالية ، ان الله يأمركن أن تجمعن فاجتمعن حتى صرن أجســـاد ا

---

(١) أى أن عد د هم أكثر من عشرة آلاف ، أما تحد يد هم بتقد ير معين فلا د ليـــــل عليـه ـ والله أعـلم .

وانظر : تفسير الطبرى ٢/٥٩٠ ، وتفســير البغـــوى ١/٢٢٤ ، وتفســـــير الفخر الرازى ٦/١٧٦ ، وتفسير القرطبي ٣/٢٣١

(٢) أخرجه الطبرى عن ابن عباس من طريق ابن جريج . وفيه نظر ، إذ لابد لمثل هذا من مستند صحيح تفسير الطبرى ٢/٥٨٧ ، وانظر تفسير الفخر الرازى ٦/١٧٥

(٣) في ط بعد قوله " حتى انتهو الى مكان " زاد " وهم بضعة و ثلاثون ألفـــا فقال لهم اللـه موتـوا " .

الآيـــــة : ٢٤٣

من عظام ، ثم قال : ألا أيتها الأجساد البالية ان الله يأمركن أن تكتسين لحما ، فجعل اللحم يجرى عليهن حتى صرن أجسادا من لحوم [١] ، ثم قال : ألا أيتها الأجساد البالية الخاوية ان الله يأمركن أن تقمن باذ ن الله ، فقاموا فرجعوا الى بلاد هم وأقاموا وتوالد وا ، وكـــان أحد هم اذ ا اكتسى ثوبا صار عليه كفنا يكون فيه ريح الموت .

وقال وهب : أصابهم بلاء و شد ة من الزمان ، فشكوا ما أصابهم ، فقالوا : يا ليتنـــا قد متنا فاسترحنا مما نحن فيه . فأوحى الله تعالى الى حزقيل : ان قومك قد صاحوا مـــن البلاء وزعموا أنهم لو ماتوا استراحوا ، وأى راحة في الموت ، أيظنون أني لا أقـــــد ر أن أبعثهم بعد الموت ، فانطلق الى موضع كذا فان فيه أمواتا ، فأتاهم ، فقال الله تعالى : يا حزقيل ناد هـــم ، وكانت أجساد هم و عظامهم قد تفرقت ، فرقتها [٢] الطير والسبـــاع ، فناد ى حزقيـــل بالنداء الذ ى ذكرنـــاه . [٣]

ومعنى الآيـــة : ألم تعلم الذ ين . [٤]

وقيل معناه : ألم ينته علمك الى خبر هؤلاء الذ ين خرجوا من د يارهم .

والمراد بالرؤيـة رؤيـة القلب لا رؤيـــة العين .

---

(١) في م " من اللحوم " .

(٢) في ط " فرقهـــا " .

(٣) انظر تلك الروايات في تفسير الطبرى ٢/٥٨٦ ــ ٥٨٩ ، وتفسير الثعلبي ٢/١٦٦ ـ ١٦٧ وتفسير البغوى ١/٢٢٤

وقال القرطبي : أصح هذ ه الأقـــوال وأبينهـا وأشهرهـا : أنهم خرجـوا فـــــرارا من الوبـــــاء .

رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : خرجوا فرارا من الطاعـــــون فماتـــوا ، فد عـا اللـه نبي من الأنبيـــــاء أن يحييهم حتى يعبـد وه ، فأحياهم الله .

تفســـير القرطـــبي ٣/٢٣٢

قلـــت : وقد أخرجه الطبرى من الطريق المذكور عن ابن عباس .

وكذا أخرجه عنه وكيع بن الجراح في تفسيره ــ فيما ذكره ابن كثير ــ من ذلـك الطريـق أيضـــا .

انظر : تفسير الطبرى ٢/٥٨٦ ، وتفسير ابن كثير ١/٣٠٥

(٤) في ط " الى الذيـــن " .

الآيـــــة : ٢٤٣

وقولـه تعـالى (حَـذَرَ الْمَوْتِ) أى خرجوا هاربين حذر الموت ، وانتصب على أنه مفعول له .

وظاهر هذا يقتضي أن خروجهم كان على جهة الفرار من الوباء ، على ما فسره السدى .

وقيل / في معنى " ألوف " : أى مؤتلفوا القلوب [١] ، لم يخرجوا عن تباغض . (١٠١/أ)

ومعنى **(فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا)** أى أماتهم الله بشيء سمعوه و سمعته [٢] الملائكة . [٣]

قولـه عز وجل (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) أى متفضل على جميع الناس كما يتفضل على هؤلاء بأن أحياهم بعد الموت وأراهم [٤] النصرة [٥] التي لا غاية بعـــد ها . **(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)** رب النعم .

وفي الآية دلالة على أن الموت لا ينفع الهرب منه ، كما قال تعالى **(أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ)** . [٦] وقال تعالى **(قُل لَن يَنْفَعَكُمُ الفِـرَارُ إِن فَرَرْتُم مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْـــلِ)** . [٧]

واذا كانت الآجال مؤقتة محصورة ، لا يقع فيها تقديم ولا تأخير ، كما قدر الله تعالـــى لم ينفع الفرار من الطاعون و غير ذلك .

---

(١) قال الزمخشري : وهذا من بدع التفاسير . وكذا قال أبو حيـــان .
انظر : الكشاف ٢٩٠/١ ، والبحر المحيط ٢٥٠/٢

(٢) في ط " و سمعتهم " .

(٣) قال ابن كثير : و ذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة فـــي زمان بني اسرائيل ، استوخمـوا أرضهم وأصابهم بها وباء شـد يد ، فخرجـــوا فرارا من الموت هاربين الى البريـــة ، فنزلوا وادياً أفيـح فملأوا ما بـــين عدوتيـه ، فأرسـل الله اليهم ملكـين ، أحدهما من أسـفل الـــوادى والآخـر من أعـلاه ، فصاحا بهم صيحة واحدة ، فماتـوا عـن آخرهـم موتـة رجل واحـــد ... تفسير ابن كثير ٣٠٥/١

(٤) في أ " وأراد هم " . والتصويب من ط .

(٥) في ط " التبصرة " ، وفي م " البصيرة " .

(٦) النســاء ٧٨

(٧) الأحـزاب ١٦

الآيـــــة : ٢٤٣

وقد روى أن عمـر رضي الله عنه أراد أن يدخل الشام وبها طاعون ، فاستشار أصحابـه فـي ذلك ، فأشار اليه [١] بعض المهاجرين بالرجوع ، فعزم على الرجوع ، فقال لـه أبو عبيدة [٢] : يا أمير المؤمنين أتفر من قدر الله تعالى ؟ فقال عمر رضي الله عنـه : لوكان غيرك يقولها يا أبا عبيدة ، نفـر من قدر الله الى قدر الله ، أرأيت لوكان لـك ابل فهبطت بها واد يا له عدوتان ، احداهما خصبة والأخرى جدبة ، ألست ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله .

فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال : عندي في هذا علم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اذا وقع هذا الرجز في أرض فلا تدخلوا عليه ، واذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا منها " . [٣]

فحمد الله تعالى عمر رضي الله عنه ورجع .

فان قيل : اذا كانت الآجال مقدرة لا تتقدم ولا تتأخر ، فما وجه النهي منه صلى الله عليه وسلم عن دخول أرض بها الطاعون ؟

وأى فرق بين دخولها والبقاء [٤] فيها ؟

---

(١) في ط " عليه " . ولعله أولى .

(٢) هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهرى ، أحد العشرة السابقين الى الاسلام وهاجر الهجرتين وشهد بدرا وما بعدها ، وهو الذى انتزع الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسقطت ثنيتا أبي عبيدة ، وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : " لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح " .
أخرجاه في الصحيحين . مات في طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة .
انظر : الاصابة ٢٤٣/٢ ـ ٢٤٥

(٣) هذا جزء من حديث طويل ، أخرجه البخارى ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . انظر : صحيح البخارى : كتاب الطب : باب ما يذكر في الطاعون .
ومسلم في كتاب السلام : باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها . حديث ٢٢١٩

(٤) في م " وبين البقاء فيها " .

الآيـــــات : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥

قيـل : وجه النهي عن الد خول أنه اذ ا د خلها وبها طاعون ، فجائز أن يد ركه أجله بهـا ، فيقول قائل : لو لم يد خلها ما مات . كما قال تعالى (**يَـأَيُّهَـا الَّذِيـنَ ءَامَنُـوا لَا تَكُونُـوا كَالَّـذِيـنَ كَفَـرُوا وَقَالُـوٓا لِإِخْوَانِهِـمْ إِذَا ضَـرَبُـوا فِـي الْأَرْضِ أَوْ كَانُـوا غُـزًّى لَّوْ كَانُـوا عِنْـدَنَا مَا مَاتُـوا وَمَـا قُتِـلُوا لِيَجْعَـلَ اللَّـهُ ذَٰلِكَ حَسْـرَةً فِي قُلُوبِهِـمْ**) (١) . فكره رسول اللـــــه صلى الله عليه و سلم أن يد خل أرضا فيها طاعون ، لما يخشى أن يموت فيها أحـد بأجـله ، فتقول الجهال : لو لم يد خلها لم يمت . (٢)

(٢٤٤) قولـه عـز وجـل (وَقَـٰتِـلُوا۟ فِي سَبِيـلِ اللَّـهِ وَٱعْلَمُـوٓا۟ أَنَّ اللَّـهَ سَمِيـعٌ عَـلِيمٌ) :

قال أكثر المفسرين : هـذ ا خطاب لهـذ ه (٣) الأمـة ، معناه : قاتلوا في طاعة اللـه تـعالى ولا تـهربوا من الموت كما هرب هؤلاء الـذ ين سمعتم خبرهم ، فلا ينفعكـــم الهرب ، واعلموا أن الله سميع لما يقوله المنافق بعلة (٤) الهرب من القتـــال ، عليم بما يضمـــره . (٥)

/ وقال بـعضهم : هذ ه الآيـة خطاب للذ ين جبنـوا (٦) ، وهي متصلة بقوله (**فَقَالَ لَهُـمُ اللَّـهُ مُوتُـوا ثُـمَّ أَحْيَـٰهُـمْ**) أى أحياهم وقال لهم (**قَـٰتِـلُوا فِي سَبِيـلِ اللَّـهِ**) . (١٠١/ب)

(٢٤٥) قولـه عـز وجـل (مَـن ذَا ٱلَّـذِي يُقْـرِضُ اللَّـهَ قَرْضًا حَسَـنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَـهُۥٓ أَضْعَـافًا كَثِـيرَةً) :

قال سفيان (٧) : لما أنزل الله قوله (**مَـن جَـآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَـهُۥ عَشْـرُ أَمْثَالِهَـا**) (٨)

---

(١) آل عمـــران : ١٥٦

(٢) **قلت** : بل إن ذ لك من الأخذ بالأسباب المشروعة ، وهذ ا لا ينافي التوكل على الله تعالـــى .

(٣) في أ " لهـذ ا " . والتصويب من ط ، م .

(٤) في أ " بتفلت " . والتصويب من ط ، م .

(٥) انظر حكاية هذ ا القول عن جمهور المفسرين في :
تفسير الرازى ١٧٨/٦ ، والقرطـــــــبي ٢٣٦/٣

(٦) قال ابن جرير : لا وجـه لهـذ ا القول . تفسير الطبرى ٥٩١/٢

(٧) لعله ابن عيينـة .

(٨) الأنعـــام ١٦٠

الآيـــــة : ٢٤٥

قال صلى الله عليه و سلم : " رب زد أمتي " فنزل (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) فقال " رب زد أمتي " فنزل (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .(١)

وفي الآية استد عاء الى الانفاق (٢) والبر في سبيل الله بألطف الكلام وأبلغـــه .

وسماه الله قرضا تأكيدا لاستحقاق الجزاء ، لأنـه لا يكون قرضا الا والعوض مستحق فيـه .

ومعنى الآيـة : من ذا الذى يتصدق بصدقة طيبة من نفس طيبة لا يمن بها على السائـــل ولا يؤذ يـــــــه .

قال الحسن : هـو النفقـــــة في أبـواب الـبر مـن النفـــل .

وقـال ابن زيـد : هـو الانفـاق في الجهـاد في سبيـل اللـــه .

وقال الواقـدى : (قَرْضًا حَسَنًا) أى طيبـة بها نفســه .

وقال ابن المبارك (٣) : (قَرْضًا حَسَنًا) يكون (٤) المـال من الحـلال .

وقال سهل بن عبد الله : هو أن لا يعتقـد بقرضـه عوضـاً .(٥)

---

(١) الزمـــــــر ١٠

والحديث أخرجه ابن المنذر ـ فيما حكاه السيوطي في الدر المنثور ٧٤٧/١ ـ وأخرجه ابن أبي حاتم ـ فيما ذكره ابن كثير ـ من طريق سعيد بن المسيب عـــن نافع عن ابن عمر . تفسير ابن كثير ٣٠٧/١

وزاد السيوطي في عزوه ابن المنذر و ابن حبان في صحيحه وابن مردويه والبيهقي .

(٢) في أ " انفاق " . والتصويب من ط ، م .

(٣) هو عبد الله بن المبارك المروزى ، مولى بني حنظلة ، ثقة ثبت فقيه عالم جـــواد مجاهـــد ، جمعت فيه خصال الخير ، من الثامنـة ، مات سنة ١٨١

التقريـــب ص ٣٢٠

(٤) في ط كلمة " أى " قبل قوله " يكون المال " .

(٥) انظر تلك الأقوال حول معنى القرض الحسن في الآيـــة في :

تفســير البغـــوى ٢٢٥/١ ، وتفســـــير القرطـبي ٢٤٢/٣ ، والبحـــــر المحيـــــط ٢٥٢/٢

وقال ابن كثـير : وقولـه (قرضـاً حســنًا) : روى عن عمـــر وغيره من السلف : هـو النفقـــة في سبيـل اللـــه .

تفســـير ابن كثـــير ٣٠٦/١

الآيـــــة : ٢٤٥

وقـولـه تعـالى (فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) :

وقرأ[١] عاصم ، وأبو حاتـم " فيضاعفَه " بالنصب .

وقرأ ابن عامر ، ويعقوب بالتشديد والنصب بغير ألـف .

وقرأ ابن كثير ، وشيبة بالتشديد والرفـــــع .

وقرأ الآخرون بالألف والتخفيف ورفع الفـاء .[٢]

فمن رفعه عطفـه على " يقرض " . ومن نصب جعله جواب الاستفهام بالفـــاء .

والتشديـــد والتخفيف لغتـــان .

ودليل التشديد قوله تعالى (أَضْعَافًا كَثِيرَةً) لأن التشديد للتكثير .

قال الحسن والسدى : هذا التضعيف لا يعلمـه الا الله .[٣]

قال ابن زيد[٤] : معنى قوله تعالى (فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) أى يعطيه سبعمائة أمثالـه[٥] ، كما قال تعالى في آية أخرى (مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ) .[٦]

وعن أبي عثمان النهدى[٧] قال : أدخل أبو هريرة رضي الله عنه أصبعيه في أذنيـه وقـال :

---

(١) الواو ساقطة من ط . وهو الأولى .

(٢) انظر تلك القراءات في : النشـــر ٢٢٨/٢ ، والبدور الزاهرة ص ٥١

(٣) انظر : تفسير القرطبي ٢٤٢/٣

وأخرجه الطبرى عن السدى ، واعتمده في تفسير الآيـة .

(٤) في أ " أبو زيـد " . والتصويب من ط والمصادر .

(٥) أخرجه الطبرى في تفسيره ٥٩٣/٢

(٦) البقـــــــرة ٢٦١

(٧) هو عبد الرحمن بن ملّ ـ بلام ثقيلة ـ بن عمرو بن عدى البصرى . مخضرم معمر ، أدرك الجاهلية والاسلام ، غزا في خلافة عمر وبعدها غزوات .

قال الحافظ ابن حجر : ثقـة ثبـت عابـــد ، مات سنة خمس وتسعين ، وقيـــل بعدهـــــــا .

انظر : سير أعلام النبلاء ١٧٥/٤ ، والتقـــريب ص ٣٥١

الآيـــــة : ٢٤٥

صمتا ان لم أكـن سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يضاعف الله تعالـــى للمؤمـــن حسنته إلى ألفي ألـــف حســـنة " . (١)

قولـه عز وجل (وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ) أي يقتر و يوسـع على من يشاء من خلقـــه . ومنه قوله تعالى (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) (٢) أي يمسكونها (٣) عن النفقة في سبيل الله .

و قولـه (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ) (٤) .

وقيل معناه : والله يسلب النعمة من قوم و يبسطهـــا على قـــوم .

وقيل معناه : يقبض الصدقات و يبسط عليها / الجزاء عاجلا وآجـــلا . (١٠٢/أ)

وقيل : القبض والبسط : الاحياء والاماتـة ، فمن أماتـه الله فقد قبضه ، ومن مـــــد له في عمره فقد بسط له . (٥)

قولـه عـز وجـل (وَإِلَيْـهِ تُرْجَعُـونَ) أي ترجعون في الآخرة فيجزيكم بما قد متم .

وقد جهلت اليهود في (٦) معنى هذه الآية أو تجاهلت ، حتى قالت : ان الله يستقرض منـا ، فهو فقير الينا و نحن أغنيـــاء ، كما قال تعالى (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُـــوا

---

(١) أخرجه الامام أحمـد في مسنده ٢٩٦/٢ وليس فيه : " أدخل أبو هريرة أصبعيـــه في أذنيـــه وقال : صمتا ... " . وقد صححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند .
وأخرجه ابن أبي حاتم ـ فيما ذكره ابن كثير في تفسيره ٣٠٧/١ ـ .

(٢) التوبـــــة ٦٧

(٣) في أ " يمسكوهـــا " . والتصويب من ط .

(٤) الشـــورى ٢٧

(٥) والوجه الأول هو الموافق لظاهر الآيـة .
قال ابن كثير : وقوله (والله يقبض و يبسط) : أي أنفقوا ولا تبالوا فالله هو الرازق ، يضيق على من يشاء من عباده في الرزق ، و يوسعه على آخرين ، له الحكمـــــة البالغـــة في ذلـــك .
تفســـــير ابن كثـــير ٣٠٧/١

(٦) حـرف " في " ساقـــط من ط ، م .

الآيـــــة : ٢٤٥

إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) . (١) وعرف المسلمون معنى الآية ووثقوا بثـــواب اللـــه ووعـــــده .

قال ابن عباس : لما نزلـت هذه الآيـة جاء أبو الدحداحـة رضي الله عنه الى رسول اللـــــه صلى الله عليه و سلم فقال : يا رسول الله أرى ربنا يستقرض مما أعطانا لأنفسنا ، وان لـــي حديقتـين فان تصدقت باحداهما فلي مثلها (٢) في الجنة ؟ قال : نعم . قـــــال : وأم الدحداحـــة معـــي ؟ قال : نعم . قال : والصبية معي ؟ قال : نعم . فتصـــــدق بأفضل حديقتيـــه (٣) ، وهي تسمى الحبيبـة . فلما رجع الى أهله وجد أم الدحداحـــة والصبية في الحديقـة التي تصدق بها ، فقام على بابها وتحرج (٤) أن يدخلهـــــا ، ثم نادى : يا أم الدحداحـة يا أم الدحداحـة ، قالت : لبيك . قال : قد جعلت حديقـتي هذه صدقـة ، واشترطت (٥) مثلها في الجنة ، وأم الدحداحة معي والصبيـــة معـــي . قالت : بارك الله لك فيما اشتريت ، ثم خرجوا منها ودفعوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : " ان الله تعالى قد قبل منك ، فأعطه اليتيمـــين اللذين في حجـــرك " .

وقال صلى الله عليه وسلم : " كم من نخلة مدلل عروقها في الجنة لأبي الدحداحـــة " . (٦)

---

(١) آل عمـــران ١٨١ .

(٢) في ط ، م " مثلاهـا " .

(٣) في ط " الحديقتين " ، وفي م " حديقتـه " .

(٤) في أ " ويحرج " بالياء . والتصويب من ط ، م .

(٥) في أ ، م " واشرطت " . والتصويب من ط .

(٦) ذكره الفخر الرازى في تفسيره ١٧٩/٦ ــ ١٨٠ عن ابن عباس . ولم أجده عند غيره . وأخرج الطبرى نحوه عن ابن مسعود مختصرا . انظر تفسير الطبري : ٥٩٣/٢
وكذا أخرجه عنه ابن أبي حاتم ــ فيما ذكره ابن كثير في تفسيره : ٣٠٦/١

وذكر بعضه الهيثمي في مجمع الزوائد : ٣٢١/٦ وقال : رواه البزار ، ورجاله ثقات .
ثم ذكره أيضاً في موضع آخر ، وقال : رواه أبو يعلى والطبراني ورجالهما ثقات ورجال أبي يعلى رجال الصحيح . مجمع الزوائد : ٣٢٤/٩ .
وذلك من حديث ابن مسعود مع اختصار واختلاف في اللفظ .
كما ذكر الهيثمي نحو حديث ابن مسعود عن أنس مرفوعاً . وقال : رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح . مجمع الزوائد : ٣٢٣/٩

الآيـــــة : ٢٤٥

وعـن [١] زيد بن أسلم قال : لما نزل قوله تعالى (مَن ذا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) الآيـة . قال أبو الدحداح : فداك أبي وأمي يا رسول الله ، ان الله يستقرضنا وهو غـني عن القرض ؟ قال : " نعم ، يريد أن يدخلكم الجنة " قال : فإني إن أقرضت ربـــي تضمن لي به الجنـة ؟ قال : " نعم ، من تصدق بصدقة فله مثلها في الجنة " قال : وزوجتي أم الدحداح معي ؟ قال : " نعم " . قال : وبنتي الدحداحة ؟ قال : " نعم " . قال : والصبية معي ؟ قال : " نعـم " . قال : ناولني يدك ، فناوله النبي صلى الله عليه وسلم يده المباركة ، فقال : يا رسول الله إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية ، والله ما أملك غيرهما قد جعلتهما قرضا لله عز وجل . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " اجعل أحدهما [٢] قرضا لله عز وجل ، والأخرى معيشة لك ولعيالك " قال : أشهـد يا رسول الله أني قد جعلت أحسنهما لله عز وجل ، وهو حائط فيه ستمائة نخلة . قال : " إذاً يجزيك بـه [٣] اللـه الجنـة " .

قال : فانطلق أبو الدحداح حتى أتى أم الدحداح وهي مع أولادها / في الحديقة تـدور (١٠٢/ب) تحت النخـل [٤] فأنشأ يقـول :

هـداك ربـي سـبيل الرشـاد .·. إلى سبيل الخير والسـداد
بيـني مـن الحائـط بالـوادي [٥] .·. فقد مضى قرضا إلى التنـاد
أقرضته الله على اعتمـاد .·. بالطوع لا من ولا أنكـاد
إلا رجاء الضعف في المعـاد .·. فارتحلي بالنفس والأولاد
والبر لا شك فخـير زاد .·. قدمه المرء إلى المعـاد

---

(١) في النسخ " وعن أبي زيد " . والتصويب من المصادر .
(٢) في ط ، م " احداهما " .
(٣) في ط " يجزيك الله به " ، وفي م " يجزيك الله به في الجنة " .
(٤) في ط " النخيل " .
(٥) في أ " بالوادي " . والتصويب من ط ، م .

الآيـــــــة : ٢٤٥

قالت أم الد حـــد اح : ربـح بيعك بارك الله لـك فيما اشتريت ، فأجابته أم الـــد حد اح وهـــي تقـــــــول :

بشـــرك اللـه بخـــــير وفـــــــرح ٠٠٠ مثـلك أد ى مـا لد يـــه و نصـــح

إن لـك الحظ إذا الحـــظ و ضـــح ٠٠٠ قـد متـع اللـه عيالـــي و منـــح

بالـعجوة السود اء والزهـــو البلـــح ٠٠٠ والـعبـد يسعى وله ما قد كـــد ح

طـول الليـــالي و عليـــه مـا اجـــترح

ثم أقبلت أم الد حد اح على أولا د ها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم وتطـــــــــرح ما في ثيابهم حتى أفضت إلى الحائط الآخـــــر ٠

فقال صلى الله عليه و سلم : " كم من عـــذ ق رد اح و د ار فياح في الجنة لأبي الد حد اح " (١) ٠

وقال أهل المعاني : في الآيـة اختصار واضمار ، تقد يره : من ذ ا الذ ى يقرض عباد اللـــــه قرضـــا حســـنا . (٢)

وجاء في الحد يث : " أن الله تعالى يقول لعبد ه يوم القيامة : استطعمتك فلم تطعمـــني واستسقيتك فلم تسقني ، واستكسيتك فلم تكسني ٠ فيقول العبد : وكيف ذ لك يا سيـد ى ؟ فيقول : مرّ بك عبد ى فلان الجائع وفلان العاري فلم تعد عليهم من فضلك ، فلا منعتـــك اليوم فضلي ، كما منعتهم من فضلك " . (٣)

قال يحيى بن معاذ : عجبت لمن يبقى له مال ، ورب العرش يستقرضـــه ٠

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٧١/٢ ــ ١٧٢

وانظر تفسير القرطـــــــبي ٢٣٨/٣ ــ ٢٣٩

وأخرجه الطبرى مختصرا ، وليس فيه تلك الأبيات ٠ انظر : تفسير الطبرى ٥٩٣/٢

وقال السيوطي في الد ر المنثور ٧٤٦/١ : أخرج ابن مرد ويه من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار و عن الأعرج عن أبي هريرة ٠٠٠ فذكر نحوه مختصرا ، وليـــــس فيه شعـــــر ٠

(٢) انظر : تفسير البغوى ٢٢٥/١ ، والبحر المحيط ٢٥٢/٢

(٣) أخرجه مسلم من حد يث أبي هريرة رضي الله عنه ٠ ولفظه : عن أبي هريرة قـال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابـــن آد م مرضت فلم تعد ني ٠ قال : يا رب كيف أعود ك وأنت رب العالمين ؟ قال : ==

الآيـــــة : ٢٤٥ ، ٢٤٦

وعن أبي أمامــة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رأيت على باب الجنة مكتوبا : القرض بثمانيـة عشــر ، والصدقــة عشــر . فقلت : يا جبريل ما بال القرض أكثـــــر أجرا ؟ قال : لان صاحب القرض لا يأتيك الا محتاجا ، وربما وقعت الصدقة في غير أهلها " .(١)

وعن أبي هريــرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " من أقــرض أخاه المسلم فله بكل د رهــم وزن ثبــير و طور سيناء حسنات " .(٢) وهمـــــــا جبـــــــلان .

(٢٤٦) قوله عز وجل (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَآءِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) :

أي ألم تعلم يا محمـــــد بالملأ من بني اسرائيل ، والملأ من القوم أشرافهم ووجوههـــــم

= أما علمت أن عبد ى فلاناً مرض فلم تعد ه ، أما علمت أنك لو عد تـه لوجد تـــــني عند ه ؟ يا ابن آد م استطعمتك فلم تطعمني . قال : يا رب وكيف أطعمك وأنـــــت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبد ى فلان فلم تطعمه ، أما علمـت أنك لو أطعمته لوجد ت ذ لك عند ى ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني . قـــال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبد ى فلان فلم تسقـه ، أما أنك لو سقيته وجد ت ذ لك عنـــد ى " .

صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب فضل عياد ة المريض . حد يث ٢٥٦٩

(١) أخرجه ابن مالك في كتاب الصد قات : باب القرض . من حد يث أنس بن مالك . قال في الزوائد : في إسناد ه خالد بن يزيد ، ضعفه أحمد وابن معين وأبـــو د او د والنسائي وأبو زرعـة والد ارقطني و غيرهم ١ هـ .

كما ذكره ابن الجوزى في العلل المتناهية في الأحاد يث الواهية ١١٢/٢ ــ ١١٣ وقال : لا يصـــــح . قال أحمد بن حنبل : خالد ليس بشيء ، وقال النسائي : ليـــس بثقـــــة . ١ هـ .

(٢) ذكره الحافـــظ ابن حجر في المطالب العاليـــة ٤١٤/١ بأطول من اللفـــظ المذكـــــور . وقال : موضـــــوع .

الآيـــــة : ٢٤٦

يجتمعون للمشاورة . وجمعه : الأملاء . واشتقاقه [١] : من ملأت الشيء ، لا واحد له من لفظه ، كالابل والخيل والجيش والقوم والرهط .

قوله تعالى (مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ) أي من بعد وفاة موسى .

وقوله (إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ) اختلفوا فيه من هو :

قال قتادة : هو يوشع بن نون بن افراثيم بن يوسف بن يعقوب [٢] عليه السلام .

/ وقال السدي : هو سمعون [٣] ، وقد كان بعد يوشع . وإنما سمي سمعون ، لأن (١٠٣/أ) أمه دعت الله عز وجل أن يرزقها غلاما ، فاستجاب الله دعاءها ، فولدت غلاما فسمته سمعون ، وقالت : قد سمع الله دعائي ، فلأجل ذلك سمته سمعون .

والسين [٤] في لغة العبرانية شين [٥] ، فهو بالعبرانية شمعون [٦] ، وبالعربية سمعون . [٧]

وقال الكلبي ومقاتل وسائر المفسرين : هو أشمويل بن هلقانا ، وبالعربية يسمى [٨]

---

(١) في أ " واشقاقه " . والتصويب من ط ، م .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢/٥٩٦

وانظر : تفسير ابن كثير ١/٣٠٧ قال ابن كثير : وهذا القول بعيد ، لأن هذا كان بعد موسى بدهر طويل ، وكان ذلك في زمان داود عليه السلام ، كما هو مصرح به في القصة ، وقد كان بين داود وموسى ما ينيف عن ألف سنة . والله أعلم . اهـ .

(٣) في ط " شمعون " . وانظر : تفسير الطبري ٢/٥٩٥ ـ ٥٩٦

(٤) في أ " والشين " . والتصويب من ط ، م .

(٥) في أ " سين " . والتصويب من ط ، م .

(٦) في أ " سمعون " . والتصويب من ط ، م .

(٧) في أ ، م " شمعون " . والتصويب من ط .

(٨) في م " يقال " .

الآيـــــة : ٢٤٦

اسماعيل بن بالى ، وهو من نسـل هارون عليه السلام . (١)

قال الكلبي : وكان سبب مسألتهم اياه أنه لما مات موسى عليه السلام خلف بعـــده فـي بني اسرائيل يوشع بن نـون ، يقيم فيهم التوراة وأمر الله تعالى ، [حتى قبضه اللـــه ثم خلف فيهم] (٢) كالباً (٣) يقيم فيهم التوراة [وأمر الله تعالى] (٤) حتى قبضه اللـه ، ثم خلف فيهم حزقيـل كذ لك حتى قبضه الله ، و عظمت في بني اسرائيل الأحد اث فنسـوا (٥) عهد الله تعالى حتى عبد وا الأوثان ، فبعث الله اليهم الياس عليه السلام نبيا ، فجعـل يد عوهم الى الله ، ثم خلف بعد (٦) الياس عليهم اليسع وكان فيهم ما شاء الله ثم قبضـــه الله ، فعظمت فيهم الأحد اث وكثرت فيهم الخطايا ، وظهر لهم عد و يقال له البلشـــايا وهم قوم جالوت ، كانوا يسكنون ساحل الروم بين مصر وفلسطين ، وهم العمالقة . فظهـــروا على بني اسرائيل و غلبوهم على كثير من أراضيهم وسبوا كثيرا من ذ راريهم وضربوا عليهـــم الجزية ولقوا منهم بلاءً شد يداً ، ولم يكن لهم نبي يد بـر أمرهم ، فكانوا يسألون اللـــه تعالى أن يبعث لهم نبيا يقاتلون معه ، وكان سبط النبوة قد هلكوا ولم يبق منهم الا امرأة حبلى ، فأخذ وها و حبسوها في بيت خشية أن تلد أنثى فتبد لها بغلام لما ترى من رغبـــة بني اسرائيل في ولد ها ، فجعلت المرأة تد عو الله أن يرزقها غلاما ، فولدت غـلامـــــا

---

(١) انظر : تفسير البغوى ٢٢٦/١ ، وتفسير القرطبي ٢٤٣/٣

وانظر : البد اية والنهايـة .

قلـت : الموعظة و العبرة حاصلة من تلك القصة ، سواء علمنا من ذ لك النـــبي ومن أولئك الملأ ، أو لم نعلم ذ لك ، فلا يتوقف على هذ ا كبير فائدة . كما أن مثل هذ ا التعيين يحتاج الى خبر صحيح .

وانظر : تفسير الفخر الرازى ١٨٣/٦

(٢) ما بين المعقوفتـين من ط .

(٣) في ط " كالب " .

(٤) ما بين المعقوفتين من ط .

(٥) في أ " فنسيوا " . والتصويب من ط .

(٦) كلمة " بعد " ساقطة من ط .

الآيـــــة : ٢٤٦

فسمتــه اشمويـل ، أى اسماعيــل ، وكـبر الـغلام فتعلم التوراة في بيت المقد س وكفــله شيــخ منهم ، فلما بلغ أن يبعثــه الله نبيا أتى جبريــل ، والـغلام نائم الى جنب الشيخ ، فد عاه : يا اشمويـل اذ هب الى قومك فبلـغهم رسالة ربك ، فان الله قد بـعثك فيهـــــم ، فلما أتاهم كذ بوه وقالوا : ان كنت صاد قا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ، وانمـــــا سألوا الملك لأنـهم علموا أن كلمتـهم لا تتفق وأمورهم لا تنتظم ولا يحصل منـهم الاجتماع عـلى القتال الا بملك يحملهم على ذ لك و يجمع شملهم ، فكان الملك هو الذ ى يجمع أمرهـــم ، والنبي يشير عليه و يرشـــده ويأتيـه من ربـه بالخـبر .

فلما قالوا لاشمويـل : ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله . قال لهم : لعلكم اذ ا بعث اللــه [لكــم] (١) ملكا وفرض عليكم القتال أن تجبنــوا (٢) عن القتال فلا تقاتلــوا .

وانما قال ذ لك متعرفا ما عند هم من الجـــد (٣) ، وذ لك قوله تعالى : (**قَالَ هَـــلْ عَسَـيْتُمْ إِن كُتِـبَ عَلَيْـكُمُ القِتَـالُ أَلاَّ تُقَـٰتِـلُوا۟ قَـالُوا۟ وَمَـا لَنَـا أَلاَّ نُقَـٰتِلَ فِي سَبِيـلِ ٱللَّـهِ وَقَـدْ أُخْرِجْنَـا مِن دِيَـٰرِنَـا وَأَبْنَائِنَـا**) .

معناه : قال لهم نبيهم عسى ربكم ان فرض عليكم القتال مع ذ لك الملك أن لا تفـــــوا بما تقولون ولا تقاتلون معـــــه .

(**قَالُوا۟ وَمَا لَنَـا أَلاَّ نُقَـٰتِلَ فِي سَبِيـلِ ٱللَّـهِ**) أى وما لنا في أن لا نقاتل في سبيل اللــه [أى:أى شيء لنا] (٤) في ترك القتال ؟

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٢) في أ " أن تجنبوا " ، وفي م " تجتنبوا " . والتصويب من ط .

(٣) انظر تلك القصص والأخبار في تفسير الطبرى ٢/٥٩٦ ــ ٥٩٨ ، وتفسير البغـــوى ١/٢٢٦ ــ ٢٢٧ ، والبد اية والنهاية ٢/٥ ــ ٦ ، والد ر المنثور ١/٧٥٠ ــ ٧٥٣ قلـــت : وليس لهذ ه الأخبار ــ والله أعلم ــ ما يعضد ها من خبر صحيـــح ، فلا معول عليها ، ولا كبير فائد ة في ذ كرهـا .

(٤) ما بين المعقوفتـين من ط .

الآيـــــة : ٢٤٦

وقيل معناه : وليس لنا أن نمتنع عن قتال عدونا في طلب مرضاة اللـــه ، وقد أخرجنـــا من ديارنـــا وأبنائنـــا ، أي وقـد أجلونا من منازلنـــا وسبوا ذرارينـــا .

ومعنى الاخراج من الأبناء أنه لما كان الاخراج [من الديار] (١) يؤدي الى مفارقة الأبنـــاء ، قالوا : أخرجنا من ديارنـــا وأبنائنـــا .

ويجوز أن يكون على وجه الاتباع ، كما يقال : متقلد سيفا ورمحا .

فان قيل : ما وجـه دخول " أن " في قوله (أَن لَّا نُقَـٰتِلَ) ، والعرب لا تقول : مالـــك أن لا تفعل كذا ، وانما يقولون : مالك لا تفعل ؟

قيل : دخول " أن " وحذفها لغتان فصيحتان . (٢)

فدليل اثباتها قوله تعالى (مَا (٣) مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ) (٤) و (مَالَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّـٰجِدِينَ) (٥) .

ودليل حذفها قوله تعالى (وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّـهِ) . (٦)

واختلفوا في قراءة قوله تعالى (ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ) :

قرأ بعضهم " نقاتلُ " بالرفع (٧) على معنى : فانا نقاتل .

وأكثرهم على " نقاتلْ " بالجزم (٨) على جواب الأمـــر .

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي " يقاتل " بالياء والجزم (٩) ، جعل الفعل للملك .

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ١٦٣/١ ، وتفسير الطبري ٥٩٩/٢

(٣) في النسخ " مالك " . وهو خطأ .

(٤) الأعـــراف ١٢ (قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ..) .

(٥) الحجـــر ٣٢

(٦) الحديـــد ٨

(٧) انظر : الكشـــاف ٢٩١/١

(٨) وهي القراءة المتواتـــرة .

(٩) انظر : مختصر الشواذ لابن خالويـــه ص ١٥

الآيـــة : ٢٤٦ ، ٢٤٧

وكذلك قوله تعالى (وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا) :

قرأ عمر " وقد أخرجَنا " بفتح الهمز والجيم [١] ، يعني العدو .

قوله عز وجل (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) :

فيه حذف معناه : فبعث الله لهم ملكا وكتب عليهم القتال ، فلما كتب عليهم القتال ، أي لما فرض الله [٢] عليهم أعرضوا عنه وضيعوا أمر الله عز وجل ، الا قليلا منهم ، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا [٣] وهم الذين عبروا النهر ، وسنذكرهم ان شاء الله في موضعهم .

قوله تعالى (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) أي عالم بالذين ظلموا أنفسهم بالمعصية وبعقوبتهم . وفي هذا تهديد لمن ولّى عن القتال .

واختلفوا في قراءة " عسيتم " : فقرأ نافع وطلحة والحسن " عَسِيتم " بكسر السين في كل القرآن ، وهي لغة .

وقرأ الباقون بالفتح [٤] ، وهي اللغة الفصيحة .

(٢٤٧) قوله عز وجل (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ)

وكان السبب فيه ـ على ما ذكره المفسرون ـ أن اشمويل عليه السلام سأل الله تعالى : أن يبعث [٥] لهم ملكا . فأتى بعصا ، وقرن فيه دهن / وقالوا له : ان صاحبكم الذي يكون ملكا (١٠٤/أ)

---

(١) لم أجد من نسب هذه القراءة لعمر .
وقد حكاها الثعلبي عن عبيد بن عمير . تفسير الثعلبي ١٧٤/٢ وهي قراءة شاذة .

(٢) في ط ، م " أي لما فرض عليهم " . وهو أولى .

(٣) هذا التحديد لا مستند له . والله أعلم .

(٤) انظر : النشر ٢٣٠/٢ ، والبدور الزاهرة ص ٥٢
وانظر نسبة قراءة الكسر لطلحة والحسن في : تفسير القرطبي ٢٤٥/٣

(٥) في أ " أن بعث " . والتصويب من ط ، م .

الآيـــــة : ٢٤٧

طولـه طول هـذه العصا ، وقيل له : انظر الى [١] القرن الذى فيه الدهن ، فاذا دخـــل عليك رجل فنش [٢] الدهن الذى في القرن فهو ملك بني اسرائيل ، فادهن به رأســـــــه وملّكـه على بني اسرائيل . فقاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكن أحد منهم مثلها .

قال وهب : وكان طالوت رجـلا دباغـا .

وقال عكرمة و السدى : كان يسقي على حمار له من النيل ، فضلّ حماره فخرج في طلبه .

وقال بعضهم : ضلّت حمولات لأبيه ، فأرسله أبوه مع غلام له يطلبانها [٣] ، فمرّا ببيت اشمويل ، فقال الغلام لطالوت : لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن الحمولات ليرشدنا ويدعو لنا بخير . [٤] فقال طالوت : نفعل ذلك . فدخلا عليه ، فبينما هما عنـــده اذ نش الدهن الذى في القرن ، فقام اشمويل وقاس طالوت بالعصا ، فكان على طولـــه ، فقال لطالوت : قرب رأسك فقرّبه فدهنـه بذلك الدهن ثم قال له : أنت مـــــلك بني اسرائيل الذى أمرني الله أن أملكك عليهم . فقال طالوت : أو ما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني اسرائيل ؟ قال : بلى . قال : فبأى آية أكون أهلا لذلك ؟ قال : بآيـة أنـك ترجع الى أبيك وقد وجد أبوك حمولاتـه ، فرجع فكان كذلك ، ثم قال اشمويل لبني إسرائيل : إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، فقالوا : أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالمـلك منـــــه .

وإنما قالوا ذلك لأنـه كان في بني اسرائيل سبطان ، سبط نبوة ، وسبط مملكـة ، وكـان سبط النبوة لاوى بن يعقوب ، ومنه موسى و هارون . وسبط المملكة سبط يهودا بـــن يعقـوب ، ومنه كان داود و سليمان . ولم يك طالوت من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وانما هـو من سبط بنيامين بن يعقوب ، فمن أين يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منـــه ، ومع ذلك هو فقير لم يؤت سعة من المال ينفقه علينا كما يفعله الملوك .

---

(١) في م " الى هذا القرن " .

(٢) أى صار له نشيش ، وهو الصوت عند الغليان . يقال : نشّ اللحم في القـدر اذا غـلى . انظر : اللسان ٣٥٢/٦ (نشش) .

(٣) في ط " يطلباهـا " .

(٤) في ط " بالخـير " .

الآيـــــة : ٢٤٧

قال اشمويل : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي اختاره عليكم للملك ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ أي فضله عليكم في العلم ، وذلك أنه كان أعلمهم في وقته فرفعه الله تعالى بعلمه .

وقيل : كان عالماً بأمر الحرب ، وكان طويلاً جسيماً ، وكان يفوق الناس بمنكبيه وعنقه ورأسه . وإنما سمي طالوت لطوله وقوته .

فأعلمهم الله تعالى أن العلم هو الذي يجب أن يقع به الاختيار [1] ، وأن الزيادة في الجسم مما يهيب به العدو .[2]

قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي يعطي ملكه من يشاء ، وهو جل وعز لا يشاء إلا الحكمة والعدل ، فلا تنكروا ملك طالوت مع كونه من غير أهل الملك ، وأن الملك ليس بالوراثة وإنما هو بيد الله يؤتيه من يشاء .

قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي يوسع على من يشاء ، ويعلم أين ينبغي أن يكون الملك والسعة .

/ وانما قال ﴿وَاسِعٌ﴾ بمعنى موسع ، كما يقال " أليم " بمعني مؤلم . (١٠٤/ب)

وقيل معناه : واسع الفضل ، الا أنه حذف الفضل ، كما يقال : فلان كبير ، أي كبير القدر .

---

(١) في أ " الاجتناب " . والتصويب من ط ، م .

(٢) انظر تلك التفاصيل حول هذه القصة في :

تفسير الطبري ٦٠١/٢ ـ ٦٠٥ ، وتفسير البغوى ٢٢٨/١

وتفسير القرطبي ٢٤٥/٣ ، والدر المنثور ٧٥١/١ ـ ٧٥٣

قلت : والعبرة حاصلة من مجمل تلك القصة على ما ورد في القرآن الكريم .

أما ما ذكر من حكايات وأخبار حول ذلك فالله أعلم بصحته ، كما أنه لا يتوقف عليه معنى ، ولا يتعلق به كبير فائدة .

والله تعالى أعلم .

الآيـــــة : ٢٤٧ ، ٢٤٨

وأما طالـوت وجالـوت و د اود فاجتمع فيهم العجمة والتعريف ، فلذلك لم ينصـــــرف ، فلو سميت رجلا باسم جاموس لانصرف وان كان أعجميا ، لأنـه قد يمكن في العربية ، لأنـك تد خـل عليه (١) الألف (٢) واللام ، فتقول : الجامـوس . (٣)

(٢٤٨) قولـه عـز وجـل (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) :

قال ابن عباس : هذا جواب عن قولهم لنبيهم : والله ما نصد قك أن الله بعثه علينا ، ولكنك أنت بعثته علينا ملكا مضارة لنا حين سألناك ملكا ، والا فأتنـا بآيـة أن الله قـد بعثـــه علينـــــا . (٤)

فقال لهم : ان آيـة ملكـه ، أى الد لالـة (٥) على كون طالوت ملكا أن يأتيكم التابـــــوت الذ ى أخذ ه منكم عد وكـم ، وكان ذ لك التابوت من عود السمشار (٦) الذ ى يتخـــذ منـــه الأمشاط ، مقرم بالذ هب عليه صفائح الذ هـــب .

وكانت السكينة في التابوت ، وهي شبه د ابـة رأسها كرأس الهرة ، ولها ذ نب كذ نبهـــا ، لها رأسان ووجـه كوجـه الانسـان ، ولها جناحان من زبرجد وياقوت ، وكان فيها روح تكلمهم بالبيان فيما (٧) اختلفوا فيه ، وكان لعينيها شعاع ، اذ ا نظرت الى انسان ذ عـر .

---

(١) في أ " عليها " . والتصويب من ط .

(٢) في أ " الاف " . والتصويب من ط ، م .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٢٨/١ ، والكشاف ٢٩٢/١

(٤) انظر : زاد المســير ٢٩٤/١

(٥) في ط " أى أن الد لالــة " .

(٦) في ط " الشمشار " .

(٧) في أ " فما " . والتصويب من ط ، م .

الآيـــــة : ٢٤٨

قال ابن عباس : كانت بنـو اسرائيل اذا حضر القتال قدموا التابوت بين أيديهم الى العدو ، فاذا أنّت السكينة في التابوت و سمع التابوت أنينها قرب نحو العدو ، وهم يمضون معـــه أينما مضى ، فاذا استقر ثبتوا خلفه ، وكانت السكينة اذا صرخت في التابوت بصراخ هـــر (١) أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتـــح .

فلما عصت بنو اسرائيل الأنبياء صلوات الله عليهم سلط الله عليهم عدوهم فقاتلهـــم و غلبهم على التابوت و مضوا بـه الى قريـة من قرى فلسطين وجعلوه في بيت صنم لهـــم وجعلوا التابوت تحت الصنم ، فأصبحوا من الغد والصنم تحته ، وأصنامهم كلهـــا (٢) مكســـرة . فأخرجوا التابوت من بيت الصنم ووضعوه في ناحية من مدينتهم ، فأخذ أهـــل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم ، فقال بعضهم لبعض : أليس قـد علمـتم أن الـه بني اسرائيل لا يقوم له شيء فأخرجوا التابوت الى قرية أخرى ، فبعث الله على أهل تلك القرية بلاء ، حتى كان الرجل منهم يبيت سالما و يصبح ميتا قد أكل ما في جوفـــه ، فأخرجوه منها الى الصحراء و دفنوه في مخرأة لهم ، فكان كل من تغوط منهم هنـــالك أخذه الباســـور (٣) ، والقُولَنْـج (٤) ، فتحيروا ، فقالت لهم امرأة من بني اسرائيـــل ـ كانت عندهم قد سبوها ـ : اعلموا / أنكم لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام التابـــوت (١٠٥/أ) فيـكم ، فأخـرجوه عنـكم . فأتـوا بعَجَلَـة ـ باشارة تلك المـرأة ـ فحمـــلوا

---

(١) في م " هـرة " .

(٢) في ط ، م كلمة " أصبحت " قبل قوله " كلها مكسرة " .

(٣) جمعه " البواسير " . وهو مرض معروف ، يصيب المقعدة .
وانظر : اللســـان : مادة (بسـر) .

(٤) بضم القاف و فتح اللام ، وقد تكسر لامه . أو هو مكسور اللام و يفتح القـــاف و يضـــم .
وهو مرض معوى مؤلم ، يعسر معه خروج الثفل والريـح .
القاموس المحيـــط : (قلـج) .

الآيـــــة : ٢٤٨

عليهـا التا[بـو]ت[1] ثم علقوها على ثورين ثم ضربوا جنوبهما ، فأقبل الثوران يسيران ، ووكل الله أربعة من الملائكـة يسوقون الثورين ، فلم يمر التابوت بشيء من الأرض الا كـان مقدسا ، فأقبلا حتى وقعا[2] على أرض بني اسرائيل ، فوضعوا التابوت فـــــي أرض بني اسرائيل ، فلما رأى بنـو اسرائيل التابوت كبروا وحمـدوا الله و أطاعـوا طالوت وأقـروا بملكـه ، فذلك قولـه (تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) أي تسوقـه .

وقال ابن عباس : جاءت الملائكـة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليـه ، حتى وضعته الملائكـة عند طالوت .

وقرأ ابن مسعود و مجاهد والأعمش " يحمـله " بالياء .[3]

و عن علي رضي الله عنه : أن السكينة كانت ريحا هفافة لها وجه كوجه الانسان .

و قولـه تعالى (وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ) يعني أنه كان في التابـوت أيضا رضاض الألواح لموسى و عصاه من آس ، و عمامة هارون ، وقفيز من المن ، وهو الترنجبين الذي كان لبني اسرائيل في طست من ذهب .[4]

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٢) في ط " وقفا " .

(٣) انظر : زاد المسير ٢٩٦/١ ، والبحر المحيط ٢٦٣/٢

(٤) انظر تلك القصص والحكايات حول التابوت والسكينة في :
تفسير الطبري ٦٠٨/٢ ـ ٦١٢ ، وتفسير ابن كثير ٣٠٩/١ ، وتفسير البغوي ٢٢٨/١ ـ ٢٢٩ ، وزاد المسير ٢٩٤/١ ـ ٢٩٥ ، وتفسير القرطبي ٢٤٨/٣ ـ ٢٤٩
قال الشوكاني رحمه الله : " هذه التفاسير المتناقضة لعلها وصلت إلى هـــؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقماهـم اللـه ، فجاءوا بهذه الأمور لقصـــد التلاعـب بالمسلمين والتشكيك عليهم ... وهكذا كل منقول عن بني إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب ، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مرويـاً عن النبي صلى الله عليه و سلم ولا رأياً رآه قائله ، فهم أجـل قدراً من التفسير بالرأي وبما لا مجال للإجتهاد فيـه ... " .
فتح القديـــــر ٢٦٧/١

الآيـــة : ٢٤٨ ، ٢٤٩

وقـولـه تعالى (تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) أى تسوقـه الملائكـة .

وقال بـعضهـم : أرسل الله ريحا انـتزعت التابوت من أيد ى الكفار ثم حملته الملائكة فألقتـه بين يد ى طالـــوت .

قـولـه تـعـالى (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَـــةً لَكُـمْ) أى ان في رجوع [١] التابوت اليكم لـعلامـــة أن الله ملّك عليـــكم طالـوت .

(إِن كُنـتُم مُّؤْمِنِـينَ) أى مصد قين بذ لك .

(٢٤٩) قولـه عـز وجـل (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ) الآية .

أى فلما خرج طالوت من البلد بالجنود ، يعني خرج بهم من بيت المقد س و هـم سبعـون ألف مقاتـل . [٢]

وقيل : ثمانون ألفـا [٣] ، ولم يتخلف عنه الا كبـير لهرمـه ، أو مريـض لسقمـه ، أو ضرير لضرره ، أو معذ ور لعذ ره ، و ذ لك أنهم لما رأوا التابوت قالـوا : قد أتانا التابـوت وهـو النصر لا شك فيه ، فسارعوا الى الجهاد ، فخرج معه خلق كثـير ، فقال : لا حاجـــة لـي في كل ما أرى ، ولا أبتغي الا كل شباب [٤] نشيط فارغ ، ولا يخرج معـي صاحب تجـــارة ولا ر جل عليـه د يـــن ولا رجل تزوج امرأة لم يبن بها ، لأنهم يكونون مشغولين . [٥]

فاجتمع اليه ثمانون ألفـا من شرطـه ، فخرج بهم في حر شد يد فأصابهم العطـــــش فسألوا الماء ، فقال لهم طالوت (إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ) أى مختبركم بنهـــر جـار وهو نهر الأرد ن و فلسطين ، ليرى طاعتكم وهـو أعلم . (فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي) أى

---

(١) في ط " خـروج " .

(٢) حكاه ابن الجوزى وأبوحيان عن ابن عباس .

انظر : زاد المسير ٢٩٧/١ ، والبحر المحيط ٢٦٤/٢

(٣) أخرجه الطبرى عن السد ى . انظر تفسير االطبرى ٦٢٠/٢

(٤) في ط ، م " شاب " .

(٥) قلـــت : ذكـر هـذا بعض المفسرين . والله أعـلم بصحتـه .

الآيـــــة : ٢٤٩

فليس من أهل ديـني وطاعـتي وليس معي على عـدو ى . (**وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ**) أى فمـــــن لم يشربـه (**فَإِنَّهُ مِنِّي**) ومعي على عد وى .

وقد يطلق لفظ الطعم على الشرب ، قال الله / تعالى (**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا**) (١) . (١٠٥/ب)

قولـه تعالى (إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ) :

قرأ ابن عباس وأبو الجوزاء وابن كثير و شيبة و نافع وأبو عمرو وأيوب " غَرْفَةً " بفتح الغين . (٢)

وقرأ الباقون بضمها . (٣) وهي قراءة عثمان (٤) ، و هما لغتـــان .

قال الكسائي : الغُرفة بالضم : الذ ى يجعل في الكف من الماء اذ ا غرف .

والغَرفة بالفتح : الاغتراف . فالضم اسم ، والفتح مصـــد ر . (٥)

قال (٦) أبو حاتم : الغُرفة بالضم : ملأ الكف وملأ المغرفـة ، وبالفتح : الواحد ة مـــــن القليل والكثـــير . (٧)

قال الكلبي و مقاتـل : كانت الغرفـة يشرب (٨) منها الرجل و خاد مه ود ابتـه . (٩)

قيل : ابتلاهم الله بذ لك النهر ليميز الصاد ق من الكاذ ب .

---

(١) المائـــــــد ة ٩٣

(٢) وهـي أيضا قراءة أبي جعفر .

انظر : النشر ٢/٢٣٠ ، والبد ور الزاهـــرة ص ٥٢ ، وتفسير الثعلبي ٢/١٨٠

(٣) انظر : المصاد ر السابقة .

(٤) أخرجها عنه سعيد بن منصور ـ كما في الد ر المنثور ١/٧٦٠

(٥) حكاه عنه البغوى في تفسيره ١/٢٣١

(٦) في ط ، م " وقال " .

(٧) انظر : تفسير الثعلبي ٢/١٨٠ ـ ١٨١

(٨) في ط ، م " ليشرب " .

(٩) حكاه أبو حيـان عن ابن عبـاس و مقاتـل .

انظر : البحـر المحيـــط ٢/٢٦٥

الآيـــــــة : ٢٤٩

وكـان اشمويـل هو الذى أخـبر طالوت بذلك ، لأن الله تعالى لا يظهر على غيبه أحـــــــدا الا من ارتضى من رســول . فلا يجوز هــذا القول الا من نــبي .(١)

قولـه تعـالى (فَشَرِبُوا مِنْـهُ إِلاَّ قَلِيـلاً مِّنْهُـمْ) نصب " قليـلا " على الاستثناء . وقرأ ابن مسعود " الا قليل " بالرفع (٢) ، كقول الشاعر :

وكـل أخ مفارقـــه أخـــــــــوه .·. لعمـر (٣) أبيك الا الفرقـدان (٤)

ومعنى الآيـــة : أنه لما عرض لهم النهر وقد اشتد بهم العطش وقعوا فيه فشربوا كلهـــم أكثـــر من غرفـة الا قليلا منهم وهم ثلاثمائـــة و ثلاثـة عشر رجلا كعدة أهل بدر .

قال صلى الله عليه و سلم ــ يوم بدر لأصحابه ــ : " أنتم على عدد أصحاب طالوت " .(٥)

قالوا : فمن اغترف غرفـة كما أمر الله قوى قلبـــــه و صـحّ ايمانـه وعبر سالما ، وكفتـــــه

---

(١) قلـــت : هـذه الدعوى غير مسلمة ، فإن إثبات أن أحـداً اسمه اشمويل كان مـــع طالوت يحتاج إلى دليـل ، ثم لو ثبت ذلك فإن دعـوى أنه هو الذى أخـــــــبر طالوت بذلك تحتاج هـي الأخرى إلى دليل يمكن الإعتماد عليـه .

(٢) انظر : البحر المحيط ٢٦٦/٢

(٣) في أ " لعمرو " بالواو . والتصويب من ط ، ومن المصادر .

(٤) البيت لعمرو بن معد يكرب .
وهو في اللسان ٤٣٢/١٥ (الا) ، وخزانـة الأدب ٥٢/٢

(٥) أخرجه الطبرى في تفسيره ٦٢١/٢ عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى اللـه عليه و سلم قال لأصحابه يوم بدر : " أنتم بعدة أصحاب طالوت يوم لقـــــــى " ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم بدر ثلاثمائة و بضعة عشر رجـلا .اهـ
وأخرج البخارى عن البراء بن عازب قال : كنا أصحاب محمـــــد صلى الله عليه و سلم نتحـدث : أن عـدة أصحاب بـدر على عـدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معـــه النهـــر ، ولم يجاوز معـه الا مؤمـــن ، بضعـــــــــة عشر و ثلاثمائة .اهـ .
صحيح البخارى : كتاب المغازى : باب عدة أصحاب بـدر .

الآيـــة : ٢٤٩ ، ٢٥٠

تلك الغرفة الواحدة لشربه وخادمه ودوابه ، وأما الذين أخذوا أكثر من ذلك وخالفوا اسودت شفاههم واشتد عطشهم فلم يرووا وبقوا على شط النهر وجنبوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح .

وقوله تعالى (**فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ**) يعني لما جاوز طالوت النهر هو والذين صدقوه وهم القليل الذين لم يشربوا الا مقدار الغرفة ، قال الذين شربوا وخالفوا أمر الله وكانوا أهل شك ونفاق :

(**لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ**) وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت . قال بعض المفسرين : ان القوم كلهم جاوزوا النهر ، ثم ان الذين خالفوا في الشرب من النهر اعتزلوا من المطيعين ، وقالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده .(١)

قوله تعالى (**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ**) معناه : قال الذين يوقنون ويعلمون أنهم ملاقوا الله ، وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت : كم من فئة قليلة ، أي كم من فرقة قليلة قهرت فرقة عدتها كثيرة بأمر الله ونصره .

وكانت / فئة جالوت مائة ألف .(٢) والفئة جمع لا واحد له من لفظه . (١٠٦/أ)

قوله تعالى (**وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**) أي معهم بالنصر والمعونة .

(٢٥٠) قوله عز وجل (وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا) الآيـــة .

معناها : لما خرجوا واصطفوا لمحاربة جالوت وجنوده قالوا : ربنا اصبب علينا الصبر صبا

---

(١) وهذا اختيار الطبري ٦٢٢/٢

(٢) هذا التحديد ذكره بعض المفسرين ، ولا مستند له .

والله تعالى أعلم .

الآيـــــة : ٢٥٠ ، ٢٥١

(وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) في أماكنها في الحرب ، بتقوية قلوبنا (وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَـــوْمِ الْكَـافِرِيـنَ) أى أعنا على قوم جالوت بالقاء الرعب في قلوبهم .

(٢٥١) قوله عز وجل (فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ) :

في هذا ايجاز ، لأن ذكر الهزيمة بعد سؤال النصر يدل على اجابة الدعـــاء كأن الله تعالى قال : فاستجاب الله دعاءهم فهزموهم .

قوله تعالى (وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ) قال المفسرون : لما عبر طالوت ومن معه النهر كان من جملة من عبر معهم أبو داود عليه السلام ، واسمه ايشا في ثلاثة عشر ابنا له ، وكان داود أصغرهم ، ثم ان جالوت أرسل الى طالوت : أن أبرز [١] اليّ من يقاتلني [٢] فان قتلني فلكم ملكي ، وان قتلته فلي ملككم ، فشق ذلك على طالوت وناد ى في عسكره : من قتل منكم جالوت زوّجته ابنتي وأعطيته نصف مملكتي .

فلم يجب أحد منهم ، وهاب الناس جالوت ، فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله . فدعا الله تعالى ، فأتي بقرن فيه دهن ، فقيل له : ان صاحبكم الذى يقتل جالوت هو الذى يوضع هذا القرن على رأسه فيغلى الدهن [٣] ، فدعا طالوت بني اسرائيل فجربهم فلم يوافق ذلك منهم أحد ، فأوحى الله الى نبيهم : ان في أولاد ايشا من يقتل جالوت ، فدعا طالوت ايشا وقال له : اعرض عليّ أولادك [٤] ، فأخرج له اثني عشر رجلا أمثال الاسطوانات وفيهم رجل بارع عليهم . فجعل يعرضهم على القرن فلم ير شيئا ، فلم يزل يرد القرن على ذلك الجسيم ، حتى أوحي [٥] اليه : انا لا نأخذ الرجال على قدر صورهم ، بل على اصلاح قلوبهم ، فقل [٦] لايشا : هل لك ولد غيرهم ؟ فقال : لا .

---

(١) في م " أن أرسل " .

(٢) في م " يقابلني " .

(٣) في ط " في بني اسرائيل " .

(٤) في أ ، م " اثنا عشر " . والتصويب من ط .

(٥) في ط ، م " حتى أوحى الله اليه " .

(٦) في ط " فقال " .

الآيـــــة : ٢٥١

فقال : رب انه زعم أنه لا ولد له غيرهم . فقال : كذب . فقال له : ان ربك كذبك . فقال : صدق الله ، ان لي ابنا صغيرا يقال له داود ، استحييت أن يراه الناس لقصر قامته و حقارته فجعلته في الغنم يرعاه ، وهو في شعب كذا . وكان داود عليه السلام قصيراً مشقاً [١] أزرق . فخرج طالوت في طلبه ، فوجد الوادي قد سال بينه و بين الزريبة التي كان يريح اليها [٢] الغنم ، فوجده يحمل شاتين يجوز بهما السيل ولا يخوض بهما الماء . فلما رآه قال : هذا هو لا شك فيه ، هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم ، فدعاه فوضع القرن على رأسه ففاض ، فقال له طالوت : هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك بابنتي و أعطيك نصف مملكتي ؟ قال : نعم . (١٠٦/ب)

قال له : فهل جرّبت نفسك في شيء ؟ قال : نعم ، وقع الذئب في غنمي فضربته ثم أخذت برأسه وجسده ، فقطعت رأسه من جسده .

فقال له طالوت : إن الذئب ضعيف ، فهل جرّبت نفسك في غيره ؟ قال : نعم ، دخل الأسد في غنمي فضربته وأخذت بلحييه [٣] فشققتهما .

فمضى به طالوت إلى عسكره ، فمرّ داود بثلاثة أحجار فقلن له : خذنا معك ففينا ميتة جالوت ، فأخذهن ثم مضى .

فلما تصافوا [٤] للقتال وبرز جالوت و سأل المبارزة انتدب اليه داود ، فأعطاه طالوت فرساً و درعاً و سلاحاً ، فقال داود : إني لم أتعود القتال بهذا ، ولكني أقاتله بالقلاعة [٥] كما أريد ، فأخذ داود القلاعة ومضى نحو جالوت ، وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم ، وكان له بيضة [٦] هي ثلاثمائة رطل من حديد . فلما نظر الى داود ألقي في قلبه الرعب ،

---

(١) هكذا في النسخ . وفي المصادر " مسقاما " .
وقال في اللسان : ورجل مشيق وممشوق : خفيف اللحم ، ورجل مشق في هذا المعنى .
انظر : مادة (مشق) .

(٢) في ط " فيها " .

(٣) في أ " بلحيته فشققتها " . والتصويب من ط .

(٤) في أ " تصافوا " .

(٥) هي التي يرمى بها الحجر .

(٦) أى خوذة .

الآيـــــة : ٢٥١

وكان جالـوت على فرس أبلق عليه السلاح التام ، قال : برزت اليّ بالقلاعة والحجـــــــر لتقتلني كما يقتل الكلب . قال : نعم ، لأنك شر من الكلب .

قال جالوت : لا جرم ، لأقسمن لحمك بين سباع الأرض و طيور [١] السماء .

فقال د او د : بل يقسم الله لحمك ، ثم قال د او د : باسم إلٰه ابراهيم وأخرج حجـــــــرا ووضعه في مقلاعته ، ثم أخرج الحجر الثاني و قال : باسم إلٰه اسحاق ووضعه في مقلاعته ثم أخرج الحجر الثالث وقال : باسم اله يعقوب ووضعـــــه في مقلاعتـــــــه فصارت كلها حجرًا واحداً ، ود وّر المقلاع ورمى به ، فأصاب الحجر أنف البيضة وخلـــط د ماغـــه وخرج من قفـــاه ، وقتل من ورائه ثلاثين رجلا ، وهزم الله الجيـــــش وخرّ جالوت قتيـــلا ، فأخذ ه د او د وجـره [٢] حتى ألقاه بين يد ى طالوت ثم قـــال له : انجز لي [٣] ما وعد تني وأعطني امرأتـي .

فقال له طالوت : أتريـــد ابنة الملك بغير صد اق ؟

قال : ما شرطت عليّ صـــد اقا ، وليس لي شـيء .

فزوّجه ابنته وأراد أن يد فع اليه نصف ملكه ، فقال له وزيره : ان د فعت اليـــه ذ لك نازعك في الملك وأفســـد عليك ملكك . فامتنع طالوت من ذ لك و قصد قتله .

فهرب د او د عليه السلام ، فند م طالوت فخرج في طلبه ، حتى أتى امرأة من قد ماء بني اسرائيـــل وهي تبكي على د او د ، فضرب بابها ، فقالت : من هـذ ا ؟ قـــــال : أنا طالـــوت . قالت : أنت أشقى الناس ، طـردت د او د و قد قتل جالـــــــوت و هزم جنـــــــود ه .

قال : انما أتيتك لأسألك ما توبـــتي ؟ قالت : توبتك أن تأتي مد ينة كـذ ا و تقاتل أهلها ، فان فتحتها فهي توبتـــك ، وان قتلت فهي توبتـــك .

---

(١) في أ " والطـــير " . والتصـويب من م .
وفي ط " وطـير " .

(٢) في ط " يجـــره " .

(٣) في ط " انجزنـي " .

الآيـــــــة : ٢٥١

فانطلق طالوت الى تلك المدينة فقاتل أهلها حتى قتل ، فاجتمع بنو اسرائيل فملكوا داود / عليه السلام من بعده .(١) فذلك قوله تعالى ﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (١٠٧/أ) أى جمع له بين الملك والنبوة .

والحكمة : هي النبوة . ولم يجتمع كلاهما لأحد الا لداود وسليمان عليهما السلام .

قوله عز وجل ﴿ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ أى علمه الدروع ومنطق(٢) الطير وغير ذلك من العلوم .

قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ(٣) ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ :

أى ولولا دفع الله بأس المشركين بالغزاة المجاهدين ، كما دفع بداود شر جالوت لفسدت الأرض بأهلها لغلبة الكفار .

وقيل معناه : لولا الأنبياء صلوات الله عليهم الداعون الى سبيله ، الناهون عن الفساد لفسدت أحوال الناس .

روى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يقول الله تعالى : لولا رجال ركع ، وصبيان رضع ، وبهائم رتع ، لصببت عليكم العذاب صبا " .(٤)

---

(١) انظر تلك الحكايات بعبارات وتفاصيل متعددة في :
تفسير الطبرى ٦٢٥/٢ ـ ٦٣٢ ، وتفسير البغوى ١/ ٢٣٢ ـ ٢٣٤
وتفسير القرطبي ٢٥٦/٣ ـ ٢٥٨
قلت : والأولى الإعراض عن مثل هذه الأخبار التي لا مستند لها ، ولا طائل من تحتها ، بل هي مشغلة عن تدبر كتاب الله وفهم معانيه ، والاعتبار بقصصه وأخباره .

(٢) في أ " والمنطق " . والتصويب من ط .

(٣) في م " دفع " . وهما قراءتان متواترتان .
فقرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب " دفاع " .
وقرأ الباقون " دفع " . انظر : النشر ٢٣٠/٢

(٤) ذكره الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ٩٧/٢ وقال : أخرجه أبو يعلى والبزار والبيهقي من حديث أبي هريرة . وفي إسناده إبراهيم بن خيثم بن عراك ، وقد ضعفوه . اهـ . وانظر أيضاً مجمع الزوائد ٢٢٧/١٠

الآيـــة : ٢٥١ ، ٢٥٢

وقال الحسن : يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن ، ولولا السلاطين والأمـــــراء المسلطون على العيارين [١] والدعارة [٢] لخرجوا على أهل الصلاح و استولوا عليهم . [٣]

قوله تعالى (وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ) من قرأ " دفاع " فهو من قولهم : دافع مدافعة ودفاعا . والدفع : الصرف .

قوله تعالى (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) أي ذو منّ عليهم ، يدفع المفسدين عن المصلحين .

(٢٥٢) قوله عز وجل (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) :

أي القرآن بما فيه من الأخبار الماضية آيات الله يتنزل [٤] جبريل عليه السلام بها عليك لتبيان الحق من الباطل . وانك لمن المرسلين ، لأنك أخبرت بهذه الآيات مع أنك لم تشاهدها ولم تخالط أهلها .

---

(١) قال في اللسان : يقال : غلام عيار : نشيط في المعاصي . اللسان : (عير) .

(٢) لعلها جمع دعّار . قال في اللسان : الدعّار : المفسد . انظر اللسان : (دعر) والدعارة : الفسق والفجور والخبث . انظر : المصدر السابق .

(٣) لم أجده عن الحسن ، لكن ذكر ابن كثير نحو هذا ، على أنه حديث مرفوع ، ولم يذكر من خرجه ، بل اكتفى بالقول : وفي الحديث " إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن " : أي ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد ، وهذا هو الواقع . اهـ .

تفسير ابن كثير ٦٣/٣

وقال السيوطي في الدر المنثور ٣٢٩/٥ : أخرج الخطيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : والله لما يزع الله بالسلطان أعظم مما يزع بالقرآن .

(٤) في أ " بتنزيل " . والتصويب من ط ، م .

الآيـــة : ٢٥٢ ، ٢٥٣

وقيل : في معنى هذه الآيات اماتة الله الألوف دفعة واحدة ، واحياؤهم دفعة واحدة ، واعطاؤه الملك طالوت وهو من أهل الخمول الذى لا ينقاد له الناس ، ونصر أصحاب طالوت ـ مع قلة عددهم وضعفهم على جالوت وأصحابه مع شوكتهم وكثرتهم ـ دلالة على قدرته ، وعلى نبوة أنبيائه صلوات الله عليهم .(١)

وقوله تعالى (وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) لأنك قد أعطيت من الآيات مثل ما أعطي الأنبياء صلوات الله عليهم وزيادة .

(٢٥٣) قوله تعالى عز وجل (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ﷺ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ) :

معناه : أن الذى نزلنا عليك خبرهم في القرآن هم الرسل لم يكونوا في الفضل متساوين ولكن فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا والعقبى .

ثم فسر فضيلة كل واحد منهم ، فقال (مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ﷺ) وهو موسى عليه السلام ، كلمه الله من غير سفير .

(وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ (٢) دَرَجَاتٍ) أى اتخذ الله ابراهيم خليلا ، وسخر لسليمان الريح والجن والشياطين ، وعلمه منطق / الطير . (١٠٧/ب)

وقال مجاهد : أراد بهذه الآية فضيلة محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء (٣) صلوات الله عليهم ، كما قال تعالى (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) .(٤)

وقيل : هو ادريس (٥) ، كما قال تعالى (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) .(٦)

قوله تعالى (وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) :

أى أعطيناه الدلالات على اثبات نبوته ، من ابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى والانباء بما غاب عنه .

---

(١) قلت : لا منافاة بين المعنيين ، وإن كان الأول أظهر وأشمل . والله أعلم .
(٢) في أ زيادة عبارة " فوق بعض " . وهي ليست من الآية .
(٣) انظر : زاد المسير ٣٠١/١
(٤) الشرح ٤
(٥) انظر : تفسير القرطبي ٢٦٥/٣
(٦) مريم ٥٧

الآيـــــة : ٢٥٣

(وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) أي قويناه و أعنـاه بجبريل الطاهر حين أراد وا قتله ، حـتى رفعه الله الى السماء .

وقال الحسن : الروح جبريـل ، والقدس هو الله تعالى [١] ، فيصير تقدير الآيـة : وقويناه بروح الله تعالى .

و عن ابن عباس أنه قال : [روح] [٢] القدس [هو] [٣] اسم الله الأعظم الذى كان بـه عيسى عليه السلام يحيي الموتـى . [٤]

قوله تعالى (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ) :

أي لو شاء الله لم يقتتل الذين من بعد الرسل من بعد ما وضحت لهم الحجج والدلائل ، كما قال تعالى (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى) . [٥]

وقيل معناه : ولو شاء الله لأنزل آية تضطرهم الى الايمان و تمنعهم عن الكفر ، كما قـال تعالى (إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) . [٦]

وقوله تعالى (وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا) أي شاء [اللـه] [٧] اختلافهم فاختلفـوا .

ويقال : لم نلجئهم [٨] الى الايمان ، لأن التكليف لا يحسن مع الضرورة ، والجزاء لا يحسن إلا [٩] مع التلجئـة .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ٢٤/٢

(٢) (٣) الزيادة من ط .

(٤) أخرجه الطبرى في تفسيره ٤٠٤/١

(٥) الأنعـام ٣٥

(٦) الشعـراء ٤

(٧) الزيادة مـن ط .

(٨) في أ " نلجهم " . والتصويب من ط ، م .

(٩) هكذا في النسخ بإثبات " إلا " . ولعل صحة العبارة بحذفها .

الآيـــــة : ٢٥٣ ، ٢٥٤

قولـه تعـالى (وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ) أي بالكتب والرسـل .

قولـه تعـالى (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) : أي ولو شاء الله لم يقتتلوا مع اختلافهم ، بأن يأمر المؤمنين بالكف عن القتال ، وبأن يلجئهـــم جميعا الى ترك القتال ، ولكن الله يفعل ما يريد من تقدير الاتفاق والاختلاف وغير ذلك مما توجبـه الحكمـــة .

(٢٥٤) قـولـه عـز وجـل (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ) :

حث على الانفاق في الجهاد في سبيل الله . وقيل : هو الأمر بالزكاة المفروضة .

وقولـه تعـالى (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ) يعني يوم القيامة (لَا بَيْعٌ فِيهِ) أي لا فداء فيـه (وَلَا خُلَّةٌ) أي ليس فيه خلة لغير المؤمنين ، وأما المؤمنون فتكون لهم خـــلة ، كما قال تعالى (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) .(١)

قـولـه تعـالى (وَلَا شَفَاعَةٌ) أي لغير المؤمنين ، وأما المؤمنون فيشفع بعضهم لبعض ، ويشفع لهم الأنبياء والرسل عليهم السلام .

قولـه تعـالى (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) أي هم الذين ظلموا أنفسهم حتى لا خلة لهم ولا شفاعـــة .

وكان عطاء (٢) يقول : الحمد لله الذى لم يقل : والظالمون هم الكافرون (٣) ، لأن كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافـــراً .

---

(١) الزخـــــرف ٦٧

(٢) هو عطـاء بـن دينـار الهـذلي مولاهـم ، أبو الريـان ، المصـرى ، صـدوق ، مات سـنة سـت وعشـريـن ومائـــة .

انظـر : التقريـــب ص ٣٩١

(٣) ذكـره ابـن كثـير في تفســـيره ٣١٢/١ وعزا تخريجـه لابن أبي حاتم .

الآيـــة : ٢٥٥

(٢٥٥) قـولـه عـز وجـل ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾

/ ذكر وحدانية الله تعالى و صفتـه ، ليعلم [أن] (١) من كان بهذه الصفة (١٠٨ / أ)
لا يخفى عليه كفر من كفـر و معصية من عصى ، فيجازى كل عامل (٢) على ما (٣)
عمـل .

فأول هذه الآية نفي معبود الكفار واثبات معبود المؤمنين ، واثبات الشيء مع نفي غيره أبلغ في الاثبات ، كأنه قال : الله لا (٤) اله الا هو ون غيره ، وهو المعبود لا معبود للخلق سواه .

ومعنى الحي القيوم : الدائم الذى لا يموت ، موصوف بالبقاء على الأبد و به حي كل حي .

وأما القيوم : فهو القائم بتدبير الخلق في شأنهم وأرزاقهم وأعمالهم وآجالهم ومجازاتهم على عملهم .

وقيل : معنى القيوم : العالم بالأمور ، من قولهم : فلان يقوم بهذا الكتاب ، أى يحسنه ويعلم ما فيه .

وقيل : معنى الحي القيوم : الدائم الذى لا يزول . (٥)

---

(١) الزيادة من ط .

(٢) في أ " عابد " . والتصويب من ط .

(٣) في ط " بما عمل " .

(٤) في ط " الله الذى لا إله الا هو " .

(٥) قلت : كل هذه المعاني صحيحة .

وانظر : زاد المسير ٣٠٢/١ ، و تفسير القرطبي ٢٧١/٣

قال ابن كثير : (**الحي القيوم**) : أى الحي في نفسه الذى لا يموت أبداً ، القيّم لغيره ، فجميع الموجودات مفتقرة إليه ، وهو غني عنها ولا قوام لها بدون أمره . اهـ .

تفسير ابن كثير ٣١٦/١

الآيـــــة : ٢٥٥

قولـه تعـالى (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ) أى لا يأخذه نعاس ولا نـوم ٠

والنعاس : اسم لأول ما يد خل في الرأس من النوم قبل وصوله الى القلـــــب ٠

والنـوم : هـو الذى يصـل الى القلـب فيستثقـل ٠

ومعنى الآيـة : لا يغفل عن تد بير الخـلق ٠ (١)

فان قيل : ما معنى نفي النـوم بعد نفي النعـاس ؟

قلنا : مثل هـذا اللفـظ انما يكون لنفي قـليـل النوم وكثـيره ٠

و نظـيره قـول العـرب : فـلان لا يملك قليـلا ولا كثـيرا ٠

قولـه تعـالى (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أى هو مالك السموات والأرض ومـا فيهما كلهم عبيد ه واماؤه و تحت قبضتـه وقد رتـه ٠

قولـه تعـالى (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)

هذا جواب عن قول المشركين في أصنامهم **(هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّـــــه)** (٢) ،

و **(مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّـه زُلْفَى)** ٠ (٣)

أى لا يشفع أحد لأحد عند الله الا بأمره ورضاه ، كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعـــــض بالد عـاء ، وكما يشفع الأنبيـاء للمؤمنـين ٠

قولـه تعـالى (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أى يعلم ما بين أيد يهـــــم من أمر الآخرة وما خلفهم من أمـر الد نيـا ٠

---

(١) قال ابن كثير : قوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) : أى لا يعتريه نقص و لا غفلة و لا ذ هول عن خلقه ، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت ٠٠٠ ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم ، فقوله (لا تأخذه) أى لا تغلبه سنة ، وهي الوسن والنعاس ، ولهـذا قال (و لا نوم) لأنـه أقوى من السنة ١٠ هـ ٠

تفسير ابن كثير ٣١٦/١

(٢) يونـس ١٨ (ويعبد ون من د ون الله ما لا يضرهم و لا ينفعهم ويقولون هـــــؤلاء شفعـاؤنا عنـد اللـه ٠٠٠) ٠

(٣) الزمـــــر ٣

الآيـــــة : ٢٥٥

قال [١] مجاهـــد على الضـــد [٢] مـن هـــذا . [٣]

وقيل : يعلم الغيـــب الذى تقدمهم والذى يكون بعدهـــم . [٤]

قـولـه تعـالى (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) أى لا يعلمون الغيـــــب ، لا مما تقدمهم ولا مما يكون بعدهم الا بما شاء الله أن يعلموه ، وهو ما أنبأ بـه الأنبيـــاء صلوات الله عليهـــم .

قـولـه تعـالى (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) :

قال ابن عباس : كرسيـــه : علمـــه [٥] ، فلا يخفى عليـه شيء مما في السموات والأرض .

وقيل معناه : وسعت قدرتـــه التي يمسك بها السموات والأرض . [٦]

---

(١) في ط ، م " وقال " .

(٢) في م " على العكس " .

(٣) أخرجه الطبرى في تفسيره ٩/٣

(٤) قال ابن كثير : قوله (يعلم ما بين أيد يهم وما خلفهم) : د ليل على إحاطة علمـه بجميع الكائنات ، ماضيها و حاضرها و مستقبلها ١٠ هـ . تفسير ابن كثير ٣١٧/١

(٥) أخرجه الطبرى في تفسيره ٩/٣

وزاد السيوطي في عزوه عبد بن حميد وابن المنذ ر وابن أبي حاتم والبيهقي فـــي الأسماء والصفات . انظر : الد ر المنثـــور ١٦/٢

قلـت : وقد ثبت عن ابن عباس خلاف ذ لك ، فقد أخرج عنه الحاكم قوله :

" الكرسي موضع قد ميـه ، والعرش لا يقد ر قد ره " .

قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقـه الذ هبي .

وزاد السيوطي في عزوه الفريابي و عبد بن حميد ، وابن المنذ ر ، وابن أبي حاتـم والطبراني وأبا الشيخ والخطيب والبيهقي .

انظر : المستد رك ٢٨٢/٢ ، والد ر المنثور ١٧/٢

وحكى الشيخ محمود شاكر عن أبي منصور الأزهرى : أن الرواية الصحيحة عن ابن عباس هي التي تقول : إن الكرسي موضع القد مين . قال : و هذ ه رواية اتفق أهل العـــلم على صحتها ، ومن روى عنه في الكرسي أنه العلم فقد أبطل ١٠ هـ .

تفسير الطبرى بتحقيق أحمـــد شاكـــــر ٤٠١/٥

(٦) حكاه القرطبي في تفسيره ٢٧٧/٣ ولم يسم قائله .

الآيـــــــة : ٢٥٥

وقال الحســـــن : الكرسي هـو العرش .(١)

ويقـــال : هـو ســـرير د ون العـــــرش .(٢)

ويقال : هـو مكان خلق الله فيـه السموات والأرض .(٣)

و قال عطاء ، والكلبي ، و مقاتل : السموات السبع والأرضون السبع تحت الكرسي فـــــي الصخر كحلقـة في فـــلاة .(٤)

وقال الكلبي : يحمل العرش أربعـة أمـلاك / لكل ملك أربعة أوجـه : وجـه انسان ، ووجـه (١٠٨/ب) ثـور ، ووجـه أسـد ، ووجـه نســر ، أقد امهم في المخرة التي تحت الأرضين بمســـــيرة خمسمائـة عـام ، وبين السماء السابعة و بين الكرسي مسيرة خمسمائـــــــــة عـــــام

---

(١) أخرجه عنه الطبرى في تفسيره ١٠/٣ من طريق جويبر عن الضحاك قال : كان الحسن يقول : ... فذكره .

(٢) أخرج نحوه الطبرى عن الضحاك و السد ى .

انظر : تفسير الطبرى ١٠/٣

(٣) أخرج الطبرى عن السد ى قوله : ان السموات والأرض في جوف الكرسي ، والكرســـي بين يد ى العرش ، وهو موضع قد ميـــه .

انظر : تفسير الطبرى ١٠/٣

(٤) لم أجد ه عمـــــن ذكـره .

وقد أخرجه الطبرى في تفسيره ١٠/٣

وكذ ا ابن مرد ويـــه ــ فيما حكاه ابن كثير وا لسيوطي .

وزاد السيوطي أبا الشيخ في العظمـة ، والبيهقي في الأسماء والصفات .

كلهم من حد يث أبي ذ ر : أنه سأل النبي صلى الله عليه و سلم عن الكرسي ، فقال : " يا أبا ذ ر ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي الا كحلقـة ملقـــــــاة بأرض فلاة ، وان فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة " .

وانظر : تفسير ابن كثير ٣١٧/١ ، والد ر المنثور ١٧/٢

الآيـــــة : ٢٥٥

[و بين الكرسي و بين المـاء مسيرة خمسمائـة عـام] [١] والـعرش فوق الماء . [٢]

قـولـه عـز وجـل (وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا) أي لا يثقله ولا يشق عليه حفظ السمـــــوات والأ ر ض .

وقولـه تـعـالى (وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ) أي العلي عن الأشباه والأمثـال و صفـــــــات المحد ثـــين [٣] ، عظيم الشأن والسلطان والبرهـــان .

روى محمد بن الحنفية [٤] قال : لما نـزلت آيـة الكرسي خرّ كل صنم في د ار الد نيـــــا ،

---

(١) ما بين المعقوفتـــين من ط .

(٢) لم أجـــد من عـزاه للكلـــبي .

وقد ذكر نحوه البغوى عن علي و مقاتل .

وحكى القرطبي بـعضه عن ابن مسعود ، و بـعضه عن أبي مالك .

كما ذكره السيوطي عن أبي مالك مختصرا ، و عزاه لـعبد بن حميد وأبي الشيـــخ في العظمـة و البيهقي .

انظر : تفسير البغوى ٢٣٩/١ ، و تفسير القرطبي ٢٧٦/٣ ــ ٢٧٧ ، والـــــد ر المنثـور ١٨/١ والله أعـلم بصحتـــه .

والواجب عد م الكلام في مثل هـــذ ا ، ما لم يستند الى د ليل من كتاب أو سنـــــة صحيحـــــــة .

قال ابن كثير : والصحيح أن الكرسي غير العرش ، والعرش أكبر منه ، كما د لت عـلى ذ لك الآثار والأخبار . ا هـ . تفسير ابن كثير ٣١٨/١

(٣) قلـــــت : لا شك أنـه تـعالى عليّ متـــنزه عن ذ لك ، لكن في معنى العلو هنـــا د لالـة أخـرى ، وهي أنـه تـعالى عليّ بذ اتـــه ، عليّ بـعظمة صفاتـــه ، وهو فـــــوق عرشـــه ، بائـــن مـن خلقـــه .

وانظر : شرح الطحاوية ص ٢٩٠ ــ ٢٩١ ، وتفسير الطـــــبرى ١٣/٣ و تفسير السعد ى ٢٠٣/١

(٤) هو محمـــــد بن علي بن أبي طالـب الهاشمي ، أبو القاسم بن الحنفيـة ، المد ني ، ثقـة عالم ، من الثانيـــة ، مات بـعد الثمانـــين .

التقريـــــــب ص ٤٩٧

الآيـــة : ٢٥٥

وخـرّ كل ملك في الدنيا على وجهـه ، وسقطت التيجان عن رؤوسهم ، وهربـــت الشياطين ، فضرب بعضهم على بعض حتى اجتمعوا الى ابليس فأخبروه بذلك ، فأمرهم أن يبحثوا ، فجاءوا الى المدينة فبلغهم أن آية الكرسي قد نزلت . (١)

وعن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قرأ آيـة الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة أعطاه الله قلوب الشاكرين وأعمال الصديقين وثواب النبيين ، وبسط على يمينه بالرحمة ، ولم يمنعه من دخول الجنة الا أن يمـوت فيد خلها ، ومن قرأها حين يأخذ مضجعه أمنه الله وجاره وجار جاره والدويرات حوله " . (٢)

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره ٢٦٨/٣

ولم أجده عند غيره ، كما لم أجد ما يعضده .

(٢) لم أجده من حديث أبيّ بن كعب .

وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢٤٤/١ مختصرا من حديث جابر بن عبد الله .

وأخرج نحوه ابن مردويه مختصرا ـ فيما حكاه ابن كثير ـ من حديث أبي موسى الأشعري . قال ابن كثر : وهذا حديث منكر جدا .

انظر : تفسير ابن كثير ٣١٥/١

قلت : وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل آية الكرسي ، بأنها أفضل آية في كتاب الله .

فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبيّ بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم " ؟ .

قال : قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : " يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟ " .

قال : قلت : الله لا إله إلا هو الحي القيوم .

قال : فضرب في صدرى ، وقال : " والله ليهنك العلم أبا المنذر " .

صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي .

الآيـــــة : ٢٥٦

(٢٥٦) قـولـه عـز وجـل (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) [١] الآيـة .

اختلف المفسرون في هذه الآيـة على ثلاثـة أقوال :

قال السدى و الضحاك : ان هذه الآيـة نزلت قبل الأمر بقتال المشركين [٢] ، كما قـــال تعالى (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـــن) . [٣]

وكان القتال غير مباح في أول الاسلام ، الى أن قامت عليهم الحجة الصحيحة بصحة نبـــوة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فلما عاندوا بعد البيان أمر الله المسلمين بقتالهـــم ، لقوله [٤] تعالى (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) [٥] و غير ذلك من آيات القتال .

وقال الحسن و قتادة : ان هذه الآيـة خاصة في أهل الكتاب أن لا يكرهوا على الاســـــلام بعد أن يؤدوا الجزيـــة . [٦]

وأما مشركوا العرب فلا يقرون بالجزيـة ، ولا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف .

والقول الثالث : أن معناه : من دخل في الاسلام بمحاربة المسلمين ثم رضي بعد الحـــرب فليس بمكره ، أي لا يقولوا لهم انما أسلمتم كرها فلا اسلام لكم . [٧]

---

(١) في ط زاد قوله تعالى (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) .

(٢) أخرجه ابن الجوزى في نواسخ القرآن ص ٢١٩

(٣) المؤمنـون ٩٦ (ادفع بالـتي هي أحسن السيئـة نحن أعلم بما يصفون) .

(٤) في ط " بقولـــه " .

(٥) التوبـــة ٥ (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُـــم) .

(٦) أخرجه الطبرى في تفسيره ١٦/٣ عن قتادة و الضحاك و ابن عباس و مجاهد .
وانظر حكايته عن الحسن في تفسير القرطبي ٢٨٠/٣
وقد اختار هذا القول ابن جرير الطبرى في تفسيره ١٧/٣
وقال ابن كثير : و قد ذهب اليه طائفة كثيرة من العلماء .
انظر : تفســـير ابن كثـــير ٣١٨/١

(٧) ذكره القرطبي في تفسيره ٢٨١/٣

الآيـــــة : ٢٥٦، ٢٥٧

ومعنى الآيـة : لا اكراه في الاسلام ، أي لا تكرهوا على الاسلام وقد وضح الطريق المستقـيم من الطريق [١] الذى ليس بمستقيم ، بما أعطى الله أنبياءه من المعجزات ، فلا تكرهـوا على الديـــن . [٢]

ود خول الألف واللام في " الدين " لتعريف المعهود .

قولـه تعالى (فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّـهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْـــقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا) أي فمن يكفر / بما أمر الله أن يكفر به ، ويصدق بالله وبما أمر بـه فقـــد (١٠٩/أ) عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله حجة من الحجج ، لا انقطاع لها بالشبهـــة والشـــكوك .

قولـه تعالى (وَٱللَّـهُ سَمِيـعٌ عَلِـيمٌ) أي سميع لما يعقده الانسـان في أمر الديـــن عالـم بنيتـه في ذلك .

والغـي : نقيض الرشـــد .

والطاغـوت مأخـوذ من الطغيان . والطاغوت اسم للأصنام والشياطين وكل ما يعبـــد مـن دون اللـــه .

(٢٥٧) قولـه تعالى (ٱللَّـهُ وَلِـيُّ ٱلَّـذِيـنَ ءَامَنُـوا يُخْرِجُهُم مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّـورِ) :

معناه : الله ولي المؤمنين في نصرهم واظهارهم و هدايتهم في [٣] اقامة الحجـة في دينهم ومتولي جزائهم على حسن عملهم ، يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الهـدى .

---

(١) في أ " من طريق " . والتصويب من ط ، م .

(٢) وهذا هو الصحيح ، إذ العموم أولى ، كما هو ظاهر الآيـة .
قال ابن كثير رحمه الله : يقول تعالى (لا إكراه في الدين) : أي لا تكرهوا أحـداً على الدخول في دين الاسلام ، فإنه بيّن واضح جلي دلائله وبراهينه ، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه ، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوّر بصيرتـه دخل فيه على بينة ، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيـــده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً ١٠ هـ . تفسير ابن كثير ٣١٨/١

(٣) في ط " واقامـة " .

الآيـــــة : ٢٥٧ ، ٢٥٨

وقـولـه تـعـالى (وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ) الآيـة .

معناه : والذ ين جحد وا توحيد الله . (أَوْلِيَآؤُهُمُ) الذ ين [١] يتولونهم الطاغـوت .

ومعنى [٢] (يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ) ولم يكن لهم نـور .

قيل : أراد بـه اليهود د ون [٣] النصارى الذ ين كانوا على د ين عيسى عليه السـلام ، خرجوا من التوحيد الذ ى كانوا فيـه الى الكفر بمحمـد صلى الله عليه و سلم . [٤]

(٢٥٨) قـولـه عـز وجـل (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ) :

أى ألم تـعلم يا محمـد بالذ ى جاد ل ابراهيم في ربـه ، أى هل رأيت كالـذ ى حاج ابراهيم في ربـه (أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ) أى بأن أعطاه اللـه الملـك ، وأعجب بملكـه و سلطانه ، وهو نمـرود بـن كنعـان ، أول من تجـبر فـي الأ ر ض با د عـاء الربوبيـة فخاصم ابراهـيم في توحيـده .

وقيـل : ان الهـاء في قولـه (ءَاتَىٰهُ) راجعة الى ابراهـيم [٥] عليه السلام ، والملك : هو النبـوة ووجوب طاعتـه على الناس . [٦]

---

(١) في ط كلمة " أى " قبل قوله " الذ ين يتولونهم " .

(٢) في ط " والمعنى " .

(٣) في ط ، م " والنصارى " .

(٤) قال ابن جرير : (يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ) : يعني بالنور : الايمان ، ويعني بالظلمات : ظلمات الكفر و شكوكـه الحائلة د ون أبصار القلوب ورؤيـة ضياء الإيمان و حقائق أد لته و سبله . ا هـ .

تفسير الطبرى ٣/٢١

(٥) في أ ، م " الى ربـه " . والتصويب من ط .

(٦) انظر : التبيان ١/٢٠٦

وحكاه أبو حيان عن المهد وي . انظر : البحر المحيط ٢/٢٨٧

والذ ي عليه جمهور المفسرين هو التوجيه الأول ، وهو أن الهاء راجعة إلى " الذ ى " أي إلى النمـرود .

وانظر : معاني القرآن للزجاج ١/٣٤٠ـ٣٤١ ، والد ر المصـون ٢/٥٥١

الآيـــــة : ٢٥٨

قولـه تعـالى (إذ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) وذلك أن نمرود قـــال لابراهيم : من ربك ؟ قال ابراهيم : ربي الذى يحيي و يميت عند انقضاء الآجال . فقـال نمرود : أنا أحيي وأميت . قال ابراهيم : ايتـني ببيان ذلك . فأتى برجلين من سجنـه وجب عليهما القتل ، فقتل أحدهما و ترك الآخر ، فقال : هذا قد أحييته ، وهـذا قـد أمتـــه .(١)

(قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) أى تحير وانقطع بما ظهر عليه من الحجـة .

(وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) أى لا يرشد المشركين الى دينه و حجته .(٢)

فان قيل : لِمَ لَمْ يثبت ابراهيم على الحجة الأولى ، والانتقال من الحجة(٣) الى حجـة أخرى في المناظـرة غير محمـود ؟

قيل عنه أجوبـة : أحدها(٤) : أن ابراهيم كان داعيا ولم يكن مناظرا ، فما كان يـراه أقرب الى الهداية أخـذ بـه .

= و تفسير ابن كثير ١/٣٢٠ ـ ٣٢١

قال ابن كثير : وما حمله على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة الا تجبره و طول مدته في الملك ، وذلك أنه يقال انه مكث أربعمائة سنة في ملكه ، ولهذا قال (أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) ١٠ هـ .

(١) ذكر ابن كثير أن هذا قول قتادة و محمد بن اسحاق والسدى و غير واحد . ثم قال : والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه ما أراد هذا ، لأنه ليس جواباً لما قال إبراهيم و لا في معناه ، لأنه مانع لوجود الصانع ، وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عناداً و مكابرة ، ويوهم أنه الفاعل لذلك ، وأنه هو الذى يحيي و يميت ، كما اقتدى به فرعون في قوله (ما علمت لكم من إله غيرى). القصص ٣٨ . ١ هـ .

تفسير ابن كثير ١/٣٢١

(٢) ولا يوفقهم لذلك .

(٣) في ط " من حجة " .

(٤) في أ " أحدهما " . والتصويب من ط ، م .

الايـــــة : ٢٥٨

والثاني : أنـه روى أنه قال لنمرود : انك أمت الحي ولم تحيي الميت . والانتقال بعـــــد الالزام محمـــود .

والثالث : أن نمرود كان / عالما أن ما ذكره ليس بمعارضة ، وكان من حوله من أصحابـه (١٠٩/ب) يوقنون بكذبه في قوله : أنا أحيي وأميت ، لكن أراد التمويه على أغمار [١] قومه ، كما قال فرعون للسحرة حين آمنوا : ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ [٢] . كذلك فعل نمرود بقوله ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ فترك ابراهيم اطالة الكلام و عدل الى حجة [٣] مسكته لا يمكنه التمويه فيها .

فان قيل : فهلا قال نمرود لابراهيم : ان مجيء الشمس [من المشرق] [٤] هو عادة [٥] ، فقل لربك حتى يأتي بها من المغرب ؟

قيل : علم لما [٦] رأى من المعجزات التي ظهرت أنه لو سأله ذلك لأتى به فكان يزداد فضيحة عند الناس .

وقيل : خذله الله عن هذا القول فلم يوفق للسؤال . [٧]

---

(١) الأغمار : جمع غمر ـ بالضم ـ وهو الجاهل الغر الذى لم يجرب الأمور .
انظر : اللسان : مادة (غمر) .

(٢) الأعراف ١٢٣

(٣) في أ " الحجة " . والتصويب من ط ، م .

(٤) ما بين المعقوفتين من ط .

(٥) في ط ، م " العادة " .

(٦) في ط " بما رأى " .

(٧) قال الحافظ ابن كثير : ذكر كثير من المنطقيين : أن عدول إبراهيم عن المقام الأول إلى المقام الثاني انتقال من دليل الى أوضح منه ، ومنهم من قد يطلق عبارة تردية ، وليس كما قالوه .
بل المقام الأول يكون كالمقدمة للثاني ، و يبين بطلان ما ادعاه نمرود في الأول والثاني . وللـه الحمد والمنة . ا هـ .
تفسير ابن كثير ٣٢١/١

الآيـــــة : ٢٥٨ ، ٢٥٩

قولـه تعـالى (فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ) البهت في اللغـة : هو[١] مواجهة الرجـــل بالكذب عليه . يقال : بهت يبهت بهتانا ، وباهت يباهت مباهتة ، وفي الحديـــث : " أن اليهود قوم بهت " .[٢] أى كذبـة .

والبَهْتُ : الحَيْرَةُ عند انقطاع الحجة أيضا ، وفيه لغات : بُهِتَ وبَهَتَ وبَهِتَ وبَهُـتَ . وأجودهـا " بُهِتَ " بضم الباء .[٣]

(٢٥٩) قولـه عـز وجـل (أَوْ كَالَّـذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَـةٍ وَهِـيَ خَاوِيَـةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَـا) :

عطف هذه الآيـة على معنى الكلام الأول لا على اللفظ ، كأنه قال : أرأيت كالـذى حاج ابراهيم في ربـه أوكالذى مرّ على قريـة .

---

(١) في أ " هي " . والتصويب من ط .

(٢) هذا من قول عبد الله بن سلام في مساءلتـه النبي صلى الله عليه وسلم حين قـدم المدينـة ، حيث أتـاه فقال : اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهـن إلاَّ نـبي : ما أول أشراط الساعـة ؟ وما أول طعام يأكـله أهـل الجنـة ؟ ومـن أى شـيء ينزع الولـد إلى أبيـه ؟ ومن أى شيء ينزع إلى أخوالـه ؟

فقال رسـول اللـه صلى الله عليـه وسـلم : " خبرني بهـن آنفا جـبريل " .

فقال عبد الله : ذاك عـدو اليهـود من الملائكـة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : " أما أول أشـراط الساعـة فنـار تحشر الناس من المشـرق إلى المغـرب ، وأما أول طعـام يأكـله أهـل الجنـة فزيادة كبـد حوت ، وأما الشبه في الولـد : فإن الرجـل إذا غشي المرأة فسبقهـا ماؤه كان الشـبه لـه ، وإذا سـبق ماؤهـا كـان الشبـه لها " .

قال : أشهـد أنـك رسـول اللـه .

ثم قال : يا رسول الله ، إنَّ اليهود قوم بهـت ، إن علموا بإسلامي قبـل أن تسألهـم بهتونـي عنـدك ... الحديث .

أخرجه البخارى في كتاب الأنبياء : باب خلق آدم عليه السلام وذريته .

(٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ١٨/٢ ، والمحتسب ١٣٤/١ ، والـدر المصـون ٥٥٤/٢ ـ ٥٥٥

الآيـــــة : ٢٥٩

قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في عزير بن شرخيا [١] ، وكان من علماء بني اسرائيل ، سباه بخت نصر من بيت المقدس الى أرض بابل حين سلطه الله عليهم فخرب بيت المقدس ، فخرج عزير في أرض بابل ذات يوم على حمار ، فمرّ بدير هرقل [٢] على شاطىء دجلة ، فطاف بالقرية فلم ير بها ساكناً ، وعامة شجرها حامل ، فجعل يتعجب من خراب القرية وموت أهلها وكثرة حملها وهي ساقطة على سقوفها ، وذلك أن السقف يقع قبل الحيطان ثم تقع الحيطان عليه ، فأخذ [شيئا] [٣] من التين والعنب وعصر [٤] العنب فشرب منه ، ثم جعل فضل التين في سلة ، وفضل العنب في أخرى ، وفضل العصير في الزق ، ثم نظر الى القرية فقال : (أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا) أي كيف يحيي الله هذه القرية بعد خرابها وموت أهلها ، لم يكن هذا القول منه انكارا للبعث ، لكن أحب أن يرى كيف يحيي الله الموتى فيزداد بصيرة في إيمانه ، فنام في ذلك الدير ، فأماته الله في منامه

---

(١) وهو مروى أيضا عن عدد من السلف ، منهم علي بن أبي طالب ، والحسن ، وقتادة ، والسدى ، وعكرمة ، والضحاك ، وسليمان بن بريدة .

قال ابن كثير : وهذا القول هو المشهور .

انظر : تفسير الطبرى ٣/٢٨ ، وتفسير ابن كثير ١/٣٢٢

(٢) هكذا جاء اسم القرية في المصادر .

وفي معجم البلدان : دير هزقل ـ بكسر أوله وزاى معجمة ساكنة وقاف مكسورة ـ وأصله : حزقيل ، ثم نقل الى : هزقل . وهو دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم .

ويقال : انه المراد بقوله تعالى (أوكالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها ....) ذكره بعض المفسرين . اهـ .

انظر : معجم البلدان ٢/٥٤٠

وقال ابن كثير : وأما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس ، مرّ عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها . اهـ .

تفسير ابن كثير ١/٣٢٢

(٣) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٤) في ط " وعصير " .

الآيـــة : ٢٥٩

مائـة عـام ، وأعمـى عنـه السباع و الطـير ، ثم أحيـاه ، فنودى : يا عزيـر كم لبثت ؟ وكان أميت في صدر النهار ، ثم بعث بعد مائة سنة في آخر النهار ، فظن [١] أن مقدار لبثـه يوم ، فقال : لبثت يومـا . فلمـا نظر الى الشمس قد بقي منها شيء ، فقـال : أو بعض يوم . فنـودى : بل لبثت مائة عام ميتـا ، فانظـر الى طعامك / من التـين (١١٠/أ) والعنب و شرابك العصـير لم يتسنه ، أى لم يتغير طعمها بعد مائة عـام ولم تغيرها السـنون .

فنظر فإذا بالعنب و التين كما شاهده ، وبالعصير طريا ، ثم قيل له : وانظر إلى حمارك . فنظر ، فإذا هو عظام بيض تلوح قد تفرقت أوصالـه . فسمع صوتا : أيتها العظـام البالية ، إني جاعل فيكن روحـا فاجتمعـن . فارتهشت العظام وسعى بعضها إلى بعض . قال : فرأيت الصلب يسعى كل فقرة منها إلى صاحبتها ، ثم رأيت الوركين يسعيان إلـى مكانهما ، والساقين إلى مكانهما ، والوظيفين [٢] إلى مكانهما ، ثم رأيت كل الأضـلاع يسعى كل واحد منهم الى فقرتـه ، ثم رأيت الكعبين سعيا [٣] إلى مكانهما ، والذراعين إلى مكانهما ، ثم رأيت العنق تسعى كل فقرة منه إلى صاحبتها ، ثم جاء الرأس إلى مكانه ، ثم رأيت العصب والعروق واللحم ألقي اليـه [٤] ، ثم بسط عليه الجلد ، ثم ذري عليـه الشعر ، ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق ، فخر عزيـر ساجدًا لله تعالى . [٥]

وقال عند ذلك (أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قال ذلك حين تبين لـه مـن كمال القدرة البلاء في حماره والموت في نفسه والبقاء [٦] في العنب والعصـير

---

(١) في أ " فنظـر " . والتصويب من ط ، م .

(٢) قال في اللسان : الوظيف لكل ذى أربع : ما فوق الرسغ الى مفصل الساق .
انظر : اللسـان : مادة (وظف) .

(٣) في ط " يسعيان " .

(٤) في ط ، م " عليه " .

(٥) قلـت : هذه التفاصيل في أخبار ذلك المارّ وكيفية حياة حماره قد ذكرها بعـض المفسرين والمؤرخين ، مع اختلاف في عباراتهم ، والله أعلم بصحتها ، كما أنـه لا طائـل تحتها .

(٦) في أ " والتقاء " . والتصويب من ط ، م .

الآيـــة : ٢٥٩

اللذ يـن همـا مـن أسـرع الأشـياء فسـادًا و تـغـيرًا ، ثم مشاهـد ة البـعث بـعد الموت ٠

قال ابن عباس : و بـعث وهو شاب ابـن أربـعين سنة ، على السن الذ ى أميت عليـها ، وكـان ابنه في ذ لك الوقت ابن عشرين سنة ، فصار لابنه مائة و عشرون سنة ، ولـعزير أربـعون [١] سـنة ، على السن الذ ى أميت عليـها ، فذ لك قوله تـعالى (وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ) [٢] ثم إنـه رجع إلى بني اسرائيل وهو يقرأ التوراة كلـها عن [٣] ظهر قلب ٠ فأملاها عليهـم لم يخرم منـها حرفًا واحدًا ، وكانت التوراة قد ذ هبت عنهم ، فجاءهم رجل مـن بني اسرائيل فانتسب إليهم فعرفـوه ٠ قال : أخبرني جد ى أنه قال : د فنت التوراة يـوم سبينا في خابية كرمـي ، فأروه كرم جـد ه فأخرج التوراة فعارضوها بما أملى عزير فما اختلفـا في حرف ، فعجبوا من كثرة علمه و حـد اثـة سنه ، فقال بـعضهم : عزيـر ابـن اللـه ٠ [٤]

و قال الحسن ، و قتاد ة ، و الربيع : إن القريـة المذكورة في هذ ه الآيـة هـي بيت المقد س بـعد ما خَرَّبَهُ بُخت نصـر ٠ [٥]

---

(١) في أ " أربـعين " ٠ والتصويب من ط ٠

(٢) انظر : زاد المسير ٣١١/١

قلـت : وهـو آيـة للناس في د لالتـه على المعاد والبـعث بـعد الموت ٠

(٣) في أ " بمن ظهر عليه " ٠ والتصويب من ط ، م ، والمصاد ر ٠

(٤) انظر نحو هذ ا في تفسير البـغوى ٢٤٦/١

و تفسير القرطبي ٢٩٤/٣ ـ ٢٩٥ ، والد ر المنثـور ٢٨/٢

و اللـه أعـلم بصحتـه ٠

(٥) أخرجـه الطـبرى في تفسـيره ٣ / ٣٠ عـن قتـاد ة ، والربيـع ، و عكرمـة ، و وهـب بـن منبـه ، و الضحـاك ٠

ولم أجـد من عـزاه للحسـن ٠

الآيـــــة : ٢٥٩

وكان وهب بن منبـه يقول : كان المار بهذه القريـة أرميـا [١] النبي عليه السلام .

وقيل معنى (خَاوِيَـةٌ) : أى خالية لا أنيس فيها . يقال : خوت الدار اذا خلـــت ، وخوى البطن اذا جاع .

و سمي السقف عرشا لارتفاعه عن أرضه ، ويسمى السرير عرشا لارتفاعه عن الأرض .

قـولـه تعـالى (نُنْشِزُهَا) من قرأ بالراء [٢] المهملة فمعناه : نحييها ، من النشـر ، يقال : أنشره الله اذا أحياه . ومنه قوله تعالى : (ثُمَّ إِذَا شَـاءَ أَنْشَـرَهُ) . [٣]

ومن قرأ " نُنْشِزُهَا " بالزاى [٤] المعجمة فمعناه : نرفعها / ونعلي بعضها على بعـض ، (١١٠/ب) من النشز ، وهو المكان المرتفع ، ومنه نشوز المرأة على زوجها : ترفعها عـــــن طاعتـــــه . [٥]

قولـه تعالى (أَعْلَمُ أَنَّ اللَّـهَ) من قرأ " أعلم " بقطع [٦] الألف : أى قال عزير : علمت مشاهدة ما كنـت أعلمـه غيبـا .

---

(١) رواه الطبرى في تفسيره ٢٩/٣

وزاد في روايته عن عبد الله بن عبيد بن عمـير .

ثم قال بعد ذلك : ولا بيان عندنا من الوجه الذى يصح من قبله البيان على اسـم قائل ذلك ، وجائز أن يكون ذلك عزيرا ، وجائز أن يكون ارميـا ، ولا حاجة بنـا الى معرفة اسمه ، اذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك ، وانما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على احيائه خلقه بعد مماتهم ، واعادتهم بعد فنائهم ، وأنه الذى بيده الحياة والموت ... " ١٠ هـ .

(٢) وهي قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمـرو ، وأبي جعفـر ، ويعقوب وخلف .

انظر : النشـر ٢٣١/٢ ، والبدور الزاهرة ص ٥٤

(٣) عبـــس ٢٢

(٤) وهـي قراءة ابن عامر ، وعاصم ، وحمـزة ، والكسائي .

انظر : المصدرين السابقـين .

(٥) وانظر : تفسير الطبرى ٤٣/٣ ، والبحر المحيط ٢٩٣/٢ ـ ٢٩٤

(٦) وهي قراءة العشرة سوى حمـزة ، والكسائي .

انظر : النشر ٢٣١/٢ ـ ٢٣٢ ، والبدور الزاهرة ص ٥٤

الآيـــــة : ٢٥٩ ، ٢٦٠

ومن قرأ " اعـلم " بالوصل [١] ، فالمعنى : قال لنفسه [٢] : اعلم أن الله على كل شـي ء قد يـــــر .

(٢٦٠) قولـه عـز وجـل (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِـيمُ رَبِّ أَرِنِـي كَيْـفَ تُحْـيِي الْمَوْتَـىٰ قَـالَ أَوَ لَـمْ تُـؤْمِـن . قَالَ بَـلَىٰ وَلَـٰكِـن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْـبِي) :

تقدير الآيـة : ألم تر اذ قال ابراهيم . ويقال : واذكر اذ قال ابراهـيم .

قال ابن عباس : سبب هذه القصة أن ابراهيم عليه السلام مرّ بجيفة على ساحل البحـــــر تنقض عليها طيور السماء ، فتأخـذ منها بأفواهها فتأكل و يسقط من أفواهها في البحـــر فيأكـل منه الحيتـــان ، وتجيء السباع فتأخـذ منه عضوا عضوا ، فوقف متعجبـــا ، [٣] وقال (رَبِّ أَرِنِـي كَيْـفَ تُحْـيِي الْمَوْتَـىٰ قَـالَ أَوَ لَـمْ تُـؤْمِـن) أى أو لم تصدق بأني أحـــيي الموتى ؟ قال : بلى عرفت ، ولكن أحببت أن أعلم كيف تحيي هذه النفس الـــــتي أرى بعضها في بطون السباع و بعضها في بطون الحيتان و بعضها في حواصل الطير . فذلـــك قولـه تعالى (وَلَـٰكِـن لِّيَطْمَئِنَّ قَـلْـبِي) .

---

(١) وهي قراءة حمزة ، و الكسائي .

انظر : النشر ٢٣١/٢ ــ ٢٣٢ ، والبدور الزاهرة ص ٥٤

(٢) أى على سبيل التبكيت . انظر : الاتحاف ٤٥٠/١

والأظهـــر أنـه عـلى الأمـــر .

قال ابن الجزرى في النشر ٢٣١/٢ ــ ٢٣٢ : قرأ حمزة ، و الكسائي بالوصـــــل واسكان الميم ، على الأمر . واذا ابتدأ كسرا همـزة الوصل .

و قرأ الباقون بقطع الهمزة والرفع ، أعلى الخبر . اهـ .

(٣) أخرجـه ابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في العظمـة ــ كما في الدر المنثور ٣٢/٢

و هـو مروى أيضا عن ابن جريج ، والحسـن ، و قتادة ، و الضحـاك ، و عطـــاء الخراسانـــي .

انظر : تفســـير الطـــبرى ٤٧/٣ ، وتفســـير البغـــوى ٢٤٧/١

و زاد المســـير ٣١٣/١

الآيـــة : ٢٦٠

وقيل معنى (وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) : أى ليسكن قلبي أنك الذ ى أعطيتني ما سألتك ٠

وقيل : أنك اتخذ تـني خليـلا ٠ (١)

قال الله تعالى (فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا) :

و ذلك أن ابراهيم عليه السلام لما مرّ بالجيفة وقد توزعتها الطيور والسباع والحيتـــان تعجب منها وقال : يا رب قد علمت بأنك تجمعها من بطون السباع و حواصل الطير و بطون الحيتان ، فأرني كيف تحييها ، لأعاين ذ لك فأزد اد يقينـا ٠ قال اللـه تعـالى (أَوَلَمْ تُؤْمِن) ؟ قال : بلى يا رب آمنت (٢) ، وليس الخبر كالمعاينة والمشاهد ة ٠

وقال ابن زيد : مرّ ابراهيم عليه السلام بحوت ميت ، نصفه في البحر و نصفه في البر ، فما كان في البحر فد واب البحر تأكله ، وما كان في البر فد واب البر تأكله ٠ فقال ابليس لعنه الله : يا ابراهيم متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء ؟ فقال (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) (٣) بذ هاب وسوسة الشيطان و يصير الشيطان خاسئا صاغرا ٠

وروى أن نمرود قال لابراهيم : أنت تزعم أن ربك يحيى الموتى ، وتد عوني الى عباد تـه ، فقل له يحيي الموتى إن كان قاد راً ، وإلا قتلتك ٠

---

(١) انظر : زاد المسير ٣١٣/١ ، و تفسير القرطبي ٣٠٠/٣

وقال القرطبي : قال الجمهور : لم يكن ابراهيم عليه السلام شاكاً في إحياء اللـه الموتى قط ، وانما طلب المعاينة ، و ذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت بـه ٠

ويقول القرطبي أيضا : وانما سأل أن يشاهد كيفية جمع أجزاء الموتى بعد تفريقها وايصال الأعصاب والجلود بعد تمزيقها ، فأراد أن يترقى من علم اليقين الى عين اليقين ١ هـ ٠

انظر : تفسير القرطبي ٢٩٧/٣ ـ ٢٩٩

(٢) في ط كلمة " و علمت " بعد قوله " آمنت " ٠

(٣) أخرجه الطبرى في تفسيره ٤٨/٣

الآيـــة : ٢٦٠

فقال ابراهيم : رب أرني كيف تحيي الموتى . قال أ و لم تؤمن بأني أحييهم ؟

فقال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي و نجاتي من القتل ، فان عد و اللـــــــه توعـد ني [١] بالقتل ان لم تحيي له [٢] ميتـا . [٣]

وقال ابن عباس ، و ابن جبير ، والسد ى / : لما اتخذ الله ابراهيم خليلا ، سأل ملـــك (١١١/أ) الموت ربـه أن يأذ ن له ، فيبشر ابراهيم بذ لك ، فأذ ن له ، فأتى الى ابراهيم وقـال : يا ابراهيم جئت أبشرك أن [٤] الله اتخذ ك خليـلا .

فحمد الله تعالى وقال : ما علامـة ذلك ؟ قال : أن يجيب الله د عا ءك ويحيي الموتـى بسـؤالك . ثم انطلق ملك الموت ، فقال ابراهيم : رب أرني كيف تحيي الموتى . قـال : أو لم تؤمـن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي ، أى ليعلم أنك تجيبني اذ ا د عـوتـك و تعطيني اذ ا سألتك ، وأنك اتخذ تني خليـلا . [٥]

روى أبو هريـرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " يرحم الله ابراهيم عليه السلام ، نحن أحـق بالشـك منـه " . [٦]

---

(١) في «أ» زيادة كلمة " لي " بعد قوله " توعـد ني " . و قد زيد ت خطأ ، اذ لا معنى لها .

(٢) في ط " لي " .

(٣) أخرجه الطبرى في تفسيره ٤٨/٣ عن محمد بن اسحاق ، مع اختلاف في اللفظ .
قلـــت : و لا د ليل على د خول نمرود في هـذ ه القصـة . والله أعلم .

(٤) في ط ، م " بأن الله " .

(٥) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٧٣/٢ / مخطوط (مصور) بمكتبة المخطوطات بالجامعة الاسلامية برقم (٢٧٤٨) .
وأخرجه الطبرى عن السد ى و سعيد بن جبير .
وروايته عن السد ى بأطول من هـذ ا السياق .
انظر : تفسير الطبرى ٤٨/٣ ـ ٤٩

(٦) متفق عليـه . ولفظـه : " نحن أحق بالشك من ابراهيم إذ قال : رب أرني كيـــف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكـن ليطمـئن قلبي ... " .
انظر : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٣٠/١

الآيـــــة : ٢٦٠

يعـني انما شك ابراهيم أيجيبـه ربه الى ما سأل أم لا .(١)

قولـه تعالى (**فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ**) مختلفة(٢) أجناسها وطباعها ، ليكون أبلـغ في القـــــدرة .

وخـصّ الطير من سائر الحيوان لخاصيـة الطيران .

واختلفوا في تلك الأربعة من الطيـــور :

فقال ابن عباس : أخـذ طاووساً ، ونسراً ، وغراباً ، وديكـاً .

وقال مجاهـد ، وابن جريج : أخـذ غرابا ، وديكا ، وطاووسا ، وحمامـة .

وعن ابن هبيرة(٣) أنه أخـذ الطاووس والديك والغرنوق والحمامـة .

وقال عطاء : أخذ قطاةً خضراءَ ، وغراباً أسـود ، وحمامةً بيضاءَ ، وديكاً أحمرَ .(٤)

---

(١) نقل البغوى في شرح السنة ١١٦/١ عن أبي سليمان الخطابي قوله : ليس في قولـه " نحن أحق بالشك من ابراهيم " اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهـــيم ، لكن فيه نفي الشك عنهما ، يقول : اذا لم أشك أنا ولم أرتب في قدرة الله عـــلى احياء الموتى فابراهيم أولى بأن لا يشك ولا يرتاب ، وقال ذلك على سبيـــــل التواضـــــع . اهـ .

(٢) في ط عبارة " أى أخـذ أربعة من الطير " قبل قوله " مختلفة أجناسها " .

(٣) هو عبد الله بن هبيرة بن أسعد السبئي الحضرمي ، أبو هبيرة المصرى ، ثقة ، من الثالثة ، مات سنة ست وعشرين ومائـــة .

انظر : التقريب ص ٣٢٧

(٤) انظر الأقوال في تعيين تلك الطيـــور في :

تفسـير الطـبرى ٥١/٣ ، وتفسير البغـوى ٢٤٨/١ ، وزاد المسير ٣١٤/١ والبحـر المحيـــط ٢٩٩/٢

قلـــت : وهـذا التعيـين لا دلالـة عليه من الآيـة ، ولا طائل تحتـه ، والله أعـلم بصحتـه .

كما أن العـبرة حاصـلة بإحيـاء أربعـة من الطـير بعد موتهـا وتفريق أجزائها أياً كانت تلك الطيـــور .

الآيـــــة : ٢٦٠

قولـه تعـالى (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) : قرأ عليّ رضي الله عنه ، وأبو الأسود [١] ، والحسـن ، وعكرمـة ، والأعـرج ، وشيبـة ، ونافـع ، وابن كثـير ، وابن عامـر ، وعاصـــم ، والكسائـي ، وأبو عمرو ، ويعقـوب ، وأيـوب : " فصُرهـن " بضم [٢] الصاد ، معنـاه : أملهـن اليـك .

يقال : صرت الشيء أصـوره أي أملتـه ، ويقال : رجل أصور اذا كان مائل العنـق .

ويقال : إني إليك [٣] لأصور أى لمائل مشتاق ، وامرأة صوراء أى مشتاقة مائلة . [٤] قال الشاعر :

اللـه يعـلم أنـا فـي تقلبنـا .. يـوم الفـراق الى جيراننـا صـور [٥]

وقال عطاء ، والمؤرج ، وعطيـة : معنى (فَصُرْهُنَّ) : أى اجمعهـن واضممهـن اليـك . [٦]

يقال : صور يصـور صـورا اذا جمـع .

---

(١) هو ظالم بن عمرو بن سفيان ، أبو الأسود الدؤلي ، قاضي البصرة ، ثقة جليـل ، أول من وضع مسائل في النحو ، أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولـم يـره ، أخـذ القراءة عرضـا عن عثمان بن عفـان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهمـا ، توفي بالبصرة سنة تسع وستين .

انظر : غاية النهاية ٣٤٥/١ ـ ٣٤٦ ، وسير أعلام النبلاء ٨١/٤ ـ ٨٦

(٢) انظر : النشر ٢٣٢/٢ ، والبدور الزاهرة ص ٥٤

وانظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ٣١٣/١ ، وتفسير الثعلبي ١٧٤/٢

(٣) في ط ، م " اليكم " .

(٤) انظر : تفسير الطبرى ٥٢/٣ ، وتفسير القرطبي ٣٠١/٣

(٥) انظر االبيت في المصدرين السابقين . ولم أجده منسوبا .

(٦) انظر : تفسـير الثعلبي ١٧٤/٢

وأخرجـه الطـبرى في تفسـيره ٥٦/٣ عن عطـاء .

الآيـــــة : ٢٦٠

وقال أبو عبيـد [١] ، وابن الأنباري [٢] : معنى (فَصُرْهُـنَّ) : أي قطعن ومزقهـن ٠

يقال : صار يصير صـيرا اذا قطـع ، وانصار الشيء ينصار انصياراً إذا انقطع ٠ وأنشـد بعضهم بيتا في اللغـز :

وَغُلَامٍ رَأَيْتُـهُ صَـارَ كَلْبـًا ٠٠ ثُمَّ فِي سَاعَتَـيْنِ صَارَ غَـزَالاً [٣]

أي قطـــــع ٠

وقرأ علقمة و سعيد [بـن] [٤] جبير ، وقتادة ، ويحيى بن وثاب ، والأعمـــش ، وخلف " فصِرهـن " بكسر الصاد [٥] ، معناه : قطعهـن ٠

---

(١) في المصادر " أبوعبيدة " ٠
انظر : تفسير البغـوى ٢٤٨/١ ، والقرطـبي ٣٠١/٣
والذى في مجاز القرآن ٨٠/١ : " صرهن اليك " : ضمهن اليك ثم اقطعهن ٠

(٢) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، الامام أبوبكر بن الأنباري ، المقرىء النحـوي الحنبلي البغدادى ، صاحب التصانيف ، منها : كتاب الأضداد (مطبوع) ، والمشكل في معاني القرآن ، وغريب الحديث ٠ مات سنة ٣٢٨
انظر : طبقات المفسرين للداوذى ٢٢٧/٢ ـ ٢٣١
وانظر ماذكره المؤلف عنه في كتاب الأضداد له ص ٣٦

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٧٤/٢ منسوباً لأبي الأشعث الطالقاني ٠
ونسبه ابن رشيق في العمدة في محاسن الشعر ٣٠٧/١ لأبي المقدام ٠
وذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد ٤٧٢/٦ ولم يسم قائله ٠ وروايته عنـــده
وعنـد ابن رشيـق :
وغلام رأيته صار كلبـا ٠٠ ثم بعد ذاك صار غـزالا
وفسره ابن عبد ربه بقوله : وصار كلبا : ضم كلبـا ٠

(٤) ما بين المعقوفتـين من ط ، م ٠

(٥) وهي أيضـا قراءة أبي جعفر ، وحمزة ، ورويـس ٠
انظر : النشر ٢٣٢/٢ ، والبدور الزاهرة ص ٥٤
وانظـر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ٣١٣/١ ، وتفسير الثعلبي ١٧٤/٢

الآيـــــة : ٢٦٠

قال أبو العباس السراج : هما لغتان للعرب . (١)

و عن ابن عباس روايتان : أحد هما (٢) " فَصُرّهن " مفتوحة الصاد مشد د ة الـــــراء، مكسورة ، من التصريـــة وهي الجمع ، ومنه المصـــراة . (٣)

والأخرى " فَصُرَّهـن " بضم الصاد و فتح الراء والتشد يد (٤) ، من الصر ، وهي في معنى الجمـــــع .

فمن تأولـه / على القطع والتمزيـق ، ففيه تقد يم و تأخير ، تقد يره : فخذ أربعـة مـــن (١١١/ب) الطير اليـــك فصـــرهـــن .

ومن تأوله على الضم والاماله ففيه اضمار ، معناه : فصرهن اليك ثم قطعهن .

فحذ فـه واكتفى بقولـه (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا) لأنه يدل عليـــه .

وهذ ا كما يقال : خذ هذ ا الثوب واجعل منه على كل رمح علما .

قولـه تعالى (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا) لفظه عام ، ومعناه خـاص ، لأن أربعة من الطير لا تبلغ الجبال كلها ، ولا كان ابراهيم يصل الى ذ لك ، وهذ ا كقوله تعالى (وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ) (٥) وقولـه (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ) . (٦)

---

(١) لم أجد ه عن أبي العباس السراج .
وقال الفراء : ضم الصاد العامة ، وكان أصحاب عبد الله يكسرون الصاد . وهمـــا لغتان . فأما الضم فكثير ، وأما الكسر ففي هذ يل و سليم .
انظر : معاني القـــرآن ١٧٤/١

(٢) في ط " احد اهما " .

(٣) في أ " النصرة " . والتصويب من ط ، م .
والمصراة : هي الشاة اذ ا ترك حلبها ، فاجتمع لبنها في ضرعها .

(٤) انظر : البحر المحيط ٣٠٠/٢

(٥) النمـــل ٢٣ (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) .

(٦) الأحقـاف ٢٥ (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) .

الآيـــــة : ٢٦٠

وقولـه (جُـزْءًا) قرأ (١) أبو بكر برفع الزاى مثقل بالهمزة حيث وقع .

وقرأ أبو جعفر " جزّا " بتشد يد الزاى . (٢)

وقرأ الباقون بالهمز مخففا . (٣) وهي لغات .

قال المفسرون : أمر الله ابراهيم أن يذ بح تلك الطيور وينتف ريشها و يقطعها ويفـــــرق أجزاءهـــا ويخلط ريشها و د ماءها و لحومها بعضها ببعض ، ففعل ابراهيم ذ لك ، ثم أمـر أن يجعل أجزاءها على الجبال . (٤)

واختلفوا في عـــد د الأجزاء والجبـــال :

فقال ابن عباس ، و قتاد ة ، و الربيع : أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء ، ثم يعمـد الـى أربعة أجبل فيجعل على كل جبل ربعا من كل طائر ، ثم يد عهن : تعالين باذ ن اللـــــه . و هذ ا مثل ضربـه الله لابراهيم وأراه اياه . (٥)

يقول : كما بعثت الطيور من هذ ه الجبال الأربعة ، فكذ لك أبعث النـاس يوم القيامـــــة من بقاع الأرض ونواحيهـــــا .

وقال ابن جريج ، و السد ى : جزأها سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل ، وأمسك رؤوسهن عند ه ثم د عاهن : تعالين باذ ن الله . فجعل الريش (٦) كل ريشة تطير الى الأخـــــرى ،

---

(١) في أ " قرىء " . والمثبت من ط .
وهو أبو بكر شعبة بن عياش الكوفي . أحـد رواة عاصم .
وانظر : النشر ٢١٦/٢ ، والبد ور الزاهرة ص ٥٤

(٢) و حذ ف الهمـز . انظر : الاتحاف ٤٥١/١ ، والبد ور الزاهرة ص ٥٤

(٣) انظر : المصاد ر السابقـــة .

(٤) انظر : تفســـير البغـــوى ٢٤٨/١ ، وزاد المســـير ٣١٥/١
و تفسير القرطـبي ٣٠٠/٣ ـ ٣٠١ ، وتفســـير ابن كثـــير ٣٢٣/١

(٥) أخرجه الطبرى في تفســيره ٥٧/٣

(٦) في ط كلمة " يطير " بعد قوله " فجعل الريش " .

الآيـــة : ٢٦٠

وكل قطرة من الـدم تطير الى الأخرى ، وكل عظم يطير إلى الآخر ، وكل قطعة تطير [١] إلـى الأخرى ، وابراهيم ينظر ، حتى التفت [٢] كل جثة بعضها الى بعض ، حتى سواهـن الله تعالى ، ثم جئن يسعين على أرجلهن بغير رؤوس ، فعلق عليهن ابراهيم رؤوسهن . [٣]

واختلفوا في معنى السعي :

قال بعضهم : هو الاسراع في المشي .

وقال بعضهم : مشيا على أرجلهن . [٤]

والحكمة في المشي د ون الطيران كونه أبلغ في الحجة وأبعد من الشبهة ، لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطيور ، أو أن أرجلها غير سليمة . [٥]

قال أبو الحسن الأقطع [٦] : صحّ عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : " لكل آية ظهر وبطن " . [٧] و ظاهر هذ ه الآية ما ذكره المفسرون .

---

(١) في ط " تصير " .

(٢) في م " التقت " .

(٣) أخرجه الطبرى في تفسيره ٥٨/٣ ، وانظر : تفسير البغوى ٢٤٩/١

(٤) انظر : تفسير البغوى ٢٤٩/١ ، وتفسير القرطبي ٣٠١/٣

قال ابن قتيبة : (يأتينك سعيا) : يقال : عد وا . ويقال : مشيا على أرجلهن . ولا يقال للطائر اذ ا طار : سعى .

انظر : تفسير غريب القرآن ص ٩٧

(٥) انظر : تفسير البغوى ٢٤٩/١ ، وتفسير ابن كثير ٣٢٣/١ والبحر المحيط ٣٠٠/٢

(٦) لم أقف على ترجمته .

(٧) ذكره السيوطي في الاتقان ١٢١٩/٢ و عزاه للفريابي .

قال : حد ثنا سفيان عن يونس بن عبيد عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " لكل آية ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلع " .

ولم يتكلم السيوطي على اسناد ه . وهو مرسل كما هو ظاهر .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٢/٧ من حد يث ابن مسعود مرفوعا . بلفظ : " أنزل القرآن على سبعة أحرف ، لكل آية منها ظهر و بطن " وقال :

الآيـــة : ٢٦٠ ، ٢٦١

وباطنها : أن ابراهيم أُمِرَ بذبح أربعة أشياء في نفسه بسكين الاياس ، كما ذبح في الظاهر الأربعة الطيور بسكين الحديد .

فالنسر مثل لطول العمر والأمل ، والطاووس زينة الدنيا وبهجتها ، والغراب الحرص ، والديك / الشهوة . (١) (١١٢/أ)

قوله تعالى (وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) أي غالب على كل شيء ، لا يمتنع عليه ما يريد ، حكيم فيما يريد ، لا يفعل إلا ما فيه حكمة .

قال بعضهم : كانت هذه القصة قبل أن يولد لابراهيم ولد ، وقبل أن تنزل عليه الصحف ، وكان يومئذ ابن خمس وتسعين سنة . (٢)

(٢٦١) قوله عز وجل (مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ) :

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها : أنه أجرى فيما تقدم ذكر النفقة في الجهاد بقوله تعالى (مَن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) ثم ذكر ما كان من مسألة قوم اشمويل من الله أن يبعث لهم (٣) ملكا يقاتلون معه أعداءهم ، وكانت الغلبة لهم مع قلة عددهم ، ثم

= رواه البزار وأبو يعلى في الكبير – وفي رواية عنده : " لكل حرف منها بطن وظهر " – والطبراني في الأوسط ، ورجال أحدهما ثقات .

(١) هذا من التفسير الاشاري الصوفي الباطل ، الذي لا يحتمله معنى الآية لا من قريب ولا من بعيد ، كما لا تقبله الفطر والعقول السليمة .

(٢) حكاه ابن الجوزي عن مقاتل .

وفيه : وهو ابن خمس وسبعين سنة .

وحكاه القرطبي عن ابن عباس ، دون ذكر للسنين .

انظر : زاد المسير ٣١٥/١ ، وتفسير القرطبي ٣٠٢/٣

(٣) في أ " لهـ " . والتصويب من ط .

الآيـــــة : ٢٦١

عقبه الله تعالى بذكر أمور تدل على وحدانيته ، فبين أن الكفر بعد هذه الآيـــات أعظم وأشنع ، فمن كفر بعد هذا فقاتلوه وأنفقوا في القتـال فان النفقـة في القتـــال تكون بسبعمائـــة .

وعن ابن عباس : نزلت هذه الآية والتي بعدها في شأن عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنهما : أما عثمان فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال : عليّ جهاز من لا جهاز له ، واشترى بئر رومة (١) وجعلها سبيلا للمسلمين .

وأما عبد الرحمن فكان له ثمانية آلاف ، فجاء بأربعة آلاف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان لي ثمانية آلاف أمسكت نصفها لنفسي ولعيالي ، وأقرضت نصفها لربي وهي هذه . فقال صلى الله عليه وسلم : " بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت " . وأمـــر بهـــا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضت منـــه . (٢)

ومعنى الآيـة : صفة الذين ينفقون أموالهم في طاعـة (٣) الله كصفة حبة ألقيت في الأرض وأخرجت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة ، أي كما تكون الحبة واحدة والمكتسب بهـا سبعمائـة ، فكذلك النفقة تكون واحدة والمكتسب بها سبعمائة ضعف .

قولـه تعـالى (وَاللَّـهُ يُضَـاعِفُ لِمَـنْ يَشَـاءُ) أي كما يضاعف الله في زرع الزارع الحادث من البذر الجيد في الأرض العامرة ، كذلك يضاعف للمرء الصالح ثواب صدقته بالمـــال الطيب إذا وضعـه في موضعـه . يضاعف لمن يشاء من السبع الى السبعين الى السبعمائة الى مائة ألف الى ما شاء الله من الأضعاف مما لا يعلمه الا هـــو .

---

(١) قال الحموي : بئر رُوْمَـة ـ بضم الراء وسكون الواو وفتح الميم ـ وهي في عقيـــق المدينـة ، وهي التي اشتراها عثمان بن عفان فتصدق بها .
انظر : معجم البلدان ٢٩٩/١

(٢) لم أجده عن ابن عباس . وقد حكاه الواحدي وغيره عن الكلبي .
وزاد ابن الجوزي حكايته عن مقاتل .
انظر : أسباب النزول للواحدي ص ٨١ ، وتفسير البغوي ٢٤٩/١ ـ ٢٥٠ وزاد المسير ٣١٦/١ ، وتفسير القرطبي ٣٠٣/٣

(٣) في ط " في سبيل الله " .

الآيـــة : ٢٦١

قـولـه تـعـالى (وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) أى غني بتلك الأضعاف ، عليم بمن ينفق .

وقيل : معناه : (وَاللَّهُ وَاسِعٌ) أى واسع الفضل جواد لا ينقصه ما يتفضل به من السعـــة والمضاعفة ، عليم بمن يستحق الزيادة .

والفائـدة في تخصيص السبع في الآيـة ما قالوا : ان السبع أشرف الأعداد .

كما روى عن ابن عباس أنه قال : كادت الأشياء تكون كلها / سبعا . فان السموات سبـع ، (١١٢/ب) والأرضون سبع ، والكواكب السيارة سبعة ، والبحار سبعة ، وأيام الأسبوع سبعة ، وسجود العبد على سبعة أعضاء . (١)

وأجمع أهل التفسير الا السدى : أن العدة المضاعفة بسبعمائة مختصة بالانفاق فـــي الجهـــاد (٢) ، وأما غير ذلك من الطاعات فالحسنة بعشر أمثالها ، كما قال الله تعـالى (مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَـا) . (٣)

---

(١) ذكر نحوه ابن كثير في تفسيره ٥٧٠/٤ مطولا من طريق عكرمة عن ابن عباس . وعزا تخريجه للحافظ الطبراني . ثم قال : وهـذا اسناد جيد قوى ، ومـتن غريب جدا ، فالله أعلم .

(٢) لم أجد من ذكر الاجماع على ذلك .
لكن قال القرطبي : ورد القرآن بأن الحسنة في جميع أعمال البر بعشر أمثالهـا ، واقتضت هذه الآيـة أن نفقة الجهاد حسنتها بسبعمائة ضعف .

تفسير القرطبي ٣٠٥/٣

وأخرج الامام أحمد بسنده من حديث أبي عبيدة رضي الله عنه مرفوعـــا : " من أنفق نفقـة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة ، ومن أنـــفـــق على نفسه وأهله أو عاد مريضا أو ماز أذى فالحسنة بعشر أمثالهـــا . والصوم جنة ما لم يخرقها ، ومن ابتلاه الله عز وجل ببلاء في جسده فهو لـــه حطـــة " . انظر : المسند ١٩٥/١ ، ١٩٦

(٣) الأنعـــام ١٦٠

الآيـــــــة : ٢٦٢

(٢٦٢) قولـه عـز وجـل (الَّـذِيـنَ يُنفِقُـونَ أَمْوَالَهُـمْ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ ثُـمَّ لَا يُتْبِعُـــونَ مَـآ أَنْفَقُـوا مَنًّـا وَلَا أَذًى) :

نزلت في شأن النفقة التي يستحق [١] بها الثواب المضاعف .

معناه : الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا على السائل نحو أن يقول للسائل اذا وقع بينه و بينه خصومة : أعطيتك كذا ، وأحسنت اليك ، وما أشبهه ، مما ينغص على السائل .

وأصله من القطع ، يقال : مننت الشيء ، اذا قطعته .

ومنه قوله تعالى (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) [٢] أي غير مقطوع .

ويقال : حبل منين [٣] ، أي مقطوع . [٤]

وقيل : أصل المنة : النعمة ، يقال : مَنّ يمن ، اذا أعطى وأنعم . [٥]

قال الله تعالى (هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ) [٦] أي أعط أو أمسك . [٧]

وقال الكلبي : نزلت هذه الآية في عثمان و عبد الرحمن [٨] ، أما عثمان رضي الله عنه فجهز [٩] المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها [١٠] ، وأحلاسها . [١١]

---

(١) في أ " مستحق " . والتصويب من ط ، م .

(٢) التين ٦

(٣) في أ " متين " . والتصويب من ط ، م .

(٤) انظر : اللسان : مادة (منن) .

(٥) انظر : المصدر السابق ، ومفردات الراغب : مادة (منن) .

(٦) سورة ص ٣٩

(٧) في ط زاد قوله تعالى (بِغَيْرِ حِسَابٍ) بعد قوله " أَوْ أَمْسِكْ " .

(٨) في م زاد " ابن عوف " .

(٩) في أ " فحضر " . والتصويب من ط ، م .

(١٠) الأقتاب : جمع قتب ، وهو رحل صغير على قدر السنام ، يوضع على ظهر البعير .

(١١) الأحلاس : جمع حلس ، وهو ما يلي ظهر البعير والدابة ، تحت الرحل والقتب والسرج .

الآيـــة : ٢٦٢

وروى أن عثمان جاء بألف مثقال في جيش العسرة[١] ، فصبها في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان صلى الله عليه و سلم يد خل يد ه فيها ويقلبها ويقول : " ما يضر عثمان ماذا عمل بعد اليوم " .[٢]

وقال أبو سعيد الخد ري : رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم رافعا يد يه يد عو لعثمان ، ويقول : " يا رب عثمان رضيت عنه فارض عنه " ، فما زال يد عو رافعا يد يه حتى طلع الفجر ، فأنزل الله[٣] هذ ه الآية .

وأما عبد الرحمن بن عوف فقد ذكرنا صدقته .

قوله تعالى (وَلَا أَذًى) أي لا يؤذ ي السائل [و][٤] لا يعيره ولا يزجره ، نحو أن يقول : أنت أبد ا في فقر ، وما أبلانا بك ، وأراحنا الله منك ، وأعطيناك فما شكرت ، وما أشبه ذ لك .

قال صلى الله عليه و سلم : " المنّ بما يعطي لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر اليه ولا يزكيه وله عذ اب أليم " .[٥]

---

(١) هو جيش غزوة تبوك .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦٣/٥
والترمذ ى في كتاب المناقب : باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه ، من حد يث عبد الرحمن بن سمرة . وقال : حد يث حسن غريب .

(٣) ذكره الواحد ى في أسباب النزول ص ٨١
والقرطبي في تفسيره ٣٠٦/٣
ولم أجد ه فيما وقفت عليه من كتب الحد يث والتفاسير المسند ة .

(٤) زياد ة الواو من ط .

(٥) لم أجد ه بهذ ا اللفظ . لكن ورد نحو هذ ا المعنى ضمن حد يث أخرجه مسلم في صحيحه من حد يث أبي ذ ر عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة : المنان الذ ى لا يعطي شيئاً إلا منه ، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر ، والمسبل إزاره " .
انظر : صحيح مسلم : كتاب الايمان : باب غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف .

الآيـــــة : ٢٦٢ ، ٢٦٣

فحظر الله على عباده المن بالصنيعة ، واختص به نفسه لنفسه ، لأنه من العبد تعيير [١] وتكدير ، ومن الله تعالى افضال وتذكير .

قال بعضهم :

أفسدت بالمن ما قدمت من حسن ... ليس الكريم اذا أعطى بمنان [٢]

قوله تعالى (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) أي لا خوف عليهم فيما يستقبلهم من أهوال يوم القيامة ، ولا هم يحزنون على ما خلفوا في الدنيا .

(٢٦٣) قوله تعالى (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى) : (١١٣/أ)

أي كلام حسن ورد جميل على السائل ولطف به ودعاء له بالسعة وتجاوز عن مظلمة وعدة حسنة خير عند الله من صدقة يتبعها أذى ، لأن الصدقة اذا تبعها الأذى ذهب المال والثواب جميعا .

وقال الضحاك : معنى الآية : قول في اصلاح ذات البين . [٣]

قوله (وَمَغْفِرَةٌ) قال ابن جرير [٤] : معنى مغفرة : أي ستر منه عليه لما علم من خلته وفاقته . [٥]

---

(١) في أ " تغيير " . والتصويب من ط ، م .

(٢) انظر البيت في عيون الأخبار لابن قتيبة ١٧٧/٣
وتفسير القرطبي ٣١١/٣ ولم ينسبوه .

(٣) حكاه البغوي في تفسيره ٢٥٠/١

(٤) هو امام المفسرين ، أبو جعفر ، محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، صاحب التصانيف المشهورة . قال الخطيب : أحد أئمة العلماء ، يحكم بقوله ، ويرجع الى رأيه ، لمعرفته وفضله ، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ... وله الكتاب المشهور في أخبار الأمم وتاريخهم ، وله كتاب التفسير لم يصنف مثله .
وقال الذهبي : كان ثقة ، صادقاً ، حافظاً ، رأساً في التفسير ، إماماً في الفقه ، والإجماع والاختلاف ، علامة في التاريخ وأيام الناس ، عارفاً بالقراءات وباللغة . استوطن بغداد ، ومات بها سنة ٣١٠
انظر : سير أعلام النبلاء ص ٢٦٧ ــ ٢٨٢

(٥) انظر : تفسير الطبري ٦٤/٣

الآيـــــة : ٢٦٣

وقيل : يتجاوز عن السائل اذا استطال عليه عند رده ٠

علم الله أن الفقير اذا رد بغير شيء شق عليه ذلك ، فربما دعاه ذلك الى بـــــذاءة اللسان واظهار الشكـوى ٠

وعلم ما يلحق المانع منـه ، فحثـه على العفو والصفح ٠

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اذا سأل السائل فلا تقطعوا عليـــه مسألتـه حتى يفرغ منها ، ثم ردوها عليه بوقار ولين وببذل يسير أو رد جميـل ، فانـه قـد يأتيكم من ليس بانس ولا جان ، ينظر كيف صنعكم فيما خولكم الله من النعـــــم عـز وجـــل " .(١)

قولـه تعـالى (وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ) أي غني عن صدقات العباد ، حليم اذ لم يعجـــل بالعقوبـة على الذي يمن بصدقتـــه ٠

روى بشر بن الحارث (٢) قال : رأيت عليا رضي الله عنه في المنام فقلت له : يا أمـــير المؤمنين تقول شيئا لعل الله ينفع بـه ٠ فقال لي : ما أحسن عطف الأغنياء على الفقـراء رغبـة في ثـواب اللـه عز وجـل ، وأحســن منـه صبر الفقـراء عن الأغنيـــاء ثقـة باللـــه عـز وجـــل ٠(٣)

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٧٨/٢ من حديث عبد الرحمن بن السلماني مولـــى عمر بن الخطاب ٠

وذكره القرطبي في تفسيره ٣١٠/٣ وقال : روى من حديث عمر رضي الله عنه ٠ ولم أجده عند غيرهما ـ فيما وقفت عليه من كتب الحديث ٠

(٢) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمـــن بن عطاء بن هلال المروزى ، نزيـل بغـــداد ، أبو نصر الحافي ، الزاهـــد الجليـل المشهور ، ثقـــة قـدوة ، من العاشـــرة ، مات سنة ٢٢٧

انظر : التقريـــب ص ١٢٢

(٣) انظر : تفسير القرطـبي ٣١٠/٣

الآيـــــــة : ٢٦٤

(٢٦٤) قـولـه عـز وجـل (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ) :

أى لا تبطلوا صد قاتكم بذ لك كابطال من ينفق ماله مراءاة و سمعة ليروا نفقته و يقال : انه سخي كريم صالح ، يعني بذ لك المنافق [١] الذ ى ينفق ماله لا رغبة في الثـــــــواب ولا رهبة من العقاب ، بل خوفا من الناس و رياء لهم أنـه مؤمن .

قـولـه تعالى (فَمَثَلُهُۥ) أى مثل نفقة هذ ا المنافق المرائي (كَمَثَلِ صَفْوَانٍ) أى كحجر أملس عليه تراب (فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ) أى مطر كثير شد يد الوقع ، فذ هب بالتراب الذ ى كان على الحجر ، وبقي الحجر يابسا لا شيء عليه .

قـولـه تعالى (فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا) أى حجرا صلبا أملس لا شيء عليه ، وهو من الأرض ما لا ينبت ومن الرؤوس ما لا شعر عليه . [٢] قال رؤبة : [٣]

... ... براق أصلاد الجبين الأجله [٤]

و هذ ا مثل ضربه الله لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن الذ ى يمن بصد قته و يؤذ ى . يعني أن الناس يرون في الظاهر أن لهؤلاء أعمالا ، كما يرى التراب على هذ ا الصفوان ، فاذ ا كان يوم القيامة اضمحل [٥] و بطل ، لأنه لم يكن لله ، كما أذ هب الوابل ما كان على الصفوان من التراب فتركه صلد ا لا شيء عليه .

---

(١) في ط " المنفق " .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٦٥/٣

(٣) هو رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعد ى ، أبو الجحاف ، زاجر ، من الفصحاء المشهورين ، من مخضرمي الد ولتين الأموية والعباسية ، كان أكثر مقامه في البصرة ، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة . مات في البادية .

انظر : خزانة الأدب ٤٣/١ ، والأعلام ٣٤/٢

(٤) هذ ا عجز البيت ، و صد ره : لما رأتني خَلَقَ المموه ...

وانظر البيت في د يوانه ص ١٦٥ ، و تفسير الطبرى ٦٦/٣

(٥) في ط كلمة " كله " بعد قوله " اضمحل " .

الآيـــــة : ٢٦٤

قولـه تعـالى (لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا) :

أى لا يقدر المان بنفقته والمؤذى والمنافق على ثواب شيء مما أنفقوا ، كما لا يقـــدر أحد من الخلق على التراب الذى كان على الحجر الأملس بعد ما أذهبه المطـــر الشديـــد .

قولـه تعـالى (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) أى لا يهديهم حتى يخلصـــوا أعمالهـم . وقيل : لا يهديهم بالمثوبـة لهم كما يهدى المؤمنـين .

وأصل الوابل من الوبيـل [١] ، وهو الشديد ، كما قال تعالى **(أَخْذًا وَبِيلًا)** . [٢]

ويقال : وبلت السماء تبل ، اذا اشتد مطرهـا .

والصلد : الحجر الأملس الصلب ، ويسمى البخيل صلدا تشبيها له بالحجر في أنـه لا يخرج منه شيء .

ويقال للأرض التي لا تنبت شيئاً : صلدا .

وصلد الزنـد صلودا ، اذا لم يور نارا . [٣]

وفي الآية دلالة أن الصدقة وسائر القرب [٤] اذا لم تكن خالصة لله لا يتعلق بها الثـواب ، ويكون فاعلها [٥] كمن لا يفعل ، ولهذا قال أصحابنا : لا يجوز الاستئجار على الحـج وسائر الأفعال التي من شرطها أن تفعل [٦] على وجه القربة ، لأن أخذ الأجرة عليهـا يخرجها من أن تكون قربـة . [٧]

---

(١) في ط " من الوبل " .

(٢) المزمل ١٦ (فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً) .

(٣) انظر مادة (صلد) في مفردات الراغب ، واللسان .

(٤) في ط " القربات " .

(٥) في أ " فاعله " . والتصويب من ط .

(٦) في أ " يفعل " بالياء . والمثبت هو الأليق بالسياق .

(٧) وهذا مذهب أبي حنيفة ، وإسحاق ، وإحدى الروايتين عن أحمد . وذهب مالك والشافعي ، وابن المنذر ، وأحمد في الرواية الأخرى الى جواز الاستئجار على الحج ونحوه مما يتعدى نفعه ويختص فاعله أن يكون من أهل القربة ، لأنه يجوز أخذ النفقة عليه فجاز الاستئجار عليه كبناء المساجد والقناطر . وانظر بسط هذه المسألة في : أحكام القرآن للجصاص ١٧٣/٢ ، والمغني لابن قدامة ٢٣١/٣ ، وبداية المجتهد ٣٧٣/١

الآيـــة : ٢٦٤ ، ٢٦٥

ثم ضرب جل ذكره لنفقة المخلصين المثبتين مثلا آخر أعلى من المثل الأول ، فقال :

(٢٦٥) (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ) :

أي صفة الذين ينفقون أموالهم طلبا [١] رضى الله و تصديقا وحقيقة .

قال الشعبي ، و الكلبي ، والضحاك : يعني تصديقا من أنفسهم ، يخرجون الزكاة طيبة بها نفوسهم .

و قال السدي ، وأبو صالح ، وأبو روق : معناه : و يقينا من أنفسهم ، أي على يقين باخلاف الله عليهم .

و قال قتادة : معناه : واحتساباً . وقيل : ثقة بالله .

و قال مجاهد : معناه : يتثبتون .

قال الحسن : كان الرجل اذا همّ بصدقة تثبت [٢] ، فان كان لله أمضاه ، وان خالطه شك أمسك .

وقال ابن كيسان معناه : اخلاصا و توطينا لأنفسهم على طاعة الله .

و قال سعيد بن جبير : و تحقيقا في دينهم . [٣]

---

(١) في ط ، م " لطلب " .

(٢) في أ " يثبت " ، وفي م "اثبت " . والتصويب من ط .

(٣) انظر تلك الأقوال في : تفسير الطبري ٣/٦٩ ـ ٧٠ ، و تفسير البغوى ١/٢٥٢ و زاد المسير ١/٣١٨ ـ ٣١٩ ، و تفسير القرطبي ٣/٣١٤ ، و تفسير ابن كثير ١/٣٢٦ و الدر المنثور ٢/٤٥ ـ ٤٦

قال ابن كثير : (و تثبيتاً من أنفسهم) : أي وهم متحققون و متثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء . و نظير هذا في المعنى قوله عليه السلام في الحديث الصحيح المتفق على صحته : " من صام رمضان إيماناً واحتساباً ... " أي يؤمن أن الله شرعه ، ويحتسب عند الله ثوابه .

انظر : تفسير ابن كثير ١/٣٢٦

الآيـــــة : ٢٦٥

قـولـه (كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ) :

أي كصفة بستان بمكان مرتفع أصابها مطر كثير شد يـــد ، فآتت ثمرتها ضعفين فـــــي الحمل . قال عطاء : حملت في سنة ما يحمل غيرها في سنتين . (١)

و قال عكرمـــة : حملت في السـنة مرتـــين . (٢)

قال الفراء : اذا كان في البستان نخل فهو جنـــة ، واذا كان فيه كرم فهو فردوس . (٣)

و قرأ مجاهـد : " كَمَثَلِ حَبَّةٍ " بالحاء والباء . (٤)

و قرأ السلمي و العطارد ى (٥) و الحسن و عاصم و ابن عامر "بِرَبوة " بفتح الراء هنا وفي سورة المؤمنين (٦) ، وهي لغة بني تمـــيم .

---

(١) حكاه البغـوى في تفســيره ٢٥٢/١

(٢) انظـر : المصد ر السابـــق .

و قال الطبرى : و قولـه (فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَـــيْنِ) فإنه يـعني الجنـــة ، فإنهـــا أضعف ثمرها ضعفين حين أصابها الوابل من المطر .

انظر : تفسير الطبرى ٧٢/٣

(٣) حكاه البغوى في تفسيره ٢٥٢/١ و زاد حكايته عن المبرد .

(٤) انظر : زاد المسير ٣١٩/١

(٥) هـو أحمـــد بن عبد الجبار أبو عمـرو العطارد ى التميمي الكوفـــي ، حـدث عن أبي بكر بن عيـاش ، و وكيع بن الجـــراح ، و ابن فضيـــل ، و جماعـــة . و حـدث عنـــه ابن أبي الد نيـــا ، و يحيى بن صاعـــد ، وأبو بكـر بـــــــن أبي د اود و غيرهم . مـات سنة اثنتين و سبعين و مائتين .

انظر : سير أعـلام النبـــلاء ٥٥/١٣ ــ ٥٧ ، و غاية النهاية ٦٥/١

(٦) من الآيـــة ٥٠ وهي قولـه تعـــالى (و جَعَلْنَـــا ابـنَ مَرْيَـمَ وَأُمَّـــهُ ءَايَـــــةً وَءَاوَيْنَـــاهُمَـا إِلَىٰ رَبْـوَةٍ ذَاتِ قَـرَارٍ وَمَعِـــينٍ) .

الآيـــــة : ٢٦٥

وقرأ أبو جعفر ، وشيبة ونافع وابن كثير ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائي ، وأبو عمرو ، ويعقوب ، وأيوب : " بربُوة " بضم الراء فيهما .(١)

/ واختاره أبو عبيـــد ، لأنها أكثر اللغات وأشهرها . (١١٤/أ)

وقرأ ابن عباس ، وأبو اسحاق (٢) : " بربِوة " بكسر الراء .(٣)

وقرأ أشهب العقيلي " برباوة " بالألف وكسر الراء .

وهن جميعا للمكان المرتفـــع المســـتوى .

والمطر على الروابي أشد ونبتها أحسن ، وانما سميت " ربوة " لأنها ربت وعلـــت فغلظت (٥) ، من قولهم : ربا الشيء يربو اذا عظم .(٦)

قولـه تعالى (أُكُلَهَا) قرأ نافـع ، وابن كثير ، وأبو عمرو : بالتخفيف .

وقرأ الباقون بضم الكاف .(٧) والأكل : هو الثمر ، وهم اسم لما يؤكـل .

---

(١) انظر القراءتين في : النشر ٢/٢٣٢ ، والبدور الزاهـرة ص ٥٥ ، وتفســـير الثعلـــبي ٢/١٨٠ ـ ١٨١

(٢) هو عمرو بن عبد الله بن علي بن أحمـــد ، أبو اسحاق السبيعي الهمداني الكوفي ، الامام الكبير ، أخذ القراءة عرضا عن عاصـم بن ضمرة ، وعلقمة الأســـود ، وأبي عبد الرحمن السلمي ، ورأى من الصحابـــه علي بن أبي طالب ، وابن عباس ، وابن عمـــر ، وغيرهـــم . وأخـــذ القراءة عنه عرضـا حمزة الزيـــات . مـــات ســـنة ١٣٢ .

انظر : غايـــة النهايـــة ١/٦٠٢

(٣) انظر : مختصر شواذ القراءات لابن خالويـه ص ١٦ ، وتفسير القرطـبي ٣/٣١٦ والبحـر المحيط ٢/٣١٢

(٤) انظر : المصـادر السابقـــة .

(٥) في ط " فغلظت وعلت " .

(٦) في أ " اذا أعظـم " . والتصويب من ط ، م .

(٧) انظر : النشـــر ٢/٢١٦ والبـدور الزاهـرة ص ٥٥

الآيـــة : ٢٦٥ ، ٢٦٦

قولـه تعـالى (فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ) أى فطش ، والطل أضعف المطر ، مثـل الرذاذ ، وهو المطر الدايم الصغار القطر لا يكاد تسيل منه الموازيب .

كذلك المنفق لوجه الله ان كانت نفقته كثيرة فثوابها كثير ، وان كانت قليلة شيئـا بعد شيء فبعدها .

وقال السدى : الطل هو الندى .(١)

وروى عن زيد بن أسلم في قوله تعالى (فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ) قال : هي أرض مصر ، ان لم يصبها مطر زكت : أى أنبتت ، وان أصابها مطر أضعفت (٢) : أى آتت ضعفي ذلك .

وهذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن المخلص ، يقول : كما أن هذه الجنة تصلح في كل حال ولا تخلف ولا تخيب صاحبها سواء قل المطر أوكثر ، كذلك يضاعف الله ثواب صدقـة المؤمن المخلص الذى لا يمن ولا يؤذى ، سواء قلت صدقته أوكثرت ولا تخيب بحال .

قولـه تعـالى (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) أى بصير بما تعملون من الرياء والاخلاص يجزيكم على قدر نياتكم .

(٢٦٦) قولـه عـز وجل (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ) الآيـة .

هـذا استفهام في الظاهر يقتضي في الحقيقة تقديرًا : أي لا يود أحـدكم ، كقولـه

---

(١) أخرجه الطبرى في تفسيره ٣/٧٢

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم ـ فيما حكاه السيوطي في الدر المنثـور ٢/٤٧ ـ .

قلـت : هذا التخصيص يرده ظاهر الآية وما عليه عامة أهل التفسـير .

قال القرطبي : قوله تعالى (كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ) : الجنـة : البستان ، وهـي قطعـة أرض تنبت فيها الأشجار حتى تغطيهـا ..

والربوة : المكان المرتفع ارتفاعًا يسـيرًا ، معه في الأغلب كثافة تراب ، وما كان كذلك فنباتـه أحسن ، ولذلك خص الربوة بالذكـر ١٠ هـ .

تفسير القرطـبي ٣/٣١٥

الآيـــــة : ٢٦٦

تعالى (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا) . (١)

ومعنى الآية : يتمنى أحدكم أن يكون له بستان (٢) من نخيل وكرم ، تجرى من تحت شجرها و مساكنها و غرفها الأنهار ، له في الجنة من ألوان الثمار كلها ، وأصابه الهرم والضعف وله أولاد ضعاف (٣) عجزة عن الحيلة .

(فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ) يعني تلك الجنة .

والاعصار : ريح عاصف تهب من الأرض بالشدة ، كالعمود الى نحو السماء .

و تسميها العرب : الزوبعة (٤) ، وسميت اعصارا لأنها تعلوكثوب عصر .

قوله تعالى (فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ) أى الجنة . و هذا مثل ضربه الله لنفقة المنافق والمرائي ، يقول : عمل هذا المرائي في حسنه كحسن الجنة ينتفع بها (٥) كما ينتفع صاحب الجنة ، فاذا كبر و ضعف و صار له أولاد صغار ضعاف أصاب جنته اعصار فيه نار فاحترقت عند ما هو أحوج اليها و ضعف عن اصلاحها لكبره ، و ضعف أولاده عن اصلاحها لصغرهم و عجزه و عجزهم من أن يغرسوا مثلها . / لا يرد عليه شبابه وقوته ليغرس ، (١١٤/ب) فيجزن و يغتم ويهلك أسفا و تحسرا على ذلك . فلا هو يجد شيئا يعيشه ، ولا مع أولاده شيء يعودون به عليه ، فبقي هو وأولاده فقراء عجزة متحيرين ، لا يقدرون على حيلة .

فكذلك يبطل الله صدقة هذا المرائي والمنافق والمانّ (٦) بصدقته ، حيث لا مستعتب لهما ولا توبة ولا اقالة ، حرم (٧) أجرها عند أفقر ما يكون اليها و يرى في القيامة

---

(١) الحجرات ١٢

(٢) في ط " بستانان " .

(٣) في ط " صغار " .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٤٩/١

(٥) هكذا في النسخ ، ولعل الأولى " به " .

(٦) في ط " والمنان " .

(٧) في ط ، م " يحرم " .

الآيـــــة : ٢٦٦

أعمالـه هبـاءً منثـوراً ، ولا يؤذن لـه في الرجوع الى الدنيـا ليتصـــدق وليكـون مـن الصالحـــين . (١)

قـولـه تعـالى (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)

أي كهذا البيان الذي بين الله لكم فيما تقدم ، وبين لكم الدلالات والعلامات لكـــي تتفكـروا فتعتـــبروا .

فان قيل : قولـه تعالى (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ) فعل مستقبل ، وقولـه (وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ) فعـل مـاض ، فكيف عطف الماضي على المستقبل ؟

فالجواب من وجهين : أحدهما : أن " قد " ههنا مقدرة ، المعنى : وقد أصابه الكبر ، فتكون للحال ، كما قال في آية أخرى (وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ) (٢) أي قد قدّ .

والثاني : " أيود " يقتضي أن يكون في خبره " لو " كما في قوله (يَوَدُّ أَحَدُهُم لَوْ يُعَمَّرُ) (٣) وقولـه (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) . (٤)

ويقتضي أن يكون في خبره " أن " كما في هذه الآيـة .

---

(١) أخرج البخاري عن عبيد بن عمير قال : قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النـبي صلى الله عليه وسلم : فيم ترون هذه الآية نزلت (أيود أحدكم أن تكون له جنة) ؟ قالوا : الله أعلم ، فغضب عمر ، فقال : قولوا : نعلم أو لا نعلم . فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين . قال عمر : يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك . قال ابن عباس : ضربت مثلاً لعمل . قال عمر : أي عمل ؟ قال ابن عباس : لعمل . قال عمر : لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل ثم بعث الله له الشيطان ، فعمـل بالمعاصي حتى أغرق أعمالـه .

انظر : صحيح البخاري : كتاب التفسير : باب قوله (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ...) .

(٢) يوسف ٢٧ (وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ) .

(٣) البقرة ٩٦ (يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) .

(٤) النساء ٨٩ (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ...) .

الآيـــــة : ٢٦٦ ، ٢٦٧

و " لـو " للماضي ، و " أن " للمستقبل .

ثم قد يستعمل " لو " مكان " أن " ، و " أن " مكان " لو " ، ويقام أحدهمـــا مقام الآخر . يقول الانسان : أنا أتمنى لو كان[٢] لي ولد ، ويقول : أتمنى أن كـــان[٣] لي ولـــــد .

واذا كان معنى التمني قد يقع على الماضي صحّ عطف الماضي عليـه .[٤]

(٢٦٧) قوله عز وجل (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ) :

أي أنفقوا من خيار ما كسبتم و جياده . نظير[٥] قوله تعالى (لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) .[٦]

وقال ابن مسعود ، و مجاهد : من حلال ما كسبتم من الأمـوال .[٧]

دليله (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ) .[٨]

وقال عليه السلام : " ان الله طيب لا يقبل إلا الطيب ، لا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق به فيقبل منه ، ولا ينفق فيبارك له فيه ، ولا يتركه خلفه الا كان زاده الى النار ، وان الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن ، وان الخبيث لا يمحو الخبيث " .[٩]

---

(٢) في ط " لو أن يكون " .

(٣) في ط " أن يكون " .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ١/١٧٥ ، والدر المصون ٢ / ٥٩٧ ـ ٥٩٨ ففيهما زيادة تفصيل .

(٥) في ط ، م " نظيره " .

(٦) آل عمران ٩٢

(٧) انظر : تفسير البغوى ١/٢٥٣

(٨) في ط زاد قوله تعالى (واعملوا صالحاً) : المؤمنون ٥١

(٩) أخرجه أحمد في مسنده ١/٣٨٧ من حديث ابن مسعود . وليس فيه " إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب " .

الآيـــــة : ٢٦٧

وقـولـه تـعـالى (وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) أى من أعشار الحبوب و الثمار .

قـولـه تـعـالى (وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيـــه) أى لا تـعـمـد وا الى الرد ىء من أموالكم منـه تتصد قـون و لستم بقابضيه و قابليـه الا أن تـغمضـوا فيـه .

يقول : لوكان لبعضكم على بعض حق ، فجاء بد ون حقه لم يأخذ منه الا أن يتغاض له / عن بعض حقه ، و يتسامح عن عيب فيه ، فكيف تعطونه في الصد قة .[1] (١١٥/أ)

وقد روى في سبب نزول هذ ه الآية أن النبي صلى الله عليه و سلم حثّ الناس على الصد قة وقال : " ان لـله في أموالكم حقا " . فكان يأتي أهل الصدقة بصد قاتهم فيضعونها فـي المسجد ، فيقسمها رسول الله صلى الله عليه و سلم بينهم . فجاء رجل ذ ات يوم ـ بعد ما تفرّق عامة أهل المسجد ـ بعذ ق من حشف[2] فوضعه في الصد قة ، فلما أبصره

= وكذ ا أخرجه البيهقي في الشعب ـ فيما حكاه السيوطي في الد ر المنثور ٦٢/٢ ـ ٦٣ . وأخرج مسلم في صحيحه من حد يث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " أيها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا ، وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) . وقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) . ثم ذكر الرجل يطيل السفر ، أشعث أ غبر ، يمد يد يه الى السماء ، يا رب يا رب ومطعمه حرام و مشربه حرام و ملبسه حرام ، و غذ ى بالحرام ، فأنى يستجاب لذ لك " .

انظر : صحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب قبول الصد قة من الكسب الطيب .

(١) قال ابن كثير : قوله (وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ) أى لا تقصد وا الخبيث (مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ) : أى لو أعطيتموه ما أخذ تموه الا أن تتغاضوا فيـه ، فالله أغنى عنه منكم ، فلا تجعلوا لله ما تكرهون ١٠ هـ .

تفسير ابن كثير ٣٢٧/١

(٢) العذ ق : القنو . والحشف : هو اليابس الفاسد من التمر .

الآيـــــــة : ٢٦٧

رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " بئس ما صنع صاحب الحشف " فأمر بـه فعـلق ، فجعل كل من يراه يقول : بئس ما صنع صاحب الحشف . فأنزل الله هـذه الآيـة .(١)

وقال بعضهم : معنى (**وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ**) أي لا تتصدقوا بالحرام(٢) ، فيكون معـنى (**إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ**) على [هـذا](٣) التأويل : الا أن تترخصوا في تناوله [و](٤) ان كان حرامـــــــا .

والاغماض : ترك النظر . يقال في المثل : أغمض في هـذا [الأمر](٥) ، وغمض : أي لا تستقص ، وكـن كأنك لم تبصـــر [ه] .(٦)

قـولـه تعـالى (**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**) أي غني عن صدقاتكم ، محمود في أفعالـه ولم يأمركم بالصدقة عن عوز ، ولكن بلاكم بما أمركم ، فهو مستحق للحمـد على ذلـك و على جميع أمـره . وفي الآيـة اباحة الكسب و اخبار أن فيه ما هو طيب .

قال صلى اللـه عليـه و سـلم : " الخير عشرة أجزاء ، أفضلهـا التجارة اذا أخـذ الحق و أعطـى الحـــق " .(٧)

---

(١) انظر : تفسير الثعلبي ١٨٤/٢
وأخرج نحوه ابن ماجه في كتاب الزكاة : باب النهي أن يخرج في الصدقة شر ماله .
وكذا الواحدي في أسباب النزول ص ٨٢
والطبري في تفسـيره ٨٢/٣
والحاكم في المسـتدرك ٢٨٥/٢ و قال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .
كلهم من حديث البراء بن عازب .

(٢) أخرجه الطبري عن ابن زيد . تفسير الطبري ٨٣/٣ ـ ٨٤

(٣) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٤) زيادة الواو من ط .

(٥) ما بين المعقوفتين من ط .

(٦) زيادة الهاء من ط .

(٧) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٨٣/٢ من حديث أبي أمامـة .

الآيـــة : ٢٦٧

و قال صلى الله عليه و سلم : " تسعة أعشار الرزق في التجارة ، و لا يفتقر من التجـــار الا تاجر حـلاّف " .(١)

و سُئِلَ النبي صلى الله عليه و سلم : أي كسب الرجل أفضـــل ؟

قال : " عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور " .(٢)

و قال صلى الله عليه و سلم : " يا معشر التجار ان هذا البيع يحضره اللغو والكـذب ، فشوبوه بالصدقـة " .(٣)

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٨٣/٢ ، و ذكر نحوه الألباني في ضعيف الجامع ٣٠/٣ وفيه : " و العشر في المواشي " بدل " ولا يفتقر من التجار الا تاجر حلاّف " .
و قال الحافظ العراقي : أخرجه ابراهيم الحربي في غريب الحديث من حديث نعيم ابن عبد الرحمن ، ورجاله ثقات ، و نعيم هذا قال فيه ابن منده : ذكر في الصحابة ولا يصح . وقال أبو حاتم الرازي و ابن حبان : انه تابعي . فالحديث مرسل ١٠ هـ .
انظر : المغني عن حمل الأسفار بهامش احياء علوم الدين للغزالي ٦٤/٢

(٢) أخرجه الامام أحمد في المسند ١٤١/٤ من حديث رافع بن خديج .
والحاكم في المستدرك ١٠/٢ من حديث سعيد بن عمير عن عمه .
و قال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وقد ذكر يحيى بن معين : أن عم سعيد بن عمير البراء بن عازب .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب البيوع : باب في التجارة يخالطها الحلف واللغو .
والترمذي في البيوع : باب التجار و تسمية النبي صلى الله عليه و سلم اياهم .
و قال : حسن صحيـــح .
والنسائي في الأيمان و النذور : باب في الحلف و الكذب لمن لم يعتقد اليمين بقلبه .
وابن ماجه في التجارات : باب التوقي في التجارة .
والامام أحمد في المسند ٦/٤
والحاكم في المستدرك ٥/٢ . كلهم من حديث قيس بن أبي غرزة . وقـــال الحاكم : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، لتفرد أبي وائل بالرواية عن قيس بن أبي غرزة .
ووافقـــه الذهـــبي .

الآيـــــة : ٢٦٨

(٢٦٨) قولـه عز وجل (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ) :

أي الشيطان يعدكم بالفقر ، فحذف الباء . كقول الشاعر :

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت بـــه .·. فقد تركتك ذا مال وذا نشب (١)

ويقال : وعدته خيرا ووعدته شرا . قال الله تعالى في الخير : (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً) (٢) . وقال في الشر : (النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) . (٣)

واذا لم يذكر الخير والشر قلت في الخير : وعدته ، وفي الشر : أوعدته . قال الشاعر :

واني اذا أوعدته أو وعدته .·. لمخلف ايعادي ومنجز موعدي (٤)

ومعنى (يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) أي يخوفكم الفقر بالنفقة في وجوه البر وانفاق الجيد من المال .

وقوله تعالى (وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ) أي بالبخل ومنع الزكاة .

وزعم الكلبي : أن كل فحشاء في القرآن فهو الزنا ، الا في هذه الآية . (٥)

---

(١) انظر البيت في معاني القرآن للزجاج ٣٥١/١ ، وزاد المسير ٣٢٣/١، وتفسير القرطبي ٣٢٩/٣، وخزانة الأدب ١٦٦/١

وقد أورده البغدادي في الخزانة ضمن أبيات ذكر أنهم اختلفوا في نسبتها ، فنسبت الى عمرو بن معد يكرب ، وللعباس بن مرداس ، ولزرعة بن السائب ، ولخفاف بن ندبة . اهـ .

والنشب : المال والعقار .

(٢) الفتح ٢٠

(٣) الحج ٧٢

(٤) تقدم تخريجه .

(٥) حكاه عنه البغوي في تفسيره ٢٥٦/١

قلت : هذا التخصيص لا دليل عليه .

قال ابن كثير : قوله (وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ) : أي مع نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق ، يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاق .

تفسير ابن كثير ٣٢٩/١

وانظر : تفسير الطبري ٨٧/٣ ، وتفسير القرطبي ٣٢٨/٣

الآيـــة : ٢٦٨

وانما سمي منع الزكاة فحشا ، لأن العرب تسمي البخيل فاحشا ، والبخل فحشـــاء .

والفقر سوء الحال و قلة ذات اليـــد .

وفيه لغتان : " الفُقـر " و " الفَقـر " كالضُعف والضَعف .(١)

قوله تعالى (وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً) :

أي مغفرة لذ نوبكم بالانفقـاق من خيار المال . (وَفَضْلاً) أي خلفا في الد نيا والآخرة . (١١٥/ب)

(وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) يوسع الرزق والخلف والمثوبـة ، ويعلم حيث ينبغي أن تكـون السعـــــة .

قال ابن عباس و ابن مسعود : ثنتان من الله ، و ثنتان من الشيطان : فمن الله المغفـرة والفضل ، ومن الشيطان الفقر والفحشـاء .(٢)

وو عـد الشيطان و ساوس و تخييل ، أي يخيل إليه : أنك ان أمسكت مالك استغنيت ، وان تصد قت بـه افتقرت .

---

(١) انظر اللسان : ماد ة (فقـر) .

وقرىء " الفُقر " بضم الفاء ، و " الفَقَر " بفتح الفاء والقاف . وهما قراءتان شاذ تان

انظر : مختصر شواذ القرآن لابن خالويـه ص ١٧ ، والبحر المحيط ٣١٩/٢

(٢) أخرجه الطبرى من طريق عكرمـة عن ابن عباس .

وزاد السيوطي في عزوه ابن المنذ ر ، وابن أبي حاتم .

انظر : تفسير الطبرى ٨٨/٣ ، والد ر المنثور ٦٥/٢

ولم أجـد ه بهذ ا اللفظ عن ابن مسعود :

لكن أخرج الترمذ ى في سننه من حد يث ابن مسعود مرفوعا : " إن للشيطـــان لمـة بابن آد م ، وللملك لمـة ، فأما لمـة الشيطان فإيعاد بالشر و تكذ يـــب بالحق ، وأما لمـة الملك فإيعاد بالخير و تصد يق بالحق ، فمن وجـد ذ لك فليعلم أنه من الله ، فليحمد الله ، ومن وجـد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ (الشيطـان يعد كم الفقر و يأمركم بالفحشاء) .

قال الترمذ ى : هـذ ا حـد يث حسن غريب .

انظر : سنن الترمذ ى : كتاب التفسير : باب : ومن سورة البقـــــرة . رقم ٢٩٨٨ ومعنى اللمـة : الهمة والخطرة تقع في القلب . فما كان من خطـرات الخير فهو من الملك ، وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان .

الآيـــــة : ٢٦٩

(٢٦٩) قـولـه تـعـالى (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ) :

اختلفوا في تفسير الحكمـة : قال ابن مسعود : هي القرآن .(١)

وقال ابن عباس ، وقتادة : علم ناسخ القرآن ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهـه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلالـه وحرامه ، وأمثاله وعبره .(٢)

وقال السدى : هي النبـــوة .(٣)

وقال أبو العالية : هي الـفقـــه .(٤)

وقال مجاهد وابراهيم(٥) : هي الاصابة والفهـــم .(٦)

وقال الربيع : هي خشية اللـه تعـالى .(٧)

وقال سهل بن عبد الله : هي السـنة .(٨)

وقيل : هي سرعـة الجواب مع اصابة الصواب . [واللـه أعـلم] .(٩)

---

(١) حكاه ابن الجوزى في زاد المسير ٣٢٤/١ وزاد في حكايته مجاهد والضحاك ومقاتل .

(٢) في أ ، م " وغيره " . والتصويب من ط .

وانظر تخريج قول ابن عباس وقتادة في : تفسير الطبرى ٨٩/٣

(٣) أخرجه الطبرى في تفسيره ٩١/٣

(٤) المروى عن أبي العالية في ذلك أنه : الكتاب والفهم فيـــه .

انظر : تفسير الطبرى ٩٠/٣ ، وزاد المسير ٣٢٤/١

(٥) هـو النخعـي .

(٦) أخرجه الطبرى في تفسيره ٩٠/٣

(٧) أخرجه الطبرى في تفسيره ٩١/٣

(٨) انظر : تفسير الثعلبي ١٨٦/٢

وذكره ابن كثير في تفسيره ٣٢٩/١ عن أبي مالك .

(٩) ما بين المعقوفتين من م .

قلـت : كل تلك الأقوال في معنى الحكمة محتملة ، وهي قريبة من بعضها ، فحملها على العموم أولى .

قال الطبرى : جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلة في معنى الحكمة . انظر : تفسير الطبرى ٩١/٣

وانظر : تفسير القرطبي ٣٣٠/٣ ، وتفسير ابن كثير ٣٢٩/١

الآيـــــة : ٢٦٩

قولـه تعـالى (وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) :

أى من يعطى العلم فقد أعطي خيرا كثيرا يصل به الى رحمة الله تعالى .

قال بعض الحكماء : سمى الله العلم " خيرا كثيرا " . والدنيا " متاعا قليلا " .(١)

فينبغي لمن أعطي العلم أن يعرف قدر نفسه ، ولا يتواضع لأصحاب الدنيا لدنياهم .(٢)

وقال الحسن : (وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ) يعني الورع في دين الله .(٣)

قرأ الربيـع (٤) " تؤتى (٥) الحكمة " " ومن تؤت الحكمة " بالتاء .(٦)

وقرأ يعقوب " ومن يؤتِ (٧) الحكمة " بكسر التاء (٨) ، أراد : ومن يؤته اللـــــه .

فحذف الهـــــاء .

قولـه تعـالى (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ) أى وما يتعظ (٩) الا ذوو العقول .

واللب من العقل : ما صفي عن دواعي الهوى .

ويسمى العقل لبا ، لأنـه أنفس ما في الانسـان ، كما أن لب الثمرة أنفس ما فيها .

---

(١) قال تعالى (قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا) .
النســـــاء ٧٧

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٣٣١/٣

(٣) انظر : تفسير البغوى ٢٥٧/١ ، وزاد المسير ٣٢٤/١

(٤) هـو ابن خثـيم . وقـد تقدمت ترجمتـه .

(٥) في أ " تـؤت " . والتصويب من ط .

(٦) انظر : مختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص ١٧ ، والبحر المحيط ٣٢٠/٢
وفيهما : بالتاء في " تؤتي " ، وفي " تشاء " على الخطاب .

(٧) في أ " تؤت " . والتصويب من ط ، م .

(٨) والباقون بفتحها .
انظر : النشر ٢٣٥/٢ ، والبـدور الزاهـرة ص ٥٥

(٩) في ط ، م " يتيقظ " .

الآيـــــة : ٢٧٠ ، ٢٧١

(٢٧٠) قوله عز وجل (وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ) :

أي ما تصدقتم به من صدقة أو أوجبتموه على أنفسكم من فعل بر ، مثل صلاة أو صدقة أو صوم فان الله لا يخفى عليه ذلك ، يقبله ويجازى عليه .

ويقال معنى (فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ) : أي يحفظه .

وانما قال (يَعْلَمُهُ) ولم يقل : يعلمها ، لأنه رده الى الآخر منهما ، كقوله تعالى (وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا) .(١)

وان شئت حملته على " ما " التي قبله ، كقوله تعالى (وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ) (٢) ولم يقل بهما .

قوله تعالى (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) أي وما للواضعين النفقة والنذر في غير موضعهما بالرياء والمعصية ونحوهما من أعوان يدفعون عنهم عذاب الله . والأنصار : جمع نصير ، مثل حبيب وأحباب ، وشريف وأشراف .

(٢٧١) قوله عز وجل (إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) :

/ وذلك أنهم قالوا : يا رسول الله من أفضل : صدقة السر أو صدقة العلانية ؟ (١١٦/أ)

فأنزل الله هذه الآية .(٣) ومعناها : ان تظهروا (٤) الصدقات وتعلنوها (٥) فنعم الشيء صدقة العلانية .

وأصل (فَنِعِمَّا هِيَ) فنعم ما هي ، فوصلت وأدغمت .

---

(١) النساء ١١٢ وتمامها (فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) .

(٢) البقرة ٢٣١

(٣) حكي هذا عن الكلبي . انظر : أسباب النزول للواحدى ص ٨٢ ، وزاد المسير ٣٢٥/١ ، والبحر المحيط ٣٢٣/٢

(٤) في أ " يظهروا " بالياء . والتصويب من ط ، م .

(٥) في ا " ويعلنوها " بالياء . والتصويب من ط ، م .

الآيـــــة : ٢٧١

وكان الحسن يقرأ " فنـــعـم ما هـي " مفصولة على الأصل .[١] أي نعمت الخصلة .

و " ما " في موضع رفع ، و " هي " في محل النصب . كما تقول : نعم الرجل رجلا . فاذا عرفت رفعت ، فقلت : نعم الرجل زيـــد .

وقرأ أبو جعفر ، ونافع ، وشيبة ، وعاصم ، وأبو عمرو : بكسر النون وجزم العين . ومثله في سورة النساء[٢] ، واختاره أبو عبيـــد . وذلك أنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لعمرو بن العاص : " نعـما المال الصالح للرجل الصالح " .[٣]

وقرأ ابن عامر ، ويحيى بن وثاب ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف : بفتـــح النون وكسر العين .

وقرأ طلحة ، وابن كثير ، وورش ، وحفص ، ويعقوب ، وأيوب : بكسر النون والعين ،[٤] وهي لغات صحيحـــة .

قوله تعالى (وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ)

أي وان تسروها وتعطوها الفقراء سرا فهو خير لكم وأفضل من العلانية ، وكلاهما مقبول منكم اذا كانت النية صادقة ، ولكن صدقة السر أفضل .

قال صلى الله عليه وسلم : " صدقة السر تطفيء غضب الرب وتطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار ، وتدفع سبعين بابا من البلاء " .[٥]

---

(١) انظر : تفسير الثعلبي ١٨٧/٢

وهي منسوبة في مختصر الشواذ ص ١٧ لعبد الله ـ يعني ابن مسعود .

(٢) في قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) الآية ٥٨

(٣) أخرجه الامام أحمد في مسنده ٢٠٢/٤ ، والبغوي في شرح السنة ٩١/١٠

(٤) انظر تلك القراءات في : النشر ٢٣٥/٢ ـ ٢٣٦ ، والبدور الزاهـــرة ص ٥٥ وتفسير الثعلبي ١٨٧/٢ ، وتفسير القرطبي ٣٣٤/٣

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٨٧/٢ ـ ١٨٨

وذكر أوله الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٥/٣ من حديث عبد الله بن جعفر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " صدقة السر تطفيء غضب الرب " . قال الهيثمي : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، وفيه أصرم بن حوشب وهـــو ضعيف . اهـ .

الآيـــــة : ٢٧١

وقال صلى الله عليه و سلم : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الاظله : الامام العادل ، و شاب نشأ في عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا عليه و تفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال : اني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه (١) ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه " . (٢)

وقال أهل المعاني : هذه الاية في صدقة التطوع (٣) ، ولاجماع العلماء أن الزكاة المفروضة اعلانها أفضل كالصلاة المفروضة في الجماعة أفضل من افرادها . وكذلك سائر الفرائض لمعنيين :

احدهما : ليقتدى به الناس .

والثاني : لزوال التهمة لئلا يسيء الناس به الظن و لا رياء في الفرض .

وأما النوافل والفضائل فإخفاؤها أفضل ، لبعدها من الرياء .

يدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي جعفر (٤) في قوله تعالى : (**إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ**) قال : يعني الزكاة المفروضة .

و قوله تعالى (**وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَآءَ**) يعني التطوع .

= وأخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ان الصدقة لتطفيء غضب الرب ، و تدفع عن ميتة السوء " .

قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

انظر : سنن الترمذي : كتب الزكاة : باب ما جاء في فضل الصدقة .

(١) في ط ، م " حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله " . وهي رواية مسلم .

(٢) أخرجه البخاري و مسلم من حديث أبي هريرة .

انظر : صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب الصدقة باليمين .

و صحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب فضل اخفاء الصدقة .

(٣) انظر : زاد المسير ٣٢٥/١ ، وتفسير القرطبي ٣٣٢/٣ ، وتفسير الخازن ٢٩٣/١

(٤) لعله ابن جرير الطبري ، فقد ورد في تفسيره ما يشير الى نحو هذا المعنى .

انظر : تفسيره ٩٢/٣

الآيـــــــة : ٢٧١

وعن ابن عباس أنه قال : جعل الله صدقة التطوع في السر تفضل علانيتها بسبعين ضعفا ، وصدقة الفريضة تفضل علانيتها سرها بخمسة (١) وعشرين ضعفا . (٢)

وقال /صلى الله عليه وسلم : " المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة ، والجاهر بالقـــرآن (١١٦/ب كالجاهر بالصدقـــة " . (٣)

وذهب الحسن ، وقتادة الى أن الإخفاء في كل صدقة أفضل ، مفروضـــة كانـــت أو تطوعـــا . (٤)

قوله عز وجل (وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ)

قرأ ابن عباس ، وعكرمة " وتكفر " بالتاء ، يعني الصدقات . (٥)

وقرأ الحسن ، وابن عامر ، وحفص " ويكفر " بالياء والرفع ، على معنى : ويكفر الله . وقرأ ابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو بالنون ورفع الراء على الاستئناف ، أي ونحن نكفر . وقرأ أبو جعفر ، وشيبة ، ونافع ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائي بالنون والجزم . (٦) عطفا على موضع الفاء التي في قوله (فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) لأنها موضعها جزم بالجزاء .

---

(١) في أ " بخمس " . والتصويب من ط .

(٢) أخرجه الطبرى في تفسيره ٩٢/٣ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة : باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل .
والترمذى في فضائل القرآن : باب رقم (٢٠)
والنسائي في الزكاة : باب المسر بالصدقة .
كلهم من حديث عقبة بن عامر . ولفظه : " الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة " .
قال الترمذى : حديث حسن غريب .

(٤) انظر : زاد المسير ٣٢٦/١
ومال ابن كثير وأبو حيان الى القول بعموم الآية في أفضلية اخفاء الصدقة ، ســـواء كانت فرضا أو نفلا . انظر : تفسير ابن كثير ٣٣١/١ ، والبحر المحيط ٣٢٥/٢

(٥) انظر : البحر المحيط ٣٢٥/٢ ، وتفسير القرطبي ٣٣٥/٣

(٦) انظر تلك القراءات في النشر ٢٣٦/٢ ، والبدور الزاهرة ص ٥٦ ، وتفســـير القرطبي ٣٣٥/٣
وبالنون وجزم الراء قرأ أيضا خلف .

الآيـــــــة : ٢٧١ ، ٢٧٢

وقولـه تعـالى (مِـن سَيِّئَاتِـكُمْ) أدخل " من " للتبعيض ، ليكون العباد فيها على وجـل فـلا يتكلـوا .(١)

وقال نحاة البصرة : معناه : الاسقاط ، أي ويكفر عنكم سيئاتكم .(٢)

قـولـه عـز وجـل (وَاللَّـهُ بِمَـا تَعْمَلُـونَ خَـبِيرٌ) أي بما تعملـون من الصـــدقة عالـــم يجزيكـــم بـــــه .

(٢٧٢) قولـه عـز وجـل (لَيْسَ عَلَيْـكَ هُـدَاهُـمْ وَلَكِـنَّ اللَّـهَ يَهْـدِي مَـن يَشَـاءُ) :

قال ابن عباس ، والكلبي : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضـــاء وكانت معه في تلك العمـرة أسمـاء (٣) بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنـــــه ، فجاءتها أمهـا قتيلة (٤) وجـدها أبو قحافـة (٥) يسألونها الصـلة والعطيـــة ، فقالت : لا أعطيكم شيئا حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم لســـتم

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٣/٩٤ ، والقرطبي ٣/٣٣٦ ، والبحر المحيط ٢/٣٢٦

(٢) حكاه الطبرى في تفسيره ٣/٩٤ ، وانظر : معاني القرآن للأخفش ١/٢٧٢

(٣) هي والدة عبد الله بن الزبير بن العوام التيمية ، بنت أبي بكر الصديق ، أسلمت قديما بمكـة ، وتزوجها الزبير بن العوام ، وهاجرت وهي حامل منه بولـــــــده عبد الله ، فوضعته بقباء ، وعاشت الى أن ولي ابنها الخلافة ثم الى أن قتـــل ، وماتت بعده بقليل ، وكانت تلقب ذات النطاقين ، لشقها خمارها نصفـــين ، شدت بأحدهما سفرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالآخر سقاءه لما أراد أن يهاجر الى المدينـة . ماتت سنة ٢٤

انظر : الاصابـــة ٤/٢٢٤ ــ ٢٢٥

(٤) هي قتيـلة بنت عبد العزى القرشيـة العامريـة ، من بني عامر بن لـــؤى ، والدة أسمـاء بنت أبي بكر الصديق وشقيقها عبد اللـه .

انظـر : الاصابـــة ٤/٣٧٧ ــ ٣٧٨

(٥) هو عثمان بن عامر بن عمر القرشـــي التيمي أبو قحافـة ، والـد أبي بكـــــر الصديق ، تأخـر إسلامـه إلى يوم الفتـح . مات سنة ١٤ هـ .

انظـر : الاصابـــة ٢/٤٥٣ ــ ٤٥٤

الآيـــة : ٢٧٢

على ديني ، فاستأذنته في ذلك ، فنزلت هذه الآية . فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق عليهما . (١)

وقال محمد بن الحنفية : كان يكبر على المسلمين التصدق على اليهود والنصارى فأمروا بذلك في غير فريضة . (٢)

ومعنى الآية : ليس عليك يا محمد تحميل الهدى لهم ، بأن تمنعهم من الصدقة لتحملهم على الايمان ، ولكن الله يثبت ويرشد ويوفق للخير من يشاء .

وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلا من أهل الذمة يسأل على أبواب المسلمين فقال : ما أنصفناك ، أخذنا منك الجزية ما دمت شابا ، ثم ضيعناك اليوم . فأمر أن يجرى عليه قوته من بيت المال . (٣)

قوله تعالى (وَمَا تُنْفِقُوا مِن خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ) أى ما تنفقوا من مال على بر أو فاجر فلأنفسكم ثوابه ، ونفعه عائد اليكم .

---

(١) حكاه الواحدى عن الكلبي .
وذكره القرطبي دون أن يعزوه الى أحد .
ولم أجده عن ابن عباس باللفظ المذكور ، لكن أشار ابن كثير الى نحوه عن ابن عباس .
انظر : أسباب النزول للواحدى ص ٨٣ ، وتفسير القرطبي ٣٣٧/٣
وتفسير ابن كثير ٣٣١/١

(٢) أخرجه الواحدى في أسباب النزول ص ٨٣
وابن أبي شيبة ـ فيما حكاه السيوطي في الدر المنثور ٨٧/٢
وانظر : أحكام القرآن للجصاص ١٧٩/٢
قلت : والمشهور في سبب نزول الآية ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين ، فسألوا ، فرخص لهم ، فنزلت هذه الآية (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ...) .
أخرجه الطبرى في تفسيره ٩٤/٣ والحاكم في المستدرك ٢٨٥/٢ وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وانظر : الدر المنثور ٨٦/٢

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٨٩/٢

الآيـــــة : ٢٧٢ ، ٢٧٣

وقـولـه (وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَـــاءَ وَجْـهِ اللَّـهِ) أي علم الله أنكم لا تريدون بنفقتكـم الا طلب مرضات اللـه ، وان كان المتصدق عليـه كافـرا .

وقـولـه (وَمَا تُنْفِقُوْا مِن خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) : أي ما تتصدقون [١] بـه من مال يوف اليكم ثوابـه في الآخرة . (وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) : أي لا تنقصون شيئا من ثواب أعمالكم و صدقاتكـــــم .

وظاهر الآيـة يقتضي جواز دفـع /الصدقات الى الكفار ، الا أن النبي صلى الله عليـــه (١١٧/أ) وسلم خصّ منها الزكوات ، فقال : " أُمرت أن آخـذ الصدقـة [٢] من أغنيائكـــــم وأردها على فقرائكـــم " . [٣]

(٢٧٣) قـولـه عز وجل (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) :

قيل معناه : ما أنفقتم من نفقـة للفقـراء .

وقيل معناه : عليكم بالنفقـة للفقراء الذين حبسوا في طاعـة الله ، أي أحصرهم فرض الجهاد فمنعهم من التصرف والسير لطلب المعاش .

وهؤلاء أصحاب الصفـــة حبسوا أنفسهم لطلب العلم وفضل الجمعة [٤] وخدمة رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ، كانوا نحوا من أربعمائة رجل ، لم يكن لهم مساكن ولا عشائـــــر ،

---

(١) في النسخ " ما تتصدقوا " . والمثبت هو الصواب .

(٢) في ط " الصدقات " .

(٣) لم أجده بهذا اللفظ .

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث معاذ بن جبل حين بعثه النبي صلى اللـــــه عليه وسلم الى اليمن ، وفيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : " ..... أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم ، تؤخذ من أغنيائهم وترد علـــى فقرائهم " . صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب وجوب الزكاة .

وصحيح مسلم : كتاب الايمان : باب الدعاء الى الشهادتين وشرائع الاسلام .

قال ابن قدامة : لا نعلم بين أهل العلم خلافا في أن زكاة الأموال لا تعطى لكافر . وقال ابن المنذر : أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم أن الذمي لا يعطى من زكاة الأموال شيئا . انظر : المغني ٦٥٣/٢ ، وتفسير القرطبي ٣٣٧/٣ ــ ٣٣٨

(٤) في ط " الجهاد " .

الآيـــــة : ٢٧٣

كانـوا معتكفين في المسجـد في صفتـه ، قالوا : نخرج في كل سريـة يبعثها رسول اللـه صلى الله عليه وسلم في سبيل الله ، فحثّ الله على الصدقـة عليهم ، فكان الرجـــل اذا كان بقي عنـده فضـل أتاهـم بـه . (١)

وقـولـه تعـالى (**لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ**) الضرب في اللغة : هوالسـير ، أى لا يستطيعون سيرا في الأرض للتجارة و طلب المعيشـة .

و نظيره قوله تعالى (**وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ**) (٢) ، وقوله تعالى (**وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُـونَ فِي الْأَرْضِ**) . (٣) وقال الشاعـر :

لحفـظ المـال أيسـر مـن فنـــاه ... وضرب في البـلاد بغـير زاد (٤)

وقال ابن زيـد : من كثرة ما جاهـدوا لا يستطيعون ضربا في الأرض ، فصارت الأرض كلهـا حربا عليهم ، لا يتوجهون فيها جهة الا ولهم فيها عـدو . (٥)

وكان السدى يقول : معنى (**أُحْصِرُوا**) أى منعهم الكفار بالخوف منهم ، فلا يستطيعـون تفرقا في الأرض ، لمنع الكفار اياهم عن ذلك . (٦)

وقيل : هـذا لا يصح ، لأنـه لوكان كذلك لقال " حصروا " بغير ألـف . (٧)

وقال سعيد بن جبير : هؤلاء قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، فصاروا زمنى ، وأحصرهم المرض والزمانـة عن الضرب في الأرض . (٨)

---

(١) انظر : تفسير البغوى ٢٥٩/١ ، والكشاف ٣١٨/١ ، وتفسير القرطبي ٣٤٠/٣ والدر المنثور ٨٩/٢

(٢) النسـاء ١٠١ وتمامها (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا) .

(٣) المزمـــل ٢٠

(٤) انظر البيت في : الدر المصون ٦١٩/٢ وهو غير منسوب .
وفيه " أيسر من بقاه " بدل " فناه " .

(٥) انظر : تفسير الطبرى ٩٦/٣ ـ ٩٧

(٦) انظر : المصدر السابق .

(٧) هـذا من كلام الطبرى . انظر : المصدر السابق .

(٨) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ـ كما في الدر المنثور ٨٩/٢ وانظر : زاد المسـير ٣٢٨/١

الآيـــــة : ٢٧٣

فاختار [١] الكسائي هذا القول ، لأنه يقال : أحصروا من المرض والزمانة عن الضـــرب في الأرض . ولو أراد الحبس قال : حصروا ، وانما الاحصار من الخوف أو المـــرض . والحصر : الحبس في غيرهمـــا . [٢]

قولـه تعـالى (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) :

قرأ الحسن و أبو جعفر و شيبة و ابن عامر و الأعمش و عاصم و حمزة " يحسَبهم " بفتـــح السين في جميع القرآن . والباقون بالكسر . [٣]

ومعنى الآية : يظنهم الجاهل بأمرهم و شأنهم أغنياء من التعفف عن السؤال ، لتجملهم باللباس وكفهم عن المسألة .

والتعفف يذكر و يراد به ترك المسألة .

كما قال صلى الله عليه و سلم : " من استغنى أغناه الله ، ومن استعـــف أعفـــه اللـــه " . [٤]

قولـه تعـالى (تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ) أي تعرفهم أنت يا محمـــد بعلامة فقرهم / ورثاثة [٥] (١١٧/ب) حالهم . وقيل : بتخشعهم و تواضعهم . وقيل : بصفرة ألوانهم من الجوع و قيام الليـــل و صيام النهار . و قيل : بفرحهم واستقامة أحوالهم [٦] عند توارد البلاء عليهم . [٧]

---

(١) في ط " واختار " . وهو الأولى .

(٢) انظر : زاد المسير ٣٢٨/١

و قال في اللسان : حصره يحصره حصرا ، فهو محصور و حصير ، وأحصـــره ، كلاهما : حبسه عن السفر .

وأحصره المرض : منعه من السفر أو من حاجة يريد ها .

انظر : اللســـان : مادة (حصـــر) .

(٣) انظر : النشر ٢٣٦/٢ ، والبد ورالزاهرة ص ٥٦ ، والاتحاف ٤٥٧/١

(٤) أخرجه الامام أحمد في مسنده ٩/٣

والنسائي في كتاب الزكاة : باب من الملحف .

من حديث أبي سعيد الخدري .

(٥) في أ " ورياثة " . والتصويب من ط ، م .

(٦) في ط " حالهم " .

(٧) انظر تلك الأقوال في : تفسير الطبري ٩٨/٣ ، و تفســـير البغـــوى ٢٥٩/١ و زاد المسير ٣٢٨/١ ، و تفسير القرطبي ٣٤١/٣ ـ ٣٤٢

الآيـــة : ٢٧٣

قولـه تعالى (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا) :

قال عطاء : اذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء ، وان كان عنده عشاء لا يسأل غداء . (١)

وقال أهل المعاني: لا يسألون الناس الحافا ولا غير الحاف (٢) ، أي ليس لهم سؤال فيكون الحافا . والالحاف : الالحاح . (٣)

و دليل هذا القول قوله تعالى (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) أي من القناعة . ولو كانوا يسألون لكان يعرفهم بالسؤال لا بالسيماء .

وانما سمي الملحّ في السؤال ملحفا ، لأنه يلصق بالمسؤول ، ويشتمل على وجود (٤) الطلب في المسألة كاشتمال اللحاف . (٥)

و عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، ويكره البؤس والتباؤس ، ويحب الحليم المتعفف ، ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف " . (٦)

وقال صلى الله عليه و سلم : " من سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة كدوحا أو خموشا أو خدوشا في وجهه " . وقيل : وما غناه ؟ قال :

---

(١) انظر : تفسير البغوى ٢٥٩/١

(٢) في أ " الحافا " بالنصب . وهو خطأ ، والتصويب من ط ، م .

(٣) في أ، م " الالحاج " . والتصويب من ط . (٤) في ط " وجوه " .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٥٧/١ ، و تفسير الطبرى ٩٩/٣

(٦) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٩٢/٢ من حديث أبي هريرة .

وأخرج أوله الترمذي في كتاب الأدب : باب ما جاء أن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده . من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

وقال : حديث حسن .

والقدر الذي أخرجه هو بلفظ ما جعله عنوانا للباب .

الآيـــــة : ٢٧٣ ، ٢٧٤

" خمســون د رهمــا " .(١)

قـولـه تـعـالى (وَمَا تُنْفِقُواْ مِن خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) :

أي وما تتصد قوا بـه من مال فان الله بـ عليم يجزيكـــم بـــه .

(٢٧٤) قـولـه عـز وجـل (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) :

قال ابن عباس و مقاتل : نزلت هـذ ه الآية في علي رضي الله عنه ، كانت له أربعـــــة د راهـم لم يملك غيرهـا ، فتصد ق بد رهم ليـلا و بد رهم نهارا و بد رهم سـرا و بد رهـــم علانيـــة . فنزلت هـذ ه الآيـــة .(٢)

و عن ابن عباس قال : لما نزل قولـه تعالى (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّـــهِ) بعث عبد الرحمن بن عوف بد نانير كثيرة الى أصحاب الصفة حتى أغناهم .

و بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ في جوف الليل ـ بو سق (٣) من التمـــر .

والوسق ستون صاعاً . فكان أحب الصد قتـين الى اللـه تعالى صد قـة علي كرّم الله وجهه ،

---

(١) أخرجه أبو د اود في كتاب الزكاة : باب من يعطى من الصد قـة و حـد الـغنى .
والترمذ ى في كتاب الزكاة : باب ما جاء من تحل له الزكاة .
والنسائي في كتاب الزكاة : باب حـد الـغنى .
وابن ماجه في كتاب الزكاة : باب من سأل عن ظهر غنى .
وأحمد في المسند ٤٤١/١ كلهم من حد يث ابن مسعود .
قال الترمذ ى : حد يث ابن مسعود حد يث حسن .
غريب الحد يث : الكدوح : هي الخد وش ، وكل أثر من خد ش أو عض .
والخموش و الخد وش بمعناه : يقال : خد ش الجلد : قشره بعود أو نحوه .

(٢) أخرجه الواحد ى في أسباب النزول ص ٨٦ عن ابن عباس و عن مجاهد . و حكاه عن الكلبي . ورواه ابن مرد ويـه عن ابن عباس ـ فيما حكاه ابن كثير في تفسيره ٣٣٣/١ و ذكره السيوطي في الد ر المنثور ١٠٠/٢ عن ابن عباس ، و عزا تخريجـــــــه لعبد الرزّاق و عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذ ر وابن أبي حاتم والطبرانـــــي وابن عساكـــــر .
وانظر : زاد المســير ٣٣٠/١

(٣) في ط " بسويـق " .

الآيـــة : ٢٧٤

ونزل فيها قوله تعالى (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) . (١)

أراد بالليل سرا صدقة علي رضي الله عنه .

و بالنهار علانية صدقة عبد الرحمن رضي الله عنه .

وروى أيضا عن ابن عباس في هذه الآية (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) يعني في علف الخيل المرتبطة في سبيل الله . (٢)

وكان أبو هريرة اذا مرّ بفرس سمين تلى هذه الآية ، فاذا مرّ بفرس أعجف سكت . (٣)

و عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : " من ارتبط فرسا في سبيل الله // فأنفق (١١٨/أ) عليه احتسابا ، كان شبعه و جوعه و ريّه و ظمأه و بوله وروثه في ميزانه يوم القيامة " . (٤)

---

(١) انظر : تفسير البغوى ٢٦٠/١ ـ ٢٦١ ، وزاد المسير ٣٣٠/١

(٢) أخرجه الواحدى في أسباب النزول ص ٨٤ ـ ٨٥

وانظر : زاد المسير ٣٢٩/١ ، و تفسير القرطبي ٣٤٦/٣

وهو مروى أيضا عن أبي ذر وأبي الدرداء وأبي أمامة و مكحول والأوزاعي .

وأخرج الواحدى في أسباب النزول ص ٨٤ عن يزيد بن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : نزلت هذه الآية .... في أصحاب الخيل .

و عزا ابن كثير هذه الرواية لابن أبي حاتم .

وزاد السيوطي في عزوها ابن سعد في الطبقات ، وابن أبي عاصم في الجهاد ، وابن المنذر وابن عدى والطبراني وأبا الشيخ في العظمة .

انظر : تفسير ابن كثير ٣٣٣/١ ، والدر المنثور ١٠٠/٢

(٣) حكاه الزمخشرى في الكشاف ٣١٩/١ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٣٣٠/٢

(٤) أخرجه الامام أحمد في مسنده ٤٥٨/٦ من حديث أسماء بنت يزيد .

وأخرج البخارى نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

انظر : صحيح البخارى : كتاب الجهاد : باب من احتبس فرسا .

الآيـــــة : ٢٧٤، ٢٧٥

وقال صلى الله عليه وسلم : " المنفق في سبيل الله على فرسه كالباسط كفيـــــــــه بالصدقـــة ".(١)

قولـه تعـالى (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال الأخفش و قطرب : جعل الخبر بالفـاء ، لأنـه في معنى " مـن " وجواب " من " بالفاء ، كأنه قال : من أنفق كـذا فله أجـــــره عنـد ربـــه .(٢)

وقولـه تعـالى (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) قـد تقدم تفسيره .

(٢٧٥) قـولـه عـز وجـل (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَـوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّـــذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَـٰنُ مِنَ الْمَسِّ) :

معناه : الذين يأكلون الربـا في الدنيـا لا يقومون في الآخرة من قبورهم لعظم بطونهـــم الا كما يقوم في الدنيا الذى يضربـه و يصيبه الشيطان من المسّ ، أى من الجنون .

روى أنهم يبعثون يوم القيامة وقد انتفخت بطونهم ، كلما قاموا سقطوا ، والناس يمشـون عليهم و هم كالمجانـين .(٣)

قال الحسن : هـذه علامـة أكلة الربا ، يعرفون بها يوم القيامـة .(٤)

---

(١) أخرجه الامام أحمـد في مسنده ١٨٠/٤
والحاكم في المستدرك ٩١/٢ ـ ٩٢
من حديث ابن الحنظلية الأنصارى .

(٢) انظر : معاني القرآن للأخفش ٣٨٨/١

(٣) انظر : الكشاف ٣٢٠/١ ، وزاد المسير ٣٣٠/١ ، وتفسير القرطبي ٣٥٤/٣
وأخرج البغوى نحو هذا المعنى في حديث مرفوع من رواية أبي سعيد الخدرى .
انظر : تفسير البغـــوى ٢٦١/١ ـ ٢٦٢
وأخرج ابن أبي حاتم نحوه من حديث أبي هريرة ـ كما في تفسير ابن كثير ٣٣٤/١
وقال ابن كثير في معنى الآيـة : أى لا يقومون من قبورهم يوم القيامـة الا كما يقـــوم المصـروع حال صرعـه و تخبط الشيطان له ، وذلك أنه يقوم قياما منكرا ١٠ هـ .
تفسـير ابن كثـــــير ٣٣٤/١

(٤) حكاه ابن الجوزى في زاد المسير ٣٣٠/١ عن سعيد بن جبير .
ولم أجـده عن الحســن .

الآيـــــة : ٢٧٥

قولـه تعـالى (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا)

ومعناه : كان الرجل اذا حل ماله طلبه ، فيقول المطلوب : زدني في الأجل وأزيدك في مالك . فيفعلان ذلك .

فاذا قيل لهم : ان هذا ربا . قالوا : هما سواء ، والزيادة في آخر البيع بعد الأجل كالزيادة في أول البيع اذا بعت بالنسيئة سواء . وليس الأمر كما توهموه (١) ، لأن الزيادة في الثمن في آخر البيع لأجل الابعاد في الأجل بعد ما صار الثمن دينا في الذمة يكون عوضا عن الأجل والاعتياض عن الأجل باطل .

وأما الزيادة في الثمن في أصل العقد تكون مقابلة للبيع (٢)

ويجوز بيع المبيع بثمن قليل وثمن كثير .

قولـه تعـالى (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) أي أحل الله الزيادة في أول البيع وحرم الزيادة (٣) في آخره . (٤)

قولـه تعـالى (فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ)

أي فمن جاءه زجر من ربه ونهي عن الربا فانتهى فله ما مضى من أكله الربا قبل النهي ، أي لا اثم عليه في ذلك ، وأمره فيما بقي من عمره الى الله ان شاء عصمه وان شاء لم يعصمه .

---

(١) في أ " يوهموه " . والتصويب من ط ، م .

(٢) في ط " للمبيع " .

(٣) في ط " الربا " .

(٤) قال الطبري : يعني جل ثناؤه : وأحل الله الأرباح في التجارة والشراء والبيع ، وحرّم الربا : يعني الزيادة التي يزاد رب المال بسبب زيادته غريمه في الأجل ، وتأخيره دينه عليه ..

وليست الزيادتان اللتان إحداهما من وجه البيع ، والأخرى من وجه تأخير المال والزيادة في الأجل سواء . ا هـ .

تفسير الطبري ٣/١٠٣ ـ ١٠٤

الآيـــــة : ٢٧٥

وقيل معناه : ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي له ما أخذ من الربا قبل التحريم ، وأمره الى اللـــه في المؤتنف [١] في العفو والتجاوز . [٢]

وانما لم يقل : فمن جاءته موعظة من ربه . لأن تأنيث الموعظة ليس بحقيقي ، فيجـــوز تذكيره و يجوز أن ينصرف [٣] الى المعنى ، كأنـه قال : فمن جاءه وعظ ونهي من ربـــه عـن الربـــا .

قـولـه تـعـالى ﴿وَمَن عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

أي من عاد الى أكل الربـا فأولئك / أصحاب النار هم فيها دائمون إلا ما شاء الله . (١١٨/ ب)

وقيل معناه : من عاد بعد النهي الى قوله ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَـوٰا﴾ فأولئك أهل النار هم فيها مقيمون ، لأن مستحل الربا كافر ، لانكاره آيـة من كتاب الله تعالى .

و عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : " سيأتي عـلى الناس زمان لا يبقى أحـــد إلا أكل الربـا ، فان لم يأكله أصابه من غباره " . [٤]

---

(١) في م " في المستأنـف " .

(٢) انظر : تفسير الطـــبرى ١٠٤/٣ ، و تفسـير ابن كثـير ١٣٤/١ ـ ١٣٥

(٣) في ط " أن يصـــرف " .

(٤) أخرجه أحمد في المسنـــد ٤٩٤/٢

وأبو د اود في كتاب البيوع : باب : في اجتناب الشبهات .

والنسائي في البيوع : باب اجتناب الشبهات في الكسب .

وابن ماجه في التجارات : باب التغليظ في الربـا .

و صحّح الشيخ أحمـــد شاكـــر إسناده كما في تحقيقـــه لمسـند أحمـــــــد ٩٥/٢٠

لكن الشيـــخ الألبـاني ضعّفـه فـي كتابـه ضعيف سـنن ابن ماجـه ص ١٧٥ فالله أعـــلم .

الآيـــــة : ٢٧٥ ، ٢٧٦

وعن عبد الله بن مسعود قال : آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده اذا عملوا بـــه ملعونون (١) على لسان محمـــد صلى الله عليه الى يوم القيامة . (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : " الربا بضع وسبعون بابا ، أدناها كاتيان الرجل أمه " . (٣)

والخبط في اللغة : هو الضـــرب على غير استواء . يقال : خبط البعير : اذا ضـــرب بيـــده . والمسّ : الجنون ، يقال : رجل ممسوس : أى مجنون .

(٢٧٦) قولـه عز وجل (يَمْحَقُ اللَّـهُ الرِّبَـوٰا وَيُرْبِـي الصَّدَقَـٰتِ)

معناه : يهلك الله الربا ويذهب ببركته . (٤) والمحق : نقصان الشيء حالا بعد حـــــال .

ويقال : ان الربا ينقص حالا بعد حال الى أن يتلفكله . (٥)

---

(١) في أ " ملعون " . والتصويب من ط .

(٢) أخرجه النسائي في كتاب الزينة : باب الموتشمات . حديث رقم ٥١٠٢ وذكره الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ٥/٣ وقال : رواه أحمد وأبو يعلى . وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٧/٢ من حديث عبد الله بن مسعود . ولفظـــه : " الربا ثلاثة وسبعون باباً ، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمـــه ... " .
وقال الحاكم : هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .
وقال المنذري : رواه البيهقي من طريق الحاكم ، ثم قال ــ يعني البيهقي ــ : هذا إسناد صحيح ، والمتن منكر بهذا الإسناد ، ولا أعلمه إلا وهماً ، وكأنه دخـــل لبعض رواته إسناد في إسناد ا هـ .
انظر : الترغيب والترهيب ٦/٣

(٤) في ط " بركتـــه " .

(٥) قال ابن كثير : يخبر الله تعالى أنه يمحق الربا ، أى يذهبه بالكلية من يد صاحبه ، أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به ، بل يعدمه به في الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة . ا هـ . تفسير ابن كثير ٣٣٦/١

قلـــت : ومن هذا المعنى ما رواه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الربا وإن كثر فإن عاقبتـه تصير إلى قـــل " .
أخرجه الامام أحمد في مسنده ٣٩٥/١
والحاكم في المستدرك ٣٧/٢ وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

الآيـــــــة : ٢٧٦ ، ٢٧٧

قولـــه (**وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**) أى يقبلها ويعطي خلفها في الدنيا ، ويضاعف ثوابها فـي الآخـرة ، واحدة الى عشر ، الى سبعين ، الى سبعمائة ، الى ما شاء الله من الأضعاف . كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ان الله يقبل الصدقات ، ولا يقبـل منها الا الطيبـة ، ويربيها لصاحبها كما يربي أحدكم مهره وفصيله ، حتى ان اللقمـــة تصير مثـل أحـــد ". (١)

قـولـه تعـالى (**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**) أى يبغض كل جاحد بتحريم الربا ، فاجر عاص بأكله واستحلالـه . وانما قال (**كَفَّارٍ**) ولم يقل : كافر ، ليبين أن مستحل الربـا مع كونـه كافـرا كفـار للنعمـة .

والأثيم : المتمادى في الاثـم ، والآثم : الفاعـل للاثم .

(٢٧٧) قـولـه عـز وجـل (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ) الآيـة .

معناه : ان الذين آمنوا بالله وكتبه ورسله وتحريم الربا ، وعملوا الصالحات فيمـا بينهم وبين ربهم ، وأتموا الصلوات الخمس وأعطوا الزكاة المفروضة من أموالهم ، فلهـم جزاؤهم وثوابهم في الآخرة (**عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**) اذا ذبـح المـوت (٢) ، (**وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**) اذا أطبقت النار على أهلهـا .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٧١/٢ ، والبغوى في شرح السنة ١٣٠/٦ من حديـث أبي هريـرة .

وأخرج البخارى نحوه في كتاب الزكاة : باب لا يقبل الله صدقة من غلول ، ولا يقبـل إلا من كسب طيب . من حديث أبي هريرة .

ولفظه : " من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها ، كما يربي أحدكم فلوه ، حتى تكـون مثل الجبـل " .

(٢) روى البخارى ومسلم من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النـار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم " .
انظر : صحيح البخارى : كتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار .
وصحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها : باب : النار يدخلها الجبارون ، والجنـة يدخلها الضعفاء .

الآيـــة : ٢٧٨

(٢٧٨) قـولـه عـز وجـل (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)

قال ابن عباس : نزلت هـذ ه الآيـة في نفر من ثقيف : مسعود ، وحبيـب ، وربيعـة ، وعبـد يا ليـل بني عمـرو بن عمـير الثقـفي ، كانت لهـم ديـون على بني المغـيرة ، وكان بنـو المغيرة يربوهـم ، فلمـا ظهـر النبي صلى الله عليه و سلم على أهل / مكـة (١١٩/أ) وضع الربـا كلـه ، وكـان أهـل الطائف قـد صالحوا على أن لهم رباهم من الناس يأخذ ونـه ، و ما كان عليهم من ربا الناس فهو موضوع عنهم لا يؤخـذ منهم .

فقال (١) صلى الله عليه و سلم : " أكتـب في آخر كتابهم : ان لكم ما للمسلمين و عليكـم ما عليهم " . فلما حلّ الأجل طلبت ثقيف من بني المغيرة رباهم ، فقالت بنو المغيرة : ما بالنا نكون أشقى الناس ، وضع الربا عن الناس كلهم ، ويؤخذ منا خاصة ؟ فقالت لهـم ثقيـف : انا صالحنا على ذ لك .

فاختصموا الى أمير مكـة و هو عتاب بن أسيـد (٢) ، فلم يد ر ماذ ا يقضي بينهم . فكتـب الى رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمد ينة (٣) ، فأنزل الله هـذ ه الآية خطابا لثقيف . (٤)

---

(١) في ط " فقد قال " .

(٢) في أ " بن أسد " . والتصويب من ط ، م .
وهو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموى ، أبو عبد الرحمن أو أبو محمـد المكي ، له صحبة ، وكان أمير مكـة في عهد النبي صلى الله عليه و سلم ، ومات يـوم مات أبو بكر الصد يق ـ فيما ذكر الواقد ى ـ لكن ذكر الطبرى أنه كان عاملا عـلى مكـة لعمـر ، سنة احد ى و عشرين .
التقريـب ص ٣٨٠

(٣) في ط " و هو بالمد ينة " .

(٤) أخرجه الواحد ى في أسباب النزول ص ٨٧ عن ابن عباس من طريق الكلبي .
وأبو نعيم في المعرفة عن ابن عباس ـ كما في الد ر المنثور ١٠٨/٢ وقال السيوطي : سنـد ه واهٍ .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٩/٤ ـ ١٢٠ وقال : رواه أبو يعلى ، وفيه محمـد ابن السائب الكلبي وهو كـذ اب .
وأخرج الطبرى نحوه عن ابن جريج و عكرمة . انظر : تفسير الطبرى ١٠٧/٣

الآيـــــة : ٢٧٨ ، ٢٧٩

و معناها : يا أيها الذ ين آمنـوا اخشوا الله واتركوا ما بقي من الربا ، فانه لم يبق غير رباكم (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) أي مصد قين بتحريم الربـا فهـذ ا حكمـــه ٠

(٢٧٩) قـولـه عـز وجـل (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) :

أي ان لم تقبلوا أمـر اللـــه ولم تقروا بتحريم الربا ولم تتركوه فاعلموا أنكم كفـــــار يحاربكم الله و رسـوله ، أي يعذ بكم الله في الآخرة بالنار و يعذ بكم رسولـه فـــي الد نيـــا بالسيف ٠ والاذ ن : الاعـــــلام ٠

و من قرأ " فآذ نـوا " [١] أي فاعلموا أصحابكم المتمسكين بمثل ما أنتم عليه أن من عامـــل بالربا مستحلا لـه حاربهم اللـه و رســـولـه ٠

و قيل معنى الآيـة : فان لم تتركوا ما بقي من الربا ـ بعد نزول الأمر بتركـه ـ فأذ نـــوا بحرب من الله ورســولـه ٠ و مثـل هـذ ا اللفظ[٢] لا يوجـب الا كفـار ، لأن لفظ محاربـة الله و رسوله تطلق على ما د ون الكفـــر ، كمـا في آيـة [٣] قطاع الطريق ٠ و هـذ ا الحكـم في آيـة الربـا انمـا هو مستقيم اذ ا اجتمع أهل بـلـد ة لـهم منعة وقوة على المعاملة بالربـــا وكانوا محرّمين له ، فان الامام يستتيبهم فان تابوا والا قاتلهم ٠

وأما اذ ا عامل أحـد [٤] أو جماعـة قليل عد د هم معاملة الربا فان الامام يستتيبهم فان تابـوا

= و حكاه البغوى في تفسيره ١/٢٦٤ عن مقاتل ٠

كما حكاه ابن كثير أيضا عن مقاتل بن حيان وزيـد بن أسلم و ابن جريج والسد ى ٠

تفسير ابن كثـــير ١/٣٣٨

(١) بفتح الهمزة وألف بعد ها وكسر الذ ال ٠ وهي قراءة حمزة وأبي بكـــــر ٠

و قرأ الباقون باسكان الهمزة و فتح الذ ال ٠

انظر : النشر ٢/٢٣٦ ، والبد ور الزاهرة ص ٥٦

(٢) في ط " الأمـر " ٠

(٣) في ط " كما في اللفظ آيـة " ٠

(٤) في ط ، م " واحـــد " ٠

الآيـــــة : ٢٧٩

وإلا زجرهـم [١] و يحبسهم إلى أن يظهروا توبتهم . [٢]

و قـد روى عن ابن عباس ، و قتادة ، و الربيع ، فيمن أربى : أن الإمام يستتيبه ، فـإن تاب وإلا قتلـه [٣] ، فهـذا محمول على أن يفعله مستحلا له ، لأنـه لا خلاف بـــين العلماء أنـه ليس بكافر إذا اعتقـد تحريمـه .

قـولـه تعـالى (**وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ**) : أي فان رجعتم عن استحلال الربـا وأقررتـم بتحريمـــه .

و يقال : ان تبتم عن معاملة الربا فلكم رؤوس أموالكم التي أسلفتموها بني المغـــيرة ، لا تَظلمون بطلب الزيادة على رأس المـال ، ولا تُظلمـون بحبس رأس المال عنكم . [٤]

/ قال ابن عباس : فلمـا نزلت هاتان الآيتان كتب بهما رسول الله صلى الله عليه و ســلم (١١٩ / ب الى عتاب [٥] ، فقرأهمـا على ثقيف ، فقالوا : بلى نتوب الى الله ، فانه لا يـد ان لنـا بحرب الله و رسوله . ثم طلبوا رؤوس أموالهم من بني المغيرة . فقالت بنو المغـيرة :

---

(١) في ط كلمة " ويزجرهم " بعد قوله " والا زجرهم " .

(٢) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١٩٢/٢ ـ ١٩٤ ، و تفسير القرطبي ٣٦٣/٣ ـ ٣٦٤ و تفسير ابن كثير ٣٣٨/١

(٣) أخرجه الطـبرى في تفسيره ١٠٨/٣
وانظر : تفسير ابن كثير ٣٣٨/١

(٤) قال ابن جرير : يعني جل ثناؤه بذلك : ان تبتم فتركتم أكل الربا وأنبتم الى اللـه عزّ وجلّ ، فلكم رؤوس أموالكم من الديون التي لكم على الناس ، دون الزيادة التي أحدثتموها على ذلك ربا منكم .... (لا تَظلمون) بأخذ رؤوس أموالكم التي كانـت لكم قبل الارباء على غرمائكم ... (ولا تُظلمون) أي : ولا الغريم الذى يعطيـــكم ذلك دون الربـــا الذى كنـتم ألزمتمـوه من أجل الزيـادة في الأجـــل يبخسكم حقـا لكم عليـه فيمنعكمـــوه .

انظر : تفسير الطـبرى ١٠٨/٣ ـ ١٠٩

(٥) في ط زيادة " ابن أسيـد " .

الآيـــــة : ٢٧٩ ، ٢٨٠

نحـن اليوم أهـل عســر فأخرونـا الى أن تدرك الثمار . فأبوا أن يؤخروهم ، فنزل [١] قولـــه عـز وجـــــل :

(٢٨٠) (وَإِن كَانَ ذُو عُسْـرَةٍ فَنَظِـرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَـــرَةٍ)

أى إن كان المطلوب ذا ضيق و شدة فتأخير الى سعة و يسار .

وروى عن ابن عباس ، و شريح ، و ابراهيم أن الانظار انما يجب في الدين ، يعـــــني دين الربـا خاصـة . [٢] وكان شريح يحبس المعسر في غيره من الديون . [٣]

و عن أبي هريرة ، والحسن ، والضحاك : أن ذلك واجب في كل دين . [٤]

و هـذا هـو الأصح ، لأن نزول الآيـة في رأس مال الربا لا يمنع اعتبار سائر الديون بهـــا بالاستدلال و القياس .

و ذهب بعض النحويين الى أن الرفع في قوله تعالى (ذُو عُسْرَةٍ) دليل على أنه ابتداء ، على معنى : وان وقع ذو عسرة ، أو وجد ذو عسرة . ولو كان هذا مختصا بالربا لقـــال : وان كان ذا عسرة ، بالنصب .

---

(١) لم أجده عن ابن عباس . وقد حكاه الواحدى في أسباب النزول ص ٨٨ عن الكلبي .
وزاد ابن الجوزى حكايته عن مقاتل .
و ذكره البغوى و القرطبي ولم يسموا قائله .
انظر : زاد المسير ١/٣٣٤ ، و تفسير البغوى ١/٢٦٥ ، و تفسير القرطبي ٣/٣٧١

(٢) أخرجه الطبرى في تفسيره ٣/١١١

(٣) أخرجه الطبرى ، كما في المصدر السابق .
وزاد السيوطي في عزوه الى عبد الرزّاق و سعيد بن منصور و عبد بن حميد و النحاس في ناسخـــــــه . انظر : الدر المنثور ٢/١١٢

(٤) أخرجه الطبرى في تفسيره ٣/١١٢ عن الضحاك .
و حكاه القرطبي عن أبي هريرة ، و الحسن . وقال : و هو قول عامة الفقهاء .
انظر : تفسير القرطبي ٣/٣٧٢ ، وانظر : أحكام القرآن للجصاص ٢/١٩٤
وأحكام القرآن لابن العربـــي ١/٣٢٥ ، و أحكام القرآن للكيا الهراسي ١/٢٣٦

الآيـــــة : ٢٨٠

و يحتمل أن يكون تقدير الرفع : وان كان ذو[١] عسرة غريما لكم .[٢]

و من قرأ " ميسُرة " بضم السين[٣] فهي لغة .

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله " .[٤]

و قال صلى الله عليه و سلم : " من أحب أن تستجاب دعوته و تكشف كربته فليسر[٥] على المعسر " .[٦]

و عن بريدة[٧] قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " من أنظر معسرا كان له بكل يوم صدقة " .[٨]

---

(١) في ط " ذا عسرة " .

(٢) انظر : التبيان ٢٢٥/١ ، ومشكل اعراب القرآن ١٤٣/١ ، والدر المصون ٦٤٣/٢-٦٤٥

(٣) وهي قراءة نافع . انظر : النشر ٢٣٦/٢

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب البيوع : باب انظار المعسر والرفق به . وقال : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .
كما أخرجه مسلم في حديث طويل من حديث جابر :
انظر : صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق : باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر .

(٥) في أ " فليسر " . والتصويب من ط .

(٦) أخرجه أحمد في المسند ٢٣/٢ من حديث ابن عمر .

(٧) في أ " أبي هريرة " ، وفي ط ، م " أبي بريدة " . والتصويب من المصادر .

(٨) أخرجه أحمد في المسند ٣٥١/٥ ، ٣٦٠
وابن ماجه في كتاب الصدقات : باب انظار المعسر .
والحاكم في المستدرك ٢٩/٢
من حديث بريدة الأسلمي .
وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه .
ووافقه الذهبي .

الآيـــــة : ٢٨٠

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من ادّان دينا وهو ينوى أن لا يؤد يه فهو سارق " .(١)

وعن أبي قتادة (٢) : أن رجلا أتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقال : " هل عليه دين ؟ " قالوا : نعم . فتأخر وقال : " صلوا على صاحبكم " . قال أبو قتادة : أنا أكفل به (٣) . فقال صلى الله عليه وسلم : " بالوفاء " ؟ قال : بالوفاء . فصلى عليه .

وكان عليه ثمانية عشر درهما أو تسعة عشر درهما " .(٤)

---

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٦٠٢/٢ وقال : رواه البزار وغيره .
ولفظه : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من تزوج امرأة على صداق ، وهو ينوى أن لا يؤد يه اليها ، فهو زان . ومن ادان دينًا ، وهو ينوى أن لا يؤد يه الى صاحبه ـ أحسبه ـ قال : فهو سارق " .
وأخرج ابن ماجه من حديث صهيب الخير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أيما رجل يد ين دينًا وهو مجمع أن لا يوفيه إياه لقي الله سارقًا " .
انظر : سنن ابن ماجه : كتاب الصدقات : باب من ادان دينا لم ينو قضاءه .

(٢) هو الحارث ، ويقال عمرو ، أو النعمان ، بن ربعي بن بُلْدُمة ـ بضم الباء والدال بينهما لام ساكنة ـ السَلَمي ـ بفتح السين واللام ، المدني ، أبو قتادة الأنصاري ، اشهد أحداً وما بعدها ، ومات سنة أربع وخمسين .
انظر : التقريب ص ٦٦٦

(٣) في ط " كفيل به " . وفي المصادر " أتكفل به " .

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب الصدقات : باب الكفالة .
وأخرج نحوه البخاري في كتاب الكفالة : باب من تكفل عن ميت دينا فليس له أن يرجع . من حديث سلمة بن الأكوع .
ولفظه : " أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بجنازة ليصلي عليها ، فقال : هل عليه من دين ؟ قالوا : لا ، فصلى عليه . ثم أتي بجنازة أخرى ، فقال : هل عليه دين ؟ قالوا : نعم . قال : فصلوا على صاحبكم . قال أبو قتادة : علي دينه يا رسول الله . فصلى عليه " .

الآيـــة : ٢٨٠ ، ٢٨١

وعن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من خطيئة أعظم عند الله عز وجل ـ بعد الكبائر ـ من أن يموت الرجل وعليه أموال الناس ، دينا في عنقه لا يؤخذ لها قضاء " . (١)

قوله عز وجل (وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) : أى وأن تصدقوا (٢) برأس (٣) المال فهو أفضل ان كنتم تعلمون ثواب من أنظر معسرا أو وضع عنه . (٤)

(٢٨١) قوله / تعالى (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) الآية . (١٢٠/أ)

هذا تحذير من الله عز وجل أن يوافي العباد ذلك اليوم على غرة وغفلة وتقصير في أوامر الله ومخالفته فيما أحل وحرّم ، يقول : اخشوا عذاب يوم ترجعون فيه الى جزاء الله . (٥)

قوله تعالى (ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) : أى توفى كل نفس جزاء ما عملت من خير أو شر .

(وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) أى لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد في سيئاتهم .

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب البيوع : باب في التشديد في الدين .
وأحمد في المسند ٣٩٢/٤

(٢) في ط ، م " تتصدقوا " .

(٣) في م " من رأس " .

(٤) انظر : تفسير الطبرى ١١٣/٣ ، وتفسير ابن كثير ٣٣٩/١

(٥) قال الطبرى : يعني بذلك جل ثناؤه : واحذروا أيها الناس يوما ترجعون فيه الى الله فتلقونه فيه ، أن تردوا عليه بسيئات تهلككم أو بمخزيات تخزيكم أو بفضيحات تفضحكم فتهتك أستاركم ، أو بموبقات توبقكم فتوجب لكم من عقاب الله ما لا قبل لكم به ...

انظر : تفسير الطبرى ١١٥/٣

الآيـــــة : ٢٨١

قرأ أبو عمرو و يعقوب " تَرجعون "[١] بفتح التاء[٢] ، و اعتبره بقراءة أبي : " واتقـوا يومـا تصيرون فيه الى الله " .[٣]

و قرأ الباقون " تُرجعون " بضم التاء ، اعتبارا بقراءة عبد الله : " واتقوا يوما ترد ون فيـه الى اللـــه " .[٤]

قال ابن عباس : هـذه آخر آيـــة نزلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم [من القرآن][٥] و ذلك أنه لما حج البيت نزل عليه جبريل عليه السلام ، وهو واقف بعرفة بقوله تعالـــى (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**) الآيـــة[٦] ثم نزل بعد ذلك هـذه الآيـة (**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**) . الآيـة .

قال[٧] : يا رسول الله ضعها على رأس ثمانين و مائتي آيـة من سورة البقرة ، فَقُبِـــــضَ رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد هذه الآيـة بسبعة أيام .[٨]

---

(١) في ط " ترجعون فيه الى الله " .

(٢) انظر : النشر ٢٣٦/٢ ، و البدور الزاهرة ص ٥٦

(٣) انظر : تفسير القرطبي ٣٧٦/٣ ، والبحر المحيط ٣٤١/٢

(٤) انظر : المصدرين السابقين .

(٥) ما بين المعقوفتين من ط .

(٦) المائـــدة ٣ .

(٧) في أ ، م " قالوا " . والتصويب من ط .

(٨) لم أجد ه بهذا السياق ، لكن أخرج الطبرى من طريق عكرمة عن ابن عباس قـــال : آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه و سلم (**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**) . كما أخرجه الطبرى أيضا عنه من طريق الضحاك وابن جريج .

وقال ابن جريج : يقولون : ان النبي صلى الله عليه و سلم مكث بعد ها تسع ليال .

انظر : تفسير الطبرى ١١٤/٣ ــ ١١٥

و قال ابن كثير : روى الثورى عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : آخـــر آيـة نزلت (**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**) . فكان بين نزولها و مـــوت النبي صلى الله عليه و سلم واحد و ثلاثـون يوما .

انظـر : تفسـير ابن كثـــير ٣٤١/١

و حكى ابن الجوزى والقرطبي عن مقاتل : أن النبي صلى الله عليه و سلم توفي بعـــد

الآيـــــة : ٢٨١

قال المفسرون : لما نزل على رسول الله صلى الله عليه و سلم (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (١) قال : " ليتني أعلم متى ذلك " . (٢) فأنزل الله (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) .

قال : أما أن نفسي نعيت اليّ ، ثم بكى بكاءً شديداً .

فقيل له : يا رسول الله أتبكي من الموت ، وقد غفر لك (٣) ما تقدم من ذنبك و ما تأخر .

فقال : " و أين خوف المطلع وأين ضيق القبر و ظلمة اللحد وأين القيامة والأهوال " .

فعاش رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد نزول هذه الآية عاما ، ثم نزل قوله (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) (٤) الى آخر السورة . فعاش رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد هاستة أشهر ، ثم لما خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم الى حجة الوداع نزل عليه في الطريق (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ) (٥) الى آخرها . ثم نزل بعد ها ـ وهو واقف بعرفة ـ (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) (٦) الآية . فعاش بعد ها احدى و ثمانين ليلة ، ثم نزل بعد ها آيات الربا . (٧) ثم نزل بعد ذلك (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) . (٨) وهي آخر آية نزلت ، فعاش رسول الله

= هذه الآية بسبع ليال . و زاد القرطبي حكايته عن ابن جبير .

كما حكاه البغوى أيضا عن سعيد بن جبير .

انظر : زاد المسير ٣٣٥/١ ، و تفسير القرطبي ٣٧٥/٣ ، و تفسير البغوى ٢٦٦/١

(١) الزمر ٣٠

(٢) في ط " متى يكون ذلك " .

(٣) في ط " غفر الله لك " .

(٤) التوبة ١٢٨

(٥) النساء ١٧٦

(٦) المائدة ٣

(٧) الآيات ٢٧٥ ـ ٢٨٠ من سورة البقرة .

(٨) البقرة ٢٨١

الآيـــــة : ٢٨١

صلى اللـه عليـه و سـلم بعـد هـا احـد ى و عشريـن ليـلة .(١)

قال ابن جريـج : تسـع ليـال .(٢)

و قـال ابن جبـير و مقاتـل : سبـع ليـال .(٣)

ثم مات يوم الاثنـين لليلتـين مضتـا(٤) مـن شهـر ربيـع الأول حـين زاغـت الشمـس سنة احـد ى عشـرة مـن الهجـرة .(٥)

---

(١) انظـر : تفسـير الثعلبي ٢٠٢/٢ ـ ٢٠٣

و حكى القرطبي نحـو هـذ ا التفصيـل عن ابن عمـر .

و ذكـر نحـوه البغوى د ون أن يسمـي قائلـه .

انظـر : تفسير القرطـبي ٢٣٣/٢٠ ، و تفسير البـغوى ٥٠٤/١

(٢) انظـر : زاد المسير ٣٣٥/١ ، و تفسـير القرطـبي ٣٧٥/٣

(٣) انظـر : المصد ريـن السابقـين .

(٤) في ط " بقيتـا " .

(٥) هـذ ا التاريخ في وفاة النبي صلى الله عليـه و سـلم حكاه ابن كثـير في البد ايـة والنهايـة ٢٢٤/٥ عن الواقـد ى .

وذكره البـغـوى في تفسيره ٢٦٦/١

وكـذ ا الخـازن في تفسـيره ٣٠٤/١

قال السهيلي : و هـذ ا القول وان كان خلاف أهـل الجمهـور ، فانـه لا يبعـد أن كانت الثلاثـة الأشهـر التي قبلهـا كلهـا من تسعـة و عشرين ، فتد بـره ، فانه صحيـح . الروض الأنـف ٢٧٠/٤

قلـت : والـذ ى عليـه الأ كثـر : أن و فاتـه صلى اللـه عليـه و سلم كانـت يـوم الاثنـين الثانـي عشـر من شهـر ربيـع الأول سنة احـد ى عشرة من الهجرة .

انظـر : الـروض الأنـف ٢٧٠/٤ ، و البد ايـة والنهايـة ٢٢٤/٥ ـ ٢٢٥

الآيـــــة : ٢٨٢

(٢٨٢)/قوله عز وجل (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ) (١٢٠/ب) .

قال ابن عباس : لما حرّم [اللـــه] (١) الربا أباح السلم . (٢)

وظاهر الآيـة على كل دين من سلم وغـيره .

ومعنى الآية : يا أيها الذين آمنوا إذا تبايعتم بالنسيئة إلى وقت معلوم فاكتبوا الدَّيـــن بأجله وأشهدوا عليه ، كيلا تحدث نفس أحدكم بالطمع في حق صاحبه ولا يقع الشك في مقداره ، ولا جحود ولا نسيان .

وَالدَّيْنُ : ما كان مؤجلاً . والعَيْنُ : ما كان حاضراً .

واختلفوا في هذه الكتابة ، أنها فرض أو ندب :

فذهب أبو سعيد الخدري ، والحسن ، والشعبي : أن الكتابة والاشهاد على الديون الآجلة كانا واجبين بهذه الآية ، ثم نسخا بقوله تعالى (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا) . (٣)

وقال ابن عباس : لا والله إن آية الدَّين محكمة ما فيها نسخ . (٤)

وهو قول الربيع ، وكعب . (٥) وهذا هو الأصح ، لأن الأمر بالكتابة والاشهاد

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١١٧/٣

والحاكم في المستدرك ٢٨٦/٢ وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

ولفظه : عن ابن عباس قال : " أشهد أن السلف المضمون الى أجل مسمى أن الله عزّ وجلّ قد أحلّه وأذن فيه . ويتلو هذه الآية ... " .

والسلف : هو بيع معلوم في الذمة ، محصور بالصفة ، بعين حاضرة أو ما هو في حكمها الى أجل معلوم . ويسمى سلماً وسلفاً ، وهو نوع من البيع ينعقد بما ينعقد به البيع ، وبلفظ السلم والسلف .

انظر : تفسير القرطبي ٣٧٨/٣ ، والمغني ٣٠٤/٤

(٣) البقرة ٢٨٣ (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُ ...) .

أخرجه الطبري في تفسيره ١١٨/٣ ــ ١١٩ وابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ٢٢٢ ــ ٢٢٣

وحكاه ابن كثير عن المذكورين ، وزاد الربيع بن أنس وابن جريج وابن زيد .

تفسير ابن كثير ٣٤٢/١

الآيـــــة : ٢٨٢

انمـا ورد مقرونا بقولـه (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) ويستحيل ورود الناسخ والمنسـوخ معا في شيء واحـــد ، فكان المراد بالأمـر النـدب .(١)

والفائدة في قولـه (إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) بيان وجوب اعلام الأجـل ، فان جهالة الأجـــل في البياعات تفسدها .(٢)

وقال بعضهم : ان الكتابـــة فرض واجـب .(٣)

قال ابن جريـج : من اد ان فليكتب ، ومن باع فليشهد .(٤)

يدل عليه ما روى أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " ثلاثـة يدعون الله فلا يستجـاب لهم : رجـل كان له دين فلم يشهد ، و رجـل أعطى سفيها مالا ، وقد قال تعالـــــى (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ) ، ورجـل كانت عنده امرأة سيئـة الخلق فلم يطلقها " .(٥)

وقال قوم : هـو مستحـب ، فان كتب فحسن ، وان ترك فلا بأس .(٦) كقولـه تعالـــــى (وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا)(٧) ، وقولـه تعالى (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا)(٨) .

---

(٤) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٢٠٥/٢

(٥) أخرجه الطبرى في تفسيره ١١٧/٣

---

(١) قال ابن كثير : وهـذا الأمر محمول عند الجمهور على الارشاد والندب . انظر : تفسير ابن كثير ٣٤٤/١ ، وانظر : نواسخ القرآن لابن الجوزى ص ٢٢٣ ، و تفسير القرطبي ٣٨٣/٣

(٢) في أ " مفسدها " . والتصويب من ط ، م .

(٣) وهو اختيار الطبرى ، كما في تفسيره ١٢٠/٣

(٤) أخرجه الطبرى في تفسيره ١١٧/٣

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٠٢/٢ من حديث أبي موسى الأشعرى ، وقـــال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، لتوقيف أصحاب شعبة هـــــذا الحديث على أبي موسى . ووافقـــه الذهـبي .

(٦) وهو قول الجمهور . كما في زاد المسير ٣٤٠/١ ، و تفســير القرطـبي ٣٨٣/٣ و تفسير ابن كثير ٣٤٤/١

(٧) المائـــــدة ٢

(٨) الجمعـــــة ١٠

الآيـــة : ٢٨٢

قولـه تعـالى (وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ) :

قرأ الحسن " وليكتب " بكسر اللام[١] ، وهذه لام الأمر ، وهي اذا كانت مفـــردة فليس فيها الا الحركة ، واذا كان قبلها واو أو فاء أو ثم ، فأكثر العرب على تسكينهـا طلبا للخفـة . ومنهم من يكسرها على الأصل .[٢]

ومعنى هـذه الآيـة : وليكتب كاتب بين البائع والمشترى والطالب والمطلوب بالحـــق والانصاف ، فلا يزيـد فيه ولا ينقص منه ، ولا يقدم الأجل ولا يؤخره .

قولـه تعـالى (وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ)

أى لا يمتنع أن يكتب كما ألهمه الله ، شكرا لما أنعم عليه ، حيث علمه الكتابـــة وأحوج غيره اليه ، فليكتب .

واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب ، والشهادة على الشاهد : / فقال مجاهـــد (١٢١/أ) والربيع : واجب على الكاتب أن يكتب .[٣]

وقال الحسن : ذلك في الموضع الذى لا يقدر فيه على كاتب غيره ، فيضر بصاحب الدين أن يمتنع[٤] ، فان الكتابة حينئذ عليه فريضة ، وان قدر على كاتب غيره فهو في سعة اذا قام به غيره .[٥]

وقال الضحاك : كان هذا واجبا فنسخه قوله تعالى (وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ) .[٦]

وقال السدى : هو واجب عليه في حال فراغه .[٧]

---

(١) انظر : البحر المحيط ٣٤٤/٢

(٢) انظر : مغني اللبيب ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥

(٣) أخرجه الطبرى في تفسيره ١١٩/٣ ـ ١٢٠

(٤) في ط ، م " ان امتنع " .

(٥) انظ : تفسير البغوى ٢٦٨/١ ، وتفسير القرطبي ٣٨٤/٣

(٦) أخرجه الطبرى في تفسيره ١٢٠/٣

(٧) أخرجه الطبرى . كما في المصدر السابق .

الآيـــــة : ٢٨٢

وقال الشعبي : هو واجب على الكفايـة ، كالجهـاد . (١)

والصحيح : أن الكتابـة غير واجبة في الأصل على المتداينين ، فاذا لم تكن واجبة عليهـم فكيف تكون واجبة على الأجنبي الذى لا حكم له في هـــذا العقـد ولا سبب . (٢)

قولـه تعالى (وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا)

يعني المديون المطلوب يقر (٣) على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه ويمل على الكاتب .

والاملال والاملاء بمعنى واحـد ، وهما لغتان فصيحتـان جاء بهما القرآن .

ثم خوفه اللـه تعالى فقال : (وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) (٤) أى وليخش الله ولا ينقص من الحق الذى عليـه شيئـا .

قولـه عز وجل (فَإِن كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ) :

أى فان كان المطلوب الذى عليه المال سفيها أو (٥) خفيف العقل جاهلا بالاملاء لا يميز تمييزا صحيحا . قالـه مجاهـــد . (٦)

وقال السدى : يعـني عاجـزا لا يستطيـع أن يمل لعجمـة أو زمانـة . (٧)

---

(١) انظر : زاد المسير ٣٣٧/١ ، وتفسير القرطبي ٣٨٣/٣

(٢) وانظر : تفسير القرطبي ٣٨٤/٣ ـ ٣٨٥

(٣) في أ " مقر " . والتصويب من ط ، م .

(٤) في ط زاد قوله تعالى (ولا يبخس منه شيئا) .

(٥) في ط ، م " أى " .

(٦) أخرجه الطبرى في تفسيره ١٢٢/٣

وانظر : زاد المسير ٣٣٧/١ ، والدر المنثور ١١٩/٢

(٧) المروى عن السدى في ذلك تفسير السفيه : بأنه الصغير .

انظر : تفسير الطبرى ٣ / ١٢٢ ، وتفسير البغوى ٢٦٨/١

وزاد المسير ٣٣٧/١

الآيـــة : ٢٨٢

وقـولـه تعـالى (ضَعِيفاً) أى ضعيفا في العقـل مثـل الصبي ، والمرأة ، أو شيخـا كبـير السـن . (١)

وقـولـه تعـالى (أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ) يعني لمرض أو خرس أو حبس لا يمكنـه حضـور الكتاب أو بجهل ما لـه وما عليـه .

قـولـه (فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ) أى [وليـه] (٢) الذى يقوم بأمـره . (٣)

وقـولـه تعـالى (بِالْعَـدْلِ) أى بالحـق .

وقال ابن عباس ، والربيع ، ومقاتـل : معناه فليملل ولي الحـق (٤) وهو صاحـب الديـن ، لأنـه أعلم بدينـه ، يمل بالعدل والصدق والحق والانصاف .

قـولـه تعـالى (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ) :

يعني أشهدوا على الحق شهيدين من الأحرار البالغين ، دون الكفار والعبيـد والصبيـان .

وهـذا مذهب مالك ، وأبي حنيفـة ، والشافعي ، وسفيان ، وأكثر الفقهـاء . (٥)

---

(١) قال الطبرى : " ... الموصوف بالسفه منهم دون الضعف هو ذو القوة على الإملال ، غير أنه وضع عنه فرض الإملال بجهله بموضع صواب ذلك من خطئه . وأن الموصـوف بالضعف منهم هو العاجز عن إملاله وإن كان شديداً رشيداً ، اما لعي لسانـه أو خرس بـه ... " . تفسير الطبرى ١٢٢/٣

(٢) ما بين المعقوفتـين من ط ، م .

(٣) أى يقوم مقامـه ويلي أمـره ، من قيم أو وكيل أو نحوه .
وهـذا هـو الصحيـح ، وهو الموافق لسياق الآيـة .
وانظـر : تفسـير القرطبي ٣٨٨/٣

(٤) أخرجه الطـبرى في تفسيره ١٢٣/٣
وانظر حكايتـه عن مقاتل في تفسير البغوى ٢٦٨/١

(٥) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٢٢٣/٢ ، والمغني ١٩٥/٩ ، وتفسير القرطـبي ٣٨٩/٣ ـ ٣٩٠ ، وفتح البارى ٣١٦/٥

الآيـــــة : ٢٨٢

وأجاز شريح ، وابن سيرين شهادة العبيد .(١)

وأجاز بعضهم شهادتهم في الشيء التافه .(٢)

قوله تعالى (فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ) الآية .

أي فإن لم يكن الشاهدان رجلين فليكن رجل وامرأتان ، أو فليشهد رجل وامرأتان .

قوله (مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ) أي ممن ترضون عدالته وأمانته .

والمرضي من يجتمع فيه ثلاثة أشياء :

أحدها :(٣) العدالة ، وأصلها / الإيمان واجتناب الكبائر ، ومراعاته(٤) حقوق الله (١٢١/ب)

---

(١) انظر : المصادر السابقة .

وممن أجاز شهادة العبيد أيضاً أحمد ، واسحاق ، وأبو ثور ، وداود ، وابن منذر ، وهو مروى عن علي ، وأنس رضي الله عنهما .

قال الامام ابن القيم رحمه الله منتصراً لهذا القول : " ... لم يأت حرف واحد عن الشارع أنه قال : لا تقبلوا شهادة العبد ، بل ردوها ... بل الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة والميزان العادل قبول شهادة العبد فيما تقبل فيه شهادة الحر ، فإنه من رجال المؤمنين ، فيدخل في قوله تعالى (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) كما دخل في قوله تعالى (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم) وهو عدل بالنص والإجماع ....

وقال أنس بن مالك : ما علمت أحداً رد شهادة العبد . رواه أحمد ، وهذا أصح من غالب الإجماعات التي يدعيها المتأخرون ... " .

اعلام الموقعين ٩٩/٢

(٢) ذكره البخاري تعليقاً عن الحسن ، وإبراهيم النخعي .

كما ذكره ابن قدامة عن الشعبي ، والنخعي ، والحكم .

انظر : صحيح البخاري : كتاب الشهادات : باب شهادة الاماء والعبيد .

والمغني ١٩٥/٩

(٣) في أ " أحدهما " . والتصويب من ط ، م .

(٤) في م "ومراعات "

الآيـــــة : ٢٨٢

من الواجبـات والمسنونات وصـدق الحجـة [١] وأداء الأمانـة .

والثاني : نفـي التهمـة ، نحو أن لا يكون المشهود لـه ولـداً ولا والـداً ولا زوجـة ولا زوجـا ، فان شهادة هـؤلاء غير مقبولـة لمن [٢] ذكرنا [وإن] [٣] كانوا عـدولاً مرضيـين .

الثالـث : التيقظ وقلة الغفلة ، وأن لا يكون كثير [الغفلة و] [٤] الغلط . [٥]

قال النخعي : الرجل العدل : هو من لم يظهـر فيه ريبـة . [٦]

وقال الشعبي : هـو من لا يطعـن عليـه في بطـن ولا فـرج . [٧]

وقال الحسن : هو من لم تعـلم لـه خيانـة . [٨]

وقال صلى الله عليه وسلم : " لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود ولا ذى حقـد على أخيه ولا من جرت عليه شهادة زور ولا الخادم مع أهل البيت " . [٩]

---

(١) في ط ، م " اللهجـة " . ولعله أولى .

(٢) في م " لما ذكرنا " .

(٣) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٤) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٥) انظ بسط تلك الشروط في المغني ١٦٤/٩ ـ ١٦٧

(٦) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٢٣٧/٢ ، والبحر المحيط ٣٤٧/٢

(٧) انظر : البحر المحيط ٣٤٧/٢

(٨) انظر : المصدر السابق .

(٩) أخرجه الترمذى في كتاب الشهادات : باب ما جاء فيمن لا تجوز شهادته . من حديث عائشة رضي الله عنها . مع اختلاف في اللفظ . وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث يزيد بن زياد الدمشقي ، ويزيد يضعف في الحديث .

وأخرج نحوه أبو داود في كتاب الأقضية : باب من ترد شهادته .

وابن ماجه في كتاب الأحكام : باب من لا تجوز شهادتـه .

وأحمـد في المسـند ١٨١/٢ ، ٢٠٨

كلهم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيـه عن جـده .

الآيـــــة : ٢٨٢

وعن ابن عباس قال : سُئِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الشهادة فقال : " أترى هذه الشمس " ؟ فقال : نعَم . قال : " على مثلها فاشهد أو دع " .(١)

قوله تعالى (أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ) :

معناه : أن تذكر الذاكرة الناسية ان نسيت .

ومعنى (تَضِلَّ) : تنسى ، كقوله تعالى (قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) .(٢)

وقوله تعالى (فَتُذَكِّرَ) معطوف على (تَضِلَّ) .

وقرأ الأعمش " إن تضل " بكسر الهمزة " فتذكرُ " بالرفع(٣) ، ومعناه الجزاء والابتداء . وموضع (تَضِلَّ)(٤) جزم بالجزاء ، الا أنه لا يبين فيه للتضعيف . (فَتُذَكِّرَ) رفعاً ؛ لأن ما بعد فاء الجزاء(٥) مبتدأ .(٦)

وقيل في تفسير الآية : إن امتنعت إحدى المرأتين عن أداء الشهادة تعضها الأخرى حتى تشهد .

ومن قرأ " فتذكر " بالتخفيف ، فالإذكار والتذكير بمعنى واحد .

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ١٩٨/٤ وقال : رواه العقيلي والحاكم وأبو نعيم في الحلية ، وابن عدى والبيهقي ، من حديث طاوس عن ابن عباس وصححه الحاكم ، وفي اسناده محمد بن سليمان بن مشمول وهو ضعيف . وقال البيهقي : لم يرو من وجه يعتمد عليه ا هـ .

وانظر : المستدرك ٩٨/٤ وقد صححه الحاكم ، وتعقبه الذهبي فقال : بل هو واه .

(٢) الشعراء ٢٠ ولعل استدلال المؤلف بهذه الآية غير متجه ، فان معنى الضلال هنا : هو الجهل وحال ما قبل الرسالة والنبوة .

وانظر : تفسير ابن كثير ٣٤٤/٣ ـ ٣٤٥

(٣) وهي قراءة حمزة . انظر : النشر ٢٣٦/٢ ، والاتحاف ٤٥٩/١

(٤) في ط " أو " .

(٥) في م " الخبر " .

(٦) انظر : التبيان ٢٢٩/١ ، والدر المصون ٦٥٩/٢

الآيـــــة : ٢٨٢

وقيل في معنى التخفيف : تجعلها ذكراً ، أي يقومان مقام رجـل . (١)

قرأ زيد بن أسلم " فتذاكر احداهما الأخرى " من المذاكـرة . (٢)

وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب " فتذكر " بالتخفيف .

وقرأ الباقون " فتذكّر " بالتشـديد . (٣)

قوله تعالى (وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا)

أي لا يمتنعوا اذا دعوا الى اقامة الشهادة عنـد الحكام . وهذا قول مجاهد ، وعطاء وعكرمة ، وابن جبير ، والضحاك ، والسدي . (٤)

وقال بعضهم : هذا في تحمل الشهادة ، وهو أمر ايجاب أيضا . (٥)

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ١٢٥/٣ عن سفيان بن عيينة . ثم خطأه ، فقـال : " وأما ما حكي عن ابن عيينة من التأويل الذي ذكرناه ، فتأويل خطأ لا معنى لـه لوجوه شتى : أحدها : أنه خلاف لقول جميع أهل التأويل .... " .
وقال ابن كثير : (فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ) : أي يحصل لها ذكر بما وقع به من الاشهاد ، وبهذا قرأ آخرون " فتذكر " بالتشديد من التذكار ، ومن قال : ان شهادتها معها تجعلها كشهادة ذكر فقد أبعـد ، والصحيح الأول . والله أعلم .
تفسير ابن كثير ٣٤٣/١

(٢) انظر : البحر المحيط ٣٤٩/٢

(٣) انظر : النشر ٢٣٦/٢ ، والبدور الزاهـرة ص ٥٧

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٢٧/٣ ـ ١٢٩ ، وتفسير البغوي ٢٦٩/١ وزاد المسير ٣٣٩/١ ، والدر المنثور ١٢١/٢ ـ ١٢٢
واختار هذا التفسير الطبري وابن كثير .
قال ابن كثير : اذا دعي لأدائها فعليه الاجابة اذا تعينت ، والا فهو فرض كفاية ، والله أعلم .
تفسير ابن كثير ٣٤٣/١

(٥) أخرجه الطبري عن قتادة ، والربيع بن أنس .
انظر : تفسير الطبري ١٢٦/٣ ـ ١٢٧

الآيـــــــة : ٢٨٢

قال قتادة : كان الرجل يطوف في الحي العظيم فيه القوم ، فيدعوهم الى الشهادة فلا يتبعه أحد منهم ، فأنزل الله هذه الآية .(١)

وقال الشعبي : هو مخير في تحمل الشهادة اذا وجد غيره ، فاذا لم يوجد غيره وجب عليه التحمل .(٢)

وقال بعضهم : هذا أمر ندب ، وهو مخير في جميع الأحوال . وهو قول عطاء .(٣)

وقال مغيرة : قلت لابراهيم / : اني أدعى الى الشهادة ، واني أخاف أن أنسى ؟ قال : (١٢٢/أ) فلا تحمل ان شئت .(٤)

وقال الحسن : هذه الآية في التحمل والاقامة اذا كان فارغا .(٥)

قوله تعالى (وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ)

أي لا تملوا أن تكتبوا الحق قليلا كان الحق أو كثيرا الى محله .

يقال : سئمت أسأم سآمة ، إذا مللت . قال زهير :(٦)

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ وَمَن يَعِشْ .. ثَمَانِينَ حَوْلاً لَا أَبَالَكَ يَسْأَمِ (٧)

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٣/١٢٦ ــ ١٢٧

وانظر : الدر المنثور ٢/١٢١

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٣/١٢٧

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٣/١٢٩

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٣/١٢٨

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٣/١٢٧

وانظر : تفسير القرطبي ٣/٣٩٨

(٦) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني ، من مضر ، حكيم الشعراء في الجاهلية ، وكان أبوه شاعراً وخاله شاعراً وأخته سلمى شاعرة وأخته الخنساء شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين وابن ابنه المضرب بن كعب شاعراً . توفي زهير قبل البعثة بسنة .

انظر : خزانة الأدب ١/٣٧٥ ــ ٣٧٧ ، والأعلام ٣/٥٢

(٧) انظر ديوانه ص ١١٠

الآيـــــة : ٢٨٢

وقال لبيـــــد :(١)

ولقد سَئِمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا .. وَسُؤَالِ هَذَا النَّاسِ كَيْفَ لَبِيدُ .(٢)

و " أن " في موضع نصب من وجهين : ان شئت جعلته مع الفعل مصدرا ، وأوقعت السآمة عليه ، تقديره : ولا تسأموا كتابته .

وان شئت نصبته بنزع الخافض ، والهاء راجعة(٣) الى الحق : أى ولا تسأموا من(٤) أن تكتبوه .(٥)

وقرأ السلمي " ولا يسأموا " بالياء .(٦)

وقوله تعالى (صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا) انتصب من وجهين : أحدهما : على الحال من الهاء . والثاني : أن يجعله خبرًا لكان المحذوفة ، تقديره : صغيرًا كان الحق أو كبيرا .(٧)

قوله عز وجل (ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا)

أى الكتاب أعدل عند الله ، أحصى للأجل وأحفظ للشهادة وأقرب أن لا تشكوا(٨) في مقدار الحق ومقدار الأجل .

---

(١) هو لبيد بن ربيعة بن مالك العامرى ، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية ، وأحد أصحاب المعلقات . أدرك الاسلام فأسلم وترك الشعر ، مات سنة ٤١ هـ .

انظر : الاصابة ٣٠٧/٣ ، والأعلام ٢٤٠/٥

(٢) انظر : ديوانه ص ٤٦

(٣) في أ " رافعة " . والتصويب من ط ، م .

(٤) في ط " ولا تسأموا أن تكتبوه " بحذف " من " . ولعله الصواب .

(٥) انظر : التبيان ٢٣٠/١ ، والدر المصون ٦٦٨/٢

(٦) انظر : البحر المحيط ٣٥١/٢

(٧) انظر : المصدر السابق ، والدر المصون ٦٦٨/٢

(٨) في ط " الى أن لا تشكوا " .

الآيـــــة : ٢٨٢

وفي هـذا دليل أنـه لا يجوز اقامة الشهادة الا مع زوال الريب ، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اذا رأيت مثل الشمس فاشهد ، وإلاّ فدع " . (١)

قولـه تعالـى (إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِـرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ) :

قرأ عاصم " تجارة " بالنصب على خبر كان ، وأضمر اسمها ، تقديره : الا أن تكون المداينة تجارة أو المبايعة تجارة .

وقرأ الباقون بالرفع (٢) لوجهين : أحدهما أن يكون الكون بمعنى الوقوع ، تقديره : الا أن تكون (٣) تجارة ؛ فحينئذ لا خبر لـه .

والثاني : أن تجعل " تجارة " اسم تكون ، والخبر " تديرونها " ، تقديره : الا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم .

ومعنى [الآيـة] (٤) : الا أن تقع تجارة حالة يداً بيد ، فليس عليكم جناح [ألا تكتبوها أي] (٥) في ترك الكتابة في تلك التجارة ، لأنـه ليس فيه أجل ولا نسيئة ؛ وهذا توسعة من الله للعباد ، كيلا (٦) يضيق عليهم أمر بياعاتهم في المأكول والمشروب والأشياء التي تمس حاجتهم اليها في أكثر الأوقات ويشق عليهم كتابة جميعها . (٧)

قولـه تعالى (وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ) أي أشهدوا على حقوقكم اذا بعتم واشتريتم ، وهذا محمول على البياعات النفيسة ، فأما القدر اليسير الذي ليس في العادة التوثق (٨) بالاشهاد فيه ، نحو شراء الخبز والبقل وما جرى مجراه فغير داخل في هذا الخطاب .

---

(١) تقدم تخريجـــه .

(٢) انظر : النشـــر ٢/٢٣٧

(٣) في ط " الا أن تقـع " .

(٤) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٥) ما بين المعقوفتين من ط .

(٦) في ط " لئـلا " .

(٧) في أ ، ط " جميعا " . والتصويب من م .

(٨) في م " التوثيـق " .

الآيـــة : ٢٨٢

قال الضحاك : قوله (وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ) هذا الاشهاد واجب في صغـــير الحق / وكبيره ونقده ونسيآته [١] ، ولوكان على تافه . [٢] (١٢٢/ب)

وقال آخرون : هو أمر ندب ، ان شاء أشهد ، وان شاء لم يشهد . [٣]

قوله عز وجل (وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ) يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يضار الكاتب ولا الشاهد الطالب ولا المطلوب ، يعني لا يكتب الكاتـــب الا بالحق ولا يشهد الشاهد الا بالحق ، تقديره : لا يضار . على النهي .

والثاني : على اسم ما لم يسم فاعله ، أي لا يدعى الكاتب وهو مشغول لا يمكنه ترك شغله الا بضرر يدخل عليه ، وكذلك لا يدعى الشاهد ومجيئه يضر به . [٤]

قوله تعالى (وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ) أي لا تقصدوا المضارة بعد نهي اللـــه تعالى عنها ، فانه اثم وخروج من [٥] أمر اللـــه .

وقوله تعالى (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) أي واتقوا الله في الضرار ولا تعصوه فيما أمركم به ، ويعلمكم الله ما به قوام دينكم ودنياكم (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ) من أعمالكم (عَلِيمٌ) يعلم ما تعملون في الكتابة والشهادة .

---

(١) في ط " ونسأته " .

(٢) في أ " على ناقه " . والتصويب من ط ، م .
وانظر قول الضحاك في تفسير الطبري ١٣٤/٣ ، وقد اختاره الطبري أيضا .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣٤/٣ عن الشعبي والحسن .
وقال ابن العربي : وهو قول الكافة ، وهو الصحيح .
وحكاه أيضا ابن كثير عن الجمهور .
انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٣٤٢/١ ، وتفسير ابن كثير ٣٤٤/١

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٣٤/٣ ــ ١٣٧ ، وتفســـير القرطـــبي ٤٠٥/٣
وتفسير ابن كثير ٣٤٤/١

(٥) في ط " عـــن " .

الآيـــــة : ٢٨٣

(٢٨٣) قـولـه عـز وجـل (وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ) الآيـــــة .

معناه : اذا كنتم مسافرين و لم تجد وا كاتبا يكتب الوثيقـة بالحق فالوثيقة رهان يقبضها الذ ى لـه الحـــق .

قرأ ابن عباس ، وأبو العالية ، ومجاهد " كتابا " [1] يعني الصحيفة والد واة ، قالـــوا : لأنـه ربما تجد الكاتب ولا تجد المد اد والصحيفـة [2] [والد واة] [3] .

و قرأ الضحاك " كتّابًا " [4] على جمع الكاتب .

و قرأ الباقون " كاتبًا " . وهـو المختار ، لموافقـة المصحف .

وقـولـه تعـالى (فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ) :

قرأ ابن عباس ، ومجاهـد ، وابن كثير ، وأبو عمرو " فرُهُنٌ " . [5]

و قرأ عكرمـة ، و عبد الوارث [6] " فرهْنٌ " باسكان الهـاء . [7]

وقرأ الباقون : " فرهان " [8] وهو جمع رهـن ، مثل نـعل و نـعال ، و جبل و جبال . [9]

---

(١) انظر : تفسير القرطـبي ٤٠٧/٣

(٢) في ط " ولا الصحيفة " .

(٣) ما بين المعقوفتـين من م .

(٤) انظر تفسير الثعلبي ٢٠٩/٢

وانظر : مختصر الشواذ لابن خالويـه ص ١٨ ، والقراءات الشاذة للشيـــــخ عبد الفتاح القاضي ص ٣٧

وهي منسوبـة في المصد رين الأخيرين للحسـن .

(٥) انظر : النشر ٢٣٧/٢ ، و تفسير الثعلبي ٢٠٩/٢

(٦) هو عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان ، أبو عبيد ة التنورى العنبرى مولاهم البصرى ، امام حافظ مقرىء ثقـة ، مات سنة تسع و سبعين أو ثمانين و مائـة بالبصرة .

انظر : غايـة النهايـــــة ٤٧٨/١

(٧) انظر : زاد المسير ٣٤١/١

(٨) انظر : النشـــر ٢٣٧/٢

(٩) في ط " وحبل وحبال " بالحاء .

الآيـــــة : ٢٨٣

والرُهُـــن : جمع رهـان ، وهو جمع الجمع . قاله (١) الفراء والكسائي . (٢)

وقال أبو عبيد : هو جمع رهـن ، مثل : سَقْف وسُقُف . (٣)

قولـه تعالى (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ)

أي ان كان الذى عليه الحق أمينا عند صاحب الحق ، فلم يرتهـن منـه شيئا لثقتـه وحسـن ظنـه فليـؤد الذى أؤتمن أمانتـه ، أى فليـؤد المطلوب أمانتـه ، بأن لا يبخـس ولا يجحـد .

قولـه تعالى (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ) أى لا تكتموهـا عند الحكام ، ولا تمتنعـوا عـن أدائهـا .

(وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ) أى فاجر سريرتـه .

وأضاف الآثم الى القلب وان كان الآثم هو الكاتم ، لأن اكتساب الاثم بكتمان الشهادة يقـع بالقلب . وهذا أبلغ في الوعيـد وأحسن في البيان ، لأن كاتم الشهادة يلحقـه الاثـم من وجهـين :

أحدهمـا : العزم على أن لا يـؤدى . والثاني : ترك أدائها باللسـان .

قولـه تعالى (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) أى عليم بما / تعملون بـه من كتمان الشهادة (١٢٣/أ) واقامتها ، وأداء الأمانة والخيانة فيها ، عالم لا يخفى عليـه شيء مما تفعلون .

ولا خلاف بين العلماء في جواز الرهن في الحضر ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودى طعاما الى أجل ، ورهنـه درعـه . (٤)

---

(١) في أ " قال " . والتصويب من ط ، م .

(٢) حكاه عنهما البغوى في تفسيره ١/٢٧٠ ، وأبو حيان في البحر ٢/٣٥٥

(٣) حكاه البغوى في تفسيره ١/٢٧٠

(٤) أخرجه البخارى في كتاب البيوع : باب شراء النبي صلى الله عليه وسلم بالنسيئة . ومسلم في كتاب المساقاة : باب الرهن وجوازه في الحضر والسفر . من حديث عائشة رضي الله عنها .

الآيـــة : ٢٨٣ ، ٢٨٤

والفائـدة في ذكـر السفـر في الآيـة : أن الأغلب من حـال السـفر عدم الشهود و الكتاب ، فخـص الرهن بحال السفـر .

و عـن مجاهـد : أنـه كان يكـره الرهـن في الحضـر .(١)

(٢٨٤) قولـه عـز وجـل (لِلَّـهِ مَـا فِـي السَّـمَـوَاتِ وَمَـا فِـي الْأَرْضِ وَإِن تُبْـدُوا مَا فِـي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُـوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِـهِ اللَّـهُ)

اختلف المفسرون في هـذه الآيـة :

فقال قـوم : هـي خاصـة . واختلفوا في خصوصها :

فقال بـعضهم : نزلت في كتمان الشهادة واقامتها ، يـعني : و ان تبد وا ما في أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة أو تخفوا الكتمان يحاسبكم بـه اللـه .

و هـذا قول الشعـبي ، و عكرمـة ، و روايـة مجاهـد عن ابن عباس (٢) ، يدل عليه قولـه تعالى ـ فيما قبلها ـ (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَـادَةَ) الآيـة .

وذهب بعضهم الى أنها عامـة في الشهادة و في غيرها .

ثم اختلفوا في وجـه عمومها : فقال بـعضهم : [هي](٣) منسوخـة .

وروى أنـه لما نزلت هـذه الآيـة جاء أبو بكـر و عمـر و عبد الرحمن بن عوف ، و معـاذ بن جبـل ، و ناس من الأنصار الى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فجثوا على الركب و قالوا : يا رسول الله ما نزل علينا آيـة أشـد من هذه ، إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحـب أن يثبت في قلبـه ، يعني يحدث نفسه بأمر من المعصية ثم لا يعمل بهـا ، وإنا لمؤاخـذون بما نُحَدِّثُ بـه نفوسـنا ، إذاً هلكنـا . فقال صلى الله عليه و سلم : " هكذا نزلـت " .(٤)

فقالوا : كلفنا من العمل ما لا نطيق . فقال صلى الله عليه و سلم : " أفتقولون كما قالـت اليهود : سمعنا وعصينا " ؟ فقالوا : بل سمعنا وأطعنا يا رسول اللـه .

---

(١) أخرجـه الطبرى في تفسيره ٣/١٤٠

(٢) أخرجه الطبرى في تفسيره ٢/١٤٢ـ١٤٣

(٣) ما بين المعقوفتين من م .

(٤) في ط " أنزلت " .

الآيـــــة : ٢٨٤

واشتد عليهم ذلك ، فمكثوا حولا ، فأنزل الله عز وجل (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)[1] فنسخت ما قبلها ، فقال صلى الله عليه وسلم : " ان الله تجاوز[2] لأمتي ما حدّثت به أنفسها ، ما لم يعملوا أو يتكلموا به " .[3]

وهذا قول ابن مسعود ، وأبي هريرة ، وعائشة ، وابن عباس برواية ابن جبير ، وعطاء وابن سيرين ، وقتادة ، والكلبي ، وسفيان .[4]

وقال بعضهم : لا يجوز أن تكون هذه الآية منسوخة ، لأنها خبر من عند الله والخبر لا يحتمل النسخ ، لأنه خلف ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

لكن المراد بالآية اظهار العمل واخفاؤه .[5]

وقال الربيع : هذه الآية محكمة لم ينسخها شيء ، فان الله تعالى يعرف عبده يوم القيامة ، يقول : انك أخفيت في صدرك كذا وكذا في ساعة كذا وكذا .[6]

---

(١) هي الآية الأخيرة من سورة البقرة .

(٢) في أ " يجاوز " . والتصويب من ط ، م .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور : باب اذا حنث ناسيا في الأيمان .
ومسلم في كتاب الأيمان : باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر . من حديث أبي هريرة .

(٤) في أ " وشيبان " . والتصويب من ط .
وانظر من روي عنهم القول بالنسخ في تفسير الطبري ١٤٣/٣ ــ ١٤٧ ، وتفسير القرطبي ٤٢١/٣ ، والناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام ص ٢٧٥ ــ ٢٧٧ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص ٢٢٥ ــ ٢٣١ ، وتفسير ابن كثير ٣٤٧/١ .

(٥) وهو قول ابن عباس ، وعائشة ، ومجاهد ، والحسن ، والربيع بن أنس .
واختاره الطبري ، وأبو جعفر النحاس ، وابن الجوزي .
انظر : تفسير الطبري ١٤٧/٣ ــ ١٤٩ ، والناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس ص ٨١ ــ ٨٣ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص ٢٣١ ــ ٢٣٥

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١٤٨/٣

الآيـــــة : ٢٨٤

ويحاسبـه على ما أسـرّ وأعلن من حركـة / في جوارحـه وهمهمـة(١) في قلبـــــــه . (١٢٣/ب)

فهكذا يصنع بكل عباده ، ثم يغفر لمن يشـاء ويعـذب مـن يشـاء .

وقيل : انـه لا يؤاخـذ المؤمـن بما حاسبـه من ذلك .(٢)

فمعنـاه : وان تظهـروا ما في أنفسكم من المعاصي أو تضمـروا(٣) اراد تها في أنفسكم فتخفوهـا(٤) (يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ) أي يخبركم بها ويحاسبكم عليها ثم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشـاء . وهـذا قول الحســن ، والربيـع ، ورواية الضحاك عن ابن عباس .(٥)

يدل عليه قوله تعالى (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُـــؤَادَ كُلُّ أُولَئِـــكَ كَانَ عَنْـهُ مَسْـؤُلاً) .(٦)

وقال آخرون : معنى الآيـة : ان الله يحاسب خلقـه بجميع ما أبدوا من أعمالهم وأخفـــوا ويعاقبهم عليه ، غير أن معاقبتـه اياهم على ما أخفوها مما لم يعملوا بها بما يحدث في الدنيا من النوائب والمصائب والأمـور التي يحزنون عليها ويألمون بها ، مثـــل الحمى وغير ذلك ، حتى الشـوكـة يشاكهـا ، والشـيء يضيـع فيفقـده ، فـيراع عليـه ثم يجـــده .

وهـــذا قـول عائشـة رضي الله عنها .(٧)

---

(١) في ط " أو همهمـة " .

(٢) أخرجه الطبري عن ابن عباس . انظر : تفسير الطبري ١٤٧/٣

(٣) في أ " وتضمروا " . والتصويب من ط ، م .

(٤) في ط " لتخفوها " .

(٥) انظـر : تفسـير الطـبري ٣ / ١٤٧ ـ ١٤٨ ، ونواسـخ القـــرآن لابن الجـوزي ص ٢٣١

(٦) الاســـراء ٣٦

(٧) قلـت : بل ورد هـذا مرفوعـاً من حديث عائشة .
أخرجه أحمد في المسند ٢١٨/٦ ، والطبري في تفسيره ١٤٩/٣
والترمذي في كتاب التفسير : باب ومن سورة البقرة . حديث (٢٩٩١) وقال : حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة . قال ابن كثير : وشيخه علي بن زيد بن جدعان ضعيف يغرب في رواياته ، وهو يروى هذا الحديث عن امرأة أبيـــه أم محمد أمية بنت عبد الله عن عائشة وليس لها عنها في الكتب سواه .
تفسير ابن كثير ٣٤٨/١

الآيـــــة : ٢٨٤

و قال بعضهم : معناه : وان تبد وا ما في أنفسكم من الأعمال الظاهرة أو تخفوه من الأحوال الباطنـــة يحاسبكم بـه اللـه ، العابد على أفعالـه [و](١) العارف على أحواله .(٢)

و قال بعضهم : ان الله تعالى يقول يوم القيامة : " هذا يوم تبلى السرائر و تخـــرج الضمائـر ، وان كتّابي لم يكتبوا الا ما ظهر من أعمالكم ، و أنا المطلع على سرائركـــم مما لم يعلموه و لا (٣) يكتبوه ، فأنا أخبركم بذلك و أحاسبكم ، لتعلموا أنه لا يعـــزب عني مثقال ذرة من أعمالكم ، ثم أغفر لمن شئت و أعذب من شئت " .(٤) فأما المؤمنـون فيخبرهم بذلك كله و يغفر لهم و لا يؤاخذهم بذلك ، اظهاراً لفضله . وأما الكافـرون فيخبرهم بها و يعاقبهم عليها ، اظهاراً لعدلـه .

فمعنى الآيـة : وإن تبد وا ما في أنفسكم فتعملوا بـه أو تخفوه مما أضمرتم وأسررتم و نويتم يحاسبكم به الله و يعرفكم إياه ، فيغفر للمؤمنين و يعذب الكافرين . يدل عليه قولـه تعالى (يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ) . ولم يقل : يؤاخذكم بـه اللـه . والمحاسبة غير المعاقبة ، فالحساب ثابت والعقاب ساقط .

و قال الحسن بن مسلم(٥) : يحاسب الله المؤمن بالمنـة و الفضل ، والكافر بالحجـــة والعـــدل .(٦)

---

(١) زيادة الواو من ط .

(٢) في ط " على أقوالـه " .

(٣) في ط " ولم يكتبوه " .

(٤) انظر : تفسير الطبرى ١٤٧/٣ ـ ١٤٨ ، و تفسير القرطبي ٤٢٢/٣

(٥) هو الحسن بن مسلم بن يَنّاق ـ بفتح الياء و تشديد النون وآخره قاف ـ المكـــي ، ثقـة ، من الخامسـة ، مات بعد المائة بقليل .

انظر : التقريـــب ص ١٦٤

(٦) انظر : تفسير الثعـــلبي ٢١٣/٢

الآيـــة : ٢٨٤

و قيل في تأويل الآيـة : انهـا ورد ت فيما يؤاخـذ بـه العبد فيما بينه و بين الله تعالى .

و تأويل قوله صلى الله عليه و سلم : " ان الله تجاوز لأمتي ما حـدّ ثت بـه أنفسهـــا ، ما لم[1] يعملوا أو يتكلموا بـه " .[2] انما ورد فيما يلزم العبد من أحكام الد نيـا ، فلا يقع عتقه ولا طلاقه ولا بيعه و لا هبته بالنيـة ما لم يتكلم .[3] ومن نظائر هـذه الآيـة : (وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) .

و قولـه تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .[4] (١٢٤/أ)

و يد ل على ذ لك : أن من أحب ما يبغضـه اللـه أو أبغض ما يحبـه الله كان معاقبا عـلى ذ لك وان لم يعمـل الا بقلبـه .

و قال بـعضهم : ان الاخفاء في هـذ ه الآيـة أن يضمر على السوء و يهم بـه ثم لا يصل اليـه و لا يتمكـن منـه .

و هـذ ا القول حسن جـداً ، اختاره جماعـة من المفسرين .[5]

---

(١) في ط " مما لم يعملوا " .

(٢) تقـد م تخريجـه .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ٤٢٢/٣

وقال النووى : قال الامام المازرى رحمه اللـه : مذهب القاضي أبي بكر بن الطيـب : أن من عزم على المعصية بقلبـه ، ووطن نفسه عليها أثم في اعتقاد ه و عزمـه . ويحمل ما وقع في هٰذ ه الأحاد يث وأمثالها على أن ذ لك فيمن لم يوطن نفسه على المعصية ، وانما مرّ ذ لك بفكره من غير استقرار و يسمى هـذ ا همـاً ، ويفرق بين الهم والعزم . هـذ ا مذ هـب القاضـي أبي بكـر . و خالفـه كثير من الفقهـاء والمحـد ثين ، وأخـذ وا بظاهـر الحـد يث ...

انظر : شرح النووى على صحيح مسـلم ١٩٩/٢

(٤) النـور ١٩

(٥) انظر : تفسير الطبرى ١٥٠/٣ ـ ١٥١ ، و تفسير البغـوى ٢٧٢/١ وزاد المسير ٢٤٣/١ ، وتفسير القرطبي ٤٢١/٣ ـ ٤٢٢

الآيـــة : ٢٨٤ ، ٢٨٥

قولـه تعـالى (فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) .

رفعهما أبو جعفر ، وابن عامر ، والحسن ، وعاصم ، ويعقوب على الابتداء ، أي فهو يغفـر . ونصبهما ابن عباس على الصـرف ، وجزمهما الباقون [1] عطفا علـى (يحاسـبكم) .

وقـولـه تعـالى (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يعني من المغفرة والعقوبة .

(٢٨٥) قـولـه عـز وجـل (ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ) الآيـة .

وذلك أنه لما سبق في السورة ذكر أحكام كثيرة أثنى الله على من آمن بهـا وقبلهـا .

وقال عز من قائل (ءَامَنَ الرَّسُولُ) بجميع الأحكام التي أنزلها الله تعالى ، وكـذلك المؤمنون كلهم آمنوا بالله .

وقـولـه تعـالى (وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ) انما أتى بالملائكة ، لأن حيا من خزاعة كانوا يقولـون : الملائكة بنات الله . فقال صلى الله عليه وسلم والمؤمنون : ان الملائكة عباد الله . [2]

قـولـه تعـالى (وَكُتُبِهِۦ) قرأ ابن عباس وعكرمة والأعمش وحمزة والكسائي ، وخلـف " وكتابـه " بالألف . وقرأ الباقون " وكتبـه " بالجمع [3] ، وهو ظاهر ، كقولـه (وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ) . وللتوحيد وجهان :

أحدهما : أنهم أرادوا القرآن خاصة .

والثاني : أنهم أرادوا جميع الكتب ، كقول العرب : كثر الدرهم والدينار في أيدي الناس . يريدون الدراهم والدنانير ، يدل عليه قوله تعالى : (فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ) . [4]

---

(١) انظر : النشر ٢/٢٣٧
وانظر نسبة قراءة النصب لابن عباس في البحر المحيط ٢/٣٦٠

(٢) لم أجد من ذكر ذلك عند هذه الآية . وقد ذكره بعض المفسرين عند قوله تعالى (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ) . النحل ٥٧
انظر : تفسير البغوي ٣/٧٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/١١٦

(٣) انظر : النشر ٢/٢٣٧ ، والاتحاف ١/٤٦٢

(٤) البقـرة ٢١٣

الآيـــــة : ٢٨٥

وقـولـه تـعـالى (وَرُسُـلِهِ) قرأ الحسن " ورسْله " بسكون السين [١] ، لكثرة الحركات .

قـولـه تـعـالى (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُـلِهِ) أي لا نفعل كما فعل أهل الكتاب آمنـوا ببعض الرسل وكفروا ببعض .

وفي مصحف عبد الله " لا يفرقـون بين أحد من رسـله " . [٢]

وقرأ جرير بن عبد الله [٣] و [٤] سعيد بن جبير ، ويحيى بن يعمر ، ويعقـــــوب " لا يفـرق " بالياء [٥] ، بمعنى : لا يفرق الكـل .

ويجوز أن يكون خبرا عن الرسـول .

وقرأ الباقون بالنون [٦] على اضمار القول ، تقديره : قالوا لا نفرق .

كقولـه تـعالى (وَالْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُـلُونَ عَلَيْهِـم مِّن كُـلِّ بَـابٍ *سَـلَـٰمٌ عَلَيْـكُم) [٧] أي يقولون : سلام عليـكم .

قـولـه عـز وجـل (وَقَـالُـوا سَمِعْنَـا وَأَطَعْنَـا) أي سمعنا قولك وأطعنا أمرك .

وقيل : معنى (أَطَعْنَـا) : قبلنا ما سمعنا ، بخلاف ما قالت اليهود . [٨]

---

(١) انظر : مختصر الشواذ لابن خالويـه ص ١٨ ، والبحر المحيط ٣٦٥/٢

(٢) انظر : المصـدرين السابقين .

(٣) لعله جرير بن عبد الله بن جابر البجلي ، صحابي مشهور ، مات سنة إحدى وخمسين وقيل بعدهـــــا . انظر : التقريـب ص ١٣٩

(٤) في النسخ " بن سعيد " . ولم أجد أحدا بهذه النسبة ، واثبات " الـــواو " بدل " ابن " هو الموافق لما في المصادر .
انظر : تفسـير الثعـــلبي ٢١٤/٢

(٥) انظر : تفسير القرطبي ٤٢٩/٣ ، والبحر المحيط ٣٦٥/٢ ، والنشر ٢٣٧/٢

(٦) انظـر : المصـادر السابقـة .

(٧) الرعـــــد ٢٣ ـ ٢٤

(٨) حيث قالـوا : سمعنا وعصينا .

الآيـــة : ٢٨٥ ، ٢٨٦

وقـولـه تعـالى (غُفْـرَانَـكَ رَبَّنَـا وَإِلَيْـكَ الْمَصِـيرُ) أي اغفر غفرانـك يا ربنـا ·

وقيل معناه : نسألك غفرانـك / · فالأول مصـدر ، والثاني مفعول · (١٢٤ / ب)

وقـولـه تعـالى (وَإِلَيْـكَ الْمَصِـيرُ) أي نحـن مقرون بالبعـث ·

ومعنى قولـه (وَإِلَيْـكَ) : أي الى جزائك [١] ، وهـذا كما قـال عـز وجـل ـ حكايـة عـن ابراهيم عليه السلام ـ (إِنِّـي ذَاهِـبٌ إِلَىٰ رَبِّـي) [٢] : أي إلى حيث أمرني ربي ·

(٢٨٦) قـولـه عـز وجـل (لَا يُكَلِّفُ اللَّـهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) :

قرأ ابراهيم بن أبي عبلة " الا وَسِعهـا " بفتح الواو وكسر السين [٣] على الفعل ، يريد : الا وَسِعها أمـره ·

ومعنى الآيـة : لا يكلف الله نفسا فرضا من فروضها ، من صوم أو صلاة أو صدقـة أو غير ذلك من حديث النفس الا مقدار طاقتها ، كما قال صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصـين : " صل قائما ، فان لم تستطع فقاعـدا ، فان لم تستطع فعلى جنبك " [٤] تومـىء ايمـاء ·

قال قـوم : لو كلف الله العباد فوق وسعهم لكان ذلك له ، لأن الخلق خلقه والأمر أمـره ، ولكنه أخـبر أنه لا يفعـله ·

قـولـه تعـالى (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) يعني النفس لها جزاء ما عملـت من الخير والعمل الصالح ، أي لها أجره وثوابه ، وعليها وزر ما اكتسبت من المعصيـة والعمل السيء ، لا يؤاخـذ أحد بذنب أحـد [٥] ولا تزر وازرة وزر أخرى ·

---

(١) وإلى الوقوف بين يديك المرجع والمآب يوم الحساب ·

(٢) الصافات ٩٩ ، وفي ط ، م زيادة قوله تعالى " سيهدين " ·

(٣) انظر : مختصر الشواذ لابن خالويه ص ١٨ ، والبحر المحيط ٣٦٦/٢

(٤) أخرجه البخارى في أبواب تقصير الصلاة : باب إذا لم يطق قاعداً صلّى على جنب ·

(٥) في ط " آخر " ·

الآيـــــة : ٢٨٦

والفرق بين الكســـب والاكتســاب : أن الكسب فعل الإنسان لنفسه و لغيره .

والاكتساب : ما يفعله لنفسه خاصة .

وقيل : لا فرق بينهما في اللغـــة .(١) فعلى القول الأول وصف المسيء بالاكتساب ، لأن وزره لا يعدو ه ، و معصيته لا تضر غيره .

ووصف المحسن بالكسب لأن غيره يشاركه في ثوابه بالهد اية والشفاعـة .

قوله تعـالى (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) أى لا تعاقبنـا ان نسينـــا طاعتك أو أخطأنا في أمرك .(٢)

وقال الكلبي : ان جهلنا أو تعمدنا (٣) ، فذهب الى الخطأ الذى هو ضد الصـــواب لا ضـد القصـد . يقال : خطيء : اذا تعمـد . وأخطأ : اذا نسي .(٤) وقد يقـال : أخطـأ : اذا تعمـــد .

وقيـل : معنى الآيـة : ان تركنا أمرا أو اكتسبنا خطيئـــة .(٥)

---

(١) قال أبو حيان : الصحيح عند أهل اللغة أن الكسب والاكتساب واحد ، والقرآن ناطق بذلك ، قال الله تعالى (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) ، وقال (وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا) وقال (بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ) وقال (بِئْسَمَا اكْتَسَبُوا) .

البحر المحيط ٣٦٧/٢

(٢) قال ابن كثير : أى ان تركنا فرضا على جهة النسيان ، أو فعلنا حراما كذلك ، أو أخطأنا الصواب في العمل جهلا منا بوجهه الشرعي .

انظر : تفسير ابن كثير ٣٥٠/١

(٣) لم أجد ه عن الكلبي . وقد حكاه البغوى ، وأبو حيان عن عطاء .

انظر : تفسير البغوى ٢٧٤/١ ، والبحر المحيط ٣٦٨/٢

(٤) في ط ، م " سهى " .

(٥) هذا معنى قول الطبرى ، كما في تفسيره ١٥٥/٣

وقد أخرج نحوه عن ابن زيد .

الآيـــــة : ٢٨٦

والنسيـــان بمعنى الترك معروف في الكـــلام ، كما في قولـه تعالى : ﴿نَسُوا اللَّـــــهَ فَنَسِيَهُـــمْ﴾ (١) أي تركـوا ذكـر اللـه و أمـره فتركهـم في العَـذاب .

والمراد بالمؤاخذة و(٢) النسيان : سقوط الاثم في الآخرة ، فأما في حكم الدنيـــــا فلا يرتفع التكليف منـه اذا ذكره بعد النسيان ، كما قال صلى الله عليـــــه و سلم : " من نام عن صـــلاة أو نسيهـا فليصلهـا اذا ذكرهـا " . (٣)

وكذلك الخطـأ مرفوع الاثـم في الآخـــرة ، وهـو تأويل الخـبر المروى عن رسـول الله صلى الله عليـه و سـلم : " رفـع عـن أمـتي الخطـأ والنســيان وما استكرهـوا عليـه " . (٤)

فأمـا في أحـكام الدنيـا فيتعـلق بـه الحـكم ، لأن اللـه نـصّ على لـزوم قتـــــــل الخطأ في / ايجـاب الديـــة والكفـــارة . (١٢٥/أ)

قال الكلبي : كانت بنـو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما أمروا بـه أو أخطـأوا عجلت لهـــم العقوبـة ، فيحرم عليهم شيء من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب ، فأمر الله نبيـه صلى الله عليه و سلم والمؤمنين (٥) أن يسألوه ترك مؤاخذتهم . (٦)

---

(١) التوبـــــة ٦٧

(٢) في ط " في النسيان " .

(٣) أخرجه البخارى في كتاب مواقيت الصلاة : باب من نسي صلاة فليصل اذا ذكرها . و مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب قضاء الصلاة الفائتة . حديث ٦٨٤ من حديث أنس بن مالك .

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق : باب طلاق المكره والناسي . من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . ولفظه : " ان الله وضع عن أمتي الخطأ .... الخ " .
قال البوصيرى في الزوائد : اسناده صحيح ان سلم من الانقطاع ، والظاهر أنـــه منقطـع .
وقد صححه الألباني و بسط القول في تخريجه والكلام على طرقه وألفاظه ، كما فـــي ارواء الغليـــــل ١/١٢٣ ـ ١٢٤

(٥) في أ " والمؤمنون " . وهو خطأ ، والتصويب من ط ، م .

(٦) انظر : تفسير البغوى ١/٢٧٤ ، و تفسير الخازن ١/٣١٤

الآيـــة : ٢٨٦

وقال ابن زيـد : قولـه تعـالى ﴿إِن نَّسِينَا﴾ أي ان نسينا شيئا مما افترضته علينـــا ، أو أخطأنـا شيئـا مما حرّمتـــه علينا .(١)

قـولـه عـز وجـل ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَـا﴾ أي لا تحمل علينا ثقـلا . ويقال : عهـدا . كما حملتـه على بني اسرائيل(٢) بجـــرم منهم ، أمرتهـم(٣) بقتل بعضهم بعضا ، وحرّمت عليهم الطيّبات بظلمهم ، وكما كانـوا مأمورين بقطـع موضع النجاسـة من الثياب ، وكانوا مأمورين بأداء ربع أموالهم في الزكاة ، ونحو ذلك من الأمور التي كانت تثقل عليهم . ومنـه قـولـه تعـالى ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْـــرِي﴾(٤) أي عهـــدي .

قـولـه تعـالى ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ أي لا تحمّلنا ما يشق علينـــا من الأعمال . وهـذا كما يقال : لا أطيق كـلام فلان ، ولا أطيـق هـذا الأمـــــر : أي لا أجمـله الا بمشقـة . هـذا هـو معنى الآيـــة ، لأن الله تعالى لا يكلف أحـدا شيئـــا لا يكون ذلك في قدرتـه .

وقيل معناه : ما لا طاقـة لنـا بـه من العـذاب .(٥)

وقيل : هـو حـديث النفـس والوسوســـة .(٦)

---

(١) أخرجـه الطبرى في تفســيره ٣/١٥٥

(٢) أخرج نحوه الطبرى في تفسيره ٣/١٥٧ ــ ١٥٨ عن قتادة ، والسدى ، وابن جريـج والربيع بن أنس .
وذكره البغوى في تفسيره ١/٢٧٤ وقال : وهـذا معنى قول عثمان ، وعطـــاء ، ومالك بن أنس ، وأبي عبيدة ، وجماعـــة .

(٣) في أ " أمر بهم " . والتصويب من ط .

(٤) آل عمـــران ٨١

(٥) انظر : زاد المسير ١/٣٤٨ ، والبحر المحيط ٢/٣٦٩

(٦) انظر : المصدرين السابقين ، وتفسير البغوى ١/٢٧٥

الآيـــــة : ٢٨٦

و عن مكحـول : أنـه الـغلمـة .[١] و عن بعضهم أنه كان يقول : اللهم أعذ ني واخوتـي مـن شـر الـغلمـة ، فانـها ربما جـرت الى جهنم .[٢]

وقال [ابن] [٣] عبد الوهاب : يعني العشـق .[٤]

و عن ابراهيم في قوله تعالى (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) قال : يعـني الحـب .[٥]

قال بعضهم : حضرت ذا النون المصـري [٦] في مجلس له ، فتكلم ذلك اليوم في محبـة الله عز وجـل ، فمات أحـد عشر نفساً في المجلس ، فصاح رجل من المريد ين فقـال : ذكرت محبـة اللـه ، فاذكر محبـة المخلوقـين .

فتـأوه ذ و النـون تأوهـا شـد يـدا و شـق قميصـه نصفين ، وقال : آه ، غلقت رهونهم

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ـ فيما ذكره ابن كثير و السيوطي ـ .
انظر : تفسير ابن كثير ٣٥١/١ ، و الد ر المنثور ١٣٦/٢
وأخرج مثله الطبرى عن سالم بن شابور . تفسير الطبرى ٣ / ١٥٨

(٢) حكي نحوه عن أبي الد رداء .
انظر : تفسير القرطبي ٤٣٣/٣ ، والبحر المحيط ٣٦٩/٢
والـغلمـة : هي هيجان شهوة الجماع من الرجل والمرأة .

(٣) ما بين المعقوفتين من ط ، م .
واسمه محمد بن عبد الوهاب ، كما في المصاد ر .
ولعله شيخ المعتزلة أبو علي الجبائي . قال ابن كثير : له تفسير حافل مطـول ، له فيه اختيارات غريبـة في التفسير .
وقد ذكره ابن كثير في وفيات سنة ثلاث و ثلاثمائة ـ كما في البد اية والنهايـة ١٣٤/١١

(٤) انظر : تفسير البغوى ٢٧٥/١ ، والبحر المحيط ٣٦٩/٢

(٥) حكي عن ابراهيم النخعي . انظر : المصد رين السابقين ، و زاد المسير ٣٤٧/١

(٦) هو ثوبان بن ابراهيم ، وقيل : فيض بن أحمد ، وقيل : فيض بن ابراهيم . النوبي الاخميمي ، يكنى أبا الفيض ، روى عن مالك والليث و فضيل بن عياض و سفيان بن عيينة ، وكان واعظاً عالماً فصيحاً حكيماً ، مات سنة ٢٤٥ هـ .
انظر : سير أعـلام النبـلاء ٥٣٢/١١ ـ ٥٣٦

الآيـــــة : ٢٨٦

واستعبرت عيونهـم ، وحالفـوا[١] السهاد[٢] ، وفارقوا الرقـاد ، فليلهم طويـــل ، ونومهم قليـل ، أحزانهم لا تنفـــد ، وهمومهم لا تفقـد ، باكيـة عيونهم ، قريحـــة جفونهـــم .[٣]

وقال يحيى بن معاذ : لو كانت العقوبة بيد ى يوم القيامة لما عذبت العشـــاق ، لأن ذ نوبهم اضطـرار لا اختيار .[٤]

و قال بعضهم : (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) يعني شماتة الأعداء .[٥]

قال الشاعـــــر :

كُلُّ المَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى ٠٠ فَتَهُونُ غَيْرَ شَمَاتَةِ الْحُسَّادِ

إِنَّ المَصَائِبَ تَنْقَضِي أَيَّامُهَـــــا ٠٠ وَشَمَاتَةُ الْحُسَّادِ بِالْمِرْصَادِ[٦]

وقيل : هو الفرقة و القطيعة ٠ نعوذ بالله العظيم منهما .[٧] يقال : قطع الأوصـــال أيسر من قطع الوصال ٠

---

(١) في أ ، م " وخالفوا " ٠ والتصويب من ط ٠

(٢) في أ " الشهاد " ٠ والتصويب من ط ، م ٠ .

(٣) لم أجد ه ، وهو من حكايات الصوفية و شطحاتهم المبنية على الغرابة والنكـــارة والمبالغـــة ٠

(٤) ذكره ابن القيم في روضة المحبين ص ١٥٩ ولم يسم قائله ٠

(٥) انظر : تفسير البغوى ٢٧٥/١ ، والبحر المحيط ٣٦٩/٢

(٦) ذكر ابن عبد البر البيت الأول في بهجة المجالس ٧٤٨/٢ و نسبه لعبد الله بـــن أبي عيينـــة ٠

أما البيت الثاني فلم اهتد اليه ، ويبد و أنه لقائل البيت الأول لاتحاد ه معه فـي الموضوع والقافيـــة ٠

(٧) انظر : تفسير البغوى ٢٧٥/١ ، والبحر المحيط ٣٦٩/٢

قال أبو حيان : ينبغي أن تحمل هذ ه التفاسير على أنها على سبيل التمثيـــل ، لا على سبيل تخصيص العموم ، وما في قوله (ما لا طاقة لنا بـه) عام ٠٠

انظر : البحر المحيط ٣٦٩/٢

وقال ابن كثير في تفسير الآية : قوله (ربنا و لا تحملنا ما لا طاقة لنا به) : أى مـن التكليف والمصائب والبلاء ، لا تبتلـنا بما لا قبل لنا بـه ٠

تفسير ابن كثـــير ٣٥١/١

الآيـــــة : ٢٨٦

قولـه تعـالى (وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا) أي تجاوز عنا تقصيرنا و ذنوبنـــا ، و لا / تفضحنا وارحمنـــا ، فاننا لا ننال العمل بطاعتك الا بمعونتك ، و لا نـــــترك (١٢٥/ب) المعصية الا برحمتـــــك .

و قيل : معنى (وَاعْفُ عَنَّا) : أي اترك عنا العقوبـة . و معنى العفو : الـترك .

وقـولـه تعـالى (وَاغْفِرْ لَنَا) أي استر لنا ذنوبنا وعيوبنـــا .

(وَارْحَمْنَـا) أي أنعم علينـا بالجنـة و الثـواب .

وقيل معنى الآيـة : و اعف عنـا من المسخ ، واغفر لنا من الخسف ، وارحمنـا من الغـرق . أي لا تفعل بنا ما فعلت ببعض من تقد منّا من الأمم .

وقيل [معناه] (١) : و اعف عنا الصغائـر ، و اغفر لنا الكبائر ، وارحمنا بتثقيـــل المـــيزان .

و قيل معناه : واعف عنا في سكرات الموت ، و اغفر لنـا في ظلمة القبور ، وارحمنـا في أهـوال القيامـة . (٢)

قـولـه تعـالى (أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)

أي أنت ولينـا و ناصرنا [و متولي أمورنـا] (٣) فانصرنا على القوم الكافرين : أي [أعنا] (٤) عليهم في اقامـة الحجة واظهار الدين كما وعدتنـــا .

روى عن عبد الله بن عباس : أن النبي صلى الله عليه و سلم لما قال (غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) قال : قد غفرت لكم . فلما قال (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَـــا) قال : لا أؤاخذكم . فلما قرأ (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِيـــنَ

---

(١) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٢) ذكر تلك الأقوال أبو حيان في البحر المحيط ٢/٣٧٠ ولم يسم قائليها . ثم تعقبها بقوله : وكل هذه الأقوال تخصيصات لا دليل عليها .

(٣) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

(٤) ما بين المعقوفتين من ط ، م .

الآيـــة : ٢٨٦

مـن قبلنـــا) قال : لا أحمـل عليـكم . فلمـا قـرأ (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَـا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِـهِ) قال : لا أحمـلكم . فلمـا قـال (وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَـا فَانْصُرْنَـا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) قال : قـد عفـوت عنـكم و غفـرت لكـم ورحمتـــــكم ونصرتكم على القـوم الكافرين . (١)

وكان معاذ بن جبل اذا ختم هذه السورة قال : آمـــين . (٢)

و عن الحسن ، و الضحاك ، و مجاهـد ، و جماعـة من المفسريـن : أن قولـه تعـــــالى (ءَامَنَ الرَّسُولُ) الى آخر السورة كان في قصة المعراج ، قالوا : لما انتهى النـــــبي صلى الله عليه و سلم الى سدرة المنتهى قال له جبريـل : انـي لم أجاوز هذا المكـــان ، و لم يؤمر بالمجـاوزة أحـد غيرك ، فامض أنـت .

قال النبي صلى الله عليه و سلم : " فمضيت حتى انتهيت الى ما أراد الله تعـــالـى ، فأشار جبريل عليه السلام : أن سلّم على ربـك . فقلت : التحيات للـه والصلوات والطيبات . فقال عز وجل : السلام عليـك أيهـا النـبي ورحمـة اللـه وبركاتـه " . قال النبي صلى اللـه عليـه وسلم : " فأحببـت أن يكون لأمـتي حـظ في السلام ، فقلت : السلام علينـــا و على عباد الله الصالحـين . فقال جبريل و أهـل السموات كلهم : أشهـد أن لا اله الا اللـه وأشهـد أن محمـدا عبـده ورسـوله " فقال الله تعالى (ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ) فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يشرك أمتـه في الكرامـة والفضيـلة ، فقال صلى الله عليه و سلم : " والمؤمنـون / كـل آمـن باللـه وملائكتـه وكتبـــــه (١٢٦/أ) ورســـله " . الآيـــة .

---

(١) أخرجـه الطـبرى في تفسـيره ١٥٩/٣ ـ ١٦١

وكـذا البغـوى في تفسـيره ٢٧٥/١

(٢) أخرجـه الطـبرى في تفسـيره ١٦١/٣

الآيـــة : ٢٨٦

قال الله تعالى (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) الآيـة .

فقال جبريل عليه السـلام ـ عند ذلك للنبي صلى الله عليه و سلم ـ : سـل تعـط . فقال صلى الله عليه و سلم : " ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا " إلى آخر السورة ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه و سلم أوحى الله تعالى إليه بهذه الآيات ليعلم أمته بذلك ، و يعلمهم كيف يد عون الله تعالى .(١)

وقد تقدم فضل السورة .

وَاللَّهُ الموفق

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره ٣/٤٢٥ ـ ٤٢٦ بأطول من السياق المذكور .

والله أعلم بصحته .

الفهـــــارس

١ ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة

١ ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــــة	رقمهـــا	الصفحـــة
٢ ـ سورة البقـــــرة		
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشـــاوة	٧	٣٠٥
ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات	٢٩	١٣٢
وأوفوا بعهـد ى أُوف بعهدكـم	٤٠	٣٤٧
واستعينـوا بالصبر والصلـوة	٤٥	٣٢٢
وإذ فرقنا بكم البحـــر	٥٠	١٩٣
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينـــا	٦٠	٢٤٩
ان اللـه يأمركم أن تذبحـوا بقـرة	٦٧	١٩٤
وقالـوا لـن تمسنـا النار الا أياما معـدودة	٨٠	٢٨١ ،٢٥٥
ولا تسفـكـون دمـــاءكـم	٨٤	٢٦٢
وكانـوا من قبـل يستفتحـون على الذين كفـــروا	٨٩	٢٥٤
يـود أحـدهم لـو يعمـر ألـف سـنة	٩٦	٧٨٦
ما يود الذين كفـروا من أهل الكتـاب ولا المشركـين	١٠٥	٦١٠
وقالوا لـن يدخـل الجنـة إلا من كان هـوداً أو نصـارى	١١١	٥٥٥ ، ٢٨١، ٣٨٤
بلى مـن أسـلم وجهـه لـلـه	١١٢	١١٠
إذ قال له ربـه أسـلم قـال أسلمت لرب العالمين	١٣١	٨٨
وقالوا كونـوا هـوداً أو نصـارى تهتـــدوا	١٣٥	١٨٤
أتحاجـونـنا فـي اللـه	١٣٩	٤٠١
كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية	١٨٠	٣٢٣
كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم	١٨٣	٥٨٤
أياماً معـدودات	١٨٤	٢٥٨
ولتكبروا الله على ما هـداكـم	١٨٥	٥٥١
وإذا سـألك عبادى عني فإني قريـب	١٨٦	٦١٤

الآيـــــــــة	رقمهـــا	الصفحـــة
يسألونـك عن الأهـــلة	١٨٩	٥٣٣ ، ٦١٣
وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم	١٩٠	٥٨٥
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيـه	١٩١	٥٨٥
وقاتلوهم حتى لا تكـون فتنـة	١٩٣	٥٠٩
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما عتدى عليكم	١٩٤	١٢١
فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية	١٩٦	٤٦٦
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين	٢١٣	٨٤٢
يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين	٢١٥	٦١٣
يسألونك عن الشهر الحـــرام	٢١٧	٦١٣
يسألونك عن الخمر والميسر ... ويسألونك ماذا ينفقون ...	٢١٩	٦١٣
ويسألونـك عـن اليتـامى	٢٢٠	٦١٤
ويسألونـك عن المحيـض	٢٢٢	٦١٤
والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء	٢٢٨	٥٢٩
إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله	٢٢٩	٤٥٨
فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره	٢٣٠	٦٦٠
وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به	٢٣١	٧٩٥
والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين	٢٣٣	٥٢٩
والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن ...	٢٣٤	٧٠٧
فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف	٢٣٤	٦٧٢
ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ...	٢٣٥	٣٦٧
والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً ...	٢٤٠	٦٨٥
وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم	٢٤٤	٦٤٣
وسع كرسيه السموات والأرض	٢٥٥	٣٣٥

الآيـــــــــة	رقمهـــا	الصفحـــة
يخرجهم من الظلمات الى النـــور	٢٥٧	١٠٦
مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله	٢٦١	٧١٩
والله يضاعف لمن يشـــاء	٢٦١	٥١٥
ولا تيمموا الخبيث منه تنفقـــون	٢٦٧	٥١٥
الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء	٢٦٨	٤٣٣
وما تنفقوا من خير يوف إليكم و أنتم لا تظلمون	٢٧٢	٤٥٥
فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف	٢٧٥	٤٥٨
واتقوا يوماً ترجعون فيه الى اللـــه	٢٨١	٨٢٠
ـــــــــــ(٣ ـ سورة آل عمران)ـــــــــــ		
والله عزيز ذ و انتقـــام	٤	٣٦٣
وما يعلم تأويـــله الا اللـــه	٧	٥٦٦
قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا	٤١	٦٨١
أتحد ثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم بـه عند ربكم	٦٦	٤٠١
وأخذ تم على ذ لكم إصري	٨١	٨٤٧
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون	٩٢	٧٨٧
كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه	٩٣	٢٤٠
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا	٩٧	٣٥٥
كنتم خـــير أمة أخرجت للنـــاس ...	١١٠	٣٨٩
يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا ...	١٥٦	٧١٧
فمن ذ ا الذ ى ينصـــــركم من بعـــده ...	١٦٠	١٩٤
هـــم د رجـــات عنـــد اللـــه	١٦٣	٤٤٧
الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم	١٧٣	٥٣٩
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء	١٨١	٧٢٠ ، ٧٢١

الآيـــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
ذلـك بما قـدمـت أيد يكـــم	١٨٢	٥١٣
وما الحياة الدنيـا الا متـاع الغـرور	١٨٥	٥٧٤
(٤ ـ سورة النســـاء)		
انـه كـان حـوبا كبـيرا	٢	٥٩٧
فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث و رباع	٣	٥٢٦
ان الذ ين يأ كلـون أموال اليتامى ظلما	١٠	٤٤٢ ، ٦٠٤
من بعد وصية يوصى بها أو د يـــن	١١	٤٥٥
ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولـــد	١٢	٧٠٧
وان أرد تم إستبد ال زوج مكان زوج	٢٠	٦٥٩
يا أيها الذ ين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى	٤٣	٥٩٥
وان كنتم مرضى أو على سفر	٤٣	٦٨٩
أم يحســـد ون النـــاس	٥٤	٥٣٩
ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا	٥٨	٧٩٦
ولو أنا كتبنـا عليهـم أن اقتـلوا أنفسـكم	٦٦	٤٣٨
قـل متـاع الد نيـا قليـل	٧٧	٥٧٤ ، ٧٩٤
أينما تكونوا يد رككـم المـوت	٧٨	٧١٥
ود وا لـو تكفـرون	٨٩	٧٨٦
واذ ا ضربتم في الأرض	١٠١	٨٠٢
ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم بـه بريئـا	١١٢	٧٩٥
و عـد الله حقـا ومن أصـد ق من اللـه قيـلا	١٢٢	١٨٧
فقالوا أرنـا اللـه جهـرة	١٥٣	٣٣٩
فبما نقضهم ميثاقهـم وكفـرهم بآيات اللـه ...	١٥٥	١٤٤
ما لهم بـه من علم الا اتباع الظـــن	١٥٧	١٥٥

الآيـــــــــة	رقمهـــا	الصفحـــة
والمقيمـــين الصـــلاة	١٦٢	٤٥١
يستفتونـك قـل اللـه يفتيـكم في الكلالـة	١٧٦	٨٢٠
ـــــــ(٥ ـ سورة المائـــدة)ـــــــ		
واذا حـللـتم فاصطـاد وا	٢	٤٩٣ ، ٨٢٣
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان	٢	٢٦٨
وما ذبـح عـلى النصـــب	٣	٣٨٨
اليوم أكملت لكم دينـــكم	٣	٤٨٣ ، ٨١٩ ، ٨٢٠
والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم	٥	٦٠٩ ، ٦١٠
ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا	١٢	١٧٠
وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه	١٨	٢٥٥ ، ٢٨١
قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله	٥٩	٣٧٧
يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ..	٩٠	٥٩٦
ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا	٩٣	٧٣٦
طعام مسكين أو عدل ذلك صياما	٩٥	١٧٩
هديا بالـغ الكعبـــة	٩٥	٣٤٨
ـــــــ(٦ ـ سورة الأنعـــام)ـــــــ		
ومنهم من يستمـع اليـك	٢٥	٢٢٢
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى	٣٥	٧٤٥
وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه	٣٨	٢٥٧ ، ٣١٢
اني برىء مما تشركون * اني وجهت وجهي	٧٨ـ٧٩	٣٦٨
وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه	٨٣	١٠١
وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنـــون	١٠٩	١٩٤
أومن كـان ميتـا فأحييناه	١٢٢	١٣١

الآيـــــــــة	رقمهـــا	الصفحـــة
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحســـن	١٥٢	٦٠٣
من جاء بالحسنة فله عشر أمثالهـــا	١٦٠	٧١٧ ، ٧٧٤
(٧ ـ سورة الأعـــراف)		
و ما منعك أن تسجـــد	١٢	٤١٦ ، ٧٢٨
حتى اذا ادّاركوا فيهـا جميعـــا	٣٨	٢٦٧
فهل وجدتم ما وعـد ربكم حقا قالـوا نعـم	٤٤	٢٦٠
ربنـا افتح بيننـا و بين قومنـا بالحـق	٨٩	٢٥٤
حـــتى عفـــوا	٩٥	٥٩٩
لفتحنـا عليهـم بركـات من الســـماء	٩٦	٢٥٣
ان هـذا لمكـر مكـرتمـوه في المدينـــة	١٢٣	٧٥٧
ود مـرنـا ما كان يصنـع فـرعـون و قومـه وما كانوا يعرشـون	١٣٧	٢٦٦
فـأتـوا على قـوم يعكفـون على أصـنام لهـم	١٣٨	٢٦٦ ، ٤٩٧
وواعـدنا موسى ثلاثين ليـلة وأتممناها بعشر	١٤٢	١٨٦
انـــا هـــدنـا اليـــك	١٥٦	٢١٧
ورحمـتي و سـعـت كـل شـــيء	١٥٦	٣٣٥
فانبجســـت منـه اثنتـا عشـــرة عينـا	١٦٠	٢١٠
اذ تأتيهـم حيتـانهـم يـوم سبتهـم شـرعـا	١٦٣	٢٢٨
ألـســت بربـكم قـالـوا بـلى	١٧٢	٢٦٠
يسألـونك عـن السـاعـة أيـان مرسـاهـا	١٨٧	٦١٤
وجعل منهـا زوجهـا ليسـكن اليهـا	١٨٩	٤٩٠
وتراهـم ينظـرون اليـك وهـم لا يبصـرون	١٩٨	١٢٨
خـذ العفـو وأمـر بالعـــرف	١٩٩	٤٥٢

الآيـــــــــــة	رقمهـــا	الصفحـــة
(٨ ـ سـورة الأنفـال)		
يسـألونـك عـن الأنفـــال	١	٦١٤
فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ...	١٧	٢٩٨
وما أنزلنا على عبد نا يوم الفرقان	٤١	١٩٢
واذ زين لهم الشيطان أعمالهم	٤٨	٥٧٤
الذ ين عاهد ت منهم ثم ينقضون عهد هم في كل مرة	٥٦	٢٩٣
وان جنحـوا للسـلم فاجنـح لهـا	٦١	٥٦٤
ان يكن منـكم عشرون صابرون يغلبـوا مائتين	٦٥	٣١٣
الآن خـفـف اللـه عنـكم	٦٦	٣١٣
وأولـوا الأرحـام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله	٧٥	٤٥٧
(٩ ـ سـورة التـوبـة)		
فاقتلوا المشركين حيث وجد تموهـم	٥	٥٠٧ ، ٥١٠ ، ٥٨٥ ، ٧٥٣
قاتلوا الذ ين لا يـؤمنون بالله ولا باليوم الآخر	٢٩	٥٨٥ ، ٥٨٩
حتى يعطوا الجزيـة عـن يـد وهـم صاغـرون	٢٩	٣٢٢
والذ ين يكنزون الذ هب والفضة ولا ينفقونهـا	٣٤	١٧٦
ما لكم اذ ا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض	٣٨	٢٦٧
الا تنفروا يعـذ بكم عـذ ابـا أليمـا	٣٩	٥١٦
فأتمـوا اليهم عهـد هـم الى مـد تهـم	٤٠	
والله ورسوله أحـق أن يرضـوه	٦٢	١٧٥
ويقبضـون أيـد يهـم	٦٧	٧٢٠
نسـوا اللـه فنسيهـم	٦٧	٣١٧ ، ٨٤٦
لقـد جـاءكم رسـول من أنفسـكم	١٢٨	٨٢٠

الآيـــــــــة	رقمهـــا	الصفحـــة
(١٠ ـ سـورة يـونـس)		
هؤلاء شفعاؤنا عنـد اللـه	١٨	٧٤٨
حتى اذا كنـتم في الفـلك وجرين بهـم	٢٢	٨٧ ، ٤٢٣
ومنهم من يستمعـون اليـك	٤٢	٢٢٣
أفأنـت تسمـع الصـم ولـوكـانـوا لا يعقـلون	٤٢	٢٩٠
أثـم اذا مـا وقـع آمنـتم بـه	٥١	٢٩٠
ويستنبئـونـك أحـق هـو	٥٣	٣٤٠
(١١ ـ سـورة هـود)		
بسـم اللـه مجراهـا	٤١	٧٩
وحـال بينهمـا الموج فكـان من المغرقـين	٤٣	١٥٧
ولمـا جـاءت رسلنا لوطـا سـيء بهـم	٧٧	١١٥
ويـا قـوم لا يجـرمنـكم شـقـاقي	٨٩	٣٧٧
واتخـذ تمـوه وراءكـم ظهـريـا	٩٢	٢٩٣
(١٢ ـ سـورة يـوسـف)		
والشمس والقمر رأيتهـم لي سـاجـديـن	٤	٤١٩
فأدلى دلـوه قـال يـا بشـرى هـذا غـلام	١٩	٥٠٠
وشـروه بثمـن بخس دراهـم معـدودة	٢٠	٢٥٨
دراهـم معـدودة	٢٠	٥٥١
وان كـان قميصـه قـد	٢٧	٧٨٦
وادكـر بعـد أمـة	٤٥	٥٧٨
الا أن يحـاط بكـم	٦٦	١٣٥
واسـأل القريـة الـتي كنـا فيهـا	٨٢	٤٤٦
يا أسـفى عـلى يوسـف	٨٤	٤١٠

الآيـــــــــة	رقمهـــا	الصفحـــة
اد خـلـوا مصـر ان شـاء اللـه آمنـين	٩٩	٢١٤
ورفـع أبويـه عـلى العـرش	١٠٠	٣٧٣
وخـروا لـه سـجـداً	١٠٠	١٥٦
ـــــــ(١٣ ـ سـورة الرعـد)ـــــــ		
وظلالهـم بالغـدو والآصـال	١٥	٣٣٦
ويـدرأون بالسـيئة الحسـنة	٢٢	٢٤٥
والملائكة يدخـلون عليهم من كل باب * سلام عليكم	٢٣ ـ ٢٤	٨٤٣
قـد خـلـت مـن قبلهـا أمـم	٣٠	٥٧٨
ولـو أن قـرآنـا سـيرت بـه الجبـال	٣١	٤٢٧
مثـل الجنـة الـتي وعـد المتقـون	٣٥	٥٨٠
فانمـا عليـك البـلاغ	٤٠	٣٤٠
ـــــــ(١٤ ـ سـورة ابراهـيم)ـــــــ		
ان اللـه وعـدكـم وعـد الحـق	٢٢	١٨٧
ـــــــ(١٥ ـ سـورة الحجـر)ـــــــ		
ومـا لـك ألا تكـون مـع السـاجـديـن	٣٢	٧٢٨
وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحـق	٨٥	٣٤٠
فـوربـك لنسـألنهـم أجمعـين	٩٢	٤٤٣
ـــــــ(١٦ ـ سـورة النحـل)ـــــــ		
واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين	٢٤	٦٠٢
وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا	٣٠	٦٠٢
هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك	٣٣	٥٦٧
يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله	٤٨	٣٣٦
عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون	٤٨	١٠٧

الآيـــــــــة	رقمهـــا	الصفحـــة
وما بكـم من نـعمـــة فمـن اللـــه	٥٣	١٨٩
ويجعلون للـــه البنـات سبحانه ولهم ما يشتهون	٥٧	٨٤٢
ومـا أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب	٧٧	٢٤٨
وأوفوا بـعهـد الله اذا عاهـدتم	٩١	٣٤٧
من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه ...	٩٧	٤٠٥
واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالـوا	١٠١	٣١٤
من كفـر باللـــه مـن بعـــد ايمانـــه	١٠٦	٥٦٠
ان ابراهـــيم كـان أمـــة	١٢٠	٥٣٩ ، ٥٧٨
وآتينـاه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين	١٢٢	٣٦٧
وجادلهـم بالـتي هـي أحســـن	١٢٥	٥٠٨
ـــــــــ(١٧ ـ سـورة الاسـراء)ـــــــــ		
ذريـة مـن حملـنا مـع نـــوح	٣	٢٦٦
وكل انسان ألزمناه طائره في عنقـــــه	١٣	١٧٣
ولا تقف ما ليس لك به علم	٣٦	٢٧٢ ، ٨٣٩
وقـل جاء الحـق وزهـق الباطل ...	٨١	٣٤٠
يســألـونـك عـــن الـروح	٨٥	٦١٤
وقالوا لـن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعـا	٩٠	٣١٨ ، ٣٣٩
أو تكون لك جنـــــة من نخيـل وعنـــب ...	٩١	٣١٨
وقـرآنـا فرقنـــاه	١٠٦	٤٧٢
قـل ادعـوا اللـه أو ادعـوا الرحمـــن	١١٠	٧٩
ـــــــــ(١٨ ـ سـورة الكهـف)ـــــــــ		
انا جعلنا ما على الأرض زينـة لهـــا	٧	٥٧٤
واذكـر ربك اذا نســيت	٢٤	٣١٦

الآيـــــــــــة	رقمهـــا	الصفحـــة
كلتا الجنتـــين آتت أكلهـــا ...	٣٣	١٧٦
الا ابليس كـان من الجـــن	٥٠	١٥٥
أفتتخـذ ونـه و ذ ريتـه أوليـاء مـن د ونـي	٥٠	٢٩٠
يســألـونـك عـن ذ ى القرنـــين	٨٣	٦١٤
ـــــــــــ(١٩ ـ ســورة مريـــم)ـــــــــــ		
ثـلاث ليـال ســويـا	١٠	٦٨١
ورفعنـــاه مكانـا عليـــا	٥٧	٧٤٤
هـل تعـلم لـه سميـــا	٦٥	٧٩
ونمـد لـه مـن العـذاب مـدا	٧٩	١٢٣
ـــــــــــ(٢٠ ـ ســورة طـــه)ـــــــــــ		
يخيـل اليـه من سحرهـم أنهـا تســعـى	٦٦	٢٩٨
ألـم يعدكم ربكـم وعـدا حســنا	٨٦	٢٦٥
يســألـونـك عـن الجبـــال	١٠٥	٦١٤
وخشعـــت الأصـــوات للرحمـــن	١٠٨	١٧٧
وعنـت الـوجـوه للحـي القيـــوم	١١١	٣٣٦
ولقـد عهـدنـا الى آدم مـن قبـــل فنســي	١١٥	٥٤٠
وأمـر أهـلك بالصـلاة واصطـبر عليهـا	١٣٢	١٧٤
والـعاقبـــة للتقـــوى	١٣٢	٤٤٧
ـــــــــــ(٢١ ـ ســورة الأنبيـاء)ـــــــــــ		
ونبلوكم يالشـــر والخـير فتنـــة	٣٥	١٨٢
ولقـد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً	٤٨	١٩٢
ـــــــــــ(٢٢ ـ ســورة الحـــج)ـــــــــــ		
ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد	١٠	١٧٣

الآيـــــــــة	رقمهـــا	الصفحـــة
علـى مـا رزقهـم من بهيمـة الأنعـام	٢٨	٥٥٠
ثم ليقضـوا تفثهـم	٢٩	٤٧٧
وليوفوا نذ ورهم و ليطوفـوا بالبيت العتيـق	٢٩	٤٧٧
أذ ن للذ ين يقاتلـون بأنهـم ظلمـوا	٣٩	٥٠٨
الا اذ ا تمـنى ألقـى الشيطـان في أمنيتـه	٥٢	٢٥٥
النـار و عـد ها اللـه الذ يـن كفـروا	٧٢	٧٩١
ان الذ ين تد عـون من د ون الله لن يخلقوا ذ بابـا	٧٣	١٤٣
ـــــــــ(٢٣ ـ سـورة المؤمنـون)ـــــــــ		
فمن ابتـغى وراء ذ لك فأولئـك هـم العـاد ون	٧	٢٧٩
تنبـت بالد هـــن	٢٠	٥١٣
وجعلنا ابن مريـــم وأمـــه آيـــة	٥٠	١٧٦ ، ٧٨٢
يا أيهـا الرسـل كلوا من الطيبـــات	٥١	٤٣٦
أيحسبون أنما نمد هـم به من مـال و بنـــين	٥٥	١٢٣
اد فـع بالتي هـي أحســن	٩٦	٧٥٣
قـال اخسـئوا فيهـا ولا تكلمـون	١٠٨	٢٢٩
ـــــــــ(٢٤ ـ سـورة النـور)ـــــــــ		
ان الذ ين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذ ين آمنـوا	١٩	٨٤١
ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى ...	٢٢	٦٣٢
لبعولتهن أو آبائهن و آباء بعولتهن	٣١	٢٤٨
من بيوتكم أو بيوت آبائكـــم	٦١	٤٢٢
ـــــــــ(٢٥ ـ سـورة الفرقـان)ـــــــــ		
وهو الذ ى جعل الليل و النهار خلفـــة	٦٢	٤٢٢
واذ ا مروا باللغـو مروا كـراما	٧٢	٦٣

الآيـــــــــة	رقمهـــا	الصفحـــة
(٢٦ ـ سـورة الشعـراء)		
ان نشأ ننزل عليهم من السماء آيـة	٤	٧٤٥
قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين	٢٠	٨٢٩
كلا * ان معي ربي سيهدين	٦١، ٦٢	١٨٣
أن اضرب بعصاك البحـر	٦٣	١٨٣
فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون	١١٩	٤٢٣
و تتخذ ون مصانع لعلكم تخلد ون	١٢٩	٢٤٦
فأخذهم عذاب يوم الظلة	١٨٩	٥٦٨
بلسان عربي مبين	١٩٥	٢٢٥
(٢٧ ـ سـورة النمـل)		
ثم بد ل حسنا بعد سوء	١١	٢٦٤
وأوتيت من كل شيء	٢٣	٧٦٩
انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم	٣٠	٧٩
(٢٨ ـ سـورة القصـص)		
وجد عليه أمة من الناس يسقون	٢٣	٥٧٨
اني لما أنزلت الي من خير فقير	٢٤	٤٥٥
واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه	٥٥	٦٣٨
كل شيء هالك الا وجهه	٨٨	٣٣٤
(٢٩ ـ سـورة العنكبـوت)		
أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون	٢	٥٨٠
ووصينا الانسان بوالد يه حسنا	٨	٢٦٤
ويلعن بعضكم بعضا	٢٥	٤٢٠
مثل الذ ين اتخذ وا من د ون الله أولياء كمثل العنكبوت ..	٤١	١٤٣

الآيـــــــــة	رقمهـــا	الصفحـــة
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين	٦٥	٤٢٦
(٣٠ ـ سورة الروم)		
وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله	٣٩	٣٣٤
(٣١ ـ سورة لقمان)		
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة	٢٨	٤٤٦
(٣٣ ـ سورة الأحزاب)		
واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح	٧	٢٩٠
قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم	١٦	٧١٥
ومن يقنت منكن لله ورسوله	٣١	١١٠ ، ٢٢٣
اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن	٤٩	٦٤٨
والذين يؤذون الله ورسوله	٥٧	١١١
ملعونين أين ما ثقفوا	٦١	٤٥١
لا تكونوا كالذين آذوا موسى	٦٩	٢٠٨
(٣٤ ـ سورة سبأ)		
وحيل بينهم وبين ما يشتهون	٥٤	١١٥
(٣٥ ـ سورة فاطر)		
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات	٨	٣٤٠
ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله	٣٠	٥٧٣
ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة	٤٥	٢٨٨
(٣٦ ـ سورة يس)		
انما تنذر من اتبع الذكر	١١	١٠٢
فعززنا بثالث	١٤	٣٦٤
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار	٣٧	١٨٨ ، ٤٢٣

الآيـــــــــــة	رقمهـــا	الصفحـــة
وآية لهم أنا حملنا ذ رياتهم في الفلك المشحون	٤١	٤٢٣
ـــــــــــ(٣٧ ـ سورة الصافـــات)ـــــــــــ		
ما لكم لا تناصـرون	٢٥	٢٦٨
كأنهـــن بيض مكنـون	٤٩	٦٨٨
طلعها كأنـه رؤوس الشياطين	٦٥	١٢١
اني ذ اهب الى ربي سيهد يـن	٩٩	٨٤٤
وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيـــد ون	١٤٧	١٣٠
ـــــــــــ(٣٨ ـ سـورة صٓ)ـــــــــــ		
و عـزني في الخطـــاب	٢٣	٣٦٣
هـذ ا عطـاؤنـا فامنن أو أمســك	٣٩	٧٧٥
ـــــــــــ(٣٩ ـ سـورة الزمـــر)ـــــــــــ		
ما نـعبد هم الا ليقربونا الى الله زلفـى	٣	٧٤٨
أمـن هـو قانت آناء الليـل	٩	٣٣٧ ، ٧٠٥
انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب	١٠	٤١١ ، ٧١٨
قرآنـا عربيـــا	٢٨	٢٢٥
انـك ميـت وانهـم ميتـــون	٣٠	٨٢٠
قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون	٦٤	٢٦٢
لئن أشركت ليحبطن عمـلك	٦٥	٣٤٢ ، ٣٩٥
وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين ...	٦٩	١١٥
وسيق الذ ين كفروا الى جهنم زمـرا	٧١	١١٥
ـــــــــــ(٤٠ ـ سـورة غافـــــر)ـــــــــــ		
لمـن الملك اليـــوم للـــه الواحـد القهـار	١٦	٨٤
وقال ربكم اد عـوني أستجب لكـم	٦٠	٤٨٦

الآيـــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
(٤١ ـ سـورة فصـلت)		
وقالوا قلوبنا في أكنـة مما تد عونـا اليـه	٥	٢٧٥
ائتيـا طـو عـا أوكـرهـا	١١	٣٣٨
(٤٢ ـ سـورة الشـورى)		
ليس كمثله شيء وهو السميع البصـير	١١	٣٦٣
لا حجـة بيننا وبينـكم	١٥	٤٠٠
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض	٢٧	٧٢٠
وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيد يكم	٣٠	٥١٣
وجـزاء سـيئـة سيئـة مثلهـا	٤٠	١٢١ ، ٣٧١
وكذ لك أوحينا اليـك روحـا من أمـرنـا	٥٢	٢٧٤
(٤٣ ـ سـورة الزخـرف)		
انا وجد نا آبا ءنـا على أمـة	٢٢	٥٧٨
ولولا أن يكـون النـاس أمـة واحـد ة	٣٣	٥٧٢
وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عند ك	٤٩	٢٩٨
فلمـا آسفونا انتقمنـا منهم	٥٥	١١١
الأخـلاء يومئذ بعضهم لبعض عـد و الا المتقين	٦٧	٧٤٦
(٤٤ ـ سـورة الدخـان)		
انا أنزلنـاه في ليـلة مباركـة	٣	٤٧٢
(٤٦ ـ سـورة الأحقـاف)		
وحملة وفصالـه ثلاثـون شهـرا ... وفصالـه في عامين	١٥	٦٧٩
تدمـر كـل شـيء	٢٥	٧٦٩
(٤٧ ـ سـورة محمـد)		
ويد خلهـم الجنـة عرفهـا لهـم	٦	٥٣٦

الآيـــــــــــة	رقمهـــا	الصفحـــة
فاعلم أنه لا اله الا الله	١٩	٣٦٨
فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم	٢١	١٢٥
فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون	٣٥	٥٦٤
ـــــــــ(٤٨ ـ سورة الفتح)ـــــــــ		
وعدكم الله مغانم كثيرة	٢٠	٤٨
والهدي معكوفا أن يبلغ محله	٢٥	٥٢٤
ـــــــــ(٤٩ ـ سورة الحجرات)ـــــــــ		
أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا	١٢	٧٨٥
يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى	١٣	٥٤٢
ـــــــــ(٥٠ ـ سورة قَ)ـــــــــ		
بل كذبوا بالحق لما جاءهم	٥	٣٤٠
فأنبتنا به جنات وحب الحصيد	٩	٤٦٧
ـــــــــ(٥٤ ـ سورة القمر)ـــــــــ		
ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر	١١	٤٢٥
تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر	٢٠	٢٤١
ـــــــــ(٥٥ ـ سورة الرحمن)ـــــــــ		
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان	٢٢	٢١٢ ، ٦٥٧
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام	٢٧	٣٣٤
ـــــــــ(٥٦ ـ سورة الواقعة)ـــــــــ		
فلا أقسم بمواقع النجوم	٧٥	٤٧٣
ـــــــــ(٥٧ ـ سورة الحديد)ـــــــــ		
ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله	١٦	١٧٧

الآيـــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
(٥٨ ـ سورة المجادلة)		
يوم يبعثهم الله جميعا	٦	٥٤٩
(٥٩ ـ سورة الحشر)		
فكان عاقبتهما أنهما في النار	١٧	٤٤٥
(٦١ ـ سورة الصف)		
و مبشرا برسول يأتي من بعد ى اسمه أحمد	٦	٣٦٤
(٦٢ ـ سورة الجمعة)		
فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ...	١٠	٨٢٣
واذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا اليها	١١	١٧٦
(٦٥ ـ سورة الطلاق)		
يا أيها النبي اذا طلقتم النساء	١	٣١٧
لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا	١	٦٥٢
وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ... واللائي يئسن	٤	٦٤٨ ، ٦٨٢
فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن	٦	٦٧٣
ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله	٧	٤٧٧ ، ٦٦٩
وأن الله قد أحاط بكل شيء علما	١٢	١٣٤
(٦٦ ـ سورة التحريم)		
عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن	٥	٣٥٠
(٦٧ ـ سورة الملك)		
ألم يأتكم نذير * قالوا بلى	٨، ٩	٢٦٠
فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا	٢٧	١١٥
(٦٩ ـ سورة الحاقة)		
اني ظننت أني ملاق حسابيه	٢٠	١٧٧

الآيـــــــــــة	رقمهـــا	الصفحـــة
ـــــــــــ(٧٠ ـ سـورة المعـارج)ـــــــــــ		
خاشعـة أبصارهـــم	٤٤	١٧٧
ـــــــــــ(٧١ ـ سـورة نـــوح)ـــــــــــ		
ويمـددكم بأمـوال وبنـــين	١٢	١٢٣
ـــــــــــ(٧٣ ـ سـورة المزمـل)ـــــــــــ		
أخـــذاً وبيـــلا	١٦	٧٨٠
السمـاء منفطـر بـه	١٨	١٣٢
وآخرون يضربون في الأرض	٢٠	٨٠٢
ـــــــــــ(٧٥ ـ سـورة القيامـــة)ـــــــــــ		
لا أقسـم بيوم القيامـــة	١	٤١٦
ـــــــــــ(٧٦ ـ سـورة الانســان)ـــــــــــ		
انما نطعمكم لوجـه الله	٩	٣٣٣
ولا تطـع منهـم آثمـا أوكفـورا	٢٤	٢٤٨ ، ٦٨٩
ـــــــــــ(٧٧ ـ سـورة المرسـلات)ـــــــــــ		
كأنـه جمـالـت صفـر	٣٣	٢٣٨
ـــــــــــ(٧٨ ـ سـورة النبـــأ)ـــــــــــ		
وجعلنـا الليـــل لباســا	١٠	٤٩٠
جـزاء من ربـك عطـاء حسـابا	٣٦	٥٧٣
ـــــــــــ(٧٩ ـ سـورة النـازعـات)ـــــــــــ		
قال أنا ربـكم الأعـــلى	٢٤	١٢٢
أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها	٢٧	١٤٦
والأرض بعد ذلك دحاهـا	٣٠	١٤٦
يسألونـك عـن الساعـة أيـان مرساهـا	٤٢	٦١٤
انما أنت منـذر من يخشـاها	٤٥	١٠٢

الآيـــــــــة	رقمهـا	الصفحـــة
ـــــــ(٨٠ ـ سـورة عبـــس)ـــــــ		
ثم اذا شـاء أنشـره	٢٢	٧٦٢
ـــــــ(٨١ ـ سـورة التكويـر)ـــــــ		
فـلا أقسـم بالخنـس	١٥	٣٠٢
ـــــــ(٨٢ ـ سـورة الانفطـار)ـــــــ		
اذا السمـاء انفطـرت	١	١٣٢
ـــــــ(٨٣ ـ سـورة المطففـين)ـــــــ		
ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكـون	٢٩	١٢٣
فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكـون	٣٤	١٢٣
ـــــــ(٨٤ ـ سـورة الانشـقاق)ـــــــ		
فبشرهم بعـذاب أليـم	٢٤	١٤٢
ـــــــ(٨٧ ـ سـورة الأعـلى)ـــــــ		
سنقـرئك فـلا تنسـى	٦	٣١٦
ـــــــ(٩٤ ـ سـورة الشـرح)ـــــــ		
ورفعنـا لـك ذكـرك	٤	٧٤٤
ـــــــ(٩٥ ـ سـورة التـين)ـــــــ		
فلهـم أجـر غـير ممنـون	٦	٧٧٥
ـــــــ(٩٦ ـ سـورة العـلـق)ـــــــ		
اقـرأ باسـم ربـك الـذى خلـق	١	٨٠
ـــــــ(٩٨ ـ سـورة البينـة)ـــــــ		
لم يكن الـذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين ...	١	٦١٠
ـــــــ(١٠٠ ـ سورة العاديـات)ـــــــ		
وانـه لحب الخير لشـديـد	٧	٤٥٥
ـــــــ(١٠٦ ـ سـورة قريـش)ـــــــ		
فليعبد وا رب هـذا البيـت	٣	٤٧٧

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة والآثار

الحـــديـــث	الصفحة
(حرف الهمـــزة)	
أبـوء بنعمتك علي وأبـوء بذنـبي	٢١٥
أترى هـذه الشمس ؟	٨٢٩
أتؤذيك هـوام رأسك ...	٥١٩
اتيان النساء في أعجازهن حرام	٦٢١
أتى رجل الى الرسول صلى الله عليه و سلم ببيضة من ذهب	٦٠٠
آجرك الله أما أنك لو أعطيتها بعض أخوالك كان أعظم لأجرك	٤٤٨
أحلت لنا ميتتان و دمان	٤٣٨
اخلعها ولو بقرطهـا (أثر)	٦٥٨
اذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليقل بسم الله اللهم جنبني الشيطان	٦٢٨
اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم	٤٩٦
اذا رأيت مثل الشمس فاشهد ، والا فدع	٨٣٣
اذا زالت الشمس سبح كل شيء لربنا	٧٠١
اذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها	٧٧٨
اذا قرأ ابن آدم السجدة و سجد اعتزل الشيطان يبكي	١٥٨
اذا كان أول ليلة من شهر رمضان نادى الجليل جلت قدرته و عظمتـه :	
يا رضوان نجـد جنـتي	٤٧٥
اذا كان يوم صوم أحـدكم فلا يرفـث	٥٣٠
اذا كان يوم عرفة غفر الله للحاج الخالص	٥٣٤
اذا مات العبد قالت الناس ما خلف	٣٢٣
اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة : أقبضتم ولد عبدى	٤٠٩
اذاً يجزيـك بـه الله الجنـة	٧٢٢
أرأيت لوكان على أبيك ديـن فقضيتـه	٥٤٨

الحـــديـــث	الصفحـة
اصبروا يا آل ياسر فان موعدكم الجنـة	٥٦٠
اعفـوا اللحـى	٥٩٩
اغزوا باسم الله و في سبيل الله	٥٠٨
أفتقولون كما قالت اليهود : سمعنا و عصينا ؟	٨٣٧
أفضل الصدقة على ذوى الرحم الكاشح	٤٤٨
افعلوا كل شيء الا الجمـاع	٦١٩
اكتب في آخر كتابهم : ...	٨١٢
ألا لا يحجن بعد هـذا العام مشرك	٣٣٠
الايمان أن تقول : آمنت بالله وكفرت بالجبت والطاغوت ، وعدك حق ..	٤٨٨
اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج	٥٤١
اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة	٥٤٨
أمرت أن آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها على فقرائكم	٨٠١
أمرنا بالسكوت و نهينا عن الكلام (أثـر)	٧٠٤
ان أبواب السماء وأبواب الجنة لتفتح أول ليلة من شهر رمضان	٤٧٥
ان أرواح الشهداء في أجواف طير خضر	٤٠٨
ان أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب	٦٩٩
أن تصدق وأنت صحيح شحيح	٤٤٧
أنت الله الأحـد الصمـد	٣٠٠
أنـتم حجـاج	٥٣٤
أنتم على عـدد أصحاب طالـوت	٧٣٧
ان التوراة أنزلت في اثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان	٤٧٤
ان الحجر ياقوتـة من ياقوت الجنـة	٣٥٨
ان رجلا قال : يا رسول الله عندى دينار . قال : أنفقه على نفسك	٦٠٠

الحـــديـــث	الصفحة
ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فاذا أوصى و حاف ...	٤٦٢
أن رسول الله صلى الله عليه و سلم عاد مريضا قد أضنى و نحل جسمه ...	٥٤٦
أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يد خل رأسه اليها فترجـــله وهو معتكف .... عن عائشة رضي الله عنها	٤٩٨
أن رسول الله صلى الله عليه و سلم وأصحابه خرجوا في العام الـــذ ى أراد وا فيه العمرة	٥٠٦
انـزع فاجـد ح لي مـاءً	٤٩٦
أنزل القرآن جملة واحد ة من اللوح المحفوظ في ليلة القد ر ...	٤٧٢
أنزلت صحف ابراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان	٤٧٣
ان عبد الله بن سلام د عا ابني أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام	٣٦٦
ان عبد الله بن سلام قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم ... كنـــت يا رسول الله أشد معرفة لك مني بابني . قال له : وكيف ذ لك ؟	٣٩٦
ان العبد ليد عوا الله تعالى وهو يحبه فيقول : يا جبريل اقض لعبد ى هـذ ا حاجتـه وأخرهـــا	٤٨٧
ان عمر جاء الى رسول الله صلى الله عليه و سلم وقال : بين لنـــــا أمر الخمـــر	٥٩٣
انـه قدم أغيلمـــة عبد المطلب بليل	٥٤١
ان الكافر يوقف يوم القيامة فيلعنه الله	٤٢٠
ان كان دماً عبيطاً فليتصد ق بد ينـار	٦١٥
ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فلا تمنع أختك من أبي البد اح	٦٧١
ان الله أمرني بهـــذ ا	٣٧٦
ان الله أوحى الي أن أنذ ر قومك ألا يد خلوا بيتا من بيوتي الا بقـــلوب سليمـــــة	٣٥٣

الحـــديـــث	الصفحـة
ان الله تجاوز لأمتي ما حد ثت بـه أنفسها	٨٣٨ ، ٨٤١
ان لله تعالى سرّاً في كتبه وان سره في القرآن الحروف المقطعة	٩٥
ان الله تعالى قال في بعض الكتب : أنا عند ظن عبد ى بي	٤٠٥
ان الله تعالى قد حولك الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذ ين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقد س ؟ فأنزل الله (وما كان الله ليضيـــع ايمانكـــم) .	٣٩١
ان الله تعالى قـد قبل منـك	٧٢١
ان الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد	٣٨٨
ان الله تعالى يحاسب العباد في قـد ر حلب شاة	٥٤٩
ان الله تعالى يقول لعبد ه يوم القيامـة : ...	٧٢٣
ان لله ثمانية عشر ألف عالم	٨٣
ان الله حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض	٣٥٦
ان الله رفيق يحب الرفق	٧٨
ان الله طيب لا يقبل الا الطيب	٤٣٦ ، ٧٨٧
ان الله عز وجل قال : لقد أعطيت عباد ى ما لو أعطيت جبريل و ميكائـل كنت قـد أجـزلت لهمـا	٤٠٦
ان لله في أموالكم حقـــــا	٧٨٨
ان لله في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة	٣٥٤
ان الله لا يستحي من الحق : لا تأتوا النساء في أد بارهن	٦٢٧
ان الله لم يجعل لمسخ نسلا و لا عقبا	٢٢٩
ان الله يحب أن يرى أثر نـعمته على عبد ه	٨٠٤
ان الله يقبل الصد قات ولا يقبل منهـا الا الطيبة	٨١١
انما أمرتم أن تـعتزلوا مجامعتهـن اذ ا حضن	٦١٢

الحديث	الصفحة
انما أنا بشر مثلكم ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض	٥٠٢
انما أنا دعوة أبي ابراهيم و بشرى أخي عيسى	٣٦٤
ان المغضوب عليهم اليهود ، وان الضالين النصارى	٨٩
ان من أبغض المباحات الى الله الطلاق	٦٦٤
انهكوا الشوارب و اعفوا اللحى	١٨٨
اني حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة	٣٥٦
اني عند الله لخاتم النبيين	٣٦٥
ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه و سلم اسمع الى كلامنا حتى نسمع الى كلامك ، فنهى الله عنه	٣١١
أول من اختتن ابراهيم عليه السلام بالقدوم	٣٧٩
أى الصلوات أفضل ؟ قال : طول القنوت	٧٠٤
أين التطليقة الثالثة ؟ قال :	٦٥٣
(حرف الباء)	
بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت	٧٧٣
بئس ما صنع صاحب الحشف	٧٨٩
بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي	٣٧٠
بكروا بالعصر يوم الغيم	٦٩٨
بينما أنا مضطجعة مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في الخميلة اذ حضت فانسللت منها وأخذت ثياب حيضي ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أنفست ؟	٦١٧
(حرف التاء)	
تحاج آدم و موسى	١٦٥
تسعة أعشار الرزق في التجارة	٧٩٠

الحديث	الصفحة
تفكر ساعة خير من عبادة سنة	٦٠٣
تعلمهما بركة وتركهما حسرة ولا يستطيعهما البطلة	٩٤
تعلموا البقرة وآل عمران فانهما يجيئان يوم القيامة كالغمامتين	٩٣
(حرف الثاء)	
ثلاث جدهن جد وهزلهن جد : ...	٦٦٧
ثلاثة يدعون فلا تستجاب لهم	٨٢٣
الثلث والثلث كثير	٤٦١
ثنتان من الله وثنتان من الشيطان (أثر)	٧٩٢
(حرف الجيم)	
جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن الايمان	٤٥١
جاء عبد الله بن رواحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان الله تعالى أنزل في أمر اليتامى ما أنزل من الشدة ، أفيصلح لنا يا رسول الله أن نخالطهم ؟	٦٠٤
جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا	٣٣٠
جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم	٣٥٣
(حرف الحاء)	
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر	٦٩٧
الحجاج والعمار وفد الله تعالى	٥٤٠
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات	٥٧٥
حق الضيافة ثلاث	٤٤٩
حلالها حساب وحرامها عذاب	٥٧٣
(حرف الخاء)	
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة عام الفتح في رمضان فصام	٤٨٢

الحـــديـــث	الصفحة
خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم عام الفتح صائما في رمضان	٤٧٨
خمس جد هن جد و هزلهن جد :	٦٦٧
الخير عشرة أجزاء	٧٨٩
ـــــــــــــــ(حـــرف الـــدال)ـــــــــــــــ	
د عا رسول الله صلى الله عليه و سلم اليهود والنصارى الى الأســـــلام ورغبهم فيـــه	٤٣٤
د عي الصلاة أيام أقرائـك	٢٥٨
ـــــــــــــــ(حـــرف الـــذال)ـــــــــــــــ	
الذ ى يشرب في آنية الذ هب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم	٤٤٣
ـــــــــــــــ(حـــرف الـــراء)ـــــــــــــــ	
رأيت على باب الجنة مكتوبا : القرض بثمانية عشر	٧٢٤
الربا بضع و سبعون بابا أد ناها كاتيان الرجل أمـــه	٨١٠
ربنا لا تؤاخـذ نا ان نسينا أو أخطأنا	٨٥٢
الرحمن : الباطف على جميع خلقه باد رار الرزق عليهم	٧٧
رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه	٨٤٦
الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنـة	٣٥٢
روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قد م ضعفة أهله بليل	٥٤١
ـــــــــــــــ(حـــرف الســـين)ـــــــــــــــ	
سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ذ لك : فأنزل الله هذ ه الآية ..	٥٩٣
سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله	٧٩٧
سيأتي على الناس زمان لا يبقى أحـد الا أكل الربا	٨٠٩
ـــــــــــــــ(حـــرف الشـــين)ـــــــــــــــ	
شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر	٦٩٧

الحـــديـــث	الصفحة
(حـــرف الصـــاد)	
الصائم في السفر كالمفطر في الحضر	٤٧٩
صـدقـة السـر تطـفـى ء غضب الرب	٧٩٦
الصلاة الوسطى هي صلاة العصر	٦٩٥
صل قائما ٠ فان لم تستطع فقاعـــدا	٨٤٤
(حـــرف الطـــاء)	
الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني اسرائيل	٢٠٥
طفىء ســراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انا لله وانا اليـــه راجعـــون	٤١٠
طلقـوا المـرأة في قبـل طهرهـا	٦٦٨
(حـــرف العـــين)	
عجب المشركون وقالوا : ان محمدا يقول : ان الهكم اله واحد فليأتنـــا بآية ان كان من الصادقين ٠ فأنزل الله تعالى (ان في خـــلق السموات والأرض ٠٠٠)	٤٢٢
عشـــــر من الفطـرة	٣٤٥
علمني رسول الله صلى الله عليه و سلمُ الصلاة والصيام فقال : صـــــل كـذا وكـذا ، وصـم كـذا وكـذا	٤٩٥
عـم الرجـل صـنـو أبيـــه	٣٧٢
عمل الرجل بيده ، وكل عمل مبرور	٧٩٠
عـورة سترهـا اللـه ، ومـؤنـة كفاهـا اللـه (أثـر)	١٧٤
(حـــرف الفـــاء)	
فاتحة الكتاب رقيـة من كل شيء الا السام وهو الموت	٩٢
فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم باراقـة الخمـــر	٥٩٦

الحديث	الصفحة
فطام الولد من اللبن د ون حولين (أثر)	٦٧٧
فمضيت حتى انتهيت الى ما أراد الله تعالى	٨٥١
فيهما جميعا	٦٨٣
(حرف القاف)	
قال : أصبتما الخير وأفلحتما	٣٢٠
قالت الأنصار : ان السعي من أمر الجاهلية ، فأنزل الله تعالى هذه الآية (ان الصفا والمروة من شعائر الله)	٤١٣
قال عمر رضي الله عنه : وافقني ربي في ثلاث (أثر)	٣٥٠
قال عمرو : يا رسول الله بماذا نتصدق ... (أثر)	٥٨١
قال موسى : يا رب كيف استطاع آدم أن يؤدي شكر ما أجريت عليه من نعمك	١٩٠
قل للظلمة لا يدعوني	٤٨٦
(حرف الكاف)	
كانت احداكن تجلس في أحلاس بيتها حولا لا تخرج	٧٠٩
كان بنو اسرائيل يغتسلون عراة	٢٠٩
كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعوني فآكل معه وأنا عارك	٦١٨
كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلي على راحلته في السفر أينما توجهت به	٣٣٢
كان منادي رسول الله صلى الله عليه و سلم ينادي في اليوم والليلة وقت الصلاة	٥٩٣
كان الناس أمة واحدة على الحق .. (أثر)	٥٧٦
كان النبي صلى الله عليه و سلم اذا رأى سهيلا ، قال : لعن الله سهيلا ...	٣٠١

الحـــديـــث	الصفحة
كان النبي صلى الله عليه و سلم اذا هاجت الريح يقول : اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا	٤٢٥
كان النبي صلى الله عليه و سلم يصلي بمكة الى الكعبة	٣٨٦
كان هذا الحي من الأنصار مع أهل هذا الحي من اليهود ... (أثر)	٦٢٤
كذب أبو السنابل	٦٨٤
كذبت اليهود	٦٢٣
كره رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يدخل أرضا فيها طاعون	٧١٧
كل أيمان الرماة لغو	٦٣٧
كل قنوت في القرآن فهو الطاعة	٧٠٣
كل مولود يولد على الفطرة ...	٣٨٠
كل واحد من الفريقين يعتقد أنه لو عاش أبدا عمل ذلك العمل	١٤٢
كم من نخلة مدل عروقها في الجنة لأبي الدحداحة	٧٢١
كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في سفر فمنا الصائم ومنا المفطر	٤٨٠
كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلا	٣٣١
كنا نكره الطواف بين الصفا والمروة	٤١٢
كنت أخشى العذاب على أمتك فلما نزلت الفاتحة أمنت	٩٢
كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه و سلم في اناء واحد ونحن جنبان	٦١٨
كنت خير شريك لا تداري ولا تماري	٢٤٤
(حرف اللام)	
لا أصدقك الآن	٦٦٣
لا أعافي رجلا قتل بعد أخذ الدية	٤٥٣

الحـــديـــث	الصفحة
لا الـه الا أنت المنان بد يع السموات والأرض	٣٠٠
لا تجوز شهادة خـائن ولا خائنـة	٨٢٨
لا تقولوا رمضان ، انسبوه كما نسبه الله عز وجل في القرآن فقـــال (شهر رمضـان)	٤٧٢
لا ، حتى تذ وقي من عسيلته و يذ وق من عسيلتك	٦٦٢
لا و صية لـوارث	٤٥٥ ، ٧٠٧
لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال	٧١٠
لا يصح لبشر أن يسجد لبشر	٦٥١
لا يمين في غضب	٦٣٥
لا ينظر الله الى رجل أتى رجلا أو امرأة في د برها	٦٢٧
لقد هممت أن أحرق على قوم لا يشهد ون الصلاة بيوتهم	٧٠١
لكل آية ظهر و بطـن	٧٧١
لكل شيء سـنام ، و سنام القرآن سورة البقرة	٩٣
للسائل حق وان جاء على ظهر فرس	٤٤٩
لما انتهى النبي صلى الله عليه و سلم الى قوله تعالى (وما أوتي موسـى و عيسى) قالت النصارى له : نؤمن بموسى و عيسى ولا نؤمن بك ، فأنزل الله تعالى (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منـــا الا أن آمنا بالله ...)	٣٧٧
لما كان في زمن الحد يبية أهل رسول الله صلى الله عليه و سلم بالعمرة	٥٠٤
لما نزلت هذ ه الآية ترك بعض الناس الخمر ... (أثـر)	٥٩٥
لو اختلعت بكل شيء لها لأخـذ تـه (أثـر)	٦٥٨
لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضـة	٥٧٢
لو قالوا ذ لك ما بقي على وجه الأرض يهود ى الا مات	٢٨٢

الحـــديـــث	الصفحة
لولا بنـو اسرائيل لم يخبث الطعـــام	٢٠١
ليت شعرى ما فعل بأبـــوى	٣٤١
ليس من البر أن تصوموا في السفر	٤٨١
ليس من البر الصيام في السفر	٤٧٩
(حـــرف المـــيم)	
ما رأيت قوما خيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ما ســألـوه	
الا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض كلهن في القرآن .. (أثـر)	٦١٣
ما كنـت جـد يـرا بذ لك يا عمـــر	٤٨٩
ما لك لعلك نفست	٦١٧
ما من خطيئة أ عظم عند الله عز وجل بـعد الكبائر	٨١٨
ما من رجل يأخذ بيد امرأتـه يراود ها الا كتب الله له حسنة	٤٩٣
ما من مسلم د عا الله بد عوة ليس فيها قطيعة رحم ولا اثم الا أعطـــاه	
الله بها احد ى ثلاث خصـال	٤٨٥
المان بما يعطي لا يكلمـه الله يوم القيامـة ولا ينظر اليه ولا يزكيـــه	٧٧٦
ما هكذا أمرك ربك ، انما أمرك أن تستقبل الطهر استقبالا	٦٥٢
ما يضر عثمان ماذا عمل بـعد اليوم	٧٧٦
المتحد ث بنـعم الله شاكـر و تاركهـا كافـــر	١٦٨
مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم	٧٠٥
المستحاضة تـد ع الصلاة أيام أقرائها	٦٤٧
المسر بالقرآن كالمسر بالصد قـة	٧٩٨
ملـعون من أتى المرأة في د برهـا	٦٢٦ ، ٦٢٨
ملـعون من ضـار مسلمـا أوماكـــره	٦٦٦
ملك من ملائكـة الله عز وجـل موكـل بالسحـــاب	١٣٤

الحـــديـــث	الصفحة
مـن أتـى حائضا أو أمرأة في د بـرهـا	٦٢٨
من أحب أن تستجاب د عـوتـه	٨١٦
من ادان د ينا وهو ينوى أن لا يؤد يـه فهو سارق	٨١٧
من ارتبط فرسا في سبيل الله فأنفق عليه احتسابا	٨٠٦
من أرسل نفقته في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل د رهم سبعمائة د رهم	٥١٥
من استذ ل مؤمنـا أو مؤمنـة	٥٧١
من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتـه	٤١٠
من استغنى أغنـاه الله ومن استعف أعفـه اللـه	٨٠٣
من أطاع الله فقد ذكر الله وان قل صيامـه و صلاتـه	٤٠٤
من اعتكف عشرا في رمضان كان كحجتين و عمرتين	٤٩٨
من أقرض أخاه المسلم	٧٢٤
من أنظر معسرا كان له بكل يوم صد قـة	٨١٦
من تزوج فقد أحرز نصف د ينـه	٤٩١
من حاف في وصيته ألقي في اللـواء	٤٦١
من حلف على يمين فرأى أن غيرها خيرا منـها فليأت الذ ى هو خير ..	٦٣٠
من سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامـة كد وحـا	٨٠٤
من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة	٧٠٠
من طلق لا عبا أو أعتق فقد جاز عليـه	٦٦٦
من فاتته صلاة العصر فكأنمـا و تـر أهلـه و مالـه	٦٩٨
من فتح له أبواب في الد عاء فتح له أبواب الاجابـة	٤٨٦
من قرأ آية الكرسي في د بر كل صلاة مكتوبـة	٧٥٢
من قرأ سورة البقرة و آل عمران جعل الله له يـوم القيامـة جناحـان يطير بـهما على الصراط كالـبرق	٩٤

الحديث	الصفحة
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه	٤٤٩
من لبس نعلا صفراء قل همه	٢٣٩
من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار الا تحلة القسم	٦٢٩
من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق	٥١٦
من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها	٨٤٦
من نذر فيما لا يملك فلا نذر له	٦٣٦
من نوقش الحساب عذب	٥٧٣
من وطىء امرأته وهي حائض فقضي بينهما ولد فأصابه جذام فلا يلومن الا نفسه	٦١٥
مه يا معاذ ، كذب اليهود والنصارى	١٥٦
ـــــــــــــ(حرف النون)ـــــــــــــ	
نحن أمة لا نحسب ولا نكتب	٤٦٦
نزلت هذه الآية في نفر من الصحابة	٣٣١
نوم الصائم عبادة	٤٧٦
ـــــــــــــ(حرف الهاء)ـــــــــــــ	
هدية الله للمؤمن السائل على بابه	٤٤٩
هذا بقية آبائي	٣٧٢
هذه الفجر ، وهذه الظهر ، وهذه المغرب ، وهذه العشاء	٦٩٧
هكذا نزلت	٨٣٧
هل عليه دين ؟	٨١٧
هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر	٧٨
هو الطهور ماؤه الحل ميتته	٥٨٢

الحديث	الصفحة
هو واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا	٢٥٧
هي التي فرط فيها سليمان	٦٩٥
هي رخصة من الله تعالى	٤٨٠
هي سبحانك لا اله الا أنت و بحمدك	١٦٤
(حرف الواو)	
والذي نفس محمد بيده لو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت ...	٢٣٣
وأيم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم الى آخر الأبد	٢٤٢
وأين خوف المطلع ، وأين ضيق القبر و ظلمة اللحد ؟	٨٢٠
وقف النبي صلى الله عليه و سلم في أمر الغنيمة . فأنزل الله تعالى هذه الآية ...	٥٨٧
وما هي يا عبد الله ؟ قال : نشهد أن لا اله الا الله ، وأنك رسول الله	٦٠٩
ويحك . أتدري ما الله ؟ ان الله على عرشه	١٣٨
ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر فيها و يعتبر بها	٤٢٥
(حرف الياء)	
يا حسان : أجب عن رسول الله ، اللهم أيده بروح القدس	٢٧٣
يا خنساء قد ذكرت في الملأ الأعلى ... (أثر)	٦٠٩
يا رب عثمان رضيت عنه فارض عنه	٧٧٦
يا علي هذا جبريل يقرئك السلام	٤٦٢
يا معشر التجار ان هذا البيع يحضره اللغو والكذب	٧٩٠
يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده	٥٧٨
يرحم الله ابراهيم عليه السلام . نحن أحق بالشك منه	٧٦٥

الحـــديـــث	الصفحة
يضاعف اللـه تعالى للمؤمن حسنته الى ألفي ألف حسنة	٧٢٠
يعطى الشهيد ست خصال	٤٠٨
يقول أحدكم لامرأته : قد طلقتك ٠٠ قد راجعتك ٠٠	٦٦٧
يقول الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيد ى مصيبة	٤١٢
يقول اللـه عز وجل : لولا أن يجزع عبد ى المؤمن لعصبت الكافر بعصابة من حرير	٥٧٢
يؤمر بناس من المنافقين الى الجنة حتى اذا د نوا منها ٠٠٠	١٢٤

٣ ـ فهـــرس الأعـــــــلام

٣ ـ فهـرس الأعـــلام

الاســـــــــم	الصفحـة
(حـــرف الهمـــزة)	
ابراهيم بن أدهم البلخي	١٦٣
ابراهيم بن أبي عبلة	١٠٧
ابراهيم بن السـرى	١٧٧
ابراهيم بن عمر بن علي بن محمد العلوى	١١
ابراهيم بن يزيـد النخعي	١٨٠
أبي بن كعب الأنصارى المدني	١٥١
أحمد بن ابراهيم النيسابورى الثعلبي	١٤٨
أحمد بن عبد الجبار أبو عمرو العطاردى التميمي الكوفي	٧٨٢
أحمد بن عبد اللطيف الشرجي	١٤
أحمد بن علي الرازى الجصاص	١٨٩
أحمد بن عمار الامام أبو العباس المهدوى	٦٣١
أحمد بن محمد البزى	٤٣١
أحمد بن محمد البستي الخارزنجي	٢٩٥
أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني	٦٢٥
الأخنس بن شريق الثقفي	٥٥٥
أسامة بن زيد بن حارثة القضاعي	٧٠٠
اسحاق بن يحيى التيمي	٥٥٢
أسعد بن زرارة الأنصارى الخزرجي	٣٩٠
اسماعيل بن ابراهيم البومة	١٤
امرؤ القيس بن حجر الكندى	٤٦٥

الاســـــــــم	الصفحة
أمية بن عبد الله بن أبي الصلت الثقفي	٣٠٨
أنس بن مالك	٨٥
أوس بن عبد الله الربعي (أبو الجوزاء)	٤٩١
أيوب بن المتوكل الأنصارى البصرى	٤٢٧
ـــــــــــــــ (حـــرف البـــاء) ـــــــــــــــ	
بـاذام (أبو صالح) مولى أم هانيء	١١٨
بحـيرا الراهـب	٢٢١
البراء بن معروز الأنصارى الخزرجي	٣٩٠
بريدة بن الحصيب بن عبد الله ، أبو سهل الأسلمي	٦٩٨
بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال المروزى	٧٧٨
بشير بن النعمان بن عبيد	٦٣٠
بلال بن رباح الحبشي	٥٥٩
ـــــــــــــــ (حـــرف الثـــاء) ـــــــــــــــ	
ثابت بن الدحداح بن نعيم	٦١٢
ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى	٦٥٤
ثعلبة بن عنمة الأنصارى	٥٠٢
ثوبان بن ابراهيم النوبي الاخميمي	٨٤٨
ـــــــــــــــ (حـــرف الجـــيم) ـــــــــــــــ	
جابر بن عبد الله بن حرام الأنصـارى	٤٨٠
جرير بن عبد الله بن جابر البجلي	٨٤٣
جرير بن عطية الخطفي (الشاعر المشهور)	٢٢٥ ، ٧٧٧
جعفر بن أبي طالب	٣٤٣

الاســـــــــــم	الصفحــة
جعفـــر الصـــادق	٤٦٢
جمال الدين محمد بن موسى الدواليي	١٢١
الجنيد بن محمـــد	١٩٠
جويبر بن سعيـــد	١١٨
(حـــرف الحـــاء)	
حبيب النجـــار	٢٢٠
حذيفـة بن اليمـــان العبسي	٣١٩
حسان بن ثابت الأنصـــارى	٢١٣
الحســـن البصـــرى	١٠٠
الحســـن بن علي بن أبي طالب	٥١٤
الحسن بن مسلم بن يناق المكـــي	٨٤٠
حفص بن سليمان بن المغيرة	٣٥٤
حمزة بن حبيب الكوفـــي	١٥٩
حمـزة بن عمرو الأســلمي	٤٨٠
حميـــد بن قيس الأعـــرج	٢٤١
حـــيي بن أخطب النضـــرى	٣٩٠
(حـــرف الخـــاء)	
خباب بن الأرت	٥٥٩
خفـاف بن نـدبـــة	٩٩
خلف بن هشـــام بن ثعلب	٨٨
الخليل بن أحمـــد الفراهيـــدى	٨٦

الاسم	الصفحة
خويلد بن خالد بن محرث	٥٩٣
(حرف الراء)	
الربيع بن أنس البكرى	٢٢٩
الربيع بن خثيم الثورى	٢٦١
رفاعة بن سموأل القرظي المدني	٦٦٢
رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي	٢٦٣
رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدى	٧٧٩
(حرف الزاى)	
الزبير بن العوام	١٤٧
زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني	٨٣١
زياد بن معاوية (النابغة الذبياني)	٤٦٤
زيد بن أرقم بن قيس الأنصارى الخزرجي	٧٠٣
زيد بن أسلم العدوى	٥١٥
زيد بن ثابت الأنصارى	٢٦٣
زيد بن عمرو بن نفيل	٢٢١
(حرف السين)	
سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب	٦٢٧
سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة	٣١٥
سعد بن أبي وقاص	٣١٦
سعد بن طارق الكوفي ، أبو مالك الأشجعي	٧١٢
سعد بن عبادة الأنصارى	١١٨

الاســـــــــــــم	الصفحـة
سعد بن مالك بن سنان بن عبيـــد الأنصـــارى	٧٠٠
سعـــد بن معاذ الأنصـــارى	٣١٠
سعيد بن اسماعيل الحـــيرى	١٩٠
سعيد بن جبـــير الأســـد ى	٢٠٨
سعيد بن مسعـد ة الأخفـــش	٩٨
سعيد بن المسيـــب	١٦٠
سفيان بن سعيد الثـــورى	٤١٤
سفيـان بن عيينـــة	٤٠٦
سـلام بن سليمان الطـويـــل	٤٢٨
سلمـان الفارســـي	١٤٧
سلمة بن عمرو بن الأكـــوع	٤٦٩
سليمان بن بريـــد ة الأســـلمي	٥٠٨
سليمان بن مهران الأعمـــش	١٣٢
سمرة بن جنـــد ب بن هـلال الفـــزارى	٤٩٦
سهل بن عبد الله التســـترى	٥٤٧
سهل بن محمد أبو حاتم السجستاني	٢٦٣
ـــــــــــــ(حـــــرف الشـــــين)ـــــــــــــ	
شريح بن الحارث النخعـــي (القاضي)	٥٠٢
شعبة بن عياش أبو بكر الكوفي	٢٧١
شهاب الد ين بن أحمـــد بن مليح النحوى	١٢
شهـر بن حوشـب	١٣٣

الاسم	الصفحة
شيبة بن نصاح	٢٦٨
(حرف الصاد)	
صدي بن عجلان أبو أمامة الباهلي	٥١٤
صهيب بن سنان الرومي	٥٥٩
(حرف الضاد)	
الضحاك بن مزاحم الهلالي	١٠٤
(حرف الطاء)	
طاوس بن كيسان اليماني	٣٣٧
طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي	١٤٧
طلحة بن مصرف الهمداني	٢١٢
(حرف الظاء)	
ظالم بن عمرو بن سفيان ، أبو الأسود الدؤلي	٧٦٧
(حرف العين)	
عاصم بن أبي الصباح الجحدري	١٠٧
عاصم بن بهدلة بن أبي النجود	٨٤
عامر بن شراحيل الشعبي	٩٥
عامر بن فهيرة التميمي	٥٧٠
عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق	٦٣٢
عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري النجاري	٧٠٠
عبد الرحمن بن أحمد أبو سليمان الداراني	٣٨٤
عبد الرحمن بن الزبير باطيا القرظي المدني	٦٦٢

الاســـــــــــــم	الصفحـة
عبد الرحمن بن زيـــد بن أســلم	٢١٢
عبد الرحمن بن صخـر الد وسي (أبو هـريرة)	٨٥
عبد الرحمن بن عوف القرشي	٤٧٩
عبد الرحمن بن كيسـان ، أبو بكر الأصـم	٦٨٥
عبد الرحمن بن مـل أبو عثمان النهـد ى	٤٠٧
عبد الرحمن بن مـل بن عمرو بن عد ى البصرى	٧١٩
عبد الصمـــد (صاحب تفسير) مجهول	٦٨٣
عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي	٢٢٠
عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي البصرى	١٣٥
عبد الله بن أبي أوفـــى	٤٩٦
عبد الله بن أبي بن سلول	١٠٩
عبد الله بن جحش بن رياب الأســد ى	٥٨٦
عبد الله بن رواحــة بن ثعلبـة الأنصارى الخزرجـي	٦٠٤
عبد الله بن الزبير بن العـوام	٤١٥
عبد الله بن زيـــد بن عمرو أبو قلابـــة	٥١٦
عبد الله بن حبيب بن ربيعـــة (أبو عبد الرحمن السلمي)	٢١٦
عبـد اللـــه بن ســـبأ	١٢٠
عبد الله بن سـلام بن الحـارث	١١٧
عبد الله بن صـوريـا الأعـــور	٢٨٤
عبد الله بن عامـر بن ربيعـــة العـنزى	٣٣١

الاســـــــــــم	الصفحـة
عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي	٣١٤
عبد الله بن عباس	٧٨
عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة (أبو بكر الصديق)	١١٨
عبد الله بن عمر بن الخطاب	٣٣٢
عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار	٦٤٤
عبد الله بن كثير المكي	١١٣
عبد الله بن المبارك المروزى	٧١٨
عبد الله بن مسعود	٩٤
عبد الله بن مسلم بن قتيبة .	٢٣٩
عبد الله بن هبيرة بن أسعد السبئي الحضرمي	٧٦٦
عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج	٣٢٦
عبد الملك بن قريب أبو سعيد الأصمعي	٢٩٥
عبد الواحد بن زيد البصرى	٣٨٢
عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان أبو عبيدة التنورى	٨٣٥
عبيد بن عمير المكي	٣٩٩
عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموى	٨١٢
عثمان بن عامر بن عمر القرشي التيمي ، أبو قحافة	٧٩٩
عثمان بن عفان	٧٧

الاســـــــــــــم	الصفحـــة
عـد ى بن حاتم الطائـــي	٤٩٥
عـروة بن الزبـير بن العـــوام	٤٥٧
عطاء بن أبي ربـاح القرشي	٢١٣
عطاء بن د ينار الهذ لي ، أبو الريان المصرى	٧٤٦
عطية بن الحارث أبو روق الهمد اني	٢٢٩
عطية بن سعد العوفي	٥٤٥
عكاشة بن محصن بن حرثان الأسد ى	٥٨٦
عكرمة بـن أبي جهـل	١٣٣
علقمة بن قيـــس	٢٨٦
علي بن أبي طالـــب	٩٥
علي بن حسن بن نوح الأبوى	١١
علي بن حمزة الكســائي	٨٤
علي بن سليمان الصنعي النحوى	١٢
علي بن عبد الرحيم السلمي	١٩١
علي بن محمد الحد اد (والد المؤلف)	١١
عمار بن ياسر العنسي	٣١٩
عمـران بن حصـين الخـزاعي	٥١٤
عمـران بن تمـيم أبو رجـاء العطارد ى	٢٧١
عمر بـن الخطـــــاب	٩٤
عمـرو بن الجموح بن زيـد بن حـرام	٥٨١
عمـرو بن شرحبيـل الهمـد اني	٤٧٨

الاســـــــــــم	الصفحـــة
عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص	٦٨٣
عمرو بن عبد الله بن علي بن أحمد أبو اسحاق السبيعي	٧٨٣
عمر بن عبد العزيز الأموى المدني	٤٨١
عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)	١٠٦
عمرو بن هشام القرشي (أبو جهل)	١٠٤
عنترة بن شداد العبسي	١٩٢
عويمر بن زيد الأنصارى أبو الدرداء	٥١٤
عيسى بن عمر الهمداني الكوفي	٢٦٤
(حرف الغاء)	
فضيل بن عياض التميمي	١٨٩
(حرف القاف)	
القاسم بن عبد الله بن ربيعة الثقفي	٣١٦
القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي	٥٩٥
القاسم بن الهمام بن محمد العلوى	١٣
قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي	٦٩٩
قتادة بن دعامة السدوسي	٨١
قس بن ساعدة	٢٢٠
قطبة بن عامر الأنصارى	٥٠٤
قعنب بن أبي قعنب أبو السمال	٢٩١
قنبل محمد بن عبد الرحمن أبو عمر المخزومي	٨٨

الاســـــــــــم	الصفحـة
(حـــرف الكـــــاف)	
كعب بن أســد القرظـي	٢٥٢
كعب بن الأشـرف الطـائي	١٢٠
كعب بن عجـرة الأنصـارى	٥١٩
كعب بن ماتـع الحمـيرى (كعب الأحبـار)	١٤٧
(حـــرف الـــلام)	
لاحـق بـن حميـد الـد و سـي	٦٠٥
لبيد بن ربيعة بن مالك العامرى	٨٣٢
(حـــرف المـــيم)	
مالك بن أنـس الأصبحـي	٤١٥
مالك بن د ينـار البصـرى	٢٤٨
مالك بن الصيـــف	٢٩١
مجاهـد بن جـبر	٨١
محمـد بن اد ريس الشافعي	٤١٥
محمـد بن اسحاق بن ابراهيم بن مهران	٦٨٠
محمـد بن الحسن الشيباني	٥٢٥
محمـد بن السائب الكلبي	١٠٤
محمـد بن سيريـن الأنصـارى	٤١٦
محمد بن عبد الرحمن بن السميفـع	
محمـد بن عبد الرحمن بن محيصـن	١٢٢
محمد بن عبد الله القروقـي	١٢

الاســـــــــم	الصفحـة
محمـد بن عبد الوهاب ، أبو علي الجبائي	٨٤٨
محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي	٧٥١
محمـد بن عمر بن شـوعـان	١٣
محمـــد بن عمـر الواقـد ى	٢٤٦
محمـــد بن القاسم بن محمـد بن بشار أبو بكر الأنبارى	٧٦٨
محمـــد بن كعب القرظـي	٩٧
محمـد بن مروان السـد ى الصغير	١٨٥
محمـد بن المستنير (قطرب)	١١٧
محمد بن مسلم الزهرى	١٦٩
محمد بن يحيي بن حبـان	٥٦٥
محمـد بن يزيـد أبو العباس المبرد	٥٢٢
مرشـد بن أبي مرثـد الغنوى	
مسروق بن الأجـد ع الهمـد اني	٤٤٠
مسطح بن أثاثـة بن عباد بن عبد المطلب	٦٣٣
معاوية بن أبي سفيان القرشي	١٤٨
معاوية بن قـرة المـزني	٥٥٢
معتب بن قشير الأنصـــارى	١٠٩
معقل بن يسار بن عبد الله المزنـي	٦٦٩
المفضل بن سلمة بن عاصم ، أبو طالب النحوى	٦٠٢
المفضـل بن محمـد الضبي	١٠٧
مقاتل بن سليمان البلخي	١٧٢

الاســـــــــــم	الصفحـة
مكحـول بن عبـد اللـــه الشامي	٥٢٧
مؤرج بن عمر السـد وســي البصـرى	٢٠٠
ـــــــــــــــ(حـرف النـــــون)ـــــــــــــــ	
نافع أبو عبد الـرحمن المـــدنـــي	١١٣
نافع أبو عبـد اللـه المـدني مولى ابن عمـــر	٤٥٧
النضـر بن شميـل المـازنـي	٢٧٥
نعـيم بن مسعود الأشجـــعي	٥٣٩
ـــــــــــــــ(حـــــرف الهـــــاء)ـــــــــــــــ	
هـارون الرشيـــد	٥٥٨
هشـــام بن عـروة بن الزبير بن العوام الأسـدى	٦٩٥
هشام بن عمـــار الدمشـــقي	١١٥
همام بن غالـب بن صعصعة التميمي (الفـرزدق)	٢٢٣
ـــــــــــــــ(حـــرف الـــواو)ـــــــــــــــ	
واقـد بن عبد الله بن عبد مناف التميمي الحنظلي	٥٨٦
ورقـة بن نوفـــل	٢٢١
وهـب بن منبـــه اليمـاني	١٩٩
وهـب بـن يهـــوذا	٢٥٢
ـــــــــــــــ(حـــرف اليـــاء)ـــــــــــــــ	
يحـيى بن آدم الصـــلحـي	٢٨٧
يحـيى بن زيـاد الفـــراء	٨٧
يحـــيى بن معـاذ الرازى	٣٨٣

الاسم	الصفحة
يحيى بن وثاب الأسدى	٢١٢
يحيى بن يعمر البصرى	٢٨٧
يعقوب بن ابراهيم أبو يوسف القاضي	٥٢٥
يعقوب بن اسحاق البصرى	١١٥
يوسف بن الحكم بن أبي عقيل (والد الحجاج)	٤٨٢
يونس بن حبيب الضبي	١٢٢
(الكنى)	
أبو البداح عاصم بن عدى بن الجد بن العجلان	٦٦٩
أبو بكر ابن ابراهيم ضجاعي	١٤
أبو بكر بن علي بن موسى الهاملي	١٢
أبو بكر الشبلي	١٩١
أبو بكر شعبة بن عياش الكوفي	٧٧٠
أبو بكر محمد بن اسماعيل بن العباس البغدادى	٧٠٢
أبو حاجب العامرى البصرى	٦٣٥
أبو الحسن الأقطع (مجهول)	٧٧١
أبو حنيفة النعمان بن ثابت (الامام)	٤١٤
أبو ذر الغفارى	٢٢١
أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية	٥٣٩
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف	٤٨٤
أبو السنابل بعكك بن الحارث بن عبد الدار القرشي	٦٨٤
أبو الطيب السهل بن محمد بن سليمان الحنفي	٦٩٩

الاســـــــــــم	الصفحــة
أبو عبيـد القاسـم بن ســـلام	١١٣
أبو عبيـد ة عامر بن عبد الله بن الجراح	٧١٦
أبو عبيد ة معمر بن المثنى البصــرى	٢٠٣
أبو عمرو البصرى زبان بن العلاء التيمي	١١٣
أبو قتاد ة بن ربعي بن بلد مـة السلمي	٨١٧
أبو محجـن الثقــفي عمـروبن حبيب	٦٥٦
أبو ياسر بن أخطــب	٣٧٣
أبو يونس ، مولى عائشة رضي الله عنهـا	٦٩٦
(الـنـســـــاء)	
أم المـؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصد يق	٣٠٥
أسمـاء بنت أبي بكر الصـد يق	٧٩٩
جميـل بنت يســار المزنيــة	٦٦٩
جميلة بنت عبد الله بن أبي بن ســلـول	٦٥٤
حفصـة بنت عمـر بن الخطاب رضي الله عنهما	٦٩٦
زينب بنت أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزوميـة	٧١٠
سبيعـة بنت الحارث الأســـد يـة	٦٨٤
سميـة بنت خبـاط (والد ة عمـار بن ياسـر)	٥٥٩
قتيـلة بنت عبد العـــزى القرشية العامريـة	٧٩٩
ميمونـة بنت الحـارث الهـلاليـة أم المؤمنين	٤٤٨
هنـد بنت أبي أميـة بن المغيرة المخزوميـة ، أم المؤمنـين	٣٥٠

٤ ـ فهـرس الأشـعـــــار

٤ ـ فهـــرس الأشـعـــــار

البيـــــــت		الصفحـــة
(صـــدر البيـــت)		
أبيض اللـون لـذ يـذ طعمـــه	(سويد اليشكرى)	١١٠
اذا أكل الجراد حروث قـوم		٦٢٥
اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى	(الأعشـــى)	٥٣٢
اذا مت فادفـني الى أصل كرمة	(أبو محجن الثقفي)	٦٥٧
أفسدت بالمـن مـا قدمت من حسـن		٧٧٧
أفي كل عام أنت جاشم غـزوة	(الأعشـــى)	٦٤٦
أقول له والرمح يأطر متنـــه		٩٩
اللـه يعـلم أنا في تقلبنـــا		٧٦٧
أمرتـك الخـير لكـن ما ائتمرت بـــه		٧٩١
براق أصـلاد الجبـــين الأجـــلـه	(رؤبة بن العجاج)	٧٧٩
بشرك الله بخـير و فـــرح	(أم الدحداح)	٧٢٣
تباعـد عـــني فطحـل اذ رأيتـــه		٩١
تربص بها ريب المنون لعلها		٦٤١
ترى حولهـن المعتفـين كأنهـــم		٤٩٧
ترى للمسلمين عليك حقـــا	(جريـــر)	٣٩٢
تعش فان عاهد تني لا تخـــونـنى	(الفـــرزدق)	٢٢٣
تلك خيلي منها و تلك ركابـي	(الأعشـــى)	٢٣٨
تمنى كتـاب الله أول ليـــلة	(كعب بن مالك)	٢٥٥
ثنائي عليكم يا ابن حرب و من يمـل		٣٩٨
حـتى اذا صام النهـــار واعتـــدل		٤٦٥

البيـــــــت		الصفحـــة
حييت من طـلل تقادم عهـده		١٩٢
الخيط الأول قبل الصبح منصدع		٤٩٥
خيل صيام و خيل غير صائمـة	(النابغـة)	٤٦٤
دعوت الله حتى خفت أن لا	(أبـو زيـد)	
سئمت تكاليف الحياة و من يعـش	(زهير بن أبي سلمى)	٨٣١
شهدنا وما تلقى لنا من كتيبـة	(كعب بن مالك)	
صلى الاله على لوط و شيعتـه	(أبو نـواس)	٩١
علي أليـة و صيـام شهـر		٦٣٩
فان يـر سلمى الجن يستأنسوا بها	(جريـر)	٢٢٥
فدع ذا و سل الهم عنك بجسرة	(امرؤ القُيـس)	٤٦٥
فظلنـا هنـالك في نعمـة		٤٩٠
فقلت يمين الله أبـرح قاعـدا	(امرؤ القيس)	٦٣١
فلما رأونـا باديـا ركباتنـا		١٣٣
فيا عجبا حتى كليب تسبني	(الفـرزدق)	٥٨١
قليل الألايا حافظ ليمينـه	(كثـير عـزة)	٦٣٩
كل المصائب قد تمر على الفتى	(ابن عيينـة)	٨٤٩
لا تنه عن خلق وتأتي مثلـه	(أبو الأسود الدؤلي)	١٧٢
لحفظ المال أيسر من فنـاه		٨٠٢
لولا الحيـاء وأن رأسي قد عشا	(ابن الرقـاع)	٢١١
ما بالمدينـة دار غير واحـدة	(الفـرزدق)	٤٠٢
مورثـة مالا و في الحي رفعـة	(الأعشـى)	٦٤٦

البيـــــــت		الصفحـــة
نـد مـت على أن لا تكـون كمثـلـه	(الأعشـــــى)	٥٣٢
نطيـع رسـولنا و نطيـع ربـا	(كعب بن مالك)	٣٩١
نظـرت الى عنـوان فنبذ تـه	(أبو الأسود الد ؤلي)	٢٩٤
هـد اك ربـك سـبل الرشـاد	(أبو الـد حـد اح)	٧٢٢
واني اذ ا أو عـد ته أو و عـد تـه	(عامر بن الطفيل)	١٨٧ ، ٧٩١
و د اع د عـا يا من يجيب الى الند ى	(محمد بن كعب الـغنـوى)	١٢٧
و شريت بـرد ا ليتني	(يزيد بن مفـرغ الحمـيرى)	٥٦١
و غـلام رأيتـه صـار كلبـا		٧٦٨
وقـد زعمـت سـلمى بأنـي فاجـر	(توبـة بن الحمير)	١٣٠٠
وكأنهـن ربابـة وكـأنـه	(أبو ذ ؤيـب)	٥٩٤
وكل أخ مفارقـه أخـوه	(عمرو بن معد يكرب)	٤٠٣٠ ،، ٧٣٧
ولست مسلما ما د مت حيـا		٤٢٦
ولقد سئمت من الحياة و طولهـا	(لبيـــــد)	٨٣٢
يا رب ذ ى ضغن و ضـب قابـض		٦٤٥
يا رب لا تسلبني حبهـا أبـد ا		٩١
يد عون بالويـل فيها لا خلاق لـهم	(أمية بن أبي الصلت)	٣٠٨

٥ ـ فهـرس المصـــــادر والمراجـــــع

٥ ـ فهرس المصادر والمراجع

القـــرآن الكريـــم .

الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية :

تأليف :عبد الرؤوف المناوى ـ دار المعرفة ـ بيروت .

اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر :

تأليف : أحمد محمد البنا ـ تحقيق الدكتور شعبان محمد اسماعيل ـ عالم الكتـــب بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .

الاتقان في علوم القرآن :

تأليف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ تعليق الدكتور مصطفى ديب البغا الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ دار ابن كثير ـ دمشق .

الاجمـــاع :

تأليف أبي بكر بن محمد بن ابراهيم بن المنذر ـ تحقيق : أبي حماد صغـــير أحمد حنيف ـ الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض

أحكام القرآن :

لأبي بكر أحمد بن علي الرازى الجصاص ـ تحقيق محمد الصادق قمحـــاوى دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ ١٤٠٥ هـ .

أحـــكام القـــرآن :

لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ـ تعليق محمد عبد القادر عطا ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

أحـكام القـــرآن :

تأليف : عماد الدين بن محمد الطبرى المعروف بالكيا الهراسي ـ الطبعـة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ المكتبة العلمية ـ بيروت .

الاحكام في أصول الأحكام :

لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ دار الكتـــب العلمية ـ بيروت .

احيـــاء عـلوم الـــديـن :

لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ـ مطبعة مصطفى البابي الحـلبي بمصر ـ ١٣٥٨ هـ ٠

ارواء الـغليـل في تخريج أحاد يث منار السبيل :

تأليف : محمد ناصر الد ين الألباني ـ الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ـ المكتـــــب الاسلامي ـ بيروت ٠

أسـباب نـزول القرآن :

لأبي الحسن علي بن أحمد الواحد ى ـ تحقيق السيد أحمد صقر ـ الطبعـــة الثانيـة ١٤٠٤ هـ ٠

أسـماء الكتـب المتـمم لكشـف الظنون :

تأليف : عبد اللطيف بن محمد رياضي زاد ه ـ تحقيق الدكتور محمد التونجي د ار البحوث العلمية ـ الكويت ٠ ومكتبة الخانجي بمصـــر ٠

الاشراف عـلى مـذ اهـب أهـل العـلم :

للحافظ محمد بن ابراهيم بن المنذ ر النيسابورى ـ تحقيق محمد نجيـــــــب سراج الد ين ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ د ار احياء التراث الاسلامي بقطر ٠

الاشراف على مذ اهب العلمـاء :

تأليف : أبي بكر محمد بن ابراهيم بن المنذ ر النيسابورى ـ تحقيق : أبي حماد صغير أحمـد بن محمد حنيف ـ المجلد الرابع ـ الطبعة الأولى ـ د ار طيبـة الريـــاض ٠

الاصابـة في تميـيز الصحابـة :

للحافظ شهاب الد ين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ د ار الكتاب العربـي بيروت ٠

أضـواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن :

تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ـ عالم الكتب ـ بيروت

الأعـــــلا م :

تأليف : خير الد ين الزركلي ـ الطبعة السادسة ١٩٨٤ م ـ د ار العلم للملايين بيروت ٠

اعلام الموقعين عن رب العالمين :

تأليف : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ـ مكتبة الكليات الأزهرية ٠

الأغاني :

لأبي الفرج الأصبهاني ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ دار الكتب العلمية بيروت ٠

الافصاح عن معاني الصحاح :

تأليف الوزير عون الدين أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الحنبلي طبع ونشر المؤسسة السعيدية بالرياض ١٣٩٨ هـ ٠

أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات :

لزين الدين مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي ـ تحقيق شعيب الأرنؤوط ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ٠

الأم :

تأليف محمد بن ادريس الشافعي (الامام) ـ دار المعرفة ـ بيروت ٠

البحر المحيط :

تأليف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ـ الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ـ دار الفكر ـ بيروت ٠

بدائع الفوائد :

تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ٠

بداية المجتهد ونهاية المقتصد :

لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي الشهير بابن رشد الحفيد ـ الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ دار الكتب الاسلامية ـ القاهرة ٠

البداية والنهاية :

لأبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي ـ الطبعة الخامسة ١٤٠٩ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ٠

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع :

للامام محمد بن علي الشوكاني ـ الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة .

البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة :

تأليف الشيخ عبد الفتاح القاضي ـ الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة :

تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم المكتبة العصرية ـ بيروت .

بهجة المجالس وأنس المجالس :

للامام أبي عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ـ تحقيق محمد مرسي الخولي الطبعة الثانية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

تاج التراجم لزين الدين قاسم بن قطلوبغا . المتوفى سنه ٨٧٩ هـ . دار القلم ـ دمشق ط أولى ١٤١٣ هـ

تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ـ دار الفكر ـ بيروت ١٣٩٩ هـ .

تاريخ بغداد :

للخطيب البغدادي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

التبيان في اعراب القرآن :

تأليف أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ـ تحقيق علي محمد البجاوي مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه .

الترغيب والترهيب من الحديث الشريف :

للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ـ تعليق مصطفى محمد عمارة المكتبة العصرية ـ بيروت ١٤٠٨ هـ .

التعريفات :

تأليف الشريف علي بن محمد الجرجاني ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

تفسير ابن أبي حاتم :

تحقيق الدكتور أحمد عبدالله الزهراني والدكتور حكمت بشير ياسين الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ مكتبة الدار (المدينة المنورة ، ومكتبة طيبة (الرياض) ، ودار القلم (الدمام) .

تفسير أسماء الله الحسنى :

املاء أبي اسحاق ابراهيم بن السرى الزجاج ـ تحقيق أحمد يوسف الدقاق الطبعة الخامسة ١٤٠٦ هـ ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ بيروت .

تفسير البغوى (معالم التنزيل) :

للامام أبي الحسين بن مسعود الفراء البغوى ـ تحقيق خالد بن عبد الرحمن العك ، ومروان سوار ـ الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت .

تفسير الثعلبي (الكشف والبيان في تفسير القرآن) :

تأليف أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابورى الثعلبي ـ مخطوط بمكتبة المخطوطات بالجامعة الاسلامية برقم (٢٢٦٣) .

تفسير الخازن (لباب االتأويل في معاني التنزيل) :

لعلاء الدين علي بن محمد البغدادى الشهير بالخازن ـ الطبعة لثانية ١٣٧٥ هـ ـ مطبعة الحلبي ـ القاهرة .

تفسير السعدى (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) :

تأليف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى ـ تقديم محمد زهرى النجار دار المدني بجده ـ ١٤٠٨هـ .

تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) :

تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى ـ الطبعة الثالثة ـ ١٣٨٨ هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

تفسير الطبرى :

تحقيق أحمد شاكر ـ دار المعارف ـ مصر .

تفسير غريب القرآن :

لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ تحقيق السيد أحمد صقر

دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٩٨ هـ .

تفسير الفخر الرازى (التفسير الكبير) :

للامام محمد الرازى فخر الدين ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ ـ دار الفكر بيروت .

تفسير القاسمي (محاسن التأويل) :

تأليف علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي ـ الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ

دار الفكر ـ بيروت .

تفسير القرآن العظيم :

للامام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت .

تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) :

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي ـ الطبعة الثانية

دار الشام للتراث ـ بيروت .

تفسير النيسابورى :

تحقيق ابراهيم عطوه ـ الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ .

التفسير والمفسرون :

تأليف الدكتور محمد حسين الذهبي ـ الطبعة الثانية ١٣٩٦ هـ

دار الكتب الحديثة ـ القاهرة .

تقريب التهذيب :

للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ تقديم محمد عوامة

الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ دار الرشيد (حلب) سوريا ، و دار البشائر الاسلامية (بيروت) لبنان .

تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير :

للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ـ

تصحيح السيد عبد الله هاشم اليماني المدني ـ المدينة المنورة ١٣٨٤ هـ .

التلخيص على المستدرك

للحافظ الذهبي ـ دار المعرفة ـ بيروت .

تهذيب الأسماء واللغات :

للامام النووي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

تهذيب التهذيب :

للحافظ ابن حجر العسقلاني ـ الطبعة الأولى ١٣٢٧ هـ ـ دار صادر ـ بيروت .

تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد :

تأليف سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ـ الطبعة السادسة

سنة ١٤٠٥ هـ ـ المكتب الاسلامي ـ بيروت .

التيسير في القراءات السبع :

تأليف أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ـ الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ـ

دار الكتاب العربي ـ بيروت .

جامع الأصول في أحاديث الرسول :

تأليف أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ـ تحقيق

عبد القادر الأرناؤوط ـ نشر وتوزيع مكتبة الحلواني و مطبعة الملاح

ومكتبة دار البيان ١٣٨٩ هـ .

جمهرة أشعار العرب في الجاهلية و الاسلام :

تأليف أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ـ تحقيق محمد علي الهاشمي

الطبعة الثانية ـ دار القلم ـ دمشق .

الحجة للقراء السبعة :

لأبي علي الفارسي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ دار المأمون للتراث .

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب :

تأليف الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي ـ الطبعة الأولى

دار صادر ـ بيروت ٠

خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال :

للحافظ أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري ـ الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ

مكتب المطبوعات الاسلامية ـ سوريا ٠

الدراية في تخريج أحاديث الهداية :

للحافظ ابن حجر العسقلاني ـ تصحيح السيد عبد الله هاشم اليماني

المدني ـ دار المعرفة ـ بيروت ٠

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون :

تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ـ تحقيق الدكتور أحمد

محمد الخراط ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ دار القلم ـ دمشق ٠

الدر المنثور في التفسير المأثور :

تأليف الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ

دار الفكر ـ بيروت ٠

ديوان أبي تمام :

شرح وضبط شاهين عطية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ دار الكتب العلمية

بيروت ٠

ديوان أبي نواس :

دار الكتاب اللبناني ـ الطبعة الأولى

١٩٨٣ م ٠

ديوان الأخطل :

دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ١٣٩١ هـ ٠ الطبعة الأولى ٠

ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) :

شرح مهدي محمد ناصر الدين ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطبعة

الأولى ١٤٠٧ هـ ٠

ديوان امرىء القيس :

تحقيق مصطفى عبد الشافي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ دار الكتب العلمية بيروت .

ديوان أمية بن أبي الصلت :

الطبعة الثانية . مكتبة الحياة ـ بيروت .

ديوان جرير :

شرح مهدى محمد ناصر الدين ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

ديوان حسان بن ثابت الأنصارى :

دار بيروت ١٤٠٣ هـ .

ديوان الخنساء :

دار بيروت ١٤٠٦ هـ .

ديوان رؤبة بن العجاج :

الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .

ديوان زهير بن أبي سلمى :

تحقيق علي فاعور ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت

ديوان عامر بن الطفيل :

دار صادر ـ بيروت ١٣٨٣ هـ .

ديوان الفرزدق :

شرح الأستاذ على فاعور ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ دار الكتب العلمية بيروت .

ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلى) :

مكتبة مصر ١٩٧٩ م .

ديوان كعب بن زهير :

تحقيق علي فاعور ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

ديوان لبيد بن ربيعة العامري :

دار صادر ـ بيروت ٠

ديوان النابغة الذبياني :

تحقيق الدكتور شكرى فيصل ـ دار الفكر ـ بيروت ٠

رحمة الأمة في اختلاف الأئمة :

تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي الشافعي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ٠

الرسالة :

للامام الشافعي ـ تحقيق أحمد شاكر ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ٠

رصف المباني في شرح حروف المعاني :

للامام أحمد بن عبد النور المالقي ـ تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ـ دار القلم ـ دمشق ـ بيروت ٠

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :

للعلامة الألوسي ـ دار احياء التراث العربي ـ بيرزت ٠

الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية :

تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ١٣٩١ هـ ٠

روضة المحبين ونزهة المشتاقين :

تأليف شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيّم الجوزية ـ تحقيق الدكتور السيد الجميلي ـ الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ٠

الرياض المستطابة في جملة من روى في المحيحين من الصحابة :

تأليف يحيى بن أبي بكر العامرى اليمني ـ الطبعة الأولى ١٩٧٤ م ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ٠

زاد المسير في علم التفسير :

تأليف أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزى ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ ـ المكتب الاسلامي ـ بيروت ٠

زاد المعاد في هدى خير العباد :

تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيّم الجوزية تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ـــ الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٦ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ومكتبة المنار الاسلامية ـ الكويت ٠

سلسلة الأحاديث الصحيحة :

تخريج محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ ـ المكتب الاسلامي ـ بيروت ٠

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة :

تخريج محمد ناصر الدين الألباني ـــ الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ ـ المكتب الاسلامي ـ بيروت ٠

سنن ابن ماجه :

للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ـ ترقيم وتعليق محمود فؤاد عبد الباقي ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ٠

سنن أبي داود :

للحافظ أبي سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ـ تعليق عزت عبيد الدعاس ـ الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ ـ دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ـــ بيروت ٠

سنن الترمذي (الجامع الصحيح) :

لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ٠ الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ٠

سنن الدارقطني :

الطبعة الرابعة ١٤٠٦ هـ ـ عالم الكتب ـ بيروت ٠

السنن الكبرى :

للبيهقي ـ دار المعرفة ـ بيروت ٠

سنن النسائي :

للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ـ ترقيم عبد الفتاح أبو غدة ـ الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ـ مكتبة المطبوعات الاسلامية بحلب دار البشائر الاسلامية ـ بيروت ٠

سير أعلام النبلاء :

تأليف شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط وجماعة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ٠

السيرة النبوية :

لابن هشام ـ تعليق عمر عبد السلام تدمرى ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ٠

شرح السنة :

تأليف الامام الحسين بن مسعود البغوى ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط و محمد زهير الشاويش ـ الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ المكتب الاسلامي ـ بيروت ٠

شرح العقيدة الطحاوية :

تأليف القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي ـ تحقيق بشير محمد عون ـ الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ بيروت ـ مكتبة المؤيد (الطائف) و مكتبة دار البيان (دمشق) ٠

شرح لمعة الاعتقاد الهادى الى سبيل الرشاد :

لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ـ شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ٠

شرح النووى على صحيح مسلم :

الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ ـ دار الفكر ـ بيروت ٠

الشعر والشعراء :

تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ـ تحقيق الدكتور مفيد قميحة ـ الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ٠

الشفا بتعريف حقوق المصطفى :

تأليف القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ـ تحقيق علي بن محمد البجاوى ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ٠

الصحاح :

لاسماعيل بن حماد الجوهري ـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ٠

صحيح البخارى :

لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى الجعفي ـ ترقيم الدكتور مصطفى ديب البغا ـ دار ابن كثير ـ دمشق ٠

صحيح الجامع الصغير و زيادته (الفتح الكبير) :

تأليف محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ـ المكتب الاسلامي ـ بيروت ٠

صحيح مسلم :

للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ـ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ـ المكتبة الاسلامية ـ استانبول ـ تركيا ٠

ضعيف الجامع الصغير و زيادته (الفتح الكبير) :

تأليف محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ـ المكتب الاسلامي ـ بيروت ٠

ضعيف سنن ابن ماجه :

للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ المكتب الاسلامي ـ بيروت ٠

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع :

تأليف شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ٠

طبقـــات الحفـــاظ :

للحافظ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق علي محمد عمـــــــر ٠

الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ ـ مكتبة وهبـــة ـ القاهـرة ٠

طبقـات فحـول الشعـراء :

تأليف محمد بن سلام الجمحـي ـ شرح محمود محمد شاكر ـ مطبعة المدني

طبقـات الفقهـــاء :

لأبي اسحاق الشيرازى ـ تحقيف احسان عباس ـ الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ

دار الرائـــد العربي ـ بيروت ٠

طبقـــات المفســـرين :

تأليف شمس الدين محمد بن علي الداودى ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ

دار الكتب العلمية ـ بيروت ٠

العسجد المسبوك في تاريخ الاسلام و طبقات الملوك :

لأبي الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر الخزرجي ـ مخطوط بالمكتبـــــة

المحمودية بالمدينة المنورة برقم ٢٥٥٦ ، ٢٥٥٧

العقـــد الفريـــد :

تأليف أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ـ تحقيق أحمد أمـــين

وجماعـة ٠ الطبعة الثانية ١٣٨١ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بـــيروت ،

مكتبة النهضة المصريـــة ـ القاهـــرة ٠

العقـود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية :

لأبي الحسن علي بن الحسن الخزرجي ـ تصحيح محمد بسيوني عســـل ٠

مطبعة الهلال بالفجالة بمصـــر ١٣٣٢ هـ ٠

العـلل المتناهية في الأحاديث الواهيـة :

لابن الجوزى ـ طبعة دار نشر الكتب الاسلامية ـ لاهور ـ باكستان ٠

العمـــدة في محاســن الشعـر وآدابـه ونقـده :

تأليف أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ـ تحقيق محمـــــد محيي الدين عبد الحميد ـ دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ـ بيروت ٠

عيـون الأخبـــار :

تأليف محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ـ المؤسسة المصريـــة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ٠ نسخة مصورة عن طبعـــة دار الكتـب ١٣٨٣ هـ ٠

غايـــة النهايـــة في طبقـــات القـرّاء :

تأليف شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري ـ نشر ج ـ برجستراســـر الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ ـ دار الكتب العلميـة ـ بيروت ٠

فتـح البـاري بشـرح صحيـح البخـاري :

للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ المكتبـة السلفيـة ـ القاهـرة ٠

الفتـح السماوي بتخريـج أحـاديث القاضي البيضـاوي :

لزين الدين عبد الرؤوف المناوي ـ تحقيق أحمد مجتبى بن نذير عالـــم السلفي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ دار العاصمة ـ الرياض ٠

فتـح القـديـر الجامـع بين فـني الرواية والـدرايـة في علـم التفسـير :

تأليف محمد بن علي الشوكاني ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ٠

الفتوحـات الالهيـة بتوضيـح تفسير الجلالـين للدقائق الخفيـة المشهور بحاشيـة الجمل علـى الجلالـين :

تأليف سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ٠

الفـرق بـين الـفِـرَق :

تأليف عبد القاهـر بن طاهـر البغدادي ـ تحقيق محمد محيي الديـن عبد الحميـد ـ دار المعرفة ـ بيروت ٠

الفصل في الملل والأهواء والنحل :

لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ـ تحقيق محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة ـ دار الجيل ـ بيروت ٠

الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة :

تأليف محمد بن علي الشوكاني ـ تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ ـ المكتب الاسلامي ـ بيروت ٠

القاموس المحيط :

تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ـ الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ٠

القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب :

تأليف الشيخ عبد الفتاح القاضي ـ الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ٠

الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف : (بهامش الكشاف للزمخشري)

للحافظ ابن حجر العسقلاني ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ ـ دار الريان للتراث ـ القاهرة ٠

كتاب الأضداد :

تأليف محمد بن القاسم الأنباري ـ تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم المكتبة العصرية ـ بيروت ١٤٠٧ هـ ٠

كتاب التبصرة في القراءات السبع :

للامام المقرىء أبي محمد مكي بن أبي طالب ـ تحقيق الدكتور محمد غوث الندوي ـ الدار السلفية ـ بومباي الهند ٠

كتاب التوحيد :

لابن خزيمة ـ تحقيق الدكتور عبد العزيز الشهوان ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ دار الرشد ـ الرياض ٠

كتـاب سيبـويـــه :

تحقيق عبد السلام هارون ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة الخانجي بمصر ٠

كتـاب عشـرة النسـاء :

للنسـائي ـ تحقيق عمرو علي عمـر ـ الطبعـة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ مكتبـة السـنة ـ القاهـرة ٠

كتـاب المصاحـف :

لأبي داود ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ٠

الكشـاف عـن حقـائـق غـوامـض التـنزيـل وعيـون الأقـاويل في وجوه التأويـل :

تأليف محمود بن عمر الزمخشري ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ ـ دار الريـان للتراث ـ القاهـرة ٠

كشـف الخفـاء ومزيـل الالبـاس عما اشتهـر من الأحـاديث على ألسنة الناس :

تأليف الشيخ اسماعيل بن محمد العجلونـي ـ الطبعـة الرابعـة ١٤٠٥ هـ مؤسسـة الرسـالة ـ بيروت ٠

كشـف الظنـون عـن أسـامي الكتـب والفنـون :

لحاجـي خليفـة ـ دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٢ هـ ٠

الكشـف عن وجـوه القـراءات السبع :

لمكي بن أبي طالـب ـ تحقيق محيي الدين رمضـان ـ الطبعـة الثالثـة ١٤٠٤ هـ ـ مؤسسـة الرسالة ـ بيروت ٠

االكفايـة في عـلم الروايـة :

للخطيب البغدادي ـ الطبعة الثانية ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ٠

لبـاب النقـول في أسـباب النـزول : (بهامش تفسير الجلالـين)

للسيوطي ـ دار المعرفـة ـ بيروت ٠

لسـان العـرب :

تأليف أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ـ دار الرشـاد الحديثـة ـ بيروت ، ودار صادر ـ بيروت ٠

اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان :

وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ١٤٠٦ هـ

مجاز القرآن :

لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ـ تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين

مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ .

مجمع الأمثال :

لأبي الفضل النيسابورى الميداني ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد

دار المعرفة ـ بيروت ١٣٧٤ هـ .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :

للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ

دار الكتاب العربي ـ بيروت .

المجموع شرح المهذب :

للنووى ـ مكتبة الارشاد ـ جده .

مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية :

جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدى الحنبلي

توزيع الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين .

المحتسب في تبيين شواذ القراءات والايضاح عنها :

تأليف أبي الفتح عثمان بن جني ـ تحقيق علي النجدى ناصف وجماعة

الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ـ دار سزكين للطباعة والنشر .

المحلى :

لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ـ تحقيق لجنة احياء التراث

العربي ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ لبنان .

مختصر سنن أبي داود :

للمنذري عبد العظيم بن عبد القوى ـ تحقيق أحمد شاكر ، ومحمد حامد

الفقي ـ تصوير المكتبة الأثرية ـ باكستان ١٣٩٩ هـ .

مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة :

لابن قيّم الجوزية ـ اختصار الشيخ محمد بن الموصلي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ توزيع دار الباز ـ مكة المكرمة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ٠

مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع :

لابن خالويه ـ مكتبة المثنى ـ القاهرة ٠

المستدرك على الصحيحين :

للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ـ دار المعرفة ـ بيروت ٠

مسند الامام أحمد بن حنبل :

دار صادر ـ بيروت ٠

مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف : (بهامش الكشاف) :

للمرزوقي ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ ـ دار الريان للتراث ـ القاهرة ٠

مشكل اعراب القرآن :

تأليف أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ـ تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ٠

مصادر الفكر الاسلامي في اليمن :

تأليف عبد الله بن محمد الحبيشي ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ٠

مصنف عبد الرزّاق :

تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ـ الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ ـ المكتب الاسلامي ـ بيروت ٠

المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية :

تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ٠

معالم السنن : (مع سنن أبي داود)

للخطابي ـ اعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس ، وعادل السيد الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ ـ دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت

معـــاني القـــرآن :

للأخـفش سعيد بن مسعد ة البلخـي ـ تحقيق الدكتور عبد الأمير محمـــد أمين الورد ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ عالم الكتب ـ بيروت ٠

معـــاني القـــرآن :

لأبي زكريا يحيى بن زيـاد الفـراء ـ الطبعة الثالثـة ١٤٠١ هـ ـ عالم الكتب بـــيروت ٠

معـاني القـرآن و اعـرابـه :

تأليف أبي اسحاق ابراهيم بن السرى الزجاج ـ تحقيق الدكتور عبد الجليـل عبد ه شلبي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ عالم الكتب ـ بيروت ٠

معجـــم البـــلـدان :

تأليف شهاب الد ين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى دار صادر ـ بيروت ، و دار بيروت ـ بيروت ١٤٠٤ هـ ٠

معجـــم المؤلفـــين :

تأليف عمر رضا كحالـة ـ مكتبة المثنى ـ بيروت ، و دار احياء الـــتراث العـربي ـ بيروت ٠

معـرفـة القـــراء الكبـار عـلى الطبقـــات والأعصـــار :

تأليف شمس الد ين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذ هـــــــبي تحقيق بشار عون معروف و جماعـة ـ الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ مؤسســـــة الرسـالة ـ بيروت ٠

المغـــني شـرح مختصـــرالخـرقـي :

لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قـدامـة ـ الناشر مكتبة الجمهوريـة العـربية بمصـر ، و مكتبة الرياض الحـد يثـة بالرياض ٠

المغـــني عـن حمـل الأســـفـار : (بهامش احياء علوم الد ين لأبي حامد الغـزالي) للحافظ العـراقي ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصـر ١٣٥٨ هـ ٠

مغـني اللبـيـب عـن كتـب الأعـاريـب :

لجمال الدين ابن هشام الأنصاري ـ تحقيق الدكتور مازن المبـارك ومحمد علي ـ الطبعة الخامسة ١٩٧٩ م ـ دار الفكر ـ بيروت ، ومكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

مغـني المحتـاج شـرح المنهـاج :

للخطيب الشربيني ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

المفـردات في غريـب القـرآن :

تأليف الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني ـ دار قهرمان استانبول ـ تركيا .

المفضليـات :

للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي الكوفي اللغوى ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون ـ الطبعة السابعة ـ دار المعارف القاهرة .

الملـل والنحـل :

للشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ـ تحقيق محمد سيد كيلاني ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٩٦ هـ

منهـاج الطالبـين : (مع مغني المحتاج)

للنووى ـ دار الفكر ١٣٩٨ هـ .

المهـذب في القـراءات العشـر وتوجيههـا :

للدكتور محمد سالم محيسن ـ الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة .

المـوطـأ :

للامام مالك بن أنس ـ تصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه .

الموضوعات :

تأليف أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزى ـ تقديم عبد الرحمن محمد عثمان ـ الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة .

ميزان الاعتدال في نقد الرجال :

تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق على محمد البجاوى ـ الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت .

الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز :

تأليف أبي عبيد القاسم بن سلام الهروى ـ تحقيق محمد بن صالح المديفر الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ـ مكتبة الرشد ـ الرياض .

الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم :

تأليف أبي جعفر محمد بن أحمد النحاس ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت .

نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر :

لجلال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ـ تحقيق محمد عبد الكريم الراشي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

النشر في القراءات العشر :

تأليف أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي ـ الشهير بابن الجزرى دار الكتب العلمية ـ بيروت .

نصب الراية لأحاديث الهداية :

للحافظ جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي الطبعة الثانية ـ بعناية ادارة المجلس العلمي بالهند .

نواسخ القرآن :

للعلامة ابن الجوزى ـ تحقيق محمد أشرف على الملبارى ـ االطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ من مطبوعات المجلس العلمي بالجامعة الاسلامية .

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب :

تأليف أبي العباس أحمد بن علي القلقشندى ـ دار الكتب العلمية بيروت ٠

النهاية في غريب الحديث والأثر :

تأليف مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزرى الشهير بابن الأثير ـ تحقيق محمود محمد الطناحي ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ٠

نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار :

للامام محمد بن علي الشوكاني ـ دار الفكر ـ بيروت ٠

الهداية شرح بداية المبتدى :

تأليف أبي الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ٠

هدية العارفين :

لاسماعيل باشا البغدادى ـ دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٢ هـ ٠

٦ ـ فهرس الموضوعات

٦ ـ فهـــرس الموضـوعـات

الموضـــــــــــــــــوع	الصفحـــة
شكـر وتقـــديـــر	أ
المقـــدمـــة	٢
خطـة البحـــث	٥
قسـم الـدراســـة	٧
البـاب الأول : دراسـة المـؤلـف	٨
نسـبـه ، وكنيتـه ، ولقبـــه	٩
مولـــــده	١٠
نشأتـه وصفاتـــه	١٠
حياتـه العلميـة	١١
شيوخـــه	١١
تلاميـــذه	١٣
مؤلفـاتـــــه	١٥
منزلتـه العلميـة وثنـاء العلمـاء عليـه	١٨
وفاتـــــه	١٩
البـاب الثـاني : دراسـة المخطـوط	٢٠
اسم الكتـــــاب	٢١
تحقيق نسبـة الكتـاب للمـؤلـف	٢٢
وصـف النسخ الخطيـة للكتـاب	٢٣
منهـج المـؤلـف في تفســيره	٢٥
استشهـاده بالآيات القرآنيـة	٢٥
استشهـاده بالأحاديث النبويـة	٢٨
ذكـره للقـــراءات	٣٢

الموضـــــــــــــــــوع	الصفحـــة
اهتمامه باللغـة والاعـراب	٣٧
عنايته بآيات الأحـكام	٤٣
ذكره للناسخ والمنسـوخ	٤٩
ذكره لأسباب النزول	٥٢
ذكره للاسرائيليـات	٥٦
موقفه من آيات الصفـات	٥٨
مصادره في تفسيره	٥٩
القيمة العلمية للكتاب	٦١
المآخذ على الكتـاب	٦١
نماذج من نسخ المخطـوط	٦٤
قسـم التحقيـق	٧٤
مقدمة الكتـاب	٧٥
سـورة الفاتحـة	٨١
سـورة البقـرة	٩٣
الفهـارس	٨٥٣
فهرس الآيات القرآنية الكريمة المستشهد بها	٨٥٤
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة والآثار	٨٧٥
فهرس الأعـلام	٨٩٢
فهرس الأشعـار	٩٠٨
فهرس المصادر والمراجـع	٩١٢
فهرس الموضـوعـات	٩٣٦

تم بحمد الله وحسن توفيقه الفراغ من طبع هذه الرسالة يوم الاثنين الثالث من ذى القعدة ١٤١٢هـ الموافق الخامس من مايو ١٩٩٢ م . وقد قام بطباعتها على الآلة الكاتبة العبد الفقير الى رحمة الله تعالى سعيد بن عطية بسيوني ـ غفر الله له ولوالديه ولصاحب الرسالة وللمسلمين أجمعين ، وذلك بمكتبة دار البخارى بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة . والحمد لله رب العالمين

=========